

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190537

UNIVERSAL
LIBRARY

شِعْرُ الْأَنْدَلُسِ

ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ أَخْبَارُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المحسنون عن إحسانه
أخذ الروم في الحزيرة عنه ومشوا في خياله وافنانه .
« شوقي »

شَرِّحَ وَضَبَطَ وَتَصَنَّفَ

كامل كيلانى و عبد الرحمن خليفه

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة



طُبِعَ بِطَبْعَةِ

مُصْطَفَى الْبَابِ الْحَلْبِيِّ وَأَوْلَادِهِ بِمِصْرَ

وَنَاشَرَتْهُ مَهْدَامِزُ عَمْرَانَ

فهرس

مقدمة ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
١٧	ابن جهور - بنو عباد	٨	تصدير
٢٧	المناهج الأدبية	١٠	مقدمة الديوان
٣٠	نشأة ابن زيدون	١٠	تحريف للديوان
٣٣	بحترى العرب	١٠	أمثلة من التحريف
٣٧	شاعرية ابن زيدون	١٢	أثر التحريف
٤٢	لماذا سجن ابن زيدون	١٣	لماذا بدأت بهذا الديوان
٤٤	حساد ابن زيدون	١٥	تنفيذ الفكرة
٥٠	حب ولادة	١٦	رسائل ابن زيدون وأخباره
٥٥	أدب ابن زيدون	١٧	إلمامة
		١٧	ملوك الطوائف

فهرس ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
٣٨	جواب كتاب	١	في السجن
٣٩	في العزل	٤	ذكرى أيام الوصال
٤٠	في مدح ابن جهور	٩	في مدح ابن جهور
٤٩	بعد خمسة يوم في السجن	١٢	ذكرى ولادة
٥٤	من قصيدة صنعها ببليوس	١٣	بعد الفرار من السجن
٥٧	في العزل	١٩	في مدينة بطليوس
٥٨	بين صديقين	٢٢	يوم بوصل ساعة
٥٩	دعوة	٢٣	في عيد الأنصحي
٦٠	قال في الوزير الشيخ أبي الحزم	٣٤	في طرطوشة
٦٠	وصال	٣٥	إلى الوزير أبي عبد الله

١١٩	حبيب
١٢٠	في مدح ابن جهور
١٢٢	الى المظفر
١٣٠	في نكسة بنى ذكوان
١٣٦	تهنئة بقران
١٣٩	عهد
١٤٠	مدح ورناء
١٤٨	الى ابن ذكوان
١٤٩	الى المعتمد
١٥٠	مدح ورناء وتهنئة
١٥٢	هدية عن
١٥٣	رناء ابن ذكوان
١٥٨	في مدح المعتصد
١٦٥	هدية تفاح
١٦٧	شكر على زيارة
١٦٨	تهنئة
١٦٩	اشداء قصيد
١٧٠	الى أبي القاسم
١٧٤	مدح ابن جهور ورناء أمه
١٧٧	في مدح ابن جهور
١٨٤	رناء أم المعتصد
١٨٨	فل للدعاة
١٩٢	ذكرى قرطبة
١٩٥	سلاوى المضطر
١٩٧	في مدح المعتصد
٢١٦	في » »
٢٢٣	دولة عباد

٦١	وقال معانا من قصيدة
٦١	موقف وداع
٦٢	وقال أيضا بمدح أما الوليد بن - هور
٦٦	مداعبة
٦٨	جرب الناس وامتنحن
٦٩	في مدح ابن جهور
٧٤	عاب
٧٥	رناء فتاه
٧٦	في الغزل
٧٧	تهنئة
٧٨	تهنئة بقصد
٧٩	في مدح ابن جهور
٨٢	شكر
٨٩	شماعة
٩١	هدية تفاح
٩٢	لا يهنا الشمت
٩٨	أترع الكأس
٩٨	لا حيلة في الحب
٩٩	في مدح ابن جهور
١٠٥	الى ابن جهور
١٠٦	مجلس أبي على
١٠٧	جواب
١٠٨	كن كيف شئت
١٠٩	حنين
١١١	في الغزل
١١١	في بعض مجالس الأنس
١١٢	شكوى وألم
١١٨	جواب

٢٦٥	قسم
٢٦٥	خداع الأمانى
٢٦٦	فى العزل
٢٦٦	الى هاجر
٢٦٦	دعاء محب
٢٦٧	أنت حسبي
٢٦٧	ما الذى أنتكروه ؟
٢٦٧	شوق بعد سلوان
٢٦٨	أسر الهوى
٢٦٨	مؤذرة
٢٦٨	وصف الكأس
٢٦٩	غاية المحبين
٢٦٩	صفح المدف
٢٦٩	لا بأس
٢٦٩	عتب
٢٧٠	تجننى الحبيب
٢٧٠	لا بأس فى الحب
٢٧٠	بقية المسواك
٢٧١	غرور الملى
٢٧١	صلبنى
٢٧١	شكوى ضائعة
٢٧١	وفاء المحب
٢٧٢	عذر الحبيب
٢٧٢	حذر العاشق
٢٧٢	قناعة المحب
٢٧٣	كريم السلو
٢٧٣	أنت الملى

٢٢٣	الى حبيب
٢٢٤	فى مدح أبى المظفر
٢٢٩	ذكرى قرطبة وأيام الصبا
٢٣٦	الى ابن عبدوس
٢٤١	مدح ابن جهور وشكر باديس
٢٤٣	اسم من أحب
٢٤٤	الى أبى العطف
٢٤٧	بين ابن زيدون والمعتمد
٢٤٨	الى المعتمد
٢٤٨	جواب للمعتمد
٢٤٩	جواب آخر للمعتمد
٢٤٩	وفال للمعتمد يستهديه خرا
٢٥٠	وفال مجاوبا المعتمد
٢٥٣	وفال
٢٥٣	وهل
٢٥٤	مهنته
٢٥٧	ذكرى ولادة
٢٥٨	الى ولادة
٢٥٩	الى أبى حفص بن برد
٢٥٩	ليل أنس
٢٦٠	دواء
٢٦١	حسبى رضاك
٢٦٢	عودى الى الوصال
٢٦٣	أبو القاسم
٢٦٣	وفال
٢٦٤	آلام المحب
٢٦٤	كيف السلو

صفحة		صفحة	
٣١١	الى المعتمد	٢٧٣	بقاء على العهد
٣١٣	صرعى الحب	٢٧٤	أين وفاؤك
٣١٢	ذكرى قرطبة	٢٧٤	صرع الحب
٣١٣	رسائل ابن زيدون وأخباره وشعر الملوك	٢٧٥	وفاء الحب
٣١٤	الرسالة الهزلية	٢٧٥	أنت حسبي
٣٣٣	الرسالة الجدية لابن زيدون	٢٧٥	الى هاجر
٣٤٦	رسالة الى المظفر	٢٧٦	لا سبيل الى السلو
٣٥٥	رسالة الى ابن مسleme	٢٧٦	أنت الحياة
٣٥٧	رسالة الى المعتضد	٢٧٦	ذكرى معاهد قرطبة
٣٥٨	رسالة من قرطبة	٢٧٧	غدر الحبيب
٣٦٠	من رسالة	٢٧٨	اصنع ما شئت
٣٧٠	شعر المعتضد	٢٧٨	أمنية
٣٧٧	شعر المعتمد	٢٧٨	نعسى فداؤك
٣٧٩	ابن عمار	٢٧٨	دين الحب
٤٠١	معارضات الشعراء لابن زيدون	٢٧٩	وفاء
٤٠١	معارضة أنى بكر	٢٧٩	فى سبيل الهوى
٤٠١	معارضات أمير الشعراء	٢٧٩	صلة المحب
٤٠٩	صفحات من كتاب الذخيرة	٢٨٠	مقيم على العهد
٤٢١	صفحات من كتاب نفع الطيب	٢٨٠	آلام المحب
٤٢٣	ابن جهور	٢٨١	المعميات والأغاز
٤٢٥	جهور	٢٨١	الى المعتمد
٤٢٥	بنو عباد	٢٩٩	الى المعتمد على الله
٤٢٦	صفحات من كتاب العينى	٣٠١	جواب
٤٢٧	ملوك الطوائف	٣٠٣	الى المعتمد
٤٣٠	دراسة الدكتور أحمد ضيف لابن زيدون	٣٠٦	جواب على بيت مطير
٤٣٨	» » دراسة الأستاذ السكندرى	٣٠٧	البيت المطير
٤٤٢	» » دراسة الأستاذ علام سلامه	٣٠٧	حل البيت المطير
٤٤٣	» » دراسة الأستاذ أحمد زكى اشا	٣٠٨	جواب على بيت مطير
٤٥٥	فهرس القوافى		

مقدمة ابن زيدون

تصدير

لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا ابْنَ زَيْدُونَ مَرْحَبًا قَدْ أَطْلَتِ النَّعِيمُ
إِنَّ دِيْوَانَكَ الَّذِي ظَلَّ سِرًّا مُحَجَّبًا
يَشْتَكِي الْيَتِيمَ دُرُّهُ ، وَيُقَامِي التَّغْرِبَا
صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ - لِلْأَلْبَاءِ مَطْلَبَا
جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ عَرِيًّا مُهْدَبَا
تَجِدُ النَّصَّ مُعْجِبًا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبَا

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ أَجْمَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا
بِأَبِي أَنْتَ هَيْكَلًا - مِنْ فُنُونٍ - مَرْكَبَا
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبًا؟
تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ مُبْدِعًا فِيهِ مُغْرِبَا
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ، بِالْغَوَانِي مَسْبَبَا
وَتَزِيلُ الْمُتَوَجِّعِ - نَ النَّدِيمِ الْمُقْرَبَا
كَمْ سَقَاهُمْ بِشِعْرِهِ مِدْحَةً أَوْ تَعْتِبَا
وَمِنَ الْمَدْحِ مَا جَزَى وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

وَإِذَا الْهَجْوُ هَاجَهُ - لِمَعَانَاتِهِ - أَبَى

وَرَأَاهُ رَذِيلَةَ لَا تُتَمَنَّى التَّأْدُبَا
مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا فَاضِلَ الْخُلُقِ طَيِّبَا
دَسَّ لِلنَّاشِقِينَ - فِي زَبَقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

✱ ✱

جُلْتُ فِي الْخُلْدِ - جَوْلَةً هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ نَبَا ؟
صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ مِنْ عُيُونٍ وَمِنْ رُبَى
وَنَعِيمٍ وَنَضْرَةٍ وَظِلَالٍ مِنَ الصَّبَا
وَصِفِ الْخُورَ مُوجِزًا - وَإِذَا شِئْتَ - مُطْنِبًا «

✱ ✱

قُمْ تَرِ الْأَرْضَ - مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أَمْسَ - مَلْعَبَا
وَتَرَى الْعَيْشَ لَمْ يَزَلْ - ابْنِي الْمَوْتَ - مَأْرَبَا
وَتَرَى ذَاكَ - بِاللَّيِّ عِنْدَ هَذَا - مُعَذَّبَا

✱ ✱

« إِنَّ مَرْوَانَ عُصْبَةٌ يَصْنَعُونَ الْعَجَائِبَا
طَوَّقُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا - بِالْأَيْدَى - وَمَعْرَبَا
آلَةُ أَطْلَعَتْكَ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبَا
أَنْتَ لِلْمَتَحِ تَنْتَمِي وَكَفَى الْفَتْحُ مَنْصِبَا
لَسْتُ أَرْضَى بِغَيْرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا «

« شوقي »

مقدمة

١ تحريف الديوان

كان أيسر مافى هذا الديوان نسخه وضبطه وشرحه : فقد أنسانا ما كابدناه فيه من عناء التحريف كل عناء آخر كابدناه فيه ، وقد وفق السامع أيعا توفيق فى تشويه محاسن هذا الديوان الفد ، وتحريف أبياته ، وطمس غرره وتبويه .

ولقد كما قرأ القصيدة عدّة مرّات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طلسم غامض لاسيل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يذلل من العقبات ما كنا نوقن باستحالة تذليله ، وكانت تعزينا لذة الفوز والانتصار - كلما اجتزنا عقبة - أن يقتحم أخرى حتى انتهينا من هذا الديوان ونحن لانكاد نصدق بأننا قد اجتزنا هذه المعارة المخيفة ، ورفعنا عن ذلك المبحم الرائع كثيرا من الهضاب والكثبان المترابطة فوفه .

وما نزعنا أنا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، وزهناه عن كل تحريف ، ولكننا نجروا فنزعنا أننا لم نأل جهدا فى تبرئته من كل عيب وتزيمه عن كل تحريف ، فإذا بدّ عن خاطرنا معنى أولق بذهننا كالل فى تصحيح بيت أو تجلية غامض فهو الذهن الانسانى يخلق ثم يسقط ، ويدع ثم يسخف ، ويعتوره القص والكلال ، أقوى ما يكون رغبة فى توخى الابداع والكمال .

٢ - أمثلة من التحريف

فلما إن نسخ هذا الديوان وضبطه وشرحه كانت أيسر ما لتبناه من العناء ، وهذا الكلام ربما لمج فيه القارئ الحالى الدهن نوعا من الزهو والخلاء ، ولكنه الحقيقة التى لا أثر للعلاوة فيها ، ولو أننا أردنا أن نسر ذلك ما أصلحناه من تحريف أو تشويه . لاضطرونا إلى ذكر أكثر أبيات الديوان ، وقد أشرنا إليها فى مواضعها من الكتاب ، فليجترأ بذكر القليل منها عن الكثير ، ليرى القارئ المصنف مقدار ما جى السامع على شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لانرى فى مثل هذا العمل إلا أنه زكاة يؤديها الأديب للأدب العربى الزاخر بأروع الحوالم النفسية وأسمى المعانى الرائعة .

وليمثل القارئ نفسه أمام هذا البيت مثلا .

« لم يدع منى شتا من جلد مع أنى لم أرل ثبت العرر . »

والبيت التالى :

« كأننا لم يواليا زمان لين الأخدع . »

أوقوله فى نفس القصيدة : « وأنف الحمل لا يجدع . »

أوقوله فى قصيدة أخرى :

« حياء هو الليل ادلم ظلامه . »

أوقوله :

« زمن كما لون الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

أوقوله : « لم أدع حظى منها بالحيل . »

أوقوله :

« فما ابتك إلا عدل نفسك إن يسر فللجسم لا للنفس منك مقام »

فى قصيدة لم يرد فيها ذكر اسمه نتانا :

فإذا قرأ البيت الأول قراءة صحيحة . قلت :

« لم يدع منى سقاهى جلدا مع أنى لم أزل نت المرر »

والبيت الثانى :

« كأننا لم يؤالسا زمان لين الأخدع »

والنظر الثالث : « وأنف الحمل لا يجدع »

والبيت الرابع :

« جقاء هو الليل ادلم ظلامه »

والبيت الخامس :

« زمن كما ألوف الرضا ع يشوق ذكره الفطيم »

والبيت السادس :

« لم أرغ حظى منها بالحيل »

والبيت السابع :

« فما ابتك إلا عدل نفسك إن يعى فللجسم لا للنفس منك مقام »

فإذا أضفت إلى هذا العاء عاء آخر هو بعض تسكيلة الأبيات الناقصة بما يلائمها، ظهر لك

أننا لم يكن مغالين فى وصف ما كابدها من المشقة والتعب .

ومن أمثلة ذلك قوله : « فى جواركم ذليل . »

وقد أتمناه بما يلائم المعنى فقلنا : « [جناحى] فى جواركم ذليل »

وقوله :

« شافعا لأبياديك التى بعضها يفوق الشناء »

وقد أتمناه وأصلحناه كما يلي :

« [فتقبله] شافعا لأياذيرك التي بعضها يفوق الشاء »

وانما اجتزأنا بهذه الأمثلة القليلة لأن الثمرة - كما يقول شيخ المعرة - تدل على الشجرة .
ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارىء فلا حاجة بنا إلى الإفاضة في ذكر الأمثلة .

٣ .. أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، فمن ذلك ما أثبتته الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلعة دار العلوم :

« وبيت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الورى طينا . »

والبيت في وصف ولادة . وصوانه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومنهم ابن زيدون - من هذا التعبير ، والرواية التي أخذ بها الأستاذ علام هي رواية نصح الطيب الذي لا يقل تحريفه وتصحيحه عن تحريف الديوان وتصحيحه . وقد أثبتنا هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقدر إنشاء الورى طيا »

وبهذا يظهر جمال أسلوب ابن زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت التالى لابن زيدون هكذا :

« سون من الأيام خمس قطعها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط . »

وصوابها « مئون من الأيام خمس قطعها » فان سنين من الأيام أو سنين من الليالى أو سنين من الساعات لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأى قول ابن زيدون نفسه من قصيدة أخرى في رسالة لابن جهور :

« أفصبرا مئين خمس من الأيام ؟ » .

وقد وقع في هذا التحريف الأستاذ أحمد زكى باشا ثم نابعه في ذلك الأستاذ أحمد السكندرى .

وظن الأستاذ زكى باشا ان ابن زيدون قد سجن مرتين ، الأولى خمس سنوات ، واستدل

على ذلك بالبيت الأول ، والثانية خمسمائة يوم ، واستدل على ذلك بالبيت الثانى .

أما الأستاذ السكندرى فقد قرر أن ابن زيدون سجن خمس سنوات (١) ، وهو لم يسجن إلا خمسمائة يوم كما يدل على ذلك شعره .

(١) قال الأستاذ السكندرى :

« لست ان زيدون في السجن بضع سنين ، ولكن كم كان مدتها ؟ ومتى كان مبدؤها ؟ »

أما الأول فيحينا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية اللينة :

« سنون من الأيام - خمس قطعها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط »

وأما الثانى فيجب بنا هو أيضا عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتبت بها من السجن الى ألى الحزم

جهور : « لم يطور رد شاني كبرة وأرى برق المشيب اعلى في عارض الشعر »

وقد جنى تحريف النساخ على أدباء العربية وشعرائها جناية لا تعترف فاضطرت بسببه آيات البلاغة ودقائق البيان وعزف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه والتحريف ولا موهب على ذنوب لم يجترموها وآخذوهم بعيوب لا يد لهم فيها :

« وذنّب جرّه سفهاء قوم وحل بغير جازمه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الروائع وتنظيم هذه الكتون الفيسة وردّها إلى الصواب، حتى يظهر جلال الأدب العربي وروعته وتبرأ ذم القدماء مما لحق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

٤ — لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موفقة سديدة تلك الفكرة التي خطرت بال الأستاذ الكبير الدكتور «أحمد ضيف» مدرس الأدب العربي بالجامعة المصرية القديمة حين طلب إلى عام ١٩٣٣ أن أترجم لطلبة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق « نيكلسون » عن الأدب الأندلسي وتاريخه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أنني نشطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ^(١) » ووعدت في مقدمة ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

فللثلاثين إذ عهد الصبا كث ولشبية غصن غير مهتمصر

ونحن نعلم أن انقطاع دعوة بي أمية عن قرطبة كان سنة اثنين وعشرين وأربعمائة، ولم أن قد ولد ابن زيدون في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فإذا كان بدأ خدمته في دولة آل حوور وهو في الثانية والعشرين من عمره وإذا قدروا أنه بعث بهذه القصيدة في مبدأ اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح فيها بأنه لم يبلغ الثلاثين، كانت مدة خدمته لآل حوور لا تزيد على سنتين وكان بدء اعتقاله في نهاية سنة أربع وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لست ابن زيدون في السجن خمس سنتين استطعم فيها أبا الحرم حوورا واستشفع عنده بأبنته أنى الوليد محمد بن حوور ، وكان أليفه وصديقه من قل وغيره من الرؤساء ووجوه قرطبة وبث إليه والهم شكواه عدة قصائد أبدعها ورسائل استعد فيها حده فما ألنت له قلنا اه

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب ما يلي

طلب إلى حضرة الدكتور أحمد ضيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب للأستاذ نيكلسون » لأني في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفردته من كتابه الممتع ، بالكلام على تاريخ الأدب العربي في أسبانيا .

لم أكد أقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره ونفاسه وعرضت لي عدة ملاحظات دلي ببعض ما جاء فيه ولم أكد أشرع في مناقشة فقط الجوهري حتى اتسع أمني مجال البحث وشجعت على مواصلة مارأته من القصص الشديد الذي يتكاد يلسه كل مطلع على الكتب العربية التي تناوالت الكلام في هذا الموضوع وما علمته من الحاجة الماسة إلى كتاب ييسر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المشتاقين به ، قليلا مما يتكبدونه من صاء البحث في الأسفار العربية الضخمة الموهوشة ويحفظ وقتهم الثمين من الضاع .

فالآن أعود إلى الكتابة بعد عشر سواب مضت على تلك الحوث التمهيدية الأولى .



ولكن لماذا اخترت ابن زيدون وبدأت به قبل غيره من الشعراء ؟
لقد كنت أسىء الظن بشعر ابن زيدون وأدبه ، ويخيل إليّ - كما يخيل إلى كثير من
أدبائنا الذين يتسرعون في الحكم على الشعراء من غير أن يعنوا أنفسهم بدرس آثارهم
وعصورهم دراسة مستفيضة - أنه شاعر صنعة مولع بالديع والمقابلات اللفظية لا يسمو إلى
درجة المحول المتأرين .

فلما وصلت إلى قول « نيكاسون » في فصله الرائع : « وكانوا يلقبون ابن هاني بأنه
متبني العرب ، كما يلقبون ابن زيدون بأنه محترى العرب ^(١) » صارت القارئ حبيثد بأنني
لا أستطيع الحكم على الجزء الثاني من هذه السمية ، وقد عقدت فصلا موجزا في المقارنة بين ابن
هاني والمتبني ، لأنني درست ديوانيهما ودعيت الآن عن بعض آرائي في ذلك الفصل . ولم
أستطع المقارنة بين ابن زيدون والبحترى ، لأنني فرأت ديوان الثاني ولم أقرأ للأول إلا بصح
قصائد لا تكني للحكم على شاعر .

ودكرت أن حلان نهتنا القرمية لا يناسب مع جعلها عظاما لعنا الذين تركوا أوصح الأثر في بلاغة
ستمد منها الحياة والدوة ، ومن كان من اواحب الأبحول الاسان عظاما الأمم دوى الأثر الكبير في
المحصارة العالمية فهو أجدر ألا يجهل عظامه قبل كل شيء .
دفعتي هذه الاعتبارات إلى تدمم الاقصر على ترجمة هذا الفصل المتع وتم اتخذه مرجعا من المراجع
الكثيرة التي رجعت إليها بدلا من أن اتخذه موضوع المحصرة .
وقد اقصررت في هذا الكتاب على ترجمة "نصف الأول من هذا الفصل ، وقد ألقى القسم الأكبر من
هذه المحاضرات مدأ كثر من عاين في الجمعة المصرية ، ثم نشرت بعضها في إحدى الصحف الأدبية
فليت من الاستحسان وارضا ما سيجي على طعم .

ولم يمتني أن أورد في حواشي الكتاب كثيرا من التعليقات الضرورية التي اضطرني ضيق الزمان إلى
الاكتفاء بالإشارة إليها دون ذكرها وقت لقاء المحاضرات .
وقد تعمدت ذكر أمثلة ونمذج شملت مكانا من الكتاب ما كانت لتشغله لو أن كنت ما حديت سبى إلى
الاستشهاد بها أو لو أني وثقت أن جمهور الأدباء - هذا ما يرميها .
(ومعه) هذه طرأت سريرة الغلب بها إلى ما نأى عن الألبت الادبى وسأذنها بعد قليل بالقسم الثاني
منها : فليق لها القارئ على انها ممددة للدراسة لأدب في ذلك العصر ، ولتجدها نواة لكتاب تناول فيه
ذلك التاريخ نتي من الوسع والاسهاب إذ أمكننا العرس ، وكان في الأجل بية .
(١) فاب الأستاذ نيكاسون :

« إن قائمة العصر ادبي رحلوا في طلب العلم إلى افرديا ومصر وإلى المدن المدسة في بلاد العرب وإلى
حواضر - وديا العظيمة والعرق ، وإلى حراسان وترك تدبل وإلى بلاد السند - إلى أديانا - كانت محوى
كل نابغ الأدباء ورجل اللاعة العرسة لدن أنتم اسبابا لا لامة كما يرى ذلك من يسمح العسل
الحامس من كتاب القرى . لهذا كتاب حركة بادلته الآراء في دؤب ونشاط فلم يتأثر إحد من رجال الفرق
والبرب نتي حاس ، وعرف الناس قبل كل شيء أن من هرب سمررا الادلس كان هاني وان زيدون كان
يعتقهما البناد - شارة ون المحبون - هما ادبي العرب وختره »

ورأيت أن واجب الأمانة يقضى على أن أدرس ابن زيدون كما درست السحري لينسى
لى أن أنسه .

وما كدت أبدأ فى درس ابن زيدون ، شعره ونثره ، وأتقصى أخباره وأخبار عصره ، حتى
رأيت ماراعنى وأدهشنى مارأيت ، لقد كنت أستكثر عليه اسم شاعر عادى فصرت أسنقله الآن
اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكلفه بالصنعة التى بغضت إلينا أكثر شعراء ذلك العصر
وأفسدت علينا أكثر الأدب العربى ، فإذا بى أحب هذا اللون الرائع من الصنعة المبهجة التى
تتخرج بالنفس وتهيمن على القلب وتحبب فيها أشد الناس بغضا لها ، وقد عرف ابن زيدون كيف
يتخذ من الصناعة والبديع أدوات للافتنان فى الأداء والتعبير والابداع فى تصوير أروع المعانى
الساحرة وأدق الخواج النفسية ، وإذا بها نفس تطرب إلى الجلال وتنفذ فى التعبير عنه ، وطبيعة
سمحة صناع لا انواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام يتناوله الصحيح
ينقلب إلى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب إلى مرض » وهكذا كرهنا المقلدون فى
الصنعة والبديع ، كما حجب إلينا المدعون كثيرا من ألوان الصنعة والبديع .

الحق أن ابن زيدون ساحر يبانى حلاب يتخذ من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن
الأداء ، كما يتخذ المصور الماهر من مختلف الألوان والأصاغ - وسيلة للتعبير عن أدق وأخفى
الأسرار والملاحظات .

ولا أكنتم القارئ أنى من ألد أعداء الصنعة اللفظية ، ولكنى من أشد أنصارها إذا
جاءت عن هذه الطريق .

ولقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأتاتول فرانس أنهما من رجال
الأساليب ، ونسوا أن الأسلوب العالى هو غاية تخلع دونها الراء ، وأن طول المراتة والدرس تخلق
من صاحبها الكتاب الحاذق والشاعر اللق ولكنها أعجز من أن تخلق الكتاب الموهوب
والشاعر العبرى أو تلهمهما الأسلوب العالى الذى يحاول بعض الأدباء أن يزرى به ويحقره .

٥ تنفيذ الفكرة

ولم أكد أبدأ فى قراءة ديوانه ونسخه حتى أكرت الرجل وفتت بشعره وسحرت
ببيانه الرائع وإن قطع على إعجابى وقتى ما اعتوره من التحريف والتشويه - وهما من جبايات
النساخ على الأدب العربى - ولكنى اعترمت المضى فى هذه الطريق الوعرة وصممت على
اجتياز هذه المفازة التى لأعلام فيها ولاصوى (١) نسترشد بها فى السير ، ثم شغلنى أعمالى
الكثيرة عن المضى فيها لما تتطلبه من عناء لا تحتمله صحتى المهوكة ، وفراغ من الزمن يضيق
عنه وقتى المزدحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوى - لآلات الطريق التى يطلق عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظفر بأديب تدفقه الغيرة على الأدب العربي الى التضحية بصحته ووقته في عمل مضن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه حين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وضطه .

ولكن صديقي الأديب العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة تقدم الى مظهر الى استعدادة لمعاونتي في هذا العمل والسير معي في هذه المغامرة .

ولصديقي الفاضل ولع شديد بدرس الأدب العربي، وغيرة نادرة على اللغة العربية، وحرص بالغ على كسوز البيان العربي، وصبر لا يشركه فيه الا القليل من الأدباء المخلصين، وعزيمة لا تعرف للتردد والنكوص معنى، وهذه هي الصفات التي كنت ولازال أشدها فيمن يتصدى لمثل هذه الأعمال المضنية .

وكان صديقي عند حسن ظني به، فقد كان يقضي معي الساعات الطوال دائما لا يكل ولا يني ولا يفرغ عزمه الا ريثما يتجدد، ويعود إلى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة، وهكذا مضينا معترمين في شرح الديوان وضطه وإصلاح تحريفه حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأبيق .

٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد لحق نثر ابن زيدون كما لحق أشعاره وان خففت عناية الأدباء وتعاضلهم وشروهم عنه التحريف في الرسائل الجديدة والمزيلة فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من نثر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أثبتنا ما وصل إلينا من شعر « المعتمد » و « المعتضد » و « ابن جهور » وبعض المعاصرين لابن زيدون كابن عمار وغيره، وأنعمناهم بدراسات الأدباء المعاصرين تمة للبحث .

وقد اتسع النطاق حتى ضاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفرين عنه واخرجهما مستقلين ليعاونا القارئ على درس هذه الفكرة من كل وجوها. وسأورد - ان شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الحافل . بعنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف »، يتناول مساهم الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه، حتى لا ينطق علينا قول المتنبى :

« ولم أر في عيوب الناس عيبا كنعص القادرين على التمام »

فاذا انتهيت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن حديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس، إن ساعدت الظروف وكان في الأجل بقية .

كامل كيلاني

المشاهير

١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جهور - بنو عباد

منذ سنين عديدة تقلص ظل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها يسدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الانحلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الانحلال أن اقتسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم الصقالبة الشرق ، وصار مانقي بعد ذلك نهماً مقسماً بين الطارئین المتوئلين على الحكم ، وآخرين من بقايا الأسر العريقة ممن سنحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات « عبد الرحمن الثالث والمنصور » التي كانت مصوبة إلى الأرستوقراطية ، وانتهى الأمر بأن تكون من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، واشيلية . حكومتان شورتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إلقاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسناد السلطة التنفيذية إلى « ابن جهور » الذي عرف عند الجميع بالجدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاضطلاع بالحكم فرفض - بادئ ذي بدء ، هذا المركز السامي الذي عرض عليه ، وبعد إلحاح من جماعة المنتخين له ، رضى بقول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضوان من أسرته زميلين له في مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجابته الجماعة إلى ماطلب ، ولكن على شرط أن يكون لهدين الاثنين صوت استشاري .

وقد حكم السفير الأول الحكومة الشورية الجديدة بطريقة عادلة رشيدة ، وإليه يرجع الفضل في أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من المظالم التي كانت تقع عليهم من قسوة البربر . فكان أول ماوجه إليه نظره أن صرفهم عن الخدمة ، واحتفظ « بنى

(١) ارجع إلى ما نشرناه في آخر الديوان للأستاذ « نيكسون » « من ٤٢٧ » أما هذا الفصل فهو للعلامة دوزي وقد نقلناه من كتاب « ملوك الطوائف » الذي نطوره قريباً إن شاء الله .

ايغورين» « Beni - Iforen » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يعتمد على ولائهم وطاعتهم ، واستبدل بالآخرين الذين سرحهم من البربر حرسا وطبيا . وكان يظهر بظهر من يريد استقرار نظام الحكم الجمهوري ، فكان إذا طلب إليه تنفيذ أمر يقول : « ليس من شأني أن أقرر أمرا هو من اختصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا منفذ لأوامره وقراراته . »

ولما وردت عليه قصة أو كتاب رسمي يكون موجهها إلى شخصه أبى تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن ليصدر قرارا قبل عرضه على مجلس الشورى ، أضف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهر الة بمظهر الحاكم ، فهو - بدلا من أن يقيم بقصر الخلافة - بقى مقبيا بمسكنه المتواضع الذي اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة في نزاهته ثابتة قوية لا تخوم حولها الشكوك والريب ، وقدر فض - مع هذا - أن يكون بيت المال إلى داره وتحت إمرته ، فعهده بحراسته إلى أكبر الناس مقاما وأكثرهم احتراما في المدينة . ومع حبه - في الحقيقة - للمال ، قضت عليه المصلحة ألا يرتكب عملا غير شريف ، ولما كان مقتصدا بل وحرصا حرصا يكاد يصل به إلى درجة الدخيل فقد أثرى حتى صار أغنى رجل في قرطبة ، ولكنه في الوقت نفسه بذل من الجهد المحمود ما وفر به اليسر والرخاء على الناس كافة .

وكان يذل ما وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له النجاح في ذلك . فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن ، وأمنت السبل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهبطت أسعار المواد الغذائية . وأمّ قرطبة طوائف كثيرة من السكان أعادوا بناء الأحياء التي دمرها البربر أو أحرقوها حينما أوقفوا النهب والسلب في المدينة .

وعلى الرغم من هذه الأعمال التي قام بها ، فإن قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكائنها السياسية ، ومنذ ذلك الحين بدأت اشبيلية - التي سنعنى بتاريخها عناية خاصة - تبرز الشأن الأول في المركز السياسي .

كانت اشبيلية - منذ أمد بعيد لا تزال - مرتبطة الحظ بقرطبة متأثرة بما يجري من الحوادث فيها ، متأسية بالعاصمة حاصعة للملوك الدولة الأموية على التعاقب ثم لدولة بني جود ، ومن جراء ذلك كان للثورة التي وقعت في قرطبة أثرها السيئ في اشبيلية ، فقد ثار القرطيون على فاسم بن جود وطردوه ، فقول هذا الأمير على الالتجاء إلى اشبيلية حيث يقيم بها ولده ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن زيري من قبيلة بني ايغورين .

وأرسل إلى الاشبيليين يأمرهم باخلاء مائة مسكن لجنوده القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا في نفوس أهل إشبيلية هذا إلى ما عرف عن جنود فاسم الذين هم أفقر أبناء جنسهم من أنهم من كبار اللصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشبيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا الير الذي يضجون بالشكوى منه . فعولوا على أن يحدوا حذر قرطبة ، إلا أن خوفهم من حامية البربر المقيمة بين ظهرانيهم حال بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وبعد

جهود بحج فاضى المدينة «أبو القاسم بن عباد» فى كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهين السهل أن يصح ملكا على اشبيلية ، فأعلن حينئذ محمد بن زيرى استعدادة لمساعدته ، وسارع القاضى فعقد بينه وبين قائد بربر «قرمونة» محالفة تقلدوا السلاح - على أثرها - ضد ولدى قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشبيلية التى كانت مغلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بالوعود الخلابه ، ولكنه أخفق فى هذه المحاولة ، ولما أوجس حيفة من نفسه على ولديه اللذين كانا معرضين للهلاك داخل المدينة ، قطع على نفسه عهدا أن يحل - هو ومن معه من الجند - عن أراضي اشبيلية ، اذا ما أسلموا اليه ولديه وأموالهما ومملكتاهما ، فضمن له الاشبيليون تنفيذ هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك اسحب قاسم وعاد أدرجه ، وتم منحت للقاضى أول فرصة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع سكانها ليختاروا حاكما يولونه عليهم ، إلا أن الخواطر فى هذه الحال لم تكن هادئة والفوس لم تكن مطمئة خشية أن تتخض الحوادث عن ثورة ، أو أن يعيد بنو جود الكرة عليهم ، وحينئذ لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين الثأرين ، ولهذا لم تبد من أحد منهم أية رغبة قط فى أن يأخذ على عاتقه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

واتفق عايتهم على أن يلقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضى وحده الذى حسدوا ثروته واستشعروا سرورا خفيا فى أعماق نفوسهم بدنو الساعة التى تصادر فيها هذه الثروة الطائلة .

فعرضوا على القاضى أن يتولى حكم المملكة ، وكان - مع ما يجيش بصدره من مطامع وآمال - حكما حازما ، فرفض في إباء أن يتولى الحكم فى وقت غير مناسب . ولم يكن القاضى متصل السبب بالسلالات العريقة ، إلا أنه امتاز بحيازته أكر ثروة ، فقد كان يملك ثلث أرض اشبيلية ، وفوق ذلك قد كانت له منزلة سامية من الاعتبار نظرا لمواهبه العلمية ، وكان يعوزه أن يضم الى هذه المؤهلات أن تدج أسرته ضمن السلالات العريقة القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - تريحا ، وكان يدرك أنه فى حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجند تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجود ، ولم يشك فى أن الارستقراطية العظيمة الجيدة فى اشبيلية لابد أن تثور على صعلوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى تسم ذروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شىء غير هذا فى الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوسك بنو عباد أن يؤسسوا الخلافة لأنفسهم . وثمة زعم آل عباد أنهم من سلالة ملوك « لحم » الذين كانوا يحكمون الحيرة قديما قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يريدون إشباع بطونهم بتحنيون الفرص للإشادة بهذا السبب العريق الزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرر هذا الزعم ، لأن بنى عباد والمتزلفين إليهم ومن يتمقونهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك ، وكل ما يربط هذه الأسرة بملوك الحيرة أنها تنسب إلى قبيلة نهم اليمية التى ينسب إليهم ملوك الحيرة . ولكن فرع أسرة آل عباد الذى

تسلسل منه آبائهم لم يقطن - على ما يظهر - الحيرة بتاتا ، ولكنهم كانوا يقيمون أخيرا بالعريش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم إيميز « Emese » .

وعلى الرغم من أن آل عباد بذلوا ما في استطاعتهم كي يصلوا نسبهم بملوك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من نعيم والد عطف ، وكان عطف هذا على رأس كتيبة من جنود إيميز وقد رحل الى أسانبا مع بلج حيث أعطيت لجنود إيميز أراض على مقربة من اشبيلية وأقام على ضفاف الوادى الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فروع فيما يقرب من سبعة أجيال أخرجت ببطء من ظلمة الماضي أناسا صالحين عاملين مقتصدین ، واسماعيل والد القاضي هو عنوان مجدها وهو الذى خط يمينه فى الصحيفة الذهبية لنبله اشبيلية امم عاد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حملة الأقلام والسيوف ، وكان رجل فقه ودين كما كان رجل حرب وطعان ، فقد تولى قيادة فرقة فى حرس هشام الثانى ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشبيلية ، واشتهر بالفقه والذكاء والورع وإرشاد العامة ، وإسداء النصيح للسكافة ، وكانت شهرته فى النزاهة تربو على شهرته فى غير ذلك من الأمور ، فهو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقبل هبة من سلطان أو وزير ، وكان كريما الى أبعد غايات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الضيافة ، وحسن العشرة ، فجعلته كل هذه المزايا والصفات حريا أن يحرز أكرألقاب النبل والسؤدد فى العرب .

وقيل العهد الذى نحن بصده توفى الى رجة الله فى غضون سنة ١٠١٩ .
وربما كان ابنه أبو القاسم محمد يماثله علما وأدبا وإن كان لا يدانيه خلقا وفضلا ، فقد كان أنانيا ذا أثره وطمع وصلف وتكبر وإنكار للجميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع فى أن يخلفه فى منصب القضاء ، ولكن القوم آثروا عليه غيره ، فتقدم بالرجاء الى قاسم بن جود فقال - بفضل قاسم - مئصب القضاء الذى كان يؤمله . وقد يرى المتتبع للحوادث فيما بعد كيف كان نكرانه لهذا الجيل .

وفى مقتتح هذا العهد الذى نحن بصده - أشار نبلاء اشبيلية وأصحاب الرأى فيها على أبى القاسم قاضى اشبيلية أن يتنوّأ عرش المملكة ، ولما أدرك الغاية التى يرمون اليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقبل هذا الشرف الذى يولونه إياه إلا بشرط أن يشرك معه فى الحكم أفرادا يعينهم هو بنفسه على أن يكونوا وزراءه وأعوانه فى الاضطلاع بأعباء الحكم بحجة أن هؤلاء الاشخاص الذين يشركهم معه فى الرأى ستألف منهم هيئة شورى تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتخذ أى قرار بدون مشاورتهم ، فقبل الاشبيليون ما اشترطه القاضى من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بمفرده ، وطالبوا إليه إنفاذ ما ائتمنه من تعيين أولئك الزملاء والأعوان ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرين كانت تسمو إليهم الأنظار وترمقهم العيون من نصرائه الذين أنجبهم العصر ،

(١) وكان عباد الجد الثالث لإسماعيل .

وأطلعهم كواكب في سماء مصر ، كأبي بكر الزبيدي العالم النحوي الشهير ومؤدب هشام الثاني ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف همه الى تكوين جيش للمملكة ، رفع أعطيات وأرزاق الجند ، فانضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من الممالك ودرّهم على القتال وجرّد منهم حملة على الشمال ، وهي في الكثير الغالب كانت موجهة الى أمراء آخرين ، وقد حاصر قصرين في شمال فيزي أنشأ متقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا في العصر الذي نتحدث عنه في حياة ملك ليون ولا في حياة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضي عليهما وأرغم الذين كانوا يدافعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانضواء تحت لوائه ، وبذلك زادت نواة جيشه فبلغت خمسمائة فارس ، وثمة اجتمع لديه من الجند ما يكفي للإغارة على الممالك المناخجة له ، إلا أن حالته هذه لم تكن لتمكّه من صدّ هجمات قوية جدية ضدّ اشبيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، ففي هذه السنة جاء الخليفة الجودي يحيى بن علي وأمير بربر قرمونة محمد بن عبد الله وحاصرا اشبيلية ، ولما كان في منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاشبيليون يفاوضون يحيى وأعلوا أهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - ضمنا لوفائهم وإخلاصهم - أن يرسل بعض أعيان ونبلاء اشبيلية أولادهم ليكونوا عنده رهائن يضمن بها ولاء الاشبيليين ، فلم يستطع أحد منهم أن يقدم ابنه خشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شبهة ، والقاضي وحده هو الذي لم يتردد في إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجله عباد. ولعلم الخليفة بما للقاضي من الجاه والنفوذ اكتفى بقبول ابنه رهينة لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاخلاص للملاد ازدادت مكانة القاضي عند الاشبيليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جانب الشعب ، ولا من جانب الخليفة الذي اعترف بسيادته شكلا وخيل إليه أن الفرصة السانحة قد أمكنته من الانفراد بالحكم .

ولما كان قد أبعد من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته - ، ونفى زبيدي ، وعين رجلا من خواص اشبيلية اسمه « حبيب » رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المبادئ إلا أنه مع هذا كان ذكيا مخلصا بكل معاني كلمة الاخلاص لمولاه ، مصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقعة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا هذه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والخالئين . إذ نهبت وخرب البربر جزءا منها ، وعاثوا فيها سلا ، وأحرقوا ماصادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد ماخرب منها ، ولكن لما اتصل بعد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جرد جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي خلفه فيما بعد باسم المظفر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشبيلية وجيش حليف أبيه أمير قروونه ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين إيفورا والحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من ابن طيفور ، فان مجدا كان سيء الحظ كثيرا إذ بعد أن فقد نجدة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل الى قروونه .

زادت هذه الانتصارات في حماسة القاضي وحليفه الأمير ، فلم يكتفيا بالاغارة على باداجوز وحدها بل أغارا على قرطبة أيضا فاضطرت حكومتها أن تستخدم للدفاع كثيرا من بربر ولاية سيدونا .

و بعد فترة من الزمن أبرم القاضي وحليفه صلحا أو سمه - إن شئت - هدنة مع الافتازيد وحيداً أطلق محمد من الأسر رضا القاضي (مارس سنة ١٠٣٠) ولما أبلغه أمير قروونه نأيا اطلاق سراحه عرض عليه أن يهجر في طريقه على اشبيلية ، ويبلغ القاضي شكره ، ولكن مجدا لفرط اشمئزازه من القاضي ، قال لأمير البربر : « إني أوثر أن أظل سجينك على أن أقوم بما أشرت به عليّ ، فاذا كنت مدينا لغيرك باطلاق سراجي ، وكان علي أن أشكر فاضى اشبيلية وفاء لهذا الحق ، فاني أفضل أن أبقى حيث أنا سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله الى باداجوز مشيعا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاجلال والتكريم .

و بعد بضع سنين أي في سنة ١٠٣٤ انقم عبد الله بطريقة قد تعتبر غير شريفة وثأر لنفسه من تلك الشدائد التي نالته ، وذلك بأن أباح للقاضي أن تمرّ بأرضه جنوده بقيادة امه اسماعيل وهي ذاهبة في طريقها للاغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وجنوده في مضيق لا بعد كثيرا عن الحدود الليونية باغته جيش الافتازيد وقتل من جنود اشبيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عند اياذهم بالفرار ، وأفلت اسماعيل من هذه المذبحة وبعه نفر يسير من رجاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشبونة الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المعيشة الضرورية .

ومنذ هذه الآونة صار القاضي الخصم الألد للأمير « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن

المعارك التي دارت بعد ذلك بين أمير «باداجوز» وخصمه، ومما لا ريب فيه أن هذه الحروب لم يكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسبانيا المسلمة ولم تترك فيها أثرا يضارع ما تركه فيها حادث آخر سنتناوله فيما يلي. قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الموحدي يحيى بن علي ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير مجد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد قام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من الضعيف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد تدلت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر تقريبا ، فأصبح من الآن بحق زعيم عامة الحزب الافريقى بعد أن كانت هذه الزعامة فيما مضى اسمية ، ولما كان معسكره العام فى قرمونة التى طرد منها محمد بن عسد الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية فى آن واحد ، وقد أوحى هذا الخطر الخيف المحدث الى القاضي بفكرة وطنية لها خطرها وقيمتها لو لم يشبها الحرص والطمع والأنانية والجشع.

فقد رأى من الضروري أن يجتمع العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد حتى لا يعزو البربر الذين اتحدوا الاملاك التى سبق لهم غزوها .

وهذه هى الوسيلة التى تجعل اللاد بمنجاة من حلول مثل ما حلّ بها من المصائب من قبل ، وكان القاضي يشعر من أعماق نفسه بهذه الضرورة ، فقويت عنده الرغبة فى أن يتألف حزب قوى كبير يندمج فيه جميع العناصر المعادية للحزب الافريقى ، وهو فى الوقت ذاته يمتنى أن يكون رئيسه ، ولم تكن العقبات التى عليه أن يذلها لئيل تلك العاية بخافية عليه . فقد كان يدرك أن ملوك الصقالبة وأمراء العرب ، وشيوخ قرطبة يحرحون فى كرامتهم اذا ما حاول أن يبسط سلطانه عليهم ، على أن شيئا من ذلك لم يبط همته ولم يجعل اليأس يتسرب الى نفسه .

ولما كانت المصادفات ستخدمه ، فهو سيتمكن الى حد ما من الوصول الى العاية التى يرمى اليها ، والمشروع الذى يعمل على تحقيقه ، وسنرى فيما بعد على أى نحو يتم له ذلك .

أسلفنا أن الخليفة النعس «هشام الثانى» فر من القصر فى عهد سامان الثانى . وقلنا ان أكثر الظواهر تدلّ على أنه مات فى آسيا مجهولا غير معروف . ومع هذا فقد بقي الشعب غير مصدّق بوفاة تعلقه المقرط بالدولة الأموية التى درت عليه أخلاف اليسر والرخاء ، وكسته حلل الشرف والمجد ، وكان عامة أفراد الشعب يتلقون الاشاعات التى كانت ترد اليهم من الخارج منبهة بقائه على قيد الحياة باهتمام وشغف ، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته بآسيا فقد أشاع بعض أولئك الزاعمين أنه رحل أولا إلى مكة ومعها خريطة مملوءة بالقود والنفائس ، فسله الزنوج الذين كانوا برفقته مامعه ، وأنه استمر يومين لا يتذوّق طعاما ولا شرابا ، إلى أن رآه رجل يصنع الفخار فرق له ورثى لحاله ، فعرض عليه أن يجن له الصلصال على أن يعطيه فى اليوم درهما ورغيفا ، فرجا صانع الفخار أن يعطيه الأجر سلفا إذ قد مضى عليه يومان لم

يتناول فيهما طعاما و بعد لأى استطاع هشام على كسل وفترة في العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه أف من هذه الحالة فهرب ، وسار مع قافلة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى اورشليم ، وهو في أشد حالات الاملاق ، وهناك بينما هو يتنقل في بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصرى ، وأخذ ينظر الى عمله بانباه شديد ، فسأله الحصرى : هل تعرف هذه الصناعة ؟ فأجابه بحزن كلا ، وأنا آسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرتمق ، فقال الحصرى : اذن فابق معى لحاجتى اليك فى احضار الخيزران ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقي عند الحصرى الى أن حذق الصناعة ، وما زال على هذه الحال بضع سنين ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أسبانيا فى سنة ١٠٣٣ و نزل ماقته ثم تحوّل عنها الى المربه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاضطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كالاترافا وثمة التقى بها عصا التسيار .

هذه الرواية التى صادفت راجا وقبولا من الشعب لا تستحق - على ما يظهر - أن تنال شيئا من الثقة ، والذى وقع حقيقة هو أنه فى العهد الذى كان فيه يحيى يهدّد إشبيلية وقرطبة ، كان فى كالاترافا رجل حصرى اسمه خلف يشبه تمام الشه الخليفة هشاما الثانى ، ولكن لم يقم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفى الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن حزم المؤرخان ما دار حول هشام المزعوم من الروايات والاراجيف وعدوه ضربا من الحيلة السياسية والخداع والقحة ، وان كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثر ، ولم يتوقف خاف حين طرق سمعه كثيرا أنه شبيهه هشام عن ادّعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثانى ، وقد جارت هذه الحيلة على أهالى كالاترافا ، لان خلفا لم يكن معروف النسب عندهم ، والأغرب من هذا أنهم دخلوا فى طاعته ، وثاروا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - نون أمير طليطلة فجاء هذا وحاصره ولم تطل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاما المزعوم من المدينة فهذا نأثر الأهالى ، وعادوا الى السكينة والخضوع .

ولم ينته دور خلف عند هذا الحدّ ، بل رجع عودا على بدء حين علم قاضى اشبيلية بخبره وعلم الفائدة التى يجيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحضره الى إشبيلية ، وكان الذى يهمه إنما هو استغلال الموقف بقطع النظر عن شخصية الرجل ، كما كان يسره كثيرا أن يراضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون باسمه حزبا ضدّ البربر ويكون هو بعوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحزب ، ولهذا بادر الى دعوة الخليفة المزعوم الى إشبيلية ، ووعده بتعزيده اذا نجح فى اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصرى الى اشبيلية قدمه القاضى الى نساء هشام بالقصر ، فصرحن جميعهنّ تقريبا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعوّل القاضى على قولهنّ ، وبعث الى شيوخ اشبيلية وأسماء العرب والصقالبة يعلمهم بأن هشاما الثانى عنده ، ويدعوهم الى حل السلاح معه دفاعا عن حقوقه ، ومؤازرة لقضية الخلافة وقد كان الله هذا المسعى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخلوع الذى لجأ إلى اشبيلية ، وعند العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وجزر بليار ، وأمير تروتوزا (طرطوشة) .
وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقروبا بالسروور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كبيرهم أبا الحزم بن جهور كان أقلهم تصديقا للخبر حرصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجد هذه الحيلة إلى نفسه مساعا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة ميوله ، ورأى ضرورة اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر قرطبة ، فلهذه الأسباب لم يناقض أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد البيعة لهشام الثانى من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العربى الصقائى يتسلح ضد يحيى ، كان هذا محاصرا إشبيلية، مجتدا في تخريب ما ينصل بها من العمران ، موطنا النفس على الانتقام الهائل من القاضى الحائن ، ولكن الملتفين حوله من بربر قرمونة الذين أكرههم على الانضواء تحت رايته - كان هواهم مع هشام الثانى خليفتهم السابق ، وكانت الخابرة بينهم وبينه سائرة ، وفى أكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية إلى إشبيلية ، وأبلغوا القاضى ومحمد بن عبد الله أنه من السهل مباغتة يحيى لأنه لا يكاد يفيق من السكر ، ولم يدع القاضى وحليفه هذه الفرصة تمر دون أن يستفيدا منها ، وهنا وجه القاضى ابنه اسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس الجيش الاشبلى ، وعند ما أرخى الليل سدوله كن اسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل كوكبة لماوشة قرمونة ليغرى يحيى بالخروج إلى ظاهرها وقد نجح في خطته هذه ، إذ كان يحيى حين بلعه محبى ابن عباد على رأس جيش ثملا ، فنهض وكان متكئا على سريره وصاح قائلا : « يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عباد مقبل لزيارتى ، والآن أيها الجند ، خذوا أسلحتكم وامتلأوا جياذكم قبل ضياع الوقت ، وخروج فى ثلاثة آلاف فارس ، وكان النبيذ قد لعب برأسه فلم يتمهل ريثما يبيء جنده وينظم خططه ، يضاف إلى ذلك أن ظلام الليل الخالك كان يحجب عنه كل شيء ، وفوجئ الاشبيليون منه بهذا الهجوم المباغت فقابلوه من جانهم بجند وعنف ، وأخذوا يتقهقرون بنظام نحو المكان الذى كمن فيه اسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى إلى حنقه بنفسه ، فان اسماعيل انقض عليه بكل قوات الجند ، واضطره إلى التقهقر ، وقتل يحيى نفسه في المعركة ، وكاد يأتى القتل على أكثر رجاله لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك ، وقاله : « إن أغلب هؤلاء المساكين من بربر قرمونة الذين أكرههم هذا الطاغية على الدخول في خدمته مع كراهتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جنده بترك تعقهم وخف محمد بن عبد الله إلى قرمونة على ظهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد زئوج يحيى الذين استولوا على أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين الدخول لولا أن ساعده الأهالى على دخولها من ثغرة ، وسار إلى قصر الامارة وسلم نساء الأمير يحيى إلى بنيه ، واستولى على ما فى القصر من كنوز ونفائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »

وقد أحدث نبأ وفاة يحيى مروراً عظيماً في إشبيلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر إلى مسامع القاضي خراً ساجداً شكر الله ، وحذا حذوه جميع من كانوا حوله ، والآن أصبح القاضي لا يخشى شيئاً من جانب اليهوديين ، وقد نودى بادرىس أحد أشقاء يحيى خليفة في ماله ، وقد كان يعوزة الوقت الكافي الذي يستطيع فيه أن يكسب بقوة نفوذه ، وما يقدره من وعود ، قلوب زعماء البربر ، ليجعلهم في صفه ، ولهذا لم يعد في استطاعته أن يخضع الجزية بعد أن نادى الزنوج فيها بأن عمه محمد ، خليفة .

ولما رأى القاضي أن الظروف خدمته ، همّ بأن يقيم هو وهشام الثاني المزعوم بقصر الخلافة في قرطبة ، إلا أن يقطلة ابن جهور ، وتصميمه على عدم التخلي عن الحكم ، وقفنا حجر عثرة في طريقه ، فقد نجح في اقناع أهل قرطبة أن الخليفة المزعوم لم يكن سوى رجل مكر مخادع وأن اسم هشام قد أتى من الإمامة ، وعرف أن القاضي عند مجيئه بهشام إلى قرطبة سيلقي أبوابها معلقة في وجهه ، وثمة لا يستطيع التغلب على مدينة منيعة حصينة مثلها ، فيضطر أن يعود من حيث أتى .

§§

وعول في بداية الأمر على أن تعسكر جيوشه عند الأمير الصقابي ، وهو الأمير الوحيد الذي أبى الاعتراف بهشام الثاني ، ذلك الأمير هو زهير أمير المرية ، وممد أراد الحليمة فسم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدة أملاك بدأ زهير يناصر اليهوديين ، ولما نودى بادرىس حامية بادرىس بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهدداً من القاضي عقد محالفة مع جيوس الغرناطي ، ثم زحم جيش إشبيلية ، وذهب لمقابلته بجنوده وجنود حليفه إذ اضطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضي قد بالغ في الاعتداد بقوة ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى يحيى الوقت الذي تغزو فيه جيوس المرية وغرطاة بدورها إشبيلية . وكثيراً ما خدمته محاسن العصف التي شاعت أن يخلصه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

٢ - المناهج الأدبية^(١)

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترمى الى المثل الأعلى الذى نشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربى وتاريخ الأدب العربى فى أشد الحاجة الى جهود الأدباء المتواصلة لتنظيمه وتمحيصه وإصلاح تحريفه والكشف عن الاغلاط الكثيرة التى ألحقها به النساخ . ولازال كل جهد يبذل فى ازاحة الستور عن هذه المناجم الفيسة مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كنا الى عهد قريب لانكاد نؤمن بأن فى العربية كلها شاعرا واحدا يجارى المشهورين من شعراء الغرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الدرس والتحجيص والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب نخبة من فادة الفكر العربى الممتازين ، ولا زلنا نطمح فى ازاحة الستور عن بقية اعلام الفكر العربى القدماء .

وقد كان من الطبيعى أن يصحب نهضتنا وهى فى أولها ما يصحب كل نهضة أخرى . من العلو والامسراف فى بعض الواحى ، وفى نهضتنا الأدبية عيب جوهرى نخشى أن يعوق سيرها حيناً من الزمن نحن فى أشد الحاجة الى الانتفاع به واسعا . لأنه بأقصى ما فىنا من قوة . ذلك العيب الجوهرى هو أن أكثر من يكتب فى تاريخ الأدب العربى ينقسم قسمين : فريق من المحافظين الجامدين وفريق من المجددين المسرفين .

يأبى الفريق الأول إلا أن يتقيد بالنصوص القديمة ويأخذ بآراء القدماء فى النقد والادب باللغة ما بلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعنى نفسه بعونها وتمحيصها ولا يكاد يردّد الا عبارات محفوفة و (كلاسيكيات) قد أبلاها الدهر ولا يكاد يجزئ على استخلاص نتيجة واحدة من محوثة الطويلة واطلاعه الواسع ، فامرؤ القيس أكبر مزاياه أنه دلف واستوقف ، وبكى واستعكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى شطر بيت واحد وذلك فى قوله :

« فقا نك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فومل »
والباقية الديباجى قد بز الشعراء بقوله :

« فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت أن المنأى عنك واسع »

الى آخر هذه العبارات التى حان الوقت لاراحتها بعد أن أنهكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو -على الأصح- دعاة التجديد ، لا يبالون بالنصوص ولا يمتحنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون لبعثه ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاص المدرسية النافهة فى الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربى كله . فالعرب - فى رأى أحدهم - لم يطرّقوا نوعا بعينه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع فى تلك

(١) تثبت فيما يلى فعولا محنارة من رسالنا عن ابن زيدون ، توبرا للقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسمو الى مرتبة الفحول لأن الآيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتازين والنوابغ .

وهم لا يرون اذا تصدّوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم المصوص أن يخلفوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدججوا حياتهم في حياته وينحلوه نقائصهم وما يتخيّلونه في نفوسهم من مزايا ، قترامه مخفون من الشاعر صورة هي أصدق مرآة نستشف فيها نفوسهم .

فاذا كان أحدهم حليعا تلمس شاعرا مشهورا بالحلاعة ولم يعن نفسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عنايته بتبرير الحلاعة والتدحج بها ، واذا كان أحدهم حاقدا تلمس شاعرا مشهورا بالحق ، ولم يعن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عنايته بتبرير هذه الخلعة فيه .

ولست أسكر على الباحث أن يتصدّى لتحليل أية نفس إنسانية ماجنة أو جادة ، راضية أو ساخطة ، ولكنني أنكر عليه أن يخفق التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أوّل واجبه نحو الحقيقة والانصاف .

اما أن يصبر هوى أو يجري وراء خيال أو يطق لما - بلاروية ولاأناة - نظريات مغلوطة وآراء فاسدة خاطئة تلقفها بلاروية ولا تدبر ، فذلك أضّرّ على الحقيقة من أولئك الجامدين الذين لا يبتعدون بالأدب خطوة واحدة .

وقد بلغ من تهوؤس وشطط بعض دعاة التجديد أنهم أسكروا كلّ خيال عربي - لماذا ؟ لأنهم سمعوا أن أحد المستشرقين قال : « إن العرب ضيقوا الخيال وإن سعة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين » .

فإن الرومي مثلا واسع الخيال . لالأهم اقتنعوا بسعة خياله ، بل لأن جدّه رومي . والمعزّي لا خيال له وإن كان خياله أوسع من خيال ابن الرومي - لماذا ؟ لأنه عربي قبح ، ولكن المعزّي هو صاحب رسالة الغفران التي تعدّ آية من آيات الخيال العربي ، فذا يقولون فيها : الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة العنبران كلها خيال وانما هي كتاب أنشاء المعزّي في جغرافية الجنة والنار .

ومن اليوم أني يظهر للمعزّي جدّ رومي تقي رسالة الغفران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له جدّ أرى أصبحت « رسالة الغفران » كتابا من أروع كتب الخيال .

هكذا يحكمون من غير أن يحاسوا نفوسهم على ما يقولون . وقد حاولا جهدا أن تلمس لابن زيدون جدّا آريا تقدّم به الى هذه الفئة لنسكب من مواهبه وخياله ، فلم نظفر بذلك .

على أن في ابن زيدون مزينة قد تشفع له عند هؤلاء المفتونين بالغرب وما عمت إلى الغرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، فهو شاعر أوروبي البيئة وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعلّ هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .

أما الشباب المنصف الذي لا يعنى إلا بالحقائق ، فانا نتقدم إليه بديوان ابن زيدون ورسائله ،
وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتنان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة
من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلما ثقة بأن درس ابن زيدون سيكون أكبر حافز
على درس غيره من غول الأدب العربى والبيان العربى .
وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فان آفة الرأى الطوى ، وأكثر الناقدين لا يفسد
عليهم محوهم إلا التحيز ونسكب الجادة وإرضاء النزوات الفكرية الطائشة . وفى يقينى أن
الناقد كالفاضل يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بنفسه عن مزالق الأهواء ، ولا يألو
جهدا فى البحث عن الحقيقة ، أما أن ينقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائب اتهم - كما يفعل أكثر
الكتاب - فذلك ما لا نرضاه له ، ولعل أكبر عقاب يناله هو فقدان الثقة بما يكتب .

٣ - نشأة ابن زيدون

ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن الدولة العاصمية ، في أول عهد المظفر ابن المنصور بعد سنة واحدة من موت المنصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني مخزوم (١) ، وهو أحد ثلاثة تسموا بابن زيدون وهم :

١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان فقيها بقرطبة وكان قاضيا وعالما مشهورا وأديبا واسع الثقافة .

وقد مات (٢) سنة ٤٥٥ هـ ، وترك ابنه وسنه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون اليتيم وهو صغير .

٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ وكنيته أبو الوليد .

٣ - ابنه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .

وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وفد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده نوعه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنه ، وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس وقد تامتد على أساتيد الأدب في زمنه وألم من كل علم بطرف ، وفرص الشعر وسبغ فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القرطبية ، وقام بصيب كبير في تلك الثورة التي اندلعت نيرانها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التي زلزلت دولة بني أمية ودولة بني جود والعلويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا وقيام ملوك الطوائف على انقاضهم . وكانت سنة وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة (٣) .

(١) بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، وقتل جثته الى قرطبة فدفن بها ، ومما وصل إلينا من رثاء الشعراء فيه قول بعضهم :

«أي ركن من الرئاسة هـ صا وجوم من المسكارم فبضا

حملوه من بلدة نحو أخرى ليوافوا به ثراء الأريضا

من حن السحاب ماء صيبا ليداوى به مكانا سريرضا »

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٢ هـ وكانت ولادته في سنة ٣٩٤ هـ فتكون سنة حينئذ ٢٨ عاما . وقد ظل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوما . وقد انقسمت ممالك الأندلس بعد

فقر به اليه ابن جهور ^(١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » . وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس منافسات كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ، فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه اللاقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بنى أمية كما سنفصل ذلك في رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة التي يراها القارئ في ديوانه . وحاول أن يستعطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بإبنة أبي الوليد وتارة بغيره من أصدفائه ، فلم تلى شكواه أذنا صاغية . على أن السجن لم ينس ابن زيدون حبه ولادة فنظم فيها نغمة من أروع قصائده ، ولما ينس من عفو أبي الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ، ولم ينس ولادة التي كان يهيم بحبها ، ولكنها أغفلته واشتعلت عنه بحب ابن عبدوس ^(٢) على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته ، وما زال يظلم الأشعار متغزلا بها ، شديد الحنين الى أيام وصالها وظل حبها المعين للثرار الذي لا ينضب ، وما زال يلهمه أروع خواطره الثائرة وعواطفه المتأججة ، وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون الى مرتبة الزعامة بين شعراء الغزل الممتازين .

سقوط الدولة الأموية الى تسع عشرة سنة منها ، قرطبة ، واشبيلية ، وحبان ، وقرمونة ، والعرب ، والجزيرة الخضراء ومرسية وبانسية ، ودانية ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرسطة ، وطليلة ، وباجة ، ولشونه الخ

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرسطة وفراغة ولاردة وقلعة أيوب في يد بني هود . وبلسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز . ولشراى ماقوق وطليلة - من جهة الشمال - في يد بني رزس . وطليلة في يد بني ذى النون . وقرطبة في أيدي أساء جهور . واشبيلية في يد بني عباد . ومالقة والجزيرة الخضراء في يد بني برزال من البربر . والمرية في يد زهير العامري ثم ابن صهاح . ودانية وأعمالها والخزائر المرقية في يد مجاهد العامري . وبطليوس وبابرة وشنترين ولشوبه في يد بني الأفتس . وأصبح كل امرئ وما اختار من الألقاب والامناء ، حتى أن للسمين ، لما جلس على كرسى الخلافة ، قال للباس أجمعين : « ارتدوا كيف شئتم وارتسوا بما أحببتم من الخطط » فقضى بالوزارة في أيامه - مدمردة ومشاة - أرادل الدائرة ، وأحاث الطارة ، فصلا عن زطاف الكتاب والخدمة .

(١) هو أبو الحزم بن جهور الذي استولى على المملكة بعد خلع الجند آخر خلفاء بني أمية ، ولم يتحول عن داره الى قصر الخلافة ، وجعل الأمر شورى ، وسلس الأمور بمحزم وحسن تديره ، وكانت مدته في الحكم أربع عشرة سنة وبضعة أشهر ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي مات في شوال سنة ٣٢٣ هـ

(٢) وفي ذلك يقول ابن زيدون .

« أكرم بولادة ذخر المدخر
لو فرقت بين بيطار وعطار
قالوا : أبو عامر أضحى بلمها
قلت : العراشة قد تدن من النار
عبرتونا بأن قد صار يخلقا
فبين نحن ، وما في ذلك من طار
أ كل شهى أصبنا من أطايبه
بعضا ، وبعضا صفعا عنه لفار »

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون الى قرطبة وانضم الى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأعجبوا به وتمنوا استئثارهم به لبراعته وحسن سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابتنس له الحظ ثانية حتى أفسد الحساد ماصلح ، وخشي ابن زيدون أن يلقى من الابن ما لقي من الأب من النكال والسجن ، ففرّ هاربا من قرطبة . وظلّ ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد ابن محمد صاحبها الملقب بالمعتضد (١) ولم يكن يخفى أدبه وشهرته ومكاته عليه فهش له وبش وألقى اليه مقاليد ورارته ، وبعد أن مات المعتضد حارل الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار أخلص أصدقاء المعتضد أن يغيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عنده ولم يفلحوا ، وأقصاهم المعتضد بن عباد عنه وقرّب اليه ابن زيدون وأعلى مكاته عنده وظلّ ابن زيدون يزين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة بفضل تدير ابن زيدون وسعة حيلته ، وانتقل المعتضد وابن زيدون اليها وجعلها عاصمة ملكه .

ولما وقعت الثورة ضد يهود اشبيلية ، انتهز ابن عمار وابن مرتين وأنصارهما هذه الفرصة لاقصاء ابن زيدون عنهم تخلصا من منافسته ، فزينوا للمعتضد أن يوفده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال جههم في تسكين الاضطراب وتهدة الخواطر ، وكان المعتضد يعلم ما يكره أهل اشبيلية لابن زيدون من الحب وما له عندهم من المكاة والخطر . وكان ابن زيدون مريضا فاضطره المعتضد الى السفر ، فلم يستطع إلى مخالفته سبيلا ، ولم يلبث أن اشتدّت به الحمى وألح عليه السقم فلحقت به أسرته . ولكن الشيخوخة والمرض تكاثفا عليه فأهلكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فحزن عليه أهل اشبيلية أشدّ الحزن ودفن فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عباد تسعة عشر عاما ، ولوطال عمره قليلا لأفلق حساده ومنافسوه في تغيير قلب المعتضد عليه والتسكيل به كما أفلحوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت أقتده من دسائسهم وكيدهم ورجحه من شرهم .

(١) استطاع المعتضد أن يتلب على كل ماواجهه من القنات وبذل أقصى ما يبدل داهية من الداهية حتى صهاله الجوى وسلم له الملك وكان أكبر من يناوئه من المتملين وأشدهم عليه صهاجة و سو برزال الذين كانوا يقرمونه وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يزل يصرّف الحيلة تارة - كما يقول المراكشي - ويمهز الحبروش أخرى الى أن استدلمهم ففرق كلتهم ، وشتت منتظم أسرهم ، وسام عن جميع تلك البلاد ، وصفت له أموره .

بختري المغرب

« ويقول «ضأدائنا : إن ابن زيدون بختري زماننا، وصدقوا

لأنه هذا حذو الوليد في بعض قصائده » « ابن سام »

قلت في فصل سابق : إنني ترددت في مشايعة « نيكلسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هانيء لقب متبني الغرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بختري

الغرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كالم ندرس ابن زيدون دراسة تمكنا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فاننا نترك

مناقشة القسم الثاني من هذه التسمية ونكتفي الآن بالكلام على القطة الأولى وهي تشبيه

ابن هانيء بالمتبني لا استطاعتنا الكلام في هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوقفا : أن هذه التسمية صادقة في تفصيلها

وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والبحتري يطلق على ابن زيدون لقب بختري المغرب ، ولو

لم يعرف أن القدماء قد أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع الظم سحر الأداء ، وأكثر الصور

الشعرية التي أبدعها جديرة بأن تال أعز مكان في أرقى المتاحف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقيناه من الجهد والعناء في اظهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية

الرائعة والبيان الساحر الخلاب ما يفخر به الأدب العربي والشعر العربي في أزهى عصورهما

وأنضرها ، فقد كان ابن زيدون في سموه واقتنانه - وما أكثر سموه واقتنانه - مثالا رائعا

للشاعر المدع القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القارئ أنني كدت أنسرّع في الحكم حين عرضت لهذه التسمية في

كتابي « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي » ، فأقرر أن في هذه التسمية كثيرا من الاسراف

والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متشعرا بروح البحتري مأخوذا بسحر بيانه ، وكنت لا أكاد أصدق

أن شاعرا - كابن زيدون - جدير أن يوضع معه في ميزان أو يشركه في إحسان .

ولكنني رأيت أن من الظلم والغبن أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة

ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات وبضع صفحات من البئر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس .

وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب في هذا العصر ، وهي آفة من الآفات

التي تفسد على الباحثين بحوثهم ، فإن أكثرهم لا يتورع في الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يعن

بقراءة آثاره وتقصى أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخي ، وبعضهم يكتفي بالتحصيرات المدرسية

والمختارات الشائعة المقتضبة فيصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف

أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يملأ الأرض تمجيده له ويسرف في اظهار مزاياه

وتفضيله على جميع شعراء العربية حتى يقول أحدهم في وصف بعض الشعراء :

« فهو الشاعر من فرعه إلى قدمه وهو الشاعر في جيده ورديته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليقه على عواهنه » الى أن يقول « فما تحرك حركة الاكان للعقوبة فيها أرفى نصيب » (١) وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرتهم تصرّفاً بفنون القول وكان الباعث له على ذلك أنه عكف على درسه زمناً طويلاً فظهرت له مزاياه الباهرة فحسب أن أحداً من الشعراء مهما سما لن يصل الى مكانة ابن الرومي .

وهؤلاء الباحثين عذرهم في اصدار هذه الأحكام وإن لم ينصفوا الحقيقة، فإن كل شاعر من هؤلاء النحول يترجم لنا عن حضارة هائلة ويخلق بنا في أجواء ساحرة تنسينا - حين نحلق فيها - كل شاعر سواه ، فالحصري والمتنبي والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن جديس وأضرابهم يكاد يعبك واحد منهم ويغلاّ نفسك جلالاً وروعة اذا اقتصرت على درسه وحده . ولكك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتفضيل أحد هؤلاء على الآخرين والازراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعاً دراسة مستفيضة .

وأذكر بهذه المناسبة أي كست في مجلس يضم صفوة من رجال الأدب الممتازين كانوا يناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح يطربه ويخلع عليه كل عبارات الثناء ، فقال له الآخر : « أما أنا فليست من رأيك ، فإن أبا الفرج الاصبهاني بثره المجهز قد بزل كل كتاب العربية » فقال الثالث : « أين أنتم من عبد المجيد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعاً » فابرى له الرابع قائلاً :

« الحق أن امام البيان العربي هو الجاحظ » ثم سألوني رأيي فقلت :

« بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعاً وأضرابهم ولكن كل واحد منكم عكف على دس كاتب من هؤلاء فخليل اليه أن أحدا لا يبدانيه بلاغة وسحراً »

وهذا مثال لا يزال يتكرر ولا زلنا نرى في كل يوم باحثاً يأبى إلا أن ينتصر لنا بغة بعينه ويفضله على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمبالاة وظلم الحقيقة .

وما رأيك في قروي لم يغادر فريته الحقيرة طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من قصور فخمة وحدائق غناء ، ظن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جعت ألوان الحضارة والترف وجلالات السرور - هي أجل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة ، فله أن يكتفي بواحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد المقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويعرفها جميعاً .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري الافضل أحداً من الشعراء عليهم جميعاً من غير أن تقرأهم جميعاً .

(١) ارجع إلى كتابي « صور جديدة من الأدب العربي » ص ٢٢٣ »

ماذا ، بل أنت اذا توخيت الانصاف والدقة والزهادة عاجز - بعد طول الأناة والدرس - عن البتّ في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن النصف الزيه ليرتدّد في أن يجزم بتفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يتردد في تفضيل حسناء بارعة في الجبال على شبيبتها ، ورحم الله الأعرابي الذي طلب اليه أن يفاضل بين نوعين من الحلوى ، فظللّ يتذوق أحدهما تارة ، ويتذوق الثاني تارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع الى الثاني ثم قال :

« إنني كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربيّ نزيه أن يسخف شاعرا خلا كشكسبير وإن كان في قدرته أن ينتقده ويظهر عيوبه .

أما عندنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحرّج كاتب عن تسخيف شاعر فحل كللتبي أو إنكار شاعرية المعري أو تحقير مواهب ابن الرومي أو ابن زيدون أو ابن جديس أو البحتري الى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندنا من يجرؤ على إنكار شاعرية عصر بأكمله كمصر ملوك الطوائف (١) الذي يعدّ أزهي عصر أدبي في الأندلس ، بل عندنا متهمون يجرؤون - فيزعمون بلاحيطة أو مبالاة - أن ينكروا الأدب العصري كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندنا آخرون ينكرون روعة الأدب العربي في شتى لعائده وعصوره من غير أن يجشموا أنفسهم قراءة شيء من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كنا لنعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدواهم كادت تسرى إلى أكثر شبانا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عددا .

وقد ساعدت الخلاصات المدرسية التي كتبها مدرسو الآداب عندنا على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فان أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكمله ، ومن غير

(١) ومن هذه الأحكام قول أديب من هذا الطراز العجيب في هجاء هذا العصر الذهبي - عصر ملوك الطوائف - الذي لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« دلّكم عصر الاسرجاء والترف . عصر تزيف فيه الأبصار والبهاثر فتكل عما وراء القشور والطواهر تهجع المناعر في ذلك العصر فتعريد الحواس ، ويعوت الحب اغطرى فتدح في رفاته ديدان الشهوات . وناهيك بعصر تكون فيه البهائم أصدق حياً من الناس ، لأن البهائم لا تنب بالحب ولا تبتذله في مثل هاته المصنوع يأخذ الناس من كل شيء بأيسره ، ويقنعون من كل مطلب بأقربه إلى الحسن وأصعده . لا يكون الجمال فيها إلا صبة في البشرة تلحمها الألسنة حتى تزول ثم تتجها بصافا ، ولا تكون البساتين والأمواء إلا مجالس شراب ومراوح هواء ، ولا الطيعة بكنها ورياحيتها وأثمارها إلا طففة مطررة يختلف الألوان والأشكال ، ولا الشعر إلا مهرجا برافاً لو صور بشرا سوياً لالت منه البيون ما لا تنال النفوس ، وما الأخلاق والروعة والشرف إلا آدابا يصطلع عليها المارقون ليدوم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء المعاصر مد ذلك من غي وشنار ، وما طاب له من عبث واستهتار لا يشينه ذلك ولا يقدح في آدابه . »

ان يدرس عصره ويتقصى أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع اصدار فصل واحد من كتابه .
وعندنا أن الخلاصات المدرسية لا يمكن كتابتها الا بعد أن يستوفى الباحثون درس
العصور والشعراء والأدباء ويقطع كل منهم لشاعر بعينه أو كاتب بعينه ، فيدرسه من جميع
واحيه ، فإذا تمّ ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للناشئين .

وقد تكاثفت فئة من أعلام الباحثين في العصر الحديث كإقلا على درس المتنبي وابن الرّدي
والمعري ، وظفروا بنتائج باهرة أقنعت كثيرا من الشباب المصنف بأن عندنا من الشعراء من
نباهي بهم ونعجز معطلين ولا نتردد في مقارنتهم بأكبر شعراء الغرب .

وما كان في قدرة اسان أن يفهم جلال شعراء الغرب وكتابه ويقدرهم واهمهم الممتازة
وعبقرياتهم الفذة لو لم يعرض القاد والشرائح والباحثون لتجلية كل غامض وتوضيح مباحي
اتجاهاتهم الفكرية ، ولن يقتنع الشباب العربيّ بأن أدبا زاخر بالشعراء الذحول الذين
لا يتخللون عن أكبر شعراء الغرب ، الا بعد أن يتصدى أدباؤنا وباحثونا لتحليل آثار القدماء
وتنظيمها وشرح غامضها وإزاحة الستور عن مناحي العقريّة فيها وتقديم مآرجهدهم الواضحة
للشباب العربيّ ، وثمّ يرى شيئا أن هذه العقول العربية الكبيرة التي استوعبت أرقى
الحضارات في أزهي العصور وعبرت عن أخني الخواج النفسية وأدقّ الاحساسات وأروع
الأفكار وأعماق الآراء ، حدية بالانصاف والاقبال عليها والتمتع بسحرها الفائق .

وسيرى الشباب الذي نعلق عليه أ كبر الآمال في ديوان ابن زيدون بحترى المغرب ، إذا
درسه بعناية وأناة . ولم يكتف بتصفحه والمرور به على عادته - مرورا سريعا ، أن ابن زيدون
كان جديرا بما بذلنا من عاء وجهد ، وأنه جدير بمعاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة
في رسالتنا التي أفردناها لتحليل أدبه وعصره والنديه على دقائقه ومزاياه والامام بعصره الزاهي .
و بعض الناس يفضلون الحترى على ابن زيدون ، لأن ابن زيدون كان يحب به ،
وهو رأى مردود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالبحترى كإعجاب المعري بالمباني ، إعجاب عظيم عظيم ،
ولو نقدّم بابن زيدون زمنه على زمن البحتري لفان البحتري بشعره ، واتخذ منه مثلا يسبح
على منواله وإماما يهتدى به في فنه الرائع .

شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر المحنون من إحسانه
أخذ الروم - في الجريرة - عنه وهشوا في خياله وإشانه »
« شوق »

لكل شاعر من النحول طابع خاص يمتاز به شعره فإذا امتاز المعرّى بالفلسفة في شعره وامتاز المتنبى بالحكمة ، وامتاز ابن الرومي بالعوص على المعاني النادرة ، وامتاز أبو العاتية بالزهديات ، وأبو نواس بالخرجات ، والمحتري بحسن النظم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جديس بالوصف فإى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التى تكاد تقدره من شعراء العربية هى الفن . فهو شاعر فنى قبل أن يكون فيلسوفاً أو حكماً أو غوّاصاً على المعانى أو وصافاً .

الفن وحده هو الذى أكسب ابن زيدون زعامة الشعر فى عصره ، وأغرى خول الشعراء فى زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانضواء تحت رايته . فهو شاعر الفن الذى أبدع أمير الشعراء فى وصفه حين قال :

« بأبى أنت هيكلا من فون مركبا »

وإنك ترى صورته الفنية قد وصلت الى الذروة ، وقلما اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر من النحول فى معنى من المعانى إلا بزه ابن زيدون بفنه ، وأعجزه بديانه الساحر المحجب . حتى المحتري الذى كان القاد بلقبون ابن زيدون به ، كثيرا ما اشترك معه ابن زيدون فى صور شعرية وتوقّت صور ابن زيدون على صور المحتري .
وإما خصصا المحتري بالذكر ، لأن المحتري هو المثال الذى اختاره ابن زيدون ونحا نحوه حتى غلب عليه اسم محتري المغرب .

ومن الجيب أن ابن زيدون قد اشترك مع المحتري فى عدّة صور شعرية - كما اشترك مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التى يبدعها الشاعران جديدة أن توضع فى أرقى المتاحف حين يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التى أبدعها ابن زيدون جديدة بالجائزة الأولى فى أغلب الأحيان .

قال المحتري :

« ولما حضر ناسدة الاذن أخرت
فأفضيت من قرب - إلى ذى مهابة
كما انتصب الرمح الردينى . ثقفت
وكالبدر ، وافيناه ، تم سعوده
وسلمت ، فاعتاقت جناي هيبه
فلما تأملنا الطلاقة ، واثنى
رجال عن الباب الذى أما داخله
أقابل بدر التم حين أقاله
أنابيه ، واهتزل لطنن عامله
وتم سناه واستهلت منازل
تنازعنى القول الذى أنا قائله
إلى يبشر آنستنى مخايله

دنوت قبلت الدى من يد امرئ كرم يحياه سباط أنامله
صفت - مثل مانصفو المدام - خلاله ورقت - كمارق النسيم - شمائله «
وقال ابن زيدون :

« فلما قضينا ماعانا أداؤه وكل بما يرضيك داع فخلحف
قرنا بحمد الله جدك ، إنه لأؤكد ما يحظى إليه ويزلف
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة يغاديه منا ناظر أو مطرف
إذا نحن طالعناه والأفق لا يس عجاجته والأرض بالخليل ترجف
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما تطلع من محراب داود يوسف
ولما حضرنا الأذن والدهر خادم تشير فيمضى ، والقضاء مصرف
وصلنا وقلنا الدى منك فى يد بها يتاف المال الجسيم ويخلف
لقد جدت حتى ما بنفس خصاصة وأمنت حتى ما بقلب تخوف »

فأى الصورتين يفضل القارئ ؟

الحق ان الانسان ليحار فى تفصيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا تصلان الى أقصى درجات الكمال . وتجلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ، ولكن النصف لا يلبث بعد طول الروية والأناة ، أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التى أبدعها ابن زيدون بحتري المغرب على صورة صاحبه بحتري المشرق .

وقد رفع كثير من القاد المعاصرين فى خطأ شنيع حين تسرعوا فى الحكم على ابن زيدون بأنه مقلد فى أكثر معانيه غير مبتدع ، وحسبوه لذلك فخصاح الفكر لا ينفد بشعره إلى الأعماق ، وقد عاب بعض المتسرعين فى الحكم مثل ذلك على أناتول فرانس ، وعبروه بأنه كاتب أسلوب لا أكثر ، كما عبروا ابن زيدون بذلك ، ونسوا أن الفن - كما يقول أناتول فرانس - ليس فى الابداع والاختراع بقدر ما هو فى حسن التأليف ودقة الانسجام . وكثيرا ما نتخذ أناتول من الحوادث التافهة وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا فى معنى من المعانى - بما يبدعه أحدهما من الألوان وما يوفق اليه من التعبير عن ظلال المعانى ودقائقها .

فان أمهات المعانى - كما قلت فى كتابى « صور جديدة من الأدب العربى » مشتركة بين الناس - على اختلاف لغاهم وأزماهم وبيئاتهم وأجناسهم - وانك لو حاولت أن تجد لأكثر المعانى أشباها لما أعياك ذلك . وربما قلت المعنى تحسب أنك انقردت به ثم عثرت على شبيهه - بعد عام أو عامين - فى شعر قديم أو حديث عربى أو غريبى وقد يما قال عنترة :

« هل غادر الشعراء من متردم ؟ . » وذلك أن النفس الانسانية - على اختلاف نزعاتها وشتى أحساسها وشعورها - تكاد لا تختلف فى الشعور بأمهات المعانى ، وثمة تتوارد الخواطر . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر بالافتنان فى أداء هذه المعانى ، وروعة الأداء وحسن

التعبير عن دقائقها وظلالها والابداع في صوغ الخواجا النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة والقدرة على تهيئة الجو الرائع الذى تخلو فيه شاعريته وعرض معانيه فى أبهى صورها وأجل حليها . ولنضرب للقارىء مثلاً واحداً من أمثلة عدة لا يتسع لها المقام :

لعلّ كثيراً من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن مایضراً واحداً قد ينفع الآخر . هذا معنى شائع . يسور لكل متأمل وليس للسرقة مجال فيه . وقد افتن كثير من الشعراء فى صوغه فظهرت فى ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي فى أبسط صوره فقال . « مصائب قوم عند قوم فوائد . »
وتناول ابن الرومى من قبله جلاء فى صورة أخرى وهى قوله :

« فاشقى انما هجاؤك عندى ضحكات تزيد فى السراء
ومحال أن يسعد السعداء الدهر الا بشقرة الأشقياء . »

ولما طرقه المعرى جلاء فى أبدع صوره وأجلها فقال :

« وسخط الطاء بما نالها تولد منه رضى الحابل . »

فمثل لنا - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر لنا - ريشة المصور الفطن - ظنية يوقعها القدر وسوء الحظ - ونكد الطالع فى حالة الناص فتدرك أن حينها قد اقترب وأن هلاكها وشيك ، وصياداً يراها - فى هذه الحال من الألم والسخط - فىرى فرصة ثمينة نادرة بات يحلم بها طويلاً .

ولقد أحسن الجرجاني حين دل فى ضمن فصل طويل محب أن يرجع القارىء الىه فى كتابه : « وقد يتفاضل مدعو هذه المعانى - بحسب مراتبهم - فتشترك الجباعة فى الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتب يستحسن أو تأكىد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى اليها - دون غيره - فيريك المتذلل فى صورة المبتدع والمخترع . »

وقد ضرب الجرجاني لذلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك الا أن تحتس من التفریط - كما احتسرت من الإفراط - فلا تسكن كمن يرى السرقة لانتم الا باجتماع اللفظ والمعنى ونقل البيت جملة والمصراع تاماً ، بل لا يعرف إلا من يفعل فعل عبد الله بن الزبير بأبيات معنى بن أوس . »

إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والمسرقة - أيدك الله - داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . »

ومن أجل ما أورده فى ذلك الفصل قوله :

« ومتى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذى بعدنا - أقرب فيه الى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعانى وسبق اليها وآتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا إما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانته بها أولبعدها مطلبها واعتياص مرامها وتعذر الوصول إليها .

ومتى أجهد أحدها نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى — يظنه غريبا مبتدعا ونظم بيت يحسبه فردا مخترعا ، ثم تصفح عنه الدواوين — ثم لم يحظ أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يفيض من حسنه .

ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى ليعرى بت الحكم على شاعر بالسرقة . وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في حجة البحترى لما ادعى السرق في قوله : —

« والشعر ظهور يبق أنت راكبه فنه منشعب أو غير منشعب

وربما ضم بين الرك منجه وألصق الطنب العالي على الطنب »

فاذا شئت أن تمثل لك من شعر ابن زيدون بما يؤيد هذا الرأي ، عرضنا لك نخبة موجزة من أقوال رجال البيان في بعض المعاني التي طرقها ابن زيدون . قال معاوية : « السرو التفاضل » وقال المتنبى : « ليس العبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابى » وقال زهير :

« ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم »

وقال بشار :

« اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأىّ الناس تصفو مشاربته
فغش واحدا ، أوصل أحاك ، فانه مقارف ذنب مرة ومجانبه »

وقال أحد الشعراء :

« ومن يتنع جاهدا كل عشرة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »
وفال آخر :

« اقلد معاذير من يأتيك معتذرا ان برّ عندك فيما قال أو جفرا

فقد أجلك من أرضاك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستترا »

الى آخر ما ملوه في هذا المعنى وهو كثير مجتزئ منه بما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما ملوه أروع من قول ابن زيدون :

« إن السيادة بالاغضاء لا بسية بهاءها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن فتى ابن زيدون قد غلب فنون هؤلاء الفحول الأفاذا وتوق عليهم في هذه الصورة الرائعة ؟

وانظر الى ذلك البيت الرائع الذى طالما تغنينا به وحسبنا فائله قد تخطى به درجات السجالات والابداع حين قال :

« يزيدك وجهه حسنا اذا مازدته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومي فقال في «وحيد» المغنية :

« ليت شعري ، اذا أعاد الينا كرة الطرف مبدئاً ومعيد
أهـى شئـ لا تسأم العين منه ؟ أم لها كل ساعة تجديد ؟
بل هي العيش لا يزالـ متى استـ رضـ على غرائبـ ويفد
انظر كيف تلتطف ابن زيدون في نظمه وتحويره اوفى أى صورة مشرقة بالحياة رائعة الحسن
صاغه ذلك الشاعر العقرى فقال :

« حسن أهـين لم تستوف أعيننا غالياته بأفانين من النظر .
ومن اليسير على كل انسان أن يقرر أن حبيبه قد هجره وأنه لا يزال باقياً على عهد .
ولكنه ليس من اليسير عليه أن يؤدّي هذا المعنى كما أدّاه الجنون يقول :

« وأدّينى حتى اذا ما فتنتى بقول يحل العصم سهل الأباطح
تنايت عني حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح
ولا أن يقول مثل قوله أيضا :

« أليس وعدتى يا قلب أنى اذا ما تبث عن ليلى تنوب
فها أنا تأب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب .
أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحصن الودّ مذمناً ميدان أنس جرينا فيه أطلاقاً »

فالآن أحد ما كنا لهـدكمو سلوتم وبقينا نحن عشاقاً (١) ؟
تلك صور فية تنخلع دوهـا الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فني موهوب ، ولا تزال
أمهات المعاني كأصول لأنواع لا تكاد تختلف في جللتها وإن اختلفت في دقاتها وتفصيلها ، وإنك
لترى ألف حسناء فترى في وجه كل منهم ملاحظة من الحسن لا توجد في الأخرى ، ولا يزال
الرسام يتفنن في التعبير عن أسرار الوجوه ويدع ماشاء ابداعه ، ولا يزال اللحن الواحد يؤديه
ألف مغن بارع فتحس نفسك لكل صوت سحراً خاصاً يختلف عن الآخر .

وما يزيد أن نخصّ ابن زيدون بالابداع في كل معانيه دون سائر الشعراء ، فقد تختلف عنهم
وقصر في بعض قصائده كما يقصر النحول أحياناً . الشعر كما يقول ابن الرومي كالشجر :

« ركب فيه اللحاء والحشب اليا بس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الانصاف يقضى عليكـ اذا تصدّيت للتفضيل بين الشعراء أن تقارن بين روائعهم
وبدائعهم ، أما ما يقولونه عفو الخطأ ، أو في ساعات الكلال والضعف ، فليست جديراً أن تحكم به
على شاعر بينهم ، فقد تخرج الشجرة الممتازة إلى ثمارها الشهية الغضة ثمرة جفة فلا ينقص ذلك
من قيمتها . وما يزيد أن ننصر لابن زيدون وأن نمدحه ولا نكسا نريد أن ننصفه ولا نظامه .

(١) هأت ذا ترى صورتين رائعتين لمعنى واحد ، هل تستطيع أن تفعل إحداهما عن الأخرى ؟ ألا ترى
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانا تعبران عن معنى واحد ؟
ألا ترى إلى الصدق الذى يمثل في كل صورة بينهما ؟ ألا يست كل واحدة من هاتين الصورتين مدكاً
للشاعر لا ينازع فيها الآخر ؟

لماذا سجن ابن زيدون ؟

لانتكاد تقرأ تاريخ ابن زيدون في أى كتاب من كتب الأدب وتصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته حتى تقرأ هذه الجملـة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .

ولكن كيف وشى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جهور وأى وشاية هى ؟ ذلك مايقف أمامه . وورخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعلل ذلك بانغماس ابن زيدون فى حب ولادة وقلوا ان ابن عبدوس وأحزابه وشوا به عند ابن جهور فسجنه لأن أبا الحزم بن جهور - فى زعمهم - رجل وريع يؤثر القوى والزهد ولا يقبل أن يرى إلى جانه خليعا ماجنا كإبن زيدون ، ونسى هذا الفر بقى من مؤرخى الآداب أن ابن عبدوس نفسه كان -مغمسا فى حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون خلاعة ومجونا إن كان لابد من هذا التعبير الذى ارتضاه . وورخو الآداب ، فليس من الانصاف أن يطلق اسم الماخنـ المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كان اذا قورن بغيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أبعد عن هذه الصفة انى ألصقها به . وورخو الآداب ، ولم يكن أبو الحزم بن جهور - نـتا متبلا ورعا منقشفا كما حاولوا أن يـقـهـونا به ، فقد كسر دنان الحجر حين ولى أمور الناس ، وهذا يدل على حزم وبعد نظر ولا يدل على نقشف وزهد وورع .

وما كان أبو الحزم ليسىء الى وزيره الذى خاض إلى جانبه بار الثورة القرطية وكان يلهمها بلاغته ويعذيها ببيانه والذى كان لا يستغنى عنه أبو الحزم بن جهور ، تقول ليس أبو الحزم الذكى الأريب - الذى شاد ملكا موطد الأساس بين الزعازع والفتن - من العقلة بحيث يأبه لأمثال هذه الصغائر ، انما كان يعنى أبا الحزم بن جهور أن يثبت ملكه ولا يعنيه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاجرا .

واقـد سجن ابن زيدون وزير ابن جهور وكان معرضا للقتل وسجن ابن عمار وزير المعتمد وقتل وسجن غيرهما من الأدياء والشعراء الذين استوزرهم ملوك الطوائف ، فاذا شئت أن تبحث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن تجد لذلك الاسباب واحدا وتهمة لايتعداها من شاء أن يدس أو يكيد وهى التهمة التى تعنى ملوك الطوائف وتقض مضاجعهم وتسيهم كل يد أسلفت إليهم ، هذه التهمة هى التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمار أخلص صديق للمعتمد وكان المقرّب الأمين عنده وكان أعزّ عليه من نفسه على حد تعبير المعتمد ، ولكنه طمع فى الملك فنسى المعتمد كل شئ الا سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم تأخذ المعتمد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطعم فى ملكه ، فقتله حنقا عليه .

ولقد كان ابن زيدون شاباً في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور .
 وكان أقرب شيء إلى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزماً وحمية ، والتي ظفرت بالوزارة
 في مستقبل حياتها السياسية أن تطمح إلى ما هو أبعد من الوزارة .
 وقد كان ابن زيدون كثير السفارات وكان موقفاً محبوباً من ملوك الطوائف ذائع الشهرة
 في عصره ، وكان قويا شديداً النكاية والسخرية بخصوصه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها
 للانتقام منه إلا الكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص
 لعهد ولا أمين لأمره .

وما نرى ابن زيدون من تهمة التآمر فإنه هو نفسه لم يتصل منها اتصالاً واضحاً صريحاً ،
 بل نحن لانرى في تصديقها حرجاً فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنهها .
 ولقد فرّ ابن زيدون من سجن أبي الحزم ثم عاد بعد وفاته إلى ابنه أبي الوليد وبذل له
 النصيحة كما بذل لأبيه ، وظهر عنده بأعلى مكانة ، ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد
 وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى بقية عمره في السجن .
 وقد اتصل بالمتعضد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولمامات المعتضد أعادوا
 الكرة وأرادوا أن يغيروا عليه قلب المعتد فأخفقوا ، وقرعهم المعتد أشدّ قرع وما زال
 ابن زيدون الوقي الأمين المخلص للمعتد ، حتى قرب منيته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب
 المعتد عليه ، ولوطال عمره قليلاً لأصابه من نكال المعتد وانتقامه ما أصابه من أبي الحزم
 وما كاد يصيبه من أبي الوليد بن جهور . ولكن المنية أنقذته من شرورهم وأحقادهم كما أسلفنا .
 على أن سجن ابن زيدون قد ترك في نفسه الفتية الوثابة أثراً لا يوصف . وألمه الحكمة
 والأناة والصبر وعلمه مداراة الناس ومجاملة الخصوم ، وأقبعه بأن معاداة الرجال غير مأمونة
 العواقب وأن السهام « قلما اعتورت غرضاً إلا كملت حتى هبى ما شئت من قوته » فلم يدخر
 جهداً فيما بعد في اكتساب رضى العامة والخاصة ، حتى أحوه - الا القليل ممن دفعهم الحسد
 والغيرة وهؤلاء لاحيلة لأحد في اكتساب رضاهم وسل سخائهم واحقادهم - وقد مات فسكاه
 أهل أشبيلية وجزعت لفقدته جبهة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه
 آيات فذة من البيان العالي والشعر المعجز . ولا زال قوله :

« لا يهني الشامت المرتاح خاطره أنى معنى الأمانى ضائع الخطر
 هل الرياح بنجم الأرض عاصفة أم الكسوف لغير الشمس والقمر »

وقوله :

« ولا يغبط الأعداء كوني في السجن فاني رأيت الشمس تحصن بالدجن
 وما كنت الا الصارم العضب في جفن أو الليث في غاب أو الصقر في وكن
 أو العلق يخني في الصوار ويخبأ »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتب لها الخلود . مثالا عاليا للشعر الرائع والبيان الساحر

حساد ابن زيدون

كان من الطبيعي أن يلقي أديب مثقف وشاعر مجيد وسياسي مدرّب كابن زيدون -وصل في مستقبل شبابه الى أرقى الدرجات- كثيرا من المنافسين والحساد يتقمون على أدبه وتفوقه ويغارون من تقربه الى الملوك الذين أکبروا فضله وأدبه فقرّبوه منهم وحاطوه برعايتهم، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جماعة من المنافسين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عبدوس ، فسادوا له حتى أحفظوا عليه أبا الحزم جهورفسجنه كما أشرنا الى ذلك في فصل سابق . ثم قرّ من السجن وعاد فاتصل بأبي الوليد بن أبي الحزم ، فلم ينقطع كيد المنافسين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، ففرّ ابن زيدون خوفا من السجن ومازال يتنقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به البوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنهم مثل مالتى في قرطبة ، ولكن مدائح الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من مفاخر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون و بعد انظار المعتضد تغلّت على كيد المنافسين وأرغمت أنوفهم وأحلتها في المكان الأوّل كما يقول من قصيدة رائعة :

« وأرغم في برى أنوف عصابة لقاؤهم جهم وأعينهم شمر »

« اذا ما اثني في الدست عاقد حبة وفام سماطا حفله فلى الصدر »

فلما مات المعتضد أعادوا الكرة وجعوا جوعهم للكيد له عند المعتمد ولكن المعتمد صدهم أشنع صدّ وقربه اليه ، فلم ينس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يبطل العدا في التاجي خفية يقولون لا تستفت قد قضى الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة الى اشبيلية منتهزين فرصة مرضه فسار اليها مرغما حيث لقي حتفه . وأفلح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من منافسة ابن زيدون . ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في أبي الحزم وأبي الوليد والمعتضد والمعتمد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تطوّعوا لا يذائنه وأرهقوه بدسائسهم المنوالية ، والحسد داء قديم وكم لقي الأدباء والشعراء الممتازون منه مانعص عليهم حياتهم وأقض مضاجعهم .

وقد لقي المتنبي قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنزابه ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذى أغرى به الشعراء والأدباء كالحاتمي وابن سكرة وغيرهما ، ما أقلق باله وفاده الى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبي بعد أن ترك سيف الدولة تشنيع حساده به عنده ، فيقول :

« رأيتمكم لا يصبون العرض جاركم ولا يدر على مرعاكم اللين

جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل غريب عنكم ضغن . »

الى آخر ما قال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمعتضد ما يسوءه في نفسه وقرابته بقرطبة فيقول :

« بنى جهور أحرقم بجفائكم فؤادى فما بال المدائح تعبق
تعدوني كالغبر الورد إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق »
وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت بمدحه زمنا فكان السجن منه ثوابي :
لا تخش في حق بما أمضيته من ذاك في ولا توق عتابي
لم تخط في أمرى الصواب . وهذا جزاء الشاعر الكذاب . »
وقوله :

« من ملغ عنى البلاد اذا نبت أن لست للفس الألف يبايع
أما الهوان فصنت عنه صفحة أغشى بها حد الزمان الشارع
فليغم الحظ المولى أنه ولي فلم أنبعه خطوة تابع
ان العنى هو القناعة لا الذى يشف نطفة ماء وجه القانع »
الى آخر ما قال .

وقد كان لهذه المافات أثرها العظيم في اجدادة الشعراء واطهار أروع ما قاله من الشعراء ، وصدق القائل :

« لولا اشتعال البار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود »
وما كاد المعتضد يتولى الأمر بعد أبيه المعتضد حتى نشط الدساسون والمفسدون لمحاربة ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يأبها الملك العلى الأعظم اقطع وريدى كل باغ ينثم
واقسم بسيفك داء كل منافق يبدى الجليل وضد ذلك يكتم »
فكان رد المعتضد على ذلك قوله :

« كذبت مناكم صرّحوا أوججموا الدين أمتان والسجية أكرم
ختم وروهم أن نخون ، وربما حاولتم أن يستخف يالم (١) . »

(١) وبها يقول

« وأردتم تضيق صدر لم يضق والسر في ثمر الحور تحطم
وزحقتكم - بمحالكم - لم تجرب مازال يثبت للمحال فيهم زم
أنى رجوتكم غدر من جر بتم منه الوفا . وظلم من لا يظلم
أنا لكم لا ألقي بشر غرسه عندى ولا مى الصبيحة يهدم
كفوا ، والامارقبوا لى بطشه باقى السفيه بمثابة ويحلم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

« وأرى المسامح كالسيوف تادرت
ولكم تسامى بالرفيع نصابه
وفيها يقول ويبدع :

« قل للبعاة المنبضين قسبهم
أسررتهم ، فرأى نجي عيوبكم
وعبأتم - للفسق - ظفر سعاية
ونبذتم القوى وراء ظهوركم
ما كان حلم « محمد » ليحيله -
وفيها يقول بعد أن أغراه بأعدائه :

« فرق عوت ، فزأرت زائرة زاجر
يأليت شعري هل يعود سفينهم
لى منك - فليذب الحسود تلفظيا -
وشفوف حظ ليس يفتأ يحتلى
الى آخر هذه القصيدة الرائعة :

وقلما تخلو قصيدة من قصائده من مناسبة يخلقه خلقا ، ويتطرق منها الى الشكوى والألم
من حساده ومنافسيه وما لقيه من كيدهم وعنهم .
ومن أروع ما قاله في ذلك ، قوله من قصيدة :

« كان الوشاة وقد منيت بأفكهم
أساط يعقوب وكنت الذبا «
الى أن قال :

« أنا سيفك الصدى الذى مهما تشأ
تعد الصقال اليه والتندريا «
وقوله :

« ايه «أبا الحزم» اهتل غرة
لا طار بي حظ إلى غاية
عتاك - بعد العتب - أمنية
لم يثنى عن أمل ماجرى
ألسنة الشكر عليها فصاح
ان لم أكن منك مرش جناح
مالى على الدهر سواها اقتراح
قد يرقع الحرق وتؤسى الجراح «
وقوله :

« ماجال بعدك لحظى فى سنا القمر
إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر «
إلى أن قال :

« حسن أفانين لم تستوف أعينا
غايانه بأفانين من النظر . «
إلى أن قال :

محض العيان الذى يغنى عن الخبر
برق المشيب اعتلى فى عارض الشعر
وللشبية غصن غير مهتصر
نار الأسمى ومشبي طائر الشر
انى معنى الأمانى ضائع الخطر
أم الكسوف لغير الشمس والقمر
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
عن كشف ضرى ولاعتب على القدر
غيرى - يحمانى أوزارها وزرى
ولم أبت من تجنيه على حذر .

ردّ الصبا بعد ايفاء على الكبير
كلاهما العلق لم يوهب ولم يعر
لاعذر منها سوى أنى من البشر
بهاءها وبهاء الحسن فى الحفر .

« من يسأل الناس عن حالى ، فشاهدها
لم تطو برد شبانى كبرة وأرى
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كذب
ها انها لوعة فى الصدر فادحة
لايهنى الشامت المرتاح خاطره
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ؟
إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب
وان يثبط - « أبا الحزم » الرضى - قدر
ماللذنوب - التى جانى كائرها
من لم أزل من تأنيسه على ثقة
إلى أن قال :

« لاتله عنى فلم أسألك معتصفا
واستوفر الحظ من نصح وصاغية
هبنى أسأت فكان العلق سيئة
ان السيادة بالأغضاء لابسة

وقال :

« ولو أننى أسطيع كى أرضى العدا
شريت ببعض الحلم حظا من الجهل .
إلى أن قال :

تمطر فاستولى على أمد الخصل
بتصهاله ماناله من أذى الشكل .
بنعمائك موسوما وما أنا بالعفل .

« جواد إذا استنّ الجياد الى مدى
ثوى صافنا فى مربوط الهون يشتكى
إلى أن قال :

« أعدك للجلى وآمل أن أرى

ثم قال :

تعذر فى نصرى وتعذر فى خذلى
وأخنى إلى إنصافك السابغ الظلّ
لما كان بدعا من سجايك أن تلى
« مسيامة » إذ قال : انى من الرسل

« أنن زعم الواشون ما ليس مزعما
وأصدى إلى إسعافك السانغ الجنى
* ولو أننى واقعت عمدا خطيئة
فلم أسترحب « الفجار » ولم أطع
وانظر إلى قوله :

قراهم -- لسيران الفساد - ثقاب
وبانيهم خلق الجيـل فعبأوا

« فديتك كم ألقى المواغر من عدا
عفا عنهم قدرى الرفيع فأهجرأوا

وقد تسمع الليث الجحاش نهيقها
إذا راق حسن الروض أوفاح طيبه
إلى أن قال :

« فأنت الحسام العضب أصدى مثته
وما السيف مما يستبان مضاه
وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رفعه
إلى أن قال :

« ظن العدا إذ أغبت - أنها انقطعت
لأبأس بالأمر - ان ساءت مبادئه
إلى أن قال :

« كم غرة لى تلقها قلوبهم
إذا تأملت حبى عتب غشهم
تلك العرازين لم يصلح لها شمع
أودعت نعاك منهم شرمقترس
لازال جدك بالاعداء يصرعهم

ومأرور قوله معتذرا عن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم
العد ، تحتمل سقطاتهم وتعترف هفواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة الاشاركتهم
فيها ولا يعمون بذريعة ينفردون دوني بها » الخ .

وقوله :

« أرى نبوة لم أدر سرّ اعتراضها
جفاء هو الليل ادلهم ظلامه
هب العزل أخشى للولاية غاية
فنيهم أرى ردّ السلام إشارة
أناس هم أخشى للذعة مقولى

وقوله :

« ألا هل أتى التبيان أن ققامه
وأن الجواد الفات الشاوصافن
وأن الحسام العضب ثار بجفنه

فريسة من يعدو ونهزة من يسطو
تخونه شكل وأزرى به ربط
وماذم من غريه قد ولا قط »

وقوله :

« مئون من الأيام خس قطعها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قط . »

وقال :

« وما زال يدنيني ، ويثني قبوله هوى سرف منه وصاغية قرط . »

وقال :

« عدا سمعه عنى فأصنى الى عدا لهم فى أدبى كلما استمكنوا عط بلغت المني إذ قصروا قلوبهم مكان أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثلى قد تهفوه نشوة الصبا ومثلك قد ينفو ، ومالك من مثل وأنى لتنهانى نهائى عن التى أشاد بها الواشى ويعقلنى عقلى . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدى الى السودد الحنا ولا بالمسئء القول فى الحسن الفعل . »

الى أن قال :

« هى النعل زلت بى ، فهل أنت مكذب لقيل الأعادى انها زلة الحسل . »

الى أن قال :

« ألا إن ظنى - بين فعليك - واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . »

الى أن قال :

« وأين جواب عنك ترضى به العلا اذا سألتنى بعد السنة الحفل . »

إلى آخر ما أبدعته هذه العبقرية الجبارة ، من الاقتنان البارع ، فى صورها الشعرية التى لاتنسى .

٤ - حب ولادة

تمرّ شتى الحوادث بالإنسان فينساها ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يذكر، على أن لبعض الحوادث أثرا لا يمحي، حيث تمرّ الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر، ويطبع نفسه بطابع خاص، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر، حادثان: حب ولادة. وحبه زهاء عامين.

فأما حب ولادة فقد ألهب نفسه إلهابا وأكسبها شاعرية خصبة ففاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ما شاء لها أن تبدع، وأخرجت لنا أروع قصائده الغزلية، وألمعته أسمى ألوان الخيال العالي والغزل الرقيق. كقوله:

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك »

وقوله:

« أما منى نفسى، فأنت جميعها باليتنى أصبحت بعض مناك
يدنو بوصلك حين شط مزاره وهم أكاد به أقبل فاك »

وقوله:

« كان التجارى بمحض الودّ مذ زمن ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أجد ما كنا لعهدهم سلوتم وبقينا نحن عشافا »

وقوله فى نفس القصيدة:

« لا سكن الله قلبا عن ذكركم فلم يطربجنح الشوق خفافا »
وقوله من قصيدة أخرى:

« باليل طل، لأنتهى إلا بوصل قصرك
« لو كان عندى قرى مابت أرعى قمرك »

وقوله:

« بينى وبينك ما لو شئت لم يضع سرا إذا ذاعت الأسرار لم يذع »

وقوله:

« بتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت ما قينا »
إلى أن يقول:

« ماحقنا أن تقرّوا عين ذى حسد بنا ولا أن تسروا كاشحا فينا »
« غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا »
« فاحمل ما كان معقودا بأنفسنا وأنبت ما كان موصولا بأيدينا »

وقوله:

« لاستجدن - فى عشقى لها - زما ينسى سواف أياى وأزمانى »

حتى تكون لمن أحبت خاتمة نسخت - في حبها - كفرا بإيمان «
وقوله :

« إن ساء فعلك بي ، فما ذنبي أنا ؟ حسب المتيم انه قد أحسننا
لم أسأل حتى كان عذرك - في الذي أبديته - أخفى وعذرى أيننا
والقد شكوتك - بالضمير - الى الهوى ودعوت - من حتى - عليك فأمننا
منيت نفسي - من وفائك - ضالة ولقد تغرّ المرء بارقة المنى «

وقوله :

« أغائبة عني وحاضرة معي أناديك - لما عيل صبرى - فاسمعي
أنى الحق أن أشقى بحبك أو أرى حريقا بأنفاسي ، غريقا بأدمعي
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق ؟ جعلت الردى منه برأى ومسمع
صلىني - بعض الوصل - حتى تبيني حقيقة حالى ، ثم ماشئت فاصنى «

وقوله :

« قد كان - في شكوى الصبا - راحة لو أننى أشكو إلى من يرحم

وقوله :

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
ساء الوشاة مكانى منك واتقدت - فى صدر كل عدو - جرة الحسد
فليسخط الناس لأهدد الرضى لهم ولا يضع لك عهد آخر الأبد
لواستطعت - اذا ما كنت غائبة - غصضت طرفى فلم أنظر الى أحد «

وقوله :

« يا ليل خبر : اننى التذ عنه خـ برك
بالله قل لى : هل وفى ؟ فقال : « لا . بل عذرك »

وقوله :

« لئن فاتنى منك حظ النظر لأكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقية ب خـ سبى تسليمه تختصر
أحاذر أن تتظنى الوشاة ، وقد يستدام الهوى بالحذر
واصبر مستيقنا انه سيحظى - بنيل المنى - من صبر «

وقوله :

« أشمت بي فيك العدا وبلغت - من ظلمى - المدى
لو كان يملك فدية - من حبك القلب - افتدى
كنت الحياة لعاشق - مذ حلت - أيقن بالردى

لم يسئل عنك ولو سلا لعذرتة ، فبك اقتدى «

وقوله :

« أبديتلى - من أمانين القلى - عبرا
لم تبق جراحة بالهجر من جسدى
فليغن كفك انى بعض من ملكت
ولتقض ماشئت - من هجر ومن صلة -
سقى لعهدك والأيام تقبلنى
إذ الزمان بليغ فى مساعىدى
ان كان لى أمل الا رضاك فلا

وقوله :

« انى لأعجب من شوق يطاولى
كم نظرة لك فى عينى علمت بها
قلب يطيل مقاماتى لطاعتكم -
ماتوبى بنصوح - من محبتكم

وقوله :

« معاهد لهُ لم تزل فى ظلالها
زمان رياض العيش خضر نواضر
فان بان منى عهدها ، فلوعة
تذكرت أيامى بها فتبادرت
وصحبة قوم كالمصاييح كلهم

الى أن قال :

« محل غنينا بالتصاىى خلاله فأسعدنا ، والحادثات نيام
فما لحقت تلك اللىالى لامة ولا ذم - من ذاك الحبيب - ذمام »

وقوله : وهو بطليوس من قصيدة رائعة :

« إن قرت العين بأن أؤوبا لم آل أن أسترضى الغضوبا
حسبى ان أحرم المغيبا قد يدفع المذنب أن يتوبا »

وقوله :

« لم ينجنى منك ما استشعرت من حذر هيهات كيد الهوى يستهلك الحذرا
ما كان حبك الا فتنة قدرت هل يستطيع فى أن يدفع القدرا »

وقوله :

« ما لذى ضرك لو سـر بمرآك الحزين

وتلطف لصب حينه فيك يحين «

وقوله :

ماضر لو أنك لى راحم
يهنيك ياسؤلى ويا بغيتى
تضحك فى الحب وأبكى أنا
أقول لما طار عنى الكرى
يانأما أيقظنى حـسه
وعلى أنت بها عالم
انك مما أشتكى سالم
الله - فيما بيننا - حاكم
قول معنى قلبه هائم
هب لى رقادا أيها النائم «

وقوله :

« هلاجعلت - فدتك نفسى غاية
لاتفسدن ما قد تأكد بيننا
حاشاك من تضيع ألف وسيلة
ان أجنه خطأ فقد عاقبتى
للعتب أبلغها بجهد الجاهد
- من صالح - خطرات ظن فاسد
شجى العدو لها بذنب واحد
ظالما بأبلغ من عقاب العامد «

وقوله :

« علام اطمئت دواعى القلى ؟
ألم الزم الصبر كيما أحف ؟
ألم أرض منك بغير الرضى
ألم اغتفر موبقات الذنو
ومساء ظنى فى أن يسىء
على حين أصبحت حسب الضمير
وصانك منى وفى أبى
وفيم ثمتك نواهى العذل ؟
ألم أكره الهجر كى لأمل ؟
وأبدى السرور بما لم أنل ؟
بعمدا أتيت بها أم زلل ؟
بى الفعل حسنك حتى فعل
ولم تغمك الأمانى بدل
لعلى العلاقة أن يبتذل «

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع
وما باختيار تسليت عنسك
ولم يدر قلبى كيف التزوع
إلى آخر هذه القصيدة التى تخلق بك فى جو العباس بن الأحنف ، حتى ليخيل إليك أنها
من شعره قد ألحقها بديوانه الحافل بهذه الروح الحائرة القلقة .

« يامن غدوت به فى الناس مشهرا
قلبي عليك يقامى الهم والفكرا
إن غبت لم ألقى إنسانا يؤنسنى
وان حضرت فكل الناس قد حضرا «
وانظر إلى قوله وقد حاجته الذكرى الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأحبة بالحي وحاك عليها ثوب وثى منمنا
وأطلع فيها للأزهار أنجما فكم رفلت فيها الخرائد كالدمى
إذ العيش غص والزمان غلام »

وما أروع قوله فى تلك الموشحة الساحرة :

« أهيم بجبار يعز وأخضع شذا المسك من أurdانه يتضوع
إذا جئت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا فى شئ من الوصل أطمع
ولا أن يزور المقلتين منام »

الى أن يقول :

« فقل لزمان قد تولى نعيمه ورث - على مر الليالى - رسومه
وكم رقى فيه - بالعنى - نسيمه ، ولاحت - لسارى الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام »

وقوله فى ذكرى قرطبة وولادة ومجالس أنسه :

« أقرطبة العراء ، هل فىك مطعم وهل كبد حرى لينك تنقع
وهل للياليك الجيدة مرجع إذ الحسن مرأى فىك واللهم مسمع
واذ كنف الدنيا لديك موطأ »

« أليس عجيباً أن تشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس نفح جنابك
ولم يلتئم شئى خلال شعابك ولم يك خالق بدؤه من ترابك
ولم يكتفى - من نواحيك - منشأ »

الى أن يقول :

« معاهد أبكى لعهده تصرما أغص من الورد الجى وألعمنا
لسا الصا فيها حبرا منمنا وقدنا إلى اللذات جيشا عرمرما
له الأمن رده والعداوة مربأ »

وقوله :

« أخواننا للواردين مصادر ولا أول إلا سيتلوه آخر
وإنى لاعتاب الزمان لناظر فقد يستقيل الجد ، والجد عائر
وتحمد عقبى الأمر مازال يشأ »

وما أبدع قوله :

« وان بلادا هنت فيها لأهون ومن رام مثلى بالذنية أدنا . »

الى آخر هذه القصائد الفذة التى يفخر بها الأدب العربى والبيان العربى .
والذى كان الباعث الأول على نظمها العجيب وصوغها المعجز هو حب ولادة .

ه - أدب ابن زيدون

قلما يظفر الانسان بأديب عربي يحمل لواء الزعامتين في النظم والنثر ، فان أغلب ما نشاهده أن يبدع الأديب في أحد النوعين إبداعا يغطي على إبداعه في الآخر ، أما ابن زيدون فانك تقرأ نثره فلا تكاد تصدق أن شعره يتساقى إلى مثل هذه المرتبة العالية ، فإذا عدت الى شعره أنسك إبداعه روعة ما قرأت من نثره ، وهكذا لا تكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو نثره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا وينسيك سحرها كل شيء آخر . وليس من الانصاف أن نقول إنه شاعر ممتاز فحسب أو ناثر ممتاز فقط ، وما أجدرنا أن ننصفه فيقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي .

لقد قضى ابن زيدون حياته بين الدرس والتحصيل والتجارب والاختصار والاتصال بكبار ساسة عصره ودهاتهم ، وصهر قلبه حب ولادة كما أسلفنا ، وحنينه الى وطنه ، وأثر في نفسه الشاعرة الحساسة مامتازت به الأندلس من جمال التربة وصفاء الجو ، ولقي من السعادة والتمتع بالحسن أشهى وأعذب مآلتي محبة ، ثم لقي من لوعة الصدا والهجران أشقى وأمرأ مآلتي إنسان : « حسن أفانين لم تستوف أعيننا غالياته بأفانين من النظر »

ولقد نعم بصولجان السلطة والقوة حيناً من الدهر ثم شقي بالسجن بين الأشرار والمجرمين زمناً غير قليل ، ولقي من كيد المنافسين والحساد كما أسلفنا ما لم يلقه أحد . فلا غرو أن تتضافر كل هذه العوامل القوية على خلق الشاعر العظيم . وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيته خليقاً بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب :

« ماصر في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف »

ولقد ترى في أدبه أمثلة من ثقافة المعري وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة ، ومحافظة على أساليبها ، كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبي تمام ونظم البحتري واسترسال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي .

وإنك لتقرأ أكثر غزله فيخيل اليك لسهولته أنك تحلق في أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضي والمجنون ، ثم تقرأ اخوانياته فيخيل اليك لاسترساله وافتتانه في ضروب القول ، أنك تقرأ ابن الرومي وهو يخاطب أبا القاسم التوزي بهمز يته المشهورة ، ثم تقرأ رسائله فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ في براعة الاستخفاف والنهك أو رسائل المعري في سعة الاحاطة وكثرة الاستشهاد ، والولوع بالأمثال .

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره في الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتجلى فيها أدب هذا العصر الزاهي وثقافته .

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الدلاقة وسرعة البديهة ، وقلماً يتفق لأديب عمق التفكير مع دلاقة اللسان ، فقد روى صاحب نفح الطيب محدثاً عن دلاقة ابن زيدون : أن ابنته توفيت ، و بعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منصرفهم من الجنازة ليشكر لهم ، فقيل ، إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » الى أن قال - بعد أن قارن بينه وبين واصل بن عطاء في تجنبه الراء ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في تلك الجنازة - وهو وزير - ألف رئيس ممن يتعين له أن يتشكر له ويضطر الى ذلك فيحتاج في ذلك إلى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده : « ولكنه صوب العقول اذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحائب . » ومهما كان في هذا الخبر من الاسراف ، فان بعضه كاف في الدلالة على فضله . وكان ابن زيدون إلى ذلك إماماً من أئمة عصره حتى قال بعض الأدباء فيه : « من لبس البياض وتحنم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وتفقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف » .

كامل كينلاني



في السجن^(١)

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن ، وهو في السجن ، وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص بن برد »

مَا عَلَى ظَنِّي بَأْسٌ^(٢) يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو^(٣)
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ عَلَى الْآمَالِ يَأْسُ
وَلَقَدْ يُنَجِّيكَ إِغْفَاً لَوْ يُزِدِيكَ^(٤) احْتِرَاسُ
وَالْمَحَازِيرُ سِهَامٌ وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ^(٥)
وَلَكُمْ أَجْدَى^(٦) قُعُودُ وَلَكُمْ أَكْذَى^(٧) التَّيَاسُ
وَكَذَا الدَّهْرُ^(٨) - إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ - ذَلَّ نَاسُ
وَبَنُو الْأَيَّامِ أَخِيَاً فُ سَرَاةً وَخِسَاسُ^(٩)

(١) جاء في قلائد القفيان :

١ وله عند فقد الوفاء من آلامه ، يخاطب أبا حفص بن برد ، وقد حار ولم يجد هادياً ، وصار رهيناً يرحو فانياً ، وعلم أن الناس متقلون ، وعلى من انقلب الدهر متقلون ، لا يديهم في الشدة إزاء ، ولا نعيم عن دوى المحظوة زهو ولا انتقاء .

ما على ظني بأس يجرح الدهر ويأسو

قد ذكرت بترتيب يخالف هذا الترتيب الذي نقله عن نسخة الديوان .

(٢) ويرى : « ما على ظني بأس » . (٣) يداوى . (٤) وفي روايه : « وبؤذك احتراس » (٥) جمع قوس : عن يعقوب وأبي عبيد فهو على فعال ، وأصله دواس تلبت الواو ياء لمساوية السكره ، يشاهده قول القائل :

« ووتر الأساور القياسا صفدية تنتزع الأنفاسا »

(٦) أغنى : أو أفاد . (٧) أحقق ولم يفز - يقول : كثيراً ما يكون القعود عن المطلب سبباً في لظفر والفوز والسعي سبباً في الاحفاق والحزمان ، وقد تهافت الشعراء على هذا المعنى كثيراً ، ومن أحسن أجاء فيه قول بن زريق :

والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت بعي ألا إن بعي المرء بصرعته

(٨) في رواية : « وكذا الحكم » .

(٩) اللباس أخفاف : أي مختلفون ، شريف وخسيس . قال أحد الأعراب : « الناس أخفاف وشقي في الشيم »

نَلْبَسُ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُنْعَةً ذَاكَ اللَّبَاسُ ^(١)
يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَأَلَكَ فِي فَهْمِ إِيَّاسٍ ^(٢)
مِنْ سَمَاءٍ ^(٣) رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقٍ ^(٤) الْخَطْبِ اقْتِبَاسُ
وَوَدَادِي لَكَ نَصٌّ ^(٥) لَمْ يُخَالَفْهُ قِيَاسُ ^(٦)
أَنَا حَزِيرَانُ وَالْأَمْرُ وَضُوحُ وَالْتِبَاسُ
مَا تَرَى فِي مَعْشَرٍ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا ^(٧)
وَرَأَوْنِي سَامِرِيًّا ^(٨) يُتَّقَى مِنْهُ الْمَسَاسُ
أَذُوبٌ هَامَتَ بِلَحْمِي فَأَنْتَهَاشُ ^(٩) وَأَنْتَهَاشُ
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي وَلِلذَّئِبِ أَعْتِسَاسُ ^(١٠)

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن إياس المزني ولي القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب به المثل في الألمية :

والألمى الذى يطن بك الظل كأن يد رأى وقد سما

وإياس هذا هو من علماء الحريري بقوله في المقامة السابعة « فاذا ألمعتي ألمعية ابن عباس ، ووراستي فراسة إياس » وعناه أبو تمام في قصيدته السينية بقوله :

اندام عمر في سماحة حاتم في حلم أحنف في دكاء إياس

(٣) من دواء رأيك (٤) طلمة (٥) النص : السند المقطوع بصحته والتعيين على شيء ، وهو في عرف الفقهاء ، مقطوع بصحته فلا يخالفه قياس ، فكأنه يقول : إن ودادي مسد إليك ، أو هو موقوف عليك ، أو متعين لك ، وقد استعمل الشاعر لفظي النص والقياس في السمر ، وهما من مصطلحات الفقهاء على عادته في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح الفقهاء إذ يعتبرون النص والقياس من مآخذ الأحكام الشرعية ، والأول صريح مع القرآن أو الحديث ، والثاني إلحاق قضية - لا نص فيها - بقضية أخرى منصوصة لاشتراكهما في علة حكم الأولى (٦) وفي رواية : القياس

(٧) حانوا (٨) السامري : عظيم من بني إسرائيل عبد العجل . قال الكشف : عوقب في الدنيا ببقوه لاشيء أظم منها وأوحش ، وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً ، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يمايش الناس به معهم ، وإذا من أحد أرحلا أو امرأة حم الملس والممسوس ، فتعاضى الناس وتحاموه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الانتهاش بالشيء : الأخذ بالأضراس ، وبالسيف : الأخذ بمقدم الأسنان ، وفي رواية : فانتهاش وانتهاش (١٠) طلب الصيد بالليل ، ومعنى الأبيات أن أعداءه كالذئاب لا ينون عن نهب لحمه ، متظاهرين بالتودد له والاشفاق عليه ، فهم يسألون عن حاله متجسسين ، كما يتجسس الذئب ليتعرف مواطن فريسته .

* *

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلِمَا مِنْ الصَّخْرِ أَنْجَسَ (١)
وَلَنْ أَمْسَيْتُ مَحْبُوسًا فَلَلْغَيْثِ أُخْبِيسُ
يَلْبُدُ (٢) الْوَرْدُ السَّبْتَى وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ

* *

فَتَأْمَلْ كَيْفَ يَمْشِي مُقْلَةً الْمَجْدِ النُّعَاسُ
وَيُفَتِّ الْمِسْكُ فِي التُّرْبِ بِ قِيُوطًا وَيُدَاسُ

* *

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًّا إِنْ عَهْدِي لَكَ آسُ (٣)
وَأِدِرْ ذِكْرِي كَأْسًا مَا أَمْتَطَتْ كَفَّكَ كَأْسُ
وَأَعْتَنِمِ صَفْوَ اللَّيَالِي إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسُ
وَعَمَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ سِرُّ فَقَدْ طَالَ الشَّمَاسُ (٤)

(١) أى تشقق ينفع منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، » (٢) يلصق بالأرض ملارماً عريسه لا يبرحه والورد من أسماء الأسد ، والسبتى الجرى ، ومنه فى صفة أبى لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قول الشاعر :
حزى الله خيراً من إمام وبارك يد الله فى داك الأديم الممزق
وما كب أحشى أن تكون وفاته بكفى سبتى أروق العين مطرق
والسبتى النمر أيضاً ، وفى الدخيرة لابن بسام قوله : يلبد الورد السبتى الليث ، كقول النابغة :
وقلت يا قوم ان الليث متقبس على برائنه للوثبة العياري
وأخذ ابن الرومى فقال :

سكنت سكونا كان وهناً لوثبة عماس كذاك الليث للوث يلبد

(٣) يقول : لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الذبول ، فإن عهدى دائم كالآس ، وبفسر هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

ولكننى شبهت بالورد عهدها وليس يدوم الورد والآس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال التماس » ومعنى الرواية الأولى أن عصيان الدهر وتعمده قد طال .

ذكرى أيام الوصال^(١)

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة الفذة ، يتحسر فيها على
انقضاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح
والألم القاسى ، وقد بعث بها إلى حبيته «ولادة بنت المستكفي»
أديبة الأندلس الفذة ، يسعظها ويتلف على أيام
الوصال السابقة »

أُضْحَى الثَّنَائِي بِدِيْلًا مِنْ تَدَانِيْنَا	وَنَابَ ^(٢) عَنْ طَيْبِ لَقِيْنَا بِجَافِيْنَا
أَلَا ^(٣) وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ صَبَحْنَا	حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِيْنَا
مَنْ مُبْلَغُ الْمَلْبَسِيْنَا بِاتِّزَاحِهِمْ	حُزْنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْتَلِي وَيُئَلِيْنَا
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا رَالَ يُضْحِكُنَا	أُنْسًا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُنْكِيْنَا
غِيْظَ الْعِدَامِ تَسَاقِيْنَا الْهُوَى فَدَعَوْا	بِأَنْ نَعْصَ ^(٤) فَقَالَ الدَّهْرُ آمِيْنَا
فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِيْنَا	وَأُنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِيْنَا
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرَّقُنَا	فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِيْنَا

(١) حاء في قلأند العقيان :

« ولم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ، ويباح دمه دونها ويهدر ، لسوء أثره في ملك قرطبة ووالبها ، وقبائح
كان ينسبها اليه ووالبها ، أحتدت بى جهور عليه ، وسددت أسننتهم اليه ، فلما بئس من لقاها ، وحجب
عنه محياها ، كتب اليها يستديم عهدا ، وبؤكدها ، ويعتذر من فراقها بالخلط الذى غشبه ، والامتحان
الذى غشبه ، ويعلمها أنه ماسلا عنها بحمر ، ولا خبا ما بين صلوة لها من ملتبس جر ، وهى قصيدة ضربت
في الابداع بسهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من الشعراء - من قداما ، ومحدثين - وقد أثبتنا شيئا من ذلك في غير هذا
المكان من الكتاب فليرجع اليه من شاء (٢) رواية الديوان « نان » .

(٣) لمة في هلا ، والحين الهلاك ، والمنى هلا صبغنا الهلاك صبيحة يوم الفراق - كأن الهجر والموت
في نظر الشاعر سيان مادام كلاهما بعده عن يحبه وهوواه بل الموت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما
الهجر فانه عن اختيار (٤) غصن المأء ، شرق به أو وقف في حلقه .

*
* *

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ نُعْتَبِ^(١) أَعَادِيكُمْ هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَىٰ أَعَادِينَا
لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيَا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
مَا حَقَّقْنَا أَنْ تُقْرَؤْا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَا وَلَا أَنْ تَسْرُؤْا كَاشِحًا فِينَا

*
* *

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسْلِينَا عَوَارِضُهُ وَقَدْ يَمْسِنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَيِّرُنَا^(٢)
بَيْنَهُمْ^(٣) وَبِنَا فَمَا أَتَلَّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَا فِينَا
نَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَامِرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى^(٤) لَوْلَا تَأْسِينَا^(٥)
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَفَدَتْ سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لِيَالِينَا
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا وَمَرَبَعُ اللَّهِوَ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإِذْ هَصَرْنَا^(٦) فُؤُودَ^(٧) الْوَصْلِ دَانِيَةً قِطَافُهَا فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا
لِيُسْقَ^(٨) عَهْدُكُمْ عَهْدُ السُّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ الثَّأْيُ الْمُحِيطَنَا

(١) أعدته أعطاه العتبى أى أروضاه ، يقول : إننا لم نرض أعداءكم ، فهل أنتم كذلك لم ترضوا أعداءنا
(٢) كنا نطش أن اليأس يسلى ، فما زال بأسا منكم يزيدنا ولو طابكم ، وفي هذا المعنى يقول المجنون :

أليس وعدتى يا قلب انى إذا ماتبت عن لىلى تتوب
فها أنا تائب عن حب لىلى فذاك كلما ذكرت تذوب

(٣) بعدتم وبعدنا (٤) الحزن (٥) التعزى

(٦) حصر العفن : إمانته (٧) ضروبه وأنواعه أو الفنون جمع فنن ، وهو الفنن وما تشعب منه ، ففى اللسان (قال أبو الهيثم : الفنون تكون فى الأغصان ، والأغصان تكون فى الشعب ، والشعب تكون فى السوق) فكان الشاعر استعار للوصل أفنانا بهصرها أى يميلها إليه كلما أراد انتطاف زهرها ، واحتناه ثمرها (٨) أى سقياً لمهدكم عهد السرور أى بإبدال الثانى من الأول لتبيينه وتعريفه

وَاللّٰهُ مَا طَلَبْتَ^(١) أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

* *

يَا سَكْرِيَّ الْبَرْقِ غَادِ^(٢) الْقَصْرَ وَأَسْقِي بِهِ
وَأَسْأَلُ هُنَاكَ هَلْ عَنَى^(٣) تَذَكُّرُنَا
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَفْضِينَا مُسَاعَفَةً^(٤)
مَنْ كَانَ حِصْرَ الْهَوَى وَالْوُدَّ يَسْقِينَا
إِلْفًا تَذَكُّرُهُ أَمْسَى يُعْنِينَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْقُرْبِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَبًّا تَقَاضِينَا^(٥)

* *

رَيْبُ مُلِكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ
أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا^(٦) مَحْضًا وَتَوَجَّهَهُ
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رِفَاهِيَّةً
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلًّا^(٨) فِي أَكِلَتِهِ^(٩)
كَأَنَّمَا أُثْبِتَتْ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتِهِ
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَتَرْيِينًا^(١٠)
مِسْكًا^(١١) وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا
مِنْ نَاصِعِ التَّبَرِّ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينًا
تُومُ الْعُقُودِ وَأَدَمَتَهُ الْبُرَى لِينًا^(١٢)
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا

(١) وفي رواية : « ما اطرت » اسجدت ، بدلا طريفا ، يقم أنه ما استحدث هوى حديدا بعد

هوى أحبابه ، (٢) باكره بالعمام أول النهار

(٣) هل شعل من نألفه مذكرنا كما شعلنا تذكره .

(٤) العنّى في الزيارة أن تكون كل أسبوع ، والقصود هنا التلة . يقول الشاعر :

لأننا لم تنفاس الوصال من الدهر غا ، ولكننا تقاضيناها للحاج . فهل ترى الدهر — بعد هذا —

يسعفنا نالفا ؟

(٥) ليس هذا المحبوب مخلوق من طين أو تراب كسائر البشر كلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال

الشعراء المحبون يتقالمون فيمن يحبون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أخيرا لمحبوبته :

أنت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماه

(٦) فضله ، يريد أن الله أبدعه ناصع البياض وتوجه بشعر ذهبي (٧) يقول إذا تلى آدته أى

أثقلته وشق حملها عليه (توم) أى لآلى العقود وجرحته (البرى) أى الخلائيل ، وذلك لرفاهته

(٨) مرضعة (٩) جمع كلة : وهى سفر رقيق يلقى من العوض

(١٠) يعنى أن جماله استعمار زهر الكواكب لتكون زينة له ، وتعويذه من عيون حاسديه

مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ نَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرَفًا وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَاْفِينَا

* *

يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجْنَتْ لَوَاحِظِنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَلَسْرِينَا
وَيَا حَيَاةَ تَمَلَّيْنَا ^(١) بِزَهْرَتَيْهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتِ أَفَانِينَا
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ ^(٢) فِي وَشْيٍ ^(٣) نَعْمَى سَحَبْنَا ذَيْلَهُ حِينَا
لَسْنَا نُسَمِّيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَلِكَ يُغْنِينَا
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكَتَ فِي صِفَةٍ فَحَسَبْنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبَيَّنَا

* *

يَا جَنَّةَ أَخْلَدِ أَبْدِلْنَا بِسِدْرَتَيْهَا وَالْكَوْثَرَ الْعَذْبَ زَقُومًا وَغَسَلِينَا
كَأَنَّكَ لَمْ تَبْتِ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ ^(٤) مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا
سِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظَّالِمَاءِ يَكْنُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يُفْشِينَا ^(٥)
لَا غَرَوْ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ عَنْهُ النَّهْيُ وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأُسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تمتعنا ونعمنا

(٢) نضرته وخفضه (٣) في نعمى كالثوب الصافي دى الوشى أى النقش .

(٤) أنامه عما لم يش بنا

(٥) قال ابن بسام : وهو معنى مشهور وهو في الشعر كثير ، قال أبو الطيب :
أزودهم وسواد الليل يشفع لى وأثنى وياض الصبح يبرى بى

على أن أبا الطيب أجاد وكرره في مواضع من شعره كقوله :

لاناقي إلا ليل من تواصله فالشمس نامة والليل قواد

وكل من إلى هذا المعنى أشار ، فحوالى الليل دار ، وهو قولهم : « الليل أحق للويل »
قول : ولم نر في هذه المعانى التى ذكرها ابن بسام أدق وأطرف من قول ابن زيدون :
« سران في خاطر الظلماء » الخ

أَمَّا هَوَاكَ فَلَمْ نَعْدِلْ مِنْهُلِهِ شُرْبًا وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِنَا^(١)
لَمْ نَجْهَفْ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوْنُكَبُهُ سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ نَهْجُرْهُ قَالِينَا
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَبَّنَاهُ عَنْ كَسَبِ لَكِنْ عَدَّتْنَا عَلَى كُرْمِهِ عَوَادِينَا^(٢)
نَأْسَى عَلَيْكَ إِذَا حُثَّتْ مُشْعَشَعَةً^(٣) فِينَا الشُّمُولُ وَغَنَانَا مُغْتَبِنَا
لَا كُوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيمَا أَرْتِيَا حِ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِمِنَا
دُومِي عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا^(٤)
فَمَا اسْتَعْصَنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يَغْنِينَا
وَلَوْ صَبَا^(٥) نَحُونَا مِنْ غُلُوِّ مَطْلَعِهِ بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُضْبِغِنَا
أَبْكِي وَفَاءً وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً فَالطَّيْفُ يُقْنَعُنَا وَالذَّكْرُ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَازَتْ أُتُولِينَا
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكَ تُخْفِيهَا^(٦) فَتُخْفِينَا

(١) قال ابن ساس : « وهذا معنى متداول من أشهر قول القائل :

ربقي إذا ما ازددت من شربه ربا ثناك الرى ظمنا

كالحر - أروى ما يكون الفقى من شربها - أعطش ما كانا

ولابن الروى فيما ياسبه من عس الوحوه :

« يارب ربقي بات بدر الدجى يعجبـــــــــــــــــه بين ثناياك

يروى ولا ينهك عن شربه والماء يرويك وينهك »

(٢) لم نتجنبه عن كتب أى قرب اختياراً ، ولكن صرفنا على كره منا شواغلا .

(٣) ممزوجة : أى نحزن لنيابك من مجلسنا إذا حثت الشمول الممزوجة (٤) دوى محافضة على

العهد مادما محافطين فالحرّ النصف يجزى كما حوزى

(٥) مال (٦) أخفيت الشيء أخفيه سترته ، وخفيته أخفيه تأنى بمعنى سترته ، ومعنى أظهرته ،

وعلى ذلك فوله « تخفيا » أى سترها « فتخفينا » بمع أوله أى تظهرنا ، وشاهد خفاء يخفيه بمعنى

أظهره . فوله :

فان تكتنموا السرّ لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

وقوله تعالى فى قراءة « أكاد أخفيها » بالصح أى أظهرها .

في مدح ابن جهور^(١)

مَا لِمُدَامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكِ فَيَمِيلُ فِي سُكْرِ الصَّبَا عِطْفَاكِ
هَلَّا مَرَجْتَ لِعَاشِقِيكِ سُلَافَهَا يَبْرُودُ ظَلَمِكَ أَوْ يَعْذِبُ لَمَّاكِ^(٢)
بَلْ مَاعَلَيْكَ وَقَدْ مَحَضْتُ^(٣) لَكَ الْهُوَى فِي أَنْ أَفُوزَ بِمُحْظَوَةِ الْمِسْوَاكِ^(٤)
نَاهِيكِ ظُلُمًا أَنْ أَضْرَبَ الصَّدَى^(٥) بَرْحًا^(٦) وَنَالَ الْبُرْءُ عُودَ أَرَاكِ

* *

وَاهَا لِعِطْفَاكِ وَالزَّمَانُ كَأَنَّمَا صُبِغَتْ غَضَارَتُهُ^(٧) يَبْرُدُ صَبَاكِ
وَاللَّيْلُ مَهْمًا طَالَ قَصَرَ طَوْلُهُ هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاكِ
وَأَطَا لَمَّا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ فَخَلَّتْهُ شَكْوَاى رَقَّتْ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكِ
إِنْ تَأَلَّفِي سِنَةَ التَّوْثُومِ خَلِيَّةً فَلَطَا لَمَّا نَافَرَتْ فِي كِرَاكِ^(٨)
أَوْ تَحْتَبِي بِالْهَجْرِ فِي نَادَى الْقَلَى فَلَكُمْ حَلَلْتُ إِلَى الْوِصَالِ حُبَاكِ^(٩)

* *

أَمَّا مَنَى نَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهَا يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مَنَّاكِ
يَذْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَّ مَرَارُهُ وَهُمْ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالْكَ

(١) تصدّى كثير من الشعراء المعاصرين لمعارضة هذه القصيدة وقد ذكرنا طرفا من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب ليرجع اليه من شاء .

(٢) الظلم : ماء الأسان أو بريقها ، واللمى : سمرة و الشمة (٣) أخلصت

(٤) يقول : ماضرك - بعد أن أخلصت لك الهوى ، ومحضتك الحب أن أفوز منك بمحظ السواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مشقة وشدة (٧) بهجته . يقول الشاعر : ما أحسن عطفك

فيها مفعى والزمان كأنما صبغت بهجته بما كسبت أنت به من برد الشباب (٨) يقول أن تعتادى اليوم

الآن خالية غير مبالية بى ، فكثيراً ما أسهدك الهوى ، وعاديت و نومك (٩) احتجى بالثوب اشتعل

والحجى كهدى جمع حبوة مثله الماء ، فكأن الشاعر يقول : إن نجلى فى نادى البغض (القلى) محبوبة

أو مشتملة بمحبة الهجر ، فكثيراً ما فرغت إلى الوصال ، وحللت لأحله حباك .

وَأَنْتَ تَجَبَّتِ الرَّشَادَ بِغَذْرَةٍ لَمْ يَهْوِ بِي فِي الْغَىِّ غَيْرُ هَوَاكِ (١)

* *

لِلْجَهْوَرِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَائِقُ كَالرَّوْضِ أَضْحَكُهُ الْغَمَامُ الْبَنَّاكِ
مَلِكُ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ مُهَذَّبُ تَدْبِيرُهُ لِلْمَلِكِ خَيْرُ مِلَاكِ (٢)
جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى فِتْلَاهُ بَيْنَ الْفَوْتِ وَالْإِذْرَاكِ
شَمْسُ النَّهَارِ وَبَذْرُهُ وَنُجُومُهُ أَبْنَاؤُهُ مِنْ فَرْقَدٍ وَسِمَاكِ (٣)
يَسْتَوْضِعُ السَّارُونَ زُهْرَ كَوَاكِبِ مِنْهُمْ تُنِيرُ غِيَاظَ الْأَحْلَاكِ (٤)
بُشْرَاكِ يَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مَعًا هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَتَاكِ (٥)

* *

تُلْقَى السِّيَادَةُ ثُمَّ إِنَّ أَضْلَلْتَهَا (٦) وَمَتَى فَمَتَدَتِ السَّرْوُ (٧) فَهَوَ هُنَاكِ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ فِرْقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ فَذَاكَ
صَمَصَامُ بَادِرَةٍ وَطَوْدُ سَكِينَةٍ وَجَوَادُ غَايَاتٍ وَجِذْلُ حَكَاكِ (٨)

(١) المعنى أنتِ وقعت في الغي بسبب غدرك في فاني أنا لم يوقم في الغي غير هواك .

(٢) ملك الأمر : مكسر الميم ، أي قواه الذي يملك به .

(٣) الفرقد والسمك من الجوز البيرة (٤) هم المسترشدين برأيهم إذا دحت الحوادث أمثال

الجوز الزهر للسايرين في ظلمات الليل البهيم (٥) وجاء بعد هذا البيت عجز بيت ناقص هكذا : —

(وصفت جدامك واستلفت حاك)

(٦) ذهبت عنك وندت ، والخطابة للدنيا في قوله « بشراك يا دنيا » .

(٧) المروءة والشرف والوصف على فعل يقال سرو يسرو فهو سري (٨) النادرة الحدة ، والجذال أصل شجرة قطع رأسها أو هود ينصب في العطن لتحتك به الابل الجربي يقال هو جذل حكاك ، وهم جذال حكاك ، ومنه قول الحبان بن المذرر الأصاري يوم سقيفة بني ساعدة « أنا حديليها المحكاك ، وعديقيها المرجب » أي إنه يشتقي برأيه وعلمه وتخاربه في الأمور كما تشتق الابل الجربي بهذا الجذال ، ومعنى اليب أنه مهمم كالسيف في العنقب ثابت كالطود في الحلم سباق إلى الغايات مجرب يشتقي برأيه صلب لا يبلل مكرهه .

طَلَقْتُ يُفَنِّدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَنْ يَسْتَشْفُ النَّارَ بِالْمَحْرَاكِ^(١)

صَمِعَ^(٢) الضَّمِيرَ إِذَا أَجَالَ يُمَهِّقِ^(٣) يُمْنَاهُ فِي مُهَلٍ وَفِي إِيشَاكِ^(٤)

نَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ سَطُورِهِ نَظَمَ اللَّالِي الثُّومَ فِي الْأَسْلَاكِ

نَادَى مَسَاعِيَهُ الزَّمَانُ مُنَافِسًا أَحْرَزَتْ كُلَّ فَضِيلَةٍ فَكَفَّاكِ

مَا الْوَرْدُ فِي مَجْنَاهُ سَاعَرَهُ النَّدَى مُتَحَلِّيًا إِلَّا بِبَعْضِ حُلَاكِ

كَلَّا وَلَا الْمِسْكُ النَّوْمُ^(٥) أَرِيحُهُ مُتَعَطِّرًا إِلَّا بِوَسْمِ^(٦) ثَمَّاكِ

اللَّهُوُ ذِكْرُكَ لَا غِنَاءَ مُرْجِعٍ يَفْتَنُ فِي الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ^(٧)

طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوْلِيَاكِ هُزَّةٌ تَهْفُو لَهَا أَسْفًا قُلُوبُ عِدَاكِ^(٨)

يَأْتِيهَا الْقَمَرُ الَّذِي لِسَنَائِهِ^(٩) وَسَنَاهُ تَعْنُو السَّبْعُ فِي الْأَفْلاكِ

فَرَحَ الرِّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ عِنَانَهَا فَرَحَ الْعُرُوسِ بِصَحَّةِ الْإِمْلَاكِ^(١٠)

(١) الخشبة التي تحرك بها البار ، والمعنى أنه باش الوجه سمع وأن الكرم طيبة فيه وليس يزيده

تغنيده الجاهلين إلا تماديا في كرمه كالبار يزيدها المحرك اشتعالا

(٢) يقال لسان صعب ، وشاعر صعب ، وبلغ صنع ، إذا كان حاذفا ماهرا ، والمعنى أنه كاتب واثق البيان

سيان رويته وإسراعه (٣) صحيفة (٤) إسراع

(٥) صيغه مبالغة من نم المسك سطم ، والأريج توهج ربح المسك

(٦) الوسم : العلامة والثناء والمدح - يخاطب على لسان الزمان في هذا البيت والذي قبله مساعي المدوح

مثبتا أن الورد في مجناه ليس متحليا إلا ببعض حلاها ، وأن المسك في سطوع أريجه لم يكن متعطرا إلا من

اقسامها بالثناء (٧) ما اللهو إلا ذكر تلك المساعي لاغناء مرجع يطلق في العناء صوته ويمسك .

(٨) طارت : أسرع ، والحظاب المساعي ، والهزة تحرك في نشاط وارتياح ، والمعنى أسرع إليك أيتها

المساعي مواكب بالأولياء ، وقد خفقت لها حزنا لولب الأعداء

(٩) السناء بالمد الرفعة وبالفقر الضوء (١٠) عقد النكاح

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ أَوْ حَدَفِي التُّهَى وَالصَّالِحَاتِ فَذَانِ ^(١) بِالْإِشْرَاكِ
قَلَدَنِي الرَّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَوْمَيَّ زِينَةٍ وَعِرَاكِ
وَإِذَا تَحَدَّثَتِ الْحَوَادِثُ بِالرَّانَا شَزْرًا إِلَى قَقْلٍ لَهَا إِيَّاكَ ^(٢)
هُوَ فِي ضَمَانِ الْعَزْمِ يَعْْبَسُ وَجْهَهُ لِلخَطْبِ وَالْخُلُقِ النَّدَى الضَّجَّاجِ ^(٣)

وَأَحْمَ دَارِي تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أَهْيَنَ بِمَسْحَقٍ وَمَدَاكِ
وَالدَّجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبُ وَالْجَفْنُ مَتَوَى الصَّارِمِ الْفَتَّاكِ
هَنَاتُكَ صَحَّتْكَ أَلَيَّ لَوْ أَنَّهَا شَخْصٌ أَحَاوَرُهُ لَقُلْتُ هَنَاكَ
دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا اسْتُدِمَّتْ فَلَمْ تَرَلْ تَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَعْدَ هَلَاكِ

ذكرى ولادة ^(٤)

وَدَعِ الصَّبْرَ مُحِبِّ وَدَعَكَ ذَائِعُ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَا إِذْ شِيعَكَ
يَا أَخَا الْبَذْرِ سَنَاءَ وَسَنًا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَمَكَ
إِنْ يَطْلُبُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(١) أى فداك الذى قال لك لست أوجد فيهما فداى بالشرى

(٢) إذا الحوادث تحدث بالطر إلى بمؤخر عينها ، فقل لها حذار (٣) هو أى ذلك الذى تهتم الحوادث أن تنظر إليه شزراً فى ضمان عزم الممدوح العابس فى وجه الحوادث وفى ضمان خلقه الندى أى الدخلى الضاحك عن ثبور الأمانى .

(٤) جاء فى فتلأد العقيان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاجأه ببنه ونواه ، فسايره قليلا وماشاه . وهو يتوهم ألم الفراق حتى غشاه ، فاستعجل الوداع ، وفى كبده ما فيها من الاصداع ، فأمام يومه بحالة المفجوع ، وبات ليلته نافر المحجوع ، يردد الفكر ، ويعدد الذكر . فقال :

وفد عزاً صاحب فجع الطيب هذه الأبيات الأربعة إلى ولادة .

بعد الفرار من السجن^(١)

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة
ويستنهض الأديب أبا بكر للشفاقة ويستنزل أبا الحزم ابن جهور
وكان ابن زيدون مخنفياً بقرطبة . فقال : « وبلغني
أنك أحد اللّاعين لي ، ومن أمثالهم : « ويل للشجى من
الخلّى » ، وهان على الأملس^(٢) ما لاقى الدبر^(٣) وعلمت أن
العاجز من لا يستبد^(٤) ، فالمرء يهجز لا محالة ، ولم أستجز
أن أكون ثالث الأذلين - العير والود^(٥) .

وتذكرت أن الفرار من الظلم ، والهرب مما لا يطاق من
سنن المرسلين ، وقد قال تعالى على لسان موسى : « ففررت
منكم لما خفتكم »

فظهرت في مفارقة الوطن ، فقديماً ضاع الفاضل في
وطنه ، وكسد العلق في معدنه ، كما قال :
أضيق في معشري وكم بلد يكون عود الكباء^(٦) من خطبه
فاستخرت الله في إنفاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت بعض الأمن
إلا أن النى لم يرتفع ، ومادة البنى لم تنقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالْذَّارِ نَأْيٌ وَلَا شَحَطُ وَشَطَطٌ يَمْنُ نَهْوَى الْمَزَارُ وَمَا شَطَوُا^(٧)

(١) جاء في قلأند العقيان :

وله عند مراره ، وخروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متولياً يحاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر
لشفاقة ويستنزل أبا الحزم بن جهور

(٢) الصحيح الطهر . (٣) الذى بظهره قرحه ، أى أن السليم الظاهر لا يحسّ ألم أخيه
المفروح الطهر . (٤) يشير إلى البتين المشهورين :

« ليت هسداً أنجزتنا مائتد وشمت أنفسنا مما تجد
واستندت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يقوم على ضمير يراد به إلا الأذلان عير الحى والود
هذا على الحسب مربوط برمته وذا يشع فلا برئى له أحد

وابن زيدون يعنى أنه جدير ألا يقيم على الدل ، وأن يتخلص من الضيم بكل ما فى وسعه ، ولله در الشنرى
إذ يقول : « ولكن تساهرة لا تقيم بي على الضيم إلا ربنا أنحوّل »

(٦) عود البخور أو ضرب منه (٧) شحطت الدار : تشحط بفتح العين شحطاً وشحوطاً وشطت
تشط بالضم يمدت . يقول : قربت دار من أهوى ، ودنا مزارها . إلا أنه قرب فى غاية البعد لاستعالة اللقاء .

أَحْبَابَنَا أَلَوْتَ بِمَحَادِثِ عَهْدِنَا حَوَادِثُ لَاعَقْدُ عَلَيْنَا وَلَا شَرَطُ^(١)
لَمَعْرُكُمُ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَصَى بِشَتِّ جَمِيعِ الشَّمْلِ مِنَّا لُمُشْتَطُ^(٢)
وَأَمَّا الْكَرَى مُذَلَّمٌ أَزْرَكُمُ فَهَاجِرُهُ زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَالْمَأْمُ فَرَطُ^(٣)
وَمَا شَوْقُ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى إِلَى نُطْفَةٍ زَرْقَاءَ أَضْمَرَهَا وَقَطُ^(٤)
بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَمَا أُدِيرُ الْمُنَى عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْخَرْطُ^(٥)
وَفِي الرَّبِّزِ الْإِنْسِيَّ أَحْوَى كِنَاسُهُ نَوَاحِي ضَمِيرِي لَا الْكَتِيبُ وَلَا السَّقَطُ^(٦)

قال هذه القصيدة عند مراره من السجن واحتمائه بقرطبة ، يخاطب بها ولادة عن كثف وهو لا يمكنه أن يدنو من دارها ، أو يغف لمزارها ، مشقاً أن يقع فريسة في يد من يعدو عليه أو يسطو ، ملازماً مخبأه لا يتحرك ولا يخطو ، جاعلاً الأديب « أبا بكر » عوضاً من أبيه والقرى ، مستطناً من أبي المزم ابن جهور العتي ، شاكياً إليه فرط إصمائه ، إلى عصاة السوء من أعدائه ، راحياً أن يحريه من شيمته ، على سابق عادته ، وأن يختصه بالشفاعة ، بعد طول البث والضراعة ، وأن يسعفنه بطلته ، وتنعس كرتبه فان أي أن يفس عن نفسه ذلك الضمط ، فأمره إلى من يده القضي والبسط .

(١) ألوت : ذهبت ، والعقد أوكد المهود ، والمعى ذهبت بمجديد عهدنا حوادث تجرى صروفها على غير مانهوي وزيد ليس بيننا وبينها عهد بؤكده ، ولا شرط نجدهد (٢) الشت : التفرق ، والجميع : المجتمع ، والشمل : الاجتماع . يقال جمع الله شملك أي ماتشت من أمرك ، وقرق الله شمله أي ما اجتماع من أمره ، ومشتط : أي جأر بها حكمه ونفضي (٣) الكرى : اليوم ، وزيارته غيب : أي يزور يوماً بعد انقطاعه أياماً ، ومسه « زرغاً ، تردد حباً » والالمام مصدر ألم به راره غما ، والفرط :

بفتح فسكون الحين . يقال آتبه في المرط ، أي في الحين بعد الحين
(٤) الجوايح : حنايا الصلوع المطلقة على القلب ، والنطفة : الماء الصافي وتجمع على نطف ، والوقط : حفر في الصخر يجتمع فيها ماء السماء .

(٥) أبرج بأشدّ برحاً وشمه وعذاباً من شوقي ، أدير إلى عنه : أي ما أطال إلى بتركه والانصراف منه من قولهم ، أدار فلاناً عن الأمر إذا طلب منه تركه . قال الشاعر :

يديروني عن سالم وأديرهم وحلدة بين العين والأنف سالم

والفتادة شجرة قصيرة ذات قصبان مجتمعة كل قصب منها ملآن مابين أعلاه وأسفله شوكة كالابر ، وخرط الفتادة اجتذاب شوكة من أعلى إلى أسفل ناهرا اليد مقبوضة على أعضائها ، وفي المثل « من دون ذلك خرط الفتاد » (٦) الربوب : السرب من الظباء أو القطيع من بقر الوحش ، والانسى : مقابل الوحشى أحوى في شفته حرة ضاربة إلى السواد ، والكناس : مستتر من الشجر للظباء كالبيت للانسان والبرستكن : فيه من الحر ، والكثيب الرمل المهدود ، والسقط : مثلث الثفاء الرقيق من الرمل حيث انقطع معظمه

غَرِيبٌ فُنُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاحُ دِرْعُهُ مَتَى ضَاقَ ذَرْعًا بِاللَّيِّ حَازَهُ الْمِرْطُ^(١)
كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ أَهْوَى مُودَّعًا هَوَى خَافِقًا مِنْهُ بِحَيْثُ هَوَى الْقُرْطُ^(٢)
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ فِنْ زَفَرْتِي بِشَكْلٍ وَمِنْ عَبَرْتِي نَقْطُ^(٣)
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتَيَانَ أَنَّ فَتَاهُمْ فَرِيسَةً مَنْ يَعْدُو وَهَزَّةً مَنْ يَسْطُو^(٤)
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّائِ صَافِنُ تَحَوَّنُهُ شَكْلُ وَأَزْرَى بِهِ رِبْطُ^(٥)
وَأَنَّ الْحَسَامَ الْعَضْبَ ثَاوٍ بِحِفْهِ وَمَا ذَمُّ مِنْ غَزِيْنِهِ قَدْ وَلَا قَطُ^(٦)

* *

عَلَيْكَ (أَبَا بَكْرٍ) بَكَرْتُ بِهِمَّةً لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُ^(٧)
أَبِي بَعْدَ مَا هِيلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي وَرَهْطِي فَذَا حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ^(٨)
لَكَ النِّعْمَةُ الْخَضِرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا عَلَى وَلَا جَحْدُ لَدَيَّ وَلَا غَمْطُ^(٩)

(١) الدرع : القميص ، والمرط : كساء من خز ونحوه يؤتز به ، والقميص يحوز التهدين والحصر ، والمرط : يحوز الردف ، والردف ثقيل ، والحصر نحيل (٢) أهوى مال إليه حانياً يظهره في حال توديعه ، وهوى القمط ، وهو ما يملأ في شحمة الأذن ، سقط متديلاً بهوى بؤاده معه خافقاً (٣) أسكل سطره من أشكل عليه الأمر احتلط ولم يبن ، والشكل والنقط تمييد الكتاب بحركات الأعراب ، وإعجابه ليظهر معناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوجد أوضحته له بما أصعبه من زفرات ، واسمعه من عبرات (٤) الفتيان يريد بهم فتيا قرطبة ، والتهزة : الصيد المعرض لمن يسطو عليه ويقنصه (٥) الشاؤ : الناية ، والصافن : الذي يقوم على ثلاث ويبنى سنبك يده الرابع تحوئه وتحوفه ، ونقصه ، ومنه قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » ، وشاهد تحوئه بمعنى تنقصه بول ليد : عداوة تقمص بالرداء تحونها نزولاً وارتحالاً أي تنقص لهما وشعبهما (٦) الحسام المصب : السيف القاطع ، وثاومقيم : وشكل الدابة : شدقوا ثمها بجبل ، وأررى به : أهانه وحقره (٧) الحسام المصب : السيف القاطع ، وثاومقيم : يشكها بكرت بها عليك وتقوت لك قديماً ، وإن نالها الآن انحطاط بعد علو .

(٨) أنت أبي بعد فقد أتى وأنت وحدك رهطى حين لم يبق لي رهط . (٩) غمط الهمة غمطاً لم يشكرها أي لك عدى الهمة الخضراء التي تغطي ، والتي مارأت أشكرها ولا أنكرها وأكبرها ولا أحقرها

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَتَّقِبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي فَيَنْتَهَبِ الظَّلْمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ^(١)
وَلَا أَلْفَتْ أَيْدِي الرَّيِّعِ بَدَائِعِي فِنْ خَاطِرِي نَظْمٌ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ^(٢)
هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُّ بِمَقَرِّي وَكَأَنَّ لِشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَبِدِي وَخَطُ^(٣)
وَطَاوَلَ سُوءَ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ مِنَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ طَاوَلَهَا الْقَحْطُ^(٤)
مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ حَمْسٌ قَطَعْتَهَا أَسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدُّ وَلَا قَطُ^(٥)
أَتَتْ بِي كَمَا مَيَّصَ الْإِنَاءُ مِنَ الْأَذَى وَأَذْهَبَ مَا بِالثُّوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ^(٦)
أَتَذْنُو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعْشَرِ وَغَايَتِي السَّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْخَمْطُ^(٧)

(١) لم تتق: أي لولاك لم تطهرنار، قريحى الشبهة بالزناد فى الايراء، وينتبه الظلماء بأذى عليها وبلاشها، والسقط: مثل الماء ساكن العين ما سقط من البار بين الرّدين. يقول: لولاك لم تذق قريحى فيطهر عند اقتداحها نار تنتهب الظلماء. (٢) النظم: نظم الحبّ والى السك، واللقط: النفاطه - أي ولولاك (أبا بكر) ما ألفت بدائى يسد الرّيع، فهو يلقط من عاسن الزهر ما أنظمه فى سك الحاطر. (٣) الوحط: نشو الشيب، واختلاط بياضه بسواد الرأس، والمرق: وسط الرأس، وهو موضع مرق الشعر من الجبين إلى الدائرة، والمعنى لم أشب شيب الكبرة، ولكن شبت شيب الهرم. (٤) يقول أن مطاوله سوء الحال نفسه ذكرته بحال الروضة الغناء طال عليها أمد القحط. (٥) القبط: هاقط الأسير، وهو أن يجمع بين يديه ورجليه بحبل أو نحوه، والمعنى أنه قطع حمائه يوم قرطه أسيراً، ولكن بلا قيد ولا غلّ لأنه كان مخفياً بمواريا عن الأنظار. (٦) اللوس: العسل، وميىص الثوب: غسل بالأصابع، ومسقط الثوب: به ثم تحريكه لاستخراج مائه والدرن: الوسخ، والمعنى حادّ بن أيام الخوف والاعتقال عند نهايتها بمسؤول الدنب كما غسل الأناء من الأذى، والثوب من الدرن. (٧) السدر: السقى، والخمط: كل نبت أخذ من المرارة طعماً فلم يمكن أكله - يشير بهذا إلى قصة الجنيتين فى قوله تعالى - فأرسلنا عليهن سيل العرم وبدلناهم بجنّتهم جنّتين فواتى أكل حمط وأتل وشى، من سدر قليل - ووصف السدر بالقة لكونه أحسن شىء، فيما بدلوا، والعرم بفتح دكسر، والسكر: بكسر سكون، والمسناء: بضم ففتح فتشديد النون كلها - كما يؤخذ من اللسان والكشاف - أسماء للسدر يبنى لحبس ماء العيون والأمطار ويترك فيه فتحات توسع عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه فى سقيهم، وقد ورد ذكر المساء فى بعض قصائد الديوان. يمثل فى هذا البيت حاله بحال سبأ إذ أعرضوا عن الشكر، يُغرب الله جنّتهم بسيل العرم وأبدلها عنها الخمط، والأثل والتليل من السدر، ومعنى البيت: أيموز غيرى بالنعيم ولا أكاد أظفر بالتائه الحفير.

وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تُعَرِّفَنِي الْمُنَى وَلِلْغَرِّ فِي الْعُشْوَاءِ مِنْ ظَنِّهِ خَبْطٌ^(١)
أَمَّا وَأَرْتَنِي النِّجْمَ مَوْطِيَّ أَخْصِي لَقَدْ أَوْطَأْتُ خَدِّي لِأَخْصِ مِنْ يَخْطُو^(٢)
وَمُسْتَبْطِلُ الْعُتْبَى إِذَا قُلْتَ قَدْ أَنَى رِصَانُهُ تَمَادَى الْعُتْبُ وَأَتَصَلَ السُّخْطُ^(٣)
وَمَا زَالَ يُذْنِبُنِي وَيُذْنِي قَبُولُهُ هَوَى سَرَفٍ مِنْهُ وَصَاحِيَةٌ فَرَطُ^(٤)
وَنَظْمُ ثَنَاءٍ فِي نِظَامٍ وَلِيَايَةٍ تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِآلِئِهِ وَسَطُ^(٥)
عَلَى خَضِرِهَا مِنْهُ وَشَاحٌ مُفْصَلٌ وَفِي رَأْسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِنَطُ^(٦)
عَدَا سَمْعُهُ عَنِّي وَأَصْنَعِي إِلَى عِدِّي لَهُمْ فِي أُدْبِي كُلَّمَا اسْتَمَكْنُوا عَطُ^(٧)
بَلَعْتُ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَقَلُّوهُمْ مَكَانٍ أَضْغَانٍ أَسَاوِدُهَا رُقُطُ^(٨)

(١) الرّ: الذي لم يحرب الأمور ، وفي النّسل : « هو يحبط خط عشواء » يضرب لدى بركب رأسه ، ولا يهتم لما يقبّه أمره ، كاللادة العشواء التي تحبط بيديها كل ما مرّت به لدوء بصرها ، والعشواء : هما ظلمة الليل لا الباه ، يريد أن ظلمه حمله على الاعتقاد بالملئ ، نخط لمرارته في عشواء من طامه أي في طلمة ولبس . (٢) أما حرف للاستفتاح بمعنى ألا ، ولتحقيق الكلام الذي يتلوه بمعنى حقا ، والأخصى باطن القدم الذي لا يلدق بالأرض عند الوطء . يقول : حقا أقد أوطأت حدى لسكلٍ واطيٌّ في حال أنها أرتني فيما مضى النجم موطيَّ أخصى (٣) العتبي: الرصا ، والعتب : السخط ، ورواية : « قد أنى » (٤) صاعية الرجل من يلمّ به ويمشي مجلسه من أهله وحاشيته ، وفرط يريد بهذا أنهم يفرطون عليه في القول أي يسهفون ، والمعنى وما زال يقربى منه هوى متجاوز حد الاعتدال ويسعد قبوله حاشية مسرفة في القول . وقد جرى في هذا البيت على أسلوب اللب والذنر المرتب ، فهو يرى أن مدحوه مسرف في هواه فهو يذنبه لذلك وإن حاسديه مسرفون في الوشاية به فهو يشبهه لما يسمعه من وشايتهم المتكررة (٥) أي وما زال يقربى منه نظم ثناء أحبه ونظام ولاية كأنه المقد التمس نخلت به الدنيا كل أولؤة منه جذيرة أن تكون واسطة المقد لنفساتها .

(٦) أي على حصر الولاية من نظمه وشاح مفصل ، وفي رأسها تاج مرصع ، وفي جيدها سبط من لؤلؤ (٧) الأديم : الجلد ، والمطّ : شق الثوب طولا أو عرسا من غير إبانة ، والمعنى صرف ابن جهور سماعه عني وأصمى إلى أعداء كلما تمكنوا من عرضي قدوه كما يتد الأديم وشقوقه كما يشق الثوب .

(٨) المدى : الباية ، والأسمان : الأحقاد ، والأساود ، الحيات ، والرقط : جمع رقطاء ، وهي التي في لونها سواد وبياض ، والمعنى بلغت الباية التي قصروا عنها فكمن في قلوبهم من الأحقاد ما شبه الحيات الرقط التي تنفث السموم القاتلة .

يُؤْلُونِي عُرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلَى وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالنَّمْطُ^(١)
 وَقَدْ وَسَمُونِي بِأَلْتِي لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يُنْفِ أَمْتَالِي بِأَمْتَالِهَا قَطْ^(٢)
 فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبِطُ^(٣)
 وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تَعُودَ كَبْدُهَا لِي الشَّيْمَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْخُلُقُ السَّبْطُ^(٤)
 وَحِلْمُ أَمْرِي تَعْفُو الذُّنُوبَ لِعَفْوِهِ وَتُنْحَى الْخَطَايَا مِثْلَ مَا يُحَى الْخَطُ^(٥)
 فَمَا لَكَ لَا تَحْتَضُّنِي بِشَفَاعَةٍ يَلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِمِسْمِهَا عِلْطُ^(٦)
 يَنِي بِذَسِيمِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ نَفْحَهَا إِذَا شَعَشَعَ الْمِسْكُ الْأَحْمَ بِهِ خَلْطُ^(٧)
 فَإِنْ يُسَمِّفِ الْمَوْلَى فَنُعْمَى هَنِيئَةً تُنْفَسُ عَنْ نَفْسٍ أَلْطُ بِهَا ضَغْطُ^(٨)
 وَإِنْ يَأْبَ إِلَّا فَبُضَ مَسْطُوطٍ فَضْلِهِ فَنِي يَدِ مَوْلَى فَوْقَهُ الْقَبْضُ وَالْمَسْطُ^(٩)

(١) وفي رواية: النمط والمعنى يغفلوني أسهل منهم ناحية الكراهة والدمس ، وليس منهم أبد الدهر (إلا العاسة) من نفس عليه بالشيء حس به وكره أن يصل إليه ، و (النمط) : من غط الرجل بسطه غطا من باب ضرب حسده ، ومن معانيه أيضا حتى الوصول إلى نعمة فترك من غير أن تروى عنه .
 (٢) أي جعلوني معروفا بالسمعة والسمعة المعية التي لست متأهلا لها ، والتي ما مني أي ابتلي بها أمثالي فيما مضى .
 (٣) إرابة : سبب في الريبة والشك والاثام ، والمعنى فررت من السجن ، فان دلوا إن في الفرار ما يعلى منهما ، وقد فرّ موسى من القبط حين اتّروا به وهموا بقتله يشير إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « ومرت منكم لما خفتكم »

(٤) السبط : السهل . (٥) اللبيم : المسكواة بوسمها البعير ، والعلط : الوسم عرسا في العرق يقول : لماذا لا أرضى عى وتنجى شفاعتك لأتلب بها على دهرى وأدله وأدمه في دماء دمعته بيته الأثر بغط أو خطين أو خطوط . (٦) العنبر : الطيب المعروف ولونه أسود ، ويطلق العنبر أيضا على الزعفران ، وهو المراد هنا ، والورد حمرة تضرب إلى صفرة حسنة ، وشعشع : مزج ، والأحم : الأسود من كل شيء ، أي بنى نوح هذه الشفاعة برائحة الزعفران الورد إذا مزج بالمسك الأسود .

(٧) نفس : ترج ، وألط بها - وفي رواية : ألت بها - لانها . قال أبو العلاء :

ألطوا نافعهم وتابوه ولو أمروا به لتحبوه

أي لازم الناس القبيح عاداً منهم حين نهام الله عنه ولو أمرهم به لدفعهم عنادهم إلى تنكبه، ضغط : أي ضيق

في مدينة بطليوس (١)

يَا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصُوبَا (٢)
وَيَا فُؤَادِي أَنْ تَذُوبَا

إِذِ الرِّزَايَا أَصْبَحَتْ ضُرُوبَا (٣)

لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرِيْبَا (٤)

قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَا نُدُوبَا (٥)

فِي الْغَرْبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيْبَا

عَلِيلَ دَهْرٍ سَأْنِي تَعْذِيْبَا (٦)

أَذَنْ (٧) الضَّنَى إِذْ أَبْعَدَ الطَّيِّبَا (٨)

✽ ✽

لَيْتَ الْقَبُولَ (٩) أَحَدَنْتَ هُجُوبَا

رِيحُ يَرْوُحُ عَهْدَهَا قَرِيْبَا (١٠)

بِالْأَفْقِ الْمُهْدَى إِلَيْنَا طِيْبَا (١١)

(١) مدنته كبيرة من مدن الأندلس تقع غربي قرطبة. وهذه الأرحورة تذكرنا بالأرحورة المشهورة : « دع المطايا تسم الجنوبا » الح (٢) اسك يا دمي ما شئت أن تنسك ، والأصل في الصوب نزول المطر ، والفعل صاب يصوب والأمر صب . قالوا : وكلّ نازل من علو إلى أسفل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أصنافا . وفي رواية : إن الرزايا (٤) نظيراً أو مثيلاً . قول : اسك يادمع فقد صبت عليك ألوان من المصائب والآلام لم تصب على أحد من المرزئين . (٥) آثار الحروب إذا لم ترتفع عن الجلاء ، ومنه قول الفرزدق : ومكبل ترك الحديد بسافه ندبا من الرسفان في الأحجال

(٦) أمرضني دهر قد حشمتي دلّ الاغتراب وسامى سوء العذاب . (٧) وفي روايه: أهني الضى (٨) قرب الدهر مني السقام في وقت أبعد فيه عني الطبيب . (٩) ما يستقبلك بين يديك من الريح إذا وقتت في القبلة . (١٠) أي يكون رواح ما تحمله الريح من المطر قريبا ، والعهد هنا معناه المطر الأول الذي يليه الوسمي . (١١) أي متصلا بالأفق الذي طالما أهدى إلينا من ناحية الحبيب طيبا .

تَعَطَّرْتُ مِنْهُ الصَّبَا جُيُوبًا

يُيَرِّدُ حَرَّ الْكَدِّ الْمَشْبُوبًا^(١)

* *

يَا مُتَبِعَا إِنْ سَادَهُ^(٢) التَّأْوِيَا

مُشْرِقًا وَنَ سَمِّمَ التَّقْرِيبَا

أَمَّا سَمِعْتَ الْمَثَلَ الْمَضْرُوبَا

أَرْسَلَ حَكِيمًا^(٣) وَأُسْتَشِيرَ لَيْبَا

* *

إِذَا أَتَيْتَ الْوَطْنَ الْحَبِيبَا

وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْضَحَ^(٤) الْعَجِيبَا

وَالْحَاضِرَ^(٥) الْمُنْفَسِحَ الرَّحِيبَا

فَحَيَّ^(٦) مِنْهُ مَا أَرَى الْجَنُوبَا

(١) بطى ذلك الطيب الذى تعطرت منه جيوب الصبا كبدًا مشبوه فيها بيران الشوق. وفى الأصل «المشوب»

(٢) الا ساد سبر الابل كله لانعريس فيه ، والتأويب : سير النهار كله لانعرج فيه .

(٣) وفى رواية : أرسل حلما .

(٤) المبحوث عنه أو الذى يستوضحه الراكب أى يستشرفه ويستكشفه بأن يضع كفه على عينيه فى الشمس

لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : ضد البادى . (٦) مرتبط بالأبيات قبله . يقول : أيها

المواصل سير الليل كله بغير النهار كله مشرقا قد ملّ السير إلى الجانب الغربى أنى مرسلك فى حاجة ،

ومتبع المثل المشهور :

إذا كنت فى حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى فشاور ليلا ولا تعصه

ذلك أنك إذا أتيت ذلك الوطن المحبوب ، والجانب المأهول والحاضرة الفسيحة ففى مما قد ترى الجنوب

حيث يقيم الحبيب ، وقوله : ما رأى جملة معترضة وحدث هكذا وحرر .

مَصَانِعُ ^(١) تَجْتَدِبُ ^(٢) الْقُلُوبَا
 حَيْثُ أَلْفَتْ الرَّشَّاءُ الرَّيْبَا ^(٣)
 مُحَالَفَا ^(٤) فِي وَضْلِهِ الرَّقِيْبَا
 كَمْ بَاتَ يَذْرَى ^(٥) لَيْلُهُ الْغَرِيْبَا
 لَمَّا انْتَنَى فِي سُكْرِهِ قَضِيْبَا
 نَشَدُو ^(٦) حَمَامَ حَلِيهِ تَطْرِيبَا
 أَرْسَفَ مِنْهُ الْمُبْسِمَ الشَّدِيْبَا ^(٧)
 حَتَّى إِذَا مَا أُعْتِنَ لِي مُرِيْبَا ^(٨)
 سَبَابُ أَفْقِي هَمَّ أَنْ يَشِيْبَا
 بَادَرْتُ سَعِيَا ، هَلْ رَأَيْتَ الدُّيْبَا ؟ ^(٩)

(١) دير وأبنية وقصور . قال ليد :

بلينا وما تلى السحوم الطوالع وتقى الديار بمدنا والمصانع

(٢) تجذب . (٣) الرّساء : الضئى إذا قوى وتحرك وشئ مع أمه ، والرّيب : المرئى من قولهم

صئى مرئى ورب . وفى رواية : الدّيبا

(٤) من المحالفة بمعنى عدم الموامة أو من قولهم جاء فلان خلاف صاحبه ومحالفته إذا أتى بعده مخالفاً له .

(٥) يدرى يختمل من قولهم دريت الذئب أى احتلت له وختلت حتى أصيده ، والعريب : الشديد السواد

ومعنى الأبيات تلك دور ومصانع تجذب القلوب إليها ألف فيها الرساء المترن في حجر النعمة محالفا أى أتيا في غفلة الرقيب ، فكثيراً ما بات يختمل ليله الشديد السواد ليصيب منه غرّة ويختلس منه غفله .

(٦) نعى ، استعار شدو الحمام لوسوسة الحلى (٧) أرسف : كأنهر وأضرب مصارع رشف

الماء والريق ونحوهما رشفاً ، وهو المسّ والتقييل وعرب الماء قليلا قليلا ، والمبسم ، المقبل ، والشئب : صفته مأخوذ من الشب وهو برد وعذوبة في الأسنان . قل ذو الرمة :

لمياء في شفتها حوة لسى وفى اللثات وفى أنيابها شئب

(٨) اعتن : اعترض ، ومريبا : ذاريب . (٩) يقول فى هذا البيت والأبيات قبله : بتّ ناعما

ليلقى بالعناق والتقييل حتى إذا اعترضنى مارابى من سواد أفقى وشك أن يفصحه ضوء الصبح بادرت الطريق أسمى ، هل رأيت الذئب ، يريد : هل رأيت الذئب في خفته وسرعة عدوه وفراره ويعنى : أنه قد فرّار الذئب .

هَصَرْتُهُ ^(١) خُلُوَ الْجَنَى رَطِييَا

* *

أَهَاجِرِي أُمُّ مُوسَى تَانِيَا
مَنْ لَمْ أَسِغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبَا ^(٢)
مَا صَرَّهُ لَوْ قَالَ لَا تَثْرِيَا ^(٣)
وَلَا مَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا
فَذَ طَالَ مَا تَجَرَّمُ الذُّنُوبَا ^(٤)
وَلَمْ يَدْعُ فِي الْمُنْذِرِ لِي نَصِيَا

* *

إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ بِأَنْ أُوْبَا ^(٥)
لَمْ آلُ أَنْ أَسْتَرْضِيَ الْغَضُوبَا
حَسْبِي أَنْ أُحَرِّمَ الْمَغِيْبَا
قَدْ يَنْفَعُ الْمُذْنِبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصل ساعة

بِاللَّهِ خُذْ مِنْ حَيَاتِي يَوْمَنَا وَصَلْنِي سَاعَةً
كَيْمَا أَتَالَ بِقَرَضٍ مَا لَمْ أَتَلْ بِشَفَاعَةٍ

(١) أملتني إلى وعظمتني على وهو جواب لما .

(٢) هل هذا الحبيب الذي غصمت بفراقه ولم أحد بعمه مساعا لاشراب إلى حلقى هاجرى أو موسى

لوما وتثريا . (٣) أى ضرر عليه إذا هو قل العذر وبى الملام والعتاب .

(٤) كثيراً ما ادعى على ذنوبها لم أفعلها (٥) يقوله في هذا البيت والذي بعده : إن قرَّت العين

بالروح إلى الوطن بذات جهدى في استردائه ، وكفانى أن أحرّم على نفسى ترك هذا الوطن وأتوب

فقد تنفع توبة المذنب .

في عيد الأضحى^(١)

« لما حلّ ابن زيدون من المعتضد بالمكان الذي حلّ ، وانتكث
عقد شدائده وانحلّ ، تسلت نفسه من شجونها ، وحتت إلى صفا
« ولادة » وحجونها ، وتذكرها وما تناساها ، وعادته لوعتها
وأساها ، وحنّ إليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهي ، وقنع
باهداء تحية تبلغ إليها وتنتهي . فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد^(٢) : »

أَمَّا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مُعَرَّفُ لَنَا هَلْ لِدَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْعِ مَوْقِفُ^(٣)
فَنَقَضِي أَوْطَارَ الْمُنَى مِنْ زِيَارَةِ لَنَا كَلَفُ مِنْهَا بِمَا تَسْكَفُ^(٤)
ضَمَانُ عَلَيْنَا أَنْ تَزَارَ وَدُونَهَا رِقَاقُ الظُّبَا وَالسَّمْهَرِيِّ الْمُثَقَّفِ^(٥)
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْذُونَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْحَقْدِ أَكْلَفُ^(٦)
غِيَارِي يُعْشِدُونَ الْغَرَامَ جَرِيرَةً بِهَا وَالْهُوَى ظُلْمًا يَغِيظُ وَيُؤْسِفُ^(٧)

(١) هو أضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتضد ، وقد ذكر طرفاً منها ابن إسام في الدحيرة ، وقد بعث أبياتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب فلائد العقيان في ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأخباره ، وفقره وأشعاره . (٢) فلائد العقيان .
(٣) أما استفهام فيه معنى التوبيخ ، والعرف : الرخ الطيب ، والجزع : منطف الوادي ، ولوقف : السوار - من الملاح وغيره - قال حران البود الخيري :

كوف العاج من ذكي مسك تحي به من العين الدحار

أو هو الخلخال من العسة وغيرها . والمضى : لب لنا في هبوب النسيم طيب رائحة يعرفنا هل المحوبة واقفة بمكان وقوفها من منطف الوادي فنقضى الخ . وفي رواية : يعرف .

(٤) المضى : هل لها وقفه بالمضى فمضى حاجت النفس من زيارة لما ولع بما تجشمه من مشقة التعرض لها .
(٥) الظبا : جمع ظبية ، وهي حد السيف ، والسهمري : الرمح ، والمثقف : المسوى بالثقاف ، وهي خشة فيها خرق توضع فيه الرماح لتسوية ما اعوج منها ، أى نحن ضامون على أنفسنا أن نزار ، ودون زيارتها ظا السيوف الرقيقة ، وأسنة الرماح الصلبة ، وفي بعض النسخ عزيز علينا أن نزار .

(٦) أى ودون الوصول إليها أمماً قوم معادون يظهر ما يغفونه من العداوة والشر على وحوهم - م ، والفرق للمضى من تلك الوجوه أكلف أى به كلف وسواد من ظلمة الحقد .

(٧) غياري وغياري - بهج العين وضماها - كسكارى وسكارى جمع غيران من غار الرجل على امرأته يمار غيرة ، والجريرة : الذنب والجناية يجنيها الرجل على نفسه أو يجرها على غيره ، وؤسف : كيفضب وزناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا منهم » .

يَوْدُونَ لَوْ يَدْنِي الْوَعِيدُ زَمَاعِنَا وَهَيْهَاتَ رِيحِ الشَّوْقِ مِنْ ذَاكَ أَغْصَفُ^(١)
يَسِيرُهُ لَدَى الْمُشْتَاكِ فِي جَانِبِ الْهَوَى نَوَى غُرْبَةً أَوْ مَجْهَلٌ مُتَعَسِّفُ^(٢)
هَلِ الرَّوْعُ إِلَّا غَمَزَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي أَمِ الْهَوَلُ إِلَّا غَمَّةٌ ثُمَّ تُكْشَفُ^(٣)
وَفِي السَّيَرَاءِ الرَّقْمُ وَسَطًا قِيَابِهِمْ بَعِيدُ مَنَاطِ الْقُرْطِ أَحْوَرُ أَوْ طَفُ^(٤)
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَعَبَلٌ مُنْعَمٌ تَأَوَّدَ فِي أَعْلَاهُ لَدُنْهُ مُهْفَهَفُ^(٥)
فَلِلْعَالَمِ الْكَرِيمِ مَا حَازَ مِثْرُ وَلِلْغُصْنِ الْمُهْتَزِّ مَا ضَمَّ مِطْرُ^(٦)
حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ نُسَرَّ بِوَصْلِهِ إِذَا مَحْنُ زُرْنَاهُ وَنَهْنَاهُ وَنُسَعُفُ
وَلَيْلَةٌ وَافَيْنَا الْكَثِيبَ لِمُرْعِدِ سُرَى الْأَيْنِ لَمْ يَعْلَمْ لِمَسْرَاهُ مَرْحَفُ^(٧)

(١) الوعيد : التهديد والتخويف ، والرمال : مالفج المضي في أمر الريارة والعزم عليه ، وأغصف : تفصيل من عصفت الريح تعصف بالكسر ، وهي عاصف أى شديدة تعصف بما صرت عليه من تراب ونحوه ، أى يودون لو يصرفا تهديدهم عما أرمضاه من أمر ريابة تلك الحساء التي هارون عليها ، وهيهات أن يصرنا عن ذلك صارف ، فإن ريح الشوق أشد مصيبا بنا من ناحيتهم . من تهديدهم . ووعيدهم .

(٢) يقول يسير علينا في جانب الهوى الاغتراب وانحساف المحافل .

(٣) الروع : الخوف ، والغمرة : الشدة .

(٤) السرياء : كسر ففتح نوع من البرود يحلظه حرر كالسبور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أى كتب عليه ثمة ، أو اسم الناحر ، ومناط القرط مملعة ، وأحور : وصف من حور العين . وهو شدة سواد المقلة في شدة بياضها ، وأوطف : طويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطب ، والمعنى أن حبسه التي تلس تلك الحلة السرياء الثمينة تقيم وسط قبال الأعداء وهي بعيدة مبهوى القرط أى طولة العنق ، في عيضا حور ، وفي أهدابها وطف . (٥) عبل : أى ردف متخذه تام ، وهنعم : من السمة والراحة ، وعدم الامتنان في محل البيت لتوفر الخدم ، ويلزم ذلك العبالاة والامتلاء ، وتأود : تلى ، ولدن أى غصن لين ، ومهفهم أى خسر دقيق نازل ، يقول : تبايت خلقه أسفله وأعلاه ، ردف تبايل وخسر تخيل .

(٦) العالمك : من الرمال ما تمعد وارتفع ، وفي الأصل : العالمك . والمثزر : معروف وهو ما يشد على الوسط ، والمطرّف - وهي مثلة للم - من ثياب الخز ما جعل في طرفيه علان ، ويجمع على مطارف ، أى فلاكيب للرياح ما حواه المثزر ، وللاصن للمهتر ما سمى المطرف . (٧) وافينا الكتيب : أى توافينا على موهدي الكتيب ، والبرى : السير بالليل ، والأين : الأعياء والتعب ، والمزحف الغاية وهو من الزحف وهو المضي قليلا قليلا ، أو المراد به هنا أثر اللشى . وهو مزحف الحية ، وهو أثر انسياها في الرمل قال الشاعر :
كان مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السباط

تَهَادَى أَنَاةَ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا كَمَا رِبْعٌ يَعْفُورُ الْفَلَا الْمُتَشَوِّفُ^(١)
فَمَا الشَّمْسُ رَقَّ الْغَيْمُ دُونَ إِيَّاهَا سَوَى مَا أَرَى ذَاكَ الْجَيْنِ الْمُنْصَفِ^(٢)
فَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ نُورُكَ وَاضِحٌ وَعِطْرُكَ نَحَامٌ وَحَلِيمُكَ مُرَجِفُ^(٣)
هَيْبِكَ أُعْتَرَزْتَ الْحَىِّ وَاشِيكَ هَاجِعُ وَفَرْعُكَ غَرِيبُ وَيَلَمَّاكَ أَغْضِفُ^(٤)
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهُوْلَ خَطْوُكَ مُدْمَجُ وَرِدْفُكَ رَجْرَاجُ وَخَصْرُكَ مُخْطَفُ^(٥)
لَجَاجُ ، تَمَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعَشْرِ الْعِدَا وَأُمُّ الْهُوَى الْأَفْقُ الَّذِي فِيهِ نَشْنَفُ^(٦)
وَأَنْ تَتَلَقَّى السَّخْطَ - عَائِنَ - بِالرَّضَى لَغَيْرَانِ أَجْنَى مَا يُرَى حِينَ يَلْطَفُ^(٧)
كَفَاً مِنَ الْوَصْلِ التَّجِيَّةِ خُلُوسَةً فَيَوْمِي طَرَفُ أَوْ بَنَانُ مُطَرَفُ^(٨)

(١) تهادى أصله تهادى أى تشبى فى تمال وسكون ، وأناة الخطو : متثددة الخطو وصفها بالمصدر ، وهو الانابه بمعنى اللؤذء المبالاة ، ومرتاعة الحشا : متفرعة القلب ، وربع : فزع واحب ، واليعفور : الذي والمتشوف : المنطلع . وفى بعض النسخ المتسرف ، وهو الذى يرفع رأسه ويتدأصره لينظر إلى السى .

(٢) إِبَاة الشمس - بالكسر والفتح - حسننها وسوءها ، وادة هى الشمس أدا ، قال أبو العلاء :

وبعض العالم من بعده لولا إياه لم يكن سحت

أى لولا اللدس لما ن العدر ، والمصنف : الذى عليه النصف وهو الحجاز ، أى لست الشمس يستقر العيم الرقيق حسننها وسوءها إلا ما أراه ذلك الحين من حسن يبدو من خلال النصف .

(٣) وفى بعض الروايات : قعيدك وهو مصدر منصوب لسابته عن الفعل والتقدير سألت الله حفرك من

قوله تعالى « عن الجن وعن السماء قعبد » أى حفيظ ، والمتعمل قعيدك الله مثل عمرك الله ، وهو

مصدر منصوب أيضاً ناب عن الفعل تقديره عمرك الله بالانشديد ، ومعناه هما : ملازمك ، ومرحب : من

أرحب إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرحف دالبناء للمجهول فهو مرحف ، وفى بعض النسخ

بدل قعيدك قعيدك . (٤) هيك : يقال هيك فعلت ، وهيك فعلت كذا ، ولا يقال هب أنك

فعلت ، ولا هب أنك فعلت ، والمعنى احسبى واعددى ، واعتزرت الحى : حشته وحزنت به على غير علم ،

وفردك غريب : شعرك شديد السواد ، وأغضف حالك السواد ، يقال ليل أغضف إذا ألبس ظلامه .

(٥) مدمج : داخل بعينه فى بعض ، ومخطف : ضامر يقال فرس مخطف الحشا : أى ضامره .

(٦) نشنف : تهمض ، والمعنى أسرى لجاج فقد تمادى فى حب من أهواه بين المعشر العدا ، وقصد الهوى :

المكان الذى فيه أمقت وأبغض . (٧) المعنى ولجاج أيضاً أن تتحمل السخط ، وقد عناننا ردا صاحب

غيرة يشتد جفاؤه وغلظته ، حين يظن لطفه ورقته (٨) البنان : المطرف الذى طرف بالحناء .

خَلِيلِي مَهْلًا لَا تَلُومًا فَإِنِّي
فَأَعْنَفُ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ لِحَاجَةٍ
وَإِنِّي لَيْسَتْهُوَ بِنِي الْبَرْقُ صَبُوءَةٌ
وَمَا وَلَعِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوْهَمٌ
وَتَذَكُّرِي الْعِقْدَ الْمُرْنَ مُجَانَةً
فَمَاقِلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَذَرِ هَوْدَجٌ
وَلَا قَبْلَ «عَبَّادٍ» حَوَى الْبُخْرَ مَجْلِسٌ
فَوَادِي أَلَيْفِ الْبَثِّ وَالْجِسْمِ مُذْنَفٌ
عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُبِّ حِينَ يُعْنَفُ
إِلَى بَرْقٍ مُغَرٍّ إِنْ بَدَا كَادٌ يَخْطَفُ
لِظَلَمٍ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ يُتَرَشَّفُ^(١)
مُرْنَاتُ وَرَقٍ فِي ذُرَا الْأَيْكِ تَهْتِفُ^(٢)
وَلَا صَانَ رَيْمَ الْقَفْرِ خِذْرٌ مُسَجَّفُ^(٣)
وَلَا تَحَلَّ الطَّوْدَ الْمُعْظَمَ رَفْرَفُ^(٤)

(١) اظلم به : أى بانشر في البت قبله . قال في اللسان ، والظلم : الماء الذى يحرق ويظهر على اللسان من صماء ، اللون لا من الريق كما نرى عند حق يتحول لك منه سواد من شدة البرق والصفاء ، قال كعب بن زهير :
تخلو غوارب دى ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول
لو يترشم : لو هنا لادى ، وفي بعض النسخ إد يترشم ، والترشم : من الماء قليلا قليلا ، قال ابن بسلام :
« أراه بت أى الطب : وما شرق بالماء إلا تذكره الماء به أهل الحبيب نزول
(٢) المرن : اسم فاعل من الأرنك ، وهو الصوت الحزين ، والجنان : حب يتخذ من صغار الأولاد ، أو من العسة أمثال الأولاد ، ولورق : جمع ورقاء وهي الجملة التي لونها بين السواد والغبيرة وهي ما تسمى في عرف أهل مصر دليمة ، وفي مثل هذا يقول الشاعر المحسن حران العود النجدي :
..... ثم حاجي حاتم ورق بالمدينة هب

والأيك : جمع أيبكة ، وهي الشجر الكثير للصف ، وتهتف : تنوح . (٣) الهودج : ما ترك فيه المرأة يكون مقبلا وغير مقبب ، وفي بعض النسخ بدل صا ضم ، والريم : الطي الخالص البياض ، والخدر المسحب : ما على كل مدخل أو نافذة من بوافده سبحانه أى ستران بينهما مشقوق كالصراعين .
(٤) (ولا قل عاد) هو للمصنف بالله أبو عمر عاد بن الظاهر المؤيد بالله أبى القاسم محمد بن إسماعيل قاضي اشيلية ينهى سبه إلى العممان بن المدر آخر ملوك المايمة ، وهو صاحب قرطبة وأسييلية وما والاها من جزيرة الأندلس ، ولى الملك بعد وفاة أبه الظاهر محمد بن إسماعيل القاسم سنة ٤٣٣ هـ وكان هو وابنه المعتمد أوسع ملوك الطوائف ملكا ، وأشداهم بأسا ، وأكثرهم عبدا وعددا ، وكان المعتضد فيما ذكره ابن بسلام صاحب الدخيرة قطب رضى الفتن ، ومنتهى غاية المحبة في بلاد الأندلس ، وإلى سياسته يعزى السب في تلك الحروب الطاحنة التي نشبت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بعض فيها بالعدو الذى انتهز فرصة ضعفهم ، ونهق كلهم فعمل على إزالة ملكهم ، وإخراج المسلمين من بلادهم - والررف - الفرش والبسط ، وكل ما أعد للجلوس ، وفي التذييل العزيز « متكئين على رفر فرخ » وهو جمع رفر فره وره فرج جمع الجمع . قال ابن بسلام : وهذا البيت للفسطي بجملة حيث يقول في ابن أبى عامر :
وكيف أسوى بالبر والبحر مجلس وقام بعبد الراسيات سرر

هُوَ الْمَلِكُ الْجَمْدُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ تَكْفُ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتُصَرَّفُ^(١)
مُهَامُ يَرِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلُهُ مَلِيكَ قَقِيهِ كَاتِبُ مُتَفَلْسِفُ
يَتِيهِ بِمِرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمِنْ بَرٍّ وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامُ وَمُصْحَفُ
رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِدِّ لِحْظَةُ وَتَوْفِيْقُهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَخْرَفُ^(٢)
يَذِلُّ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيهِ وَيَعْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلَجُ الْمُتَعَطِّفُ^(٣)
حِذَارَكَ - إِذْ تَبَغَّى عَلَيْهِ - مِنْ الرَّدَى وَدُونَكَ فَاسْتَوْفِ الْمُنَى حِينَ تُنْصِفُ
سَمَعَتُمُھُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّوَى كِتَابُ تُرْجَى أَوْسَفَانُ تُجْدَفُ^(٤)
أَغْرَى مَتَى نَذْرُسُ دَوَاوِينَ مَجْدِهِ يَرْقُنَا غَرِيبُ مُجْمَلُ أَوْ مُصَنَّفُ^(٥)
إِذَا نَحْنُ قَرَضْنَاهُ قَصَرَ مُطْنِبُ وَلَمْ يَتَجَاوِزْ غَايَةَ الْقَصْدِ مُسْرِفُ^(٦)

(١) الحمد : قال في اللسان « والحمد إذا ذهب به مذهب المدح له معنيان مستحيان ، أحدهما : أن يكون معصوب الجوارح ، شديد الأسر والخلق غير مسترح ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شعره حمدا غير بسيط ، لأنَّ سسوة الشعر هي الغالة على سمور العجم من الروم والفرس ، وحمودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب ، فإذا مدح الرجل بالحمد لم يخرج عن هذين المعنيين » الخ مقال في الحمد على كلا الاعتبارين المدح أو الدم فاندزه ، والمعنى هو الملك المجتمع الخلق الذي ليس رهلا مسترخي الاعضاء ، أو الحمد السمر ، أو الكريم الذي في طله وكسبه تكف غير الحوادث وصروف الدهر وتردها عن أن تقصد المستظلين طله بالسوء .

(٢) الاد العظيم ، والوقيع : ما يكنه الملك في الكتاب من حمل قصيرة ، وأحرف يسيرة ، لانفاذ أوامره ، وإعطاء شؤون دولته ، والمعنى تكبيره في الحداث العظيم القطع الداهى سريع لا يحتاج إلى تريث ، وعدم تعجل ، وتوقيعه الكاشف طلمة المطوب كلمات قليلة حاملة لمصون ما يريد إنفاذه .

(٣) الأبلج : الأيس ، والمتطرف : السيد السرى المحتال في مشيته .

(٤) ستمتاعهم : ستمتاعهم ، والنوى : الهلاك ، وترضى : تساق وتسير ، وتحدق تدع بالمجاذيف .

(٥) أغرَّ كريم الأفعال واضمها ، وندرس : أى متى نرض أنفسنا على قراءة ماسطر في دفاتر مجده ، يرقنا : أى يمجئنا الخ ، وفي الأصل : « متى ندرس » ، والغريب : الغامض البعيد عن الفهم ، والمجمل : المحتاج إلى التفسير والبيان ، والمصنف : المميز بعصه من بعض ، والمبين خفاؤه وإحاله .

(٦) قرظناه : من القرظ وهو المدح والثناء ، وأصله من تفرط الجلد أى دبهه بالقرط ، والمطلب : المذهب المتوسع في العول ، والقصد : التوسط والاعتدال .

وَأَزْوَاجُ لَا الْبَاغِي أَخَاهُ مُبْلَغٌ
مُمرُّ الْقَوَى لَا يَمْلَأُ الْخَطْبُ صَدْرَهُ
لَهُ ظِلُّ نَعْمَى يَذْكُرُ الْهَمُّ عِنْدَهُ
جَجِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ
مَحَاسِنُ ، غَرَبُ الذَّمِّ عَنْهَا مُقْلَدٌ
تَنَاهَتْ فَعَقْدُ الْمَجْدِ مِنْهَا مَفْصَلٌ
طَالَفَةُ وَجْهِهِ فِي مَضَاءِ كَمَثَلِ مَا
عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الشَّهَامَةِ مِدْسَمٌ
سَجَايَا لِمَنْ وَالَاهُ كَالْأَرَى مُجْتَنِي
يُرَاقِبُ مِنْهُ اللَّهُ « مُعْتَصِدٌ » بِهِ

مُنَاهُ وَلَا الرَّاجِي نَدَاهُ مُسَوِّفٌ^(١)
وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَائِتٍ يَتَلَهَّفُ^(٢)
ظِلَالُ الصَّبَا بَلْ ذَاكَ أُنْدَى وَأَوْزَفُ^(٣)
وَجَنَّةُ عَدْنٍ لِلْمُطِيعِينَ تَرْأَفُ^(٤)
كَهَامٌ ، وَشَمْلُ الْمَجْدِ فِيهَا مُؤَلَّفُ^(٥)
سَنَاءٌ وَبُرْدُ الْفَخْرِ مِنْهَا مُفَوِّفُ^(٦)
يَرُوقُ فِرْنَذُ السَّيْفِ وَالْحَذُّ مُرْهَفُ^(٧)
وَفِي الرِّوْضِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَاقَةِ رُخْفُ^(٨)
تَعُودُ لِمَنْ عَادَاهُ كَالشَّرَى يُنْقَفُ^(٩)
يَدُ النَّدْهِرِ يَقْسُو فِي رِضَاهُ وَيَرَأَفُ^(١٠)

- (١) الأروع : الذي يروعك حسبه ، ويعحك مرآه ، ومعنى سائر البت ليس الذي يعنى له مثيلاً ببالغ مائه ، وليس الذي يروحو نداء مؤجراً عطوؤه . (٢) المار : الحبل الذي أحيد دله ، والقوى : طاقاته يريد أنه مستحكم القوى وليس رخوا ضعيفاً يملأ الهول صدره مرطاً ، وبأسى على ماواه تاهماً ، وتحسراً . (٣) الهم : الشيخ الكبير الفاني ، يعنى أن الشيخ الهم يذكر ، عند استطلاعه مثل نغمه الوارف أنه في ظل الشاب الذي المعتدل بل إن ظل نغمه أكثر ندوة ووروقاً واداداً . (٤) ترأف : تحرب ، وفي التذييل العزير « وأزمت الحمة المنقبي » أى قرب . (٥) الغرب : الحد ، معقل : فيه كسور ، وكهام : كليل ناب عن الضريبة لا يقطع . (٦) الساء : الرمة ، ويرد معوف : رقيق من سح البن . (٧) فرند السيف : حوره وماؤه الذي يحرق فيه وطرائفه ، والمعنى : يدلو وجهه ماء كفرند السيف المتفرق ، مع مضاء ، عرم كده المرهب في النصميم والقطع ، وفي روايه : « طلاءه مجد » (٨) ميسم أثر وفلاء . وفي الأصل : « من تلك الطلاءه مطرف » (٩) الأرى : العسل ، والثرى : الحنظل ، وينقف : أى يشق لأخذ ما في داخله قال امرؤ القيس :
كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرة الحى ناقت حنظل
(١٠) يد الدهر : مدى الدهر ، قال أبو العلاء :

يأليقنا عشا حياة بلا ردى — يد الدهر — أو تنامت بلا نسر
ومعنى البت أنه يرأف ويبغى دائماً في سبيل مرضاة الله وحده ، ويقال أيضاً يد الحياة ، قال أبو العلاء :
لو كان لى أمر يطاوع لم يشن ظهر الطريق — يد الحياة — مجرم

فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْحَاسِدِيهِ مَتَى أَدْعَى سِبَاقَ الْعَتِيقِ الْفَائِتِ الشَّأْ وَمُقْرِفُ^(١)
 أَلَيْسَ « بَنُو عَبَادٍ » الْقِبْلَةَ الَّتِي عَلَيْهَا لِأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَعَكْفُ^(٢)
 مُلُوكُ يُرَى أَحْيَاؤُهُمْ فَحَرَّ دَهْرِهِمْ وَيُخْلَفُ مَوْتُهُمْ ثَنَاءً مُخْلَفُ^(٣)
 بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوَّجُهُ شُمُوسٌ وَأَيْدِي مَنَ حَيَا الْمُزْنِ أَوْ كَفُ^(٤)

* *

أُشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ وَتُجْزَلُ حَظُّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسَقِّفُ^(٥)
 لَعَمْرُ الْيَدَا الْمُسْتَدْرِجِيكَ بِرِغْمِهِمْ إِلَى غِرَّةٍ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْسَفُ^(٦)
 لَكَالُوكَ صَاعَ الْغَدْرِ لَوْثُ سَجِيَّةٍ وَكَيْلَ لَهُمْ صَاعُ الْجَزَاءِ الْمُطْفَفُ^(٧)
 لَقَدْ حَاوَلُوا الْعُظْمَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا فَأَعْجَبَهُمْ عَقْدُ مَنَ أَهَمَّ مُخَصَفُ^(٨)

(١) العتيق : النجيب الكريم من الخيل ، والشأو : الالباء ، والمقرف : الهجين وهو الذى أمه بردونة وأبوه عربى أو بالعكس . (٢) معكف مصدر ميمى بمعنى المكوف أى إقامة وملازمة .

(٣) أى بنو عباء ملوك يرى الناس أحياءهم مفخرة الزمان ، ويخلف من بعد موأهم ذكر حسن وثناء موروث يتحدث به الناس ، ويناقله الحلف عن السلف .

(٤) الحيا : المطر ، والمزن : السحاب ، وأوكف : أهطل وأعزر والمعنى : فاخرت بهم الأرض السماء فوجوههم أبهى طلعة من النيرات ، وآثار نعمهم ، ومزن أيديهم أغزر وأهطل من السحب الهاطلات .

(٥) معمس : ملبس ملتون جبهة مظلم لا يدرى من أين يؤتى له ، ومسقف : نازل من أسف الطائر إذا دنا من الأرض ، والمعنى : يا من بفعالك المجيده أبنت معنى المجد فى حال كونه عامضاً ملتبسا ، وأجزل بآثارك المجيدة حظ الحمد على حين حظ غيرك منه حقير ، وجواب النداء فى الآيات بعده .

(٦) لعمري : يقسم بحياتهم متكماً للإشارة إلى إحقاقهم فيما حاولوا ، المستدرجيك : أى الذين حاولوا فى زعمهم أن يتدرجوا بك قليلاً قليلاً على غرة ، وبأخذوك على غفلة إلى ما تكاد له الشمس تكسف لجرأتهم ، وهول ما أقدموا عليه . (٧) لكالوك : أى لقد كالوك من لؤم سجيئهم صاع الغدر ، وكلتهم صاع الجزاء والمعتوبة على غدرهم ، والمطفف : فى الأصل اللقوص اللبخوس من طيف الكيل تقصه ونجسه ، وقد يستعمل بمعنى الوافى وهو المراد هنا .

(٨) لقد حاولوا العظمى : أى الفتنة العظمى ، التى لا شوى لها : أى التى لا تصيب الأطراف ولكن تصيب القاتل ، وأعجبهم عقد : أى رأى وتدير من همك وعزمك ، محصف : محكم سديد لا خلل فيه .



وَلَمَّا رَأَيْتَ الْقُدْرَ هَبَّ نَسِيمُهُ تَلَقَّاهُ إِعْصَارٌ لِبَطْشِكَ حَرْجَفُ^(١)
 أَظَنَّ الْأَعَادِي أَنَّ حَزْمَكَ نَأْتِمٌ لَقَدْ تَعَدُّ الْفَسْلَ الظُّنُونُ فَتُخْلِفُ^(٢)
 دَوَاعِي نِفَاقٍ أَنْذَرْتِكَ بِأَنَّهُ سَيَشْرَى وَيَذْوِي الْعُضُوءُ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ^(٣)
 تَحَمَّلْتَ عِبَاءَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكَلَّمَهُمْ بِنِعْمَاكَ مَوْصُولُ التَّنْعَمِ مُتَرَفُ^(٤)
 فَإِنْ يَكْفُرُوا النِّعْمَى فَلَمَّا دَيَّارُهُمْ بِسَيْفِكَ قَالَعُ صَفْصَفِ الرَّسَمِ تُنْسَفُ
 وَطَى الثَّرَى مَثْوًى يَكُونُ قُصَارُهُمْ وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَاهِمِ مَرْسَفُ^(٥)
 وَبُشْرَاكَ عِيدٌ بِالسَّرُورِ مُظْلَلُ وَبِالْحِظِّ فِي نَيْلِ الْمُنَى مُتَكَنَّفُ^(٦)

(١) النسيم : الريح نهب هبوبا . هبها ، والأعصار : الريح الشديدة التي تهب من الأرض ، وتثير العاصف فيرتفع كالعهود إلى نحو السماء ، وهي التي تسمى بالروامة ، وفي المثل « إن كنت رجلاً فقد لاقيت إعصاراً » يضرب للرجل الذي يبقى نده في الدسالة والقوة ، والحرجب : البارد وصف بها الأعصار . وفي الأصل « حرجب » (٢) الفسل : الردل الذيء الأحمق ، والمعنى لم يتحقق طي الأعادي أن تدبيرك نائم عن كيدهم وغدرهم وكثيراً ما تعد الفنون الحكي الأرفال مخلفهم .

(٣) شري العضو : أي يضرب عليه ورم وتروح تحاج إلى الكي ، ويدوي : يدل ويسمر ، ويشاف أي تكوي شافيه أي قرحه اندهد بالكي ، والنت تمثيل لحال طائر ، ثم دها العاق والشر فكانت كالعضو الرئيس ح به الداء فلم يكن من معالجه الكي لاستئصال ساقه ، وفي رواية « يدوي العضو » (٤) أي كميته مؤونه السعي ، وحملت عنهم العبد ، فكلمهم في طل نعمتك دائم التمتع والترف .

(٥) قصارهم : يقال مصرك وقصارك وقصارك أن تفعل كذا أي عابك ، والأداهم : القيود لسوادها جمع أدهم وتسمى بالأسود أبيضاً ، والمرسف : مصدر ميمي من الرسفان وهو مشى المقيد ، أي أن هؤلاء الأعداء سيكون ما لهم أن يموتوا في الحبس ، بعد أن تطول عليهم مدته .

(٦) ابتدل إلى ذكر مطهر من مظاهر الدولة عند خروج الملك لصلاة العيد ، وترتب المملكة في ذلك على ما يؤخذ من صبح الأعشى أن يبادى في طامة اللد ، وأهل الأسواق ليلة العيد فيخرج أهل كل صناعة بظاهر اللد ، ويسبح أهل كل سوق ناحية ، متجملين بأحسن الثياب ، وكل منهم متكب فوساً أو مقلد سيبا ، ومع أهل كل سوق علم يختص بهم ، عليه رنك أهل تلك الصنعة بما يناسبهم ، ويكر الملك بالركوب فيرك ومن يمينه ويساره فارسان ، وممسك بركابه رجلان مقلدان سفينين ، ويركب العسكر معه ميمنة ومهسرة ، ويصطف الناس صفوفوا يسعون قدماهم ، والمولج خلفه ملثفون به ، والأعلام منشورة وراءه ، والطبول خلفه حتى يصلي العيد ، ثم يعود فيصرف طامة الشعب وبعد السباط فيحضر طامه حوامه وأعيان مملكته ، ومعنى البيت أنه يبشره بالعيد : بالله السرور ، ويكنسه الحظ ببلوغه إلى .

بَشِيرٌ بِأَعْيَادِ ثَوَافِيكَ بَعْدَهُ كَمَا يَنْسُقُ النَّظْمُ الْمَوَالِي وَيَرْصُفُ^(١)
تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفُ دَوْلَتِكَ الَّذِي دِمَاهُ الْعِدَى دَابَّاً بِغَرَبِيهِ تُظْلَفُ^(٢)
هُوَ الصَّارِمُ الْمَضْبُ الَّذِي الْعَزْمُ حَدَّهُ وَحِلْيَتُهُ بَذَلُ النَّدَى وَالْتِمَعُفُ^(٣)
هُمَامٌ سَمَا لِلْمَلِكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ خُلِفُ^(٤)
كَرِيمٌ يَعُدُّ الْحَمْدَ أَنْفَسَ قِنِيَّةٍ فَيُؤَلِّعُ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَيُشَغَفُ^(٥)
غَدَاً بِجَحْمِيسٍ يُقْسِمُ الْغَيْمُ إِنَّهُ لَأَحْقَلُ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْثَمُ^(٦)
هُوَ الْغَيْمُ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ بَرَقَهُ وَلِلطَّبْلِ رَعْدٌ فِي نَوَاحِيهِ يَقْصِفُ

✱ ✱

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا عَنَّاكَ أَدَاؤُهُ وَكُلُّهُ بِمَا يُرْضِيكَ دَاجٍ قُلْحِفُ^(٥)
قَرْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ خَمْدَكَ إِنَّهُ لَأَوْكَدُ مَا يُحْظَى لَدَبُهُ وَيُزْرِفُ^(٦)

(١) يسق المطر : أى يتابع بينه ومجمله على طريقة نظام واحد ، ويرصف : أى ينظم وينشد ، والمعنى هذا العدد شعر أعاد تأتى بعده على نسبه وترتيبه .

(٢) برية : بجديده ، وتظاف : تهذر من دولهم ذهب دمه طلعا أى هدرأ .

(٣) اللام الابع الذى شارف الاحلام ، وأخلف : الذى احتل نظر الناس فيه فمعصم . يقول قد احتلم وأدرك ، ومعنى يقول غير مدرك ، والمعنى سماهته إلى الملك وهو دون الاحلام ، وتمت له علاماته ورسومه وميزاته ، وهو مشكوك فى احتلامه .

(٤) الخيس : الحبيب الجرار التام الفرق من المقدمة والمبينة والاسرة والعلب والساق وأراد به المسكر الصائرين فى موكب الملك عند خروجه لصلاة العيد ، واليم : السحاب ، وأحفل : أى أكثر منها احتشاداً واحتماء فى حال كونه (مكتهراً) أى مظلماً أسود لما على الجند من الدروع والسلاح ، وأكثم : أى أكثر كثافته وتراكمها من السحاب لشدة الزحام وكثرة العدد وأعاد الصدير فى قوله (منها) على الهم مؤثناً مراعاة للمنى . (٥) أى فلما أدبنا ما أهمنا أدأؤه من صلاة العيد : وكل الناس داج فلع فى الدعاء بما يرضيك ، وحواب لما يأتى بعد .

(٦) يحظى : أى يوجب الحظوة والتعظيم ، وزلف : يقرب ، والمعنى : ولما انتهينا من صلاة العيد جمعنا بين حمد الله والثناء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ الحظوة لديه ، والزلفى لآله .

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ كَعْبَةٌ يُعَادِيهِ مِنَّا نَازِرٌ أَوْ مُطَرَفٌ ^(١)
 فَإِذْ نَحْنُ طَالَعْنَاهُ وَالْأَفُقُ لِأَبْسٍ عَجَاجَتَهُ وَالْأَرْضُ بِالْحَيْلِ تَرْجُفُ ^(٢)
 رَأَيْنَاكَ فِي أَعْلَى الْمُصَلَّى كَأَنَّمَا تَطَلَّعَ مِنْ مِحْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ ^(٣)
 وَلَمَّا حَضَرْنَا الْإِذْنَ وَالْدَّهْرُ خَادِمٌ تُشِيرُ فَيَمْضِي وَالْقَضَاءُ مُصَرَّفٌ ^(٤)
 وَصَلْنَا فَقَبَّلْنَا النَّدَى مِنْكَ فِي يَدٍ بِهَا يَتَلَفُ الْمَالُ الْجَسِيمُ وَيُخْلَفُ

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى مَا بِنَفْسٍ خِصَاصَةً وَأَمَنْتَ حَتَّى مَا بِقَلْبٍ مَخْوَفٌ

(١) يعاديه : أى يباكره ويبدو عليه فى أول النهار ، والمطرف : الذى يديم النظر فى النصر من حب وإعجاب ، وهو فى الأصل الذى أساء طرده أى عينه عود يهودئاً ثبت طرده فى النوى ، ولا يفهم طرده أو هو اسم فعل من طرف الشيء اختاره ، قال الشاعر :

أطرف أبكاراً كأن وجوهها وجوه عذارى حسرت أن تقما

(٢) طالعناه : أى القصر ، والمعجاجة : ماثيره سناك الحيل من البار ، وترحف : تصطرب .

(٣) المصلى : المكان المعد لصلاة العيد ، وتطلع : طلع وأشرف عليهم من محراب ، وروى عن الزجاج قوله تعالى « وهل أناك نأ الخضم إذ توروا المحراب إذ دخلوا على داود » قال : المحراب ارفع بيت فى الدار ، وارفح مكان فى المسجد ، والمعنى : رأيناك حين عودتنا إلى القصر ومطالعنا إياه مشرفاً بأعلى المصل من غرفة قصر كائنما أرق من محراب داود فى يوم سكه وعبادته وجه يوسف رائئماً فى حسنه وحاله .

(٤) قال ابن بسام :

وقوله ولما حضرنا الاذن البيت مع الذى بعده أرى أبا الوليد احتدى فيه حنو الوليد فى أبيات أشدها لحسناً وهي من أحسن ما قيل فى الهيبه :

ولما حضرنا سدة الأذن أخرت رجال عن الباب الذى أما داخله

فأفضيت من قرب إلى دى مبابه أقبل بدر التم حين أقابله

كما انتصب الرمح الرديى شفت أنابسه واهتز لاطمن عامله

وكالبدر وافته لم سعووده وتم بناء واستهت مارله

وسلت فاعتافت خنائى هيبه تنازهى انقول الذى أنا قائله

لما دملنا الطلالة وانقى إلى ببشر آسنتى محايه

دنوت فقبل البدى من يداسرى كريم محياه سباط أمامه

صفت مثل ما يصفو المدام خلاه ورقت كما رق النسم شمائله

وقول ابن زيدون وصلنا قبلنا الندى من يداسرى معنى مليح ولفظ صحيح ، إلا أنه كما تراه اسط بيت البحترى ويقول بعض أدبائنا إن ابن زيدون بخرى زمانا وصدقوا لأنه حذا حدو الوليد فى بعض قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْهُلْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ وَلَا ذَلَّ مُقْتَادُ وَلَا لَانَ مَعْطِفُ
لَكَ الْخَيْرُ ، أَنَّى لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ؟ وَكَيْفَ أُودَى قَرْضَ مَا أَنْتَ مُسْلِفُ؟^(١)
أَفَدَّتْ بِهِمِ الْحَالِ مِثِّي غُرَّةٌ يُقَابِلُهَا طَرْفُ الْجَمُوحِ فَيُطْرِفُ^(٢)
وَبَوَّأَتْهُ دُنْيَاكَ دَارَ مُقَامَةٍ بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذُلِّلَ مَقْطِفُ^(٣)

* *

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبَسَتْهَا سُنْدُوسِيَّةٌ أَسْرَبَلُهَا فِي كُلِّ حِينٍ وَالْحَفِ
مَوَاهِبُ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّمَا مِنَ الْمُزْنِ تُمَرِّى أَوْ مِنَ الْبَحْرِ تُعْرِفُ
فَإِنْ أَكُ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَتْ رِقَّةً فَأَرْفَعُ أَخْوَالِي وَأَسْنَى وَأَشْرَفُ^(٤)

(١) نهضة : أى طاقة وقدرة أى كيف يكون لى قدرة على القيام بشكرك ، ومسلم : اسم فاعل من أسلفه أى أقرضه ، وفى رواية : « قرض ما أنت مسلم »

(٢) المسمى اكتسبت سواد الحال من غرة يبداء نواحيها طرف الطموح الذى يند بصره إلى الشيء فيطرف أى يثبت فيها نظره من قولهم فلان مطروف العين بفلان إذا كان لا ينظر إلا إليه .

(٣) أى أرايتى وأحلى من ديباك الشبهة بدار القمامة حمة دنا ظلها ودلت قطوعها .

(٤) فان أك بما أوليتى من نعم عبداً مرفوقاً لك فأتى أعدائى إليك بالمدح والرق اسبى أحوالى وأرفعها وأشرفها ، قال أبو الطيب المتنبى « ومن وجد الاحسان عيدا تعيدها » .

ولذكر — بمناسبة هذه القصيدة العبد ، التى قالها ابن زيدون بحترى العرب فى المصداق بالله بمناسبة عيد الأضحي — قصيدة بحترى الشرق التى قالها فى الموكل بمناسبة عيد الفطر — ابرى القارى صوريتين قارب بينهما اتحاد العرض والشاعر به وان اختلفت التفاصيل والبحر :

الله مكن للخليفة جعفر ملكا يحسنه الخليفة جعفر
سمى من الله اصطفاها بعصاها والله رزق من يشاء ويقدر
فاسلم أمير المؤمنين ، ولا تزل تعطى الريادة — فى البقاء — وتشكر
عمت فواضلك السرية ، فأتى فيها المقل على النوى والمكثر

والرصم — وأنت أفضل صائم — وبسنه الله الرعية تغادر
فانهم بيوم الفطر عينا ، إنه يوم أعر — من الرمان — منهر
أظهرت عز الملك فيه يحنل لجب ، يحاط الدين فيه وينصر

في طرطوشة (١)

غَرِيبٌ بِأَقْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ لِلصَّبَا (٢)
تَحْمَلُهَا مِنْهُ السَّلَامُ إِلَى الْغَرْبِ
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي أَحْتِالِهَا
سَلَامٌ هَوَى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ (٣)

حلنا الجبال تسير فيه ، وقد غدت
فالليل تصل ، وانوارس بدعي ،
والأرس حاتسة تميز ثقلها ،
والشمس مامة توبد بالصحي
حتى طلعت صوء وجهك ، فاختلت
وانت فيك الظرون ، فاصع
يجدون رؤيتك التي فاروا بها
ذكروا لظلمتك التي هملوا
حتى انتهت إلى الصلي لا ساء
ومثيت مثية حاشع متوابع
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما
عددا يسير بها العديد الأكثر
والبعس نلح ، والأسسة ترهر
والحو متكر الحواب أعبر
طورا ، وبطعها المعاج الأكر
تلك الدعي ، وانحاج ذك العثير
يومي لماك بها ، وعين تنظر
من أأم الله الاق لا تكبر
لما طلعت من الصعوف وكبروا
نور الخدي يسدو عليك وبطهر
لله لا يرهي ، ولا يتكبر
في وسره لسمي لمايك المسير



أدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في برد التي مدكرا
ومواعط شفت الصدور من الذي
حتى اقتد علم الجهول وأحلصت
صلوا وراءك آحدين بمصمة
فاسلم بغمرة الاله فلم يزل
الله أعطاك الهبة في الوري
ولأت أملأ للعيون لديهم
تتلي عن الحق المبين وتخبر
بالله تسدر تارة وتبشر
يمتادها وشفاؤها معدر
نفس المروي واهتدى للتحير
من ربههم وبذمة لا تمهر
يهب الذنوب لمن يشاء وينهر
وحناك بالفصل الذي لا يكر
وأجل قدراً في الصدور وأكبر

(١) هي مدينة بأقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :
وكانت متقنة العمارة ، وهي من العرس البحرية التي ينتابها التجار ويسافرون منها إلى سائر الأمصار ، وقد
استولى عليها الانرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ (٢) ربح الصا ، وهي التي تهب من
الشرق ، وتقابلها الببور (٣) ليت الصا تحتل أعباسها سلاما من جسم في الشرق إلى فؤاده الثاني
عنه في العرب ، وقريب من هذا المعنى قول عبد الرحمن الداخل « صقر قریش » .

إن جسمي كما علت نارض وفؤادي وساكنيه بأرض
قدرد الله بالفراق علينا فمسي باجتاعنا سوف يفضي

إلى الوزير أبي عبد الله^(١)

« لم تزل الأيام تدنى « ابن زيدون » وتعدده ، وتسوؤه وتسعده ،
وتقذفه إلى كل نازح ، وتطرف أمله بعين اللاعب المارح ، حتى
أحلتة « بلنسية » وهلال ذكائه كما أقر ، وغصن نباهته يانع قد أثمر ،
وبنو عبد العزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، فيفيضون بحور الدى ،
ويومضون في كل مستدى ، فخل منهم محلّ الجيا في الكؤوس ،
ودقع منهم موفع الدشائر في النفوس ، وأفام بين دبرة تواضعه ، وسرة
تغازله ، ومكارمة تفاديه ، ومجاملة كراخ القطر وغاديه ، فاهما اتصل ،
وحصل ما حصل ، تذكر بعد رهة ذلك العيش وور عمره قد
صوح ، وغصن سه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر غير
فنه عصا رطبا ، فكتب إلى ابن عبد العزيز^(٢) :

رَاحَتَ فَصَحَّ^(٣) بِهَا السَّقِيمُ رِيحُ مُعْطَرَّةِ النَّسِيمِ
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبْوُ^(٤) فَهِيَ تَعْبِقُ فِي الشَّمِيمِ^(٥)
أَفْضِيضُ مِسْكِ أُمِّ بَلَدٍ سَيِّئَةٌ لِرِيَّاهَا^(٦) نَعِيمِ^(٧)
بَلَدٌ حَبِيبٌ أَفْقُهُ لِفَتَى يَحُلُّ بِهِ كَرِيمِ

-
- (١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلانď العيان .
(٣) وفي رواية « راح لها السقيم » راحت أى بردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح
للأمر يراح » إذا أخذته أريحية وخفة وناط ، أى فارتاح لطيبها السقيم .
(٤) القبول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأن النفس تمبلها .
(٥) أى أن ريح الصبا تحمل معها عطرا تنفم مه طيب الشدى .
(٦) لريحها الطيبة . (٧) يقول لعل نسيم بلنسية الشدى الذى تستروح النفس لآيه هبّ عليا .



أَيُّهَا أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ دُعَاءُ مَغْلُوبِ الْعَرِيمِ^(١)
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ^(٢)
 أَوْ أَتُبَعَّتْكَ حَبِيبَتَا نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَسِيمٌ^(٣)
 ذِكْرِي لِعَهْدِكَ كَالشَّهَادَةِ^(٤) سَرَى فَبَرِّحَ بِالسَّلِيمِ
 مَهْمَا ذَمَمْتُ فَمَا زَمَا نِي فِي ذِمَامِكَ بِالذَّمِيمِ^(٥)
 زَمَنْ كَمَا لَوْ الرِّضَا عِشْشُونِي ذِكْرًا لِفَطِيمِ^(٦)
 أَيَّامٍ أَعْتَدُ نَظِيرِي بِذَلِكَ الْمَرَأَى الْوَسِيمِ^(٧)
 فَارَى الْقُوَّةَ غَضَّةً فِي ثَوْبِ أَوَامِ حَلِيمِ^(٨)
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ فَوَادِي بِالْعَسِيمِ^(٩)
 وَلَنْ تَحُولَ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَعَنْ قَلْبٍ مُقِيمِ^(١٠)

(١) أيها : بكسر المعزة بمعنى ردف من الحديث ، وبفتحها بمعنى اكتمت واسكت ، أو للتبعية بمعنى هيهات ، أي بعد دعاء منسوب للعريم ، والعريم : الأسر الداهي العظيم ، والمع هيهات يحذى دعائي وأنا من خاتمة الحادثات على أمره . وفي الأصل : « مغلوب العريم »

(٢) لي المدة إذ ضحيت ومراقك وعيل صبرى فقد اشتد في الألم لمعاذك .

(٣) القسيم : شغل الشيء المغموم ، أي أتب شغل نفسي الثاني فلا عى لي عك .

(٤) وفي الأصل : « كالعهد »

(٥) الدمام : أخى والحمة ، والمعنى مهما سميت : من عهد الزمان القادر على آدم ذلك العهد الحميد

الذى قد نكح وعدت به بقربك ووطايتك .

(٦) وقد كان في ذلك العهد المحبوب سمعت ذكريات سائرة أس إليها كما يحسن الطفل المفلطوم إلى عهد

الرباع العريم . وفي الأصل « من كالون الرضاع » (٧) أيام نعم ناظرى برؤيه بملك البهى .

(٨) الآواه : الكثير الآوة إشعاعاً ورفقاً ، قالوا : « وهو الكثير التضرع والدعاء أو الحزن والبكاء

أوهو انرحيم الرقيق » والمعنى : أرى الفتوة — فى صوانها — معتزلة بالخشية والمضرع والحلم ، وفى الكتاب الكريم : « إن إبراهيم لحلم أوامه ميب » (٩) الصميم : المحس أو المالحس .

(١٠) وإذا رحل عنك جسمي فان قلبي لم يرحل عنك ولم يخل عن حبك فهو ثابت مقيم عندك .

قُلْ لِي بِأَيِّ خِلَالٍ سَرَّ وَكَ^(١) قَبْلُ أُفْتَنُ أَوْ أَهْمِ^(٢)
 أَيْجِدُكَ الْعَمَمَ^(٣) الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ^(٤)
 أَمْ ظَرْفِكَ الْخُلُو الْجَنَى أَمْ عِرْضِكَ الصَّافِي الْأَدِيمُ
 أَمْ بَرِّكَ الْعَذْبِ الْجَمَا مِ، وَبِشْرِكَ الْغَضِّ الْجَمِيمِ^(٥)
 أَمْ بِالْبَدَائِعِ كَاللَّا لِي مِنْ تَنْبِيرٍ أَوْ نَفْطِيمٍ
 وَبَلَاغَةٍ إِنْ غَدَّ أَهْلُهَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيمٌ
 فَقَرَّ تَسْوِغُ بِهَا الْمَدَا مُ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمُ^(٦)
 إِنْ أَشْمَسَتْ تِلْكَ الطَّلَا قَةُ قَالَنَدَى مِنْهَا مُقِيمٌ

* *

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخُطُو ظَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ
 لَا أَسْتَرِيدُ اللَّهَ نِعْمِي فِيكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ
 فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّكَ غَرَّةُ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ
 حَسْبِي الثَّنَاءُ لِحُسْنِ بَرِّكَ مَا بَدَا بَرَقُ قَشِيمِ^(٧)
 ثُمَّ الدُّعَاءُ بِأَنْ تَهْنَأَ طُولَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ
 ثُمَّ السَّلَامُ تُبَلِّغْنَاهُ فُغَيْبُ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ^(٨)

- (١) السرو : الفصل والسجاء في الرواة . (٢) لاني لا أدرى أى خلال مصلك جسدك بالاشارة والتنويه ، وأى مزالك حدير بأن بهيم به عارفك ويمتد (٣) الشامل .
 (٤) انتظم المجد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الجلم - جمع جة بتشديد الميم - الماء الكثير المجتمع ، يقال : جت البرج جوما ، إذا اجتمع ماؤها وارتفع بعد نزح ما فيها ، قال زهير :
 « ولما وردن الماء زرقا جامه وضمن عصى الحاضر التخييم »
 والجيم : النبت الكثير . (٦) كلمات تمذّب بها الحر إذا ردها الديم .
 (٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين ينظر ، وفي الأصل : « لحسن برقك » .
 (٨) وفي رواية : « ثم السلام تبلننه بقاب مهديه السليم »

جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيبي :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار

وقلّ منا ومك اليوم زوّار

و بيننا كل ما تدري به من ذم

والنصا ورق حصر ونوّار

وكل عس وإعاب جرى دله

• مواقع حلوة عندى وآثار

فادكر أحوالك بنجر - كلما أعت

به الليالى - فإن الدهر دوّار »

بخار به بديها فى ظهر رقعته : «

لَوْ أَنَّنِي لَكَ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ لَمَا جَرَّتْ بِالذِّى تَشْكُوهُ أَقْدَارُ

لَكِنَّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غِيَبِهَا تَعْمَى الْبَصَائِرُ إِنْ لَمْ تَعْمَ أَبْصَارُ^(١)

فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لَا تَرْتَبْ بِعَهْدِ فِتْنَى تَعْقُو الْعُهُودَ وَتَبْقَى مِنْهُ آثَارُ

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمَتَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ لَمَا أَغْبَكَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَّارُ^(٢)

فَلَا يَرِيْنُكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِهِ مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَّارُ

(١) لو كان لى الخيار مما تهواه وتخه لما جرى القدر بما يسوك وبينك على الشكوى ، ولكنه قدر

لا سبيل إلى ردّه ، وقتنه فصل فى غياها العول وتعنى الأعمار .

(٢) لو كان الأمر بيدى لما تعاملت عن زيارتك يوما واحداً .

في الغزل

وَضَحَّ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَتَوَّ الشَّكَّ الْيَقِينُ
وَرَأَى الْأَعْدَاءَ مَا غَرَّ تَهْمُ مِنْهُ الظَّنُونُ
أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُمْنَى وَرَجَّوْا مَا لَا يَكُونُ
وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونَ الْمَهْدَ مَوَالِي لَا يَخُونُ ^(١)
فَإِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونٌ ^(٢)

* *

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهِ جَرِي وَهَوَاهُ لِي دِينُ
يَا جَوَادًا بِي إِنِّي بِكَ وَاللَّهِ صَنِينُ
أَرْخَصَ الْحُبُّ فَوَادِي لَكَ وَالْعَلِقُ ^(٣) تَمِينُ

* *

يَا هِلَالًا تَتَرَا ءَاهُ نُفُوسٍ لَا عِيُونُ
حَبَابًا لِلْغَلَبِ يَقْسُو مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ ^(٤)
مَا الَّذِي صَرَّكَ لَوْ سُرَّ بِمَرَاكَ الْحَزِينُ
وَتَلَطَّفْتَ لِصَبِّ حَيْثُهُ ^(٥) فَيْكَ يَحِينُ
فَوُجُوهُ اللَّفْظِ شَتَّى وَالْمَعَاذِيرُ فُنُونُ ^(٦)

(١) وفي رواية : وتمنوا أن يخون ال سجد مولى لا يخون

(٢) خطاب ظن الأعداء وظهر أنني لم أكن لمولاي عهداً ، وأن إخلاصي ووفائي لها سليمان وودي له لا يتغير

(٣) النفيس ، وفي رواية : « والعلق التمين » .

(٤) وفي رواية « والمط بلى » . (٥) هلاكه . (٦) سقى .

فى مدح ابن جهور

قال بمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّقِيعَ شَبَابُ فَيَقْدُرُ عَنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ عِتَابُ ^(١)
 عَلَامَ الصَّبَا غَضُّ يَرِفُ رَوَاؤُهُ إِذَا عَنَّ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ ذَهَابُ ^(٢)
 وَفِيمَ الْهُوَى مُحْضٌ يَشْفُ صَفَاؤُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ ثَوَابُ ^(٣)
 وَمُسْتَعْفَى بِالْوَصْلِ إِذْ مَرَّ بِحُجْمَى لَهَا كُلَّمَا قَطَّنَا الْجَنَابَ جَنَابُ ^(٤)
 تَطَنُّ النَّوَى تَعْدُو الْهُوَى عَنْ مَزَارِهَا وَدَاعَى الْهُوَى نَحْوَ الْبَعِيدِ مُجَابُ ^(٥)

(١) ألم تعلم أن حير شافع المحب إذا حى دسا هو غصارة شبابه ، وأن الشاب لحسه فى الأعين ولما فيه من القرمه والخفة يعتبر شديدا فى تحمير العقوبة وتنزيلها من لوم عيف إلى عتاب حميف يلطف مدخله على القلب ، وإذا كان الشاب حير شافع للحسان فما أـمرهن "لأقصار عن اللوم ، وما أبدع قول علقمة :

فان تـألوني بالنساء ، فاني حير بأدواء النساء طيب
 إذا شاب رأس المرء أو بل ماله فليس له فى ودهن نصيب
 يردن ثراء المال حث وحده وشرخ النباب عندهن نج

(٢) غس : طرى ناعم ، يرف رَوَاؤُهُ : يترقق فيه ماء الحسن ، والرواء الحسن ، ومعنى اليب : وما قيمة الشاب وغصاره الصبا إذا احتقا فى ترغيب الحسان وعجرا عن اكتساب ودهن .

(٣) محض : حاس لا شائبة فيه ، وش من شعوف الماء أى يبدى ما وراءه أى وفيم حبا خالص لا يشوب صغاه كدر إذا لم يكن من الحسان مثوبة عه وحزاء عليه .

(٤) المرنج : الموسع الذى يتزلون فيه زمن الربيع ، والحجى : موضع فيه كلاً يحببه أهله من أن يرهقه غيرهم ، وقطنا : من القبط وهو صميم الصيب يقال قطنا بمكان كذا أى أقنا فيه زمن الصيف والمقبط والصيب بمعنى واحد ، والجناب الأول ما قرب من محلة القوم أى قفلا فى المكان القريب من الحجى واتخذناه مصيفاً لنا ، والجناب الثانى اللاحية ، أى رب حساء تسقى بوصلها كلما اتخذنا جانب الحجى مصيفاً لنا وكانت لها ناحية الحجى سكنناً فى زمن الربيع ، وفى هذا البيت جناس متكلم كما ترى .

(٥) تطن مسافة أمد يبدى وبها تصرف نفسى عن زيارتها والحال إن داعى الهوى الذى ينادى من ناحيتها بمجاوب الدعوة .

وَقُلْ لَهَا نِصْوَةٌ بَرَى نَحْضَهُ الشَّرَى وَبَهْمَاءُ غُفْلُ الصَّخَصَحَانِ تَجَابُ^(١)
 إِذْ لَمَّا أَحَبَّ الرَّكْبُ وَجْهًا مَضَوْا لَهُ فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَخْبَ رِكَابُ^(٢)
 عَرُوبُ الْأَحْتِ مِنْ أَعَارِبِ حِلَّةِ تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّهِيلِ عَرَابُ^(٣)
 غِيَارَى بْنِ الطَّيْفِ الْمَأْوِدِ فِي الْكَرَى مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظُّنُونِ غِضَابُ^(٤)
 وَمَاذَا عَلِمَهَا أَنْ يُسْنَى وَصَلَهَا طِمَآنٌ - فَإِنْ لَمْ يُغْنِنَا - فَضِرَابُ^(٥)
 أَلَمْ تَذَرِ أَنَا لَا نَزَاحُ لِرَيْبَةٍ إِذَا لَمْ يُلَمَّعْ بِالنَّجِيعِ خِضَابُ^(٦)
 وَلَا نَنْشَقُ الْعِطْرَ النَّوْمُ أَرْيَجُهُ إِذَا لَمْ يُشَعِّشْ بِالْعَجَاجِ مَلَابُ^(٧)

(١) السو : المهزول والمراد به البعير الذي أصابه السفر أى أهزله ، وبرى نخصه السرى : أى أذهب لعله البعير بالليل ، والبهماء : الثلاثة لا يهتدى فيها ، وغفل : أى لا علامه سهوا لا أثر يعرف ، والصخصحان : المستوية الجرداء ، أى ولى لهذه المحبوبة ثمانية عشر أسماء السر ولاة مجهولة لا أثر منها للعسارة والطرق تحاب وتقطع سيرا لأحلبها . (٢) فى معنى هذا البيت قول الشاعر :

وكنت إذا ماجئت ليلى أزورها أرى اليد تطوى لى ويدو بعيدا

(٣) العروب : المطعمة لروحها المنحة إليه ، وألاحت : طهرت أولوحت بطرف شىء من مكان بعيد والأعاريب : الأعراب ، والحلة : مجتمع البيوت ، والعراب : الحيل العربية ، والمعنى : روعة من طاعة زوجها والتحب إليه بحيث لا تلتب إلى غيره . قد لولحت بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التى ينزل بها أولئك الأعراب العيرون حيث ارتطوا خيولهم وركزوا رماحهم .

(٤) غيارى : جمع غيران من البعيرة وهى الجبهة والأشعة . يقال رجل غبير على أهله وكذلك غيران والأنتى غبيرى ، والمشيخ : الحذر المحذر للسرعة إليك لمداومة الموت أو الدفاع عن الحرم ، ومنه قوله .

أب لى همى وأنى بلأنى وأحدى الحمد بالئمر الريح

وقدأى على المكروه مسمى وضربنى هامة البطل المشيع

(٥) يسى : أى سهل ويسر ، ومنه تسمى له كذا أى تسهل وتيسر ، وقال الشاعر :

وأعلم علما أس بالطن أنه إذا الله سى عقد شىء تيسرا

والمعنى : وأى تبعة ولوم عليها فى أن يسهل الطريق إلى وصلها مطاعة بالرماح فإن لم تكن فصارية بالسيوف (٦) نزاح : كسغاف من قولهم فلان يراح المعروف إذا أحدث له أريجة وحة ، ويلمع أى يلون بلون النجيع أى الدم ، يقول نحن لا سترج لوصول الغايات إذا لم ندفع عنه من دم الأعداء .

(٧) النوم : مبالغة فى التمسك به عن سطوع الرائحة ، والأريج : ما يفوح من العطر ، ويشعشع : يختلط ، والعجاج : العبار ، والملاّب : كسحاب العطر ، أى لا سترج إلى اشتاق عطرها الساطع الأريج إلا بعد امتشاق الحسام ، واختلاط ما تثيره سنابل الخليل من التراب ، بما يروح من رائحة الملاّب ، والمعنى أنه لا يجب أن يظهر تلك اللذائذ إلا إذا اغتصبها اعتصابا بحمد السيب . فهو لا يسأل الرية إلا بادم ولا يدشق العطر إلا مشوبا بنهار الهيجاء .

وَكَمْ رَاسَلَ الْعَبْرَانِ يُهْدِي وَعِيدَهُ فَمَا رَاعَهُ إِلَّا الطَّرُوقَ جَوَابُ^(١)
وَلَمْ يَثْنِنَا أَنَّ الرَّبَابَ عَقِيلَةٌ تَسَانَدُ سَمْدُ دُونَهَا وَرَبَابُ
وَأَنْ رُكِرَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أَسِنَّةٌ وَحَقَّتْ بِقُبِّ السَّابِحَاتِ قِيَابُ^(٢)
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غَيْبَ الشَّرَى بِنَا أَكْثَرَتْ عِظَالِي أَوْ أَمَادَ كَلَابُ^(٣)
وَلَيْلَةٌ وَافَقْنَا تَهَادَى فَنَمْتَرَى أَلَيْسُمُو حَبَابُ أَوْ يَسِيبُ حُبَابُ^(٤)
يُعَذِّبُهَا عَضُّ السَّوَارِ عِمْقَصِمِ أَتَبَانَ لَهَا أَنَّ النَّعِيمَ عَذَابُ
لَا بَرَحْتُ مِنْ شَيْحَانٍ حُطَّ لَثَامُهُ إِلَى خَفِيرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ^(٥)
تَوَى مِنْهُمَا ثَنَى النِّجَادِ مُشَعِّعٌ نَجِيدُهُ وَمَيْلَاهُ الْوُشَاحُ كَعَابُ^(٦)

(١) العبران : وصف من العيرة ، والطروق : طروق الحى بالليل ، وى التمتع بلوصل رغم العبور يقول ابن الرومى .

ألا ربما سؤت العبور وساءنى وبت كلانا من أحييه على وحر
وعلت أبوهاً عذاباً كأنها يابغى حر حصب لؤلؤ الحر

(٢) الف : جمع بناء وأنب والأف السامر من الحبل ، ومعنى هذا البيت والذى قبله لم يعرفنا عن زيارة هذه المحبوبة التى كفى عنها ندرت أن تساند هامان القليلتان وتماوتتا دون لوصول إليها .

(٣) نذر به كفرح علمه فخره وعطالي وكلاص يضم أولهما يومان من أيام العرب ، أى لو علم بمرانا إليها هذان الحيان لكنا لما معهما يومان كيومى عطالي وكلاص فى الشهرة والمول .

(٤) يسمو : أى يرتفع بالمطر إليه من بعيد يستقينه وحاب -- فاعنح -- توج الماء وطرائقه التى كأنها الوشى أو النسيج وبالفم الحبة ، وسمو اليا حباب بالفتح وهو الماء فى تداعيه وتوجهه وإحداثه طرائق كطرائق النسيج وهو تمثيل لاحتلاص الخطا فى المنى ، والمعنى : وادكر ليلة وادما محتمية فشك أقتل نحونا حبيب أو نذباب البناء حبة . يقول : لقد كمالنا ندرى أن تكون ليلتنا ليلة أس واغتناط بقرب الحبية ، أم ليلة حرب وضراب بغزو أهدانا إيانا ، وسمو الحباب : فيه إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إليها -- بعد ما نام أهلها -- سمو حباب الماء . حالا على حال

(٥) لأمرحت : لقد أفرط فى الحذر وتوقع موازنة العدو ومشايخه ، والشجكان : العبور الحذر على الحريم ، والخمر : الخياء ، واللثام : للرجل ، والقاب : للمرأة ، يقول : لقد وضعت اللثام عن وجهي وتمتعت بحبيب لم يرفع عنه وجهه نقاب ليرط حائه . ولقد كنت - إلى ذلك - دائم الحذر والتوقع لموازنة العدو .

(٦) توى : أهدى ، وثى السجاد : بكسر أولهما أى طلى الفرش والوسائد ، والمشيح : كمظم الشجاع ، والنجيد : الأسد - وهو يعنى بذلك نفسه - وميلاء الوشاح : يريد أن وضاحها به ميل وانحدار لنهود ثديها وضور كنعجها ، والكعاب : كسحاب التى كعب ثيابها - وهو يعنى بها حبيته - وفى معنى هذا البيت يقول الطمرانى : وبنا على رغم العبور يصمنا جميعاً حواشى بردها وردائنا وكانت إساءات الليالى كثيرة فابرحت حق شكرنا الليالى

يُعَلِّلُ مِنْ إِغْرِيسٍ تَعْرِ يَعْلُهُ غَرِيضٌ كَمَا الْمَزْنُ وَهُوَ رُضَابٌ^(١)
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُفْهَةِ الْأُفُقِ غُرَّةٌ وَتُفَرِّ مِنْ جُنْحِ الظَّلَامِ غُرَابٌ^(٢)
وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ تَهْوِي فَخَلَّتْهَا ثَنَاهَا مِنَ الشَّعْرَى الْعَبُورِ جَنَابٌ^(٣)
كَأَنَّ الثَّرَيَّا رَايَتْهُ مُشْرِعٌ لَهَا جَبَانٌ يُرِيدُ الطَّغْنِ ثُمَّ يَهَابُ
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي رِبَاوَةِ أَفْقِهِ مُسِيمٌ نُجُومٍ حَانَ مِنْهُ إِيَابٌ^(٤)
كَأَنَّ الشَّمَا فَانِي الْحَشَاشَةِ شَفَّهَ صَنَى فَخُفَاتٍ مَرَّةً وَمَتَابُ
كَأَنَّ الصَّبَّاحَ أُسْتَقْبَسَ الشَّمْسُ نَارَهَا فَجَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شِهَابُ
كَأَنَّ إِيَاةَ الشَّمْسِ بِشْرًا بَنِي «جَهْوَرٍ» إِذَا بَدَلَ الْأَمْوَالَ وَهِيَ رِغَابٌ^(٥)
هُوَ الْبَشَرُ شِمَمًا مِنْهُ بَرَقَ غَمَامَةٌ لَهَا بِاللَّهَى فِي الْمُعْتَفِينَ مَصَابٌ^(٦)

(١) تعلل : أى يكرر من التعليل وهو حى الثرة مرة بعد مرة ، ومه قول امرئ القيس :

فعلت لها سيري وأرخی زمانه ولا تهمدني من حناك المعلن

والأغريس : الطلع حمل ما ناله مكررا من قبيلها تنزلة إغريس أبيض حلو تكرر جهاء ، وبمعه أى يسقيه مكررا ، والغريس : ماء الأسنان ، والرضاب : الرق المرشوف ، ملوا : وهو الرقيق مادام فى الدم .

(٢) الدفحة : سواد الليل ، والعره : باض الصبح ، سنه الصبح فى استعجاله الدسى بمن يطير غرابا ، ويطير هذا قول ابن المعتز :

كأنما وصو الصبح يستحل الدسى يطير غرابا ذا قوادم حوت

(٣) الجوزاء : نجم يعترض فى جور السماء أى وسطه ، والشعرى : شريان «لحدهما» الشعرى العبور وهى كوكب يطلع بعد الجوزاء وسميت العبور لأنها - كما يقال - عبرت السماء عرضاً ولم يعبر السماء عرضاً غيرها وهى التى عيدها طائفة من العرب فى الحاملية ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأنه هو رب الشعرى » أى التى تعبدونها « والثانية » الهمياء تقول العرب فى أحداثها لأنها غمضت من نكاتها على العبور ، وثانها : عطفا ، والجباب : الناحية والفناء .

(٤) سهيل نجم ، وراوة أفعه ما ارتفع منه ، ومسيم : اسم فاعل من ألام الأبل أى أرضها ، شبه سهيلا فى انحداره آخر الليل وراء النجوم براغ حان منه رجوع وروح .

(٥) إياة الشمس : بكسر الهمزة وفتحها صوفا وحسبها .

(٦) اللهيا : بالصم المعطيا ، والمعتق : كالمافى طال العمل الجود ، والمصاب : بالفتح نزول المطر مصدر ميبى من صاب المطر يصبوب إذا نزل .

جَوَادُ مَتَى أَسْتَعَجَلْتَ أَوَّلَى هِبَاتِهِ
 غَنِيٌّ عَنِ الْإِبْسَاسِ دُرُّ نَوَالِهِ
 إِذَا حَسَبَ النَّيْلَ الزَّهِيدَ مُنِيلُهُ
 عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ
 مُوَطَّأً أَكْنَافِ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ
 فَرْزُهُ تَرَزُّ أَكْنَافَ غَنَاءِ طَلَّةِ
 زَعِيمِ الْمَسَاعِي أَنْ تَلَيْنَ شَدَائِدُ
 مَهِيبِ يُعْمَضُ الطَّرْفُ مِنْهُ لِأَذِنِ
 لِأَبْلَجِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أُخْتَبِيَ
 وَذِي تُدْرَا يَعْدُو الْعِدَا عَنْ قِرَاعِهِ
 إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزْمَ لَمْ يَكْ هَفْوَةٌ

كَفَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْخَضَمِ عُبَابُ
 إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَكِيَّ عَصَابُ^(١)
 فَمَا لِعَطَايَاهُ الْحِسَابِ حِسَابُ^(٢)
 عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُحِبُّوا بِهَا فَيُحَابُوا
 خَلَائِقُ زُهرُهُ إِذَا أَنَافَ نِصَابُ^(٣)
 أَرَبَّتْ بِهَا لِلْمَكْرُمَاتِ رَبَابُ^(٤)
 يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلَيْنَ صِعَابُ
 مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ^(٥)
 عَلَا نَظْرُهُ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ
 غِلَابُ فَهَمَّا عَزَّةٌ فَخِلَابُ^(٦)
 يُؤَرَّرُ عَنْهَا فِي الْأَنَامِلِ نَابُ^(٧)

(١) اللانة البسوس : هي التي لا تدر إلا على الإبساس بأن يقال لها « س بس » تسكباً لها ، والدرا اللين ، والكي الذانة التي قل لبها ، والعصاب : بالكسر شد نخدى الناقة لندر . يقول : إن نواله قريب ميسور لا يكفه مشقة ولا يحولك إلى إلحاف . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر بمعنى الكثيرة الكافية صفة لعطاياه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حساباً » أى كائناً ، والمعنى : إذا عد العطاء القليل مثيله ومعطيه ليحسبه ما لعطاياه الكثيرة الكافية عد ولا إحصاء . (٣) يقال رل موطأ الأكشاف : كعظم أى سهل دمت الأخلاق سمح كريم ، والصاب : كالصعب الأصل ، والمعنى : أنه سهل حوالب السباح يقربه منك ويدنو به إليك دماثة أخلاقه وإن علانصبه وسما أصله (٤) البناء : الكثيرة الشجر ، والطة : الروضة بلها الطل ، وأربت : من أرب بالمكان إذا لزمه والرباب السحاب . (٥) يقول إن ابن جهور مهيب يعصى من مهابه ومع هذا فهو يعس طرفه حياء ، وهذا قريب من قول الفرزدق :

« يعصى حياء ، ويعصى من مهابه فلا يكلم إلا حيين يبتسم »

(٦) دو تدرأ : يضم أوله أى صاحب عدة وقوة على دمع أعدائه عن نفسه ، وغلاب : أى مغالبة ، وهزه : غلبه ، وحلاب : من خابه إذا خدعه ، وفي المثل « إذا لم تطلب فاطلب » . (٧) يقول إذا أمضى العزم لم يك إمضاؤه هفوة يعنى عليها أنامله ندماً وغيظاً .

عَزَائِمُ يَنْصَاعُ الْعِدَا عَنْ مُرَّهَا كَمَا رُهِيتَ يَوْمَ النَّضَالِ رِهَابُ^(١)
صَوَائِبُ ، رِيَشُ النَّصْرِ فِي جَنَابَتِهَا لَوَائِمُ ، وَرِيَشُ الطَّائِشَاتِ لُغَابُ^(٢)
حَلِيمٌ تَلَاقَى الْجَاهِلِينَ أَنَاتُهُ إِذَا حَلِمُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ^(٣)
إِذَا عَثَرَ الْجَانِي عَمَّا عَفَوْ حَافِظُ بِمَعْنَى لَهَا فِي الْمُذْنِبِينَ ذِنَابُ^(٤)
شَهَامَةٌ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبِ كَمَا الْمَاءُ لِلرَّاحِ الشَّمُولِ قِطَابُ^(٥)
« بَنَى جَهْوَ » مَهْمَا فَخَرْتُمْ بِأَوَّلِ فَسِرُّ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ لُبَابُ
حَطَطْتُمْ بِمَحِثٍ أَسْلَطَتْ سَاحَةَ الْعُلَا وَأَوْفَتْ لِأَخْطَارِ السَّنَاءِ هِضَابُ
بِكُمْ بَاهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ فَأَوْجُهُ شُمُوسُ وَأَيْدٍ فِي الْمُحُولِ سَحَابُ

* *

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ وَعَاوِرَ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابُ^(٦)
مُحْيَاكَ بَدْرٌ وَالْبُدُورُ أَهْلَةٌ وَيُمْنَاكَ بَحْرٌ وَالْبُحُورُ ثَعَابُ^(٧)
رَأَيْتُكَ جَارَكَ الْوَرَى فَعَلَبْتَهُمْ لِذَلِكَ « جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابُ »^(٨)

- (١) الانصياع الرجوع أى رجع الأعداء مما أسره من العزائم حوماً ورهبة كما رعت يدم الصال رهاب
أى نصال رقيقة جمع ره كل . (٢) صوائب : صفة العزائم فى البيت قلبه يريد أنها عزائم صائبة
كالسهم ، واللغات : ريش السهم إذا لم يعتدل فإذا اعتدل فهو إوام . (٣) وهذا ريب من قول المتنبي :
« ترفق أيها المولى عليهم فان الفرق بالحناني عقاب »
(٤) الدباب : بالسكر خيط يشده ذب البعير لئلا يخطره أى يحركه يميناً وشمالاً فيلاً راكمه ، أى
أنه بما يسديه إلى الحنطة من نعمى ينتمى من الوقوع فى الدن كما يجمع الدباب ذب البعير عن تلويث راكمه بحطراته
(٥) قطاب : بالسكر مزاج . (٦) معمس : خفى مشقه ، ونفى : المنزل .
(٧) ثعاب : بالسكر جمع ثوب وهو العدير . أو هو مسيل الوادى ، وجمعه ثعاب ، دل ابن دريد :
« والناس ضحاح ثعاب وأضى » ويجمع أيضاً على ثعبان ، فال الحريرى فى أحاجيه الى ذكرها فى
مقاماته : « أيجور الوضوء من ماء الثعبان » فقيل : « وهل أحسن منه ثعربان »
(٨) والمدكيات — والمدكيات بالضعيف — الجبل التى بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفى المثل :
« جرى المدكيات غلاب » أى أن تغاب الجرى غلابا .

فَقَرَّتْ بِهَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ أَغْنَىٰ وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ

* *

فَتَحَّتْ الْمُنَىٰ مِنْ بَعْدِ إِهْلَامِنَا بِهَا وَقَدْ صَنَعَ إِفْلِيدُهُ وَأُنْهِمَ بَابُ^(١)
 مَدَدَتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ تَخْضَرُ تَحْتَهَا مِنَ الْعَيْشِ فِي أُعْذَى الْبِقَاعِ شِعَابُ^(٢)
 حَتَّى سَالَمَتْ فِيهِ الْبَغَاتُ جَوَارِحُ وَكَفَّتْ عَنِ الْبَهْمِ الرِّتَاجُ ذِنَابُ^(٣)
 فَلَا زِلْتَ تَسْمَعُ سَعَىٰ مَنْ حَظَّ سَعْيِهِ نَجَاحُ وَحَظُّ الشَّائِنِيهِ تَبَابُ
 فَإِنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ وَإِنَّكَ لِلْمُلْكِ الثَّمَىٰ لَرِثَابُ^(٤)
 إِذَا مَعَشَرُ أَهْلَاهُمْ جُلَسَاؤُهُمْ فَلَهُوْكَ ذِكْرُ وَالْجَلِيسِ كِتَابُ^(٥)
 نَعْنَبُكَ عَنْ تَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَنْقَضَىٰ فَإِنَّكَ مَقْجُوعٌ بِهِ قُمْصَابُ
 هُوَ الزُّورُ لَوْ تُعْطَى الْمُنَىٰ وَضَعُ الْعَصَا لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ مُنَابُ
 شَهِدْتَ لَأَدَىٰ مِنْكَ وَاجِبَ فَرْجِهِ عَلِيمٌ بِمَا يُرْضَى الْإِلَهِ نِقَابُ^(٦)
 وَجَاوَزْتَ يَبْتَ اللَّهُ أُنْسًا بِمَعَشَرٍ خَشَوْهُ فَخَرُّوا رُكْعًا وَأَنَابُوا
 لَقَدْ جَدَّ إِخْبَابُ وَحَقٌّ تَبْتَلُ وَبَالَغَ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ^(٧)

(١) إهام : الباب لإعلاقه ، وباب : مهم أى مغلق ، والامليد : المفتاح .

(٢) أعذى : أفعال تتصلل من عدت الأرض يقال أرض عداة وهى الطيبة التربة الخامة من الررع البعيدة من ماء الأنهار والحداول ، والشعاب : جمع شعب بالكسر وهو الطارقى والجبل ومسيل الماء ، يقولوا ، أنه مد طلال الأمن على اللاد النائية ، وحمل الحصب يمتد إلى الجهات البعيدة من مياه الأنهار .

(٣) البغات : صغاب الطير ، البهم : واحدتها بهة بالفتح وهى أولاد الصأن والمز والبتر . وهذا البيت من أبداع ما قرأناه فى وصف استنباب الأمن . (٤) الشعيب : المنعرق ، والثمى : العاسد من ثأى يثأى فهو ثأى كثر إذا مسد ، ورناب : جمع رؤبه وهى القطعة من الحشب يشعب بها الاناء ويسد بها ثلمة الجفنه (٥) يشير إلى قول المتنبي : « وخير جليس فى الزمان كتاب »

(٦) النقاب : بالكسر العالم بالأمور .

(٧) الاخبات : مصدر اخبت إلى ربه اطمأن إليه وتخضع وتواضع ، والتبتل : الانقطاع إلى الله تعالى .

سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِهِ لَكَ مَفْخَرٌ وَيَحْسُنُ فِي دَارِ الْخُلُودِ مَأْبُ
وَبُشْرَاكَ أَغْيَادُ سَيَنْمِي أَطْرَادُهَا كَمَا أُطْرَدَتْ فِي السَّمْهَرِيِّ كِمَابُ
تَرَى مِنْكَ سَرَّوَالْمَلِكِ فِي شَفِ الثَّقَى فَيَبْرِقُهَا مَرَأَى هُنَاكَ مُعْجَابُ
قَابِلُ وَأَخْلَفَ إِمَّا أَنْتَ لَابِسٌ لِهَذَا اللَّيَالِي الْغُرِّ وَهِيَ ثِيَابُ
فَدَيْتَكَ كَمْ أَلْقَى الْفَوَاغِرَ مِنْ عِدَا قِرَاهُمْ - لِنِيرَانِ الْفَسَادِ - ثِقَابُ (١)
عَفَا عَنْهُمْ قَدْرِي الرَّفِيعُ فَأَهْجَرُوا وَبَانِيَهُمْ خَلَقَ الْجَمِيلُ فَعَابُوا
وَقَدْ تَسْمَعُ أُمَيْتُ أَحْجَاشُ نَهَيْقَهَا وَتُعَلِّي إِلَى الْبَدْرِ التَّنْبَاحَ كَلَابُ
إِذَا رَاقَ حُسْنُ الرُّوضِ أَوْ فَاحَ طَيْمُهُ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ طَفَّ فِيهِ ذُبَابُ
فَلَا بَرَحَتْ تِلْكَ الضَّعَائِرُ نَهْيًا أَفَاعٍ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ لِصَابُ (٢)
يَقُولُونَ شَرِّقْ أَوْ فَعَرَّبْ صَرِيعةً إِلَى حَيْثُ آمَلَ النُّفُوسُ نَهَابُ (٣)
فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْعَضْبُ أَصْدَى مَتْنُهُ وَعُطِّلَ مِنْهُ مَضْرَبُ وَذَبَابُ (٤)
وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانَ مَضَاوُهُ إِذَا حَازَ جَفْنَ حَدَّهُ وَقِرَابُ
وَأَنَّ الَّذِي أَمَلْتُ كَدَّرَ صَفْوُهُ فَأَضْحَى الرِّضَا بِالسُّخْطِ مِنْهُ يُشَابُ
وَقَدْ أَخْلَفْتَ مِمَّا ظَنَنْتُ مَخَابِلُ وَقَدْ صَفَرْتَ مِمَّا رَجَوْتُ وَطَابُ
فَنَنْ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمُ إِذَا لَجَّ بِالْخَصْمِ الْأَلَدُ شِمَابُ
لِيُخْرِجَهُمْ إِنْ لَمْ تَرُدِّني نَبْوةً يُسَاءُ الْفَتَى مِنْ مِثْلِهَا وَيَرَابُ

(١) انمواغر : جمع فاعره من معرفه إذا فتحه أراد بها الخافو ، والنقاب : ما ائتبت به البارواشعلتها به من صغار العبدان . يقول : نفسى دأوك ، كم ألقى الكوارث من أعداء خبيثاء دوى مكر خفى في تدبير الفتن ، ودعاء في نصب الشراك . (٢) لصاب : بالكسر من لصب الجلد باللاحم لرق به من شدة الهزال يريد ان ما يحملونه من ضغن له لنزع في صدورهم كذغ الأفاعى سبب لهم الهزال .
(٣) الصرعة : الزعقة وقطع الأسر ، والنهاب : بالكسر الغنائم جمع نهب .
(٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذبابه : بالضم حده .

فَقَدْ تَتَعَشَّى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُذْرَةً وَيَغْطُو عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ^(١)
 سُرُورُ الْغِنَى مَا لَمْ يَكُنْ زِينَتِكَ حَسْرَةً وَأَرَأَى الْمُنَى مَا لَمْ تُنَلِّ بِكَ صَابٌ^(٢)
 وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤَمِّلٌ فَأَنْتَ الشَّرَابُ الْعَذْبُ وَهُوَ سَرَابٌ
 أَيْعُورُ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْنِ جَانِبٍ وَيُمْعِرُ فِي ظِلِّ الرَّيِّعِ جَنَابٌ^(٣)
 قَائِنٌ ثَنَاءً يَهْزُمُ الدَّهْرُ كَبْرَةً وَحَلِيَّتُهُ فِي الْغَابِرِينَ شَبَابٌ
 سَابِكِي عَلَى حَظِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكَى رِيْعَةٌ لَمَّا ضَلَّ عَنْهُ ذُوَابٌ
 وَأَشْكُو بُؤْسَ الْجَنْبِ عَنْ كُلِّ مَضْجِعٍ كَمَا يَتَجَاوَى بِالْأَسِيرِ ظَرَابٌ^(٤)
 فَتَقِ بِزُرِّ الشَّعْرِ وَأَصْفَحْ عَنِ الْوَرَى فَإِنَّهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - ذُبَابٌ
 وَلَا تَعْدِلِ الْمُشْبِينَ بِي فَأَنَا الَّذِي إِذَا خَضَرَ الْعُقْمُ الشَّوَارِدُ قَابُوا
 يَنْتُوبُ بَيْنَ الْمَدَاحِ مِنْى وَاحِدٌ جَمِيعُ الْخِصَالِ لَيْسَ عَنْهُ مَنَابٌ
 وَرَدْتُ مَعِينَ الطَّمْعِ إِذْ زِيدَ دُونُهُ أَنْاسُ لَهُمْ فِي حَجَرِ نَيْهِ لُؤَابٌ^(٥)
 وَتَحَدَّنِي عِلْمُ تَوَالَتْ قُنُونُهُ كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِخَابٌ^(٦)
 فَعُدَّ بَيْدًا يَبْضَاءُ يَفْضُدُ صِدْقُهَا فَإِنْ أَرَا جَيْفَ الْعُدَاةِ كِذَابٌ
 وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَعَرَّ مَرِيرَةٌ لَعْنَتِكَ أَوْ يَخْفَى عَلَيْكَ صَوَابٌ^(٧)

(١) غطا : غطى : ستر والضب سحاب رقيق يشبه الدخان .

(٢) الأرى : العسل ، والصاب : شجر من واحدته صابه .

(٣) أيعور : من أعور المكان إذا بدت منه عورة ، ويمعر : أى يصاب ومنه المراء للأرض الصلدة .

(٤) الظارب : كسكت ما ساء من الحجاره وحده ضربه والجمع طراب بالسكس .

(٥) ديد : بالنساء للحيول منع ، والحجرة : منع فسكون الحاجبة ، ولواب : نالهم عطش ، والمعنى : أنه طبع على الشعر ورود معين الطبع في حين أن غيره من الشعراء حبس عن وروده فله في حابيه لواب أى عطش

(٦) اللجد : كمنه الذى حرب الأمور وقاسها عقله وعلمته التجارب ومثله اللجد بالذال المعجمة ، والسخاب : بالسكس المعمد .

(٧) المرير : والمريرة الحمل ، والاستمرار إحكام فله ، يقول حاشاك أن أدعوك إلى إصلاح حادث من ههناك ، أو يخفى عليك وجه الصواب .

بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستعطافه ، وقد وردت في آخر رسالته الجدية التي بعث بها إلى ابن جهور ^(١) بعد أن مهد لتلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سنيت عقد أمري تيسر ^(٢) ، ومتى أعذرت ^(٣)
في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة ،
والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة ^(٤)

وإذا امرؤ أهدى إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله
لعلى ألقى العصا بذراك ^(٥) ، وتستقر في النوى في ظلك ، وأستأنف
التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال
لحظه ^(٦) ، ولا أدع لقادح مساع لفظه ، والله ميسرك من إطلابي ^(٧)
بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنعة تصيب منها
مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبا أنت خليق له ،
وأنا منك حري به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما توالى غرر هذا النثر واتسقت ^(٨) درره ، فوز عطف
غلولته ، وجر ذيل خيلائه ^(٩) ، عارضه النظم ماهيا ، بل كايده
مداهايا ، حين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك
الطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له ، وما زال

(١) وقد أثبتنا هذه الرسالة في مكان آخر من الكتاب طبرحرج إليها أنما رأينا إذا شاء .

(٢) ان يترت ما تمقد من أمري تيسر وسهل . (٣) قبل العذر .

(٤) قال الشاعر :

قد نصب العول أن الشقة على الصديق والعدو صدته
وأفصل العالم عند الله من ساعد الناس بهضل الجاه
ومن أعاك البائس الملهوفا أعائه الله إذا أخيا

(٥) في كملك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى الشهامة في وعتمه بالقر إلى وأنا منكوب .

(٧) أسعافى وأتالي ما أبخيه . (٨) انتظمت . (٩) كبره ورموه .

يستكد الذهن العليل ، والخطر الكليل حتى زف إليك عروسا
مجلوة في أنوارها ، منصوصه ^(١) بحليها وملابها ^(٢) وهاهي القصيدة

الهوى في طلوع تلك النجوم والمنى في هبوب ذاك النسيم
مرنا عيشنا الرقيق الحواشي لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى إلى أن تقضى زمن ما ديمه ^(٣) بالديم ^(٤)
إذ ختام الرضا المسوغ مسك ومزاج الوصال من تسنيم
وعريض الدلال ^(٥) غرض ^(٦) جنى الصبوة ^(٧) نشوان من سلاف ^(٨) النسيم
طالما نافر الهوى ^(٩) منه غر ^(١٠) لم يطل عهد جيده بالديم ^(١١)

* * *

أيها المؤذني بظلم الليالي ليس يومي بواجد من ظلم ^(١٢)
قمر الأفق - إن تأملت - والشمس هما يكسفان دون النجوم

(١) مرموعة .

(٢) اللاب : الحذران . قال الشاعر : « كالحفة الصفراء صاك غيرها بملابها »

(٣) ديمه : عهده . (٤) لم يقضى لنا دور من السرور بتلك الحياة الناعمة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الزمن غير مدموم العهد . (٥) وذلك الدلال اللطيف الحس .

(٦) الغرض : الطرى ، الناعم : الناضر . (٧) الهوى : (٨) حمر .

(٩) نافر الهوى : غلبه . (١٠) لم يجرب الأمور .

(١١) التيم : جمع تيميه ، وهو العود : جمع عودة . أى الحزرات ونحوها مما يعاق على الصبي ليس

به العين ، وقد أنكر الاسلام ذلك ، وفي هذا يقول القائل :

وإذا للنية اشبت أطفالها الفيت كل تيمية لا تمنع

وعمى ذلك البيت : أحياناً قد طاحى الهوى وجافاه لأنه غر حدث لا يزال قريب العهد بالتمام ، فهو

لا ينفك كالزوال النافر لمرارته وحدثة عهده .

(١٢) أيها المحب بما تدرحه لي الليالي من كيد ، رويدك لا تخفى بذلك طالت بمحاق يومها على دهرى

لأننى ألفت منه الظلم دائماً .

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ^(١)

* *

بَوَّأَ اللَّهُ « جَهْوَرًا » شَرَفَ السُّو دَدٍ فِي السَّرْوِ^(٢) وَالْأَبَابِ الصِّمِيمِ^(٣)
وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمَدَ رَفَكَانَ الْخُصُوصِ^(٤) وَفَقَّ الْعُمُومِ^(٥)
قَلَدَ الْعُمُرِ^(٦) ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ^(٧)
خَطَرُهُ يَقْتَضِي الْكَمَالَ يَنْوَعِي خُلُقٍ بَارِعٍ وَخُلُقٍ وَسِيمِ^(٨)

* *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْعَصَا بَدَأَ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ^(٩)

(١) أكثر الشعراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكانوا يذكرونه باسم هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر فقال :
لا تنكرى عطل الكريم من العنى فالسبيل حرب النكات العالى
ومنه قول أبي العلاء :

والخط يباح الخليل وكم شكا نأ على ، ما شكاه قنبر
(٢) المروءة . (٣) المحس : الخالص . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :
اباغ حليلى عند هند فلا رلت قريبا من سواد الخصوص
(٥) اتفق الخاصة والعامة على تسميته مقاليد الأمور (٦) العمر : بالضم والفتح ، الذى لم يجرب الأمور
(٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، واتفق طاعتهم وحاصتهم على الاعتراف له بالفضل وأولو العلم عرفوا
بالعلم فصله ، ثم فلداهم في ذلك الجاهلون ، واكتفى العمر الجاهل بعلم الخير المجرب ، قالوا : وابن ربذون
ينظر من طرف حتى إلى قول البحترى :

ودود الفضل يجمعون على فضلك من بين سيد ومسود
عرف العالموت فضلك بالعلم . وقال الجاهل بالتقليد
(٨) خطر : شرف وارتفاع قدر ، وعلو منزلة ، يقتضى الكمال : يستلزم الكمال وبلوغ العاية
لما أحرزه من جلال السجاياء ، ووسامة الحلفة .

(٩) والعصا بدء قرعها للحليم : تصديق للمثل العربى المشهور : « إن العصا قرعت لدى الحلم » وهم
يضربون هنا المثل للذكي الذى إذا نهبت انتبه .

مَا عَنَّا أَنْ يَأْتَفَ السَّابِقُ الْمَرْ
بَطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالنَّطْهِيمِ^(١)
وَبَقَاءِ الْحُسَامِ فِي الْجَفْنِ يَنْدِي
مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالنَّصْمِ
أَفْصَبَتْهُ مِثْنِ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ
مَ ، نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ
وَمَعْنَى مِنَ الضَّغْنِ بَهَنَاتِ
نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ فَرَحَ الْكُلُومِ^(٢)
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ وَفَى الْعَا
يُدِ أَنْسُ يَنْفِي يَبْرُءُ السَّقَمِ^(٣)
نَارُ بَنِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ أَنْظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ^(٤)

* *

بَابِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ^(٥)

(١) السابق : الفرس ، المرتبط : اسم مكان - بكسر العين وفتحها - والعق في الحبل : الكرم ،
والنطهيم : تمام الحس فيها يشه نفسه - وهو على هذه الحال من الاعتقال - بالصاد الذي سُم مكاه الذي
رط فيه - لنتفه وكرمه ، وقد وجد هذا اليب في ديوانه على هذه الصورة :

..... يَأْتِ الْمَرْ بَطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالنَّطْهِيمِ

فَأَكْلَاهُ مِمَّا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى .

(٢) المعنى : المحبوس من التعمية وهي الحبس الضوئيل ، والصي : المرض لللارم ، والهبات : جمعة وهي
الشدائد أو كشي بها عن الأشياء ، وسكات : أي قشرت الخرج قل أن يبرأ فأدتمته ، والكولم : المراحات
والمعنى : ومحبوس من المرض لللارم بسبب أشياء أدمت قرح جراحاته بمراحات أخرى ، يريد أن عاء
السجن أسيب إليه عاء المرض فهو في محبين ، يعانى ألم شدتين .

(٣) أي سرس لا يعودنى إليه - وأنا في السجن - فأندون عيادة من يرورنى ما يكرى وبى شنائى لو أمكن ذلك
(٤) أي نار بى وضئ استمر لظاها في حنة الدعة والراحة والأمن فأصبح كالصريم : أي كالأبل في
السواد بعد الاحتراس ، وفيه تلميح إلى قصة أصحاب الحجة المذكورة في قوله تعالى في سورة الفلم « إنا بلوناكم
كما بلونا أصحاب الحجة إذ أقسموا ليصرمنها مصبيين » الآيات ١٧ : ٢٢ وهم قوم كانت لأبهم هذه الحجة
فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، فلما مات رأى بوه أن يستأثروا بما فيها لأنفسهم وغيالهم
فخلدوا ليصرمنها مصبيين ، أي ليقطعن شمارها مبكرين في الصبح خفية عن أعين المسلمين « فطاف عليها
طائف من ربك وهم نائمون فأصبح كالصريم » أي احترقت فصارت في السواد كصفحة الليل .

(د) أفديك أب أبها الممدوح بأبى ، إن تشأ تكن تلك النار التي مرت إلى حة الأمن برداً وسلاماً فلا
تحترق كنار إبراهيم إذ قدف فيها نأمر نمرود فكادت برداً وسلاماً طله فلم يخرق ، وفيه تلميح إلى قوله
تعالى « قلنا يانار كوفى برداً وسلاماً على إبراهيم » .

لِلشَّفِيعِ الشَّاءِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْبِ الْحَيَا لِلرَّيَّاحِ ، لَا لِلْغُيُومِ (١)
 وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُدَلَّلَ لِي الصَّعْبَ مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الزَّعِيمِ (٢)
 وَوِدَادٌ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ
 وَثَنَاءٌ أَرْسَلْتُهُ سَلَوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ وَلَهُوَ الْمُقِيمِ (٣)
 فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًّا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي مُصِيفًا إِلَى اعْتِدَارِ الْكَرِيمِ
 وَمَتَى يَبْدَأِ الصَّبِيحَةَ يُؤَلِّفُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالتَّعْمِيمِ (٤)

(١) أى 'شفييع الشاء' والحمد لا للشعر ع لايه ، كما ان الحمد في نزول المطر للرياح التي تؤلب بن اليوم
 فينزل المطر بسببها لا للسم الغيوم ، وهو كقول العتري :

حُرِّ حدى وللرياح الواقي تحلب البيت مثل حمد اليوم

(٢) كقول تنذيل ما استصعب تدليله رجوعى إلى الهمام الرئيس . وقد ورد في بعض النسخ البيت التالي
 بعد هذا البيت :

أمل برغم الحفاء إليـه وهو ثبت للمقام ماضى العزم

(٣) أى مدح أرسلته فسار على ألسنة الناس مسير المثل إذا تلاه القاصن تلى به من شوقه إلى وطنه
 وحنينه إلى أهله ، وإذا تلاه المقيم كان فيه لهوه وأنسه .

(٤) أى متى يبتدئك الحيل تغريك خصاله التامة ، وتحملك أخلاقه الكامنة على المطالبه بقتنم ما ابتدأك به
 من معروف ، وتكمل ماشرع فيه من صنيع يرد - بعاره أوضح - أن ماله عليه من نعمة متدأة ، ويد
 سابقة يبعث في نفسه أملا قويا في إتمام تلك النعمة بأنجاز ما وعده به ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا سحاب أنت سقت غمامه فعليك - بمد الله - فيس غمامه

إن ابتداء العرف مجد باسقى والمجد - كل المجد - في استقامه

وقرب منه قول المتنبي :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كقص القادرين على التمام

وقول الفائق :

إذا أسديت مكرمة فأنعم فان البدر يسطع بالتمام

من قصيدة صنعها بطلبيوس^(١)

« قال هذه القصيدة عند فزاره من السجن والتجأه إلى بى عاد باستبيلية سنة ٤٤١ هجرية ، وكان قد وافاه الفطر فالأضحى وهو على حاله من الذكرى والشوق إلى معاهد قرطبة ، كان يخرج إليها في العيد ، ويشعر بجوارها ، ويلهو بحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكى تذكرها في فؤاده لأعج الشوق ، وبه كأمس الوجد ، فأخذ يذكرها مبهداً مبهداً ، ويصف ما حلقته في نفسه من الأثر ، ويبين ما أثارته دواعي الذكرى في قلبه من الصباية والأسى والشوق ، ويتول صاحب تلأذذ العقيان في هذه الأماك التي يذكرها بهد : — « هذه معاهد لبي أمية نمت بها ليالي وأياما ، وظلت فيها الحوادث عنهم نياما ، فيهاوا (بشرق العقاب) وشاموا به برقاً يبدو من نقاب ، ونموا (بحوى الرصافه) ، وطعموا عيشاً تولى الدهر حلاؤه وزفافه ، وأعدوا صبح اللاصح ، وحمدوا أمس (مجلس ناصح) ، وعموا (بالزهراء) ، وصعدوا عن نبأ صاحب (الرواء) حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم ، وعوضهم منها ما عوضهم » إلى آخر ما قال » .

خَلَيْتُ لَا فِطْرُ يَمُرُّ وَلَا أَضْحَى فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى
لَنْ شَاقِي (شَرَقُ الْعُقَابِ) فَلَمْ أَزَلْ أَخْصُ بِمَحْضِ الْهَوَى ذَلِكَ السَّقْمَا^(٢)
وَمَا أَنْفَكُ جُوفِي (الرُّصَافَةِ) مُشْعِرِي دَوَاعِي ذِكْرِي تُعْقِبُ الْأَسْفَ الْبَرَحَا^(٣)

(١) بطلبيوس : بمحتين وسكون اللام ، وباء مصمومة ، وسين مفعلة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر « آنه » غربي قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) العقاب : بالضم العلم الضخم والصخرة العظيمة في عرض الجبل اسم موضع قرطبة ، ومحض الهوى : خالصة .

(٣) (حوى الرصافه) : الجوى بضم الجيم الواسع الجوف . قال في اللسان وثى حوى أى واسع الجوف ، ودلا ، خوف : أى واسعه ، و (الرصافه) : ضم وفتح اسم لعدة مواضع منها بالأندلس موضعان أحدهما بليدة صيرة عند فلسية ينسب إليها الرفاء الأندلسى الرصافى الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن الداخل أول ملوك الأندلس من بى أمية وسماها برصافه جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالشام كما يؤخذ من ابن خلكان نقلا عن كتاب ليانوت الجوى اسمه « المشترك وضعنا المحلب صعا » ، والبرح : بفتح فسكون العذاب والشدة وصف به الأسف مبالغة والمراد أنها تعقب أسفاً مبرحاً شاقاً شديداً .

وَيَهْتاجُ (قَصْرُ الْفَارِسِيِّ) صِبَابَةً لِقَلْبِي لَا تَأْلُو زِنَادَ الْأُمَى قَدْحًا ^(١)
وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ (تَجْلِسُ نَاصِحٍ) فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوُلُوعِ بِهِ نُصْحًا
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى (عَيْنِ شَهْدَةٍ) نَزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا ^(٢)
وَقَائِعُ جَانِبِهَا التَّجَنَّى فَإِنْ مَشَى سَفِيرُ خُضُوعٍ يَدْنِنَا كَدَّ الصُّلْحَا ^(٣)
وَأَيَّامُ وَصِلِ (بِالْعَقِيقِ) اُقْتَضَايَتُهُ فَلَا يَكُنْ مِيعَادُهُ الْعِيدَ فَالْفِصْحَا ^(٤)
وَأَصَالَ لَهْوِي فِي مُسْنَاةٍ مَالِكٍ مُعَاطَاةً نَذَمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبَحَا ^(٥)
لَدَى رَاكِدٍ يُضِدُّكَ مِنْ صَفْحَاتِهِ قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلْتَهَا مُرَدَّتْ صَرَحَا ^(٦)

(١) يقول : تثير ذكرى قصر الفارسي لقلبي صبابة لا تنقر عن قدح رباد الحزن ، والرناد ما يقدر به النار

(٢) يعنى أنه عبأ لهو به في هذا المكان حيش عتاب أحرز به نصرأ عليها وفتحاً .

(٣) التجنى ادأؤها عليه دنبا لم يفعله ، والسفير المصلح بين القوم ، والمعنى أن هناك وقائع جأها ادأؤها الذنوب عليه كان خضوعه فيها رسول سلام لتوكيد المصلح بينهما . (٤) يقال اقتضيت الدين أى قبضته وأخذته ، والفصح بالكسر عبد النصارى ، والمعنى أن أياما معلومة من السنة كنت أحصل فيها (بالعقيق) على الوصل واقتضيه في ميعاده كما يقتضى أى يقص التريم دينه ، فان لم يكن ذلك الاقتضاء موعده العيد فالصبح . (٥) الآصال : جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب ، والسناة : سدة

يلبى فى وسط الوادى لاحتجاز الماء ورد ما لا يعل منه ومنعه عن الجرى فى طريقه المعتاد ، له أبواب تفتح لاطلاق الماء بحسب الحاجة ، ومعى العرم . قال فى الصحاح ، « والسناة العرم لا واحد له من لفظه » ، والمعنى أنه يذكر تلك الأيام التى كن يلهو بها مع الأصيل فى تلك السنة المللكية مرة بمعاطاة الراح إذا شاء ، وأخرى بالسبح والعموم فى الماء ، وهذا مما ثبت أنهم كانوا يبنون (الخرائات) لاختصاص الأرض وإمداد البرك بالماء بعد تملئته . (٦) قال بعض المفسرين فى قوله تعالى (قبل لها ادخلى الصرح) . الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير ، ومن معانى الصرح الساحة أيضا ، فكأنه أراد تشبيه ماء السناة الراكدة فى خضرته واسوائه بزجاج أخضر مرد (بالتشديد) أى ماس صرحا أى ساحة مستوية من زجاج .

مَعَاهِدُ لَذَاتٍ وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ أَجَلْتُ الْمَعْلَى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا^(١)
 الْأَهْلَ إِلَى (الزَّهْرَاءِ) أَوْبَةً نَازِحَ تَقْضَى تَنَائِيهَا مَدَامِعُهُ نَزْحًا^(٢)
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابَتُهَا فَعَلْنَا الْعِشَاءَ الْجَوْنَ أَمْنَاءَ هَا صُبْحًا^(٣)
 يُمَثِّلُ قُرْطَيْنِهَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً فَقَبْنُهَا فَالْكَوْكَبُ الرَّحْبُ فَالْسَّطْحَا^(٤)
 حَلُّ أَرْتِيَاكِ يُذَكِّرُ الْخُلْدَ طَبِيبُهُ إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى^(٥)

(١) القدح : كسر فسكون واحد السهام التي كانوا يستقسمون بها الحزور في الميسر ، وكانت يداح الميسر عشرة ثلاثة منها غمل ، وسبعة من دوات الانصاء ، وكان للمعلل أوفرها حظا له سعة أجزاء من الحزور ، فاذا أحال مخرج القدح يده في الخريطة ، وأخرج للمعلل باسم أحد المتقامرين كان هو الفائز بأكثر الأنصام وأوفر المخطوط . يقول : هذه معاهد لدات قضيت منها من اللذات ، وبلغ فيها من الأمان ما حمل قدحى منها للمعلل . (٢) الزهراء من عذبت أبده الدنيا أنشأها أبو المنذر عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عدللك بن مروان بن الحكم الأموي الملقب بالناصر أحد ملوك بني أمية بالأندلس بالقرن من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والمسافة بينها وبين قرطبة ستة أميال تقريبا ، وطول الزهراء من المشرق إلى المغرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد السواري التي فيها ٣٠٠ : سارية ، وأوامها نحو ١٥ نارا ، وكان الناصر ينفق على عمارتها ثلث حياجه بلاد الأندلس التي كانت تبلغ في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن مناره الدنيا وأبدعها ، وقد أكثر أهل قرطبة في وصفها وما قاله الشعراء فيها ، ولهم في ذلك تصانيف ، والأوبة : الرجوع ، والنزاح : البعد ، وتقضى أحد وتناول حقه من غريمه ، وهي المدامع ها ، والنزح : من نزح الثر ، وهو استنزاف مائها ، ورأيت في بعض النسخ (تقصت ما فيها مدامعه سبعة) (٣) المقصورة : ناحية من الناء على جبالها تقصر على الملك ، أو على صاحب الدار ، أو هي الدار الواسعة المحصنة ، وتجمع على مفاصر ومقاصير ، والجنان : جمع جنه كجدة وسعدات ، وفي اللسان ما يفيد اختلاف المعنيين في إسكان الون وفتحها في الفرد ، وقتل عن ابن جني قوله : وقد غرى الناس بقولهم ، أنا في ذراك وحببتك بفتح الون قال والصواب إسكان الون ، واستشهد على ذلك بقول أبي صقره البولاني :

فما نظمة من حبّ مزن تقادفت بها حنبتا الجودي والليل دامس

بأطيب من فيها وما دقت طعمها ولكني فيما ترى العين فارس

والجود : هنا الأسود ، والمعنى أن تلك المقاصير أصبحت نواحيها بالمصابيح والسرر ، لحسبنا العشاء في داخلها صاعبا

(٤) يمثل له الوم هذه المواضع من الزهراء كأنه براها جهرة (٥) في بعض النسخ عن بدل عن

وفي بعضها يقضى بدل يصدى ، ولعلها مصدرة عن يمرى ، والأنسبه بالصواب ما هنا ، ومعنى البيت أن

هَذَا الْجَمَامُ الزُّرْقُ تَنْدَى حِفَافَهَا ظِلَالُ عَهْدِ الدَّهْرِ فِيهَا فَتَى سَمَحًا^(١)
تَعَوَّضْتُ مِنْ شَذْوِ الْقِيَانِ خِلَافَهَا صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ الْكَرَى صَبَحًا^(٢)
وَمِنْ خَمَلِ الْكَأْسِ الْمَفْدَى مُدِيرَهَا تَقَحُّمُ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرُّنْحَا
أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ شَاطِئِ نَيْطَةٍ لَأَقْصُرُ مِنْ لَيْلِي بَانَةٌ فَالْبَطْحَا^(٣)

في الغزل

عَلَامَ صَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ وَصُولِ فَدَيْتُكَ وَأَعْتَزَّتْ عَلَى ذَلِيلِ^(١)
وَفِيمَ أَنْفَتَ مِنْ تَعْلِيلِ صَبٍّ صَبِيحِ الْوُدِّ ذِي جِسْمٍ عَلِيلِ
فَهَلَّا عُدَّتْنِي إِذْ لَمْ تَعُودْ بِشَخْصِكَ بِالْكِتَابِ أَوِ الرَّسُولِ^(٢)
لَقَدْ أَعْيَا تَلَوْنُكَ أُحْتِيَالِي وَهَلْ يُغْنِي أُحْتِيَالِي فِي مَلُولِ^(٣)

الزهراء محل ترناح النفس إليه يذكر طيه حة الخلد حيث يمنع أن يصدى الله أى يعطش أو يصحى أى يبرز للشمس ، وبه الإشارة إلى قوله تعالى « إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى » ولا شك أن الجوع ، والعرى ، والظما ، وعدم السكن أركان الشقاء في هذه الحياة وبدونها يكون العم والراحة والسعادة ، وأن الشخص في الحياة الدنيا معى يطلب هذه الأشياء بخلافه في دار العم والخلد ، وقد توفرت له في الزهراء أسباب الراحة والعم فادكره ذلك جنة الخلد .

(١) الحمام : جمع حمة ، وهى مكان اجتماع الماء ، والزرق : صمة للجمام بمعنى المياه المحتمة ، وحفافها : حوانها وما يطيب بها من حوها ، والمعنى هناك في الزهراء البرك ذات الأمواه الزرق تظللها حفافها وحوها ظلال بلبلة ندية (٢) أي أدلتك من سماع صوت المنيات خلال تلك النوادي الآهلة بأنواع الطرب سماع صدى هذه الفلوات المحففة يتردد فيها ضجج العاديات من الحيل فيطير النوم من العين (٣) نيطه وآه : نهران (٤) يقول : لماذا قطعت حل محب دائم الوصال لك ولماذا تكبرت على عدك الحاضخ الدليل .

(٥) هلاعدتى بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من عادتك أن تعودنى بشخصك .

(٦) من أجل ما قرأناه في هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لو كنت طابتة لكن لوعى أملى رضاك وزرت غير معات
لكن مللت فليس لى من حيلة صد الملول خلاف صد العاتب

وقرب منه قول ابن الرومى :

ولكنكم كنتم تريدون علة فهاجكم أدنى عتاب إلى الصد
أردت صلاح القبل بالبعد فأنبرى لنا ظلمكم فاستفقد القبل بالبعد

بين صديقين

« كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر معاتنا :
تاعدنا على قرب الجوار
كأننا صدنا شحط المزار
تطلع لى هلال الهجر بدرا
وصار هلال وصلك فى سرار
وشاع شنيع وصلك لى هجرى
فهلا كان ذلك فى استتار
أجمل أن ترى عنى صورا
وأصبح مولعا دون اصطبار
ولما أن هجرت وطال غفري
عقرت هموم تنسى بالعقار
وكنت أزيد سمعك من عتابى
ولكن عافى قرب الخمار
فراع مودتى واحفظ جوارى
فان الله أوصى بالجوار
وزرنى منعما من غير أمر
وآنس موحشا من عقردار
بخاويه ابن زيدون : »

هَوَاىَ - وَإِنْ تَنَاءَتْ عَنْكَ دَارِى -
مُقِيمٌ لَا تُغَيِّرُهُ عَوَادِ
كَمَثَلِ هَوَاىَ فِي حَالِ الْجَوَارِ
تُبَاعِدُ بَيْنَ أَحْيَانِ الْمَزَارِ
رَأَيْتُكَ قُلْتَ : إِنَّ الْوَصْلَ بَدْرُ
مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)
وَرَأَيْتُكَ أَنَّى جَلْدُ صَبُورِ
وَكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عَنِ اصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أمرت أن الوصل بدر فأنت حليق أن تلم أن لا بدد - لات شتى هو - إذا اكتمل نموه فى وسط الشهر لحقه الحاق فى آخره .

(٢) لأن صبرى ليس طبيعيا ولكنى انكفاه اضطرارا إليه لأنى لا أجد مذوذة عنه .

وَلَمْ أَهْجُرْ لِعَتَبٍ غَيْرَ أَنِّي أَضَرْتُ بِي مُعَاوَرَةَ الْمُقَارِ
وَأَنَّ الْخَمَرَ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ^(١) تُبْرِحُ بِي ، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ^(٢)

* * *

وَهَلْ أُنْسَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشٍ كَوْنِي الْخَدَّ طُرَزَ بِالْعِدَارِ
وَسَاعَاتٍ يَجُولُ اللَّهُوُ فِيهَا مَجَالِ الطَّلِّ فِي حَدَقِ الْبَهَارِ^(٣)
وَإِنْ يَكُ قَرَّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - فُؤِدَتِ - فَمَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارِ^(٤)
وَكُنْتُ عَلَى الْبُعَادِ أَجَلٌ عَلِقِ^(٥) لَدَيَّ ، فَكَيْفَ إِذَا صَبَحْتَ جَارِي^(٦)؟

دعوة

« كتبها إلى ذى الوزارتين أبى عامر يدعو به إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَةِ فَلْتُنْسِنَاهَا هَذِهِ التَّالِيَةِ^(٧)
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةٍ فَأَنْقُلْ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْعَالِيَةَ
لَيْلَتُنَا عَاطِلَةٌ إِنْ تَغِيبَ عَنَّا ، فَوَزْنَا كَيْ تَرَى حَالِيَةَ
أَنْتَ الَّذِي لَوْ نُشْتَرَى سَاعَةٌ مِنْهُ بِدَهْرٍ لَمْ تَسْكُنْ فَالِيَةَ

(١) سورة . (٢) إذا كانت الحر التي لا سكر فيها تبرح بى فما بالك بها إذا أسكرت .

(٣) البهار : نبت طيب الرائحة . (٤) إذا كال جسمى قد قرَّ قراره ببداً علك فأن قلبى لا يزال

يهفو إليك . (٥) العالق : النفيس ، قال الشاعر :

« أبيت اللعن ان سكاب علقي هيس لا يعار ولا يباع »

(٦) إليك - مع البعاد الذى يبنى الألاف - كنت أجل مخلوق لى ، فكيف أنساك وقد زادنى الجوارح بافك

(٧) لقد طابت ليلة أمس بقربك منا فذكرها ، ولينسنا ما بغيرنا من السرور فى ليلتنا التالية ما نعمنا

به فى ليلتنا الماسية .

قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

«بَنِي جَهْوَرٍ» أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي وَلَكِنَّ الْمَدَائِحَ تَعْبُقُ^(١)
تَعْدُوَنِي كَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ^(٢) إِنَّمَا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ^(٣) حِينَ يُحْرِقُ

*
* *

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ ثَوَابِي
لَا تَخْشَى فِي حَقِّي مِمَّا أَمْضَتْهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوْقَّ عِتَابِ^(٤)
لَمْ تُنْخَطِ^(٥) فِي أَمْرِ الصَّوَابِ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً^(٦) فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ^(٧)
فَبَتُّ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأَجْتَنَى الْوَرْدَ مِنْ الْخَدِّ

(١) عبق : الطيب يسبق من باب فرح بقيت رائحته زمانا ، يقول بالرغم من أنكم أحرقتهم فؤادي بنار الحفاء ، وقابلتم شكواي بدمع الاصغاء ، فان مدبني باق فيكم ملازم لكم ملازمة الطيب صاحبه .
(٢) الزعفران لحرته . (٣) ما يبعث عنه عند الاحراق من الروائح الطيبة ، والمعنى : تحملوني في عداد ما يحرق من الطيب الذي ليس لكم من إحراقه إلا طيب أنفاسه . قال ابن سلام عند إيراده هذين البيتين ، وأراه توارد مع أبي علي بن رشيقي القيرواني حيث يقول :
أراك اتهمت أحك الله وعندك مقت وعندي مقه
وأني عليك وقد سؤني كما طيب العود من أحرقة
وأخذه مما من قول أبي تمام :

لولا اشتعال النار فيما حاورت ما كان يعرف طيب عود العود

(٤) لا تخش في حق لوما بما أنذرت في من حكم السجن ولا تتوق عتابي فاني أنا الحقيق بالوم والعتاب
(٥) أبدل الهزئة من الياه وحذفها للجارم كما يحذفها من المعتل وأصله لم تحطى ، يقول : لم تعد في أصرى الصواب وقد وفقت في حكمك على بالسجن بعد أن انقطعت زمانا لمحك ، وهذا جزاء من يكذب في شعره ويمدح من لا يستحق المدح ، وقريب من هذا الهجاء قول ابن الرومي :

إن كنت من جهل حق غير معتمد وكنت من رد مدحى غير منبئ
فأعطى عن الطرسى الذى كذبت فيه القصيدة أو كفارة الكذب

(٦) حراً : يعنى حر ريقه . (٧) أى ورد وحنته .

وقال معاتباً من قصيدة أولها

بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِمِ وَرِشْتَ ^(١) فَلَا تَبْرِي
أَرَى نَبْوَةً لَمْ أَذْرِ سِرًّا أُعْتَرِضْهَا
جَفَاءَ هُوَ اللَّيْلُ أَذْهَمَ ظَلَامُهُ
هَبِ الْعَزْلُ أَضْحَى لِلْوَلَايَةِ غَايَةٌ
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةٌ
أُنَاسٌ هُمْ أَخْشَى لِلذَّغَةِ مِقْوَلِي
فَإِنْ عَاقَتِ الْأَفْدَارُ فَالْنَفْسُ حُرَّةٌ
وَأَمْرَضَتْ حُسَادِي وَحَاشَاكَ أَنْ تَبْرِي ^(٢)
وَقَدْ كَانَ يَحْلُو عَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَذْرِي ^(٣)
فَلَا كَوْنُ كَبٍّ لِلْعُذْرِ فِي أَفْهٍ يَسْرِي ^(٤)
فَمَا غَايَةُ الْمُوفِي مِنَ الظِّلِّ أَنْ يُكْرِي ^(٥)
تُسَوِّغُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي ^(٦)
إِذَا لَمْ يَكُنْ بِمَا فَعَلْتَ لَهُمْ مُضِرٌّ ^(٧)
وَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَحْرِ بِهَا أُخْرِي

موقف وداع

وَلَمَّا التَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً
وَقُرْنَتِ الْجُرْدُ الدُّلَاتِي ^(٨) وَصَفَّقَتْ ^(٩)
بَكَيْنًا دَمَا حَسَى كَأَنَّ عُيُونَنَا
وَكُنْمًا تُرْجَى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ
وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ
طُبُولٍ وَلَا حَتَّ لِلْفِرَاقِ عَلَامَاتُ
لَجَرْنِي الدَّمُوعِ الْحُمْرِ فِيهَا جِرَاحَاتُ
فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْنَا زِيَادَاتُ

- (١) من راس صديقه كساه وأصلح حله . (٢) من البرء : وهو الشفاء من المرض .
(٣) أرى جموة لم أدرسها اعتراضاً أي منها الود من أن يسير في طريقه الأول ، وقد يكشف ما عرس
لي من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سرَّ تلك النبوة والنفوة .
(٤) جفاء كالليل اشتدَّ ظلامه فلم يفقه كوكب عذر واضح . وفي الأصل :
« حياء هو الليل اذهم ظلامه »
(٥) أكرى : الطل بكري نفس ، والمعنى : هب العزل أضحى حاتمة ما وليته من عمل ولا يبمى أن تكون
غاية ما أوفى على من طلاك ورعايتك أن يكرى أي ينقص . (٦) معنى البيت : في أي ذنب أراك تشير
بالسلام إشارة تسبغ وتحوز لمن شاء أن يزري بي الإلراء بي والتحقير لشأني .
(٧) اضراء : بالصيد ونحوه أعراه به فهو مضر أي مفر ، يقول : أولئك الزارون على المحمرون لشأني
أناس هم أخوف الناس من لسان لو لم تكن مما فعلته معي قد اضريتهم بي وأعريتهم بالرأية على .
(٨) الجباد السكرية . (٩) دقت الطبول إيذاناً بالسير .

وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَلْ عَهْدَنَا الشَّمْسُ تَعْتَادُ السَّكِلَانَ ^(١) أَمْ عَهْدَنَا الْبَدْرُ يَحْتَابُ ^(٢) الْحُلَمَانَ
أَمْ قَضِيبُ الْبَابِ يَعْنِيهِ الْهُوَى أَمْ غَزَالُ الْقَفْرِ يُصْبِيهِ الْغَزَلُ ^(٣)
خَرَقَ الْعَادَاتِ مُبْدَى صُورَةٍ حَشَدَ ^(٤) الْحُسْنِ عَلَيْهَا فَاحْتَقَلَ ^(٥)
مُشْرَبُ الصَّفْحَةِ مِنْ مَاءِ الْعَصَا مُشْنَعُ الْوَجْهِ مِنْ صَبْغِ الْخَجَلِ
مَنْ عَذِيرِي ^(٦) مِنْهُ إِنْ أَعْبَيْتُهُ ^(٧) نَمَى الْعَهْدُ وَإِنْ عَادَتْ مَلْ

(١) جمع كله بالكسر ، وهى ستر رقيق يخط كالسلك يتوق فيه من العوس ونحوه ، وتقدم هذا المعنى عند قوله فى القصيدة اليونانية :

كاس له الشمس ظلوا فى أكلته بل ما تخلى لها إلا أحيانا

(٢) يحتاب يلبس من قوفهم : احتاب القميص إذا لبسه ، وساعده قول لبيد :

سلك لإد رقص اللوامع بالسحى واجتأب أردية السراب اكلمها

أى لبست الأكمام أردية السراب ، والحذل بالضم جمع حلة أثبت أن من يهواه سمس وأنه بدر على الحقيقة ، وتمتع من احتجاب الشمس فى السكال ، واجتباب أى لبس الصدر الحلال ، وأنكر أن يكون ذلك معهودا فى العادة . (٣) يعنيه : يهيمه ، ويصبيه : يشوقه ويدعوه إلى الصبا والحين إلى من يحب ، والغزل : معارلة النساء ومحاذاتهن ، أى ولم نعهد أيضا أن الهوى يهيم قسب النان ، وأن المغازلة تدعو غزال اقفر إلى الصبا فيحن إلى من يهوى . (٤) اجتمع .

(٥) احتشد واجتمع : أى أتى بالمعزات ذلك الذى طلع عليها بصورته العائسة الجامعة لأمور الحسن ، الحافظة بأنواع الجمال .

(٦) يقال من عذيرى من فلان أى من يصيرى ، ويقال : عذير فلان : انصب أى هات عدرا له ، ومنه قول ذى الاصع العدواني :

عذير الحى من عدوان كانوا حية الأرض

نقى بعض على بعض فلم يرعوا على بعض

أى هات عدرا فيما فعل بعضهم ببعض من البغى ، والقتل ، والتباعد ، والتناقض ، ولم يرع بعضهم على بعض بعد ما كانوا حية الأرض التى يحضرها كل أحد ، ويقال عذيرى من فلان أى من يمزنى ، ومنه قول الآخر :

عذيرى من الاندان لاين جموته صفالى ولاين كست طوح يديه

وإنى لمشتاق إلى طلق صاحب يروق ويصفو إن كدرت عليه

(٧) من الحب فى الزيادة ، أى جنته زائرا يوما وتركته يوما أو أكثر يقال : « زغبا تردد جبا » وفى

اللسان : « الغب فى الزيارة فالحسن وكل أسبوع »

قَاتِلْ لِي بِالْجَبْنِيِّ ، مَا لَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَخْلَالَ مَا أَسْتَحِلُّ ؟

* * *

أَيُّهَا الْمُخْتَالُ ^(١) فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْخَالِ ^(٢) فَخَلْ ^(٣)
لَكَ إِنْ أَذَلَّتْ ^(٤) عُذْرُ وَاضِحٌ كُلُّ مَنْ سَاعَفَهُ ^(٥) الْحُسْنُ أَذَلُّ
سَبَبُ السُّقْمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي صِحَّةٌ كَالسُّقْمِ فِي تِلْكَ الْمَقَانِ ^(٦)
إِنَّ مَنْ أَضْحَى أَبَاهُ « جَهْوَرٌ » قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ فَفَعَلَ ^(٧)
مَلِكٌ لَدَّ جَبْنِي الْعَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَرَدُ الْأَمْنِ لِلصَّادِي عَمَلٍ ^(٨)

(١) دو الخلاء المعجب بنفسه المتباهي زينته وجماله .

(٢) الخال له معان كثيرة منها الخلاء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن برى أبحاثاً في معاني الخال ، والمناسب منها لما نحن فيه قوله :

وَإِذَا أَنَا خَذَنْتُ لِلْعَوَى أَمَى الصَّبَا وَلِلْعَزْلِ الْمَرْحَ ذَى الْتَهْوِ وَالْخَالِ

أَيُّ الْخِيَلَاءِ . (٣) أَى كُنْ دَا خِيَلَاءُ وَزَهْوٍ وَتَكْبَرٍ ، مِنْ خَالٍ يَخَالُ بَعْضُ اخْتَالٍ ، وَمِنْهُ بَتِ الْحِمَاةُ :

فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدِنَا سَدَدْتَنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَادْهَبْ نَفْلُ

معناه : إِنْ فَعَلْتَ مَا يَوْجِبُ لَكَ السِّيَادَةَ عَلَيْنَا سَدَدْتَنَا ، وَإِنْ حَاوَلَ أَنْ تَسُودَنَا لِحُجْرَةِ الْكِبَرِ وَالْاِخْتِيَالِ فَادْهَبْ فَاحْتَلْ مَا شِئْتَ أَنْ تَحْتَالَ ، فَانْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسُودَنَا حَيْثُذَ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ : أَيُّهَا الْمُخْتَالُ اانْزَهُوْ سَلَامًا وَكِبَرًا زِينَتَهُ وَجَمَالَهُ كُنْ دَا خِيَلَاءُ وَتَكْبَرٍ وَاعْجَبْ فَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لِمَرْطِ جَمَالِكَ .

(٤) يُقَالُ أَذَلَّ عَلَيْهِ وَتَدَلَّ : انْهَضَ وَاحْتَرَأَ وَتَحَنَّى فِي غَيْرِ مَوْجِعٍ تَحْنٍ .

(٥) سَاعَدَهُ وَوَاتَاهُ وَأَسْعَفَهُ نَاجِعًا أَسَابَهُ لَدَيْهِ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ أَمْرَطَتْ فِي الدَّالَةِ عَلَى ثِقَةٍ بِعَجَتِي

لَكَ ، وَاعْتَدَادًا بِسَاعِفَةِ الْحَسَنِ وَمَوَاتَاتِهِ فَكَانَ فِي الْإِدْلَالِ عِذْرٌ وَاضِحٌ .

(٦) يَقُولُ : أَنْ سَبَبَ الصِّمَى وَالسُّقْمِ الَّذِي اشْتَدَّ بِي تَبْرِيمُهُ وَأَذَاهُ فَتُورُ فِي لِحْطِ تِلْكَ الْعَيُونِ الصَّحِيحَةِ

الْمَرْضَةِ ، وَهَذَا مَعْنَى مَطْرُوقٍ لِلشَّرَاءِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَا جَاءَ فِي مَرَضِ الْعَيُونِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ :

عَلِمَ بِمَنَاعَتِ الصَّدُورِ مِنَ الْهَوَى سَرِيعَ بَكَرِ اللَّحْظِ وَالْقَلْبِ حَازِعَ

وَيُجْرَحُ أَحْشَاؤُهُ بَيْنَ مَرِيضَةٍ كَالْإِلَانِ مِنَ السِّيفِ وَالسِّيفِ فَاطِعَ

(٧) يَعْنِي أَنَّ « ابْنَ جَهْوَرٍ » : إِذَا قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ قَوْلًا صَدَقَ قَوْلُهَا فَعَلَهُ .

(٨) شَرِبَ بَعْدَ شَرَبٍ .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِ مِنَّا فَجَزَى . مِثْلُ مَا لَجَّ مُسِيٌّ فَأَحْتَمَلَ ^(١)
 سَمِيهِ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلُ ^(٢) إِذْ مَسَاعِي مَنْ يُنَاوِيهِ ^(٣) مِثْلُ ^(٤)
 لَا يَزَلْ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكْبِرٌ أَوْ مُقِلٌّ ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ ^(٥)

* *

« يَا بَنِي جَعْفَرٍ » الدُّنْيَا بِكُمْ حَلَيْتَ أَيَّامَهَا بَعْدَ الْعَطَلِ ^(٦)
 إِنَّمَا دَوَّلْتُكُمْ وَاسِطَةً ^(٧) أَهْدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عِقْدِ الدُّوَلِ
 نَحْنُ مِنْ نِعْمَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ جَدَّدَتْ عَهْدَ الرِّبْعِ الْمُقْتَبِلِ ^(٨)
 طَابَ كَانُونٌ ^(٩) لَنَا أَثْنَاءُهَا فَكَانَ الشَّمْسُ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ ^(١٠)
 زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأُبْتَسَمْتَ كَانِسَامِ الْوَرْدِ عَنْ لَوْلُو طَلٍّ

(١) أحسن المحسن ما جزاه وكافاه على إحسانه ، كما تكررت إساءة المسمى ، فاحتملها عموا منه وكرما .

(٢) أى كائنات السائر يشيع في الناس ذكره ، ويحمد أثره .

(٣) يعاخره ويعاديه . (٤) جمع مثال ، أى أمثلة وصور يقول أن مساعي المدح في صلة الناس

بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرب الأمثال ، في حين أن ، مساعي أعدائه المناوئين له صور جاعة أمداك — كما ترى —

لم يشع لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو استمرار حاسديه على الاكثار أو الافلال

من لومه على ما يحبه على رءوسهم من ويلات ، ويذله بهم من عقوبات ويقول « سبق السيوف العدل »
 أى فلامى لئوم أكثر الأعداء منه أم أفلوا ، وهو مثل مشهور يضرب للأمر الذى فات فلم يمكن تداركه .

(٦) مصدر عطلت المرأة كفرح لم يكن عليها حلى ، وهو ضد « حليت » .

(٧) هى الدرة التى في وسط العقد وتعد أنفس جوهره فيه .

(٨) يقول : نحن قد حللنا من نعمائكم في بهجة من الرمان ، ونضرة من الحياة ، جددت لنا عهد الربيع

بعد استقبال أيامه ، وتجدد أوانه ، والربيع عند العرب ربيعان . الربيع الذى فيه النور والكلأ ، والربيع

الذى تدرك فيه الثمر . (٩) شهر ، وهو اثنان : كانون الأول ، وكانون الثانى .

(١٠) الحمل : برج من بروج السماء .

* *

أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَهَّمَا تَقِضُ بِاللَّيْلِ^(١) يُمِنَّاهُ فَالْبَحْرُ وَشَلْ^(٢)
مَنْ لَنَا فِيكَ بَعِيبٍ وَاحِدٍ تَحْذَرُ الْعَيْنُ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلُ^(٣)
شَرَفُ تَعْنَى عَنِ الْمَذْحِ بِهِ مِثْلُ مَا يَنْفَعِي عَنْ السُّكْحِلِ السُّكْحَلِ^(٤)

* *

أَنَا غَرَسُ فِي مَرَى الْعَلْيَاءِ لَوْ أَبْطَأْتُ سُقْيَاكَ عَنْهُ لَدَبْلُ
لِي ذِكْرُ بِالَّذِي أَسْدَيْتَهُ نَابَهُ وَدَّ حَسُودُ لَوْ خَمَلُ^(٥)
فَلَيْمْتُ بِالْأَدَاءِ مِنْ حَالٍ فَتَى أَدَبْتَهُ سِيرُ النَّاسِ الْأَوَّلُ
فَوَعَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ : « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمَكَ الْعَمَلُ »

* *

أَقْبَلْتُ نَعْمَاكَ تُهْدِي نَفْسَهَا لَمْ أَرْغُ^(٦) حَطَى مِنْهَا بِالْحَيْلِ
فَقَبِلْتُ الْيَدَ^(٧) مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - مَحَلُّ لِلْقَبْلِ
كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ قَابِلُغِ الْعَايَةِ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ
وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فَفُتْ وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِي فَنَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يتحلب من حل أو صخرة .
(٣) يقول من لنا بمن يعد فيك عيبا واحدا فانا نحن نحذر عليك وقد كنت فضاءك عيون الحاسدين ، وهو نظير قول الآخر :

ما كان أحوج ذا السكامل إلى عيب يوقيه من العيبين

(٤) السكحل : محركة أن تسود مواضع السكحل من العين خلفة ، أي شرف تستعنى بسببه عن المدح كما تستعنى العين المسكولة خلفة عن التسكحل بالسكحل صناعة . (٥) أسديته : أعطته ، والذكر النابه : الفريش المشتهر ، وهو خلاف الحامل . (٦) لم أطلب وفي الأصل : « لم أدع » .
(٧) الجليل .

مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البطليوس »

يداعبه بها

أَصِيخٌ لِمَقَالَتِي وَأَسْمَعُ وَخُذْ - فِيمَا تَرَى - أَوْ دَعُ
وَأَقْصِرْ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدْ وَطِرْ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ قَعْ

* *

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ
وَأَنَّ السَّعْيَ قَدْ يُكْذِبُ^(١) وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْدَعُ
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَوْ تَوَهَّاهُمْ أَنَّهُ يَنْفَعُ

* *

فَإِنْ يُجْدِبُ مِنَ الدُّنْيَا جَنَابٌ طَالَمَا أَمْرٌ
فَمَا إِنْ غَاضَ لِي صَبْرٌ وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَذْمَعٌ
وَكَأَنَّ رَامَتِ الْأَيَّامُ مُمْ تَرْوِيحِي فَلَمْ أَرْتَعْ^(٢)
إِذَا ضَاقَتْني الْجُلَى تَجَلَّتْ عَنْ فَتَى أَرْوَعِ^(٣)
عَلَى مَا فَاتَ لَا يَأْسِي وَمِمَّا نَابَ لَا يَجْزَعُ
تَدِبُ إِلَى مَا تَأَلَوُ عَقَارِبُ مَا تَنِي تَلْسَعُ

(١) يخفق ، وقد كرر هذا المعنى في سينيته فقال :

« ولكم أجسدى قعود ولكم اكدى التماس »

(٢) حاولت الأيام أن تخيمني فلم أخف .

(٣) أى أن المصائب لا تنال منه منالا ، ضاقت من صافه الهم لا تنزل له ، والجلى : الأمر العظيم والحادث المروع ، والأروع : الدكي الحديد الفؤاد الحى النفس ، والمعنى : إذا نزلت بي جلى الحوادث تكشف عن فنى حاضر العقل حديد الدؤاد ، وفى الأصل « صابقتى » من صاب السهم القرباس بمعنى أصاب وهي لفة قليلة لا نظن أن ابن زيدون يلجأ إلى استعمالها مع غرارة مادته .

كَأَنَّا لَمْ يُؤْخَذْنَا زَمَانُ لَيْنِ الْأَخْدَعِ^(١)
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى نَقْتَدِ أَيْ سُرُورَهَا - يَتَّبِعُ^(٢)
 وَإِذِ اللَّحْظُ إِقْبَالُهُ وَإِذِ فِي الْعَيْشِ مُسْتَمْتَعٌ
 وَإِذِ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذِ اقْدَاخُنَا تَتَرَعُ^(٣)
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تُقْضَى وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَشْفَعُ
 فَمِنْ أَدْمَانَةٍ^(٤) تَعْطُو^(٥) وَمِنْ قُمْرِيَّةٍ تَسْجَعُ
 أَعْدُ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَغْدَ حَىِّ مِمَّا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ
 وَلَا تُطْعِمُ الَّتِي تُغْوِيكَ، فَهِيَ لَغَبَهُمْ أَطْوَعُ^(٦)
 تَقْبَلُ - إِنْ أَنَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَحْلِ لَا يَقْرَعُ^(٧)

- (١) يقول : إليك مولع الآذ نالكيد والاساءة إلى مناسيا تلك الأيام التي ألب فيها ، منا الزمن المواتي ، حين كنا أخوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأنا لم يولينا » .
 (٢) وفي الأصل : « إاد الدنيا مي » . (٣) تملأ .
 (٤) الأدمان - بالفتح - شجر الحبة ، وهي أكبر من البقول وأصغر من الشجر ، الأدمانه : بضم فسكون فالوا لأنه جمع إدماء كحمراء وهي الطبعة الخالصة للبياض ، قال ذو الرمة :
 من المؤلفات الرمل أدماء حرة شعاع الضحى في منها يتوجج
 وصحح بعض اللاميين أن أدمانة مفرد كخمسانة وإذن فهي مراده لأدماء ، وتمطوا : تنطاول إلى الشجر لتتناول منه . (٥) تميل .
 (٦) دغ غواية هذه المماكرة فلها أطوع لغواية أعدائك ومنايسيك ولن تستطيع أن تغفل على كيدهم وغوايتهم ، وفي الأصل : « يعني لبغهم أطوع » .
 (٧) قرع الأنف رمز للهوان ، قالوا : وخص الألف بالضرب لأنه محل الأئمة والكبر والشهم .
 والعرب تقول في أمثالها : « أنف الفحل لا يقرع » وفي تقوله : لاخاطب الكفاء .
 والأصل لعل الأبل إذا ضرب وجهه عن اللاقة التي يريدون نتائجها منه .
 قالوا : وتمثل به أبو سفيان بن حرب حين دامه زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) ابنته أم حبة فقال :
 « ذاك الفحل لا يقرع أنفه » .
 وفي الأصل : « وأنف الفحل لا يقرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزمه أمام الحطوب والكوارث ، وليكن لك في هذا عزاء ولتقبل أي خطب إن أنك بصدر رحيب ، غير واحد على تلك المرأة الفادرة التي لا قيمة لها ولا خطر .

وَلَا تَأْكُ مِنْكَ تُلُكَ الدَّارُ رُ بِالرَّأْيِ وَلَا الْمَسْمُوعُ
فَإِنَّ قُصَارِكَ الدَّهْلِيْزُ، حِينَ سَوَاكَ فِي الْمَضْجَعِ^(١)

جَرَّبَ النَّاسَ وَأَمْتَحَنَ

خُنْتُ عَهْدِي وَلَمْ أَخُنْ بَعْتَ وَدَّى يَلَا ثَمَنُ
قَائِلًا : « هَلْ مُرَايِدُ رَاجِحًا ؟ ثُمَّ مَنِ يَزِنُ »^(٢)
عُدَّتِي كُنْتُ لِلزَّيْمَا نِ ، فَقَدْ حُلْتُ وَالزَّيْمَانُ^(٣)
أَرْخِصَ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتَ وَذَرْنِي ، لَتَتَدَمَّنَ^(٤)
سَوْفَ تُبْنَى بِغَيْرِنَا ، جَرَّبَ النَّاسَ وَأَمْتَحَنَ

(١) وتناس تلك الدار التي كانت ذكرياتها بمبت آلامك وأحزائك ، فليس لك أمل في اكتساب ودها ، وقصارى ما تصل إليه أن تكون في الدهليز حين ينعم غيرك بالمسح .

(٢) بت عهدي رحيصاً مع صدق ودادي لك ، وأخذت تدل عليه في السوق زاهداً فيه باحثاً عن يشتره بأبجس الأعان . (٣) كنت عدتي التي أحاربها الزم فأصحت حرباً على أنت والزمن . وقريب من هذا المعنى وأدق منه وأروع قول ابن الرومي :

« تحذركم درداً مُسِيحاً لَتَمْنُوا سهام العدا على فكتم لصالها

وقد كنت أرحم منكم خير ناصر على حين حدلال العين شملها »

إلى أن يقول :

« تَقْوُوا وَقْفَةَ الْمَذْذُورِ عَنِ بَنْجَوَةِ وحلوا نبالي للعدا ونبالها »

وقول العائل :

« واخوان حبيهمو دروفا فكانوها ، ولكن للأمادي

وحبهمو مهاما صائبات فكانوها ، ولكن في مؤادي

وقالوا : « قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ، ولكن عن ودادي »

(٤) ازهد في ودي كما شئت فوالله لتندمن على زهادتك في ، وما أحل قول ابن الرومي .

« وارباباً بودي أن يذال فاني في غير ذاك من الأمور أرخص

لياك لا تستل ما أرخصته بطرا ، فأغلى منه ما لا أرخص

ستري - متى استغرتي وطلبتني - أني سأزهد عند ذاك - وتحرم »

في مدح ابن جهور

« قالها في مدح أبي الخزم بن جهور
أحد ملوك الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيًّا فَصَلِّي بِفَرَعِكَ لَيْلَكَ الْغَرِيْبَا ^(١)
وَلَدَيْكَ - أَمْثَالَ النُّجُومِ - فَلَا تَدُ أَلِفَتْ سَمَاءُكَ لَبَّةً وَتَرِيًّا ^(٢)
لِيَنْتَبِ عَنِ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كُلَّمَا جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَفَرِيًّا ^(٣)
وَإِذَا الْوَشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَثْنَاوُهُ طَلَعَتْ ثُرَيَّا لَمْ تَكُنْ لِيَتَعِيًّا ^(٤)

(١) سراك : سيرك ليلا ، العريب : الشديد السواد يقول كاد الصبح يفضحك فضلي سواد الليل بسواد شعرك ، أليس شعرك كالليل ، قال ابن بسام :
قوله : « فصلي بفرعك ليلتك الغريبا » من قول أبي الطيب :
« كسفت ثلاث دوائف من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا »
وينظر إلى قول المعري :
« يود أن طلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والصر »
ولتهامى :

« وتود لو حملت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد عذار »

وقال محمد بن هاني :

قد أطلوا بالدهم منها فجرهم فتكورت شمس النهار تمصبا
واستأنفوا بشاتها بحرا ، فلو عقدوا نواصيها أعادوا العيبا

(٢) اللب بوزن الحبة المحر - والترب : واحد ترائب الصدر ، وهي موضع القلادة منه - والمعنى لديك قلادة شبيهة بالنجوم تسكن سماء البحر والصدر ملك كما تمسك الدحوم السماء - وأمثال النجوم بالنصب حال من قلادة السكر متقدم عليه ، وهو الذي سوغ مجيء صاحب الحال نكره ، قال ابن مالك :
« ولم ينكر غالبا ذو الحال إن * لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام بعضي مثلا لي لأم »
فثلها بالنصب حال من لأم السكر ، ويخوز أن يكون أ. ثال مبتدأ خبره لديك وقلادة بدلا منه .
(٣) الجوزاء : نجم يعترض في جور السماء أي وسطه ، شبه قرطها بالجوزاء وجنت أي مالت معرة كأنها طائر يفتح جناحه . يقول أبيي عن الجوزاء قرطك إذا مالت مغربة لتب في الأفق .
(٤) الوشاح : أديم ينسج عريضا ويرصع بالجوهر وتشده المرأة بين ثانيتها وكشدها وتشه الثريا إذا تعرضت أي سارت معوجة بالوشاح المعوجة أ. ثاؤه - وأثناء الوشاح ما أثنى منه ، قال امرؤ القيس :
إذا ما أثنيا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل
أي أعوجت ولم تستقم في سيرها أعوجاج ما أثنى من الوشاح على جارية اتشحت به .

وَلَطَمًا أَبَدْتِ إِذْ حَيَّتِنَا كَفَاهِ الْكَفَّ الْخَضِيبُ خَضِيبًا

*
**

أَطْنِئَةً ، دَعَوَى الْبَرَاءَةَ شَأْنَهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلِمَ دُعِيتَ حَبِيبًا^(١)
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضْرَجًا يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيًّا^(٢)
لَوْ شِئْتَ مَا عَذَّبْتَ مُهْجَةَ عَاشِقٍ مُسْتَعَذِّبٍ فِي حُبِّكَ التَّعْذِيبَا
وَلَزُرْتِهِ - بَلَى عَذَّتِهِ - إِنَّ الْهَوَى
مَا الْهَجَرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيمًا^(٣)

(١) يا مَهْمَةَ بِقَتْلِ الْعَاشِقِينَ يَا مَحْضُوبَةَ الْكَبِّ بِدَمَائِهِمْ أَنْتِ الْعَدُوُّ مَكِيفَ دَعَوْتَ نَفْسِكَ حَبِيبًا .

(٢) مثله قول الحميري :

« عِيَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بَدْمِي وَعَلَى خَدِّكَ تَوَرَدَ »

(٣) شَجَا فَاهُ بِشَجْوِهِ : دَتَحَهُ ، وَالْعَيْبُ وَالنَّمَامُ : صَوْتُ الْغُرَابِ ، وَانْمَى : مَا الْهَجَرَ إِلَّا الْبَيْنُ إِلَّا أَنَّ الْغُرَابَ فِي هَذِهِ الْمَرْفَعَةِ - لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ لِيَنْدَرِنَا بِذَلِكَ الْهَجَرِ الْمَمِيتِ ، وَالْعَيْبُ نَذِيرُ الْفِرَاقِ عِنْدَ الْعَرَبِ ، وَيُسَمُّونَ الْغُرَابَ الْأَبْقَعَ غُرَابَ آتِينَ ، فَلِغَنَرَةٍ :

« طَعْنُ الْمَذِينِ فِرَاقَهُمْ أَتَوَقَّعُ وَحَرَى بَيْنَهُمُ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ »

وَمَا لَ مَا بَقَعَةُ الدِّيَانِي :

« زَعَمَ الْأُحَدَاةُ أَنَّ رَحْلَتَهُمْ غَدَا وَبِذَاكَ تَنْفَعُ الْعَرَابَ الْأَسْوَدَ »

لَا مَرَحًا بِدَمٍ ، وَلَا أَمَلًا لَهُ إِنْ كَانَ تَهْرِيقُ الْأُحَدَاةِ فِي عَدَدٍ »

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ :

« لَا يَغْرَابُ الْبَيْتَ ، قَدْ ضَرَبَتْ بِالْهَدَى أَحَادِرُ مَنْ لَبَّى فَهَلْ أَنْتِ وَاقِعٌ »

وَلَا تَكُنْ لَوْ أَبْلَغْتَهَا : قَبْلِي أَسْلَمِي بَكَتْ حَدْرًا وَأَرْسَمَتْ مِنْهَا الْمَدَامِعُ »

وَقَالَ الْحَمِيرِيُّ : « نَبِيٌّ مِنَ الْغُرَابِ لَيْسَ عَلَى شَرِّهِ يَحْبِرُنَا أَلَنْ الشُّعُوبَ إِلَى صَدْرِ »

أَسْدَفُهُ فِي مَرْيَمَ ، وَقَدْ امْتَرَتْ صَحَابَةُ مُوسَى عِنْدَ آيَاتِهِ التَّلَوُّعِ »

وَقَالَ فِي رِثَاءِ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى :

« مَنْ شَاحِرٌ لَا يَنْ فَانَ قَصِيدَةٍ رِثَى الشَّرِيفِ عَلَى رَدَى الْغَافِ »

لَمَّا آخَرَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي لَا حَاجَةَ بِهَا إِلَى تَقْصِيصِهَا .

وَقَدْ شَدَّ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ مَا تَمَحَّى بِالثَّلَاثَةِ عَلَى مَنْ يَهْذُبُ هَذَا الْمَذْهَبَ الْخَطَاطِيَّ فِي ذِمِّ الدَّرَابِ ، وَبَرَأَهُ مِنْ تَهْمَةِ

النَّفَرِيقِ ، فَمَالَ :

وَالنَّاسُ يَلْحُونُ غُرَابَ الْبَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا وَهَلْ غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَافَةٌ أَوْ جَمَلٌ

وَمَا عَلَى طَهْرِ غُرَابِ الْبَيْنِ تَطَوَّى الرَّحْلُ

وَلَقَدْ قَضَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَجْمَهُ فَقَوَىٰ وَأَعْقَبَ زَفْرَةً وَنَحِيًّا
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لِفَيْضِهَا غَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيًّا

* *

مَالِي وَلِلْأَيَّامِ لَجَّ مَعَ الصَّبَا عُدْوَانُهَا فَكَسَا الْعِذَارَ مَشِيبَا
مَحَقَّتْ هِلَالَ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ وَذَوَىٰ بِهَا غُضُنُ الشَّبَابِ رَطِيبَا
لَا لَمْ بِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاهِقِي لِأَنْهَالَ جَانِبَهُ فَصَارَ كَثِيبَا ^(١)
فَلَنْ تَسْمَعِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ لِلْجَفْنِ فِي الْعَضْبِ «الطَّرِيرُ نِدُوبَا» ^(٢)
وَلَنْ عَجِبْتُ لِأَن أُضَامَ «وَجْهَوْرُ» نِعَمَ النَّصِيرِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَجِيبَا
مَنْ لَا تُعْدِي النَّائِبَاتُ جَارِهِ زَحْفًا وَلَا تَمْشِي الضَّرَاءُ دَيْبَا ^(٣)
مَلِكُ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ مَا زَالَ أَوَابًا إِلَيْهِ مُنِيبَا
يَأْتِي رِضَاهُ مُعَادِيًا وَمُوَالِيًا وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبًا وَمُثِيبَا
مُتَمَرِّسٌ بِالْدُّهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخُطُوبِ خَطِيْبَا

(١) المعنى : لقد نزل بي ما لو رل بجمل شاهق لسقط جانبه فصار كثيبا مهيبا أى رملا قد هيل واتتر -

وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترجب الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيبا »

(٢) تسمى : أى تجشنى مكروها من قولهم سامه حسفا إذا أولاه إياه وأراد به عليه - والجفن : النعمد - والعضب : السيف - والطرير : القاطع - والندوب : جمع نذب بفتحين وهو فى الأصل أثر الجرح فى الجسم إذا لم يرتفع عن الجلد - وأراد به هنا أثر الصدا الذى يعلو فرند السيف لطول مكته وفى النعمد - والمعنى فلن يبرنى طول المكث فى السجى فان السيف يصدأ بطول المكث و الجفن .

(٣) تسمى : بالتضخيم تحضر وتسرع فى العدو - وزحفا من زحف الجيش - والضراء : من قولهم فلان يمشى الضراء إذا مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر - والديب : مصدر دب الخمل والشبح مئى على هيئته والمعنى : نعم النصير جهور من لا تسرع النائبات إلى جاره رحما ولا تدب إليه مستخفية .

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا
تَأْبِي صَرَائِبُهُ الضُّرُوبَ نَفَاسَةً^(٢)
بَسَامُ تَغْرِ الْبِشْرِ إِنْ عَقَدَ الْحُبَا
مَلَأَ النَّوَاطِرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا
عِقْدُهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَاةٍ
يَغْشَى التَّجَارِبَ كَهْلُهُمْ مُسْتَعْنِيَا
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلَيْدَهُمْ لِعَظِيمَةٍ
يَعْتَادُ إِزْسَالَ الْكَلَامِ قَضِيَا^(١)
مِنْ أَنْ تَقْدِسَ بِهِ النُّفُوسُ ضَرِيَا^(٢)
فَرَأَيْتَ وَضَاحًا هُنَاكَ مَهِيَا^(٣)
مَلَأَ الْمَسَامِعَ سَامِعًا وَمُجِيَا^(٤)
نَسَقَ اللَّالِي مَنْجِيَا وَمُجِيَا
بِقَرِيحَةٍ هِيَ حَسْبُهُ تَجْرِيَا
لَبَاكَ رَقْرَاقَ السَّمَاحِ أُدِيَا^(٥)

(١) الرأى الفطير : ما يهيج عجة وأصله من اختبار المجين قبل أن يحتقر — والقضب : المقضب من قولهم اقتضب الخطبة والكلام أى أرسلها من غير إعداد وتهية — والمعنى : أنه لا يسم بسمه العجلة فى الرأى ولا يرسل الكلام مقتضيا مرتخلا من غير إعداد له ورياسة عليه .

(٢) ضرابه : سجاياه — والصروب : جمع ضرب وهو المثل والشبيه كالضرب ، أى تمنع سجاياه أن يكون له أمثال وأشباه نفاسة بتلك الخلال الكريمة أى ضاها وأاء من أن تقبس به النفوس ضربا وشبها (٣) الحبوقة : كدرة وسدرة تجمع على حبا كدرف وسدر ، والاحتباء أن يضم الجالس رجله إلى بطنه ويجمعهما مع ظهره بثوب وقد يحتجى ببديه ، وهو يقوم مقام إسناد الظهر إلى حائط أو نحوه ، يعنى أنه كثير الانسجام فى طلائع وينظر أن جلس محتبيا فنظرت منه وصاح الجين مشرق الطمة مهيبا .

(٤) المعنى : أنه ملأ النواظر — روعة وهيبة فى حال صمته والمسامع حكمة وريانا سامعا من الناس ومجيبا قال ابن سمام :

قوله : « ملأ النواظر صامتا » من قول ابن زيدون أيضا :

اسألنها واحمل بكاك حوايا تحم الشوق سائلا ومجيبا

وينظر أيضا إلى إعط هذا البيت دون معناه قول أبى الطيب :

فذاك حاسدك الرئيس وامسكوا وذاك خالفك الرئيس الأكبرا

خلقت صفاتك فى العيون كلامه كالخط يملأ مسمى من أبصر

ويلمح أيضا هذا البيت قول أبى نواس — على ما فسره بعض الناس —

« ألا فاسقنى حرا وقل لى : هى الخمر » وهذا التعبير فيه أضعف الوجوه ، وبيت بن شرف أشبه من هذه

كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القيروان :

سل عنه وطلق به وانظر إليه تجد ملء السامع والامواه والقل

(٥) لباك : أحابك — ورقراق السماح : يريد أن سهاه يترقرق أى يجرى كالماء جريا مهلا — وأديا :

لعلها أديا بالراء المهمة أى حائلا .

هَمُّ تَنَافُسِهَا النُّجُومَ وَقَدْ تَلَا فِي سُودَدٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيبًا
وَمَحَاسِنُ تَنْدَى رَقَائِقُ ذِكْرِهَا فَتَكَادُ تُوهَمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيبًا ^(١)
كَالَاسِ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدِ أَخْمَرَ بِهَجَّةً، وَالْمِسْكِ أَذْفَرَ ^(٢) طِيبًا
وَإِذَا تَفَنَّنَ فِي اللِّسَانِ ثَمَانُوهُ فَافْتَنَّ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيبًا ^(٣)
غَالِيًا بِمَا فِيهِ فَغَيْرُ مُوَاقِعٍ سَرَفًا وَلَا مَتَوَقِّعٍ تَكْذِيبًا ^(٤)

* *

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكَهِمْ - أَسْبَاطَ يَعْقُوبٍ وَكُنْتُ الذِّبَا ^(٥)
وَإِذَا الْمَنَى يَقْبُولُكَ الْغَضَّ الْجَنَى هَزَّتْ ذَوَائِبُهَا فَلَا تَشْرِيبًا
أَنَاسِيْفُكَ الصَّدَى الَّذِي - مَهْمَا نَشَأَ - تُعِدِّ الصِّقَالَ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيَا ^(٦)
كَمْ صَاقِي مِنْ مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَثَنَيْتُهُ فُسُوحَ الْمَجَالِ رَحِيًّا
«وَزَهَا» جَنَابُ الشُّكْرِ - حِينَ مَطَرَتْهُ - بِسَحَابِ النَّعْمَى - فَرَدَّ خَصِيْبًا ^(٧)

(١) قال ابن بسام :

قوله : « فتَكَادُ تُوهَمُكَ الْمَدِيحُ نَسِيبًا » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : ذكى طيب الريح .

طاب فيك المديح والد حق فاق وصف الديار والنشيبا

(٣) إذا تفنن : أى أطرده مديحه في اللسان - فافتن : أى أخذ في فحش وضروب من المدح لم يكن

مراد المادح غريباً لأنه يستعمل في صفاته فيقول .

(٤) مواقع : مدان ، والتوقع : المنتظر - والمعنى : بالغ مادحه بما فيه من الصفات فلم يكن مدانيا

إفراطاً ولا متغوراً تكديباً .

(٥) منيت بليت - والافك الكذب والتحديث بالباطل ، يريد انه برى مما ابلى به من إفكهم براءة

الذنب من دم ابن يعقوب .

(٦) التذريب : التحديد .

(٧) وجد هذا البيت في الأصل وفي غيره من المطاوع ناقصاً ، والزيادة يعطيها السياق .

*
* *

فَهَنَّا الْأَعْيَادَ عَادَةً لِأَبْسِ يُبْلِي الدَّرِيسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيبًا^(١)
وَمَتَى سَعَيْتَ لِتَنْزِاحٍ مُتَعَذِّرٍ فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيبًا^(٢)
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدْرُ الَّذِي لَا تَسْتَطِيعُ لِحُكْمِهِ تَعْقِيًا

عتاب

أَحِينَ عَلِمْتَ حَظَّكَ مِنْ وِدَادِي وَلَمْ تَجْهَلْ مَحَلَّكَ مِنْ فُؤَادِي
وَقَادَنِي الْهُوَى فَانْقَدْتُ طَوْقًا وَمَا مَكَّنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي
رَضِيتَ لِي السَّقَامَ لِأَبْسَ جِسْمٍ كَحَلَّتْ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالسَّهَادِ^(٣)

*
* *

أَجَلْ عَيْنِكَ فِي أَسْطَارِ كُتُبِي تَجِدُ دَمْعِي مَزِاجًا لِلْعِدَادِ^(٤)
فَدَيْتُكَ إِنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي مِنْ الشُّكُوى إِلَى قَلْبِ جَمَادٍ

(١) يقال تنهأ الطعام وتنهأ به كما يقال تملق الشيء وتملق به — أى تنهأ بالأعياد غير محال فماتك فيها من إبلاء الثوب الدريس أى الخلق ، وابس القشيب أى الحديد ، وهذا بغير قوله فى البيت .

فأبل وأخلف إنما أفت لاس لهدى اللالى الفر وهى ثياب

(٢) ومتى سعيت لعل الأصل ولكم سعيت البس — والذى يظهر ان هذه الأبيات التى خُصمت بها هذه القصيدة وقع فيها شيء من التعريب فليحذر .

(٣) يقول : « أحببت أبس لا أحل أحداً علك من نلبي وعلمت أبس أسير هواك حزيتى على ذلك الاحلاس فى الحب سقاماً وتسهداً . وما أحل قول المجنون :

وأدبتى حتى إذا ما فتننى بقول يحل العمم سهل الأباطح

ناهيت عسى حين لالى حيلة وعادرت ما فادرت بين الجوامع

(٤) تأمل فى سطور الكتب التى أبعت بها إليك تجد دمعى محتفظاً بعدادها .

رثاء فتاة

« قال يرثى ابنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

سَرَّكَ الدَّهْرُ وَسَاءَ قَافِنُ شُكْرٍ أَوْعَزَاءَ (١)
 كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَأَقْتَضَى الشُّكْرُ نَمَاءَ (٢)
 أَنْتَ إِنْ تَأْسَى عَلَى الْمَفْقُودِ إِلْفًا وَاجْتِبَاءَ (٣)
 فَاسْئَلْ عَنْهُ غَيْرَةَ وَأَخْشَلِ الرُّؤْيَا إِبَاءَ (٤)
 أَيْهَا « الْمُعْتَضِدُ » الْمَنْصُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ (٥)
 وَتَزَيَّدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَعِلَاءَ (٦)
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نُ عَنَاءَ لَا غَنَاءَ (٧)
 أَنْتَ طَبَّ أَنْ دَاءَ الْمَوْتِ قَدْ أَغْيَا الدَّوَاءَ (٨)
 فَتَأْسَى (٩) إِنْ ذَاكَ الْخَطْبُ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ
 وَسَيَقْنَى الْمَلَأُ الْأَعْلَى إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ

حَبْدًا هَدَى عُرُوسٍ دَفْنَهَا كَانَ الْهِدَاءُ
 عَمَّرَتْ حِينًا وَمَاءَ الْمُزْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءَ

(١) افن : الرم من فوفهم ميت حياتى أى لرمته ، فال عنترة :

فأحببها إيت الميصة منهل لا يد أن أسقى بذاك المنهل

فأنى حياك لا أبالك واعلى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

والعنى : مرك الدهر وساءك فاشكره على أن مرك وتدن بذلك عما ساءك .

(٢) زيادة . (٣) الاجتباء : الاصطفاء .

(٤) ملئت البقاء : تمتك الله بالبقاء . (٥) اللاء : الرمة .

(٦) إنما يكسبها الحزن ألما لا فائدة فيه ولا حدودى مه .

(٧) أنت ظالم خير بأن داء الموت لا دواء له . (٨) اصبر .

نُمُّ وَلَّتْ فَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ ثَنَاءً
جَمَعَتْ تَقْوَى وَإِحْبَاءَ تَا (٢) وَقَضَلًا وَذَكَاءَ
سَتُوفٍ مِنْ جَامِ الْكَوْثَرِ الْمَذْبِ رَوَاءَ (٣)
حَيْثُ تَلَقَّى الْأَتَقِيَاءُ الشُّعَدَاءَ الشُّهَدَاءَ

* * *

هَانَ مَا لَاقَتْ عَلَيْهَا أَنْ غَدَتَ مِنْكَ فِدَاءَ (٤)
غُثْمُ أَحْبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ غُمُّوا فَنَاءَ (٥)
فَالْبَسِ الصَّنْعَ مُلَاءَ وَأَسْحَبِ السَّعْدَ رِدَاءَ (٦)
وَرِثِ الْأَعْدَاءَ أُنْعَمَا رَهْمُ وَالْأَوْلِيَاءَ (٧)

في الغزل

مَا صَرَ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمٌ وَعِلَّتِي أَنْتَ بِهَا حَالِمٌ
يَهْنِيكَ يَا سُوْلِي وَيَا مُبَغْتِي أَنْكَ مِمَّا أَشْتَكِي سَالِمٌ (٨)
تَضَحَّكَ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَنْتَنَا - حَاكِمٌ
أَقُولُ لَمَّا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلَ مَعْنَى قَلْبُهُ هَاثِمٌ
« يَا نَاعْمًا أَيْقَظَنِي حُبُّهُ هَبْ لِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّاسُمُ » (٩)

(١) طيب . (٢) الاخبات : الخشوع . (٣) ستروى من ماء الكوثر .

(٤) هون عليها حطب الموت أنها افتدتك بنفسها من الردى .

(٥) إن أحبابك ليرون بقاتك أكبر موز لهم ولو انتدوك بأههم .

(٦) اللاء والملاء : الربطة ذات لفيق ، والمعنى : ارمل في حلل المعروف والسعادة .

(٧) وهبك الله أعمار أعدائك وأسميائك .

(٨) من أبدع ما قرأناه في هذا المعنى قول الشريف الرضي :

« أهون عليك - إذا امتلأت من الكرى - أني أبيت بليلة اللسوع »

(٩) يقول : « ليس من العداله أن تام وأسهر ، فانهم على بالكرى بعد أن أيقظى هجرك » .

تهنئة

« وفال يهنى المعتضد وقد شرب دواء »

أَحْمَدَتْ عَاقِبَةُ الدَّوَاءِ وَنِلْتَ عَاقِبَةُ الشِّفَاءِ
وَخَرَجْتَ مِنْهُ مِثْلَمَا خَرَجَ الحُسَامُ مِنَ الْجِلَاءِ
وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا فَأَنْتَ دَوَاؤُهَا مِنْ كُلِّ دَاءِ
وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ الْعَدَى وَقَسَمْتَهَا فِي الْأَوْلِيَاءِ ^(١)
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْجِيَا دَسَارَ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ
وَأَجْتَالَ يَوْمَ الْحَرْبِ قُدَّ مَا وَاحْتَبَى يَوْمَ الْحِبَاءِ ^(٢)
بُشْرَاكَ عُقْبَى صِحَّةٍ تَجْرِي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءِ
فِي دَوْلَةٍ تَبْقَى بَقَا الدَّهْرِ آمِنَةً الْفَنَاءِ
وَمَسْرُوعٍ يُفْضَى بِهَا زَمَنٌ كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ
وَأَشْرَبَ فَقَدْ لَدَّ النَّسِيمُ وَرَقَّ سِرْبَالُ الْهَوَاءِ
لِتَرَى بِكَ الْبَهْوَ الْمُطْلَّ يَمِيسُ فِي حُلَلِ الْبَهَاءِ
وَبَقِيتَ مَفْدِيًّا بِنَا إِنْ نَحْنُ جُزْئَانَا فِي الْفِدَاءِ ^(٣)

(١) قوله : « وقسمتها في الأولياء » يذكرنا قول العباس الأخف :

لو كنت هذا الحى يند فغذفيه حكى أو قضائي
لطلبت له بجمعتيه من كل أرض أو سماء
فقسمته بيني وبينه من حبيب نفسى بالسواء
حسنى إذا ما حمى بما ، والأمور إلى انتهاء
مات الهوى - من بعدنا - أو عاش في أهل الوفاء

(٢) أجال : من إجلالة القداح في الميسر ويناسبه قدما أى فار بالظفر والبصر على الأعداد ، واجبال في الحرب وجال بمعنى واحد ويناسبها قدما بضمين - والتخفيف بالاسكان في مثله جائز - ومعناه جال في الحرب يعنى قدما أى إلى الامام ، والحباء : بالكسر العطاء .
(٣) فذلك أعمارنا إن كان يقبل ما هذا العداء .

تهنئة بفصد

« وقال يهنيه بفصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أُنَحِّدْتَ عَاقِبَةَ الْفَصْدِ فَلِلَّهِ مِنَّا أَجْمَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْضَعَ قَاصِدٍ تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفْ نَابِيَّ الْحَدِّ
وَمِنْ مُتَوَلَّى فَصْدٍ يُمْنَاكَ كَيْفَ لَمْ يَهْلُهُ عُيَابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ
وَلَمْ تَغْشُهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شُعَاعُهَا فَيُخْطِئَ فِيمَا رَامَهُ سَنَى الْقَصْدِ

✧ ✧

مَرَى دَمَكَ الْمُهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَاسْتَسْتِ أَفَانِينَ رَوْنِي مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ
فِصَادُ أَطَابِ الدَّهْرِ فَالْقَطْرُ فِي الثَّرَى كَمَا طَابَ مَاءُ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
لَقَدْ أَوْفَتْ الْأَنْبِيَا بِعَهْدِكَ نُصْرَةً كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ^(١)
لَدَى زَمَنِ غَضٍّ أُنِيقَ فِرْنَدُهُ^(٢) كَمَثَلِ فِرْنَدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْخَدِّ
تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَيْشُ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ مُقَابَلَةِ الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

✧ ✧

فَهَبَّ إِلَى الْأَذَاتِ مُؤْمِرَ رَاحَةٍ تُجْمِئُ بِهَا^(٣) النَّفْسَ الْفَيْدَسَةَ لِلْكَدِّ^(٤)
وَوَالَ بِهَا فِي لُؤْلُؤٍ مِنْ جَنَابِهَا^(٥) كَجِيدِ الْفَتَاةِ الرُّودِ فِي لُؤْلُؤِ الْعِقْدِ
وَإِنْ تَدْعُنَا لِلْأَنْسِ - عَنْ أَرْجِيئَةٍ - فَندُ يَا نَسُّ الْمَوْتِ إِذَا أَرْتَاحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال وفي بالعهد أو في بالعهد وكلاهما بمعنى واحد قال تعالى « وأوفو بعهد الله » ومعنى الثبت لقد طاهدتك الدنيا على العسرة وومت بالعهد ولم تنقضه فكأنك قد علمتها الوفاء وكرم العهد .

(٢) أبقى الوشي . (٣) ترتاح بها .

(٤) تخم : يقال حمت وأحماها هو أي تركها تستجمع ما فادته ، والمعنى : انشط إلى الذات موصلا الراحة قليلا ، وارتك نفسك تستجمع ما فادته من قوتها انساب الكد والعمل لمهام الدولة .

(٥) الجناب : الحاجية وما قرب من محلة العوم .

في مدح ابن جهور

- مَا طَوَّلَ عَذْلَكَ الْمُحِبُّ بِنَافِعِ ذَهَبَ الْفَوَادُ فَلَيْسَ فِيهِ بِرَاجِعِ^(١)
 فَتَدَّتْ حِينَ طَمَعَتْ فِي سُلْوَانِهِ هَيْهَاتَ لَا ظَفَرُ هُنَاكَ لِطَامِعِ^(٢)
 فَذَعِيهِ حَيْثُ يَطْوِلُ مَيْدَانُ الصَّبَا كَيْمَا يُجَرِّ بِهِ عِنَانُ الْخَالِعِ^(٣)
 مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فَتَى عَزِّ الْهَوَى فَعَنَّا لِنُخَوِّتِهِ بِذِلَّةِ خَاضِعِ^(٤)
 هَلْ غَيْرَ أَنْ مَحْضَ الْوَفَاءِ لِغَادِرٍ أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوَصَالُ لِقَاطِعِ^(٥)
 لَمْ يَهْوَ مَنْ لَمْ يُنْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ سَهْرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِيِّ هَاجِعِ^(٦)
 وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مَا عَثَّ ذُهَا - فِي حِينِ ضَيَّعْتَ الْعُهُودَ - بِضَائِعِ^(٧)
 زَمَنْ كَمَا رَاقَ السَّقِيطُ مِنَ النَّدَى يَسْتَنِّ فِي صَفَحَاتِ وَرْدٍ يَانِعِ^(٨)
 أَيَّامٍ إِنْ عَتَبَ الْحَبِيبُ - لِهَفْوَةٍ - شَفَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعِ^(٩)

- (١) العذل : اللوم ، والمعنى : لا تمديه فليس العذل سافح محمدا ذهب فؤاده مع من يهواه فليس يرجعه كثرة اللوم والتعيب . (٢) فتدت : أى نسبت إلى الكذب ودفع الرأى حين تطمعن في سلو محب بعد كل البعد أن يظفر طامع في سلوانه بطائل .
 (٣) الخالع : من خلع الفرس عذاره ألفاه عن نفسه فعدا بشرا ، وهو مثل يضرب لمن أطلق من قيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يتبع له مجال الصبا ، وسراح الشاب ، كي يطلق لنفسه العنان في اللهو والمزاج . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فتى ، أو أى شىء يجهلك منه في ربه . وشك ، وعما : خضع وأطاع ، والنخوة : العظام والكبر ، وهذا البيت يذكرنا بدول الشريف الرضى : «لو حيث يستمع السرار ووقفنا لعجبنا من عزه وحضوعي »
 (٥) معناه : هل يعرف غير محس الوفاء لمن غدر ، وحسن الصلة لمن هجر .
 (٦) لم يذق طعم الهوى من لم يكن سهر الصبابة في خلى نائم حبيبا إلى نفسه ، وقره لعيه .
 (٧) واهيا : كلمة يتعجب بها من طيب الشىء وحسنه ، والمعنى : ما عهد تلك الأيام التى تروق بهجتها بضائع عندي في حين ضيعت أنت كل العهود .
 (٨) راق : أعجب ، والسقيط : ماسقط من الندى على الزهر ، ويستن : ينصب كالدمع في صفحة الورد
 (٩) قريب من هذا المعنى قوله في مطلع بائته :

أما علمت أنت الشفيع شباب فيقصر عن لوم المحب عتاب
 علام الصبا غش يرف رواؤه إذا عن من وصل الحسان ذهاب

مَالِي وَلِدُنِيَا غُرِرْتُ مِنَ الْمُنَى فِيهَا بَيَارِقَةُ السَّرَابِ الْخَادِعِ
مَا إِنْ أَرَاكَ أَرُومُ شُهْدَةً عَاسِلٍ أَتَمَحَى مُجَابَّتَهَا بِإِزْرَةٍ لَاسِعٍ^(١)

✱ ✱

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْبِلَادَ إِذَا نَبَتْ أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأَلُوفِ بِيَاخِعٍ^(٢)
أَمَّا الْهُوَانُ فَصُنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ^(٣)
فَلَذِيْزُغَمِ الْحِطَّاءِ الْمُوَلَّى أَنَّهُ وَلَّى فَلَمْ أَتَّبِعْهُ خُطْوَةً^(٤) تَابِعِ
إِنَّ الْغَنَى لَهُوَ الْقَنَاعَةُ لَا الَّذِي يَشْتَفِي نُظْفَةً مَاءٍ وَجْهَ الْقَانِعِ^(٥)

✱ ✱

اللَّهُ جَارُ « الْجَهْوَرِيِّ » فَطَلَمَا مُنِيتُ^(٦) صَفَاةُ^(٧) الدَّهْرِ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) شهدة : بالعم والفصح واحدة الشهد وهو العمل مادام لم يعصر من شمعه ، والعاسل : الذي يشتر العسل أى يأخذه من الحلية ، والمجاجة : ما يجهجه الجمل من العسل ، وبين « عاسل » و « لاسع » حساس القلب ، والمعنى : ما رأت أطلب من الدنيا أملا يمحى بمجاجة طائل حتمها إمرة لاسع .
(٢) نبت : لم يوافقه المقام بها قال : « وإذا نيا بك منزل فتجول » ، ونابع : مزهق نفسى وقالها غما والمعنى : من يبلغ عى ساكى تلك اللاد التي ترحت عنها مع سدة تعاقب بها أنى لسب بقائل نفسى أسفا وغما على منارقتها إذا نبت فى ولم توافقى الاقامة فيها ، وفى معنى الحول عن منزل الصيم بقول شار :
إذا أنكرتني ملدة أو بكرتها خرجت مع البازى على سواد
أى على بقية من سواد الليل .

(٣) الشارِع : من شرع نحوه حد السيف أو الرمح وأشعره سدده له وهو نظير مول الآخر :
نعرض للطعان إذا التقيا وحوها لا تعرض للسباب

(٤) بالضم ما بين القدمين وتجمع على خطا وخطوات .
(٥) الذنطة الماء : القليل ، ويشتمها : يصر بها عن آخرها ، يقال اشتب فى شربه إذا أتى على آخر ما فى الاثاء فلم يستر ، والمراد هنا انه يريقها كلها عند السؤال ، والقانع : السائل ، وفى الكتاب العزيز « وأطعموا القانع والمعتر » وهو من قنع - بالفتح - قنونا إذا سأل ، لامن قنع - بالكسر - قناهة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بهذا السؤال ، يقول أن الغنى عى النفس بالقناعة لا غنى المال الذى يستترزف فيه السائل ماء وجهه ، وبشتف آخر فطرة من حياته .

(٦) ابتليب .

(٧) الحجر العريض الأملس ويجمع على صفا .

مَلِكٌ دَرَى أَنَّ الْمَسَاعِيَ مُنْعَةٌ فَسَمِعَ فَطَابَ حَدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ
 شِيمٌ هِيَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمَتْ عَنْهُ الْكِبَارُ فِي الضَّحَاءِ ^(١) الْمَاتِعِ ^(٢)
 أَغْرَى مُنَافِسُهُ يُدْرِكُ شَأْوَهُ فَشَاءَهُ بِالْبَاعِ الطَّوِيلِ الْوَاسِعِ ^(٣)
 ثَبَّتُ السَّكِينَةَ فِي النَّدَى كَأَنَّمَا تِلْكَ الْحُبَا لِيَمَّتْ بِهَضْبٍ مَتَالِعِ ^(٤)
 عَذَبُ الْجَنَى لِلْأَوْلِيَاءِ فَإِنْ يَهْجِ فَالَسَّمُ يَا بَنِي أَنْ يَسُوغَ لِحَارِجِ



يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَاطَ الْهُدَى لَوْلَاكَ كَانَ حَمَى قَلِيلِ الْمَانِعِ
 أَنَسَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَهُمْ بِهِ مِنْ قَائِمٍ أَوْ سَاجِدٍ أَوْ رَاكِعِ
 مَتَّبِعُونَ جَنَابَ عَيْشٍ مُوْنِقٍ مُتَفَيِّضُونَ ظِلَالِ أَمْنٍ شَائِعِ
 فَلْتَضَرَبَنَّ مَعَهُمْ بِأَوْفَرِ شِرْكَةٍ فِي أَجْرِهِمْ مِنْ مُوتِرٍ أَوْ شَافِعِ
 خَيْرُ الشُّهُورِ اخْتَرْتُ عِنْدَ طُلُوعِهِ خَيْرَ الْبَقَاعِ لَهُ بِأَسْعَدِ طَالِعِ ^(٥)

(١) النهار قبل انقضاءه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) المرتفع .

(٣) الشَّوْ : الطلق والشوط والعاية ، وشَاءَ : سبقه .

(٤) الندى : المجلس ، والحا : بالضم والكسر جمع حبه وهي أن يجمع الجالس ساقيه إلى بطنه يديه أو يجمع ظهره وساقيه بثوب ، والاحتباء من عادة العرب وهو يمنع الجالس من السقوط ويعنيه عن الجدار الذي يسد إليه ظهره ، وليت : لفت وطويت حوله كما تطوى العمامة ، والمعنى : أنه وقور في مجلسه رابط الجأش كأنما شددت تلك الحبا منه على طود من الصخر تنحدر عنه مسابيل الماء .

(٥) يقول إن شهر الصيام وهو خير الشهور قد اختارت له خير البقاع عند طلوعه بأسعد طالع .

شكر

« وقال أيضا وقد أباح له المعتضد التنزه مع

حرمه في إحدى جناته . »

غَمَرْتَنِي لَكَ الْيَادِي ^(١) الْبَيْضُ نَشَبُ ^(٢) وَافِرٌ وَجَاهُ عَرِيضُ
كُلُّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ أَهْتِيَالُ ^(٣) ، عَهْدُ سُكْرِي عَلَيْهِ غَضُ عَرِيضُ ^(٤)
بَوَّأْتَنِي ^(٥) نِعْمَكَ جَنَّةَ عَذْنٍ جَالٍ فِي وَصْفِهَا فَضْلُ الْقَرِيضُ
مُجْتَنِي مُدْنٍ ، وَظِلُّ بَرُودٍ ، وَلَنَسِيمُ يَشْقِي النَّفُوسَ - مَرِيضُ ^(٦)
وَمِيَاهُ قَدْ أَخْجَلَ الْوَرْدَ أَنْ حَا رَضَ تَذْهِيْبُهُ لَهَا تَقْضِيضُ
دَلَمَّا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا : « مَعْبِدُ إِذْ شَدَّ - أَجَابَ الْغَرِيضُ ^(٧) »

(١) النعم . (٢) النش : المال والمغار . (٣) غم .

(٤) المريض : ماء الطر ، وكل أبس طري ، والمعنى : إني أطعمك كل يوم نسم جديد أقاله منك
شكر حديد . (٥) أحتيتي أو أنزلتني أو أسكنتني .

(٦) يصح الحنة التي أحله فيها ممدوحه بأن قطوفها دانية وطلها ظليل ونسيمها عليل يشق النفوس .



(٧) معد والغريض

علماء من أعلام الموسيقى العربية وقد كانوا متعاصرين ، وقد ذاع صيتهما حتى أصبحا مضرب الأمثال في
إحادة البناء والافتتان فيه ، وقد كان معبد يتدر نوح الغريض ويشيد به ، كما تدل على ذلك قصة تعارفهما
التي تترك لمسد روايتها بأسلوبه المتع ، قل :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء العريض ، وقد بعلى حسن غنائه في لمح :

وما أس ملأ شيء لا أس شادنا بركة مكحولا أسبلا مداهمه

وقد كان ما في أنه أول لحن صنعه ، وأن الحن نهته أن يعنيه لأنه دتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه
وفي هذا التمهيد ما يدل على تصورهم واعتقادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان الغريض ففسوا إليها
المعزات وأنشأوا حولها الأساطير .

قال معبد :

فلما قدمت مكة سألت عنه فدالت على منزله فأثبته ، ففرع الباب ، فما كلى أحد ، وسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها الغريس ، فقلت : إني قد أكثرت دق الباب فما أجابني أحد قالوا : إن العريس هناك ، فرحمت فدققت الباب ، فلم يحني أحد ، فقلت : إن نعي غنائى يوما نفعي اليوم فاندفعت وسيت لحنى في سر جميل ، فوالله ما سمعت حركة الباب ، فقلت : بطل سحرى ، وصاع سحرى وحثت أطلب ما هو صبر على واحتقرت نسي ، وقلت : لم يتوهى لصعب غنائى عنده ، فما شعرت إلا بصائح يصبح يا معبد المعنى ، اقم وتلق عى ، سر جميل الذى تبي فيه يا شقي البع ، وفى :

« وما أنس مل أشياء لا أنس قولها . . . »

(قال) فلقد سمعت شيئاً لم اسمع أحسن منه وقصر إلى نسي وعلت فضيلته على بما أحسن من نفسه ، وقلت : انه لحرى بالاستتار من الناس تنزيها لنفسه وقسطها لغيره وإن مثله لا يستحق الابتدال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فاردت الانصراف إلى المدينة راجعاً ، فلما كنت غير بعيد إذا بصائح يصيح بى : يا معبد انظر أ تلك فرجعت ، فقال : إن العريس يدعوك ، فأمرع فرحاً فدنوت من الباب . فقال لي : أتحب الدخول ، فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ، ففرع الباب ففتح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت فاذا شمس طالعة في بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : اجلس فجلست ، فاذا أنزل الناس وأحسنهم وجهاً وخلقا وخلقاً ، فقال : يا معبد كيف طرأت إلى مكة ، فقلت : جعلت مدامك وكيف عرفني ؟ فقال : بصوتك فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه بط ؟ قال : لما غنيت عرفتك به وقلت : إن كان معبد في الدنيا فهذا ، فقلت : جعلت فداك فكيف أجتني بقولك : « وما أنس مل أشياء لا أنس قولها » ، فقال :

قد جعلت أنك تريد أن أسمعك صوتي :

« وما أنس مل أشياء لا أنس شادنا بمكة مكحولاً أسيراً مدامه »

ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه ففنتك هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيت ، فقلت : واه ما عدوت ما أردت بهل لك حاجة ، فقال لي : يا أبا عباد لولا ملامة الحديث ومثل إطالة الجلوس لا ستكثر منك فاعذر ، فخرحت من عنده وإنه لأجل اللبس عدى ورجعت إلى المدينة ، فتحدثت بحديثه وعجبت من فطنته وقيافته ، فما رأيت انساناً إلا وهو أجل منه في عبي .

ومما نختاره من أخبار معبد الطرية ما حدث له في السفينة ، فقد رووا عنه أنه كان قد علم الفناء حارية من جوارى الحجاز تدعى ظيه وهى بتخريجها ، فاشترها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشترها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذبحت به كل مذهب وغلت عليه ، ثم ماتت - بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان - وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبتة

ياها وأسنفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ويظهر التعصب له والميل إليه والقديم لعنائه على سائر أعاني أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبداً خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل وقد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة ، وجاء معبد يلتبس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منهما صاحبه ، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا ، فلما صاروا في فم نهر الأبله تغدّوا وشربوا وأمر جواريه فغنين ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان غليظان وزى جاف من زى أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الحواري :

بانت سعاد وأمسى حبيلها انصرما واحتلت المور فالاجراع من إضما

(والغناء لمعبد) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم (قال) فقال له : « ولاها » وقد فصب — أنت ما يدريك الغناء ؟ ما هو إلا أن تمسك وتزلم شألك فأمسك ، ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت « يا بنة الأزدي قلبي كئيب . . . » (والغناء لمعبد) فأخلت ببعضه ، فقال لها معبد : يا جارية لقد أخلك بهذا الصوت لإحلالا شديداً . فغضب الرجل وقال له : وبلك ما أنت والغناء ، ألا تكفّ عن هذا الفضول . فأمسك ، وغنى الجواري ملياً ثم غنت إحداهن :

خليل عوجا منكما ساعة مى على الربيع بقضى حاجة ونودّع

(والغناء لمعبد) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه أما تقوين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ، وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكنت الجواري سكنت اندفع بعني الصوت الأوّل حتى فرغ منه ، فصاح الجواري : أحسف يا رحل فأعده ، فقال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندفع بعني الثاني ، فقلن لسيدهن : ويحك هذا والله أحسن الناس غناء فسله أن يعيده علينا ولو سره واحدة لعنا نأخذه عنه فانه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه وقد أسلفناه الاساءة فاصبرن حتى نداريه ، ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه ، وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك ، فقال له : ههيك لم تعرف موسمي قد كان يبني لك أن تتب ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلى وتخطب بي ، فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل : بمن أخذت هذا الغناء . قال : من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أخذته حواريك ، فقال : أخذته عن جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت عن أبي عباد معبد وعني بتخريجها فكانت تحلّ متى محلّ الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عزّ وجلّ بها وبقي هؤلاء الحواري وهنّ من تعليمها فأنا إلى الآن اتعصب لمعبد وأفضله على المعنن جميعاً وأفضل صنعته على كلّ صنعة . فقال له معبد : أو لئلك هو افتعرفني ؟ قال : لا (قال) ففك معبد بيده صلغته ، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزل السفينة لأفصذك بالأهواز ووالله لا تقصرت في حواريك هؤلاء ولأجعلنّ لك في كل واحدة منهنّ حلقة من الماشية ، فأكب

الرجل والجواري على بديه ورحليه يقبلونها ويقولون : كتمتنا نفسك طول هذا حق جفوناك في المحاطبة وأسأنا عسرتك وأن سيدنا ومن تمنى على الله أن نلقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وعليا وهدايا بثلثه وانحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى حذق حواريه وما أخذنه ، ثم ودعه واهصرف إلى الحجاز .

*
* *

وقد روى أبو الفرج قصة قدوم معبد إلى مكة وسماحه من المعين وغناؤه لم فقال :

قال معبد : غيب وأججى غنائى وأجج الباس وذهب لى به صيب وذكر ، فمل : لآتين مكة فلا سمعن من المعين بها ولأعنيهم ولأعرفن إليهم ، فابنت حمرا فخرح عليه إلى مكة ، فلما قدمتها بب حمارى وسأل عن الملبين ابن يجمعون ، فقل : بقميقان في بيب اللان جئت إلى منزله باللس فقرع الباب ، فقال من هذا ، فمل : انظر طافاك الله ، فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف ففتح ، فقال : من أنت طافاك ، الله ؟ قل : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قل : أنا رجل أشتهى الفناء وأرعم أنى أعرف منه شيئا وقد بلعن أن القوم يجمعون عندك وقد أحب أن تنزلنى في جانب منزلك وتخلطى بهم فانه لا مؤونة عليك ولا عليهم مئى ، بلوى شيئا ثم قال : انزل على بركة الله (قال) فقل فاعنى فذل في جانب حجرته ثم جاء القوم حين أصبحوا واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا فأكبروني ودلوا : من هذا الرجل . قل : رجل من أهل المدينة حمب يشهى الفناء ويطرب عليه ليس عليكم منه عاء ولا مكروه . فرحوا فى وكلمتهم ثم ابسطوا وشربوا وعنوا فجعلت أعج بسائهم وأطهر ذلك لهم ويعجبهم مئى حتى أقنا أياما وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتا وأصواتا وأصواتا ، ثم دل لان مريج : مديتك امسك على صوتك :

قل لهد وترها قبل شحط النوى غدا

قال : أو تخس شيئا ، دل : تطر وعسى أن أصنع شيئا . واندفع فيه ودينته فصاح وصاحوا ودلوا : أحسن فائك الله . قل : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على ودينته فازدادوا عجباً وصياحا . فما تركت أحدا منهم إلا غدته من غنائها أصواتا قد تغيرتها (قال) فصاحوا حتى علب أصواتهم وهرخوا بى ، وقالوا : لأن أحسن بأداء غنائنا عنا منا ، قل : فامسكوا على ولا تصحكوا بى حتى تسموا من غنائى ، فامسكوا على فعب صوتا من غنائى فصاحوا بى ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلى وقالوا : نلج بالله إن لك لصيتا واما وذكرا وإن لك ميا هاننا لهما عظيما فن أن ؟ قل أنا معبد فقبلوا رأسى وقالوا : ابعث علينا وكنا نهاون بك ولا نعدك شيئا وأنت أنت . فأقت عندهم شهرا أخذ منهم وأخذون مئى ثم انصرفت إلى المدينة .

*
* *

ومن الطرف النادرة ما حدث لمعبد والأسود .

قال معبد : بعث لى بعض أسراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان إن اشغص إلى مكة فشخصت ، قال : فتقدمت غلامى في بعض تلك الأيام واشتدت على الحر والعطش فانتهيت إلى خباء به أسود ، وإذا حباب

جَاوَرَتْ حَمَّةٌ ^(١) مُشَيِّدَةَ الْمَبْنَى لِزَرْقِ الرَّخَامِ فِيهِ وَمِيضُ
مَرَمَرٍ أَوْقَدَ الْفِرْنْدَ ^(٢) عَلَيْهِ سَلْسَلُ بَحْرِهِ الزُّلَالُ يَفِيضُ
وَسَطَهَا دُمِيَّةٌ يَرُوقُ أَجْتِلَاةُ الْكُلِّ مِنْهَا وَيَفْتِنُ التَّبَعِيضُ ^(٣)

ماء قد بردت قلت إليه قلت : يا هذا اسقي من هذا الماء ، فقال لا ، قلت : فأذن لي في الكن ساعة
فال : لا ، دأنتحت نأنتي ولأنت إلى طلها فاستترت به ، قلت : لو أحدثت لهذا الأمير شيئاً من الغناء أقدم
به عليه وللي إن حررت لاني ان ييل حاتي رنقي فيحف عى بعس ما أجده من العفش . فترمت بصوتى :
« القصر فالجل فالجاء بينهما » فلما سمعنى الأود ما سعرت به إلا وقد احتملى حتى ادخلنى خناه ثم قال
اى مابى أنت وأبى ، هل لك فى سوبق السك بهذا الماء الدارد ، قلت : قد منعتى أبل من ذلك وشربة ماء
تجزئى (قال) فسقانى حتى رويب وحء العلام فأقت عمده إلى وقت الرواح ، فلما أردت الرحلة قال : اى
مابى أنت وأبى الحر شديد ولا آمن عليك مثل الذى أصاك فأذن لي أن أجمل معك قربة من ماء على عنق
وأسمى بها معك فكما عطشت سقيتك وغيتنى صوتا (قال) قلت : ذلك لك ، فوالله ما فارقتنى
يسقبنى واعيه حتى بلغت المنزل .

وأخبار مصد والعريس طويلة منفرقة فى كتاب الأغاني فليرجع إليها من شاء .

(١) الجمه - بالفتح - العين الحارة الماء يستشفى بها الأعلاء ومنه الحديث : « مثل العالم كمثل الجمه
يأتينا البعداء ويتركها القراء ، فمنها هى كذلك إذ عار ماؤها وقد اسع بها قوم ونقى أنوام يتمكنون أى
يتقدمون » والجمه مدينة ذات ينابيع معدنة حارة واردة بالقرب من مدينة « لوشة » ومد زارها « ابن بطوطة »
ودخل مسجدتها ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والجمه - أيضاً - اسم لمدين أخرى ذات ينابيع
معدنية حارة فى إقليم « غرناطة » وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وتسمى مدينة الجمه عند
أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيف ووشيه وجوهره ، وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نعل ، والفرند : الورد
الأحمر أيضاً .

(٣) أحد هذا المعنى من قول ابن الرومى فى وحيد المعية :

وغرير بحسبها قال : « سمها » قلت : « أمرا ، حين وشديد .

يسهل القول : إنها الحسن الأشي . بياء طراً ويصعب المجدد »

وفى هذه التفسيره يقول :

عاده زانها - من العس - قد ومن العلي مقلتان وحيد

ورهاها من فرعها ومن الخدن ذاك السواد واللوربد

دهى برد - بخدها - وسلام وهي للعاشقين جهد جهيد

مانما مصطليه - من وحننها - غير ترشاف ريقها تبريد

مثل ذاك الرصاب أفضأ ذاك الوجود ، لولا الاباء والتصريد

وفيهما يقول : تتحلل للناظرين إليها مشق بحسبها وسعيد

ظليه - تسكن القلوب وترما ها - وقربة لها تعريد

بَشَرٌ نَاصِعٌ وَخَذْتُ أَسِيلٌ وَحَيًّا طَلَقْتُ وَطَرَفْتُ غَضِيضٌ
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَانِ إِذْ عَلَهُ ^(١) تَرَاهُ الْأَرِيضُ ^(٢)
وَأُبْسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَفْرَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ اتَّسَافَهُ الْإِغْرِيسُ ^(٣)
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّمَا هُوَ بِالْإِيحَاءِ - مِنْ فَرَطٍ لُطْفِهِ - تَعْرِيسُ

*
**

لَمَعَ طَلَّةٌ مِنَ الْعَيْشِ مَا إِنْ لِلْهَوَى عَنْ مَحَلِّهَا تَغْوِيضُ
سَوَّغَنِي نَعِيمَهَا نَفَعَاتٍ لِمُنَى - مِنْ سَحَابِهَا - تَزْوِيضُ
تَابَعْتَهَا يَدُ الْهَمَامِ أَبِي عَمْرٍو فَاغْمُرْهَا لَدَيَّ مَغِيضُ ^(٤)

تعمى كأنها لا تعمى - من سكون الأوصال - وهي تحيد
لا تراها هناك تحطط - لك منها - ولا يدور ويد
من هدوء وليس فيه اضطع ، وس-جو- وما به تبليد
مد في ساو صوتها نفس كا ف - كأساس طاشقها - مديد
وأرق الدلال والتمنج منه وراه الشجا ، فكاد يبيد
فتراه يموت طورا ويثيا مسئلة سبطه والنشيد
فيه وشى وفيه حلى من الفد -م مصوع يخال فيه الفصيد
طاب دوها وما ترجع فيه كل شيء لها بذاك شهيد
ثعب يبعع الصدى ، وعناء عده يوجد السرور الفعيد
فلها - الدهر - لائم مستزيد وها - الدهر - سامع مستيد
في حوى منها يحف حليم - راحح حله - ويعوى رشيده
ما تخاضى الفلوب إلا أصابت به -واها منرت حيث تريد

إلى آخر هذه القصيدة الغدة التي تختزى منها هذا القدر اليسير فليرحم إلها من شاء في ديوانه ليقارن بين
هذه القصيدة وقصيدة ابن زيدون .

(١) عله : سقاه ، والأريس : الركي التربة الخليق للبت . (٢) المعجب .

(٣) استعربت : بالعتى في الضحك ، والأعريس : الظلم وكل أبيض طرى .

(٤) اليد : النعمة ، والغمز : الماء الكثير ، ومغيض : اسم معول من عيس الماء فهو مغيض إذا طار
وسب ، أي تابعت تلك اللمع من رغد العيش يد مدافعة إلى « أبي عمرو » لا تزال تعمرنا بمعيتها الذي
الذى لا يبيع ماؤه فليس بمعيتها العزيز الماء ناصيا عندي .

مَلِكٌ ذَادَ عَنْ حِمَى الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّفْوِيزُ
وَسَمَا نَاطِرُهُ مِنَ الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كَفَّهُ التَّغْمِيزُ^(١)
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبًا مِثْلَمَا بَانَ النَّقِيزُ النَّقِيزُ^(٢)

* *

يَا مُعِزُّ الْهُدَى الَّذِي مَا لِمَسْمَا هُ إِلَى غَيْرِ مَمْنِهِ تَغْرِيزُ
يَا مُحِلِّي يَفَاعَ حَالٍ ، مَكَانُ النَّجْمِ - مَهْمَا يُقَسِّ إِلَيْهِ - حَضِيزُ^(٣)
إِنْ أَتَى أَيْسَرَ الرِّغَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ الْقِدَاحِ مَنِ مَفِيزُ^(٤)
لَوْ يَفَاعُ الْمَجْرَةَ أَعْتَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ الْمُسْتَعِيزُ
حَظَّ سِنِّ أَمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرَعُ وَقُصَارَى بَنَانِهِ تَعْضِيزُ

* *

حَسْبِيَ التُّصْنَعُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَّرَ الدَّهْرَ مِنْهُ مِسْكُ فَضِيزُ
دُمُ مَوْقَى وَلِيكَ - الدَّهْرُ - مَحَبُّو رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْعَدُوُّ مَبِيزُ
فَاعْرِافُ الْمُلُوكِ أَنْكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَبْنِيهِمْ مُسْتَفِيزُ

(١) وتطلع إليك ناظر المجد بعد أن كلف ناظره كثرة الدريس . يريد أنه بعد أن ذاد عن حيرة الدين
سما بنظره في شؤون دينا كان قد صرفه عنها كثرة التعميس والاعراس .
(٢) وقريب من هذا قول الشاعر :

نَسْدَانِ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حِمَا وَالصِّدْقَ يَطْهَرُ حَسَنَةُ الْفِدَا .

(٣) اليقاع : ما ارتفع من الأرس . يقول : يامن أحللتني حالا رديما ، إذا قيس إليه النجم - على رفعتة -
عد حضيفا . (٤) المبيض : من أفاض الرحل بقداح الميسر إذا ضرب بها فووقت مبهنة متفرقة .

شفاعة

قال هذه القصيدة يمدح أبا الحزم بن جهور ويتحرم بجنابه وبطلب
شفاعته ، قال ابن بسام :

« كان أبو الوليد من أنشأته دولة الجهاورة واصطفته اصطفا الفرس
للأساورة ، وقد اختص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالنور وارتبطهم
ارتباط الأماضة بالفور ، وأبو الحزم بن جهور - إذ ذاك - رأس الجماعة
وأصل تلك الأسرة الطاعة من رجل أدهى من عمان وأجراً من ليث
خفان وأدهى من عمرو بن الحفان . وكان ابن زيدون متصلاً بآل
أبي الوليد أطول حقه اتصال أبي زيد بالوليد بن عتبة وبينهما
تآلف أحراماً بكمبته وطافا وسقيا من تصايفهما نطافاً وابن زيدون
يمتد ذلك حساماً مسلولاً ويرى أنه يرد به صعب الخطوب دلولا ، إلى
أن طلب عند أبيه أبي الحزم وتوسل فاستدفع به تلك الأسنة والأسل
فما نى إليه عنان عطفه ولا كف عنه سنان صرفه مع استعطافه له
بكل مقال يحل سخائم الاحقاد واستلطائه إياه بما يرد الصعب
سلس القيادة ، فمن بديع ذلك وأحسه قوله :

إيه أبا الحزم اهتبل غرة ألسة الشكر عليها فصاح

أَمَّا وَالْحَاطِظُ مِرَاضٍ صِحَاحُ تُصْبِي وَأَعْطَافٍ نَشَاوَى صَوَاحُ
لِبَائِنٍ بِالْحُسْنِ فِي خَدِّهِ وَرَدُّ وَأُتْنَاءُ ثَنَائِيهِ رَاحُ
لَمْ أَنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وَشَاخَهُ اللَّاصِقِ دُونَ الْوِشَاحِ (١)
أَلَمْتُ بِالْأَلْطَفِ مِنْهُ وَلَمْ أَجْنَحْ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجُنَاحِ
لَأَصْفِيَنَّ الْمُصْطَفَى (٢) « جَهَوْرًا » عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أَتْنِضَاحُ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاخه اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أنبره عصره

قول الفصل من أهل وقتنا :

« إن العزيز على حقوقه انه بالرد حل منك ملا يحول

نحدي له حسى مكان وشاخه إن العليل بشكله يتمل »

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

« يا ليت عباس سرباله على جسدى أو ليتنى كنت سربالا لعباس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصعين المرتضى جهورا »

جَزَاءَ مَا رَفَعَهُ شُرْبَ الْمُنَى وَأَذَنَ السَّعَى بَوْشَكَ النَّجَاحِ^(١)
يَسَّرْتُ آمَالِي بِتَأْمِيلِهِ فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحِ^(٢)
لَمْ أَثِمِ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ أَقْتَدِحِ الصَّمَّ بِيَضِ الصَّفَاحِ^(٣)
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْفِي لَهُ - إِنْ فَسَدَتْ حَالٌ فَعَزَّ الصَّلَاحُ
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ أَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ
رَكِبْتُ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْحَبَا يَهْفُو بِهِ نَحْوُ النَّهَارِ أَرْتِيَاخِ^(٤)
ذُو بَاطِنٍ أَقْبَسَ نُورَ الثُّقَى وَظَاهِرٍ أَشْرَبَ مَاءَ السَّمَاحِ
أَنْظُرُ تَرَّ الْبَدَرِ سَنًا وَاخْتَبِرُ تَجْدُهُ كَالْمِسْكَ إِذَا مِثَّ فَاحِ^(٥)

* *

إِيَّاهُ « أَبَا الْحَزْمِ » اهْتَبَلِ غِرَّةً أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصَاحُ^(٦)
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةٍ إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيشَ الْجَنَاحِ

(١) ربه : من ورود الابل ردها ، وهي أن ترد الماء في كل يوم متى شاءت .

(٢) يسر يجر أن يكون بالشد يد بمعنى سهل وبالتخفيف من يسر يسر إذا ضرب بقداح الميسر - والمعنى على الثاني ضربت بقداح آمالي يأسراً فلم يعدنى أن فزت بأوهر القداح حطوطاً ، وفي رواية ابن بسام : « فسرت آمالي بتأميله »

(٣) أى لم انظر البرق ليس فيه مطر ، ولم اقتدح صلدا لم يور ناراً .

(٤) ركب من الركابة أى الرزامة - والمعنى : أنه وقور الحوة رزينا يهوى به ويحركه نحو المدح أريجياً فيهتز بعد سكون في مجله ووقار .

(٥) مات النى ، يمتبه إذا مرسه بيده في الماء ، فداب من مسك ونحوه - يقول بطر تره كالبدر سا وبهاء وأختبره نخده كالمسك فاح شذاه وقد ميث أى مرس ناليد ، والمسك - لما سحق - فاح شذاه ، وقد قال للمرى في هذا المعنى وأجاد ما شاء أن يحيد .

« عل البلى سيفيد المرء فائدة فالمسك يزداد من طيب إذا سحقاً »

(٦) اهبل : اغتم يقال اهبلت فعملته - والعمرة : بالكسر العملة ، وفي المثل « الفرة تجلب البره » أى العملة تجلب الرزق - والمعنى : أسكتك أبا الحزم في غلة أعدائك من المعام والأموال تنطلق الألسن ممصحة بشكرك ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة الدهر عليها فصاح »

عُتْبَاكَ - بَعْدَ الْعَتَبِ - أُمْنِيَّةٌ
لَمْ يَنْفِنِي عَنْ أَمَلٍ مَا جَرَى
فَأَسْخَذَ بِحُسْنِ الرَّأْيِ - عَزَمِي يُرْعِ
وَأَشْفَعُ فَلِلشَّافِعِ نَعْمَى بِمَا
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا
وَقَاكَ مَا تَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ
مَالِي عَلَى الدَّهْرِ سِوَاهَا أَقْتَرَاخُ^(١)
قَدْ يُرْقِعُ الْخَرْقُ وَتَوْسِي الْجِرَاخُ
مِنِّي الْعِدَا، أَلَيْسَ شَاكِي السَّلَاحِ؟^(٢)
سَنَاهُ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ^(٣)
وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرِّيَاخِ^(٤)
تَعَبْتُ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْتَرَاخُ

هدية تفاح

« ودل في تفاح أهدها إلى المعصود بالله

أبي عمرو عباد بن محمد بن عباد »

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ الرَّيَّا سَهْ حِينَ أَلَيْسَ ثَوْبَهَا
وَلَهُ يَدٌ يَنْسِ الْغَمَا مُمِنْ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا^(٥)
جَاءَتْكَ جَامِدَةُ الْمَدَا مِم فَخَذَ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا^(٦)

(١) العتي : الرجوع إلى ما يرضى الغائب أي رجوعك بعد الصواب إلى ما يرضى أمسه لا اقترح على الدهر سواها . (٢) فَوَّ بِحُسْنِ الرَّأْيِ عَزَمِي يَحْفَمِي الْعِدَا ، أَلَيْسَ عَزَمِي شَاكِي السَّلَاحِ ؟ (٣) سَنَاهُ : سَمَلُهُ وَبَسْرُهُ - مَنْ قَدَدَ : أَيْ مِنْ حُلِّ عَقْدٍ - وَثِيقِ الدَّوَاحِ : أَيْ عَسْرَ الْحُلِّ مِنْ أَيْ نَوَاحِيهِ أَتَيْتُهُ ، وَقَرَأْتُ شَاهِدًا عَلَى هَذَا فِي أُمَالِي أَيْ الْقَانَمِ الرَّجَحِيِّ ، إِنَّ مَآوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ صَرَفَ رُوحَ ابْنِ زُبَيْعٍ عَنْ عَمَلِهِ لِحَيَاتِهِ بَلَّغَتْهُ عَنْهُ ، وَأَمْرُهُ بِالْإِدْمَامِ عَلَيْهِ فَعَلَّ ، فَأَمْرُ ضَرْبِهِ فَلَمَّا أُخْدِتَهُ السَّيَاطُ قَالَ : « نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَهْدِمَ مَيِّ رَكْنًا أَمْتُ بَنِيهِ ، أَوْ تَضَعُ مَيِّ حَسَّةً أَمْتُ رَفْعَتِهَا » الخ مَا قَالَ ، فَقَالَ مَآوِيَةُ . « إِذَا اللَّهُ سَى حُلِّ عَقْدٍ تَسْرُ ، حَلِيَا هُ » - وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ اطْلُبْ شَفَاعَتَهُ ، وَيَبِينُ أَنَّ الشَّاعِرَ عَلَى الْمَشْفُوعِ لَهُ يَدٌ وَبَعْدَ سَبَبِ مَا سَمَلَهُ وَبَسْرَهُ مِنْ حُلِّ عَقْدٍ تَسْرُ عَدُّ أَنْ تَقْدَحْتَ أَوْ أَخِيهِ وَتَوَقَّضْتَ نَوَاحِيهِ . (٤) الْحَيَا : الْمَطَرُ - يَرَدُّ أَنَّ الْحَمْدَ لِلشَّاعِرِ لَا الَّذِي قَبْلَ مَعَهُ لِلشَّاعِرَةِ ، كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ لَلْحَسْبِ الَّذِي مِنْهَا الْمَطَرُ بَلْ لِلرِّيَاحِ الَّتِي تَرْحِمُهَا ثُمَّ تَوَلَّفَ بِهَا فَنَطَرُ ، وَقَدْ كَرَّرَ هَذَا اللَّحْمَى فِي بَعْضِ قَصَائِدِهِ فَقَالَ :
لِلشَّافِعِ النَّاءُ - وَالْحَدَى صَوْبُ الْحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِيَوْمِ

انظر (ص) من هذا الديوان . وقد سبقه البحرى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :

« حَارِمْ حِدَى ، وَلِلرِّيَاحِ - الْوَاتِي تَجَلِبُ الْعَيْثُ - مِثْلُ حَمْدِ الْقِيَوْمِ »

(٥) نزول المطر . (٦) جعل المدام وهي الخمر نوعين جامدة وهي التماح ودائبة وهي الراح وطلب إلى المدح أن يشرب عليها ذوبها وهي الراح الحقيقية .

لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور وقد كتبها إليه من السجن . »

مَا جَالَ بَعْدَكَ حُظِي فِي سَنَاءِ الْقَمَرِ إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ ^(١)
وَلَا اسْتَطَلْتُ ذِمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقَصْرِ ^(٢)
تَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَحَ تَأَلَّفَهُ شَوْقٌ إِلَى مَا أُتَقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّهَرِ
فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلٌ لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ^(٣)

أُمَّا الْفَنَاءُ فَجَنَّتُهُ حَظَّةٌ عَنْ كَأَنَّهُمَا وَالرَّدَى جَاءَا عَلَى قَدَرِ ^(٤)
فَهَمْتُ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرَفِكَ إِلَى إِنَّ الْخَوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَرِ
وَالصَّدْرُ مُذْ وَرَدَتْ رِفْهًا نَوَاحِيَهُ تَوْمُ الْقَلَاءِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرِ ^(٥)

(١) أى لم أحل بلحطى فى نور القمر بعد غيبك هى إلا ذكرتك كما يذكر الراى حين الشىء وداته بما يراه من آثاره . (٢) الدعاء : بالفتح البقية الناقية من الليل - أى ما تعبت أن يطول ما بقى من عمر الليل إلا أسعا على إيلة اشتملت على ما يسر مع قصرها والشعراء كثيرا ما يمدحون ليل الوصال بالفجر ، ومن أبدع ماقرأناه فى ذلك قول الشريف الرضى :

« أَشْكُو اللَّيَالِي غَيْرَ مَعْتَبَةٍ إِمَّا مِنَ الطُّوْلِ أَوْ مِنَ الْفَصْرِ

تَطُولُ فَيُهْجَرُهَا وَتَقْصُرُ فَيُؤْوِسُ . فَلَا تُلْتَقِ عَلَى الْقَدْرِ

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا نَعْتَرُ بِهَا الْعِشَاءَ بِالْمَسْحَرِ »

(٣) انتهى أن يحل طلام الليل بما يهيمه من سواد القلب والعسر ، ولو لالحى أى وابته استعار ، ولا خفاء أن سويداء القلب - وواد العين من أفس الأشياء وأعزها ، ولكنه يبدلها طارئة فى سبيل اسدامة الليل وطوله ، وحاء لابن ساسم فى الدخيرة فى نقد هذا البيت . قوله : « لو استعار سواد القلب والبصر » لفظ المعرى حيث يقول :

يَوْزُ أَنْ طَلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزَيْدِيهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

(٤) العن : بفتح العين من عن النىء إذا طهر أمامك واعتس .

(٥) ريفها : هو أن ترد الابل الماء كل يوم - توم القلاء : جمع تومه بالضم وهى اللاؤلؤة ، استعار ورود الابل ريفها للامرة الحلى صدرها من غير أن تجنح بعد الورود إلى الصدر .

حُسْنُ أَفَانِينَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَعْيُنُنَا غَايَاتِهِ بِأَفَانِينَ مِنَ النَّظَرِ
وَاهَا لِشَعْرِكَ ثَغْرًا بَاتَ يَكْلُوهُ غَيْرَانُ تَسْرَى عَوَالِيهِ إِلَى الثُّغْرِ (١)
يَقْظَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَمَضًا مُرَاقَبَةً لِرَابِطِ الْجَأَشِ مِقْدَامٍ عَلَى الْغِرْرِ (٢)
لَا لَهُوَ أَيَّامِهِ الْخَالِي بِمُرْتَجِعٍ وَلَا نَعِيمٍ لِيَالِيهِ يَمْتَنِّظُ
إِذْ لَا التَّحِيَّةُ إِيمَاءَ مُحَاسَنَةٍ وَلَا الزِّيَادَةُ إِمَامٍ عَلَى خَطَرِ
مُنَى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهَا إِنَّ الْفَرَامَ لَمُعْتَادُ مَعَ الذِّكْرِ

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهَا مَحْضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُبْنِي عَنْ الْخَبَرِ
لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شَبَابِي كِبَرَةً وَأَرَى بَرَقَ الْمَشِيبِ أَعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّعْرِ (٣)
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَسَبُ وَلِلشَّبِيَّةِ غُصْنٌ غَيْرُ مُهْتَصِرٍ

(١) يكلوه : يحفظه ويغار عليه - وغيان : وصف من الغيرة - والعوالى صدور الرماح - الشعر : جمع ثغره بالضم وهى الطرق والمنافذ السلوكة أو أراد بها جمع الثغرة وهى الثغرة فى النحر .
(٢) المرر : جمع غرة بالكسر وهى الغفلة ، والمعنى : أنه يتنزه غرات الرقيب الساهر طول ليله غيرة وحفاظا ومراقبة ، فيقدم رابط الجأش بالرغم من يقظته وتنبيه ومراقبته إياه ، ولا يحجم عما اعتزمه من موافاة حبيبه .

(٣) الكبرة : بفتح فسكون كبر السن - والعارض : الحد يقال أخذ الشعر من عارضيه - والمعنى : أن يياض المشيب وخط عارضيه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يعد من سنيه ثلاثين ربيعا ، وأبدع أبو نواس فى هذا المعنى أيما إبداع لما يقول فى سيبته :

« وإذا عددت سنى ، كم هى ؟ لم أجد للشيب عذرا فى النزول براسى »

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى عن أن تسير إلى فى بالكس »

وفال ابن الرومى : « قد شيب الفسى ولس عجبا أن يرى النور فى الفضيض الرطب »

وقال الآخر : « يا عنى هل لك فى شيخ فتى أبدا وقد يكون شباب غير فتان »

وقال أبو العلاء : ارجع إلى السن فانظر ما تقدمها فاحكم عليه ولا تحكم على الشعر

فكم ثلاثين حولا شبيت ، ومصت ستون ، والشيب فيها غير مستعر

وليس ذلك إلا صبغة جعلت طبعها ، وإن قيل : شاب الرأس للدعر .

هَإِثَّهَا لَوْعَةٌ فِي الصَّدْرِ قَادِحَةٌ نَارَ الْأَسَى وَمَشْيِي طَائِرُ الشَّرِّ (١)

* *

لَا يَهْنِي الشَّامِتَ الْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ أَنِّي مُعَنَّى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ (٢)
هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ؟ أَمْ الْكُشُوفُ لِغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٣)
إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِيدَاعِي، فَلَا عَجَبٌ قَدْ يُوَدِّعُ الْجَفْنَ حَدَّ الصَّارِمِ الدَّكْرِ
وَإِنْ يَبْطُ - «أَبَا أَحْزَمِ» الرَّضَى - فَدَرَّ عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَبُّ عَلَى الْقَدَرِ

* *

مَا لِلذُّنُوبِ - الَّتِي جَانِي كَبَائِرِهَا - غَيْرِي - يُحَمَّدُنِي أَوْزَارَهَا وَزَرِي (٤)

(١) أي أنها لوعة تقذح نار الأسى والحزن في صدره ، ومشب رأسه ما تطاير من شر تلك البار الموقدة فيه ، وحاء في الدجيرة لأن بسام قل هذا البيت توله :

يا للرزايا لقد شامت منهلها غمرا فما اشرب المسكروه ناعم

والعمر القدح الصغير ، فهو يعني أنه لا يشرب من المصائب بالمدح الصغير .

وحاء بعده في سخطي الديوان المحطوطتين هذا البيت ناقصا هكذا :

حوادث استعرضتني ما نذرت لها غرامه

ونحن شتباها كما وجدناها .

(٢) لا يهين : يقال هناه الأمر أي تهنا به - معنى الأمانى : اسم مفعول من المناء وهو التبع - والمخطر

الشرف والمنزلة - والمعنى : لا يتهأ الشام المتلوح النؤاد بكوتى في عاء ، وهب سبب الأمانى وبكوتى ضائع القدر والمنزلة .

(٣) أراد نحم الأرض ما ختم على وجهها من النبات ولم يبق على ساق ومنه قوله تعالى « والجهم والشجر يسجدان » وهذا البيت تمثيل للبدن قل أي لا تفرح أبها الشام فارخ لا تعصف إلا بما له ساق من الشجر ، والكسوف : لا يكون لعب الشمس والقمر - وهو معنى طرقة الشعراء كثيرا ، ومنه قول أبي تمام

إن الرياح إذا ما أعصف قصف عبيدان نحد ولم يبان نالتم

بات نعل ونعل لا كسوف لها والشمس والبدن منها الدهر في رقم

وقرب منه قوله أيضا :

لا تنكرى عطل الكريم من الأذى فالسبيل حرب للمكاث للعالي

(٤) الوزر : بالكسر الدب والوزر بفتحين المعين والملجأ - والمعنى : لأي سبب يحملني ملجئي ومعتصمي

تبعه ما جناه غيري من كبائر الذنوب ، وهو نظير قول المعري :

وحرم حره سبهاء قوم وحل بشير جاره المقاب

مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْيِيهِ عَلَى ثِقَةٍ
ذُو الشِّيمَةِ الرَّسُلِ - إِنَّ هِجَّتْ حَقِيقَتُهُ -
مَنْ فِيهِ لِمَجْتَلِيٍّ وَالْمُبْتَلَى نَسَقًا
مُذَلِّلٌ لِمُسَاعِيٍّ حُكْمَهَا شَطَطًا
وَزِيرٌ سَلِمٌ كَفَاهُ يُعْنِي طَائِرَهُ
أَغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَغْنًى تَجَارِيهِ
كَمْ أَشْتَرَى بِكَرَى عَيْنِيهِ - مِنْ سَهَرٍ ،
فِي حَضْرَةِ غَابِ صَرْفِ الدَّهْرِ - خَشْبَتُهُ -
مُتَمَعٌّ بِالرَّيْسِ الطَّلَقِ نَازِلُهَا
مَا إِنْ يَزَالُ يَبْتَثُّ النَّبْتَ فِي جَلْدِ

* *

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ فَقِيمٌ أَصْبَحْتُ مُنْهَاطًا إِلَى الْعَفْرِ (٨)

- (١) التأني : التَّهْل ، والحي : ادعاء ذنب لم يفعله - أي أنا على ثقة من الحصول على أُنْبَى ، وإن تأني ، ولا أحذر أن يأس إلى ذنبا لم أفعله .
(٢) الشِّيمَةُ الرُّسُل : الحلق السهل السمح - والمحبة : الغضب - والمستعْتَب : مصدر ميمي بمعنى الاستعْتَاب أي الاسترضاء يقال استعنته أي استرضاه فأعنته أي أرضاه - واليسر : اليسر .
(٣) المجتلي : الناظر ، والمجتلي : المختبر ، والسر : الشرف أي مختبر سرى شريف .
(٤) المساعي المآثر أي مدلل لمساعاه أن تشتت عليه في الحكم وهو العزيز العس النجيب الجانب .
(٥) محصد المرر : مقتول القوى .
(٦) يقول انه لألمعيته لا يحتاج إلى تحارب وان بداعته أعي عن رويته ونظرتيه المريعة تني عن إطالة الفكر وقديماً قالوا :

الألْمَى الذي يظن بك الطمس كأن قد رأى وقد سمعا
(٧) الجلد : الأرض الملبسة ، أي أنه مدسأس الملكة وهو دائب على مَثِ الثبات والزرع في أرض لا تثبت لصلابتها وإضافة الماء إليها من عيون تنفجر من الصخر .
(٨) يقول : ما نالك أخلعت آمالي وبدا لك مكانتي العالية عندك التي كنت تحلني بها فوق ذروة النجم فأزلتني إلى حضيض الموان .

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدَبِي غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِعُ الثَّمَرِ ^(١)
وَسَبِيلَةَ سَبَبًا - إِلَّا تَكُنْ نَسَبًا - فَهَوَ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَّرِ

* *
* *

وَبَإْنٍ مِنْ ثَنَاءِ حُسْنُهُ مَثَلٌ وَشَى الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُعَلِّمُ الطَّرَرِ
يُسْتَوْدَعُ الصَّحْفَ لَا تَخْفَى نَوَافِحُهُ إِلَّا خَفَاءَ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي الصَّرَرِ ^(٢)
مِنْ كُلِّ مُخْتَلَةٍ بِالْجَبْرِ رَافِلَةٌ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكِعَابِ الرُّودِ بِالْجَبْرِ ^(٣)
تُجْنَى لَهَا الرُّوضَةُ الْغَنَاءُ أَضْحَكُهَا تَجَالُ دَمْعُ النَّدَى فِي أَعْيُنِ الزَّهَرِ ^(٤)

(١) رف البات اهتز - يقول : هل حين انتشرت آدابي ومدامحي في الآفاق فاجنت يانع الثمر ، ولم يذكر حواب الاستفهام في البيت بعده لأنه مفهوم من السياق ، وهي عادة مألومة كما قال الشاعر :

«الآن لما كذب أكل من مشى وافتر نابك عن شباة الفارح
وتكاملت فيك المروءة واللقى وأعنت ذلك بالفعال الصالح»

وقول النائل :

«أبت لي همي وأبى بلائي وأخذى الحمد بالشمس الريح
ولجشأى على السكره نفسى وضربى هامة البطل المشيح
وقولى - كما حشأت وجاشت - مكانك تهمدى أو تستريحى»

وربما ذكر الجواب كما ترى في قول ابن الروى :

«الآن حين زأرت واستمع الورى زأرى وأنذر كلب شر ديبه
الآن حين سفت كل مسابى فتركت اسرع حريه تقريبه
يتكلم التكهفوت رياستى ليطل بذلك معجب تعجيبه»

(٢) أى يستودع ذلك الثناء - المضروب بحسنه المثل - بطون الصحف ولا يمكن أن يخفى ما يروح من أريعه إلا إذا حى ربح المسك والصرر .

(٣) أى من كل صحيفة تختال بما فيها من المداد الذى سطر به آيات بيانه وسحر بلاغته اختيال الجارية التى كعب ثدياها بما تلبسه من وشى منور وبرد مخبر .

(٤) أى أنه يصطحب المحبرة التى يكتب بمدادها آيات بلاغته ويجمو لأجلها الروضة الناء أضحكها الحيا ، وجاءت في أعين أرهاها دموع الندى .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهَوًّا - إِنَّ قَبِيَّتَ
لِي فِي أُعْيَادِكَ - بِالتَّأْمِيلِ - سَابِقَةٌ
فَقِيمَ غَضَّتْ هُمُومِي مِنْ غَلَا هَمِّي
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ فَمَا الْعَتَبَ لِي أُسْنٌ
نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ
حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْآثَارِ وَالسَّيْرِ (١)
وَهَجْرَةٌ - فِي الْهَوَى - أَوْلَى مِنَ الْهَجَرِ
وَحَاصٌّ بِي مَطْلَبِي عَنْ وَجْهَةِ الظَّفَرِ؟ (٢)
إِلَى الْمَذُوبَةِ مِنْ عُتْبَاكَ وَالْخَصْرِ؟ (٣)
إِنْ أَسْفَرَتْ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبُشْرِ (٤)

* *

لَا تَلَهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مُعْتَسِفًا
وَأَسْتَوْفِرِ الْحَظَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَاحِيَةٍ
هَبْنِي جَهَلْتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَيِّئَةً
إِنَّ السِّيَادَةَ بِالْإِعْضَاءِ لَا بِسَةِ
رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ إِيفَاءٍ عَلَى الْكِبَرِ (٥)
كِلَاهُمَا الْعِلْقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعَرِّ (٦)
لَا عُدْرَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبَشْرِ
بِهَاءَهَا وَبِهَاءِ الْحُسْنِ فِي الْخَفْرِ

(١) نبي في هذا البيت ممدوحه وهو لا يزال حيا يرزق ، وقد أخذ هذا المعنى - ولم يحسن الأخذ - من قول أبي العلاء :

« حال ذى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد المات حمال السكب والسير . »

(٢) حاس : حاد ومال .

(٣) العيب : السخط وإطهارا واحدة لمخالفة ارتكبت ، والعتي : الرضا والروح إلى المصرة بعد السخط ، والخصر : البرودة ، والمعنى : هل من سبيل يبدل العيب الشبيه بالماء الآسن أى التنفير الذى لا يستسيغه شارب به إلى العتي الشبيه بالماء العذب البارد السائغ شرابه - وقد أحسن أبو العلاء في حمل برد الماء الذى يصير به أطيب لشاربه سببا في هجره لا فراطه في الخصر والبرودة وذلك حيث يقول :

« لو اخضرت من الاحسان زرتكم والعدب يهجر للافراط في الخصر . »

(٤) التذمير في « عنها » عائد إلى العتي ، والبشر : جمع بشرى .

(٥) أى لم أعترف في الدؤال ولم أطلب مستجيلا .

(٦) استوفى : استكثر ، وصاغية : الاسان خاصته الذين يميلون إليه ويعشون مجلسه ويطلبون ما عنده والعاقى : الشيء العيس الذى يصير به لفاسته فلا يوهب ولا يمار ، وقد ورد في ديوان الحماسة قول الشاعر :

« أبيت الامن إن سكا بقاتى نفيس لا يمار ولا يباع

مفسدة مكرمة علينا بجاع لها العيال ولا تتجاع

سليلة سابقين تاجلاها إذا نسا يصهما الكراء . »

لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُدْنِي أُعِثُّهَا دُونَ الْقَبُولِ بِمَقْبُولٍ مِنَ الْمَدَرِ (١)
وَالْبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضِرَاءِ أَيْكُنْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى «الْآفَاتِ وَالْعِيرِ» (٢)
نَعِيمَ جَنَّةٍ دُنْيَا - إِنْ هِيَ أَنْصَرَمَتْ - نَعِمْتَ بِالْخُلْدِ فِي الْجَنَّاتِ وَالنَّهْرِ

أُتْرِعَ الْكَأْسُ

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسَنَ الْمَجْلِسُ وَقَدْ أَنْ تُتْرَعَ الْأَكْوَسُ
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَلَّى الرَّيِّعُ إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقْدَهُ الْأَنْفُسُ (٣)
فَإِنَّ خِلَالَ أَبِي عَامِرٍ بِهَا يَخْفُزُ الْوَرْدُ وَالزَّرْجِسُ (٤)

لَا حِيلَةَ فِي الْحُبِّ

يَا مُخْجِلَ الْغُصْنِ الْفَيْنَانِ إِنْ خَطَرَا وَفَاضِحَ الرَّشَاءِ الْوَسْنَانِ إِنْ نَظَرَا (٥)
يَقْدِيكَ مِنِّي مُحِبُّ شَأْنِهِ تَحَبُّبُ مَا جِئْتَ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَذِرَا (٦)
لَمْ يُنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْ حَذَرٍ هَيْهَاتَ كَيْدِ الْهُوَى يَسْتَهْمِلُكَ الْحَذَرَا
مَا كَانَ حُبِّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِرَتْ هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَدْفَعَ الْقَدَرَا (٧)

(١) العذر : جمع عذره كعذره مصدر كالعذر . (٢) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :
وَالْبَسَ مِنَ النِّعْمَةِ الْخَضِرَاءِ أَيْكُنْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ

ووجد في هاش بعض النسخ بكلمة لهذا البيت كلمة (والعير) وهذه الكلمة باسمها الآفات لا الارفات
لخصت بكلمة البيت بكلمتين كما ترى إحداهما من هاش بعض الأصول ، والأخرى يعطها السياق .

(٣) أدرك الكأس فقد صفا المجلس واغناه حسنه عن حسن الربيع فلم يعد نخس للربيع فقدا .

(٤) فان خلا أبي عامر تذكرنا بالورد والزرجس ويبدأ عليها عنهما .

(٥) يقول : « لك ترى بالعصن المورق إن مشيت وترى بالعلي الغرير الطرف إن نظرت .

(٦) يقدم لك الفداء محب أسره عجيب ، فمالك كما أنيت ذنباً أرى إلا أن يخلص لك الأعذار ويخلصها لك خلفاً

(٧) كنت أقدر أنك تهجرني بعد الوصال وكنت اتلافى كل سبب يؤدي إلى ذلك وأحذر جهدي ألا يقع

ما حفته واسكن القدر لا بد أن يمدح حكمه وليس يدفعه حذر . وما أجل قول الشاعر البايع محمود أبي الوفا :

« يالائمي في الهوى دعى وما حلف روي له ، ليس أرى في الهوى يدي »

وقول العباس بن الأحنف :

« اتد ولدت حواء . ك بليسة على آماسيها ، وخبلا من الخبل . »

فى مدح ابن جهور

مَرَادُهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ حَمَائِلُ وَمَوَزِدُهُمْ حَيْثُ الدَّمَاءُ مَنَاهِلُ (١)
وَدُونُ الْمَنَى فِيهِمْ جِيَادُ صَوَافِنُ وَمَأْثُورَةٌ بِيضٌ وَسُمْرٌ عَوَامِلُ (٢)
لِكُلِّ نَجِيدٍ فِى النِّجَادِ كَأَنَّمَا تُنَاطُ بِمَتْنِ الرُّمَحِ مِنْهُ الْحَمَائِلُ (٣)
طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِيفَةِ كَأَنَّ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ (٤)
كِنَاسٌ دَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِى مَحَلَّةٍ بِهَا اللَّيْتُ يَعْدُو وَالْفَرَالُ يُعَازِلُ (٥)

(١) المراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد طلبا للنعمة والكلأ ، والحمال : جمع حيلة وهى الشجر الكثير المجتمع اللتب الذى يستمر ما فى داخله ، وللمناهل - جمع منهل - وهو موضع التهل وهو الشرب أولا يقال شرب عللا بعد نهل يريد أنهم يهلون من دم واردهم ، والمعنى : الذى يرود حى أولئك العرب الاتحاد حيث تمكن الحيلة يرود هناك حائل يكثر فيها السلاح وتشتجر الرماح ، ومن يرد مجتمعهم يند مباحل تهل فيها الدماء ويتعرض واردها لاسباب الماء .

(٢) الصوافن : من الخيل جمع صاف وهو الذى يقوم على ثلاث ويثى سذك الرابعة ، ومأثورة صفة السيوف ، يقال سيف مأثور أى فى مه أثر بمتج فسكرن وهو فرند اليف وجوهره وديباجه ، والسمر الرماح ، والعوامل : صدورها جمع عامل ، يقول دون ما تمناه حى منبع بلصافات الجياد حى ببيس السيوف وسمر الرماح .

(٣) نجيد : شجاع ذو نخدة وبأس ، والنجاد : حمائل السيوف ، وتنط : تلقى ، بتى الرمح : أى بقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح الطول وتدم الدمامة والقصر ، دل رجل من طي :

«ولما تلقى الصمان واختلف الفسا نهالا وأسباب المايا نهالها

تبين لى أت القمادة ذلة وأن أهزاء الرجال طولها

دعوا يالسعد واشتبنا لطى أسودالشرى إندامهاوثرلها.»

وقد أجاد أبو العلاء فى مدح القصر ، فقال :

«عجب الأمام لطول همه ماخذ أوفى به قصر على أضرابه

سهملقى أهى مدى من سيفه والرمح ، يوم طناه وضرايه.»

(٤) الحفيظة : الغضب ، والصبابات : جمع صبابه وهى العشق ، والطوائل : جمع طائفة وهى الترة والثأر

يقول يطول على كل طويل النجاد ليله من حفيظة وغصب علينا ، وكان العشق وصبابات النفوس أوجبت له صدنا طوائل وترات فهو كمن يطلبنا ليأثر منا .

(٥) الكناس : مأوى الظباء والبقرالذى تستكن فيه من الحر ، والشرى : موضع تنسب إليه الأسود .

أَمَمْتُ الْقِيَابَ الْحُمُرِ وَسَطَ عَرِينِهِمْ لَقَدْ قُصِرَتْ فِيهَا السَّرُوبُ الْعَقَائِلُ^(١)
 أَتَجُوبَةُ لَيْلَى وَلَمْ تُخَضَّبِ الْقَنَا وَلَا حَجَبَتْ شَمْسُ الضَّحَاءِ الْقَسَاطِلُ؟^(٢)
 أَنَاةٌ عَلَيْنَا مِنْ سَنَا الْبَذْرِ بِسَمِّهِ وَفِيهَا مِنَ الْعُصْنِ النَّضِيرِ شِمَائِلُ^(٣)
 يَجُولُ وَيَسَاكُهَا عَلَى خَيْرَ زَانَةٍ وَتُشْرِقُ فِي «مَوْشِيَّتَيْنِ» الْخَلَائِلُ^(٤)
 وَلَيْلَةَ وَافَقْنَا الْكَتِيبَ لِمَوْعِدِ كَمَا رِيعَ وَسَنَانِ الْعَشِيَّاتِ حَادِلِ^(٥)
 تَهَادَى - أُنْسِيَابَ الْأَيْمِ - يَغْفُو إِنْ أَرَاهَا مِنَ الْوُشَى مَرُومُ الْعِطَافَيْنِ ذَائِلِ^(٦)

(١) العرين : دوى الأسد ، وقصرت : حبست قال تعالى « حور مقصورات في الخيام » أى محبوسات في الخيام محذرات على أزواجهن في الحنا ، والسروب : جمع سرب بالكسر وهو القطيع من الطيأ والنساء والطيء ، والمقصود في كتب الله أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سروب ، والقياس لا يأنه كما في جل وحول وضرس وضروس ، والمعائل : جمع غفيلة وهي من النساء الكريمة المحذرة ، والمعنى أقسم بحياة القباب الحمر وسط عرين حماها والداين عنها من أوائك الأسود عند حاست فيها أسراب المعائل وموضع السروب إلينا والخروج لملاقانا .

(٢) الضحاء : ارتفاع النهار ووفته غف الضحى بل انصاف النهار ، والفسادل : جمع فسطل وهو العبار الساطع (٣) الاناة : المرأة التي فيها مور عن القيام وتأن ، قال الشاعر :

أما تزين البت إما تلتست وإن قدمت هلا فأحسن بها علا

أى تزين ألب لاسة حلها ومتفصلة بثوب واحد ، والسا : الصوء ، والدم : ما عليها من أثر الوسامة والحسن ، والشمال : الطاء .

(٤) وفي الأسفل « وتشرق في بردتين الحلال » وهذه الرواية يحتمل وزن الألب ، وقد أبدلناها بالنسخة « موشيتين » الموضوعية بين قوسين لأنها بمعنى بردتين منقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، إلى أن يظهر خلاف ما أثبتناه هنا .

(٥) ريع : فرج لأسر فاحش ، والوسنان : الباتر الطرف شبه بالمرأة الوسى من النوم ، والعشيات : جمع عشية وهي آخر النهار ، والمخادل : من حذات الظبية فهي حادل تخلفت عن صوابها واغرقت ، يقول ما أس لا أنس ليلة وافنا في الكتيب لومت حددناه موعدا لقاء مكانت كما ريع ظي فاتر لاحظ الفرد عن سائر سرب الطيأ ، وقد مر الشطر الأول من هذا البيت في قصيدته الفاتحة ص (٢٤) من هذا الكتاب إذ قال :

وليلة وافنا الكتيب لموعده سرى الأين لم يعلم لسراه مزحف

تهادى أناة الخطو مرتاعة الحشا كما ريع يغفور الغلا المتشرف

(٦) تهادى : أصله تهادى ، وهو مشى في تناقل وتمایل وسكون ، والأيم : والأين الحية ، ويعفو : يحو والامار : جمع أثر جمعه على فعل بالكسر جمعا قياسيا كما في جبل وحيال وجمل وجمال ، قال ابن مالك : « وفصل أيضا له فقال ما لم يكن في لاه اعتلال . »

قَعِيدِكَ ، أَنَّى زُرْتِ ضَوْءَكَ سَاطِعٌ وَطَيْبِكَ نَفَّاحٌ وَحَلِيكَ هَادِلٌ (١)
هَبِيكَ أَغْتَرَزْتَ الْحَى وَأَشِيكَ هَاجِعٌ وَفَرْعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْلُكَ لَائِلٌ (٢)
فَأَنَّى اعْتَسَفْتَ الْهُوْلَ خَطُوكِ مُدْمِجٌ وَرَدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَعِطْفُكَ مَائِلٌ
خَلِيلِي مَالِي كُلُّمَا رُمْتُ سَلْوَةٌ تَعَرَّضَ شَوْقٌ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ
أَرَاكِ إِذَا رَاحَ النَّسِيمُ شَامِيًا كَأَنَّ شَمُولًا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ (٣)
ضَلَالًا تَمَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا وَلَاحَ الْهُوَى فِي حَيْثُ تَخْشَى الْغَوَائِلُ (٤)

ولم يكثر فيما راحمه من كتب الالة على هذا الجمع ، والمطاف : بالكسر والمطاف كل ثوب كالرداء والطيلسان تعطفت أى تردب به ، وسمى عطافا لونه ، على عطى اللابس وهما ناعما عفه ، والردوم : ذو الوشى والانش أو المكسب عليه رتم الناحر ، والدننل ذو الدبل ، وهو أيضا من الدالان وهو مشى مقارب الخطو فيه دعب وعلة شبيهة بالمشى أو المتعل من حل ، أو هو دشى سريع حفيف في ميس وسرعة وبهسمى الدب. وألة ، والملى الأول هو المفصود هنا ، يقول وامنا الدوعدى تلك الالة تهادى ومشيتها كاسياب الحبة في الرمل نحو ما ركبه من آثار المشى ، دبل ثوبها المودى ، وهو مرب من دول امرى القيس : « حرجت بها أشفى نجر وراءنا على أثريا ديل مرط مرحل »

(١) معيدك : مصدر معسوب لثباته عن العمل والتقدير سألت الله حفظك ، وهادل : مرسل مسترخ إلى أسفل (٢ و ٣) مكرران مع قوله فيما تقدم في الغاية :

« هيك اغترزت الحى واشيك هاجع وفركك غريب وليك اغصف
فأنى اعتسفت الهول خطوك مدمج وردك رجراج وخصرك محطف »

ولكن بتغيير الغافية كما ترى ، واغترزت : بالغين المعجمة أذنت غرة وغفة فزرتنا ، وقد ضمنه معنى خدعت فعداه إلى المفعول بنفسه ، وتقديم تفسيره بالعين للهمة معنى حب الحى وضفت به سائلة على غير علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل غالبا في المعتر أى طالب المعروف . قال حاتم الغائى :
« أوقد فان الليل ليل قرّ والريح يا غلام ريح صرّ
لعلّ أن يعصرها المعتر إن حلب صيغاً فأنت حر »

(٣) أراج : كأحاف من الارتياح ، وراج : من الرواح ، والشمول : من أسماء الحر ، والشمال : جهة الشمال بالفتح وهى ريح تهب من قبل الشام عن يسار القبلة ، وفي الشمال والشمول يقول الشاعر :
« ألت سليمي والنسيم عليل تخيل لى أن الشمال شمول
كأن الحزامى صفقت منه قرقة فلكسر أعناق المطى تطول »

(٤) معنى مكرر بلفظه واسكن بتغيير الغافية مع قوله في الغاية المقدمة :
« لجاج تمادى الحب في المعشر العدا وأم الهوى الأفق الذى فيه شنف »

كَأَنَّ لَيْسَ فِي نَعْمَى الْهُمَامِ «مُحَمَّدٍ»
أَغْرَ إِذَا شَمْنَا سَحَابَ جُودِهِ
يُبَشِّرُنَا بِالْأَنْبَالِ الْغَمْرِ «جُودُهُ»
لَدَيْهِ رِيَاضٌ لِلْسَّجَايَا أُنِيقَةُ
أَتَى فَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ بُهْرَةُ
زَعِيمُ الدَّهَاءِ أَنْ تُصِيبَ مِنَ الْعَدَا
فَمَا سَيْفُ ذَلِكَ الْعَزَمِ فِيهِمْ عِمْقُودُ
بَنِي «جَهْوَرٍ» عَشْتُمُ بِأَوْفَرِ غِبْطَةٍ
تَفَاضَلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكُ، فَخَلَّتْهُمْ
مُسْلٍ وَفِي مَثْنَى أَيَادِيهِ شَاغِلُ^(١)
تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأُسْتَهْلَتْ أَنْبَالُ^(٢)
وَقَبْلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمَخَايِلُ^(٣)
تَعْلُفُ فِيهَا لِلْعَطَايَا جَدَاوِلُ
وَفِي فَا تِلْكَ الْجِبَالُ حَبَائِلُ^(٤)
مَكَائِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَافِلُ
وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَوْفُقُ نَاصِلُ^(٥)
فَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ فِي الْمَيْشِ طَائِلُ
أَنَايِبَ رُمُحٍ أَنْتُمْ فِيهِ عَامِلُ

(١) - مل : أى صارف عن الهوى لدى تحدث عنه فيما سبق من أبيات القصيدة ، ومثى الأبايدى : إعادة للمعروف مرتب ما كثر ، والانصاء : من حذور الميسر يشربها الجواد يعطعها الأبرام ، قال اللبابة :

« يسبك دو عرضهم عى وصلهم وليس حامل أسر مثل من علما
أنى أتعلم أبايدى وأكود الجفنة الأدماء »

واللت من أحسن أبيات التخلص من الدبيب إلى المدح .

(٢) تهلل : أشرق وطهرت عليه أمارات السرور ، واستهل : من استهلل المطر وهو انصبابه بشدة حتى يسمع له صوت ، شه أنامله فى الجود بالسحاب المنهل .

(٣) الحيا : المطر ، ما تستطير : مارائدة أو مصدرية ، وتستطير : تنقشر وتعم الأنقى ، والمخايل : جمع محبة وهى أن ترجو وتغن أن السماء حلقة للمطر ، وفى الأصل « يبشرونا بالأنبال العمر » وبعده رياض وقد أكرنا الشطر بلفظ « جوده » الموضوع بين هلالين أخذنا من السياق ، ومعنى الت يبشرونا بالبطاء الكثير حوده وقل استهلل المطر تنقشر محايله وعلاماته فى السماء .

(٤) الأنقى : الزائد الذى يتأتى للأمر ، وبهزة : يريد أنه لا يمل السباحة اشتهاراً وافتراضاً إذا سنحت له الفرصة بل يتأتى لها ويضى علمها فى كل وقت غير متحين لها العرس ، والحل : العهد والذلة والتواصل وعدم الفطاطع ، والحائيل : جمع حالة وهى للصيد وفى الحديث « النساء حبايل الشيطان » أى مصايده .

(٥) المعصد والمعضد : سيف تمتم على شكل الماحل يتخذ القضايون لقطع العننام ، والرعاة لقطع فروح السحر ليعلموا بما يسقط من ورقها غنمهم وإلهم ، وأفوق : مكسور فوق ناظم وهو حرف السهم وإذا كان فى إحدى رتقى السهم أى حرفيه انكسار ذلك السهم أفوق ، والاصل : الساطع النصل وهو حديدة السهم ، والمعنى : أنه ماضى العزيمة صائب الرأى ، وفى الأصل : « أفوف نازل » .

لَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ عَدِيدُكُمْ
فِدَاؤُكُمْ مَنْ إِنْ تَعَدَّهُ ظَنُّوهُ
مَنَاكِيدُ^(١) فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَسْكَلُفُ
فَإِنْ سُبِّرَتْ أَخْلَاقُهُمْ يَتَخَلَّقِ
لَكَ الْخَيْرُ ، إِنْ قَابِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ
لَعَمْرُ سَرَاةِ الشَّعْرِ وَافَاكَ وَفَدُهُمْ
لَا عَذْرَتَ لِمَا لَمْ يُمْلِكْ مُكْمُهُمْ
نَضَدَتْ رِيَاحِينَ الطَّلَاقَةِ غَضَّةً
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا سَدِيدُ نِزَاعُهُ
صَمَانٌ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤَثَّرُ عَنْهُمْ

فَإِنَّ دَرَارِيَّ النَّجْمِ قَلَّالٌ^(١)
لِحَافِكُمْ فِي الْمَجْدِ قَالِدُهُمْ مَاطِلُ
إِذَا الشَّرُّ طَبَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ
فَكُلُّ خَضِيبٍ لَا حِمَالَةَ نَاصِلُ^(٢)
فَمَنْ لِي بِاسْتِيفَاءِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟
لَمَّا ذَمَّ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّزْلُ نَازِلُ
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَقْبَلِ الْمُتَنَاقِلُ^(٣)
وَرَفَرَقَتْ مَاءَ الْبَرِّ وَهُوَ سَلَاسِلُ
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجِسْمِ رَاحِلُ
عَلَيْكَ ثَنَاهُ فِي الْمَحَافِلِ حَافِلُ^(٤)

(١) ألم كثير من الشعراء بهذا المعنى في صور مختلفة تختار منها قول السموأل في لاميته المشهورة :

« تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليل

وما قل من كاب بقاياها مثلاً شباب تسامى للعلا وكهول. »

وقول العباس بن مرداس :

« ناث الطير أكثرها فراحا وأم الصقر مفلاة نزور. »

(٢) جمع منكود من تكدر لرجل بالبناء المجهول هو منكود إذا كثرت أسئلته وقيل خيره .

(٣) خضيب : محضوب ، واصل : وصف من أهل الشعر ينصل بالضم زال عنه الحضاب ، وهو معنى كثير الورد في كلام الشعراء ، قال زهير .

« ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خلها غفي على الناس تعلم. »

وقال الآخر : « ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه يدعه ويقلبه على الفس خيما . »

وقال ذو الأصم العدواني .

« كل امرئ صائر يوما لشيئته وإن تخاف أخلافا إلى حين. »

(٤) لأعذرت : لقد بدا عذرك واتضح ، والمستقل : السقطى لمكثهم أكثر مما تستلزمه . ووجبات الضيافة ، والمتنائل : المتباطئ الذي أثقل على مضيقه فأله وأصجره ، يقول أثبت عذرا لنفسك واضحا حين لم تحمل ولم تسأم طول مكث سرادة الشعر الوافدين عليك في وقت يعرف فيه المتنائل عذر مضيقه إذا مل مكانه وعده ثقيلا .

(٥) صمان على هؤلاء الوافدين أنه سيؤثر ويروى عنهم ثناء عليك في المحافل حاول بأنواع الحماد والدائم .

مَسَاعٍ هِيَ الْمَقْدُ أَنْتَظَمَ مُحَاسِنِ
تُخَيِّرُ بِهَا الْأَمَالُ وَاللَّيْلُ وَاقِبُ^(١)
تَحَلَّى بِهَا جِيدُهُ مِنَ الدَّهْرِ حَاطِلُ
وَتَخَصَّبَ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ مَاحِلُ

هَنِيئًا لَكَ الْعَيْدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ
تَلَقَّاكَ بِالْبُشْرَى وَحَيَّاكَ بِالْمُنَى
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لِبَعْدِهِ
رَأَيْتَ أَدَاءَ الْفَرَضِ ضَرْبَةً لَازِمًا
سَدَدْتَ^(٢) بَيْتَ اللَّهِ حُبَّ جَوَارِهِ،
هَجَرْتَ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آفٍ
فَإِنْ تَتَنَاقَلَكَ الدِّيَارُ فَطَالَمَا
أَلَا كُلُّ - رَجَوَى فِي سِوَاكَ - غُلَالَةٌ
فَمَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعُ

لَا مُنْتَنِي الْخُطْبَ الَّذِي أَنَا خَافٍ
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ الْمَضْبِ لَمْ يَزَلْ
وَمَا الشُّعْرُ مِمَّا أَدْعِيهِ فَضِيلَةٌ
بَقِيَتْ كَمَا تَبْقَى مَعَالِيكَ إِنَّمَا
فَمَا نَسَبَ تَزِيدُ اللَّهُ بَعْدَ نِهَائَةٍ
وَبَلَّغْتَنِي الْحِظَّ الَّذِي أَنَا آمِلُ^(٣)
لَهُ شَاحِدٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَافِلُ
تَزِينُ، وَلَكِنْ أَنْطَقْتَنِي الْفَوَاضِلُ
خَوَالِدُ حِينَ الْعَيْشِ كَالظِّلِّ زَائِلُ
لِنَفْسِكَ غَيْرَ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلُ^(٤)

(١) في الأصل «رأيت» (٢) وفي الأصل «سددت» (٣) وقد ورد بعد هذا البيت قوله :

« أَلَمْ هُمُ فَمَا أَنَا لَا أَفْعَلُ وَلَا أَنْتَ غَافِلُ . »

وقد أثبتناه نافعا كما ورد بالأصل .

(٤) قريب من هذا المعنى قوله من قصيدة سابقة :

« لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ نَعْمَ مَعِي بِكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ »

إلى ابن جهور

« وقال أيضا مع تفاح أهدها إلى ابن جهور . »

أَتَتِكَ بِلَوْنِ الْمُحِبِّ الْحَجَلُ تُخَاطِبُ لَوْنَ الْمُحِبِّ الْوَجَلَ^(١)
 ثَمَارُهُ تَضَمَّنَ^(٢) إِذْرَاكَهَا هَوَاؤُهُ أَخَاطَ بِهَا مُعْتَدِلَ
 تَأْتِي^(٣) لِلإِطَافِ تَدْرِيجَهَا فَنَ حَرِّ شَمْسٍ إِلَى بَرْدِ ظِلِّ
 إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ الْعَلِيلِ وَأَنْسَ الْمَشُوقَ وَلَهُوَ الْغَزَلُ
 فَلَوْ تَجَمُّدُ الرَّاحِ لَمْ تَعُدْهَا وَإِنْ هِيَ ذَابَتْ فَخَمَرُهُ تَحِلُّ^(٤)
 لَهَا مَنَظَرٌ حَسَنٌ فِي النُّفُوسِ كَذُنْيَاكَ لَكِنَّهُ مُنْتَقِلُ^(٥)
 وَطَعْمٌ يَلِدُ لِمَنْ ذَاقَهُ كَلَذَةُ ذِكْرِكَ لَوْ لَمْ يَمِلْ^(٦)
 وَرَيًّا إِذَا نَفَحَتْ خِلَتُهَا يُثْمِلُ ثَنَاءُكَ أَوْ تَسْتَهْلُ^(٧)
 يُثْمِلُ مَلْعَسُهَا لِلْأَكْفِ لَيْنَ زَمَانِكَ أَوْ يُمَثِّلُ^(٨)

(١) معنى البيت: أنتك هذه التفاعلات بجمرة كحمرة خدود الملاح عند الحجل، تخاطبها صبرة كصبره حدود العاشقين عند الوحل . (٢) أى تكفل بانصاج هذه الثمار هواء معدل متوسط بين الحرارة والبرودة (٣) تأتى للامر ترفق له وأناه من وجهه ، والمعنى : تلطف ذلك الهواء فى تدرج نموها وصبغها بتلك الألوان الراهية فننقل معها من حر شمس الى برد طل حتى فضجت وأبنت . (٤) يقول لو أن ذوب الراح تحول إلى جد لم يعد أن يكون ذلك التفاح ، ولو أن جامد التفاح تحول إلى ذوب أحر لم يعد أن يكون خرا حلالا لا إثم على شاربها . (٥) يعنى : أن مطرها حسن ينظم ما فى دنياك من محاسن إلا أنه حسن منتقل حائل ، وحسن دنياك لا يحول ولا ينتقل .

(٦) ولها طعم حلو المذاق ليدى كلذة ذكراك فى الأسماع إلا أنه يمل وترديد ذكراك لا يمل . (٧) ولها ريا : أى ربح طيبة ، تمل : أى تملى مدحك ، أو تستهل : أى ترفع صوتها بالثناء عليك . (٨) يصور مجلس التفاح الناعم للأكف لئن زمانك حق كأنها تحسه ، أو يمثّل أى يضرب نفسه مثلا لئلا زمانك .

صَفَوْتُ فَأَذَلَّتْ^(١) فِي عَرْضِهَا وَمَنْ يَصِفُ مِنْهُ الْهُوَى فَلْيُدِلْ
قَبُولُكُمْهَا نِعْمَةٌ غَضَّةٌ وَفَضْلٌ - بِمَا قَبْلَهُ - مُتَّصِلٌ
وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي أُخْتَصِرَ تَ عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ الْمُحْتَغِلِ^(٢)

مجلس أبي علي

« لما ورد ابن زيدون إشيلية نزل في دار
ذى الوزارتين الكاتب أبي علي بن جبلة وهو
يبنى فيها مجلسا ، فصنع أياتا فكتبت فيه : »

عُمَرَ مَنْ يَعْمُرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمرُ يَنْبِجُ الْأَنْفُسَا
وَبَعْدَ ذَا عَوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيَابِجِهِ السُّنْدُسَا
وَوُفَى الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوُفَى الْأَسْوَاءِ وَالْأَبْوَسَا^(٣)
وَذَامَ عِبَادُ لِعَهْدِ الْهُدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفْنِيَ الْأَحْرُسَا^(٤)

* *

مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمٌّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا
الْمَلِكُ الْعَمْرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَمْدٍ عِلْقَهُ الْأَنْفَسَا^(٥)
إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيَّاهُ مُهَوَّهٌ مُقْتَدِرٌ أَخْرَسَا^(٦)
لَا زَالَ بَذْرًا طَالِعًا نَيْرًا يَكْشِفُ مِنْ آمَالِنَا الْحِنْدُسَا^(٧)

(١) الادلال التذلل والانبساط والجرأة على من تحب باظهار الدالة عليه ، أى وثقت بما بيننا من الصفاء والود فأفرطت في الدالة عليك بعرض هذا التفاح الذى يتهادى بمثله الأصفياء المحاصون ، ومن يصف في الهوى فليظهر الدلال على من يحبه .

(٢) المحتفل بالمبالغ في الاحماء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاحساء أهديت نفسى لاختصرت ، على أنها غاية ما أحتمل وأبالغ في تقديمه إليك هدية . (٣) الأسواء : جمع سوء والأبؤس جمع يؤس .

(٤) الأحرس : الدهور ، جمع حرس بفتح مسكون وهو الدهر .

(٥) الملك العظيم الاحسان الذى طفر من الثناء بما لم يظفر به غيره من آيات الحمد .

(٦) إذا رام السن البين أن يصف مجده أعياده الخرس لأنه يحاول بذلك أن يظفر بالمستحيل .

(٧) الطلام .

جواب

« كتب الوزير الفقيه صاحب الأحكام والأجاس

« أبو طالب بن مكي » يبتين وهما :

« يا بعيد الدار موصو

لا بقلبي ولساني

ربما باعدك الده

رفأدنتك الأمانى . »

فكتب إليه الأبيات التالية : »

لَا أَفْتِنَانِ كَافْتِنَانِي فِي حُلَى الظَّرْفِ الْحِسَانِ^(١)
خَصَّنِي بِالْأَدَبِ اللَّهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَانِي
خَاطِرِي أَنْفَدُ - مَهْمَا قِيسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

أَيُّهَا الْمُرْسِلُ أَطْيَا رَ الْمُعْتَى لِامْتِحَانِي
هَآكِ كَيَّ تَزْدَادَ فِي الْآدَابِ عِلْمًا يُمْكِنَانِي
قَدْ أَتَدْنَا الطَّيْرُ تَشْدُو بَعْضَ أُنْيَاتِ الْأَغَانِي
بِرِّطَانَاتٍ قَضَتْنَا مَا اقْتَضَتْنَا مِنْ بَيَانِ

إِنْ تَغَنَّى الْبُلْبُلُ أَهْتَا جَ غِنَاءَ الْوَرَشَانِ^(٢)

(١) قال في اللسان : الظرف البراعة ودعاء القلب بوصف به الفتان الأروال والفتيات الزولات ولا يوصف به الشيخ ولا السيد، وقد وصف الحسان بالظرف بمبالغة، ويموز أن يكون بالضم جمع ظريف، فانه يجمع على ظرف بضمين، والاسكان في قوله جئز، والمعنى : ليس يحيد أحد - كما أجيد - الا فتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي عليها الطرف واللباقة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيما يقولون - أخف من الحمام، والمعنى : أن غناء البلبل يحتاج غناء الورشان يشير بذلك إلى أن شعر صديقه الوزير احتاجه فحرك فيه بواوت الشعر كما احتاج غناء البلبل غناء الورشان .

فَتَأْدَى مِنْهُ يَتَنَا غَزَلٍ مُنْفَرِدَانِ
لِمُحِبِّ فِي حَيِّبٍ عَنْهُ نَاءٌ مِنْهُ ذَابُ :
« يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَأَذْنَتَكَ الْأَمَانِي »

كن كيف شئت

بَاغَزَالَ أَصَارَنِي مُوَاقًا فِي يَدِ الْمَحَنِ
إِنِّي - مُذْهَجَرَتَنِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ
لَيْتَ حَظِّي إِشَارَةً مِنْكَ، أَوْ لَحْظَةً عَنْ^(١)
شَافِعِي يَا مُمَذِّبِي فِي الْهَوَى - وَجْهِكَ الْحَسَنِ
كُنْتُ خِلَؤًا مِنَ الْهَوَى فَأَنَا الْيَوْمَ مُرْتَهَنٌ^(٢)
كَانَ سَرِّي مَكْتَبًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ^(٣)
لُبْسِي لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ^(٤)

(١) يقول : إني اتعب منك بالشيء المليل النافه وأكتفى بأن يكون حظي من حرك إشارة أو افئدة سريعة وقد دار الشعراء حول هذا المعنى ، وألّ أهد ما قيل فيه قول جميل ثنية :

« وإني لأرضى من بشية بالدي لو آصره لوأشى افرت بلابه
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمى ، وبالأمل المرحو قد خاب آله
وبالظرة العجل ، وبالحول تنقضى أواخره - لانتقى - وأوائله . »

(٢) الخلو : الخالي . يقول « كنت طابقاً حالياً من إيسار الهوى فصرت اليوم أسيراً مرتهناً . »

(٣) يقول : « كان سرى حايلاً لا يعلمه أحد فأصبح معلماً ، وما أجل قول سرود في شبيه هذا المعنى
« وقد كشف الغطاء فما نبأى أصرحاً بذكرك أم كنيئاً
سائل عن ثنمات مجزوى وبات الرمل يعلم من عنيا
ولو أنا تنادى « ياسليمي » اقلوا : ما عنيت سوى ليبي »

(٤) يقول : « لافكاك لى من إيسار حبك فاصنع بى ما أنت صانع . »

حنين

هل رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِيَنِي إِذْ لَا كِتَابَ يُؤَافِيَنِي فَيُحْيِيَنِي ^(١)
 قَدْ مِتُّ إِلَّا ذِمَاءٌ فِي يَمْسِكُهُ أَنَّ الْفُؤَادَ يُلْقِيَاهُمْ يُرَجِّيَنِي ^(٢)
 مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ إِلَّا أَعْتِيَا دَائِمِي فِي الْقَلْبِ مَسْجُونِ ^(٣)
 صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي ، بِالْقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِيَنِي فَيَشْفِيَنِي
 كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَانُونٍ ^(٤) فَارَقَنِي قَلْبِي وَهَاتَخُنِي فِي أَعْقَابِ تَشْرِينِ ^(٥)
 شَخْصٌ يُدَكِّرُنِي قَاهُ وَغُرَّتَهُ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَنْفَاسُ الرِّيَاحِينَ
 لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرُّضَابِ لَكُمْ قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسْقِيَنِي فَيُرْوِيَنِي
 وَإِنْ أَفَاضَ دُمُوعِي نَوْحٌ بِأَكِيَةٍ فَكَمْ أَرَاهُ يُغْنِيَنِي فَيُشْجِيَنِي ^(٦)
 وَإِنْ بَعُدْتُ وَأَصْنَبْتَنِي الْهُمُومُ لَقَدْ عَهْدُهُ وَهُوَ يُدْنِيَنِي فَيُسْلِيَنِي
 أَوْ حَلَّ عَقْدَ عَزَائِي نَأْيُهُ فَلَكُمْ حَلَلْتُ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينَ ^(٧)

(١) هل يوافيني رسول من قل من أحبه ويحمل إلى تحيتهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تعيد إلى الحياة.

(٢) لقد كدت أحسب في عداد المهلكي لولا بقية قليلة من الروح يبعثها في الرجاء والامل في ألقائهم .
قال ابن الرومي في رثاء ابنه :

« ولقد تمزى القلب سلوته أنى بأن ألقاك مرتين . »

(٣) لم يفض دمي إلا ذكريات مؤلمة مسجونة في قلبي تمتدني حيناً بعد حين وتطيف بهمس فتطلق الدمع وترحه . (٤) شهر من شهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو العلاء :

مضى كانون ما استعملت فيه حجم الماء ، فأقدم يا سباط
تشابه أنفاس الحشرات نفسي يكون لمن بالصيف ارتباط

(٥) شهر من شهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وهما تشرينان أحدهما في ١٤ أكتوبر والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تشرين الثاني . (٦) في الأصل : ويروى .

(٧) عهد عزائي : العهد ضد الحل ، والمزاء : الصبر ، والناي : البعد وعقد الثمانين : أحد عقد الأصابع التي يفهم بها عدد الثمانين والاشارة إلى عهد الثمانين تكون ببسط الابهام والسماكة مما تلاصقتين بلا مرجحة ظاهرة بينهما ، والمعنى : لئن حل نأى الحبيب وبعده عقد عزائي وسلاواني عنه ، فكثيراً ما حلت عن خصره نطاقاً يشبه في الضيق عهد الثمانين ، وهذا الحصر الذي وصفه ابن زيدون يدق في الوم ، ويلطف في الحيال والحس إلى حسد أنا لامتزله على شبيهه ومثيل حتى ولا في خصور الناحلات الرشيقات



يَا حُسَيْنَ إِشْرَاقِ سَاعَاتِ الدُّنُو بَدَتْ كَوَاكِبُهَا فِي لَيَالِي بُعْدِهِ الْجُؤُنِ (١)

من بنات أوروبا وباريس في العصر الحاضر عصر الفن في الرشافة ، ودفة الحضور ، والامراط في تصييق عقد النطاق .

عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثمانين » الواردة في بيت « ابن زيدون » هدا لابين فيها وجه التعقيد والمعاطة التي اعتمد لايها ابن زيدون أحيانا ، إلا بعد بيان ما تدلّ عليه عند الأصابع من الأعداد العربية للحساب ، وهو اصطلاح بديم استعمله العرب ، وءء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد ثلاثة وخمسين في التشهد ، أي بقسم الخضر والبصر والوسطى على هيئة خاصة تدلّ على العدد المذكور ، فنحن نستطرد بملخص ماهو مبسوط في بعض كتب الآلة والنحو متعلقاً بهذا الموضوع فقول :

حصلوا للدلالة على الآحاد من أصابع اليد اليمنى الخضر والبصر والوسطى ، وللمشرات إلى التسعين الوسطى والسبابة .

فالعدد الدالّ على الواحد يكون بالصاق الخضر بإطن الكف مع بسط سائر الأصابع ، وعلى الاثنين بالصاق البصر معها كذلك ، وعلى الثلاثة بضم الوسطى اليهما كذلك ، وعلى الأربعة بالصاق البصر والوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الخمسة بالصاق الوسطى وحدها كذلك ، وعلى الستة بالصاق البصر وحدها كذلك ، وعلى السبعة بالصاق الخضر وحدها ممدودة إلى أسفل الكف على شكل يحال شبك الواحد .

وعلى العشرة بوضع ظفر السبابة في وسط باطن أكلة الإبهام بحيث يعبر شكل حلقة ، ولكن مع بثوز رأس الإبهام بقدر نصف الأكلة ، وعلى العشرين يحمل المفضل الأول من السبابة على ظفر الإبهام بحيث تكون السبابة على شكل الدال ، وعلى الثلاثين بضم رأس باطن السبابة إلى باطن رأس الإبهام على هيئة لاقط الابرّة ، وعلى الأربعين بوضع باطن أكلة الإبهام على ظاهر أصل السبابة مما يلي الكف ، وعلى الخمسين بوضع الطرف الأيمن للإبهام على عجز العقدة السفلى للسبابة بحيث تكون قائمة ، والجانب الأعلى للإبهام معنياً عليها ، وعلى الستين بوضع باطن أعلى أكلة الإبهام على باطن أعلى أكلة السبابة ، بحيث تكون السبابة على شكل قوس وتره الإبهام ، وعلى السبعين بوضع حرف ظفر الإبهام على العقدة الوسطى لاطل السبابة على هيئة رامي الحصاة بالحدف « وهو رمى صار الحصا بعد أحدها بين طرفي السبابة والإبهام » ، وعلى الثمانين بسطهما معاً لاصفحتين بلافرجة بينهما كما أسلفناه في شرح البيت الذي نحن بصده ، وعلى التسعين بطن السبابة إلى أصلها ووضع الإبهام على ظهر العقدة الوسطى للسبابة كما تتجوى الحية .

وجعلوا للدلالة على الثلاث من أصابع اليد اليسرى السبابة والإبهام طبق ما في اليد اليمنى .

فالمائة في اليسرى كالعشرة في اليمنى ، والمئتان كالعشرين ، وهكذا إلى التسعمائة ، والألف في اليسرى كلواحد في اليمنى ، والألفان كالآتين ، وهكذا إلى تسعة آلاف ، والعشرة آلاف بضم أعلى السبابة والإبهام بطأ لبطن ، وتستعمل عند أصابع اليدين معاً للدلالة على الأعداد المركبة من الآحاد والمشرات والثلاث والآلاف بنفس الهيئات المتقدمة .

(١) أي أن ليالي الوصال تبدو مصيحات لامعات في ليالي البعاد السود .

وَاللّٰهُ مَا فَارَقُونِيْ بِاخْتِيَارِهِمْ - وَإِنَّمَا الْدَّهْرُ بِالْمَكْرُوهِ يَرْمِينِيْ
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ - إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكُفْرِ مِنْ دِينِيْ^(١)
أَفْدَى الْحَيِّبِ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا - لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ يَفْدِينِيْ
يَا رَبِّ قَرِّبْ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَاقَيْنَا - بِالطَّالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَ .

في الغزل

أَيُّوحُسْنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسَى - وَيُظْلِمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ تَسْمِي
وَأُغْرِسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي - فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِ غَرْبِي^(٢)
لَقَدْ جَازَيْتَ غَدْرًا عَنِّي وَفَائِي - وَبِعْتَ مَوَدَّتِي ظُلُمًا يَبْخَسُ
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي - فَدَيْتُكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي^(٣)

في بعض مجالس الأُنس

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَدِيلُ بِكُلِّ أَسْنِنَا جَلَالَكَ
انْظُرْ إِلَى مُحْتَلَّتِنَا^(٤) قَدْ زَانَ سَاحَتَهُ أُحْتِلَالَكَ
نَهْرٌ وَرَوْضٌ نَحْنُ بَيْنَهُمَا تُفِيدُنَا ظِلَالُكَ^(٥)
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَا لَكَ وَنَعَمْتَ هَذَا خِلَالَكَ .

(١) إن إيماني بجهنم كإيماني بديى سواء بسواء وليس في مقدور أحد أن يبدلني بمن أحب إلا إذا استطاع أن ينقلني من ديبى إلى الكفر .

(٢) يقول : « هل من العدل أن أكثر من الآمال والأمانى فلا أجنى من ذلك كله إلا الاحفاق :

(٣) ليت الزمان يقبل حكمي ، ادن لعديتك بنفسى ، وإن كنت لا تجاربنى بحبي إلا بالعدر .

(٤) المكان الذى حللنا فيه .

(٥) وفي الأصل : « توفنا ظلالك . » والظلال : ما أظلك من سحب ونحوه ، وظلال البحر : أمواجه ، والمقصود هنا النعيم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة جعلوه كناية عن الراحة .

شكوى وألم !

« قال في مدح ابن جهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْغَمَامُ عَلَى مِثْلِي وَيَطْلُبَ نَارِي الْبَرْقُ مُنْصَلِتَ النَّصْلِ^(١)
وَهَلَّا أَقَامَتِ أَجْمُمُ اللَّيْلِ مَا تَمَّا لَتَنْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ تَشْلِي^(٢)
وَلَوْ أَنْصَفْتَنِي - وَهِيَ أَشْكَالُ هِمَّتِي - لَأَلْقَتَ بِأَيْدِي الذَّلَّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي
وَلَا فَرَّقَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وَغَاضَهَا^(٣) بِمَطْلَعَهَا مَا فَرَّقَ الدَّهْرُ مِنْ شَمْلِي

* * *

لَعَمْرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ نَزْعُهَا لَقَدْ قَرَّطَسَتْ بِالنَّبْلِ فِي مَوْضِعِ النَّبْلِ^(٤)
تَحَلَّتْ بِأَدَانِي وَإِنَّ مَا رَبِّي لَسَانِحَةٌ فِي عَرْضِ أُمْنِيَّةٍ عَطْلِي
أَخْصَ لِفَهْمِي بِالْقَلَى وَكَأَنَّمَا يَبِيتُ لِدَى الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى ذَحْلِي^(٥)
وَأَجْنَى عَلَى نَظْمِي لِكُلِّ قِلَادَةٍ مُفَصَّلَةِ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِ
وَلَوْ أَنَّي أُسْطِيعُ كَيْ أَرْضَى الْعِدَا شَرِبْتُ بِبَعْضِ الْحَلْمِ حَظًّا مِنَ الْجَهْلِ^(٦)

(١) الذي في الأصل المتول « ألم يأ أن يبكي الحمام على قتلي » والذي أئتمناه ها هو ما قلناه من الدخيرة لابن إسام وهو أئب مما ذكر في الأصل لأنه يريد من الطبيعة أن تنكي لبكائه ، وتأمر من أعدائه .

(٢) تشي : أي ما انتزله واستخرحته في حياتي من جاه ومنصب ومال .

(٣) غاضها : قبضها أي أخفاها .

(٤) نزعها : حذبها وتر القوس مصوغة نحوى سهام المصائب ، وقرطس : أي أصاب انقرطاس ، وهو فرض من أديم يتخذ للنضال وتسييد الرماية .

(٥) القلى - بالكسر - البعس ، والدحل الثأر ، يريد أن غيره من أهل الجهل نالوا الخطوة والقربي ، وهو لهم ، خص بالنزى والبعد وكأنه قد جى على الزمان فبات يطالبه بتأمره .

(٦) الحلم : العقل ، والحظ : النصيب . يقول : لو أستطيع إرضاء العدا وشفاه ما في نفوسهم من الحقد لاستبدل بشيء يسير من الجهل ، حظا عظيما من العقل .

* *

أَمَقْتُولَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامَا
أَلَمْ تَرْكِ الْأَيَّامَ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي ^(١)
أَقْلَى بُكَاءٍ لَسْتُ أَوَّلَ حُرَّةٍ
طَوَتْ بِالْأَسَى كَشْحًا عَلَى مَضَضِ الشُّكْلِ ^(٢)
وَفِي « أُمِّ مُوسَى » عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ
إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأُسْلِي ^(٣)
لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجْمِلَ الصَّنْعِ - قَادِرَا
أَهْ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْمِلُ صُنْعًا لِي ^(٤)
وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا
بِهِ - عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ - مِنْ حَكَمٍ عَدْلٍ ^(٥)

* *

هُمَامٌ عَرِيقٌ فِي الْكَرَامِ ، وَلَمَّا
تَرَى الْفَرْعَ إِلَّا مُسْتَمَدًّا مِنَ الْأَصْلِ
نَهْوُضُ بِأَعْبَاءِ الْمُرُوءَةِ وَالْثَقَى
سَحُوبٌ لِأَذْيَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ
إِذَا أَشْكَلَ الْخَطْبُ الْمِلْمَ فَإِنَّهُ
وَأَرَاءُهُ كَالْخَطِّ يُوضَحُ بِالشُّكْلِ

* *

وَذُو تَدْرٍ لِلْعَزْمِ - تَحْتَ أَنْاتِهِ - كُمُونُ الرَّدَى فِي قَفَرَةِ الْأَعْيُنِ النُّجْلِ ^(٦)

(١) أم دولة الأفعان ، الهزلة فيه للنداء أى يامن فى أحضانها دور وتكسر ، ولواله : الشديدة الحزن على
مد ولدها شهيدا فى شدة حزنها على عمه الهاوى فى غيابة السجين للمرأة الثكلى التى لا تنتر أحضانها العاترة
الفرحة عن الكاء ، لفقد الحبيب .

(٢) الكشج : الخاصرة ، وطوى كشحه على كذا استمر عليه ، والمضض : ألم المصيبة ، والشكل -
بالضم - فقدان الولد والحبيب : أى لا تكي أسرار فليست أول حرّة لارمها وجم مصيبه التكل .

(٣) يشير بهذا إلى قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألنيه فى اليم ولا
تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك » أى اعبرى بهذه القصة واصبرى .

(٤) امل الملك للمناد صنع الجليل - قادرا أصنعه قدره - سوف يصل على خلاصى بعد بأس .

(٥) بلى هذا الب يب وحد فى الأصل ناصبا هكذا :

..... آل جهور لمستحكم الأسباب مستحصد الجبل

(٦) ذو تدرى - بالضم - أى - وعدة وقوة على مدافعة أعدائه إذا وجه عزيمته لفعل أمر كمن الردى
تحب تأنيه كونه تحب دور الأعين الجبل أى الواسعة جمع نجلاء ، واستعمل القمرة بمعنى انكسار جفون
العين وضعها ليعقد بنها وبين الأناة مناسبة وموافقة .

- يَرِفَ عَلَى - التَّأْمِيلِ - لَأَلَاءِ بَشْرِهِ كَمَارَفَ لَأَلَاءِ الْحُسَامِ عَلَى الصَّقْلِ (١)
 مَحَاسِنُ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَذْرِ عِلَّةٌ سِوَى أَنَّهُ بَاتَتْ مُمْلٌ فَيَسْتَمْلِي (٢)
 تُغِصُّ ثَنَائِي مِثْلًا غَصَّ جَاهِدًا سِوَارُ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمَعْصَمِ الْخَذَلِ (٣)
 وَتَغْنَى عَنِ الْمَذْحِ - اكِتِفَاءً بِمَرْوَهَا - غِنَى الْمُقْلَةِ الْكَخْلَاءِ عَنْ زِينَةِ الْكَخْلِ

* *

- « أبا الحزم » إني - في عتابك - مائيلٌ عَلَى جَانِبٍ - تَأْوِي إِلَيْهِ الْعُلَا - سَهْلٍ
 حَمَامٌ شَكْوَى صَبَحَتْكَ هَوَادِلًا تُنَادِيكَ مِنْ أَفْنَانِ آدَانِ الْهُدْلِ (٤)
 جَوَادُ إِذَا أُسْتَنَّ الْجِيَادُ إِلَى مَدَى تَمَطَّرَ فَاسْتَوَى عَلَى أَمَدٍ الْخَصْلِ (٥)
 نَوَى صَافِنًا فِي مَرَبَطِ الْهُونِ يَشْتَكِي بِنَصْهَالِهِ مَانَالَهُ مِنْ أَدَى الشَّكْلِ (٦)

(١) يرف - بالكسر - يبرق ويتلألأ ، أى يلوح لألاء بشره مع التأميل كما يبدو بريق السيف ولعانه حين تصقله وتجلوه .

(٢) تمل مصارع أمل : يقال أملاه القول وأمله ألقاه عليه ليكتبه ، ومنه قوله تعالى : « وقلوا أساطير الأولين اكتبنها فهي تملى عليه » وقوله تعالى : « فليملأ وليه بالعدل » واستتميتها الكتاب طلب أن يملأه على ، أى هذه محاسن المدوح الشاب بالدر لا عيب فيها سوى أنها باتت تملى على الشاعر وهو يكتب ، ويستكتبها فتمليه .

(٣) تغم ثنائي : أى تجمله بعمى كما يعمى الشارب بالماء فلا يمكنه أن يستوى هذه المحاسن كلها أو يسمعها ، وكما يعمى سوارا لفتاة الراد أى التى تروى يذوت حاراتها بالمعصم الخذل - بالدال المهملة - أى المذنب فلا يتحرك (٤) الهوادل : جمع هادلة ، والهديل : صوت الحمام ، والهدل : جمع أهمله ، وهو صفة الأفنان ، يقال : تهدأ أغصان الشجرة أى تدأ - يندل شكوى رفعها إليه بالحمام الهوادل تناديه بهديله من أعلى - سجرة الأدب وند تدأ أفنانها ، وتهدأ أغصانها .

(٥) استب الحداد : مصت على وجهها فى الساق ، والمدى : الغاية تمطر : جاء إلى العتبة مسرعا ، فاستولى على الحصل : غلب على الرهان - يصب الشاعر نفسه بالسقى على غيره .

(٦) نوى : أقام ، والصائس : من الجياد الذى قام على ثلاثة قوائم وقلب حائر الراحة ، والشكل - بفتح فسكون - شد قوائم الدابة بالشكال - يصف حاله فى محبسه وما يبته من الشكوى بحال الهواد اللقيم على افون يشكو بنصهاله ، أى شكاله ، قال ابن بسام فى الذخيرة : « وقوله نوى صامدا » كقول المتنبي :

« وإن تكن محكمات الشكل تسمى ظهور جرى على فيهن نهمال . »



أَفِي الْعَذْلِ أَنْ وَافَقْتُ تَتْرَى رَسَائِلِي فَلَمْ تَتْرُكْنِ وَضْعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَذْلٍ
أُعِدُّكَ لِلْجَلِّيِّ وَأَمْلُ أَنْ أُرَى بِنِعْمِكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْغُفْلِ
وَمَا ذَاكَ وَعَذُّ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى كَأَنِّي بِهِ قَدْ شَمْتُ بَارِقَةَ الْمَحْلِ (١)



أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مِنْ عَمَّا تُعَذِّرُ فِي نَفْسِي وَتُعَذِّرُ فِي خَدْلِي
وَأَصْدَى إِلَى إِسْعَافِكَ السَّائِعِ الْجَنَى وَأَضْحَى إِلَى إِنْصَافِكَ السَّابِغِ الظِّلِّ (٢)
وَلَوْ أَنِّي وَاقَعْتُ عَمْدًا خَطِيئَةً لَمَا كَانَ بِذُعَامِنِ سَجَايَاكَ أَنْ تُثْمِلِي (٣)
فَلَمْ أَسْتَشِرْ حَرْبَ « الْفَجَّارِ » وَلَمْ أُطِيعْ « سُيْلِمَةَ » إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الأبيات يقول ابن الرومي معاني :

« إذا أب أرمع الصنعة مرة فلا تفتخر ماء الصنعة بالمطل
ولا تحفظ الحسنى بسوء فاه يحشما أن غلط الشكر بالعدن
أترضى بأن تكى سهل وأن ترى وما مطلب الحادث عندك بالسهل
أنف لعشاق المكارم أن ترى مواعيدهم مثل الوارق في المحل . »

(٢) أصدى : مضارع صدى - بالكسر - أى أعطى ، وأضحى مضارع كل من ضحا وضحي - بالفتح
والكسر - أى أبرز للشمس ، ومسه قوله تعالى : « وأنت لا تعلم فيها ولا تحصى » واستعمله هنا
في البروز إلى إصفاة السابغ الظل ، لا في البروز إلى الشمس ، وبعد هذا البيت وجد في الأصل بعين بيت
على هذه الصورة :

وحاشاك رام العذب إبلاء سمعه

(٣) واقعت دانيت ، وتعلى تمهل ولا تنجل العقوبة ، أى لو أنى دانيت متمدا لومع في الخطيئة لم يكن
من سجاياك غير العمو والامهال .

(٤) يقول : إن هفوتى صغيرة لا ينبغي أن تجسم إلى حد أن أكون كثير حرب الفجار أو كقطع مسيلة
في دعواه الرسالة ، والفجار : بالكسر بمعنى المعاجرة كالتال والمقاتلة ، وسبب حرب الفجار لأن العرب
جفروا فيها إذ ذلتوا في الأشهر الحرم ، وكان للعرب قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم أربع فجارات
آخرها حرب الفجار التي ذكرت في كتب السير ، وكان بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان
وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين أيامها وسنه عشرون سنة ولم يقاتن ولكنه كان يبذل على
أمناءه أى يرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم ، وأما « سويلمة » فكان من جبهه أن وفد مع قومه

وَمِثْلِي قَدْ تَهَفُّو بِهِ نَشْوَةَ الصَّبَا
وَمِثْلَكَ قَدْ يَهْفُو، وَمَا لَكَ مِنْ مِثْلٍ
وَإِنِّي لَتَنْهَانِي نُهَائِي عَنِ الْآسِي

أَأَنْكُثُ فِيكَ الْمَدْحَ - مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ -
وَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِصَةِ الْغَزْلِ !^(٢)
ذَمَّمْتُ إِذَا عَهْدَ الْحَيَاةِ وَلَا يَزَلُ
مُحَرًّا عَلَى الْأَيَّامِ طَعْمُهُمَا الْمَحْلِي^(٣)
وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدِي إِلَى السُّودَدِ الْخَمَا
وَلَا بِالنَّسِيءِ الْقَوْلِ فِي الْحَسَنِ الْفِعْلِ
وَمَا لِي لَا أَثْنِي بِآلَاءِ مُنْعَمٍ
إِذَا الرُّوضُ أَثْنَى بِالنَّسِيمِ عَلَى الطَّلِّ
هِيَ النَّعْلُ زَلَّتْ بِي، فَهَلْ أَنْتَ مُكَذِّبٌ^(٤)
لِقِيلِ الْأَعَادِي إِنَّهَا زَلَّةُ الْحُسْلِ^(٥)
وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَشْفَعَ الطُّوْلُ شَافِعًا
فَتَنْجَحَ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَوْ تُتْلَى^(٥)

« بي حبيبة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رجع ومن معه من قومه إلى « المدينة » ندمي السيرة ، وأنه أشرك مع محمد بالأمر ، واجتمع عليه « بنو حنيفة » وكانوا أربعين ألف مقاتل ، وفي عهد الخليفة « أبي بكر » رضى الله عنه أرسل إلى إليه « خالد بن الوليد » على رأس جيش ، وحرث حرب بين ألفي قبيل انتهت بقتل « مسيلة » وتفرق أصحابه .

(١) نهى أى عني فليس تتعمله ممردا ، قال في اللسان : « والدهى العقل يكون واحدا وجمعا ، وفي التذييل العربي : إن في ذلك لآيات لأولى النهى » اه ، وكان عليه حيث اعتبره فردا وأما إلى نفسه أن نرد الفعل من علامة التأنيث إلا أن يكون قد أراد جمع نهييه ، وأن عقله لقوته بثنائه بهى متعددة ، عن التى : أنى حمة التى ، أشاد بها : أساءها وتندبها ، ويعقلى يحبسى وينعسى .

(٢) ناقصة الغزل ، في الكشف عند قوله تعالى : « ولا تكونوا كاتى مص غزلها من بعد قوّة أنكأ » قيل هي ربطة بنت سعد بن تميم ولدت خرقاء اتحدت مغزلا بدر دراع ، وصارة مثل أصع ، وقد كنة عذبية على قدرها ، فكانت تغزل هي وحوارها من الدعاة إلى الطهر ، ثم تأمرهن فينقسن ماغزلن .

(٣) ممرّا من أمر الطعام صيره مرا ، والمحلى اسم مفعول من حليت العيش أحلاه أى استعليت .

(٤) الخسة والنباهة ، والحلل - السكر - ولد الضب ، وبكى الصب : « أبا الحسل » .

(٥) تشفع : من قولهم شفع الوتر من العدد شععا صيره روجا ، والطول : القدرة الفصل ، وتبلى : تبلى : مضارع أتله بإياه أتبعه ، والهى هل لك أن تضم إلى طولك وإحسانك شاعما ملك يندفع لى إلى الخلاص من السحر فتسعى مادراك حاجق في حال كوكب ميمون البقية أو تبلى أى تنق الاحسان والشفاعة بأمثالها : هذا مبلغ مايعهم من البيت ، وقد وجد في الأصل « تبلى » بالبا ، الموحدة ، وقد فهموا من السياق أنها تبلى لا تبلى ليناسب قوله « تشفع » أى تضم .

أَجْرُ أَعْدَامٍ أَحْسَنُ أَبْدَاعِدَا كَفِ حُطِّ تَحَفِّ ابْسُطِ اسْتَأْفِ صُنْ أَحْمِ اصْطَنِعْ أَعْلِ^(١)
مُتًى - لَوْ تَسَتَّى عَقْدُهَا بِيَدِ الرِّضَا - تَبَسَّرَ مِنْهَا كُلُّ مُسْتَضْعَبِ الْحَلِّ^(٢)

أَلَا إِنَّ ظَنِّي - بَيْنَ فِعْلَيْكَ - وَاقِفٌ^{✱✱} وَقُوفَ الْهُوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ
فَإِنْ تُنَمِّنْ لِي مِنْكَ الْأَمَانِي فَشِيمَةٌ[✱] لِذَلِكَ الْفَعَالِ الْقَصْدِ وَالْخَلْقِ الرَّسْلِ^(٣)
وَالْأَجْنِبَتِ الْإِنْسِ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوْلِ السَّرَى بَيْنَ الْمُطِيعَةِ وَالرَّحْلِ^(٤)

سَمِعَنِي مِمَّا ضَيَعْتَ مِنِّي حَافِظٌ^{✱✱} وَيُلْقِي لِمَا أَرْخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي
وَأَيْنَ جَوَابُ عَنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعُلَا^(٥) إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدَ أَلْسِنَةِ الْحَفْلِ^(٥)

(١) في هذا البيت كما يرى الفارسي محاكاة لقول المتنبي ، وقد سئل يوماً يتضمن أكثر ما يمكن من الحروف ، فقال :

« عش ، اق ، اسم ، سد ، حد ، قد ، مر ، انه ، اسر ، هه ، تسل

غظ ، ارم ، صب ، احم ، اغر ، اسب ، رع ، زع ، دل ، اثن ، بل
وهكذا دماء لو سسك كميته لأنني سألت الله فيك ، وقد دعسسل . »
وحبر من هذه المعاطلة قول ابن الرومي :

« ألبى ، ورمي ، وأحزل مثوبي وثابر على إردار برى وواظ
لأبائن جدواك - وهي سليمة من الدم - ما فيها اعتلال لماث . »

(٢) لو تسي : أي تسهل وترسل أحكام أمر تلك التي بيد المدوح لتسهل منها ما استصعب حله .

(٣) تمن : تقدر من مناه الله يمنه قهره ومنه قول الشاعر :

« لا تأمن الدهر في حل وفي حرم إن الدنيا توافي كل إساءات

واسلك طريقك فيها - غير محتشم - حتى تلاقى ما يمي لك الداني »

أي يقدر لك القادر ، والفعال - بالفتح اسم جامع لكل فعل حسن ، والقصود التوسط بين طرق الأضراط والعربط ، والرسول - بالكسر - الرفق والتؤدة يقال أفل كذا على رسلك أي على هيئتك وليس مراد هنا بل المراد الرسل - بالفتح - أي السهل يقال سبر رسل أي سهل .

(٤) وإن لم يقدر الله حصول تلك الأمانات على يديك ولم تحر على عادتك وخلفك في إساءاتي فخالق سراحي لأضرب في العيان وأحى من وحشة البوى وهول السرى أنسا .

(٥) وأين جواب عما أي بماذا يكون جوابي عما إذا سئلت عما أسديت من معروف أو قدمت من معونة . قال ابن بسام في باب الموارنة والقد : « وأين جواب فيك ترضى به العلاء » أحذوف من قول الآخر :

« فاختر لنفسك ما أقول فاني لا بدت أخبرهم وإن لم أسأل . »

جواب

« كتب اليه الوزير الكاتب أبو بكر بن القصيرة
في يوم أحذف فيه دواء :

مولاي فسي إلى مطالعة الـ
حسنى بعقبى الدواء مطالعه
وكيف ذاك الحس الدكى وقد
ماشر تلك المداقة الشعه
وددب لو أنى حصصت بما اسـ
تشت منه وخزن منتفعه
أعتك الله من فظاعته
أسوع صنع في مثله صنعـه
لصحة تصحب الزمان فتـه
لميه وتبنى جديدة نصعه
فأت روح العلاء ساء الـ
له وسمل الوفاء لا صدعه
خاويه ابن ريدين : «

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الذِّى صَنَعَهُ عَارِضُ كَرْبٍ بِلُطْفِهِ رَفَعَهُ
تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ عَادَةَ حُسْنَاهُ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُ مُنْتَزَعَةٍ
* * *

يَا سَيِّدِي الْمُسْتَجِدَّ (١) مِنْ مِقْتِي (٢)
وَأَقَانِي الْعِقْدَ - زَيْنَ نَاظِلُهُ -
بَثَّتْ فِيهِ الْبَدِيعُ مُنْتَقِيًا كَالرَّوْضِ إِذْ بَثَّ فِي الرَّبَا - قِطْعَةً
بِحُطَّةٍ فَاتَتْ الْحِسَابَ سَعَةً
وَالْوَشْيَ لَأَرَاعَ حَادِثُ صَنَعِهِ (٣)

أَزَاحَ كَرْبَ الدَّوَاءِ مَطْلَعُهُ لَمَّا بَدَا طَالِعُ السُّرُورِ مَعَهُ ^(١)
 كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَاهُ - صَالِحَةٍ ، مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً ^(٢)
 جُمْلَةً مَا نَفْسُكَ السَّرِيَّةُ مِنْ حَا لِي إِلَى عِلْمٍ كُنْهٍ طُلَعَهُ
 أَنْ الدَّوَاءَ التَّدْتَ عَوَاقِبُهُ مَنَى نَفْسٌ تَبَشَّعَتْ جُرْعَةً ^(٣)
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ - إِنْ بَدَأَ الطَّوْلُ مِنْعِمًا شَفَعَهُ

حبيب

وَرَامِشَةٍ ^(٤) يَشْفِي الْعَلِيلَ نَسِيمُهَا مُضْمَخَةٌ ^(٥) الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةُ الْفَشْرِ ^(٦)
 أَشَارَ بِهَا نَحْوِي بَنَانٌ مُنْعَمٌ لِأَعْيَدَ مَكْحُولِ الْمَذَامِعِ بِالسَّخْرِ ^(٧)
 سَرَتْ نَضْرَةً - مِنْ عَهْدِهَا - فِي غُصُونِهَا وَعُلْتُ عِمْسِكَ مِنْ شَمَائِلِهِ الزُّهْرِ
 إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَاسِمِينَ بِكَمْفِهِ أَخَذْتُ النُّجُومَ الزُّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَذْرِ
 لَهُ خُلِقَ عَذْبٌ وَخُلِقَ مُحَسَّنٌ ^(٨) وَظَرَفَ كَعَرَفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ ^(٩)
 يُعَمِّلُ نَفْسِي مِنْ حَدِيثٍ تَلَذُّهُ كَمَثَلِ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عُقْبِ الْهَجْرِ ^(١٠)

- (١) لما بدا شعرك الجليل ومعه طالع السرور أنساني سرارة الدواء .
 (٢) كم دعوة حواها سحرك ادعوا الله أن تكون مستجابة .
 (٣) كانت طاقية الدواء حميدة وإن حزعت نفسي من شره .
 (٤) في الثاموس الرمش : الطاقة من الرياح ونحوه . وفي شفاء الليل ، رامشه : قال الصولي في ورقة آس لها رأسان . قال أبو نواس :

« لها روامش ينتحين لنا نظل آذاننا مطاياها . »

- (٥) ممطرة . (٦) طيبة : الرائحة .
 (٧) رب طاقة من الزهر ممطرة الشذى طيبة الأنفاس قدما إلى من أهواه .
 (٨) خافقة حسنة . (٩) يعنى أن سحر عيذه يفعل في النفس ما يفعله الطيب أو الخمر .
 (١٠) العقب : بضمتين ، والعقب بضم فسكون العاقبة مثل عمر وعمر . قال تعالى : « هو خير ثوبا وخير عقبا . »

في مدح ابن جهور

« قال مدح ابن جهور ويذكر جوارا لم يرعه ، وأملا
ضيقه ، ويتمنى إنجاحه في طلته ، وإسعافه بأمنيته . »

« جَنَاحِي » فِي جِوَارِكُمُ الدَّلِيلُ وَحَدَى فِي رَبَائِكُمُ الْكَائِلُ ^(١)
نَصِيبُ مَنْ وَلَا يَتَّكُمُ كَثِيرُ وَحَظُّ مَنْ عَنَّا يَتَّكُمُ قَلِيلُ !
لَمْخْتَلِفَاتٍ مِنْ حَالِي مَهْمَا أَجَالَ الْفِكْرَ بَيْنَهُمَا مُجِبِلُ ^(٢)
أُنْحِيَا أَنْفُسُ الْآمَالِ فِيكُمْ وَلِي - أَنْتَاءَ هَا - أَمَلٌ قَتِيلُ ؟ ^(٣)
وَأَعْجَبُ حَادِثٍ نَظَرِي لَدَيْكُمْ إِلَى غَلَمٍ النَّجَاحِ وَبَنِي غَلِيلِ ! ^(٤)
وَقِدْحِي فِي وَدَادِكُمُ مَعَلَى وَبَاعِي فِي أَعْيَادِكُمُ طَوِيلُ ^(٥)
وَكَاثُنٌ لِي ثَنَاءُ رَاحَ يَدْنِي إِلَيْهِ الْمُعْطَفُ عُبْدُكُمْ الْآثِيلُ ^(٦)

(١) وجد هذا البيت في نسخة الديوان على هذه الصورة .

..... في جواركم الدليل وحدي في روائكم الكليل

والنكمة من عدنا كما يعطها السياق .

(٢) يقول : إن حالى لمختلفان عند إجابة الدار ، منصيب من ولايتكم ونصرتكم وحى لكم كثير ، وحظي

من عابكم وتفقدكم قليل .

(٣) يسخر عليهم أن تكون آمال الناس حية بسببهم وأمله بينها كالفيل بين الأحياء .

(٤) الدال : السبيل الضعيف الذي يجري في أصول الشجر يروها قبل أن تضعف ، والدليل : العطش

أى وأعجب ما حدث لي أن أنظر إلى مسيل ماء من ناحيتكم فيه نخاض وانتعاش آمالي ، وفي طأأ شديد في حال
يبنى وبين ما يبرد علق ويشق غليل .

(٥) المعنى من فداح الميسر الميسره ، والفدح : بالكسر اسم للهم ، وكانت فداح الميسر عندهم معروفة

بعلامات حاسة ، ضمونها في خريطة على يدي عدل يجليها ويخرج باسم كل واحد من الأيامين مدحا ، فإن

كان غفلا أى لا يصيب له عزم صاحبه ، وإن كان من دوات الأصبا ، أخذ نصيبه بحسبه ، والذي يخرج له

المدح المعلى بعداً أكبر فائز بأوفر نصيب لأن له سبعة أصماء ، واثناوا بتعامرون على جزور يقتسمونها

والذي يخرج لهم من الأصماء ، يوزعونها على الفقراء .

(٦) وكمن ثناء ومدح راح يثنى إليه بمجدكم المتأصل عطفه .

تَنَافِسُهُ الرِّيَاضُ مُنَوَّرَاتٍ تَنَفَّسَ عَنْ نَوَافِحِهَا الْأَصِيلُ ^(١)
 «أَبَا الْحَزْمِ» الزَّيْمَانُ - بِأَنْ تُتَنَّى [✱] إِذَا عُدَّتْ فَوَاضِلُكُمْ - بِخَيْلٍ ^(٢)
 عَلَوْتَ النَّجْمَ - إِذْ مَلَّ الْمُسَامِي وَحُزْتُ الْخَصْلَ إِذْ كَلَّ الرَّسِيلُ ^(٣)
 رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحْتَ فِيهِمْ - بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ حَيْلُ
 وَمَاءُ الْعَيْشِ يَنْهَمُ فَضِيضٌ وَظِلُّ الْأَمْنِ فَوْقَهُمْ ظَلِيلُ ^(٤)
 وَلَوْ فَقَدُوا - لَافْقَدُوا - حَوَاهِمُ مَرَادٍ مِنْ زَمَانِهِمْ وَإِيْلُ ^(٥)
 وَشَاقَ نُفُوسَهُمْ رَسْمٌ مُجِيلٌ - مِنَ الدُّنْيَا - وَعَهْدٌ مُسْتَعِيلُ ^(٦)
 فَخَاصِرُ دَوْلَةٍ تَفْنَى لِلْيَالِي وَلَمْ يُيْلَمْ بِسَاحَتِهَا مُدِيلُ ^(٧)
 وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُضْمِي عُدَاتَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ
 أَيْئَسُ مِنْ مُسَاعَفَةِ اللَّيَالِي وَأَنْتَ - إِلَى نِهَائِيتِهَا - سَدِيلُ ^(٨)

- (١) الواج : جمع نالفة وأراد بها أهاس الرياض التي تحملها سمات الأصيل فيروح منها نفحات طيبة ، يقول إن ذلك الشاء الطيب تنافسه الرياض وهي مورات تدنفس الأصيل عن نوافحها أي مايفوح من طيب روائحها ، ويجوز أن يكون عن نوافجها جمع نالفة الملك . (٢) ثناء يثنيه حمل له ثانيا ، أي يا أبا الحزم الرمان مجيل بأن بعد لك ثانيا في العسل إذا عدت فواضلكم .
 (٣) حزت الخصل : أي أحررت العلبة في الرهان أو أدرك الماية في السبق ، والرسيل الماضل ، أو المسابق ، وقد جاء في الأصل «المسامي» فوحما في مكانها «المسامي» كما يرشد إليه المعنى .
 (٤) العنيس : الماء العذب الكثير التندقي ، أو ماء السحاب الغزير المنفرق ، وطل طاب : أي دائم لاينسخه الصبح . (٥) مراد - بالفتح - اسم مكان من رادت الابل تروء ، أي اختلف ذهابها ومجيئها في الرمي ، والوبيل الوحيم الذي لايتمرأ ، والمعنى : لو هودوك - لا قدر الله - ولم يستطلوا بطل دولتك لاحواهم من زمامهم مرعى وبيل فلم يهنأ لهم عيش ولم ينعم لهم بال .
 (٦) الرمم ما بقى من آثار الدار بعد ارتحال ساكنيها ، والمجيل : المقادم العهد الذي مرت عليه أحوال ، والمستحيل : المنعير ، أي لو فقدوك لاستوحوا العاقبة ، ولدارعتهم قنوصهم - إذا استمرعوا فقدك ولم يقوموا بنصرتك - إلى دنيا تحول حدثها إلى بلى ، وسبيلها إلى هرم ، وتير عهدها من سعادة وهناء إلى محنة وشقاء . (٧) المحاصرة أخذ الرجل بيد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله :
 ثم خاضرتها إلى القبة الخفض راء تمشى في مرمر مسنون
 معناه ماشيتها إلى القبة الحضراء ، تمشى على مرمر مجلس ، والمديل المتقلب الذي تنتقل إليه الدولة ، يدعو للدوح ببقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال .

إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن

عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب بطليوس . »

لَبِيضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ بَعْقَلِي - مُذْنٍ عَنِّي - لَمَمٌ ^(١)
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادٍ - عَمِي وَفِي أَذُنِي - عَن مَلَامٍ - صَمَمٌ ^(٢)
قَضَتْ بِشِمَاسِي عَلَى الْعَاذِلِينَ شَمُوسٌ مُكَلَّمَةٌ بِالظُّلَمِ ^(٣)
فَمَا سَقِمَتْ لَحَظَاتُ الْعِيُو نِ إِلَّا لِتَغْرِيبِي بِالسَّقَمِ
يُلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أَجَنَّ وَقَدْ زَجَّ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمٍ ^(٤)
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ مِمَّنْ يَلَامُ وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُدَمُّ ^(٥)



وَإِنِّي أَرَاكِ إِذَا مَا الْجَنُوبُ ب رَاحَتِ بِرِيَا جَنُوبِ الْعَلَمِ ^(٦)

(١) الثلاث : ضم الطاء هي المعق والجمع طلى مثل نقاة وتقي ، واللمم : تكسر اللام جمع له - الشعر المجاور شحمة الأذن - لم يفتح اللام - الجون .

(٢) في هذا البيت والذي منه يقول الشاعر أنه عمى عن الرشاد وصم عن الملام وصار في حل حنون مد بان وبعد عنه الحسان بين الأعاق سود اللمم .

(٣) شمس الفرس شموسا وشماسا مع طهره - العرب تقول رومة مكلمة ، يعنى مخفوفة بالبور ، فقول الشاعر : شموس مكلمة : أى مجللة بلال الشعر الأسود - وهذا البيت بمثابة التكملة لوصف حالته في البيتين السابقين فكأنه يقول وكما عمت عن الرشاد وصدمت عن الملامه كذلك فقد قضى على هذا الجمال أن أشمس على العاذلين . (٤) الخلي : كعمى الفارغ ، وفي المثل العربي القديم « ويل للشجي من الخلي » .

(٥) انتقل الشاعر لتبرير جنونه في غرامه وفي دموعه التي مزحت بالدم وألزم لونه بالحجة وقذف في وجودهم بالبرهان الذي ليس وراءه برهان ، فقال : إن بكائي وحنوني ولوعتي كل أوئك لا لوم فيه ولا بأس منه في سبيل الذكرى والحفاظ بالعهد فليس كرم العهد مما يذم ، وفي القرآن الكريم : « وأوئوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً »

(٦) أراح - استريح - رخ الجنوب هي الغالبة لريح الشمال - « راحت » - من الرواح ، وهو ضد الغدو يقول : إنى لكثرة تذكرى الأحبة ولكثرة حفاظى بهودهم أستريح إذا ربح الجنوب دامت إلى برائحة أمكنهم المقدسة المحوثة .

وَأَصْبُو لِعِرْفَانَ عَرَفَ الصَّبَا وَاهْدَى السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»^(١)
وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ «الْبُرُو» قِ «أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ ابْتَسَمَ»^(٢)
أَمَّا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيداً - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ
قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ انْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى انْصَرَمَ^(٣)
لِيَالِي نَامَتَ عِيُونُ الْوُشَاةِ عَنَّا، وَعَيْنُ الرَّضَى لَمْ تَتَمَّ^(٤)
وَمَالَتَ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهَوَى فَأَجْنَتْ ثَمَارُ الْمُنَى مِنْ أَمَمٍ^(٥)
وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِقَاقُ الْحَوَاشِي صَوَافِي الْأَدَمِ^(٦)

(١) أصو - أميل - وعرفان - معرفة ، والعرف هو الشدى . يقول : أنى أيضا أميل صبو وجبا إذا هبت الصبا - ريح الشمال - لأنها مطرة بشدى من محم . ويهوام يهدى السلام إلى ذى سلم الموضوع الذى حملت منه الصبا لك الشدى المحبوب .

(٢) أجهشت : ارتفع صوتى باكيا ، يقول : كما أنى أسترخ للحوب إذا عادت برياً ريح العلم وأصبو إلى شدى الصبا كذلك أكنى من طرب يعاودنى إذا ابتسم البرق ولمع ، والمعنى فى هذه الأبيات أنه يستريح لكل فادم من جهات أحسنه لأن فى ذلك نوطاً من الذكرى . ولا تظن شاعراً لم يك لا بتسام العروق ولم ينتش من ريا الصبا والحنوب .

(٣) انصرم : هو القطع ، والمعنى أن الزمان الذى مضى حميداً حاد عن التمدل حين حكم وهل أقل من وسم هذا الزمن بمجاعة التمدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا بالصبا والاستمتاع حتى انقضى وشيكاً ، وما كادت تنصل أوفات الأنس حتى صرمة عا وحال بيننا وسه .

(٤) الوشاة : فى الأصل هم الذين يشنون بالشر والسعاية فيذبعون الأسرار ، والاراد بهم هنا المصوم على الإطلاق والمراد بعين الرضى حالة السعادة التى ينعم بها المحبوب فى ساعات الوصال ، وكأنك بالشاعر فى هذا الباب شرع يعصّل الصبابة التى انتعت والانس الذى انصرم ، فقال : ليالى نامت عيون الوشاة إلى آخر هذا الوصف الذى يتخلص به إلى المدح فى أبى بكر .

(٥) أحنث ثمار المي : أى أعطط ، والأمة هو القرب ، تقول : رأيت من أمم ، أى من مرب ، يقول أيضاً فى تفصيل الأنس الذى انصرم : ومالت علينا غصون الهوى أى وليالى طللتنا هذه البصود - بفتح - منها ما شئت .

(٦) مذهبات البرود : أى موهة البرود - جمع برد - بالذهب ، وقوله « رفاق الحواشى » كناية عن رقة وحضرة العيش فى تلك الأيام ورفقه ، وكذلك قوله صوايف الأدم ، والأدم هو الحلد . دل المتننى :

« فبأيما قدم سعيب إلى الملا أدم الهلال لأحميك حذاء . »

كَأَنَّ «أَبَا بَكْرٍ» الْأَسْلَمِيَّ أَجْرَى عَلَيْهَا فِرْنْدَ الْكَرَمِ^(١)
وَوَشَّحَ زَهْرَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرٍ تِلْكَ الشَّيْمِ^(٢)
هُوَ الْحَاجِبُ الْمُعْتَلِي لِلْعُلَا شَمَائِلَ كُلِّ مُشَيِّفٍ أَشْمِ^(٣)
مَلِكُ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُمْ^(٤)
فَأَطَوْ لَهُمْ - بِالْأَيْدِي - يَدًا ، وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمَ^(٥)
وَأَرْوَعَ لَا مُعْتَنِي رِفْدِهِ يَخْبِي وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ^(٦)

(١) كأن أبا بكر الأسلمي أجرى محاسن حوده وديباجة كرمه على تلك الليالي والأيام التي نام عنها هيون الوساة وطلاه غصون الهوى فيها ، وعدا مما يدل التمرام كثيرا نخلصا من الزل والديب إلى المدح وهو ما يسميه علماء الدين : حسن التخلص .

(٢) وكان أ. ب. بكر بما أحرز من شمائل ييس كأنها زهر الحرير قد وسج تلك الأيام بما وشحها به من نضرة وحين .

(٣) شمائيل : جمع شراح أو شروح - أعلى الحال - كل ميبف أشم : أي كل طان مرتفع . يقول : إن أبا بكر هذا لا يقف في الملا عند حد فهو في سبيلها قد نسف ذرا كل ميبف ، وعلا هو كل طان ، .

(٤) حوى الخصل : أحرز الشيء المعلوم الذي تراهوا عليه في السابق ، يعنى أحرز نصيب السبق ، وسأهمه : أي فارع الملوكة وأسلمه منهم أي عليهم ، والمعنى : أن هذا الملك سابقه الملوكة في المجد فأحرز دونهم نصيب السبق ، وفارعه في مضمار السباق ففرعهم وغلبهم .

(٥) بالأيدى : السهم ، وبدا : يريد ناعا ، وهذا البيت توصيح أو تأكيد لسابقه أو هو بيان للميزات التي بها يغلب هذا الملك أقدار الملوكة من أمثاله ويسبقهم .

(٦) الأروع : من يهيك نفسه وجمهارة مطره أو شجاعة كالأروع ، وبالأروى الأروع : إنه الرجل الكريم الحى النفس الذي الجميل الذى يروعك حسنه ، ويهيك إذا رأيه ، والمعنى : كأنه فى كل من جاء يطلب رعدا وعطاء وهصلا ، قال الأعشى :

« تطوف العصفاء بأبوابه طواف النصارى ببيت الوثن » .

وقال مسلم بن الوليد :

« ترى العماة عكوما حول حجرته برجون أروع رحب الباع ساملا » .

وقال أبو تمام :

« كم أعطب راحتاه من شب سلامة المعتدين في عطيه » .

والرشد : العطاء - وقوله لا معتنى - فى العاموس اعتمد الابل اليس واستعمل أحدثه بلسانها فوق التراب مستصفيه له ، والرشد هو العطاء ولا حاره يهضم هضم الجار وتهضمه بمعنى طلمه يقول إن هذا الملك أجمع له حسن الخلق فهو يجب الباطر إليه بحسه وحاله هيك : كما أجمع له حسن الخلق ، لأنه لا يخيب طالب رعد ولا يظلم جاره .

ذَلُولُ الدَّمَائَةِ صَعْبُ الْإِبَاءِ ثَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَرَمَ ^(١)
 سَمَا الْمَجْرَةِ فِي أَفْقِهَا فَجَرَ عَلَيْهَا ذُيُولَ الْهِمَمِ ^(٢)
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطْفَ الدِّيمِ ^(٣)
 نَهَيْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذْرُتِمِ ^(٤)

(١) الدمائنة سهولة الحق - وقوله ثقيف العزيم - ثقف إذا صار حذوا حصيفا طعنا، وثقيف إذا عظمت فيه هذه الصفات، والعزيم والعزيمة والعزم واحد، هي أن المدح مع ما تقدم من صفات رحوله وسمو فروسته وطوائفه ليس بتكبر ولا متعجرف، وإنما هو سهل الخلق دمث الطبع ولكن في إباء، كما أنه كثير الحدق والمطلة مثقف العزيم إذا ما اعتزم الأمور أو طلب القنائص والرعاب.

(٢) المجرة: إحدى كواكب السماء فهذا المدح قد سما للحرية أي علا إليها وزاد عليها ملو الهمم التي فصلها قوله في الأبيات السابقة لامتق رمدته يحجب ولا حاره يهتضم وأنه إذا ساق الملوك غلبهم، وأنه أطولهم بدا، وأثبتهم ندما، وليس المجرة من المآثر في الداس ما يعادل مآثرهم هذا المدح.

(٣) ناصب مساعيه زهر النجوم الراهرة كالنجرة والنثرة والأكليل، وقوله وطف الديم، وطف: جمع وطء، وهي السحابة المسترخية من المطر، والديم: جمع ديمة، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد، يقول: إن عطاياه تبارى السحب الماطرة الدائمة بلا حلبة ولا ضوضاء. فكأن هذا الدب برهان لسابقه، وكأنه يقول: لم لا تفصل على المجرة من هذه صفات مساعيه وسحب مبراته وعطاياه.

(٤) الهيك: الشجاع القوى المانع في الشجاعة لأنه ينهك عدوه فيبلغ منه ما يريد، حس ليل العجاج: كل ما ستر عنك فقد حس عنك، والعجاج: الغار النار واحدته عجاجة، وجمع الليل - بكسر الهمزة وبضم الطائفة من الليل، وبدرتم: هو القمر إذا أبدر في ليلة تمامه أربع عشرة، يقول: حسبك من هذا المدح أنه إذا جن ليل الحرب سرى منه وجه مشرق أو سيف لامع يشبه البدر في ليلة التمام يكسف ظلام هذا العجاج، وبين عن جبهة النصر والهور، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم مدوحه، وحسن خلفه بما يملو به على مكانة الأجرام وزهو بقدره فوق هام الكواكب شرع يثبت له أنه فارس خيل، وكاشف وبل، وأنه لا يسطع بدر كلما ثارت عجاجة الهيجاء، وادلهمت الحرب الهوجاء.

فَشَامَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُمَاةِ وَرَوَّى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ^(١)
 جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعُقَاةِ وَيُمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ^(٢)
 يَهِيْجُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا لِيَشَاهُصُورًا وَبَحْرًا خَضَمَ^(٣)
 شَهْدَنَا ، لِأَوْتِي فَصْلَ الْخِطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ الْتَهْنِئَةِ وَالْحِكَمِ^(٤)
 وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ^(٥)

(١) شام السيف : معناه أغمدها أو سلها فهو من الاختداد ، ولكن يمين هنا أن يكون معناه أغمدها في هام الكمأة ، يقال شام الشيء في الشيء . أدخله فيه أى حمل من رؤوس الكمأة أغمادا للسيف - هام : جمع هامة ، وهى الرأس ، والكمأة : جمع كمى ، وهو الفارس المدجج في السلاح والفا : جمع فناه ، وهى الرمح ، والبهيم : جمع بهيمة نضم الباء وسكون الهاء الشجاع الذى لا يهتدى من أين يؤتى - أو هو الحيش ، فهو يقول : لإداجن ليل العجاج وسرى من ذلك المدحج في تلك العاجية - بدرتم - هناك رأيت كيم يمد السيف في رؤس الفرسان المدججين في السلاح ، ورأيت كيف تنقى الرماح من دم نخور الشجعان الذين لا تعرف مآتيهم في الحروب .

(٢) يقول : ان ممدوحه جواد وإن في داره مطافا ومثابه للعقاة من طلاب الرزد والمطام وإن يده اليمى كأنها لكثرة ما تقبل من سماء الرقودين أسحت كالبحر الأسود المستلم الذى يقبله حجاج بيت الله الحرام .

(٣) الخضم : السيد المحول للمطام . قال في القاموس : هو خاص بالرجال ومن معانيه البحر أيضا - النزال : بالكسر أن ينزل الفرقان المعاريان عن إبلهما إلى حيلهما فيساروا ، ويقال : نزال : كقطام ، أى انزل - لواحده والجمع والمؤنث ، والمث من أسماء الأسود ، والمصور - كالمصار - والمهصر - أمها . للأسد أيضا ، وقوله « ومخرا خضم » ، وكذلك بوله في بيت سبق في هدة القصيدة نفسها : « فأطولهم بالأيدى يدا وأثبتهم في المعالي قدم »

أجرى فيه المنصوب المنون في الوقف مجرى المرفوع والمجروح ، موقف عليه بالسكون ولم يقف عليه بالألف . وذكر البهجة أن اللغة الفاشية من لسان العرب قلب التثنية أفعا في المنصوب المنون عند الوقف نحو رأي زيدا ، ومخرا خضمها ، وريضة يميزون لإحراءه في لومف مجرى المرفوع والمجروح ، فاء الشاعر : « ألا حسدا غنم وحسن حديثها فقد تركت بلى بها هانما دف . »

« وابن ريدون » على غولته ما كان يبيى له أن يضطر إلى استعمال هذه الامة القليلة في شعره . ومعنى البيت أن دعوى الحرب تهيج من هذا المدحج ليثا هصورا كما أن سؤال رده وعطائه يهيج منه سيذا حول لما يكلف معناه لما يسأل كالجرح .

(٤) في هذا البيت الجباس بين فصل الخطاب وفضل التهنئ ، ومعنى البيت أن المدحج حكيم لا في غبا وبكم وذرب اللسان والمطق ولكن لا في طليش وخفة ، وهذا قلما يتاح إلا لمن هياهم الله لنصرة الحق والدفاع عن حوزة الدين ، وجدير بمن يؤتى فصل الخطاب وفضل التهنئ أن يشهد له زمه ويعترف له بالزمامة . والرياسة والفصل . (٥) ذكر ما قاله في البيت السابق ، فيقول : هل ترك المدحج أو فات شيئا من المكرمات يمكن السيف والقلم إحرازه من غير أن يجرمه ؟

*
* *

وَمُسْتَحَمِدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا لِيَعْفُوا إِذَا مَا اللَّئِيمُ أَسْتَدَمَ^(١)
شَمَائِلُ تُهْجَرُ عَنْهَا الشَّمُولُ وَتُجْنَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ^(٢)
عَلَى الرَّوْضِ مِنْهَا رُؤَا يُرْوَقُ وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ^(٣)

*
* *

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ وَلَا يَمَّ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَ^(٤)
وَلَاذَ بِهِ الدِّينُ مُسْتَعَصِمًا بِذِمَّةِ أَبْلَجٍ وَافِي الدِّمَمِ^(٥)
وَجَاهَدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجِهَامِ دِمْنٌ دَانَ مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمَمِ^(٦)

(١) مستحمد : أى منسوب إلى الحمد ، ويقال فعل الشيء . عفواً أى من غير تعمل ولا طلب ، واستندم : فعل ما يذم عليه ، والمعنى فى هذا البيت أنه من طبيعته الاستعداد - عفواً - لأنه كريم الفعال الذى من شأنها أن تعود على صاحبها بالحمد ، وذلك فى الوقت الذى يصدر فيه أوم الأؤماء عفواً أيضاً . يقول إن ممدوحه فى الوقت الذى يدعو فيه أوم الأؤماء رغم أؤمهم وريائهم يظهر كرمه المظرى وموله الحفية التى ترغمه أيضاً على إحراز المحامد .

(٢) الشمول : من أسماء الحر - تنعى : تهجر ، والمعنى أن شمائل ممدوحه تنعى عن الحر والماء الشجى لأنها يدهى بها فتطرب ويتحدث عنها فتسخر .

(٣) الرواء الحسن - الأريج : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى فى رواء الحسن الذى يروق الناطر فى الروس ، وكذلك تلى فيما يلد المعاطس فى الأريج الطيب المشوم من المسك .

(٤) فلَّ غرب الضلال : أى تلم حده الذى يشبه حدَّ السيف فى المضاء ، وقوله - ولاءم شعب الهدى فالْتَأَمَ - منناه أصلح شعب الهدى فاصلح ، والمعنى أن أباه رآب صدع الهدى وفرق حزب الضلال وخصد شوكتة .

(٥) الأبلج : هو كل واسع ، ويقال : أبلج الصبيح وضع يقول بابى الممدوح احتفى الدين منه واعتصم بوصح المسكنة وادى القدم .

(٦) يقول : وإن أباً هذا الممدوح أبى البلاء الحسن فى الجهاد لله وفى المجاهدة من دان من دون الله بالصم ، يعنى أنه عاش لله ولأوليائه عدواً لدوداً لأعدائه .

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ^(١)
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ حَمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأَمَمِ^(٢)
هُمْ نَعَسُوا الْمُلْكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
بُحُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ - وَأَسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمٌ^(٣)

« أَبَا بَكْرٍ » اسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ وَلَا زِلْتَ مِنْ رَيْبِهَا فِي حَرَمٍ^(٤)
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا كَمَا وَشَتِ الرِّوَضَ أَيْدِي الرَّهْمِ^(٥)
وَإِنْ يَعُدُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى فَحَظِّي أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمَ^(٦)

(١) رَغَمَ : رَغِمَ : يُولُ : يُنْهَ لَمْ يَتْرَكَ مِنْ أَعْدَائِهِ ، سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّهُ ، وَلَا أَثَمَ الْأَنْفَ إِلَّا أَرَغَمَهُ ، وَيُقَالُ رَغِمَ أَفْعُهُ يَمَعِي أَذَلَّهُ عَنْ كَرَمِهِ مَعَمَى أَرَغَمَهُ .

(٢) تَقِيلُ أَنَاهُ أَشْبَهَهُ - مَقَاوِلَ وَمَقَاوِلُهُ وَأَقْيَالُ وَأَقْيَالُهُ جَمْعُ مَعُولٍ كَبِيرٍ أَوْ جَمْعُ تَيْلٍ - الْمُلْكُ مِنْ مَلُوكٍ حَمِيرٍ - أَوْهُوَ مَا دُونَ الْمُلْكِ الْأَعْلَى ، وَمَعَمَى بَيِّنًا لِأَنَّهُ يَقُولُ مَا شَاءَ فَيُبْعِدُ ، وَحَيْثُ دُمِيَ الْيَتِ أَنَّهُ فِي عِزِّهِ وَمَجْدِهِ وَمَنَاعَتِهِ أَشْبَهَ أَسَدَهُ وَأَحْدَادَهُ مِنْ مَلُوكٍ وَأَيْبَالُ حَمِيرٍ الدِّينُ سَادُوا وَغَلَبُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ .

(٣) بُرُوجُ السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ - الْوَعَى : غَارَ الْحَرْبِ أَوْ الْحَرْبُ - الْعَوَالِي صُدُورُ الرِّمَاحِ - وَالْأَحْمُ بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ وَالْحَرِيكُ جَمْعُ أَحْمٍ... بِحَرَكَةِ الشَّجَرِ الْكَثِيرِ الْمُنْتَفِ ، وَالْمَعَى أَنَّ الْمَقَاوِلَ الْإِقْيَالَ أَبَاهُ هَذَا الْمَدْحُ كَانَ فِي الْعَالِي يُشْمَلُونَ السُّجُومَ فِي بُرُوجِهَا فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانُوا فِي الْحُرُوبِ يُشْمَلُونَ الْأَسْدَ تَطْلَاهُمْ رِمَاحُ كَأَنَّهَا أَحْمُ الْأَسَدِ .

(٤) يَدْعُوهُ أَنْ يَلْ فِي دَأَمٍ مِنْ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ وَمَصَائِنِهِ ، وَأَنْ يَطْلُ فِي مَوْضِعٍ لَا تَنْهَكُ الْحَادِثَاتُ وَلَا تَنْصِلُ إِلَيْهِ رَيْبُهَا .

(٥) الْمَقَّةُ : الْحَبَّةُ ، وَالرَّهْمُ : كَتَمَ جَمْعُ رَهْمِهِ نَكَبَرُ الرِّاءِ وَكَانَ هِيَ الْمَطَارُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ وَيُقَالُ رَوْصَةٌ مَرْهُومَةٌ ، يَقُولُ الذَّاهِرُ : أَنَادِيكَ نِدَاءٌ صَادِرًا عَنْ مِقَّةٍ وَمَحَبَّةٍ عَهْدُهَا فِي الْحَدَّةِ وَالشَّابِ كَمَا نَقَشَتْ أَيْدِي السَّحَابِ الْمَطَرِ ، أَذِيمُ الرِّوَضِ الْبَاضِرِ ، بِالْوَاوِ الرَّيِّعِ الرَّاهِرِ .

(٦) عَدَاهُ عَنِ الْأَمْرِ صَرَفَهُ وَشَمَلَهُ ، وَيَعُدُّنِي عَنْكَ : صَرَفَنِي وَيَشْمَلُنِي عَنْكَ ، وَالشَّحَطُ : الْبَعْدُ ، وَالنَّوَى الْإِغْتَرَابُ . يَقُولُ : إِذَا كَانَ الْإِغْتَرَابُ يَشْمَلُنِي وَيَصْرَمُنِي عَنْكَ فَانْهَ لَمْ يَرِخْصَ إِلَّا حَظِّي وَلَمْ يَظْلَمْ إِلَّا نَفْسِي فَضَرَّ هَذَا الْبَعْدُ وَاقَعَ بِي وَحَدَى وَلَيْسَ يَقَعُ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَيْكَ .

وَإِنِّي لِأَصْفِيكَ مَحْضَ الْهُوَى وَأَخْفِي لِبُعْدِكَ بَرَحَ الْأَلَمِ ^(١)
وَعَزِيرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الدَّمَامِ إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمَ ^(٢)

وَمُسْتَشْفِعِي بَنِي بَشَرَتِهِ - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَتَمِّ ^(٣)
وَقَدِمْنَا أَفْلَكْتَ الْمَسِيءِ الدِّمَارِ وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْحِ عَمَّا اجْتَرَمَ ^(٤)
وَعَنْدِي - لِشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ ^(٥)
نَجِدُ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ ^(٦)
نَمَشُ مَعْصَمًا يَبْقَاغِ السُّعُودِ وَدُمُ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ ^(٧)
وَلَا يَزَلُ الدَّهْرُ أَيْامَهُ لَكُمْ حَسَمٌ وَاللَّيَالِي خَدَمَ ^(٨)

(١) نفس الهوى : حاله - والبرح : الشدة بدعم بهذا البت معنى سابقه بقول لى لأصفيك وأحصك الهوى حاضاً لاساقبة فيه وإنى في بعدك لأسمر في معنى بالألم المبرح والابوة المرة ولكى أحق ذلك فى حايا السان وفى موضع الأسرار من الملوب .

(٢) أذمر به : نفس عهده وعدره - الدمام : الحرمة ويجمع على أذمة ويقال - أذم له عليه أى أخذ له دمة أى حرمة أو اجارة . يقول : إن عيرك ، أما نكر هو الذى يحمر عهد الدمام ويصبيه ويدبر به إذا جعل حسن طلى وطيب بلى له حرمة سدى و أذملى عليه دمة .

(٣) يقول : ما دبرت الماشع لى لديك بالنجاح إلا تم لمطلبه ويل له ثق بسجاحك فقد تشعت بالذى لا ترد شفاعة سدى أنى نكر ولا يحجب له راحة لده .

(٤) قدما أى تديماً وأملت ولانا من كذا يعنى أعينته منه واحترم أى أتى الذب أو الجرعة والصفع هو العفو يقول واما تعرفك فعلى العاثر من عثرته وتعود عن الناعى فى حريمته .

(٥) التناسق هو التناغم حات العمود ولأنها واللآلى الثوم أى المشابكة ونسبى الأؤؤة الدوامية وبوام الدوم والأؤؤ ما تشابك منها يعمد الشعر على تشوق المدوح لافناء مدائحه وشعره الذى يشبه العقود المددومة المساقفة بوام اللآلى .

(٦) أحد الثوب سيره جديدا يعنى أن نظم هذه المقود المقدمة يحمد ويعيد اراد الشاب من انفر بها جديدة فى الوقت الذى يلبس فيه الرمن ثوب الهرم ، أو أن حر المدوح نفسه هو الذى يطل بلاك المدامح جديدا .

(٧) يعا : كسحاب النل والنفصود به هما المرتفع يدور المدوح أن يمش معصما بمرتعات السمود وان يدوم مظللاً بالنعم انضلة لوارمة .

(٨) حسم الرجل وحشمه الدين يعصبون له من أهله وعبيده وجيرانه ، والحسم ثلواحدواجمع والحسم جمع حادم . يقول : لارال الدهر حادما لك .

في نكبة بنى ذكوان

«قال عند نكبة بنى ذكوان وابن حذام

في سنة ٤٤ هـ أربعين وأربعمائة.»

هَلِ النَّدَاءُ - الَّذِي أَعْلَنْتُ - مُسْتَمَعٌ أَمْ فِي الْمَثَاتِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُنْتَفَعٌ^(١)
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يُسَوِّفُ بِي كَأَيَّاسٍ مِنْ نَيْلِهِ أَنْ يَجْذِبَ الطَّمَعُ^(٢)
تَأْتِي السُّكُونِ إِلَى تَعْلِيلِ دَهْرِي لِي نَفْسٌ - إِذَا خُودِعَتْ - لَمْ تَرْضَ خِلْدَعُ^(٣)
لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا دَلِيلَ حَجًّا فَإِنَّهَا دَوْلٌ أَيَّامُهَا مَتَعٌ^(٤)
تَأْتِي الرَّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَانِهَا لَمَعُ^(٥)
أَهْلُ النَّبَاهَةِ أُمْتَالِي لِدهْرِهِمْ يَقْصُرُهُمْ دُونَ غَايَاتِ الْمُنَى وَلَعُ^(٦)

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك النداء الذي أعلت فيه شكواي ، أم هل وما قدمه من مثات القصائد والرسائل غناء ونفع ، وهو بهذا الاستفهام يكرر أن تكون - كواه قد سمعت ، وأن تكون صائده قد نعت .

(٢) الطمع : ضد اليأس ، والمعنى : إني لأعجب من حظ امتدني في نيله تسوي - المدح ومطله ، حتى لقد أصبح شبيها - ليأس - طمع يحدني إليه يريد أن الطمع فيه أحو اليأس منه .

(٣) يقول : إن دهرى يطلى بنيل تلك الأمانى العبيدة ، ولكن نسي لا تسكن إلى هذا التعليل لأنها لا تنفع إذا حودعت .

(٤) الحجا : العقل والعطش ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس فيه دليل على ذكاء وفطنة من يركن إليها لأنها زائلة متحولة ، والتمتع بها مرور مفتون .

(٥) يقول : إن الررايا في هذه الدنيا تأتي على سق تتابع من الحوادث التي يخلل سوادها بصيص من لمع العوائد .

(٦) القصر : الحبس والتمتع ، والولع : مصدر ولع فلان بكذا إذا لج فيه وحرص عليه ، يعنى أن الدهر مولع بالحيولة بين النابه الشريف وبين بلوغ أمانيه .

- لَوْلَا بَنُو «جَهْوَرٍ» مَا أَشْرَقَتْ هَمَمِي كَمِثْلِ بَيْضِ اللَّيَالِي دُونَهَا الدَّرْعُ^(١)
- هُمْ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلْعُ^(٢)
- مِنْ الْوَرَى إِنْ يَفْقُوهُمْ فَلَا تَجِبُ لِدَلِكِ الشَّهْرِ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ^(٣)
- قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصِفِ سَوَدَدِهِمْ لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ إِلَّا بَعْضَ مَا يَدْعُ^(٤)
- تَجَهَّمُ الدَّهْرُ فَأَنْصَاتَ لَهُمْ غُرْرُ مَا هِيَ الطَّلَاقَةُ فِي أَسْرَارِهَا دَفْعُ^(٥)
- بَاهَتْ وَجُوهُهُمُ الْأَغْرَاضَ مِنْ كَرَمٍ فَكُلَّمَا رَأَى مَرَأَى طَابَ مُسْتَمْعُ
- سَرُوْهُ تَزَاحَمُ فِي وَصِفِ الْمَدِيحِ لَهُ حَاسِنُ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْهَاقُ رُغُ^(٦)

(١) الدرع : اللبالي التي اسودت أوائلها وابتسأت سائرهما ، واللبيالي البس هي التي يطلع فيها القمر من أولها إلى آخرها ، أي لولا الجهاورة ما أشرقت همي إشراها كاشراق اللبالي البس دونها في الباس الدرع أي اللبالي التي أطلعت أوائلها .

(٢) غيد جمع أعيد : أي مائل ، والسوالف : جمع سالفه ، وهي صفحة العنق مما يلى الأذن ، والتلع : طول العنق وامتداده ، يقول : هو جهور هم ملوك الأرض لا يدايهم في المنزلة أولئك الملوك الذي أمالوا سواهم ، ومدوا أعنانهم خيلاء وكبرا .

(٣) أي هم من الورى وليس عجبا أن يفوقهم ، كما أن الجمع من أيام الشهر ولكنها تنوق سائرهم .

(٤) تحتفل : تنالغ يريد أنك مهما تنالغ في وصف سوددهم فلا يملك أن تثبت من صفاتهم في السيادة والمجد إلا جزءا صغيرا مما تدعه لكثرة ، وبجزءك عن الاحاطة به .

(٥) تجهم : عيب وتكرت أيامه ، وانصات : اشتهرت ، والأسرار : جمع سر ، وجميع أيضا عن أسرار ، وهي خطوط في العرة والجبين ، والدفع : جمع دفعة ، وهي الدفقة من المطر ونحوه ، والمعنى عيب وجه الزمان واسودت جوانب العيش فاشتهرت لهم في أثناء تجهمه غرر يضي يجرى في غصونها ماء الطلابة والبشر مترقفا متسلسلا .

(٦) جمع قرعه ، وهي السهمة ، أي حتى يساهم ويقرع بين جيد الأشعار أيها أدق وأحسن وأجدر بسنى الجواهر .



« أَبُو الْوَلِيدِ » فِدِ اسْتَوْفَى مَنَاقِبَهُمْ فَلِلْمَنَاقِبِ مِثْلُهَا فِيهِ مُجْتَمِعٌ ^(١)
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامَ لَهُ زُهْرَ الْمَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعُ
مِنْ عِزَّةِ أَوْهَتِهِ فِي تَعَاقُيْهَا أَنَّ الْمَكَارِمَ إِيصَاءٌ بِهَا شَرَعٌ ^(٢)
مُهَذَّبٌ أَخَذَ صَنِيعَهُ أَوَّلِيَّتُهُ كَالسَّيْفِ بَاغَى فِي إِخْلَادِهِ الصَّنْعَ ^(٣)

(١) يعني أن (أبو الوليد) استوفى مناب الملوك حتى اجتمع فيه ما تفرق في غيره منها وغير المناقب الاشارة إلى عظمه في مثل السائر « هو خير من تبارق المصا » يريد أن منابه كالمصا جمعت كثيرا من المنافع ، وأن مناب غيره من الملوك كمناقب المصا احتضت كل واحدة منها فائدة ومصلحة ، وجاء في كتاب المصا من البيان وتبيين الجاحظ مدحته : « ومن حمل النول في المصا » وما يوز فيها من المنافع والمراق ، تفسير شعر « غنية » الأغراية في شأنها ، وذلك أنها كان لها من سديد العرامة كثير للمنفعة إلى الناس مع زهد أمر ، ودقة عظم ، وثابت مرة في من الأعراب ، يقطع التي أعنه وأخذت « غنية » دة أنه ، فحدث حلفا مدحهم مدح ، ثم وثب آخر يقطع أنه فأحدث الله فؤاد دية أدبه في المال وحسن الخلق ، ثم وثب بعد ذلك آخر يقطع سعه ، فلما رأته فإد صار سديها من الابل والام والمال والكسب بوارح ابها ، حسن رأبها فيه فذكرته في أرجورة لها تقول فيها :

« أحلف بلروة يوما والمصا إليك خير من تبارق المصا . »

مثل ابن لاغرابي ، ما تبارق المصا ؟ قال : المصا تقطع ساحورا وتقطع عصا الساور ومصير أوتادا ، وينرق الوند ومصير كل قطعة شطاطا ، فان كان رأس الشطاط كالملكه صار للخنق بهار ، وهو العود الذي يدخل في أنف الخنق ، وإذا فرق المهار جاءت منه التوادى ، والسواخير تكون للكلاب والأسراء من الناس - وهذا الذي صلى الله عليه وسلم ، « وثي لباس من هاهنا يقدون إلى حلقوطهم بالسواخير » - وإذا كادت قناة كل شقة منها قوس يبدى ، فان فان مرق الشقة صارت سهام ، فان فرتت السهام صارت خطاء ، وهي سهام صفار ، ولواحدة حظوة وسروه ، فان فرتت الخطاء صارت مغارل ، فان فرق المغزل شعب به أشعاب أقدامه المصدوعة المشقوقة على أنه لا يجد لها أصلع منها . وقال الشاعر :

« تباد أطرف الفتاقد شككه كشكك بالشعب الاماء المنلما . »

فإذا كانت المصا صحيحة سالمة جميعها من المنافع الكبار ، واللمامق الأوساط والصغار ، فلا يحصى أحد ، فإذا فرتت فيها مثل الذي ذكرنا وأكثر إلى آخر ما أوردته الجاحظ في هذا الباب .

(٢) جمع شرعة بكسر أوله أي شرائع ومناهج يجري فيها على سنة الملوك من آثانه . يريد أن آباءه من الملوك لتعاقبهم على سن المكارم يمين يحلفهم من أبنائهم أو هموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع منزلة .

(٣) الجادق في صنعته .

إِنَّ السَّيُوفَ إِذَا مَا طَابَ جَوْهَرُهَا فِي أَوَّلِ الطَّبَعِ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا طَبَعُ^(١)
جَذَلَانُ يَسْتَضْحِكُ الْأَيَّامَ عَنْ شَيْمٍ كَالرَّوْضِ تَضْحَكُ مِنْهُ فِي الرَّثَا قِطْعُ
كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَذَّتْ مِنْ مَوَارِدِهِ - لِشَارِبِ غَيْبٍ بُزِيحِ الصَّدَى - جُرْعُ^(٢)

* * *

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي إِنَّ ضَاقَ مُخْطَرَبٍ أَوْ هَالٍ مُطْلَعُ^(٣)
أَصِيخٌ لِهَمْسٍ عِتَابٍ تَحْتَهُ مَقَّةُ وَكَلَّفَ النَّفْسَ مِنْهَا فَوْقَ مَا أَسْعُ^(٤)
مَا لِلْعِتَابِ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عَقْدَتَهُ - قَدْ خَاَمَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزْعُ^(٥)
لِي فِي الْمَوَالَاةِ أَتْبَاعٌ يَسْرُهُمْ أَنَّى لَهُمْ فِي الَّذِي نُجْزَى بِهِ تَبِعُ^(٦)
أَلَسْتُ أَهْلَ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلْدِسُنِي جَمَالَ سَيِّمَاهُ ؟ أَمْ مَا فِي مُنْطَطِعِ ؟^(٧)

(١) الطبع : الصدا ، يقول : إن السيوف إذا طاب جواهرها لم يعلق بها شئ الصدأ ،
يعنى أن المدح ثابت أوليته فخلص جوهره ولم يشنه عيب .

(٢) فيه تشبيه المدح بورد الماء البارد العذب لد لشاربه منه جرْع أضاع غلة صدره بعد ضما
مبجح شديد .

(٣) وررى : ملجئ ومعتصم ، ومضطرب اسم مكان من الضرب وهو الدرع في الأرض ، ومطلع :
مكان الاطلاع من مشرف حال ، أو مكان الصعود من أسفل إلى أعلى ، وفي حديث عمر رضى الله عنه أنه
قال عند موته ، « لو أن لي ما في الأرض جميعا لافتديت به من هول المظلم » وهو ذا شديد مكان الاطلاع
أراد به ما يشرف عليه من أمر الآخرة ويطلع عليه عقيب الموت .

(٤) اقبل رفيق عتاب كالمس على الأدن ينطوى على مقعة ومحة وكاب بك من تحقيق أميني
فوق طاقها .

(٥) أحصنت : أحكمت ، والمقعدة : المراد بها هنا الرأي والتدبير ، والمعى : قد كان من العمل وحصافة
الرأى أن أبادر إلى التوبة وهذا تأث مما نسب إلى ، فما لتوبتي قد صيغت ولم تقبل مما حمل قلبي بما ظنه
الجور وعدم الصبر ، وبما زجه اليأس والحزن .

(٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وغيري تبع ، وأتباعي في الموالاة يسرههم أن أكون في
الجزء تبعا وتاليا لهم ، بهم دائما يسعون لاسقاط منزلتي وإحباط مساعي .

(٧) يقول : أنتكر اختصاصي منك بما يحملني محليا بجمال هذا الاختصاص ، فلا يتقدم على من هم تبع
لي في الولاء والاخلاص ؟ أم هل تنكر أني قبل غيري أهل لب الصنعة وإسداء الجليل ؟

لَمْ أَوتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَعْيِي لَدَيْكَ - وَنَيَّ
بَلْ بِالْجُدُودِ تَطِيرُ الْحَالُ أَوْ تَقَعُ ^(١)
لَا تَسْتَجِزْ وَضَعْ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ
فَاللَّهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدْرَ الَّذِي تَضَعُ
تَقَدَّمْتَ لَكَ نَعْمَى رَادَهَا أَمَلِي
فِي جَانِبٍ هُوَ لِلنَّاسِ مُنْتَجِعُ ^(٢)
مَا زَالَ يُونِقُ شُكْرِي فِي مَوَاقِعِهَا
كَالْمُزْنِ تُونِقُ فِي آثَارِهِ الشَّرْعُ ^(٣)
شُكْرُ يَرْوِقُ وَيَرْضَى طِيبُ طُعْمَتِهِ
فِي طِيَّةِ نَفَحَاتٍ بَيْنَهَا خَلَعُ ^(٤)
ظَنَّ الْعِدَا - إِذْ أَغْبَتْ - أَنَّهَا انْقَطَعَتْ ،
هَيْهَاتَ لَيْسَ لِمَدِّ الْبَحْرِ مُنْقَطِعُ ^(٥)
لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ
نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَتْ الرَّجْعُ

* *

إِنَّ الْأَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ افْتِسَاحِهِمْ - مِثْلَ الشَّجَى فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنْتَرَعُ ^(٦)

(١) ونى : أى فترة وتوان فى السعى ، والجودود : جمع جد دلتج وهو الحفظ والاحت والمعى : لم أوت ولم يذهب سعي عندك فتور ولا تنصير فى المطالة والسعى ، ولكن الذى قصد به عن درك أمنيى عندك إنما هو حطى الذى به يعاير الحال ويرتفع ، كما يطير الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أى تقدمى أدل أرسلته فى طلب النعمة ، وارتياد النعمة ، فصادف حابيا مرعا ، ومراداً لعمالك ومنتجها .

(٣) الترع : جمع ترعة ، وهى الروضة على المكان المرتفع من الأرض ، يعول : ما زال روس شكرى موقفاً موحداً عن سماء ، عمالك ، كالزمن أى السحاب يعجبك على أثر نزول المطر منه الرياس والرطب قد أثرت بألوان الرهر ، وأبيعت بأنواع الثمر .

(٤) طيب طعمه : أى مكسه الطيب الحلال ، والخلع : جمع خلعه بالكسر ، وهى ما تخلعه من الثياب وتطرده على آخر ، أى شكر يروى السامع حسه . ويرضى الشاكر ما يشمره من طيبات المكاسب ، فى طيه مثل نفحات الروس بينها وفى أثنائها تطلع عليها حلم ثمينة ، وحلل فاخرة .

(٥) طل العدا أن هذه العطايا والفائس مد أعبت وتأخرت أياماً أنها انقطعت عى ، هيهات أن ينقطع عطاء شبه البحر الذى ليس لمدته انقطاع .

(٦) يقول فى هذا البيت والذى أمده : -

أَلِ الدِّينِ كُنْتُ - مِنْ قُلِّ امْتِزَاجِ أَهْلِهِمْ وَظُهُورِ صَرِيحِ الْمَدَاوَةِ مِنْهُمْ كَالشَّجَا مَقْتَرَاً فِي حُلُوقِهِمْ لَا يُمْكِنُ امْتِرَاعُهُ ، لَمْ أَحْطُ مِنْهُمْ - وَهُمْ أَغْدَاءُ مَافِقُونَ ، إِلَّا بِمَا كُنْتُ أَحْطَى بِهِ مِنْهُمْ وَهُمْ شَيْعَةُ مَسَالِمُونَ ، يَرِيدُ أَنْ يَصِيبَهُ مِنْهُمْ فِي الْحَالَيْنِ لَمْ يَكُنْ سِوَى الْعَرِّ وَالْأَدَى وَالْوَقِيعَةِ .

لَمْ أَخْظَ - إِذْهُمْ عَدَا بَادٍ نَفَاتُهُمْ -
مَا غَظَّهُمْ غَيْرَ مَا سَيَّرْتُ مِنْ مِدَحٍ
كَمْ غَرَّةٌ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ
إِذَا تَأَمَّلْتُ خُصْبِي غَبَّ غَشَّهِمْ
تِلْكَ الْعَرَانِينَ لَمْ يَصْأَحْ لَهَا شَمَمٌ
أَوْدَعَتْ نِعْمَكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُغْتَرِسٍ
لَقَدْ جَزَّيْتَهُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَنِيٍّ
لَا زَالَ جَدُّكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ
إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَخْظِي إِذْهُمْ شَيْعٌ
فِي صَائِكَ الْمِسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَنَعٌ^(١)
كَمَا تَلَقَّى شِهَابَ الْمُوقِدِ الشَّمْعُ^(٢)
لَمْ يَخْفَ مِنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ مُنْصَدِعٌ^(٣)
فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ^(٤)
لَنْ يَسْكُرَ الْغَرَسُ حَتَّى تَسْكُرَ الْبَقْعُ^(٥)
عَقَّتْ فَلَمْ يَذْهَبْ عَنْ غَمَطِهَا وَرَعٌ^(٦)
إِنْ كَانَ بَيْنَ جَدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعٌ

(١) صائك : اسم فاعل من صاك به المسك يصيك أى لصق به ، قال الأعشى :

« ومثلك معجبة بالشببا ب صاك العير بأحلادها . »

وسياتى لصاحب الديوان قوله فى « ص ١٣٩ » :

« ثناء عتق كأن ثناء مسك بأردان المحامل صاك . »

والفتح : نحة المسك ، ومسك دومع ذكى الرائحة طيب الأنفاس . قال الشاعر :

وبروع ساغ أطرافها عللتها ريح مسك ذى فنع

وجاء بالأصل « صايك » بإيالا ، و « كعب » بالكاف ولا معنى لهما .

(٢) كم غرة لى واضحة منيرة تطلع عليهم فتتقاه قلوبهم وفى متأجبة مستعرة ، كما يتلقى الشمع عند

الانارة حر الشهاب من موقده ومشعله .

(٣) يقول حبي واسج كفاف الصبح ، وحبه مغشوش كاذب .

(٤) العرائن : جمع عرني ، وهو أعلى الأنف عند ملقى الحاحبين ، أو هو ما صلب من عظم الأنف ،

قال ذو الرمة :

« نثى القاب على عرني أربة شما . مارنها بالمسك مرثوم . »

والشعم : ارتفاع قصبة الأنف وحسنها مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبية ، وإذا وصف الرجل بالشعم

فإنما يعنون أنه سيد شريف النفس ذو أمة وشوخ وحبه ، ويقال هم شم العرائن كناية عن ذلك ، قال

كعب بن زهير :

« شم العرائن أبطال لوسهم سن يسج داودى والهيجا سرايل . »

والجدع : القطع البائى فى الأنف والأذن ونحوهما وهو مصدر جدد كمرح فهو أجدع .

(٥) يقول : لقد استنبت نعماك فى بقعة خبيثة من نفوس عرب بغمط النعمة ونكران الجميل .

(٦) يقول : إن الدهر جازاهم عن من أسديتوها إليهم ، فعموا على آثارها ولم يتوردوا فى غمطها

والامتناع عن شكرها .

تهنئة بقران

« وقال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله
أبا عمرو عبد الله ويهنيه بالبناء على السيدة
بنت الموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبَ فَلَكُكَ يَفْقِدُ الْإِمْلَاكَ وَأَطْلَبَ فَسَعْدُكَ يَضْمَنُ الْإِذْرَاكَ^(١)
وَصَلَ النُّجُومَ بِحِظِّ مَنْ لَوْ رَامَهَا هَجَرَتْ إِلَيْهِ زَهْرُهَا الْأَفْلَاكَ^(٢)
وَأَسْتَهْدَ مِنْ أُنْحَى مَرَاتِعِهَا الْمَهَا فَالْصَّعْبُ يَسْمَحُ فِي عِنَانِ هَوَاكَ^(٣)
يَأْتِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَدْبِيرُهُ أَضْحَى لِمَمْلَكَةِ الزَّمَانِ مِلَاكَ^(٤)
هَذِي اللَّيَالِي بِالْأَمَانِي سَمَحَةٌ فَتَى 'تَقُلْ': «هَاتِي» تَقُلْ لَكَ: «هَاكَ»
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيلَةٍ وَافَتْ مُبَشَّرَةً بِنَيْلِ مُنَاكَ
أَهْدَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْهَا تُخَفَةٌ لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ
شَمْسٌ تَوَارَتْ - فِي ظَلَامٍ مَضِيعَةٍ - ثُمَّ اسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ^(٥)

(١) الاملاك : عقد الزواج ، يقول : اخطب فملكك يعوزها الصهر والذنب ، واطلب فسعدك يضمن لإدراك ما تطلب .

(٢) وصل النجوم بحظ ملك لو رام زهر النجوم هجرت إليه أفلاكها ، يريد أنه لو رام مصاهرة من ارتفع نسبهم من الملوك إلى مستوى زهر الكواكب في أفلاكها ، لساووا إليه من زهر عرائسها ما يرومه ، وتسمو إليه نفسه ، ويختاره نسا وصهرا .

(٣) استهد : أطلب الهداء من هدى العروس يهديها إليه هداء زفها إليه ، وفي الأصل (استهو) وهو من استهوا الشياطين ، ولا معنى له هنا ، أى اطلب من أمنع أعباء العرب وأشدها حماية وحفيظة أن يهدوا إليك من بناتهم الشبهات بالها أى بقر الوحش في البياض وسواد العيون من تريد وتوى فإن الصعب يسلس وينقاد في عنانه مرادك وهو والد .

(٤) أى أضحى تديره قوام المملكة ونظامها الذى يعتمد عليه في أمورها .

(٥) مضبغة : يقال هو بدار مضبغة كمشبة أى بدار ترك واطراح وإضاعة ، واستطار : لانتثر ، والسنا : نانصر الضياء ، أى كانت قبل هذا الاملاك شمساً محتجبة وراء حجب الاعمال والترك ، فاستطار إليها شعاع من سنا وجهك ، فأشرقت وأنارت .

قُرِنتَ بِبَدْرِ السَّمِّ كَافِلَةً لَهُ أَنْ سَوْفَ تُتْبِعُ فِرْقَدَيْنِ سِمَاكَ (١)
هِيَ وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ اخْتَرْتَهُ فَقَدَدْتَ إِذْ خَلَقْتَ الشَّرَّكَ شِرَاكَ (٢)
فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْوِ الْمَعَاوِدِ ذِكْرَهُ وَأُسْتَأْنِفِ النُّعْمَى قِتْلَكَ بِذَاكَ (٣)



لَمْ يَبْقَ عُذْرٌ فِي تَقَسُّمِ خَاطِرٍ إِلَّا الصُّبَابَةُ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ
كَفَّارُ أُنْعَمِكَ الْآلَى حَلِيَّتُهُمْ أَطَوَّقَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ ظُبَاكَ (٤)
أَعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِن تَشَأْ تَكُنِ النُّجُومُ أَسِنَّةً لِقَدَاكَ (٥)
هُصِرَ النَّعِيمُ بِعُطْفِ دَهْرِكَ فَأَنْتَ وَجَرَى الْفَرِيدُ بِصَفْحَتِي دُنْيَاكَ (٦)
وَبَدَا زَمَانُكَ لِأَبْسَا دِيَابَجَةٍ تَجَلُّوْا لِعَيْنِ الْمُجْتَلِي سِيَمَاكَ
دُنْيَا لَزْهَرَتِهَا شُعَاعُ مُذْهَبٍ لَوْ كَانَ وَصْفًا كَانَ بَعْضُ خُلَاكَ

(١) يقول : قرب هذه العقيلة ببدر السَّمِّ ضامنة له أن ستنتع فرقدين نحما يريد أنها ستندب أمثال الكواكب البيرة من الذكور .

(٢) الأديم : الجلد ، وخلق : بلى ، والشراك : أحد سبور النمل التي على ظهرها ، يقول : هذه العقيلة وزوجتك العقيلة كالأديم قطعت منه بدل الشرارك الذي بلى شرارك جديدا ، أى اخترت بدل العقيلة ، زوجا أخرى جديدة ، وقد ألف العرب أن يشبهوا المرأة بالنمل ، وجاراهم ابن زيدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقاماته من حوار طويل : « فان لمس ظهر نعله ، فقد انتقص وضوؤه بعله » أى إن لمس امرأته .

(٣) أى فذلك النعمى بالجديدة ، عوض من ذلك الرزء بالعقيدة ، فاضرب صفحا عما يعاودك من ذكريات تؤلم نفسك وتبعثك على الحزن .

(٤) جمع غلة بالضم ، وهى حد السيف ، يقول : إن الذين طوتهم بأنعمك فجعدوا بها ، ستجعل لهم غدا من سيوفك فى أعناقهم أطواقا يطوقونها .

(٥) أعرض عن كل خطرة تحيط بقلبك ، وتقع فى بالك من حجة تديب الملكة ، فانك منصور على أعدائك ، ولو شئت لتناولت نجوم السماء لجعلتها أسنة لرمالك .

(٦) حمل للنعم عطا كعطف الحسنة تهصره أى تملح إليك فيثنى كما تهصر النفس وتملح نحوك لفظ مارة ، وجعل لدنيا المددوح التي احتوت النعم فرندا يجرى فى صفحتها ماؤه وتترقق ديباجته ، فأعطاك صورة ساحرة فأنه لما يتصل بالمددوح من دنيا يحفها النعم .

فَتَمَلَّ فِي فُرُشِ الْكَرَامَةِ نَاعِمًا وَأَعْقِدْ بِمَرْتَبَةِ السُّرُورِ حُبًّا كَا^(١)
وَأَطْلُ - إِلَى شَدْوِ الْقِيَانِ - إِصَاخَةً وَتَلَقَّ مَتْرَعَةَ الْكُؤُوسِ دِرَاكًا
تَحْتِهَا مَثْنَى مَثْنَى غَادَةً شَفَعَتْ بِحَثِّ غِنَاهَا الْإِمْسَاكَا^(٢)
مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الصُّبُوحِ بِسُحْرَةٍ قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَاكَا^(٣)
لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مُجِيدٌ - إِنْ تَعَتَّرِضُ[†] فِي لَهْوِ رَاحِكَ - تَسْتَهْلِ لَهَا كَا^(٤)
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ فِي خِلَالِ نِدَامِهِ ذَمٌّ يَبْعُضُ خِلَالِهِ فَخْلَاكَا^(٥)
أُسْبُوعُ أَنْسٍ مُخْدِتٌ لِي وَحْشَةً عَلِمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَا كَا^(٦)
فَأَنَا الْمُعَذِّبُ غَيْرَ أَنِّي مُشْعَرٌ ثِقَةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَّا كَا
إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا مَلَأْتَ مِنْ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَا كَا
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَحْلَوْلَى جَنِّي نُعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِجَامُ نَدَا كَا
وَأَمِنْتُ عَادِيَةَ الْعِدَا الْأَقْتَالِ مُذْ أَغْصَمْتُ فِي أَعْلَى يَفَاعٍ حِمَا كَا^(٧)

(١) تمل : تمتع ، يقال ملك الله حبيبك أى تمتك وأماذك معه طويلاً ، والحب : جمع حبة وهو أن يجمع الخالد طهره وساقه بثوب أو نحوه .

(٢) نحنها : أى الكؤوس أصوات تهادى من رنات مثنى عود فى يد غادة ، سم إلى حث الغناء لمسك الصوت بعد إطلانه .

(٣) جاسدت : حاطت بإس أنوارها سواد ظلماتها .

(٤) لهو راحك : أى فى إبان لهوك ، ضرب الراح : وتستهل تخطر والها : جمع لهوة بالضم ، وهى العطايا الجزلة الكثيرة .

(٥) من كان فى أثناء المنادمة على الشراب يعاق بعض حاله وخصاله ما يعاب ويذم عليه ، فذاك ذم وحشاك عيب .

(٦) هو الأسبوع الذى بأس فيه بروسه ، ولا يخرج إلى خاصته القرا : بالفتح كل ما استدريت به ، يقال أنا فى درا فلا أى فى كعبه ، والجمام : جمع جة بالضم وهى معظم الماء ، والسدى : العطاء أى صفا عطاؤك الشبه بالماء فى الصفاء فلم يكدر بمن .

(٧) الأقتال : الأمران المساوون له فى الشجاعة من أعدائه ، وأغصمت : مثل اغصبت أى استمسكت وامتنعت ولجأت ، واليفاع : للسكان المرتفع .

جَهْدَ الْمَقِلِّ نَصِيحَةً مَمْحُوضَةً أَفْرَدَتْ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكَ^(١)
وَتَنَاءَ مُحْتَفِلٍ كَأَنَّ تَنَاءَهُ مِسْكٌ بِأَرْذَابِ الْمَحَافِلِ صَاكَ
وَلَتَدْعُنِي وَعَدُّوكَ الشَّانِي ، فَإِنْ يَرُمُ الْقِرَاعَ يَجِدُ سِلَاحِي شَاكَ^(٢)

لَا تَعْدَمَنْ^{***} الْحِظَّ غَرَسًا مُطْلِعًا ثَمَرَ الْفَوَائِدِ دَانِيًا لِحَنَانَا
وَالنَّصْرَ جَارًا لَا يُحَاوِلُ ثِقَلَةً وَالصَّنْعَ رَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَكَ كَا
وَإِذَا غَمَامُ السَّعْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرَكُ الْمَطَالِبِ فَلْيَصِلْ سُقْمًا كَا
فَالَّذَهُرُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّا لَمْ نَكُنْ لِنُسَرِّ مِنْهُ - بِسَاءَةِ - لَوْلَا كَا

عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُتَّعِلًا لَا تَحْشَ مِنْنِي نِسْيَانًا وَلَا بَدَلًا^(٣)
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَدْرِ بَعْدَكَ مَا طَعُمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا
أَتَلَفْتَنِي كَلَفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسْفَا قَطَّعْتَنِي شَغْفًا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَلًا



إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوفَ فَلَا بَلَغْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا^(٤)
وَاللَّهِ لَا عَلِقْتُ نَفْسِي بِغَيْرِكُمْ وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أهدى إليك نهاية ما يستطيع إهداءه مقلدك ، نصيحة خالصة أفردت مهديها واختصصتها بما لم تترك معه فيه غيره .

(٢) الشانئ : المبعض ، والقراع المفاوعة باليوب ، وشاك : السلاح اشاك شوكا ظهرت شوكتته وحدته ، أى أدعى للمازلة ومجالة عدوك الشانئ المبعض فانه متى يرم ذلك يخذنى شاكى السلاح مستعدا لمفارعتة .

(٣) يقول : إني احتمل منك كل شيء ، وليس ذلك بمحولى عن حبك ولا هو بدامى إلى نسيانك أو الاتقال عن حبك إلى حب سواك .

(٤) يقول : « حاقبى الله بياسمى منك وحرمنى عطفك وودادك إن كنت فكرت لحظة فى السلو عنك .

مدح ورثاء^(١)

« قال يمدح المعتمد ، ويرى المعتضد بالله . »

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَنَ شَيْمِ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ^(٢) فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ^(٣)
حِذَارُكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقُ فِتْنَةً يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ إِيْمَانِكَ - الْعُذْرُ
إِذَا أَسِفَ الْكُلَّ الْلَيْبُ فَشَفَّةَ رَأَى أَفْذَحَ الثَّكْلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ^(٤)
مُصَابُ الَّذِي يَأْسَى بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ هُوَ الْبَرْخُ لَا الْمَيِّتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ^(٥)

* *

حَيَاةُ الْوَرَى تَهْجُ إِلَى الْمَوْتِ مَبْعٌ^(٦) لَّهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ^(٧) كَمَا يَوْضِعُ السَّفَرُ^(٨)

(١) جاء في ص ٤٧٩ من فتح الطيب ما نصه :

« ولما مات والد المعتمد واسقل بالملك ، قال ذوالوزارتين ابن زيدون يرثي المعتضد بقصيدة طويلة أولها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر فن شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب فتح الطيب أكثر أبيات هذه القصيدة وإن اختلفت في قليل من الألفاظ في بعض أبيات القصيدة عن رواية الديوان .

وسمى القارئ تشابها كثيرا بين هذه القصيدة وبين القصيدة الرائية التي قالها ابن زيدون في رثاء الوزير أبي الحزم .

(٢) حسبة : احتساب الأجر ، وفي رواية نفع الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية نفع الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه العذر »

(٤) وفي رواية نفع الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي رواية فتح الطيب : « يأس بموت ثوابه » (٦) طريق .

(٧) الإضاع : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وضع للرجل إلا بعد إضاع كيف شاهدت إيمان وإرامعي . »

(٨) السفر : المسارون .

فَيَاهَادَى الْمُنْهَاجِ جُحْرَتَ ، فَإِنَّمَا
 إِذَا الْمَوْتَ أَضْحَى قَصَرَ^(٢) كُلُّ مُعَمَّرٍ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الَّذِينَ ضِيمَ ذِمَارُهُ
 بِحَيْثُ أَسْتَمَلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ
 هُوَ الْخَنِيمُ لَوْ غَيْرُ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ
 إِذَا عَنَرَتْ جُرْدُ الْعَنَاجِيحِ^(٤) فِي الْقَنَا
 هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوِ الْبَحْرُ^(١)
 فَإِنْ سَوَاءٌ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ
 فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُهُ عَدِيدُهُمْ دَثْرُ^(٣)
 وَجَرَدَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
 ثَنَاهُ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسَلَكُ الْوَعْرُ
 بَلِيلٍ عَجَاجٍ لَيْسَ يَنْسَعُهُ فَجْرُ

*
* *

أَأَنْفَسَ نَفْسٍ فِي لُورَى - أَقْصَدَ الرَّدَى
 أَبَدًا يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا
 فَهَلَّا عَدَاهُ أَنْ عَلِمَاكَ حَلِيمُهُ .
 وَأَخْطَرَ عِلْقٍ - لِلْهُدَى - أَفْقَدَ الدَّهْرُ
 عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْعَدْرُ
 وَذَكَرَكَ - فِي أُرْدَانٍ أَيَّامِهِ - عِطْرُ

*
* *

غُشِيَتْ فَلَمْ تَعُشَ الطَّرَادَ سَوَاحِجُ ، وَلَا جُرْدَتَ يَيْضُ^(٥) وَلَا أَشْرِعَتِ سُمُرُ^(٥)

(١) البحر والضم : المكروه والأمر العظيم ، وتد روى للبرد صاحب الكامل أن الخليفة أبا بكر رضى الله عنه حين حضرته الوفاة قال في آخر كلمة له : ياهادى الطريق حرت ، إنما هو والله الفجر أو البحر وبوله « إنما هو والله البحر أو البحر » يقول : « إن انتظرت حتى يضيء لك أفجر الطريق أبصرت نفسك وإن حبط الغمام وركبت العشواء هجما بك على المكروه » وضرب ذلك مثلا لعمرات الدنيا وتحيرها أهلها (الكامل : ج ١ ص ٥ و ٦ و ٧)

وجاء في اللسان قوله : وفي حديث أنى بكر رضى الله عنه : إنما هو الفجر أو البحر قال : البحر - بالفتح والضم - الداهية والأمر العظيم . أى أن انتظرت حتى يضيء الفجر أبصرت الطريق ، وإن حبطت الغمام أنضت بك إلى المكروه . قال : ويروى البحر بالهاء يريد غمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .

(٢) قصر : قصارى أو غاية . (٣) دثر : كثير .

(٤) العنا-يج : حياض الحبل والأبل . (٥) ييض وسمر : سيوف ورماح .

وَلَا تَنْتِ الْمَحْذُورَ عَنْكَ جَلَالَةً وَلَا غُرْرٌ ثَبَتٌ وَلَا نَائِلٌ غَمْرٌ ^(١)
لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هُمِيَّ أَنْسُهُ [✽] بِأَنَّكَ نَاوِيَهُ لَقَدْ أَوْحَشَ الظَّهْرُ
لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى لَقَدْ أَدْرِجَتْ أَثْنَاءَهَا النِّعَمُ الْخُضْرُ
عَلَيْكَ - مِنْ اللَّهِ - السَّلَامُ تَحِيَّةٌ يُسَمِّكَ الْغُفْرَانُ وَيُنْحَاكُمَا النَّضْرُ
وَعَاهِدَ ذَلِكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَابٍ إِذَا اسْتَعْبَرْتَ فِي ثَرَاهِ - ابْتَسَمَ الزَّهْرُ ^(٢)
فَفِيهِ عَلَاةٌ لَا يُسَامَى يَفَاعُهُ ^(٣) وَقَدْرُ شَبَابٍ لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدْرُ
وَأَيْضَ فِي طَيِّ الصَّافِحِ كَأَنَّهُ [✽] صَفِيحَةٌ مَأْمُورٍ طَلَاقَتُهُ الْأَثَرُ ^(٤)
كَأَنَّ لَمْ تَسِرْ مُخْرُ الْمَنَايَا تُظَلِّدِيَا إِلَى مُهَجِ الْأَقْيَالِ ^(٥) رَأَاتُهُ الْحُمُرُ
وَلَمْ يَحْمِ مَنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الْهُدَى فَلَمْ بُرُضْهُ إِلَّا أَنْ أُرْتَجَعَ الْغُرُ
وَلَمْ يَنْتَجِعْهُ الْمُعْتَفُونَ ^(٦) ، فَأَقْبَلَتْ عَطَايَا كَمَا وَالَى شَأْنُ يَدَبِهِ ^(٧) الْقَطْرُ

(١) الدائل العمر : العطاء الجليل الكثير .

(٢) يدعو الله أن يطر حذته سبحانه تدرف ماءها على الأرض فتروى أرهاها منتضرها .

(٣) اليماع : المرتفع من الأرض .

(٤) الأثر : مرمد السيف ، وروقه ، وهو واحد ليس بجمع ، قال الشاعر :

« حلالها الصيقلون فأخلصوها حفاها ، كلها يقي بأثر . »

أى كلها يستقلك بفرنده . ويتقى بحفف من يتقى .

وقال إعرابية :

« فادا رمدت فأنت منتبسه وإذا انتهت مزمك الأثر . »

وقالوا : سيف مأثور ، أى فى منته أثر . وأخذ من الأثر كأن وشبه أثر فيه ، أو منته حديد أثبت وشفرته حديد دكر ، ومددعوا أنه السيف الذى يعله الجن .

(٥) الأفيال - جمع قبل - وهو الشجاع .

(٦) ينتجعه المعتنون : يطلب مروفه طالبو الاحسان والدى .

(٧) شأيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

وَلَمْ تَكْتَفِ آرَاءَهُ أَلْمِيَّةُ كَأَنَّ نَجَى الْغَيْبِ فِي رَأْيِهَا - جَهْرٌ^(١)
وَلَمْ يَنْشَذْ لِلْأُمُورِ^(٢) مُجَلِّيَا إِلَيْهَا كَمَا جَلَّى مِنَ الْمَرْقَبِ الصَّقْرُ

* *

كِلَا لَقَبَى سُلْطَانِهِ صَحَّ قَالُهُ فَبَا كَرَهُ عَضُدٌ وَرَاوَحَهُ نَصْرٌ^(٣)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ يَوْمُهُ فَأَجَابَهُ وَقَدْ قَدَّمَ الْمَعْرُوفَ وَأَسْتَمَجَدَ الذُّخْرُ
فَأَمْسَى ثَبِيرٌ قَدْ تَصَدَّى لِحِمْلِهِ سَرِيرٌ قَلَمٌ يَبْهُضُهُ^(٤) مِنْ هَضْبِهِ إِصْرُ

* *

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَصُولُ عَيْيِدُهُ لَقَدْ رَابْنَا أَنْ يَتَلَوَّ الصَّلَاةَ الْهَجْرُ
نُعَادِيكَ - دَاعِينَا السَّلَامَ - كَعَهْدِنَا فَمَا يُسْمَعُ الدَّاعِي وَلَا يُرْفَعُ السِّرُّ
أَعْتَبْ عَلَيْنَا ذَادَ عَنْ ذَلِكَ الرِّضَى فَنُعْتَبَ أَمْ بِالْمُسْمَعِ الْمُعْتَلَى وَقُرْ^(٥)
أَمَا إِنَّهُ شُغْلٌ فَرَاغَكَ بَعْدَهُ سَيَنْصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ^(٦)
أَأَنْسَاكَ - لَمَّا يَنْأَى عَهْدٌ - وَلَوْ نَأَى سَحَابِيسُ اللَّيَالِي لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الذِّكْرُ^(٧)
وَكَيْفَ بِنِسْيَانٍ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي جِسَامٌ أَيْدِي مِنْكَ أَيْسَرُهَا الْوَفْرُ

(١) كان لم تكتشف فطنته وألميته مستور الغيب الذى يتبدى لها رغم حفاؤه واضحا حليا .

(٢) تشد الأُمور : نشط إليها وترع ، وتشذر الرجل تمياً للقتال والحمة .

(٣) يشير إلى تلقيه بالمتضد والمنصور . (٤) يهوض : يهبطه ، أى يتنزل عليه حملة .

(٥) فى رواية نفع الطيب :

« أعتب علينا ذاون ذلك الرضى فسمع أم الح . . . »

(٦) يقول : إنك فى شغل لن يتقضى إلا إذا جاء يوم الحشر .

(٧) رام برسم : فارق يفارق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل عهدى بك ولو طال أبد الدهر لم أسك

ولم تفارق نفسى ذكراك .



لَنْ كُنْتَ لَمْ أَشْكُرْ لَكَ الْمِنَّةَ إِنِّي تَمَلَّيْتُهَا تَتَرَى لَأَوْ بَقَيْتُ ^(١) الْكُفْرُ
فَهَلْ عَلِمَ الشَّلُو الْمُقَدَّسُ أَنِّي مُسَوِّغُ خَالٍ ضَلَّ فِي كُنْهَهَا الْبِسْكَرُ ^(٢)
وَأَنْ مَتَابِي لَمْ يُفْضِغْهُ « مُحَمَّدٌ » خَلِيفَتُكَ الْمَدْلُ لِرَضَى وَأَبْنُكَ الْبَرُّ
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِالَّذِي لَهُ فِي الذِّى وَلَاءَهُ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ
رَأَى فِي اخْتِصَاصِي مَا رَأَيْتَ وَزَادَنِي مَرِيَّةَ زُنْفَى ^(٣) مِنْ تَنَاجُجِهَا الْفُخْرُ
وَأَرْغَمَ فِي رِي أَنْوَفَ عِصَابَةٍ لِقَاؤُهُمْ جَهْمٌ وَخَلْطُهُمْ شَزْرُ
إِذَا مَا أُسْتَوَى فِي الدُّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ وَقَامَ سَمَاطًا حَفْلِهِ فَلَيْ الصَّدْرُ ^(٤)

(١) لأهلكتي (٢) الشلو : المصو جمه أتلاد . بقول : هل علم الخلد الملب الظاهر
أبى أحاول أن أستمع ما لا سبيل إلى استساغته أى أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى بما حدث
ولا يجد إلى ذلك سبيلا . (٣) مربي .

(٤) استوى : جلس ، ولدت : مغرب دشت ومعناها بالمغارسية اليد - كما وُجد من شعراء العليل
وترك هذه المادة في اللسان ، وفي التماوس : « الدسب لدشت ومن الثياب والورق وصدر البيت
مربيات . » واستعملها المؤلفون لمعان منها المجلس كما في اليد الذى نحن بصدده ، قال أبو الهاء المعرى :
« من آلة الدست ماعد الوزير سوى تحريك لحيته في حال إنباء

« هو الوزير ولا أزر يشدد به مثل العروض له بحر بلا ماء . »

وورد في المقامة الحادية عشرة من مقامات الحريري عند قوله :

« تبصر ودع اللوم وقل لى هل ترى اليوم

فستى لا يقمر القوم إذا مادسته ثم . »

وهو هنا بمعنى الحيلة والخذاع ، والمعنى تب حيله ، ويقال لأن تم عليه الدست في القمار أى لم يمز وورد
في آخر المقامة الثامنة عشرة عند قوله :

« فمادرتنا بعد أن وخذت نفسه ، ورايلنا أنفسه ، كدس عاب صدره ، أو ليل أبل بدره . »

وهو هنا بمعنى الخيل وورد في أول المقامة الثالثة والعشرين عند قوله :

« فركب في إثر النفاذه ، حق وأميننا باب الاماره ، وهناك صاحب المدونة مقربا في دسسته ،
ومروعا بسمته . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعُلَيَاءُ لِي مُتَبَوِّأٌ يُنَافِسُنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَأَنَّ النَّسْرَ
يُطِيلُ الْعِدَا فِي التَّنَاجِي خُفْيَةً يَقُولُونَ: «لَا تَسْتَقْتِ، قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ»
مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عُقْدَةِ السَّعْيِ - صَلَّةً فَعَادَ عَلَيْهِمْ غُمَّةٌ ذَلِكَ السَّحَرُ
يَسِبُّ مَكَانِي عَنْ تَوَقُّي مَكَانِهِمْ كَمَا شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ - عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو^(١)

وهو هنا بمعنى المجلس أيضا وورد في آخر هذه المقامة عند قوله :

« فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه ، وانجلي تمبسه ، أخذ يصف أبا زيد وفضله ، ويذم الدهر له ، ثم قال : نشدتك الله - ألسنت الذي أماره الدست ؟ فقلت : لا والذي أحلك في هذا الدست ، ما أما بصاحب هذا الدست ، بل أنت الذي تم عليه الدست . » فالدست الأول هو الثوب ، والثاني المجلس ، والثالث هو الثوب أيضا ، والرابع الحيلة .

والحبوة : بضم وكسر أوله وتجمع على حبابي أن يجمع الجالس ظهروه وساقيه بثوب أو يديه ، ويقال حل فلان حبوته ، وهذا الأمر مما تحمل له الحبا ، والحبوة - بالفتح - الصدر ، والسماط : الصف من الناس ، يقال قام اليوم حوله سماطين أي صفين ، ومضى بين السماطين أي بين الصفين ، يقول إنه يفسح لي الجلوس في الصدر إذا استوى في مجلسه وهمل حوله صفان من حمله .

(١) أصل المثل : « شب عمرو عن الطوق » وفي رواية أساس البلاغة : « جل عمرو عن الطوق » ، وفي رواية مجمع الأمثال البغدادي « كبر عمرو عن الطوق » ومعنى البيت : « لقد جل مكاني عن أن أحاذرهم ، كما حل عمرو عن الطوق . »

فال ابن قتيبة في كتاب المعارف : وعمرو هذا هو عمرو بن ندى بن نصر ، ابن أخت جذيمة الأبرش ، وهو الذي كان يقول - إذ احنى الكساء بين يدي خاله وهو صبي - :

« هذا جنائي ، وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه . »

وقد زعموا أن الجن استهواه حينما ، ثم طهر فوجده مالك وعقيل ، قلوا : « فانتسب لهما . فأثبا به جذيمة فسر به سرورا شديدا وحكماهما سألاه منادته . »

وقد ضربت الأمثال ندماني جذيمة ، فقال متمم النويري حين رثى أحاه :

« وكنا كندمانى جذيمة حبة من الدهر حتى قيل لن تصدنا

وعشنا بخير - في الحياة - وقبلنا أصاب النابا رهط كسرى وتبا

فلما تمرقنا كئانى ومالكا - لطول افتراق - لم نبت ليلة . »

وقال أبو خراش الهذلي :

« ألم تعلمي أن قد تفرق - قبلنا - خليلا صفاء مالك وعقيل . »

وقد أشار أبو العلاء المعري إلى ندماني جذيمة إشارة ناعقة في رسالة الغفران (ج ١ ص ١٣٢) فليرجع إليها من شاء ، قالوا : وأصل هذا المثل أن أم عمرو نظفته وألبسته ثياب الملوك وطوقته بطوق في عنقه وأمرته بزيارة خاله ، قالوا : فلما رأى خاله لحينه والطوق في عنقه ، قال : « شب عمرو عن الطوق » فذهبت مثلا .

قالوا : « وكانت الزباء قتلت خاله فأدرك عمرو وقصير نأره فقتلها . »

*
* *

لَكَ الْخَيْرُ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غِيَابَةً طَلَعْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ
فَقَرَّتْ عِيُونُ كَانَ أَسْخَنَهَا الْبُكَاءُ وَقَرَّتْ قُلُوبُ كَانَ زَلْزَلَهَا الذُّعْرُ
وَلَوْلَاكَ أَعْيَا رَأَيْنَا ذَلِكَ النَّأْيَ ^(١) وَعَزَّ فَلَمَّا يَنْتَعِشُ ذَلِكَ الْعَشْرُ
وَلَمَّا قَدَمْتَ الْجَيْشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَفْتَ إِلَيْكَ - مِنَ الْأَمَالِ - آفَاقَهَا الْعُيُورُ ^(٢)
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لُبَانَةً مُشِيْعَهَا نُسْكَ وَفَارِطُهَا طُهُرُ ^(٣)
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدَمْتَ مَشَى نَوَافِلِ يَلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عِيدِهِ فِطْرُ
وَرُحْتَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفَهُ بُعِيدَ التَّسَامِي أَنْ غَدَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ ^(٤)
فَدَامَا مَعًا فِي خَيْرِ دَهْرٍ ، صُرُوفُهُ حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطُورُهَا هَجْرُ ^(٥)
وَأَجْمَلُ - عَنِ النَّوَايِ - الْعَزَاءُ فَإِنْ ثَوَى فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي ، وَلَا الضَّرْعُ الْغُمُرُ ^(٦)

(١) النَّأْيُ : البُعد ورأيه إصلاحه ، قال الشاعر :

« يَرَأْبُ الصَّدْعُ وَالنَّأْيُ رَصِينٌ مِنْ سَجَايَا آرَائِهِ وَبَعِيرٌ . »

(٢) قَدَمْتُ : يقال قدم فلان فلانا يقدمه من باب نصر إذا تقدمه ، قال تعالى : « يَتَذَكَّرُ فِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأُورِدْهُمْ إِلَيْنَا » والمعنى : ولما تقدم الجيش صبيحة يوم الفطر أشرف إليك شمس الأمال من آفاقها العُيُور يريد أن الأمال ابتسمت له ميرة ، وقد اغبرت الآفاق حزنا على فقد والده .

(٣) اللَّبَانَةُ : الحاجة يقال قضى فلان لبانته أى حاجته ، والفارط : المتقدم أى قصيت حاجة في نفسك من صلاة الفرض التي شيعها وتلاها نك العيد وسبقها وتقدمها الظهر المسنون والطيب ، وفي رواية نفع الطيب : « فشيعها نك وفارطها طهر »

(٤) أى بعد أن عدت من مصلى العيد - درحت إلى القصر الذى غض طرفه - بعد أن سما ببصره إليك - لأنك تبدلت به نصرا غيره . (٥) لا يطورها : لا يفرجها والصير طائد على القصرين .

(٦) الْوَانِي : الضعيف ، والضرع : الخاضع الدليل ، والنمر : الذى لم يحرب الأمور ، يقول : تدرع بالصبر وأجل عزاء عن الراحل النواي في قبره ، فانك لست - إذ ألم بك خطب - بالضعيف ولا الفرجال الذى لم يحرب الأمور ولم يعتبر بصروف الدهر ، وفي الأصل « فانك لا الفانى » وقد أثبتنا هنا رواية نفع الطيب ، قال الشاعر :

أثابة وحلما وانتظارا بهم غدا فها أنا بالوانى ولا الضرع النمر

وَمَا أَعْطَتِ السَّبْعُونَ قَبْلُ - أُولَى الْحِجَا مِنْ الْإِرْبِ مَا أَعْطَتْكَ عِشْرُونَكَ وَالْعَشْرُونَ^(١)

أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ تَبَلَّجَ مِنْهُ الْوَجْهَ وَاتَّسَعَ الصَّدْرُ^(٢)
فَلَا تَهْضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهُ فَنَكَ - لِمَنْ هَاضَتْ نَوَائِبُهَا - جَبُرُ
وَلَا زِلَتْ مَوْفُورَ الْعَمِيدِ بِقُرَّةٍ لَعِينِكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ
فَإِنَّكَ شَمْسٌ - فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ - تَطْلَعُ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَجْمُ زُهُرُ

شَكَكْنَا فَلَمْ تُثَبِّتْ^(٣) أَلْيَامَ دَهْرِنَا بِهَا وَسَنٌ أَمْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرٌ؟
وَمَا إِنْ تَعَشَّتْهَا مُغَازَلَةُ الْكَرَى وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَفَاصِلِهَا^(٤) - خَرُ
سِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ سَجَايَا مُلْكٍ - يُصَدِّقُ فِي عَلَيْهَا الْخَبَرَ الْخَبْرُ

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ لَهَا ثَعْرُ
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكَ - أَجَبْتُهُ هُنَاكَ الْأَيَادِي الشَّقْعُ وَالسُّودْدُ الْوَتَرُ^(٥)
هُنَاكَ الثَّقِي وَالْعَلِمُ وَالْحَلِمُ وَالنَّهْيُ وَبَذَلُ اللَّهِامِ وَالْبَأْسُ وَالنَّظْمُ وَالنَّثْرُ

(١) أولى الحجا : أبواب العقول ، والارب : العقل والدعاء والبصر بالأمور ، يقال أرب ككرم أرابه
هو أربب أى حافل وجاء في نفع الطيب « اللب » بدل « الارب » ، وعشرون : بالاضافة ، وعشرون إذا
أضيف سقطت منه الون لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، يقال : « هذه عشرون وعشرون » بتشديد الياء
كسلى ، أى أن ثلاثين حجة أمادتكم من الحجا والعقل مالم تعطه غيرك السبعون .

(٢) ألسن الذى إن ضاق الناس ذرعا بمحادث تهمل له وجهك بشرا ، واتسع له صدرك احتمالا وصبرا ،
ثقة منك بأبك ستكشف البازلة ، وتدفع السكارثة .

(٣) وفي نفع الطيب : « فلم ندرك » (٤) وفي نفع الطيب : « مماطفها » .

(٥) أى : هناك الايدى أى النعم المزدوجة للتكررة والمجد المزد

مُهَامٌ - إِذَا لَاقَى الْمُنَاجِرَ رَدَّهُ - وَإِقْبَالُهُ خَطْوُهُ ، وَإِدْبَارُهُ خُضْرُ^(١)
 مُحَاسِنٌ ، مَا لِلرَّوْضِ - خَاوَرَهُ النَّدَى - رُؤَايَا إِذَا نُصِتَتْ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُ^(٢)
 مَتَى أَنْتَشِيقَتْ لَمْ تُطَرْ دَارَيْنِ مِسْكَهَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْخَرْ بِعَنْبَرِهِ الشَّحْرُ^(٣)
 عَطَاءٌ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوًى وَحِلْمٌ وَلَا عِجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ
 قَدْ أُسْتَوْفَتِ النِّعْمَاءُ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا ، فَنَّا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

إلى ابن ذكوان

« كتب إلى الوزير أبي العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتُ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ^(٤) أَبَا الْعَبَّاسِ ، دَعُهُمْ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ
 مَا جَزَاءُ الْوَزِيرِ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي إِذْمَانِكَ
 أَتْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كَيْكَ سَرْدُ الْعِرَاقِ تَحْتَ لِسَانِكَ^(٥)
 مُذْ نَهَانَا - عَنِ الْمُدَامِ - أَتُنْهِنَا مَعَ أَنَّا نَعُدُّ مِنْ صَبِيَانِكَ .

(١) المناجر : من الماخرة وهي المبارزة في القتال والمقاتلة ، فال عبيد :

كالهندوانى المهنه — هزه القرن الناحر

والخضر : إحضار الفرس وعدوه ، يقول هو ملك همام إذا لاق عدوه المناجر في الحرب والقتال رده منهزما في حال كون إقباله بطيئا وإدباره سريعا .

(٢) نصت : وضعت على المنصة بكسر الميم وهي سرير العروس الذى تنص وتجلى عليه ليلة الزفاف ، والدشر : الرائحة الطيبة ، وفي الأصل « ولا بشر » والذي أثبتناه هنا رواية نفع الطيب .

(٣) لم تطر : لم تدمح ، ودارين : ثمر على الخليج الفارسى يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والذي في هج الطيب « لم يدر » والشجر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صقع على ساحل الخليج الفارسى وإلى هذا الصقع ينسب العبر الشجرى ، وهناك عدة مدن بهذا الاسم كما يؤخذ من « جمع البلدان » والمعنى : متى فاح غير تلك المحاسن لم تنن دارين على مسكها ولم يعفر الشجر بعنبره .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التى تصلح لهم ، ويقال : « هذا شئ من بابتك » أى يصلح لك . يقول : « لست من بيتهم ».

(٥) العراق : بالكسر الحلة المخروزة على فم السقاء والزق ونحوهما تشبه بخززه الأسنان في السرد ، والاستواء : وجاء في الأصل « سعد العراق » يقول : أترى الوزير لا يقع في الرية لوضعك مسرودة العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحشى الخمر من فم زق معرق أى على فمه عراق .

إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد يشوقه إلى تعاطي

الحيا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثريا (١) . »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأَحْزِرِ الْإِقْبَالَ وَحُزِرِ الْمُنَى وَتَنْجِزِ الْأَمَالَ
وَلِيَهْنِكَ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ الَّذَا صَدَقَاكَ فِي السَّيِّئَةِ الْعَلِيَّةِ - فَالَا
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَجِدِ الْعُقُولُ النَّاشِدَاتُ كَمَا لَا

* * *

أَمَّا « الثَّرِيَا » (٢) فَالْثَّرِيَا نَصْبَةً وَإِفَادَةً وَإِنَافَةً وَجَمَالًا
قَدْ شَاقَهَا الْإِغْبَابُ حَتَّى أَنَّهَا لَوْ تَسْتَطِيعُ سَرَتْ إِلَيْكَ خِيَالًا
رَفَّةً (٣) وَرُودُكَهَا لِتَغْنَمَ رَاحَةً وَأُطْلِنَ مَزَارَكَهَا لِتَنْعَمَ بَالًا

* * *

وَتَمَثِّلُ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً قَدْ وَسَّطَتْ فِيهَا « الثَّرِيَا » خَالًا
وَأَدْرُ هُنَاكَ مِنَ الْمُدَامِ أَتَمَّهَا أَرْجَا زَكَا وَأَشْفَهَا جَرِيَالًا (٤)
قَصْرٌ يُقَرُّ الْعَيْنَ مِنْهُ مَصْنَعٌ بِهِجُ الْجَوَانِبِ، لَوْ مَشَى لِاخْتِنَالًا
لَا زِلَتْ تَقَرُّشُ السُّرُورُ حَدَائِقًا فِيهِ، وَتَلْتَحِفُ النِّعَمُ ظِلَالًا .

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد نقلنا هذه السكاهة من نسخ الطيب .

(٢) يعني قصره المسمى « الثريا » .

(٣) أى اجعل ورودك ايها رفها أى كل يوم ، يقال وردت الابل رفها إذا كانت ترد الماء كلما

شئت الورد . (٤) الجريال : الحمر ، أو حمرتها وسيأتى تفسيرها في ص « ١٥٥ »

مدح ورثاء وتهنئة ^(١)

« وقال أيضا يمدحه ويرثى الوزير الكاتب الأعلى

أبا الحزم أباه رحهما الله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ ضَمَمَّا الْقَبْرُ وَأَنْ قَدْ كَفَانَا - فَقَدْ نَا الْقَمَرَ - الْبَدْرُ
وَأَنَّ الْحَيَا ^(٢) - إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ - فَقَدْ فَاضَ لِلْأَمَالِ فِي إِثْرِهِ الْبَحْرُ
إِسَاءَةُ دَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلَ بَعْدَهَا، وَذَنْبُ زَمَانٍ جَاءَ يَتَّبِعُهُ الْعُدْرُ
فَلَا يَتَهَنَّئَنَّ الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا لَنَا اللَّيْلُ إِلَّا رَيْثَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ
وَأِنْ يَكُ وَلَى « جَهْوَر » ، « فُحَمَّد » خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرِّضَى وَأَبْنَةُ الْبَرِّ

✱ ✱

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْعَلِيقُ ^(٣) أَتْلَفَهُ الرَّدَى فَبَانَ ، وَنِعْمَ الْعَلِيقُ أَخْلَفَهُ الدَّهْرُ
هَزَزْنَا بِهِ الصَّخَصَامَ ^(٤) فَالْعَزْمُ حَذَهُ وَحَلِيقَتُهُ الْعَلِيَا وَإِفْرِنْدُهُ الْبُشْرُ
فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمَفْرَقَ هَمَّهُ وَيُنْظِمُ - فِي أَخْلَاقِهِ - السُّودُودُ النَّثْرُ
أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ مَحَبَّةٌ هِيَ السَّجَرُ لِلْأَهْوَاءِ، بَلْ دُونَهَا السَّحَرُ
سَرَتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمَنَى وَدَبَّتْ دَيْبِيًا لَيْسَ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ
لَبَسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنَ تَنْدَى ظِلَالُهُ وَزَهْرَةُ عَيْشٍ مِثْلَ مَا أَيْنَعَ الزَّهْرُ
وَعَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَأَمَّهَا بِهَا وَسَنُ أَوْ هَزَّ أَعْطَافَهَا سُكْرُ

✱ ✱

مَلِيكَ لَهُ مِنَّا النَّصِيحَةُ وَالْهَوَى وَمِنْهُ الْأَيَادِي الْبَيْضُ وَالنَّعْمُ الْخُضْرُ

(١) ارجع إلى ص ١٤٠ و ص « ١٧٤ » من هذا الديوان .

(٢) المطر . (٣) النفيس . (٤) الحسام .

نُسِرُ وَفَاءَ - حِينَ نَعْلِنُ طَاعَةً - فَمَا خَانَهُ سِرٌّ وَلَا رَابَهُ جَهْرُ
فَقُلْ لِلْحَيَاكِرَى: « قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهُدَى » وَلِلطَّامِعِ الْمَغْرُورِ: « قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ ^(١) »

* *

« أَبَا الْحَزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى - قُلُوبُ مُنَاهَا الصَّبْرُ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ
دَعِ الدَّهْرَ يَفْجَعُ بِالذَّخَائِرِ أَهْلَهُ - فَمَا لِنَفْسٍ - مُدْ طَوَاكَ الرَّدَى - قَدْرُ
تَهْوُنُ الرِّزَايَا بَعْدُ - وَهِيَ جَلِيلَةٌ - وَيُعْزَفُ - مُدْفَارَقَتَنَا - الْحَادِثُ النُّكْرُ
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّحَابَةِ لَمْ يَزَلْ - لَهَا أَمْرٌ يُبْنِي بِهِ السَّمْلُ وَالْوَعْرُ
مَسَاعِيكَ حَلَّى لِلْيَالِي مُرْصَعٌ - وَذِكْرُكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِكَ - عِطْرُ
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةٌ - إِلَيْهَا التَّنَاضِي طَالُ أَوْ قَصُرَ الْعُمُرُ

* *

عَزَاءٌ - فَدَتْكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ تَوَى - فَإِنَّكَ لَا الْوَائِي وَلَا الضَّرْعُ الْعُمُرُ
وَمَا الرُّزْهُ فِي أَنْ يُودَعَ الثَّرْبُ هَالِكٌ - بَلِ الرُّزْهُ كُلُّ الرُّزْهُ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ
أَمَامَكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيعَةٌ - وَحَوْلَكَ - مِنْ آلَائِهِ - عَسْكَرُ حَجْرُ
وَمَا بِكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ - كَفْتَكَ - مِنْ اللَّهِ - الْكَلَاءَةُ ^(٢) وَالنَّصْرُ

* *

لَاكَ الْخَيْرُ، إِنِّي وَاثِقٌ بِكَ شَاكِرٌ - لِمَتْنِي أَيْادِيكَ الَّتِي كَفَرُهَا الْكُفْرُ
تَحَامَى الْعِدَا - لَمَّا أَعْتَلَقْتُكَ - جَانِبِي - وَقَالَ الْمُنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْفِهِ عَمْرُو ^(٣)

(١) قريب من هذا قول ابن هاني الأندلسي :

تقول بنو العباس : « حل فتحت مصر ؟ » فقل لبني العباس : « قد قضى الأمر »

(٢) الرماية والحفظ . (٣) ارجع إلى تفسير هذا المثل في (ص ١٤٥) من هذا الكتاب .

يَلِينُ كَلَامُ كَانَ يَخْشَنُ مِنْهُمْ وَيَفْتَرُ نَحْوِي ذَلِكَ النَّظْرُ الشَّرُّ

فَصَدَقَ ظُنُونًا لِي وَفِيٍّ ، فَإِنِّي لَأَهْلُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ
وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَلِلْوَفْرِ - سَعْيُهُ فَتَقَرِّبُكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرُ (١)

هدية عنب

« وأهدى إلى الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبي بكر
محمد بن محمد بن إبراهيم جدّه لأمّه عنباً عذارى
وكتب معه . »

أَتَاكَ مُحْيِيًّا عَنِّي أُعْذَرَا عَذَارَى دُونَهُ رِيقُ الْعَذَارَى (٢)
تَخَالُ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمَدًّا وَنَفْحَ الْمِسْكِ مِنْهُ مُسْتَعَارَا
يُرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ غَدَا ثَوْبُ الْهَوَاءِ لَهُ شِعَارَا
وَلَوْ لَا أَنِّي قَدْ نَلْتُ مِنْهُ - وَلَمْ أَسْكُرْ - خَلَلْتُ بِهِ عُقَارَا
بَعَثْتُ بِهِ وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، لَكَانَ مِنْ بَرِّى اِقْتِصَارَا
فَأَنْعِمَ بِالْقَبُولِ قَرُبَ نَعْمَى أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا

(١) يقول : إن من كانت عايته من الدنيا أُنْ تَقْبَلُ عَلَيْهِ وَأُنْ يَنَالُ الْغَنَى فَانْهُ يَطْعَمُ بِهِمَا جَمِيعًا حِينَ تَدْنِيهِ مِنْكَ وَتَقْبَلُ عَلَيْهِ .

(٢) العذارى : صنف من العنب يشبه بأصابع العذارى لطوله ، يقول : أَنَا كَعَمَلِ تَحْيِيٍّ مُعْتَدِرًا إِلَيْكَ « عنب عذارى » حَلَوُ دُونِهِ فِي الْحَلَاوَةِ رِيقُ الْعَذَارَى .

رثاء ابن ذكوان

« قال يرثي القاضي أبا بكر بن ذكوان . »

أعْجَبَ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْفَ تُحَالُ وَلِدَوْلَةِ الْعُلَيَاءِ كَيْفَ تُدَالُ ^(١)
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى إِنَّ أَغْيَرَ أَرْكَ - بِالْمُنَى - لَضَلَالُ
مَا أُمْتَعَ الْآمَالُ لَوْلَا أَنَّهَا تَعْتَاقُ - دُونَ بُلُوغِهَا - الْآجَالَ ^(٢)
مَنْ سُرَّ - لَمَّا عَاشَ - قَلَّ مَتَاعُهُ فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالسَّرُورُ خِيَالُ ^(٣)

*
* *

فِي كُلِّ يَوْمٍ نُنْتَحِي بِرِزِيَّةٍ لِلْأَرْضِ - مِنْ بُرَحَاتِهَا - زَلْزَالُ ^(٤)
إِنْ يَنْكَدِرُ بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ مُتَقَبُّ فَالْيَوْمَ أَقْلَعَ عَارِضٌ هَطَّالُ ^(٥)
إِنَّ النَّعْيَ « جَهْوَرٌ » وَ « مُحَمَّدٌ » أَبْكَى النِّعَامَ ، فَدَمْعُهُ مُنْثَالُ ^(٦)
شَكْلَانِ - إِنْ حُمَّ الْحِمَامُ - تَجَاذَبَا لِأَعْرَؤَ أَنْ تَتَجَاذَبَ الْأَشْكَالُ ^(٧)

(١) السرو : الشرف والسيادة ، يقول : أعجب لهذا المجد كيف حال عن عهده وتحول ، وإعجب لدولة العلوية كيف دالت وتبدلت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تتمتع به النفس الآمال ، لولا أن الآجال ، تموت دون بلوغ الآمال .

(٣) من سره العيش في هذه الحياة الدنيا فليعلم أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها نيام لا انتباه لهم ولا يقظة إلا بعد الموت إذن فسرورها خيال ، وغرورها باطل .

(٤) ننتحي : نقصد ، يقال انتحاه إذا قصد ناحيته ، والبرحاء : الشدة .

(٥) ينكدر : ينقش ويستقط ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أي تأثرت ، والعارض : السحاب ، يقول : إن موت أبي بكر القاضي جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكركم في البيت التالي لهذا البيت .

(٦) النعي : كمنى الناعي ، من نعى الميب ينعاها إذا أخبر بموته ، ومنثال : من نثر الدمع وغيره استخرجه .

(٧) حم : قدر ، والحمام : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجانسان حم الموت على أحدهما فانتجذب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تتجاذب .

*
* *

وَلَيْ « أَبُو بَكْرٍ » فَرَّاعَ لَهُ الْوَرَى هَوْلٌ تَقَاصَرُ - دُونَهُ - الْأَهْوَالُ
قَرْنُهُ هَوَى فِي التُّرْبِ - تُحْنِي قُوَّتَهُ - لِلَّهِ مَا حَارَ الثَّرَى الْمُنْهَالُ ^(١)
قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقِلُّهُ - هَلْ لِلْسَّرِيرِ بِقَدَرِهِ أَسْتِقْلَالُ؟
الآنَ بَيْنَ لِلْعُقُولِ زَوَالُهُ أَنَّ الْجِبَالَ فُصَارُهُنَّ زَوَالُ
مَا أَقْبَحَ الدُّنْيَا ! خِلَافَ مُودَعٍ غَنَيْتَ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْتَالُ ^(٢)

*
* *

يَا قَبْرَهُ الْعَطِرَ الثَّرَى لَا يَبْعَدُنْ حُلُوٌّ مِنَ الْفَتَيَانِ فِيكَ حَلَالُ ^(٣)
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْحَحَ طَيِّهَ نَضَلُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ - صَقَالُ ^(٤)
فَهُنَاكَ نَفَاحُ الشَّمَائِلِ مِثْلَ مَا طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شِمَالُ ^(٥)

(١) تحنى : نهال فوقه ، والثرى : التراب الندى .

(٢) خلاف مودع : أى بعده ، يقال جاء فلان خلاف فلان أى بعده ، قال تعالى « وإذن لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً » أى خلفك كما فى القراءة الثانية ، والمعنى : ما أفتح الدنيا بعد هذا الراحل المودع الذى كانت الدنيا به تحتال كالعروس المستغنية بحمالها عن الزينة ثم أصبحت بعده قبيحة دميعة .

(٣) الحلو الحلال : من الفتيان هو الفتى الذى لاربية فيه الموثوق به ، قال الشاعر :
« ألا ذهب الحلو الحلال الحلال ومن موله حكم وعدل ونائل . »

وقال الآخر :

« رأيت رباطاً حين تمّ شبابيه وولى شبابه لى فى بره عتب

إذا كان أولاد الرحل حرازة فأنت الحلال الحلو والبارد العذب . »

والمعنى : يا قبره الشدى العطر ثراه لا سعدن بك من الفتيان ذلك الفتى الحلو الحلال أى الذى لاشك ولا ربية فى رجولته وفنوته .

(٤) ما أب أيها القبر إلا حفن طوى فيه فتى كنهل السيف صقل بصقال الشباب .

(٥) هناك أى فى ذلك القبر وورى فتى شمائله وطباعه تنعج بأنواع العطر مثل ما هب بأنفاس الرياض ربح الشمال .

دَانٍ مِّنَ الْخُلُقِ الْمُزِينِ ، نَارِحٌ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالٌ ^(١)
شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَعْمَهَا الْجِرْيَالُ ^(٢)

* * *

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودَدِ الْأَمْثَالُ ^(٣)
نَقَصَتْ حَيَاتُكَ حِينَ فَضْلُكَ كَامِلٌ هَلَّا اسْتُخِيفَ إِلَى الْكَمَالِ - كَمَالٌ ^(٤)
وُدَّعْتَ عَنْ عُمْرٍ عُمَرَتْ قَصِيرَهُ بِمَكَارِمِ أَنْعَمَارُهُنَّ طَوَالُ
مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجْهَلَتْ حُلَمَاءُهُ الْجُهَالُ ^(٥)
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ لَقَلَّ مِرَاؤُهُمْ لِأَغْرَفٍ فِيهِ - مَعَ الْفَتَاءِ - جَلَالُ ^(٦)

(١) دان : قريب من كل خالق جيد يزيه ، نارح : عيب من كل يدل فيه عليه لوموه واحدة وعيب ، ولفظه كلفظ قول الشاعر :

« إذا أنت لم تعص الهوى فادك الهوى إلى عص ما فيه عليك مقال . »

(٢) جريال الخمر : حرمتها الشديدة ، قال الأعشى :

« وسديئة مما تعنى بالى كدم الدبج سلتها جريالها . »

ومعنى سلتها جريالها - أى لونها وحرمتها - أن لونها ظهر على وجهه حين شربها ولكنها حين خرجت منه عند البول خرجت بيضاء ، ونطاق الجريال والحريالة على الخمر نفسها ، قال ذو الرمة :

« كأنى أحو حريالة باليلة كبيت تمشت - فى العظام - شمولها . »

وفالو فى السلاف - وهز أول ما يجرى من ماء الغنم من غير عصر ولونه أصفر - إنه أحود من الجريال . قال المتنبي :

« ولقد خبأت من الكلام سلافة وسقيت من نادمت من جريانه . »

ومعنى البيت الذى نحن بصددده : ناس إحسان شيمك وخلالك حسنهما كما ناس لون الراح طعمهما ، حين جمعت إلى لذة الطعم حسن اللون .

(٣) وفى الأصل : « يامس شاء . »

(٤) طاحتك المية فى الوقت الذى كل فيه فصلك ، فهلا نىء فى عمرك حتى تستصيف كمالا إلى كمالك .

(٥) الندى : المجلس ، واستجھلت نسبهم إلى الجهل ، والحلماء : أصحاب الأحلام أى العقول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لاحتفمت فلم يماروك ويمجادوك إذعانا لأغر فيه مع فناء السن وقار وهيبة .

* * *

مَنْ لِلْعُلُومِ؟ فَقَدْ هَوَى الْعِلْمَ الَّذِي وَسَمِتَ بِهِ أَنْوَاعَهَا الْأَغْفَالُ ^(١)
 مَنْ لِلْقَضَاءِ يَعْزُ ^(٢) - فِي أَثْنَائِهِ - إِضْطَاحُ مُظْلِمَةٍ لَهَا إِشْكَالُ؟
 مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟ هَلَكَ الْأَبُ الْحَانِي وَضَاعَ الْمَالُ!
 أَعَزُّ بَأَنٍ يَنْعَاكَ نَعَى شِمَاتَةٍ لِلْأُولِيَاءِ الْمَعَشَرُ الْأَفْتَالُ ^(٣)
 جُمِعَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا لَيْتَ الْحُسُودَ فِدَاكَ فَهَوُ ثِقَالُ ^(٤)

* * *

زُرْنَاكَ لَمْ تَأْذَنْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ مَا كَانَ مِنْكَ لَوَاجِبِ إِغْفَالُ
 أَيْنَ الْحَفَاوَةُ رَوْضُهَا غَضُّ الْجَنَى أَيْنَ الطَّلَاقَةُ بَشْرُهَا سَلْسَالُ
 أَيَّامَ مَنْ يَعْزِضُ عَلَيْكَ وَدَادَهُ يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالُ
 مَهْمَا نَفْبِكَ لَا تُزْبِكَ وَإِنْ تَزُرُ رِفْهًا فَمَا لِزِيَارَةِ إِمْلَالُ ^(٥)
 هَيْهَاتَ لَا عَهْدَ - كَعَهْدِكَ - عَائِدٌ إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالُ

(١) العلوم المتروكة لصعوبة الخوض فيها لإعلى أمثاله من الباحثين .

(٢) يقل ويمتنع فلا يوجد لاشكها حل .

(٣) أعزز : أعظم على نفسى منعاك نعى شماتة أى يعز على ويشق على نفسى أن ينمك الأفتال أى الأعداء نعى شماتة لأوليائك وأصفيائك .

(٤) قطب الرضى : الحديدة القائمة فى وسط الرضى السفلى ، وهو الذى يدور عليه طبق الرضى العليا ، جعل للإسلام رضى هو قطبها الذى تدور عليه ، يعنى أن عليه نظام الإسلام ، ومدار الأحكام ، والثقال ما يوضع تح الرضى من جلد ونحوه لبقى ما سقط عند الطحن من التراب ، وهذا لا يكون إلا فى رضى اليد ، فال زهير . « فتمرككم عرك الرضى بفالها » ، والمعنى لجف الإسلام نقطب العلماء ، ورئيسهم ، وليت الحسود كان فداء لك فمرك الموت عرك الرضى فوق فغالها أى ليت رضى الموت دارت على حاسدك وشانك .

(٥) نفبك : الاغياب أن تزوره يوما ونفبه أى تنقطع عنه يوما أو أياما ، وردها : هو من ورود الابل ردها وهو أن ترد الماء كلما شامت الورد ، والمعنى : مهما انقطعنا عن زيارتك لم ترتب فى ودنا ، وإن زرتناك ردها وفى كل وقت لم تسأم ولم تمل الزيارة .

فَازْهَبْ ذَهَابَ الْبُرِّ أَعْقَبَهُ الضَّنَى وَالْأَمْنِ وَاقَتْ بَعْدَهُ الْآجَالُ ^(١)
لَكَ صَالِحُ الْأَعْمَالِ إِذْ شِيعَتَهَا بِالْبُرِّ سَاعَةً تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ

حَيًّا الْحَيَا مَثْوَاكَ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى صَاحِي ثَرَاكَ - مِنَ النَّعِيمِ - ظِلَالُ ^(٢)
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَامَتْ بِهِ سَاعَاتِكَ الْغَدَوَاتُ وَالْأَصَالُ ^(٣)
وَلَيْتَ أَذَلِكَ - بَعْدَ طُولِ صَيَانَةٍ - قَدَرٌ، فَكُلُّ مَصُونِهِ سَيُذَالُ ^(٤)

سَيَحُوطُ مَنْ خَلَفَتْهُ مُسْتَبْصِرٌ فِي حِفْظِ مَا اسْتَحْفَظَتْهُ لَا يَأْلُو
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِجَبْرِ هِمِّ ابْنِ الْوَزِيرِ - لِيُثْلِهَا - فَعَالُ
مَلِكٌ سَجِيَّتُهُ الْوَفَا فَالَهُ بِالْعَهْدِ - فِي ذِي خُلَّةٍ - إِخْلَالُ
حَتْمٌ عَلَيْهِ لَمَّا ^(٥) لِعَثْرَةِ حَالِهِمْ قَدْ تَعُرُّ الْحَالَاتُ ثُمَّ تُثْقَلُ

إِيهَا بَنِي ذِكْوَانٍ - إِنْ غَلَبَ الْأُسَى - فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَالُ
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّبُّبَالُ ^(٦)

(١) اذهب على رغم منا ذهاب العافية جاء عقبها المرض ، والأمن وافي بعده الأجل .

(٢) الحيا : اللطيف ، والمثوى ، القبر ، وضاحي ثراك : أى ثراك الضاحى أى البار للشمس .

(٣) اعتامت : اختارت ، ومنه قول طرفة :

« أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عتيقة مال الفاحش المتشدد . »

والمعنى : اعتامت أى اختارت العدوات والأصال ساحات القبر وآثرتها بمرور السيم العليل .

(٤) أذاك : أهانك ، أى لئن امتنك القدر بعد طول صيانته ، فكل مصون لم تمتد إليه يد القدر

سيذال ويهان يوما من الأيام .

(٥) دعاء للعائر أن يقبضه الله من عثرته ، وإذا قيل « لالعا للعائر » فعناه لاأفاله الله من عثرته .

قال ابن دريد :

« فان عثرت بعدها - إن وألّت نفسى من هاتا - فقولاً : « لالعا »

وإن تكن مدتها موصولة بالحنف ، سلطت الأسى على الأسى . »

وقال الأخطل :

« فلا هدى الله قيسا - من ضلالتهم - ولا لما لبي ذكوان إذ عثروا . »

(٦) الساهور : دارة القمر ، والرببال : الأسد .

في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله

أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

أَعْرِفُكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيحِ ؟ فَهَرَّ مِنَ الْهُوَى عِطْفَ ارْتِيَاحِي ^(١)
وَذَكَرُكَ مَا تَعَرَّضَ أَمْ عَذَابُ ؟ غَصِصْتُ عَلَيْهِ بِالْعَذْبِ الْقَرَّاحِ ^(٢)
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقٍ - هَفَّتْ بِالْعَقْلِ - أَوْ نَشَوَاتِ رَاحِ ^(٣)
لَعَمْرُ هَوَاكَ مَا وَرَيْتَ زِنَادُ لَوْصِلَ مِنْكَ طَالَ لَهَا أَقْتِنَادِحِي ^(٤)
وَكَمْ أَسْقَمْتُ - مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ - بِسِقْمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ

مَتَى أَخِفَ الْغَرَامَ يَصِفُهُ جِسْمِي بِالسِّنَةِ الضَّنَى الْخُرْسِ الْفِصَّاحِ ^(٥)
فَلَوْ أَنَّ الْيَّابَ فُحِصَّنَ عَنِّي خَفَيْتُ خَفَاءَ خَصْرِكَ فِي الْوِشَاحِ

(١) العرف : بالفتح الرائحة الطيبة ، والعرف : بالضم واحد أعراف الرياح وهي أوائها وأعالها ،
والعطف : الجانب ومائته به إذا عطفت على شيء حنوا وإشماما ، وتحركه إذا هزتك أريحية ، والمعنى :
أمرتك وطيبك سرى إلى أوائل الرياح التي هبت مائجة من ناحيتك ، فتدنى نحوك بمادفة الهوى والارتياح .
(٢) غصصت : كثرت بالماء وزنا ومعنى ، أو وقف في حلقه فلم يسبه ، والقراح : الماء الذي لم يخالطه
غيره ، يقول : وهل ما تعرض ذكرك أم عذاب شرقت لأحله بالماء العذب الذي لم تشبه شاة فلم أسفه ، وفي
الأصل « وذكرك ما تعرض أم عداد »

(٣) نشوات : واحدها نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائله ومقدماته ،
وهفت بالعقل : ذهبت به ، يقال : هفت الريح بالشيء تهفو أي ذهبت به ، والمعنى . هل أنا من أجل هواك ،
وبسبب ذكرك ، في نشوات من ربح الشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقلي وأذهبت لبي .

(٤) أقسم بهواك إن طول اقتداسي لزناد الوصل لم يور نارا .

(٥) في الوقت الذي أخفى فيه غرامي عن العادلين بمن على تحول جسمي بالسنة المرض الخرساء المنفصحة .

لَلْقَيْنَا مِنَ الْوَاشِينَ حَتَّى رَضِينَا الرُّسُلَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ ^(١)
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنَ فَوْقِي فَنُبْتُ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ ^(٢)
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَقَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - فَدَيْتُكَ - أَوْ جَنَحْتُ إِلَى الْجَنَاحِ ^(٣)

*
* *

وَكَيْفَ أَلْجُ لَا يَثْنِي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزَمِ عَنْ غَيِّ الْجِمَاحِ ^(٤)
وَمِنْ سِرِّ ابْنِ « عَبَّادٍ » دَلِيلُ بِهِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الصَّلَاحِ
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَرَّتْ خِلَالُهُ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاحِي
هُمْ أَمْ خَطَّ - بِالْهَمَمِ السَّوَامِي - مِنَ الْعَلْيَاءِ فِي الْخُطَطِ الْفِسَاحِ ^(٥)
أَغْرَتْ إِذَا تَجَهَّمَتْ وَجْهَهُ دَهْرٍ تَبَلَّجَ فِيهِهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحِ ^(٦)

(١) لقد تعلمنا من الواشين حيلهم في الوقوف على مكنوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نقنع بأن تكون
أنفاس الرياح بريداً يحمل عنا رسائل الحب والغرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :
« أجبني كم لي نحوكم من تحية أهلها هبات كل حبوب
فلا تتركوا رد السلام إذا حرت شمال على نائي المحل غريب . »
(٢) كثيراً ما أرخى الليل علينا سدوله ، فبيت في ظلامه عن الصباح إلى أن أسفر الصباح وقرب من
هذا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أقام رواقاً فأقن الصباح فيه عموداً . »

(٣) لم تعد نفسي في تلك الليلة التي نعمت فيها بالحبيب حدود العفاف ، ولم تمل إلى ارتكاب ما يخالف
طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وحناح ، وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :
« كم قد خلوت بها وثالثنا التي يحمي على العطشان برد المورد . »

(٤) في هذا البيت والذي بعده تلحس من الذئب إلى المدح حيث يقول : كيف أُلج في الهوى ، وأتمادى
في اللي ، ولا يثنى عنان جامعي اعتزاي الرشيد ، في حال أن لي من سر « ابن عباد » وقوة نفسه دليل
عرفت به الرشيد من اللي ، والصلاح من الفساد .

(٥) خط : اختط الأرض وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لبيها ، والخطط :
جمع خطه بكسر أولهما ، وهي الأرض التي يختطها لنفسه ليدي عليها .
(٦) اللياح : بكسر وفتح أوله الأبيض التلألؤ .

سَمِيعُ النَّصْرِ لَاسْتِعْدَاءِ جَارٍ
صَمُّ الْجُودِ عَنْ تَقْنِيدِ لَاحٍ^(١)
صَرَائِبُ جَهْمَةٍ - فِي الْعَتَبِ - تُتَلَّى
بِأَخْلَاقٍ لَدَى الْعُتْبَى مِلَاحٍ^(٢)
إِذَا أَرَجَ الشَّاءُ الرَّوْعُ مِنْهَا
فَكَمَّ لِلْمِسْكِ عَنْهُ مِنْ أَفْتِضَاحٍ
هُوَ الْمُبْقَى مُلُوكِ الْأَرْضِ تَدْعَى
قُلُوبُهُمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
رَأَاهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْعَطَايَا
وَأَطْمَنَ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّمَاحِ
وَأَفْرَسَ لِمَنْابِرِ الْمَذَاكِي
وَأَمْنَعَهُمْ حِمَى عَرَضِ مَصُونٍ
فَرَّاضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأَدَّتْ
وَأَمْنَعَهُمْ حِمَى عَرَضِ مَصُونٍ
« لِمُعْتَصِدٍ » بِهِ أَرْضَاهُ سَمِيًّا
فَنَ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا
وَأَمْنَعَهُمْ حِمَى عَرَضِ مَصُونٍ
كَمَنْ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَّاحٍ^(٣)
إِلَيْهِ إِتَاوُهُ الْحَيَّ اللَّقَاحَ^(٤)
فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ^(٥)
فَنَ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا^(٦)

(١) الاستعداد : الاستعانة وطلب المساعدة ، والتنفيد : اللوم وتصنيف الرأى ، ولاح : اسم فاعل من لجاه يلجاه إذا لاه وعذله .

(٢) صَرَائِبُ : سجايا وطبائع جمع ضريبة ، وجهمة : طابسة من جهمة إذا استقبله بوجه كرهه ، والعُتْبَى : الرجوع إلى ما يرضى العاتب . وفي المثل « لك العتبي ولا أعود » أى لك مى أن أعبتك أى أرضيك ولا أعود إلى ما يسطئك .

(٣) أفرس : أعمل تفصيل من الفراسة والفروسة والفروسة وهي الحذق بركوب الخيل ، وفي المثل : أفرس من ملاعب الأسنة ، وأفرس من حاسر ، وأفرس من بظام ، والمذاكي : الخيل التى أتى عليها بعد تمام السن أى - بلوغها النهاية فى الشباب - سنة أو سنتان ، والمعنى أنه أحذق الملوك باعتلاء المناير وركوب الخيل وأبهاهم لباسا ولبوسا فى السلم والحرب .

(٤) الاتاوة : الحراج وكل ما أخذ بكره أو فرض من أموال الجباية ، والحى اللقاح : فى اللسان قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء أنشد ابن الأعرابي :

« لعمر أيبك والأناء تنمى لنعم الحى فى الحلى رباح
أبوا دين الملوك فهم لقاح إذا هيجوا إلى حرب أشاعوا . »

(٥) أقبل وجهه : من قولهم أقبلته الشئ أى جعلته يلى قبائله وجهته والمعنى أن سكان الحواضر والبوادي دانوا بالطاعة « لمعتصد » بالله أرضن مولاه مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أى جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض ظاهرة .

وَمُعْتَقِدُ الرِّيَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُعْتَقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي « سجاح » بنت الحرث بن سويد بن صفوان التميمية ، وكانت تسكن الجزيرة في أخوالها من بني تملب ، فادعت النوبة وخرحت تريد غزو المدينة في عهد « أبي بكر » رضى الله عنه ، وحرث بينها وبين مسلمى قومها - من بني تميم - حروب انتهت بهزها عما اعتزمت من الذهاب إلى المدينة لنزوها ، فاقبلت إلى البغامة وتقاتلت مع مسيلة ، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الجزيرة وبقيت في أخوالها - من بني تملب - إلى أن قتلهم « معاوية » عام الحجابة : وحاءت معهم فاسلموا وأسلمت وحسن إسلامهم .

حروب الردة وقصة سجاح ومسيلة

وقد كتب المؤرخ « دوزى » كلمة ممتدة عن « سجاح » - « مسيلة » وعن حروب الردة في كتابه القيم : « تاريخ الإسلام » وقد نشرنا بعض مصوله في كتاب « مختارات كامل كيلاني » ، ونحن نختار منه بما يلي : كان الوقت صعباً ، وكانت الظروف غاية في المرح ، فقد كان موت النبي صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تترنبه العرب منذ زمن طويل ففارغ الصبر - مؤذناً بالثورة في كل مكان ، ولقد كبت ترى الثائرين - في حتما ذهبت - راضين فلم الثورة والتمرد ، وقد رجحت كفتهم أيما رجحان حتى لقد طردوا رلائهم من بلادهم ، فلم يجد هؤلاء أمامهم ملجأ إلا المدينة ، فتقاطروا عليها من كل فج يحتمون فيها من أذاهم . وكان لا يمر يوم حتى يفد على المدينة بعض الولاة والعمال المطرودين ، وأعدت القنائل الجارة المدينة عدتها لحصارها .

مكيف يفاوضهم « أبو بكر » وليس لديه حش محاربهم به عهد أن أرسل جيشه إلى سوريا ليفتحها تنفيذاً لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - برغم صحة المسلمين الذين رأوا خطورة الحال ، فقد أخوا عليه أن يعدل عن تنفيذ فكرة الفتح حينئذ ، فقال لهم - : « إن أخاف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصبحت المدينة نفسها نهياً للثائرين والمتردين ولابد لي من تحقيق مشيتي ! »

ومن ثم ترى المظهر العظيم نادياً على أنه - على الحقيقة - خطر أقل مما تدل عليه ظواهره ، فإن قوة الحضم الحقيقية لانقاس بما لديه من عتة ورجال بل بما عساه من قوة معنوية ، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتدلى إليها ويخوض غمار الحرب من أجلها بأذلا في سبيلها النفس والمغيس .

فما هي العاية التي يسي إليها الثائرون ؟ وأى حامر يذهبهم إلى إضرام هذه الحرب ؟

أهو لإيمان وثيق متوشح في أعماق قلوبهم كإيمانهم الذي كانوا عليه قبل المشة ؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم !

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، فأنهم لا يحاربون الآن لينصروا دينهم انقديم ويؤيدوه ، بل هم يشدرون على دينهم الجديد لأنهم لا يطمقون احتمالاه .

وليس هذا بالسبب القوي الذي يلهب حماسهم ويحفزهم إلى الانياا بمجلائل الأعمال ، ولا هو بالسبب الذي يخلق البطولة والأبدال ، فقد كان رؤساء القبائل المتردة أنفسهم شاعرين كل الشعور بصعف قوتهم المعنوية ، ملجأ بعضهم إلى فكرة سخيفة حسوا أنها تعيد إليهم تلك القوة ، فادعوا النبوة ! وخبل إليهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم ينجح إلا بهذه الفكرة فأرادوا تقليده .

ولكنهم نسوا أمراً واحداً - هو سر نجاحه في بث دعوته - ذلك أنه كان مؤمناً بما يدع إليه لإيمان المستيقن الجازم . وهذا هو الذي يعوزهم وينيره لا يتم نجاح .

أُبْحَرَ الْجُودُ - فِي يَوْمِ الْعَطَايَا - وَلَيْتَ الْبَأْسُ فِي يَوْمِ الْكَفَاحِ

وكانت تلك الثمرة الهائلة وتلك الحرب الشعواء - على ما أريق فيها من دماء غريبة إذا قورنت بما أناه المسلمون في غزواتهم التي عن باب الاسلام - ظاهرة سحيقة مصحكة ، يتمثل فيها الانسان - غير قصد - كيف قلبوا تمثيل هذه الرواية الجدية - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهزلة وعبثاً ! ألا ترى إلى مسيلة لدى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في اليمامة ؟

ألا ترى إلى ذلك الدجال السوقي النعس ، ذلك المشعوذ السمح الذي لا يصلح لمير التدجيل وإدخال بيعة في زجاجة ضيقة الفوهة ؟ ألا ترى إليه ينشئ ، قرآناً سحيفاً يقلد به محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخس لأتباعه في شرب الخمر أنى شاءوا ، ولا يكاد ينشر دعوته حتى يصادفه سوء الحظ فتحاصره « سجاح » وتنازعه السوء ؟

أما « سجاح » هذه فقد كانت مسيحية نشأت في « بلاد النهرين » وجاءت تبث الدعوة لنفسها - على رأس جيش عظيم قاداً يصنع مسيلة ؟

ليس أمامه إلا أن يلجأ إلى طريق المسألة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودعاهما إلى عاداته ، وطلال بينهما الحوار .

ولما عادت « سجاح » إلى قومها سألوها عن رأيها في « مسيلة » فقال لهم :

« لقد رأيته نبياً حقاً فتزوج منه ! »

مسألها التميميون : - « هل أهدى إلينا شيئاً من مهر الزواج ؟ » فقالت : « لا » فقالوا لها :

« طار علينا أن نزوج ببيتنا بلا مهر ! وإن تقبل ذلك بحال ما ! »

فأرسلت إليه بذلك - وكان « مسيلة » حائماً متحصناً - فلما جاءه الرسول لم يأذن له حتى عرف العرض الذي جاء من أمته فاضمأ إليه وقال له :

« عد إلى قومك فأخبرهم أن « مسيلة بن حبيب » رسول الله قد رفع عن التميميين - من الصلوات الخمس - صلاة الصبح والمشاء »

وانقد فرح التميميون بذلك وطلوا يتبعونه حتى بعد أن عادوا إلى الاسلام من حديد .

ومن ثم ترى أن هؤلاء التائرين ليس لهم غتيدة جديدة يدافعون عنها ، فلاغرو إذا قهرهم رجل كأبي بكر وبقى الايمان قوى الارادة صلب العزيمة لا يعرف هوادة في إرغام أوثومهم ولا رحمة !

ولو شاء أبو بكر أن يهذم لتنازل لهم عن قليل من مطالبه فكسب بذلك مساعدة كثير من القبائل - أو سن حياتهم على الأقل - فقد وعدوه بالمواظبة على إقامة الصلاة المفروضة عليهم على شريطة أن يعفيهم من إيتاء الزكاة ، ونصحه أعيان المسلمين أن يقبل ذلك منهم فرفض رأيهم بإباء شديد ، وقال لهم :

« إن الاسلام قانون واحد لا يتجزأ ، وليس لأحد أن يأخذ ببعضه ويرفض البعض الآخر . »

ونذكان هذا الاصرار الحازم وذلك الحق الشديد على أهل الردة - سبباً في منحه قوة أكثر مما تتصور .

ولم يكد ينتهي من إخصاع القبائل المجاورة له حتى بدأ يهاجم « طليعة » الذي كان بطلا من قبل وقد جاء يدعي الخبثوة كميده ثم جبن عن دخول المعركة فظل يرقب الحرب - وهو بعيد عن الميدان - مدتراً في عباته

لَقَدْ سَفَرْتَ بِمِلَّتِكَ اللَّيَالَى لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةٍ وَقَاحٍ^(١)

كأما يؤمل أن ينزل وحى من السماء أو تحدث معجزة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقعت المعجزة - إذ بدأت تنهرم قبيلته أشنع انهزام - وحينئذ صاح في جنده « احتذوا حذوى إن استطعتم . » ثم امتدلى جواده وأطلق له العنان وأمن في دراره .



وكانت تلك المعركة التي اصطلاها المسلمون معركة مروعة هائلة ، وفي الحق أن الدماء التي أريقَت في هذه الحرب كانت أكثر مما أريق في تلك الحروب الفاحشة التي نشبت - فيما بعد - بين المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، بعد اقتراف العرب من العطايع في هذه الحرب « حرب الردة » شنعاً لم يعرفها الاسلام قط . فكأولاً إذا انهزم العدو تقبوه ونكلوا به . لأن الردة حراؤها القتل ، لا هوداة في ذلك ولا رحمة ، وقد بعث أبو بكر إلى خالد يأمره بقوله - :

« عليك بإبادة الكفر بالحديد والدار ، ولا تأخذ بك رحمة بهم قط »



ولقد انهزم أصحاب « مسيلة » - وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل - ومرتفعهم المسلمون شرّ ممرّ قى ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء !

ولكن الاسلام قد خرج من تلك الماركة - الناشئة في كل مكان - مؤبداً منصوراً ، ودان به العرب بعد ذلك . - طوعاً أو كرهاً - فقد اتفقهم خذلانهم بوجوب الاعتراف بالدين الاسلامى ، إن لم يكن اعتراف المتقين المؤمنين فاعتراف الحائث الذي يعرف قوّة هذا الدين المعجزة التي لا تحدى معها أية مقاومة .

بعد النصر

ولم يكد يتم انتصار أبى بكر حتى وحى هؤلاء البدو الدماثين إلى الدماء ، إلى مهاجمة فارس : الامبراطورية الرومانية ، وهذا العمل - عند من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها - حراة وتبور ، ولكنه - على الحقيقة - رزاة وتغل .

ولمّا سار أبو بكر في هذا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وحى أن يشل العرب عن التفكير في خصوعهم ولا يدع لهم وقتاً كافياً لذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من العناء .



وهكذا انتهت حروب الردة ولم تقم للمرتدين بعدها قائمة ، فقد كان عقاب الردة القتل ، ومن هنا تظاهر الناس بالاسلام ووقفوا عند هذا الحد .

وعن - إذا استتبنا صفرة المسلمين ونواتهم المؤلفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يمتون إليهم بسبب - لم نجد بعد ذلك من يعرف القرآن وتعاليمه إلا عدداً غايّة في القلة . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا فقد ظلوا - حتى بعد مضى قرن من الهجرة - لا يعرفون من الاسلام أكثر من أنه دين أتى بتحريم الخمر .

أما أولئك الذين استوطنوا مصر فاتهم ما تحدثوا عن الاسلام أو شلوا به أنفسهم قط . وكانوا لا يدركون إلا أيام الوثنية وعهودها الخلبية بالشاء والخبيث .

(١) وقاح : صلبة الوجه لحياء فيها ، يقال رجل وقيح الوجه ووقاح الوجه صلبه لحياء فيه ، والأنثى وقاح بغير هاء .

أَلَسْتُ مُصِحِّهَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ ؟ وَمُبْدِي حُسْنِ أَوْجُهِهَا الصَّبَاحِ
وَلَوْ كَشَفْتُ عَنْ الصَّفَحَاتِ شَامَتِ بُرُوقَ الْمَوْتِ مِنْ بَيْضِ الصَّفَاحِ (١)

*
*

وَقَاكَ اللَّهُ مَا تَحْشَى وَوَالَى عَلَيْكَ بِضْنُهُ الْمَغْدَى الْمَرَّاحِ (٢)
فَلَوْ أَنَّ السَّمَادَةَ سَوَّغْتَنَا تَجَارَتْهَا الْمِلْثَةُ بِالرَّيَّاحِ
تَجَافَيْنَا عَمِيدَكَ عَنْ نُفُوسٍ - عَلَيْكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ (٣)
ثُمَّنَّا فِيكَ بِالْبُرءِ الْمَوْفَى وَتُبْجُجُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَزَاحِ

*
*

فَدَيْتُكَ كَمْ لِعَيْنِي مِنْ سُمُورٍ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طَمَاحِ
أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ فَارَقْتُ أَنَّى بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفُلُ الْمَرَّاحِ (٤)
وَأَنَّى - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانٍ نَدَى الْأَصَالِ رَقْرَاقِ الضَّوَاحِي
تُحْيِي بَرِيحَانِ التَّحْنِي وَتُصْبِجُنِي مُعْتَقَةُ السَّمَاحِ (٥)
فَهَا أَنَا قَدْ تَمَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذِ اتَّصَلَ اغْتِبَاقِي فِي أَصْطِبَاحِي

(١) لو كسفت هذه الليالى ، وأبدت عن صفحة الشر والعداء لشام سيف بأس المدح
تلمع ببروق موت وحلاك تلك الليالى التى فأحأتنا بمرضه ، بعد أن أصحها من كل داء وخلع عليها
من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقاك الله ما تحشى من عارض المرض وعصك من كل محذور ومخوف ، وتمهدك بجميل صنعه المغدى
المراح أى الذى يجعله يسدو عليك فى أوله النهار ، ويروح فى آخره ، فلا يغبك ضيقه ، ولا يتغلف
عنك إحسانه .

(٣) الضى : السقم ، وحرى : عطشى ، وشحاح : جمع شحيحة من الشح وهو البخل .

(٤) الرذل : جر الدبل وركضه بالرجل ، يقول : ألا هل أنى من فارقت من فتان « قرطبة » أنى
أجر ذيل مرح وأرذل فى ثياب النعمة وقضارة العيش .

(٥) التحنى : الحفاوة ، والسماح : الجود .

فَإِنْ أَعْجَزَ فَإِنَّ النُّصْحَ تَقَفَ وَإِنْ أَشْكُرْ فَإِنَّ الشُّكْرَ صَاحَ
لِمَا كَسَبْتَ قَدَرِي مِنْ سَنَاءٍ وَمَا لَقِيتَ سَمِيٍّ مِنْ نَجَاحٍ

* *

لَقَدْ أَنْفَذْتَ - فِي الْأَمَالِ - حُكْمِي وَاجْرَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاحِي
وَهَلْ أَخْشَى وَفُوعًا - دُونَ حَظِّ - إِذَا مَا أَثَّرَ رِيْشُكَ مِنْ جَنَاحِي
فَمَا أُسْتَسْقِمْتُ مِنْ غَيْمٍ جَهَامٍ وَلَا أُسْتَرَوِيْتُ مِنْ زَنْدٍ شِحَاحٍ
وَوَاصَ - لَمَنِي جَمِيلُكَ - فِي مَغِيْبِي - وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ اقْتِرَاحِي
وَلَمْ أَنْفَكْ - إِذْ عَدَّتِ الْعَوَادِي - إِلَيْكَ رَهْنِ شَوْقٍ وَالْتِيَا حِ
فَحَسْبِي أَنْتَ - مِنْ مُسَدِّ لِنُعْمِي - وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرٍ وَأَمْتِدَاحِ

هدية تفاح

« وأهدى إليه تفاحا وأراد أن يكتب معه قطعة ،
فدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً وَفَدْتَ خَيْرَ وَافِدَةٍ
وَجَدْتَ سُوقَ ذَوْبِهَا - عِنْدَ تَقْوَاكَ - كَاسِدَةً
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ وَجَاءَتْ مُكَايِدَةً

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الشَّمُولِ فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ وَلَمْ تَنْلِ حَظَّ الْقَبُولِ

فَتَجَبَّامَدَتْ مُخْتَالَةً وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَاحْوِيلَ^(١)
لَوْلَا انْقِلَابُ الْعَيْنِ سُدَّتْ دُونَ بُعَيْتِهَا السَّبِيلَ^(٢)
لَهَجَرَتْهَا صَفَرَاءُ فِي بَيْضَاءَ هَاجَرُهَا قَلِيلَ
الْكَأْسُ مِنْ رَأْدِ الضُّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفْلِ الْأَصِيلِ
آثَرَتْ عَائِدَةَ الثُّقَى وَرَغِبْتَ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ
يَأَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَا فِي الْمُلُوكِ لَهُ عَدِيلُ^{***}
يَا مَاءَ مَزْنٍ ، يَا شَهَا بَ دُجْنَةٍ^(٣) ، يَا لَيْثَ غِيلِ
يَا مَنْ نَحْبِبُنَا أَنْ يَجُوءَ دَ بِمِثْلِهِ الزَّمَنُ الْبَحِيلِ
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِقْبَالِ ظَلِيلِ
رَقَّتْ كَمَا سَالَ الْعِذَا رُ بِجَانِبِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ
وَتَأَوَّدَتْ كَالْعُضْنِ قَا بَلْ عِطْفُهُ نَفْسُ الْقَبُولِ^(٤)
يُضَيِّ مُقْبَلُهَا الشَّهِي وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْعَلِيلِ
فَتَمَلَّهَا^(٥) فِي الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءَ وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ

(١) الحويل : الخيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا وخالة ، قال دؤاد يماذب زوجته :

« حازلت - حين صرمتي - والمرء به - حمر لا الخاله
والدهر يلمت نالفتي والدهر أروغ من ثماله
والمرء يكسب ماله بالشح ، يورثه الكلاله . »

وفي المثل المشهور : « لمارء يعجز لا الخالة » أو « لا خالة » في رواية أخرى ، أي لا تصيق مخارج الأمور
إلا على العاقر الذي لا يعرف وحوه الخيل . ويقال : احتال وتحيل وتحول ، قال أبو العلاء :

« لا يعجبك خليل - فام في ملا بخطبة - ذات معناها وطولها
فما المظلات - وإن راعى - سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها . »

(٢) يقول : لولا انقلاب عينها من ذائبة إلى جامدة اسدت دون ما تنبيه من إهداء نفسها إليك السبيل
لأنك لا تنبج لها أن تزور مجلسك وهي دائبة . (٣) يقال يوم دجنة ، والدجنة : الظلمة والغيم المطبق
الريان المظلم لا مطر فيه . يقول : إليك نور تبدد الدياسى والظلمات .

(٤) القبول : ريح الصبا ، قالوا وذلك بأنها تقابل الدبور . (٥) انعم بها .

شكر على زيارة

« قال يشكر المعتمد على الله أبا القاسم محمد

ابن المعتض بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد

شرفه بالعبادة في بعض علله . »

لَسْتُ بِالْجَاحِدِ آلاءَ الْعِلْمِ كَمْ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُدْنِي الْأَمَلِ
أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَذَرَ الْعَلَا مُشْرِقًا فِي مَنْزِلِي حِينَ كَمَلِ
حُلَّةُ الْأَبْسَ عَيْنِي فَخَرَهَا فَأَغْبَدْتُ تَرْفُلُ فِي أَهْنِي الْحُلَلِ
رَفَّ بِشَرِّ الْأَفْقِ فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ^(١)
مَا أَتَالِي مِنْ زَمَانٍ بَعْدَهَا إِذَا صَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جَسَمِي أَعْلَ^(٢)

أَيُّهَا الْمَوْلَى لَقَدْ حُمِلْتُ مَا لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعٍ عَبْدٌ مُحْتَمَلِ
وَضَحَّ الطُّوقُ الَّذِي حَلَّيْتَنِي قَرَأَتْهُ نَفُوسٌ لَا مُقَلَّ^(٣)
أَنَا لَوْ طُوِّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا أَنْجُمَ الْجُوزَاءِ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ
كَمْ مَرَادِي - مِنْ نَعْمَائِكُمْ - وَارِفَ الظِّلِّ وَكَمْ وَرِدَ عِلَلِ^(٤)
لَا تَزَلْ دَوْلَتُكُمْ مَبْسُوطَةً بَسْطَةً فِي طَيْهَا قَبْضُ الدُّوَلِ
وَرَأَى الْمُتَضَيِّدُ الْمَنْصُورُ مَا أَنْبَأَتْهُ فِيكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلَّ
فَسَلَّمَ لِقَاءَهُ اللَّيَالِي طَلَمَةً بِتَفَارِيْقِ أَمَانِيهِ جُمْلِ^(٥)

(١) الحمل : برج في السماء من البروج الربيعية ، يقول إن الأفق أشرق بنوره وازدان يبهانه لايها الشمس التي حلت في برج الحمل .

(٢) يقول : لا أتألى بعد أن صحت نفسي بزيارته وتشريفه منزلي إن أرض الدهر حسمى .

(٣) يقول : إن إحسانك الذي طوقت به عني قد وضع للهوس للعبون . وفي الأصل : تماء به من مأى في الشيء يمأى مأيا بالغ وتماى الخلد إذا مددته ، وقد سبق له هذا المعنى في قوله :

« يا هلالا تقرأ • نفوس لاعيرن . » انظر صفحة ٣٩ .

(٤) العلل : الشرب الثاني ويقال علل بعد نهل أى شرب ثان بعد شرب أول أى أنه ورد حياض كرمه

مرة بعد أخرى . (٥) أى سينيله الدهر جملة أمانيه المنفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حققه له .

تهنئة

« وقال يهيه أيده الله بقدم وإبلال » .

إَقْدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيْسُ أَلْبَا كِرُ
قَسَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَنَقَى الْأَسَى
لِيُسَرَّ مُكْتَدِبُ وَيُغْنَى سَاهِرُ
قَفَلُ وَإِبْلَالُ - عَقِيبَ مُطِيفَةٍ -
إِنْ أَعْنَتِ الْجَنَمُ الْمُسَكَّرَ وَعَكَمَهَا
مَا كَانَ إِلَّا كَانْجِلَاءَ غِيَابَةٍ
فَلْتَعُدَّ السَّنَةُ الْإِنَامَ وَذَاهِبَهَا
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ مِنْ وَصُولِكَ طَالَعُ
أَضْحَى الزَّمَانِ نَهَارُهُ كَافُورُهُ
قَدْ كَانَ هَجَرَى الشَّعْرِ قَبْلُ صَرِيعةً (١)
حَتَّى إِذَا آتَسْتُ أَوْبَكَ بَارِئًا
عَى قَلْبَتِ إِلَى الْبَلَاغَةِ عِيَّةُ
لَقَحْتِ ذَهْنِي ، فَأَجْنِ غَضَّ ثِمَارِهِ

وَأَطْلَعُ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ
مَنْ أَقْدَمَ الْبُشْرَى بِأَنَّكَ صَادِرُ
وَيَرَّاحَ مُرْتَقِبُ وَيُوفَى نَاذِرُ
غَشِيَتْ كَمَا غَشَى السَّبِيلَ الْعَابِرُ (٢)
فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزْبُ الْخَادِرُ (٣)
لَبَسَ الْفَرَّ نَدَبَهَا الْحُسَامُ الْبَاتِرُ (٤)
شُكْرُ يُجَاذِبُهُ الْخَطِيبُ الشَّاعِرُ
فَكَذَلِكَ أَيْمَنْ مِنْ قُفُولِكَ (٥) طَارُ
وَاللَّيْلُ مِسْكُ مَنْ خِلَالِكَ - عَاطِرُ
حَذَرِي لِذَاكَ النَّقْدِ فِيهَا عَازِرُ
صَفَتِ الْقَرِيحَةَ وَأَسْتَنَارَ الْخَاطِرُ (٦)
لَوْ لَا ثِقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ (٧)
فَالنَّحْلُ يُحْرَزُ مُجْتَنَاهُ الْآبِرُ (٨)

(١) يقول : قدوم من السفر ، وإبلال من المرض غيب علة أطاف بك وغشيتك غشيان طار سابل .
(٢) الونك : الحمى أو ألقها والموعوك الحسوم ، والخادر : الفاتر الكسلان ، والأسد الخادر : المقيم في خدره أي الذي لزم عرينه . (٣) يقول : لم يكن المرض إلا فترة عاد بعدها الحسام إلى حالته ورواقه .
(٤) رجوعك . (٥) الصرعية : العزقة ، يقال : « هو رجل ذو صرعية وصرام » أي ذو عزيمة ، يقول : إني هجرت قبل قدومك الشعر هجرا صارما فاطمأ ، وعذري في ذلك واضح وهو ما كنت أحذره من ذلك النقد الذي يتعرض له شعري ، أما الآن فقد صفت القرية لأوبتك بارئاً . (٦) يقول كست اعترمت هجراً بشعر حتى إذ آتس خاطري بإياك من سركك صفت فريحتي وشجدة فكري ففتحت أمانى طرق الشعر .
(٧) يقول إنك ألهمت العبي بالبيان فعاد بليما ولولا أملك تبقى لانهمتك بالسعر في ذلك . وفي الأصل : « عي رددت إلى البلاغة عينة . »

(٨) يقال لفتح البخله وألفحها وألفح الفحل الباة أحبلها ، وألقت الرمح الشجر والسحاب أحملتها ، والاوراق من الرياح : التي تحمل الندى ثم تمج في السحاب فاجتمع في السحاب صار مطراً ، يقول إنك : لفت ذهني - كما يفتح الزارع البخله - فأني بأحسن الثمر وأشواه ، فأنت أحق باجتنا الثمر لأنك غارسه ومتهمده .

كَمْ قَدْ شَكَرْتُكَ غِبَّ ذِكْرِكَ - فَأَنْتَشَى مُتَذَكِّرٍ مِّنِّي وَغَرَدَ شَاكِرٌ ^(١)
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَلَيَاؤُهُ * * * مَثَلٌ - تَتَأَقَّلُهُ الْيَالِي - سَائِرُ
يَا مَن لِبَرْقِ الْبَشْرِ مِنْهُ تَهْلُلُ مَا سِيمَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودُ هَامِرُ
أَنْتَ ابْنُ مَنْ مَجَّدَ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْمَجْدِ عَيْنٌ فَهُوَ مِنْهَا نَاطِرُ
مَلِكٌ أَعَزُّ أَرْذَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزُّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ نَاصِرُ
أَبْنَاكَ فِي ثَبَجِ الْمَجْرَةِ قُبَّةٌ فَهَنَّاكَ أَنْكَ لِلنَّجُومِ مُخَاصِرُ ^(٢)
وَتَلَقَّ - مِنْ سَمْتِكَ - صِدْقَ تَقَاوُلِي فَهَمَّا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » ^(٣)

ابتداء قصيد

« وقال ابتداء قصيد اعتقد إنفاذه إليه وقد طالت

غيبته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَأَهْدِي النَّفْسَ فِي نَفْسِ الشَّمَالِ فَقَدْ لَقِحَ التَّشْوِيقُ عَنْ خَيَالِ
إِلَى الشَّيْنِ الْعَزَائِمِ - إِنْ أَثِيرَتْ حَفِيزَتُهُ - إِلَى اللَّذَنِ الْخِلَالِ ^(٤)
إِلَى الْوَضَّاحِ آثَارَ الْمَسَاعِي إِلَى النَّفَّاحِ أَخْبَارَ الْمَعَالِي
إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْمُجَلَّى بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ
إِلَى مَنْ لَا مَثِيلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرْجِ أَوْ فَوْقَ الْمِنَالِ
هَدِيَّةٌ مِنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَنَى مُنَاهُ - هَدَى إِلَيْكَ سُرَى الْخَيَالِ
فَكَمْ بَوَّأَتْنِي سَاحَاتٍ نَعْمَى عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَقِ الظَّلَالِ

- (١) يقول ما شكرتك عقب ذكراك إلا تملك من نشوة العرح وغردت بالثناء عليك . وفي الأصل : « وغربد شاكر . »
(٢) تيج المجرة وسطها أو أعلا مكان فيها ، وتختصر : أى تمضى إلى جنبها ، يقول : « لقد بنى لك أبوك قبة في ذروة المجرة فهنينا لك هذا المقام الرفيع الذى تختصر فيه الجيوم فى عليتها . »
(٣) يقول : نرى بتقاؤلى فيك فسيحقق الله صدق لفيك وهما المويّد والمنصور فيؤيدك وينصرك على أعدائك .
(٤) إلى ذى العزيمة القوية لأن حاجه منير والخلال المرضية السبعة إذا لابنه سالم ، وريب من هذا قول ابن دريد :

« سهل إذا لونيت لذن معطى أوى - إذا خوشفت - مرهوب الشذا . »

إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عَذْرِي^(١) - إِنْ عَذَلْتَ فِي خَلْعِ عَذْرِي^(٢) - غُصْنُ أَثْمَرَتْ ذُرَاهُ يَبْدُرِ^(٣)
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَتَوَّماً شَطْرًا وَتَجَافَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ
رَشَاءٍ أَقْصَدَ^(٤) الْجَوَانِحَ قَصْدًا عَنْ جُفُونِ كُحْلِنَ - عَمْدًا - بِسِحْرِ
كُسِي الْحُسْنِ فَهُوَ يَفْتَنُ فِيهِ سَاحِبًا ذَيْلَ بُرْدِهِ الْمُسْبِكِ^(٥)
تَحْتَ ظِلِّ - مِنَ الْغَرَارَةِ - فَيَنَّا نَ وَوُزِقِ^(٦) مِنَ الشَّيْبَةِ نُضِرِ
أَبْرَزَ الْجِيدَ فِي غَلَائِلَ بِيضٍ وَجَلَا الْخَدَّ فِي مَجَاسِدِ حُمْرِ^(٧)
وَتَشَنَّتْ بِعِطْفِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطَرَةٌ تَمْرُجُ الدَّلَالِ بِكِبَرِ
زَارَنِى - بَعْدَ هَجْعَةٍ - وَالثَّرَيَا رَاحَةً تَقْدِرُ^(٨) الظَّلَامَ بِشَبْرِ
وَالدُّجَا - مِنْ نُجُومِهِ - فِي عُقُودِ يَتَلَاوَنَ مِنْ سِمَاكِ وَاسْرِ
تَحَسَّبُ الْأَفَقَ يَبْتَهِمَا لَا زَوْرَدًا ثُبِرَتْ - فَوْقَهُ - دَنَانِيرُ تَبْرِ
فَرَشَفْتُ الرُّضَابَ أَعْدَبَ رَشْفٍ وَهَصَرْتُ الْقَضِيبَ الْطَفَّ هَصْرِ

(١) عذر - جمع عذرة بالكسر - أى معاذير . (٢) عذر : بضم أوله وثانيه جمع عذار وهو الحياء ، وخلع العذار أى ترك الحياء .

(٣) يقول لاني إذا خلعت عذارى فى الهوى فان معاذيرى واضحة فقد فتنى قوامه المياد الذى يشبه الغصن ووجهه المضيء كالنور . (٤) يقال أقصد فلانا : طعنه فلم يخطئه .

(٥) المسبكر : المسترسل ، والمسبكر كل شئ امتد وطال .

(٦) الورق الحائم الذى يضرب لونها إلى خضرة ، قال جرير العود :

« وكان فؤادى قد صمأ ، ثم هاجنى حاتم ورق بالمدنية هتف . »

(٧) المجاسد - جمع مجسد - وهو القميص الذى يلى البدن ، قال ابن الأعرابي : « ولا تخرجن إلى

المساجد بالمجاسد » (٨) تقيس .

وَنَعْمَنَا بِلَفِّ جِسْمٍ بِجِسْمٍ - لِلتَّصَافِي - وَقَرَعَ ثَغْرَ بَشَرٍ
يَا لَهَا ! لَيْسَ لَهَا تَجَلَّى دُجَاهَا - مِنْ سَنَا وَجَنَّتَيْهِ - عَنْ ضَوْءِ جَفْرِ
قَصَرَ الْوَصْلُ عُمرَهَا، وَبُوْدَى أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِعُمَرِي

* *

مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَيْبِ دَهْرِ خَوْنٍ - كُلَّ يَوْمٍ - أَرَاغُ مِنْهُ بِغَدْرِ
كُلَّمَا قُلْتُ : « حَاكَ فِيهِ مَلَامِي » نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَارِبُ تَسْرِي (١)
وَتَرْتَنِي خُطُوبُهُ فِي صَنِِّي فَاضِلٍ نَابِهِ - مِنَ الدَّهْرِ - وَتَرِ (٢)
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَعَدَا الْيَوْمَ وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي (٣)
فَكَهْ يُبْهِجُ الْخَلِيلَ بِوَجْهِ تَرْدُ الْعَيْنُ مِنْهُ يَنْبُوعَ بَشَرٍ
لَوْ ذَعِي - إِنْ يَبْلُغُهُ الْخُبْرُ يَوْمًا - أَخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَاقِ زُهْرٍ
وَإِذَا غَاظَلْتَهُ مُقْلَةٌ طَرَفٍ كَادَ - مِنْ رِقَّةٍ يَدُوبُ - فَيَجْرِي (٤)

* *

يَا « أَبَا الْقَاسِمِ » الَّذِي كَانَ رِدْئِي وَظَهِيرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذُخْرِي

(١) حاك : رسخ أو أثر فيه ، ونهستني : عصتي ، يقول : « كما قلت إن زمانى قد ارعوى وأثر فيه عتاي ظهر لي خطي في ظي وعصتي عقارب لوم تدب إلى وتسرى في الظلام من عقارب دهرى » ولله در أبو العلاء إذ يقول في الزمن :

« وَغِيظَ بَنُوهُ هَاهُ ، وَغِيظَ مِنْهُمْ فَعَدَا نَبْ سَاكِنِيهِ وَهَاهُ »

وما يخشى الوعيد في وعدوه ولا يرى العتاب فيعتبوه

أساء - بجهله - أدبا عليهم فهل من حيلة فيؤدبوه .

(٢) وتر : فذ . (٣) كنت أراه أملئ فتنعم به عيناى واليوم لا أراه - بعد نأيه - فأصبح

ينعم خاطري بذكره .

(٤) يقول إنه كاد من رفته يسيل . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومي :

« أَيْضِيْنِي خَشْتُ الْشَّهَائِلَ - لَوْ نَضَا عَنْهُ غَلَاكُ - حَسَاةَ الْحَاسِي . »

يَا أَحَقَّ الْوَرَى بِمَحْضِ إِخْلَا صِي وَأَوْلَاهُمْ بِنَايَةِ سُكْرِي
طَرَقَ الدَّهْرُ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - يَجْهَمُ مِنَ الْحَوَادِثِ نُكْرِي

* *

لَيْتَ شِعْرِي ! وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ بِمُجْدٍ عَلَى الْفَتَى : «لَيْتَ شِعْرِي» (١)
هَلْ خِلَالِ زَمَانِنَا مِنْ رُجُوعٍ ؟ أَمْ لِمَاضِي زَمَانِنَا مِنْ مَكْرٍ ؟

* *

أَيْنَ أَيَّامُنَا وَأَيْنَ لَيَالٍ كَرِيَاضٍ لَيْسَنَ أَفْوَافَ زَهْرٍ
وَزَمَانٍ كَأَنَّمَا دَبَّ فِيهِ وَسَنٌ أَوْ هَفَا بِهِ فَرَطُ سُكْرٍ
حِينَ نَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقٍ يَتَغَلَّلْنَ فِي حَادَائِقِ خُضْرِ
فِي هِضَابٍ - مَجْلُوَّةِ الْحُسْنِ - مُحْرِ تَعَاطَى الشَّمُولِ - مَذْهَبَةِ السَّرِّ
فِي فُتُوٍّ (٣) تَوَشَّحُوا بِالْمَعَالِي عَنْ وُجُوهِ - مِثْلِ الْمَصَائِيحِ - غُرٍّ
وَصُحْبٌ تَجَبَّلِي الْعِيَاكِبِ مِنْهُمْ زَانَ مَرَأَى بِهِ بِأَكْرَمِ خُبَرٍ (٤)

(١) يقول «ليت شعري» ، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية ، قال ابن الرومي :
« يا ليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسوان . »

وقال الشاعر :

« ليت وهل ينفع شيئا « ليت » ليت شبابا بيع فالاشتري . »

(٢) مطارف - جمع مطرف بضم الميم وكسر ها - مع فتح الراء في كليهما - : رداء مربع من خز ذو أعلام . (٣) فتو - جمع فتى وهو يجمع على فتيان وفتو وفتى بتشديد الواو والياء .

(٤) الخرق : من الفتيان الطريف في ساحة ونجدة ، وينهل : يريد يكاد يسيل رقة وطرفا ، وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« محس حالي نفع المسك عرفها طيب بشر . »

وقد أثبتناه كما ورد ناقصاً بالأصل .

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ كُئُوسٌ أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قُبُولٌ كَلَّمَا رَاحَ نَفْحُهَا أُرْتَاحَ صَدْرِي
فَهُوَ يَسْرِي مُحْمَلًا - مِنْ سَجَايَا لَ - نَسِيمًا يُرْهِى بِأَفْوَحِ عِطْرِ

* *

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمَعْلَى مِنْ قِدَاحِي ^(١) وَالْمُسْتَبَدِّ بِرِّي
لَا يَضَعُ وَدِّي الصَّرِيحُ الَّذِي أُرْ صَاكَ مِنْهُ أَسْتَوَاهُ سِرِّي وَجَهْرِي
وَتَوَالِي أَدِمَّةٍ نَظَمْتَنَا نَظَمَ عَقْدِ الْجُمَانِ فِي نَحْرِ بَكْرِ
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ الْوَدَّ إِنْ سَاعَدَتْ حَيَاتِي قَصْرِي ^(٢)
وَأَعِدْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ أَنَسٍ قَدْ تَقَضَّتْ إِلَّا غَلَالَةَ ذِكْرِ ^(٣)
وَأَكْسُ مِنْ الْقِرْطَاسِ دِيْبَاجَ لَفْظٍ يَبْهَرُ الْفِكْرَ مِنْ نَظِيمٍ وَشَرِّ
غُرُرٍ مِنْ بَدَائِعٍ لَا يَشْكُ الدَّهْرُ فِي أَتْنَاهَا قَلَانِدُ دُرٍّ
تَتَوَالَى عَلَى النُّفُوسِ دِرَاكَا عَنْ فَتَى مُوسِرٍ - مِنَ الطَّنَعِ - مُثْرِ
شَدَّ فِي حَلَبَةِ الْبَلَاغَةِ حَاشِي بَانَ فِيهَا عَنْ شَاوٍ سَهْلٍ وَعَمْرٍو
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْجَلْ جَوَابِي كَانَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْضَةً عُقْرِ ^(٤)
فَاقْبِ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أَنْجَا بَ عَنِ الْأَقْفَى عَارِضُ مُتَسَرٍّ
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزُ قُ وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِدْرِ ^(٥)

(١) أى الفدح المعلى . (٢) يقول : لا يكن قصارك الجفاء فان قصارى الوداد أى لا تكن غابتك قطيعى فان غابتي وصلك .

(٣) يقول : أعد عهد الأنس الذى مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات تتعلل بها .

(٤) إذا لم تعجل بالرد على كتابى كان هذا آخر كتاب أبعت به إليك .

(٥) السدر : شجر البق يقول : « تحبى إليك كلما غنت الحمام ومالت بها أغصان الشجر . »

مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كرّر ابن زيدون في هذه القصيدة أكثر

الآيات السابقة التي ذكرناها في ص « ١٤٠ »

من هذا الديوان . »

هُوَ الدَّهْرُ فَأَصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمَنْ شَيْمِ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ فَلَا تَرْضَ بِالصَّبْرِ الَّذِي مَعَهُ وَزُرُ
حِذَارُكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقُ فِتْنَةً يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ أَخْلَاقِكَ - الْعُذْرُ
إِذَا أَسِفَ الشُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَفَهُ رَأَى أَبْرَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَحْبِطَ الْأَجْرُ
مُصَابُ الَّذِي يَأْسَى يَمِيتُ ثَوَابِهِ هُوَ الْبَرْحُ لَا الْمَيْتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ

✱ ✱

حَيَاةُ الْوَرَى نَهْجٌ إِلَى الْمَوْتِ مَهْجٌ لَهُمْ فِيهِ إِيضَاعٌ كَمَا يُوضَعُ السَّفَرُ
فَيَاهَادَى الْمِنْهَاجِ جُـسْرَتْ فَإِنَّمَا هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوْ الْبَجْرُ
لَنَا - فِي سِوَانَا - عِبْرَةٌ غَيْرَ أَنَّنَا نُعْرُ بِأَطْمَاعِ الْأَمَانِي فَتَفْتَرُ
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعَمَّرٍ فَإِنَّ سَوَاءَ طَالَ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ

✱ ✱

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ رِيعَ ذِمَارِهِ قَلَمٌ يُغْنِي أَنْصَارَ عَدِيدِهِ وَلَا وَفْرُ
بَحَيْثُ أَسْتَقَلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ
هُوَ الضَّمِيمُ لَوْ غَيْرَ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ سَاءَ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ

إِذَا عَثَرْتَ جُرْدُ السَّوَاخِ فِي الْقَنَا بَلِيلِ عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي عَلَيْنَا بِدَعْوَةٍ عَوَانٍ أَمْضَتْنَا لَهَا لَوْعَةٌ بِكْرُ

أَنْفَسُ نَفْسٍ - فِي الْوَرَى - أَقْصَدَ الرَّدَى ؟ وَأَخْطَرُ عِلْقٍ - لِلْهُدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ ؟
هَنِيئًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ بِثَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ
بِطَاهِرَةِ الْأَنْوَابِ ، قَاتَةِ الضَّحَى مُسَبَّحَةِ الْآنَاءِ ، مَخْرَابِهَا الْخِذْرُ
فَإِنْ أُثْبِتَتْ فَالْنَفْسُ أَنْأَى نَفِيسَةٍ إِذِ الْجِسْمُ لَا يَسْمُولِتُهُ كَبِيرُهُ ذِكْرُ
حَصَانُ - إِنْ النُّقْوَى أُسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا - فَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ
يُطَاطَأُ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا فَيَرْفَعُ - عَنْ مَتْنَى نَوَافِلِهَا - السِّرُّ

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى لَقَدْ أَذْرَجَتْ - أُنْمَاءُهَا - النِّعَمُ الْخُضْرُ
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ تَرَى تَحِيَّةً يُسَمِّمُهَا الْغُفْرَانُ رِيحَانَهَا النَّضْرُ
وَعَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضَ عَهْدُ غَمَامَةٍ إِذَا اسْتَعْبَرَتْ فِي ثَرْبِهَا أَنْبَسَمَ الزَّهْرُ

فَدَيْنَاكَ ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غَمَامَةً طَلَعَتْ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ
أَلَسْتُ الَّذِي - إِنْ صَاقَ ذَرْعُ مُجَادِثٍ - تَبَلَّجَ مِنْهُ الْوَجْهَ وَالسَّعَ الصَّدْرُ
تَعَزَّ بِجَوَاءٍ - الَّتِي الْخَلْقُ نَسَلُهَا - فَمَنْ دُونَهَا فِي الْعَصْرِ يَتَّبِعُهُ الْعَصْرُ
نِسَاءَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى أُمَّهَاتِنَا ثَوَيْنَ فَمَغْنَاهُنَّ - مُذْ حُقِبَ - قَفْرُ
وَجَازَيْتَهَا الْحُسْنَى ، فَأَمَّ شَفِيقَةً تَحَنَّى بِهَا ابْنُ كُلِّ أَعْمَالٍ بَرُّ

تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا
كَانَ الرَّدَى نَذْرُهُ عَلَيْهَا مُوَكَدًّا
تَوَلَّتْ فَأَبْقَتْ - مِنْ مُجَابِ دُعَاهَا -
تِيمٌ بِهِ النُّعْمَى ، وَتَتَسَقَّى الْمُنَى ،
فَلَا تَهْضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهَا
وَلَا زِلَتْ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقَرَّةٍ

بَنِي « جَهَوَرٍ » أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ
تَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَنُكْمٌ يَمِينُهُ
لَكُمْ كُلُّ رَفَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ
سَحَابٌ نَعْمَى أَبْرَقَتْ وَتَدَفَّقَتْ
إِذَا مَا ذُكِرْتُمْ ، وَأُسْتَشِفَّتْ خِلَالَكُمْ
طَرِيقَتُكُمْ مُثْلَى ، وَهَدَيْكُمْ رِضَى
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ
عَطَاءً وَلَا مَنٍّ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى
قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا

لِعَافِيكُمْ - فِي أَفْقِهَا - أَنْجُمٌ زُهْرٌ
وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا تَعَرُّ
حُسَامٌ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقَتِهِ - أَمْرٌ
فَصَبَّيْهَا الْجَدْوَى ، وَبَارِقُهَا الْبُشْرُ
تَضَوَّعَتِ الْأَخْبَارُ ، وَأُسْتَمَجَدَ الْخُبْرُ
وَنَائِلُكُمْ غَمْرٌ ، وَمَذْهَبُكُمْ قَصْرُ
هُنَاكَ الْأَيْدِي الشَّفْعُ وَالسُّودْدُ الْوِثْرُ
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ
عَلَيْنَا ، فَمِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور . »

أَجَلٌ ، إِنَّ لَيْلَى حَيْثُ أَخْيَا وَهَذَا الْأَسَدُ مَهَاً حَمْتَهَا - فِي مَرَاتِعِهَا - أُسْدُ (١)
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو وَيَنَائِي مَزَارُهَا فَسَيَّانٍ مِنْهَا فِي الْهُوَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ (٢)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ « مَارِدُ » وَعَزَّ - فَلَمْ نَظْفَرْ بِهِ - « الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ » (٣)
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ أَعْيَادِهَا وَخَيْلٌ تَطْلِي نَحْوَ قَائِمَاتِهَا جُرْدُ
لِحَى لِقَاحٍ تَأْنِفُ الضِّيمَ مِنْهُمْ جَحَاجِحَةٌ شَيْبٌ وَصِيَابَةٌ مُرْدُ (٤)
أَبٌ ذُو أَعْزَامٍ ، أَوْ أَخٌ ذُو تَسْرِعٍ فَشَيْخَانُ مَاضِي الْهَمِّ ، أَوْ فَاتِكُ جَلْدُ
فَمَا شِيمَ مِنْ ذِي الْهَبَةِ الصَّارِمِ الشَّبَا وَلَا حُطَّ عَنْ ذِي الْمِيعَةِ السَّابِحِ اللَّبْدُ

* * *

وَفِي الْكِلَةِ الْحَمْرَاءُ وَسَطَ قِيَابِهِمْ فَتَاةٌ كَمِثْلِ الْبَذْرِ قَابِلَةُ السَّعْدِ

(١) الأسد : لغة في الأزد ، والأسد : الأسود ، يقول : نعم إن ليلى من قبيلة الأزد وهي ظبية تحمى الأسود وتزدود عنها .

(٢) يقول إن قريتها وبعدها سيان لأن وصلها - على القرب ، والبعد - بعيد المنال ، وما أجل قول المعري :

« فيادارها بالحيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال . »

(٣) الأبلق الفرد : حمزة السموءل بن حاديا بناء أبوه . قالوا بل بناء سليمان - عليه السلام - بأرض تباه ، ونصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد ، فقالوا : « تمرد مارد ، وعز الأباتي . » وفي هذا الحصن يقول السموءل - من لاميته الرائعة المشهورة :

« لنا جبل يحمله من نجيره منيع ، يرد الطرف وهو كليل »

هو الأباتي الفرد الذي شاع ذكره يمز - على من رآه - ويطول .

(٤) الحى اللقاح : هم الذين لا يلدنون الملوك ولا يؤدون لهم الاثاوة ، والجحاجة : جمع جحجج ، وهو السيد السمج أو هو الكريم وهو وصف حاس بالرجال ، قال الشاعر : « ييض قطارقه غلب جحاجة . » ويجمع أيضاً على جحاجح ، قال ابن الزبير :

« ماذا ييدر فاعلة - قل من مرازية جحاجح . »

صياغة القوم وصوابهم : لباهم .

عَقِيلَةً سِرْبٍ لَا الْأَرَاكَ مَرَّادُهُ وَلَا قِنْ مِنْهُ الْبَرِيرُ وَلَا الْمَرْدُ (١)
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاحُ غَرِيرَةٌ تَأَوُّهُ مِنْهَا نَاسٌ (٢) فِي جِيدِهَا الْعِقْدُ
إِذَا اسْتُخْفِضَتْ سِرَّ السَّرَى جُنَحَ لَيْلِهَا تَنَاسَى النُّمُومَانِ : الْأُلُوءَةُ ، وَالذُّدُّ (٣)
لَهَا عِدَّةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعَدُ غَيْبَهَا مَصَالِيْتُ، يُنْسَى - فِي وَعِيدِهِمْ - الْوَعْدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعُودَ خِيَالُهَا فَيُسَمِّفُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكَرَى عَمْدُ (٤)
كَفَى لَوَعَةٍ أَنْ الْوِصَالِ نَسِيبَتُهُ يُطِيلُ عَنَاءَ الْمُقْتَضَى وَالْهُوَى نَقْدُ (٥)
سَبَّلِعُمَا عَنَّا الشَّمَالُ تَحِيَّةً تَوَافِحُ أَنْفَاسِ الْجُنُوبِ لَهَا رَدُّ (٦)
فَمَا نُسِيَ الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَبْنِنَا - لِطُولِ تَنَائِدِنَا - وَلَا ضَيْعُ الْعَهْدِ

* * *

لَنْ قِيلَ : « فِي الْجِدِّ النَّجَاحُ لِطَالِبٍ » لَقَلَّ غَنَاءُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ (٧)

(١) المرد : البعن من ثمر الأراك أو ضيقه . (٢) ناس : الشيء ينوس نوساً ونوساً تحرك وتذبذب واضطرب متديلاً ، وسمى ذو نواس - وهو من ملوك - الذين بذلك للدوابين كانوا تنوسان على ظهره .
(٣) الألوة : عود هندي يتجر به ، وقال أعرابي حين مرَّ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يذفن :

« أَلَا جَلَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ مِنَ الْأُلُوءَةِ أَحْوَى مَلْبَساً ذَهَباً . »

والذد : ضرب من الطيب .
(٤) عمد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يزورنا خيالها فيسمعون بالوصال في فترات الكرى المنقطعة القليلة . (٥) يقول : كفانا ألماً ألا تمن علينا بالوصال إلا وعوداً ، ووجهه يعني أننا اقتضاها وأدأوها في واعيدها مع أننا نصفها الهوى طاجلاً غير متمحلين ولا مؤجلين .
(٦) الشمال : ريح الشمال ، والجنوب : ريح الجنوب ، وفي الأصل نوافج ، والنوافج : السحب الكثيرة المطر ، ويقال تنفع الندى التيمس أي رقبته وتنفج الرياح أي جاءت بقوة ، والنوافج - جمع نافلة وهي النسيم .
(٧) يقول ابن دريد في هذا المعنى :

« لَا يَنْفَعُ الْجِدَّ بِلَا جِدٍّ وَلَا يَحْذَرُ الْجِدُّ إِذَا الْجِدُّ عَلَا . »

ويقول الشاعر :

« عَشَّ بِجِدٍّ وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكُ »

وقد أكثر الشعراء من الكلام في الجود ، ومن أبدع ما قرأناه في ذلك قول ابن الرومي :

« إِنْ لَحِظَ كَيْمِيَاءُ إِذَا مَا مَسَّ كَبَابُ أَحْلَاهُ إِنْسَاناً . »

يَنَالُ الْأَمَانِي بِالْحَظِيرَةِ وَادِعٌ كَمَا أَنَّهُ يُكَدِّي الدِّي شَأْنُهُ الْكَدُ^(١)

* *

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً فَمَنْ خَطَا ، لَكِنْ إِسَاءَتُهُ عَمْدُ
حِذَارُكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهُ بِجَانِبٍ فَنِي كُلِّ وَادٍ مِنْ نَوَائِبِهِ « سَعْدُ »^(٢)
وَلَوْلَا السَّرَاةُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ «جَهْوَرٍ» لَأَعْوَزَ مَنْ يُعْدَى عَلَيْهِ مَتَى يَعْدُو
مُلُوكٌ لَبَسْنَا الدَّهْرَ فِي جَنَبَاتِهِمْ رَقِيقَ الْحَوَائِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدُ
بِحَيْثُ مَقِيلُ الْأَمْنِ صَافٍ ظِلَالُهُ وَفِي مَنَهْلِ الْعَيْشِ الْمُدُوبَةُ وَالْبُرْدُ
هُمْ النَّفَرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ تَرُوقُ فَتَسْتَشْفِي بِهِمَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
كَرَامٌ يَمُدُّ الرَّاعُونَ أَكْفَهُمْ إِلَى أَبْحَرٍ مِنْهُمْ لَهَا بِاللَّهْمَا^(٣) مَدُّ

وقول المتن :

« هو الجد حتى نفضل العين أختها وحتى يصير اليوم لليوم سيدها . »

وقول المعري :

« والجد يدرك أقواما فيرفعهم وقد ينال الى أن يعبد الحجر »

وشرفت ذات أنواط قبالها ولم تباين على علائها الشجرا . »

وقد ذكرنا طرفا من أقوال الشعراء في هذا المعنى في رسالة النفران « ج ٢ ص ٩٨ » فإرجع إليهما من شاء .

(١) الحظيرة : عى بها هنا الأموال المحظورة يقال : احتظر الرجل وحظر اتخذ حظيرة حبس فيها أمواله من تضيق ، ويقال للرجل الذليل الحير « إنه لنكد الحظيرة » وسببت أمواله حظيرة لأنه حظرها ومنعها عنه ، والوداع : الذى ينال حظه من العيش من غير كفاة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوداع الذى هو فى خفض ودعة من العيش أمانيه بأمواله المحظورة عنده كما أنه كثيرا ما ينحى دوا السعى والكسب فلا يحصل من تعب وكده على طائل » ، ولعل أروع ما قرأناه فى هذا المعنى قول ابن الرومى :

« إذا كان مجرى كوكب سميت حالة علاها وإلا اعتاس ذلك مطلباً . »

وقول الآخر :

« سبحانه ربى يعطى ذا ويمرر ذا هذا يصيد ، وهذا يأكل السمكة . »

(٢) يقال « بكل واد سعد » أو « بكل واد بنو سعد » يريدون بذلك أن فى كل جهة كفاءها من النسر والأذى . قالوا وأصل اللؤلؤ أن الأضبط بن قريش بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة - رأى من أهله وقومه أمورا كرمها فنارنهم متلا فى القبال فرأى من غيرهم مثل ما رأى منهم فقال : « فى كل أرض سعد بن زيد . »

(٣) الأعطيات والهبات .

فَلَا يُنْعِ مِنْهُمْ هَالِكٌ فَهَوَ خَالِدٌ بِأَثَارِهِ ، إِنَّ الشَّاءَ هُوَ الْخَالِدُ
« أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَأَبَا لَأَيِّكُمْ مِنَ اللُّومِ ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُوا »^(١)
أُولَئِكَ إِنْ نَحْنَا سَرَى فِي صَلَاحِنَا سَجَاحٌ عَلَيْنَا كُحْلٌ أَجْفَانِهِمْ سُهْدُ

✱ ✱

أَلَيْسَ « أَبُو الْحَزَمِ » الَّذِي غِبَّ سَعْيِهِ تَبَصَّرَ غَاوِينَا فَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ
أَغْرَ تَهَمُّدَنَا بِهِ الْخَفْضَ ^(٢) بَعْدَ مَا أَقْضَى عَلَيْنَا مَضْجَعٌ وَنَبَا مَهْدُ ^(٣)
لَشَمَّرَ حَتَّى أَنْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ تَأَلَّقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَلَحَبَ الرَّعْدُ
فَسَالَمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ عَادَةً وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ ضِدُّ ^(٤)
هُوَ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ تَطَلَّعَتِ الْعَلَيَاءُ وَأَسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ
تَوَلَّى فَلَوْلَا أَنْ تَلَاهُ « مُحَمَّدٌ » لَأَوْطَأَ خَدَّ الْحُرِّ أَخْمَصَهُ الْعَبْدُ ^(٥)

✱ ✱

مَلِكٌ يَسُوسُ الْمُلْكَ مِنْهُ مُقَلِّدٌ رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَّهُ الْجَدُّ
سَجِيَّتُهُ الْحُسْنَى ، وَشِيْمَتُهُ الرِّضَى ، وَسِيرَتُهُ الْمُثُلَى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« عليهم ، لا أبا لأبيكم من اللوم ، أوسدوا المكان الذي سدوا . »

وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو انتباس ، وأصل البيت كما أثبتناه ، وهو من القصيدة المشهورة التي يقول فيها الشاعر :

« وتعدلي أبناء سعد عليهم وما فت إلى بالذي علمت سعد . »

(٢) الخفص : الدعة . (٣) يقول إنه بدلنا من خوف أمنا ومن سهاد رفادا .

(٤) يقول : وقد ساله أشد الأعداء ولوعا بالحرب وواقعه من لاشك في حصروته ولدهد بعد ما رأوا من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن محمدا قد حلف أبا الحزم لساءت العاقبة ولسادت دولة العبيد على دولة الأحرار فأدلوهم أدلالا وداسو خدودهم بأرجلهم .

مُهمَّ إِذَا زَانَ النَّدَى بِجَبْوَةٍ تَرْجِعَ فِي أَثْنَاهَا الْحَسْبُ الْعَدُوَّ
 زَعِيمٌ لِأَبْنَاءِ السَّيَادَةِ بَارِعٌ عَلَيْهِمْ بِهِ تُغْنَى الْخَنَاصِرُ إِنْ عُدُّوا
 بَعِيدُ مَتَالِ الْحَالِ ، ذَانِي جَنَى النَّدَى إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلَ الْوَرْدُ
 تَهْلَلُ فَأَنْهَلَتْ سَمَاءَ يَمِينِهِ عَطَا يَا تَرَى الْآمَالَ مِنْ صَوْنِهَا - جَعْدُ (١)
 مُمِرٌّ لِمَنْ عَادَاهُ إِذْ أَوْلِيَاؤُهُ يَلْذُ لَهُمْ كَأَلْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشَّهْدُ
 إِذَا أُعْتَرِفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ عَلَا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يُلْجَعَ بِهِ حَقْدُ (٢)
 وَمُسْتَدُّ لَوْ زَا حَمَّ الطَّوْدَ حِلْمُهُ لَحَاجَزُهُ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدُّ
 لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَةٍ كَمَا لَانَ مَتْنُ السَّيْفِ وَأَخْشَوْشُنَ الْحَدَّ (٣)
 يُوَكِّلُ بِالنَّدَى بِرِ خَاطِرٍ فِكْرَةٌ إِنْ أُقْتَدِحَتْ فِي خَاطِرٍ أَنْقَبَ الرَّنْدُ (٤)
 ذِرَاءٌ - لَمَّا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ وَبَاعٌ - إِلَى مَا يُحْرِزُ الْفَخْرَ - مُمْتَدُّ
 إِذَا أَشْهَبَ الْمُشْنُونَ فِيهِ شَأْنَهُمْ (٥) مَرَاتِبُ عُلَمَاءٍ كُلٌّ عَنْ عَفْوِهَا الْجَهْدُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسِكِ مُلْكُهُ فَيَا فَضْلَ مَا يَحْنِي وَيَا سَرَّوَمَا يَبْذُو (٦)
 إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَافٌ وَبِاللَّهِ مُعْتَدُّ ، وَفِي اللَّهِ مُشْتَدُّ

(١) حمد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول عنقزة :

« لَا يَحْمِلُ الْمُحَدِّدُ مِنْ تَعْلُو بِهِ الرِّفِّ وَلَا يَنَالُ الْعَلَامُ مِنْ طَعْمِهِ الْعَضْبُ . »

(٣) في هذا المعنى يقول الشاعر :

« وَكَالسَيْفِ - إِنْ لَا يَنْتَه - لَانَ حَدُّهُ وَحَدَاهُ - إِنْ خَاشَدَهُ - حَسَانُ . »

(٤) أَنْقَبَ الرَّنْدُ : أَوْرَى . (٥) شَأْنَهُمْ : فَاتَهُمْ وَقَصُرُوا فِيهَا عَنِ الدَّايَةِ .

(٦) يقول هو الملك الذي يجمع إلى سطوة الملك نفسك الزودين فإِ أَدْبَلُ مَا يَحْرَهُ فِي نَفْسِهِ وَمَا أُنْبِلُ وَأُصْرَفُ مَا يَمْلَهُ ، يَعْنِي أَنَّ سِرَّهُ وَإِعْلَانَهُ غَايَةُ فِي النِّلِ وَالْفَضْلِ .

✱ ✱

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامَ بِالْأَمْسِ حِسْبَةً
أَبَاحَ حِمَى الْخَمْرِ الْخَبِيثَةِ ، حَائِطًا
فَطَوَّقَ بِأَسْتِصَالِهَا الْمِصْرَ مَنَةً
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يَذْهَبُ عَنْهُ فَمُحْسِنٌ
مُطَابَّرَةٌ آتَامٌ ، وَأُمُّ كِبَائِرٍ
رَأَى تَقْصَ مَا يَحْبِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً

✱ ✱

عَفَوْنِي ، فَحَسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ مَا لَهُ
نِعَمَ حَدِيثُ الْبَرِّ تُودِعُهُ الصَّبَا
تَغْلُغَلُ فِي سَمْعِ الرَّبَابِ وَطَالَعَتْ
سَسَاعَ أَجَدَّتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْخَصَى
لَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ عَنْهَا - بِشَارَةٍ

✱ ✱

بَدَيْتُكَ ، إِنِّي قَائِلٌ فَمَعْرُضٌ
نَبِيٌّ كَالشَّجَا دُونَ اللَّهِاءِ (٢) تَعَرَّضَتْ
بِأَوْطَارِ نَفْسٍ مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ
فَلَمْ يَكُ الْمَصْدُورِ - مِنْ نَفْسِهَا - بُدُّ

(١) يقول : لعم حديث البر أردعته ربح الصبا لحملته وبثت خبره في الجهات النائية حيث لا توضع البرد
ي حيث لا تندو خيل البريد اليها ولا تصلها الأخبار لبعدها ، وفي الأصل : « توضع »
(٢) اللهاء : اللحمة المشرفة على الحلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع الدلب من أعلى الفم ،
وجمها لهوات ولهيات ولهى . قال ابن دريد :

« والناس كالبيت ، فنه رائق فضض فضره هوده من الجسى
ومنه ما تفتحم الدين ، فان سفت جناه لانساغ عذبا في اللهمى . »

أُمْنِي غُفْلٌ خَامِلٌ الذِّكْرُ ضَائِعٌ ضَيَّاعَ الحُسَامِ العَضْبُ أَصْدَأُهُ العِمْدُ
أَبَى ذَاكَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ ذَلَّ صَعْبُهُ فَسَنَى مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَهِي - العَقْدُ (١)

☆ ☆

أَنَا السَّيْفُ لَا يَذْبُو مَعَ الْهَزِّ غَرَبُهُ إِذَا مَانَبَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْعُمُ الْهِنْدُ
بَدَأَتْ بِنُعْمَى غَضَّةٍ إِنْ تَوَالَهَا فَحَسُنُ الْأَلَى (٢) فِي أَنْ يُوَالِيَهَا سَرْدُ
لَعْمُكَ مَا الْمَدَالِ أَسْعَى فَإِنَّمَا يَرَى الْمَالَ أَسْنَى حَظَّهُ الطَّبْعُ الْوَعْدُ (٣)
وَلَكِنْ لِحَالٍ - إِنْ لَبَسْتُ جَمَاهَا - كَسَوْتُكَ تَوْبَ النُّصْحِ أَعْلَامُهُ الْحَمْدُ

☆ ☆

أَتَتَكَ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا مِنَ الْغَيْبِ فَأَقْبَانَهَا فَمَا غَرَّكَ الشَّهْدُ
لِيَحْظَى وَلِيَّ - سِرُّهُ وَفَنُ جَهْرِهِ - فَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُ
يُمَيِّزُهُ - مِمَّنْ سِوَاهُ - وَفَاوُهُ وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ (٤)

(١) سنى منه العقد ، أى تيسر الصعب وسهل . قال الشاعر :

« وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سنى فقد أمر تيسرا . »

(٢) الألى : النعمة جمعها آلاء .

(٣) الطبع : يقال رجل طبع طبع (بكسر ثانيا) متسدين العرض ذو خاق ذنى لا يستحي من

سوءه ، والوعد : الخفيف الأحمق الضعيف العقل والبدن الذنى الحسيس النذل .

(٤) كل غانية هند : مثل يضرب هند تساوى القوم فى فساد الباطن .

رثاء أم المعتضد

« قال يرثي السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي المَثُوبُ - إِذْ دَعَا
وَأَنَّ التُّشَقَّى قَدْ آذَنْتَنَا بِفُرُوقَةٍ
لِرُزْئِكَ تَنْهَلُ الدُّمُوعُ ، فِثْلُهُ
لَقَدْ أَجْهَشَ الإِخْلَاصُ بِالْأَمْسِ بَاكِيًا
بِعَيْنِكَ - أَنَّ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَا نَعَى ؟
وَأَنَّ الهُدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوَدَّعَا ؟
- إِذَا حَلَّ - وَدَّ القَلْبُ لَوْ كَانَ مَذْمُومًا
عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ اليَقِينُ فَرَجَمَا

* *

وَدُنْيَا وَجَدْنَا العَيْشَ فِي غَفَلَاتِهَا
نُعَلُّ فِيهَا بِالْمُنَى فَتَعَرُّنَا
طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ المَنِيَّةِ - مَهِيحًا (١)
بَوَارِقُ لَيْسَ الآلُ مِنْهَا بِأَخْذَعَا (٢)

* *

أَصْبَحْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ
مَنَارٍ - مِنَ الإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،
وَحَبَلٌ - مِنَ التَّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَّعَا
وَكَانَ لَهَا المِجْرَابُ - فِي الخِذْرِ - مَطْلَعَا (٣)
أَصْبَحْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ
مَنَارٍ - مِنَ الإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،
وَحَبَلٌ - مِنَ التَّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَّعَا
وَكَانَ لَهَا المِجْرَابُ - فِي الخِذْرِ - مَطْلَعَا

* *

لَنْ أَتُبْعَتْ مِنَّا غَمَامَةٌ رَحْمَةً
لَقَدْ ظَلَمْتَ ذَاكَ السَّرِيرَ المُرْفَعَا

(١) الملحج : الطريق الواسع الواضح البين .

(٢) الآل : السراب ، يقول إن الأمانى تمرنا وتخدعنا كما يخدع السراب . والله ذو مهيار إذ يقول :

« شد مامى غرورا نفسه تاجر الآمال في أن يربحا . »

وقوله : « ربما يقر بالظن الكدوب . » ، وفي هذا المعنى يقول ابن نباه السعدي :

« وأقسم ما الدنيا بدار إفاة ولا هي إلا مثل بعض المنازل

نسير إلى الآجال حول رجائها ونطوى بها الأيام طي المراحل . »

(٣) يقول : أنها شمس أشرقت في خدرها ثم غربت في قبرها .

سِرِّهِ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرِ مَلَانِكِ - إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيمًا
لَتَبِكَ الْأَيَّامِ وَالْيَتَامَى فَتَقِيدَةً هِيَ الْمُزْنَ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَقْشَعَا
أَصْلَهُمْ فَقَدَانَهَا ، فَكَأَنَّمَا ثَوَتْ فَتَوَى مَعْنَى التَّأَوُّهِ بَلَقَعَا
تَبَيْتُ مَعَ الْإِخْبَاتِ ^(١) مُسْعَرَةَ الْحَشَا تَقِيَّةً مَنْ يَحْشَى إِلَى اللَّهِ مَرْجِعًا
إِذَا مَا هِيَ أَسْتَوْفَتْ مِنَ الْبِرِّ غَايَةً تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى تِلْكَ مَقْنَعًا
كَأَنَّ قَضَاءَ الْوَاجِبَاتِ مَحْرَجٌ تَقْبَلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعًا ^(٢)
أَصْرَفَ الرَّدَى ! لَوْ أَنَّ لِلسَّيْفِ مَضْرِبًا * لَمَّا رُعْمَتْنَا ، أَوْ أَنَّ فِي الْقَوْسِ مَرْجَعًا
فَلَوْ كُنْتَ - إِذْ سَا تَرْتِ - رَامٌ مُجَاهِرٌ ذِمَارَ الْهُدَى كَانَ الْمَحْوَطَ الْمُنْعَمًا
إِذَا لَتْنَاهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ أَلْسِي ^(٣) يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاطِ مُسِيمًا
« وَمَعْتَصِدُهُ بِاللَّهِ » يَحْنِي ذِمَارَهُ فَلَا سِرْبَ يُلْفِي - فِي حِمَاهُ - مُرَوَّعًا
وَلَكِنْ عَزَزْتَ الْمَلِكَ - مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى - فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْحَادِثِ الْحَتْمَ مَدْقَعًا ^(٤)

(١) الإخبات : القوى والحشوع والفنوت ، يقول : هي البقية الباقية من الذناء الصالحات تبث من خشية الله مصلية داعية مسعرة الحشا خوفاً من لقاء الله ، وفرقا من هول يوم المرحم والمآب .

(٢) يقول : أنها لحوصها على النظر وعزم النوازل إلى الفرائض كأنها تمنع أن في أداء الفرائض وحدها غير مشفوعة بالتلوع حرجاً وإنما لا يعمل عبادها متقبلة وعملها مثاباً عليه إلا بأن تتطوع ، نهى لذلك تبث ليها قائمة متجدة .

(٣) الأليس : الشجاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجرح ليس ، قال الشاعر :

« نَحَالُ نَدِيهِمْ مَرْضَى حَيَاءً وَتَلْقَاهُمْ غَدَاةَ الرُّوعِ لَيْسَا . »

(٤) حررت : وطئت وزلت ، عن غير هدى وعلم وبلا تمييز ، وهو من قول الله عز وجل : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم . » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللهم إني أعوذ بك من معرة الجيش » تبرأ رضي الله عنه من وطأة جيش المسلمين من مرأ به بلا تمييز بين مسلم ومعاهد وكافر وإصابتهم إياهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه من قبل الشرع . يقول : لو كان صرف الدهر شخصاً يواجه مجاهرة لعبور عن غرضه وإنشاء المقتصد الشجاع وجيشه النازل ولكن صرف الدهر يأتى على غرة ولا يستطيع أحد أن يواجهه ويدبر عائله ، والله در الغافل :

يَغِيْظُ الْعِتَاقَ الْجُرْدَ أَلَّا تَرَى لَهَا بَحَالًا ، فَتَعْمُو فِي الْمَرَابِطِ خُشْعًا
وَتَأْسُفُ بِيضُ الْهِنْدِ أَنْ لَيْسَ تُنْتَقَى ، وَتُسْرُ الْقَنَا أَلَّا تُهْزَ وَتُشْرَعَا

* *

لَنْ سَاءَ لَكَ الدَّهْرُ الْمُسِيءُ فَلَمْ يَكُنْ بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْخِفْظِ ضَمِيمًا
شَهْدَانَا : لَقَدْ طَرَزْتَ بُرْدَ جَمَالِهِ وَقَدَّيْتَهُ عِقْدَ الْبَهَاءِ مُرَصَّمًا
وَمَا فَخْرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُصْنَعِيَا لِأَمْرِكَ ، إِنْ نَادَيْتَ لَبِي فَاسْرَعَا
أَتَى الْعَثْرَةَ الْمُظْمَى ، فَهَلْ أَنْتَ قَائِلٌ لَهُ حِينَ أَشْفَى مِنْ كَأَبْتِهِ : «أَمَّا؟» (١)
وَهَاهُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَحْتَكِمْ لَتَبْلُغَ مَا تَهْوَى ، وَمُرُهُ لِيَصْدَقَا
لَعَمْرُائِي وَدَعْتَ أَمْسٍ - مُفَارِقًا - لَقَدْ وَرَدَتْ حَوْضَ السَّعَادَةِ مَشْرَعَا (٢)
تَمَتَّتْ وَفَاةٌ - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا حَشَدَتْ لَهَا الْأَمَالَ : مَرَأَى ، وَسَمْعَا
فَوَفَّيْنَهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِضَمِيرِهَا إِلَى غَايَةٍ مِنْ بَعْدِهِ مُتَطَلَعَا
خَفَضْتَ جَنَاحَ الدُّلِّ فِي الْعِزِّ رَحْمَةً لَهَا ، وَعَزَّيْزٌ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا (٣)
تَرْوُحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ مُحْكَمًا وَتَعْدُو شَفِيمًا فِي الذُّنُوبِ مُشَقَّمَا
عَزَاهُ فَدَتْكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسْلِمٌ لِمَوْقِعِ أَمْرِ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقِّعَا

« اليوم بيني لدويد بيته يارب وجه حسن رأيتُه

ومعصم - ذى برة - لوبته لو كان للدمر بلى أبليتُه

أو كان قرنى واحدا كفتيه . »

(١) أشفى : من قولهم أشفى على الهلاك وأشفى على الموت إذا أشرف عليه ، والكأبة : الحزن ، ولما : كلمة تعال للماثر وهي في الابدات دعاء له ، وإذا قيل : لا امل للماثر ، فعناه لا أقال الله عثرته ، يقول : لقد أساء إليك الدهر في هذا الخراب فهل أنت صانع عنه ومقبله من عثرته .

(٢) المشرع : كالاشمرة والفرية المكان الذى ينحدر منه الئاس والدواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى في بر الوالدين :

« واخلض لهما جناح الدل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْيَّامُ أَنَّكَ جَارِعٌ أَوْ اسْتَشْعَرْتَ فِي قَلِّ صَبْرِكَ مَطْمَعًا
فَمَا أَرْبَدَّ وَجْهُ الْخَطْبِ إِلَّا لَقِيَّتُهُ بِصَفْحَةٍ طَلَّقِ الْوَجْهَ أَبْلَجَ أَرْوَعًا
وَمَا كُنْتَ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَدِثٌ فَتُصْبِحَ عَنْهُ مُقْصَدَ الْقَلْبِ مُوجِعًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَحْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ وَلَا أَهْتَزَّ أَعْطَافًا ، وَلَا لَانَ أَخْذًا
فَأَنْتِ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِمْ غِيبَ قُدْرَةٍ وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَعْرُوفَ إِلَّا لِبَشْفَعَا
مَتَى تُسَدِّ نُعْمَى - قِيلَ أَنْعَمَ مِثْلُهَا - يُقَلُّ جَلَلُ حَتَّى إِذَا قِيلَ أَبَدًا (١)
وَإِنْ يَسِلِ الْعَافُونَ جَدْوَاكَ يُعْطِيهِمْ جَوَادُ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّعًا
وَيُغْرِى بِتَوْكِيدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ فَيَلْقَاكَ بِالْإِحْسَانِ أَعْرَى وَأَوَّلَمَا (٢)
خَلَائِقُ مُمَهَّاهُ الْفَرِيدِ كَأَنَّهُمَا حَدَائِقُ رَوْضِ الْحَزَنِ جِيدَ فَايْنَعَا
تُنَافِحُهُمَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدِ تَحَالُ فَتَيْتَ الْمِسْكِ عَنْهَا تَضَوَّعَا
تَغْلَغَلُ فِي الْآفَاقِ أُسْرَى مِنَ الصَّبَا وَأَشْهَرَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَسْرَعَا
فَلَوْ صَرَفْتَ صَرَفَ الْمَنُونِ جَلَالَهَ لَكُنْتَ مُحْيَا مِنْ تَوْدُ مُمْتَعَا
فَلَا زِلْتَ نَمْنُوعَ الْحُمَى مُسَعَّفَ الْمُنَى إِذَا كَانَ شَانِيكَ الْمُصَابِ الْمُفْجَعَا (٣)
وَدُمْتَ مُلْتَمَى أَنْجُمِ السَّعْدِ بَاقِيَا لِدَيْنٍ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْرُهُمَا مَعَا

(١) يقول كلما أسديت جيلا فال الناس : كم لهذا الجيل من أشباه ونظائر فهو - على نظره - ناله عندهم لكثرة ما ألفوه من صنائك ، ولو أبدعت لم يسترق انظارهم إبدانك لطول ما ألفوا من روائك وبدائك .
(٢) يقول : ان السبي يطعمه غفوك عن زلته فهو إذا أوقع بتوكيد إساءته وجدك أشد ولو ما بتوكيد إحسانك وغفوك عنه . (٣) يقول : لا زال الزمن يمر من حاك وبسيفك بأمايك على حين يصيب عدوك ويفجعه فيما يجب .

قل للبغاة

« وقال ذو الوزارتين رحمه الله »

الْدَّهْرُ - إِنْ أُمِّلَى - فَصَبِيحُ أَعْجَمُ يُعْطَى أَعْتَبَارِي مَا جَهِلْتُ فَأَعْلَمُ ^(١)
 إِنَّ الَّذِي قَدَرَ الْحَوَادِثَ قَدَرَهَا سَاوَى لَدَيْهِ الشُّهْدَ مِنْهَا الْعَلَمُ ^(٢)
 وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أُعْتَرَابُ يَفْتَضِي كَدَرَ الْمَالِ وَلَا تَوَقُّ يَعْصِمُ
 كَمْ قَاعِدٍ يَحْطِي فَتُعْجَبُ حَالُهُ مِنْ جَاهِدٍ يَصِلُ الدُّوْبَ فَيُخْرِمُ
 وَأَرَى الْمَسَاعِيَ كَالسُّيُوفِ تَبَادَرَتْ شَأْوَ الْمَضَاءِ فُنُتْنٍ وَمُصَمِّمُ
 وَلَكُمْ تَسَاعَى بِالرَّفِيعِ نِصَابُهُ خَطَرُهُ فَنَاصِبُهُ الْوَضِيعُ الْأَلَامُ ^(٣)
 وَأَشَدُّ فَاجِعَةً الدَّوَاهِيَ مُحْسِنٌ يَسْمَى لِیُعْلِقَهُ الْجَرِيعَةَ مُجْرِمُ ^(٤)
 تَلْقَى الْحَسُودَ أَصَمَّ عَنْ جَرَسِ الْوَفَا وَلَقَدْ يُصْبِحُ - إِلَى الرِّقَاةِ - الْأَرْقَمُ ^(٥)

☆ ☆

قُلْ لِلْبُغَاةِ الْمُتَبِضِينَ قِسِيَهُمْ سَتَرُونَ مَنْ تُصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ
 أَسْرَزْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ عُيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَذْلُولٌ عَلَيْهَا مُلْهُمُ

- (١) يقول إن الدهر إن أملى بلسان الحوادث الفصيح الأعجم يكسب اعتباري وقباصي الحوادث والعبر بعضها بعض علم ما جهلت . (٢) إن الذي فاس الحوادث بمقياس صحيح استوى لديه حلو الحياء ومرها . (٣) وكثيرا ما ينسأى بالذي ارتفع منصبه خطره وشرفه فيناصبه العناء ويجمع لثيم حسدا منه وديما . (٤) وأشد ما يفتع الانسان من الدواهي محسن يسمى مجرم ليلصق به إساءة وحرمة . (٥) يصيح مضارع أصاخ له استمع ، والرقاة جمع راق من الرقية وهي ما ينفث فيه من العوذ ، والأرقم ذكر الحيات وهو أخشها وأظلمها للناس ، أو هو ما به يبيض وسواد ، يقول : إن الحسود أصم عن سماع صوت الوفاء في حين أن الأرقم وهو أخبث الحيات وأشدّها عداوة للناس يصيح بسمعه للراق الذي يتلو وينث في العوذ ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاة الأرقم » .

وَعَبَّائُمُ لِلْفِسْقِ ظُفَرٌ سِمَايَةٌ لَمْ يَعْدُكُمْ أَنْ رَدَّ وَهُوَ مُقَلَّمٌ
وَبَدَّدْتُمْ التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فَقَدَا بَغِيضَكُمْ التَّقِي الْأَكْرَمُ
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٌ » لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ دَعَلُ الضَّمِيرِ ^(١) مُدَمَّمٌ
مَلِكٌ تَطَلَّعَ لِلنَّوَاطِرِ غُرَّةً زَهْرَاءُ يُبْدِيهَا الرِّمَانُ الْأَذْهَمُ
يَعْنَى النَّوَاطِرِ مِنْ جَهْرِ رُؤَايِهِ خَلَقٌ - يُرَى مِلَّ الصَّدُورِ - مُطَهَّمٌ ^(٢)
وَسَنَّا جَبِينَ يَسْتَطِيرُ شُمَاعُهُ يُعْنَى - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ ^(٣)
صَلَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِيغَتْ لَهُ تَاجًا تُرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَنْجُمُ ^(٤)
فَصَحَّتْ مُحَاسِنُهُ الرِّيَاضُ بَكِي الْحَيَا - وَهَنَّا عَلَيْهَا - فَأَغْمَدَتْ تَبَسُّمُ
بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعُ يَدِّنَ وَالشَّرُّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَتَغَيَّمُ ^(٥)
جَذْلَانُ - فِي يَوْمٍ الْوَغَى - مُتَطَلَّقٌ وَجَهَا إِلَيْهَا وَالرَّدَى مُتَجَهَّمٌ ^(٦)
بَأْسٌ - كَمَا صَالَ الْهَزْبُ - إِزَاءَهُ جُودٌ كَمَا جَاشَ الْخِضَمُ الْخِضْرُمُ ^(٧)

(١) بصيره حقد مكتم . (٢) الرواء : الحسن ، وخلق مطهم : تام بارع الجمال .

(٣) يستطير : ينشر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والذى أجاز النسيبة مع اختلاف لفظ المفرد المليب كما هو معروف في كتب النحو ، ويتوسم : ينظر إلى وسامة ذلك الجبين المضيء وحسنه .

(٤) الصلت : صفة الجبين ومعناه الواضح البارز المستوى ، أى تود الشمس لوأنها صيغت تاجاً مرصعاً بآلى النجوم ، ووضع فوق جبين المدوح : (٥) فى الأصل :

« بالعدم يبعد والتواضع يدنى والبشر شمس والندى يتغيم . »

والذى أثبتناه هنا هو ما يعطيه المعنى .

(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان فرحا طلق الوجهه بأشأ إلى الحرب والردى متجههم عابس

الوجه كرهه المنظر ، وفى الأصل : « والروا متجههم »

(٧) البحر العظيم العظيم .

تَفْسَى فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي
 سُدَّتِ الْجَمِيعَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ
 لَا عَرَوْا أُمَّ الْمَجْدِ - فِي بَكْرِ الْحِجَا
 فَاحْسِمِ دَوَاعِيَ كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ
 كَمْ سَقِطُ زِنْدٍ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا
 وَكَذَلِكَ السَّيْلُ الْجُحَافُ فَإِنَّمَا
 وَالْمَالُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنِ حَدِّهِمْ
 وَاذْكُرْ صَنِيعَ أَيْكَ أَوَّلِ أَمْرِهِ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ
 فَعَلَّامَ تَنْكُلُ عَنِ صَنِيعِ مِثْلِهِ
 وَجَنَابُكَ الثَّبْتُ الَّذِي لَا يَنْتَنِي
 وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْعَوَالِي جَمَّةٌ
 لَا تَتَرُكُنَ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ
 قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كَنَدَةٍ فِيمَا مَضَى

كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْعَلَاءُ تَسْلَمُ
 أَنْ صِرْتَ فَذَهُمُ الَّذِي لَا يُتَأَمُّ (١)
 مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُوءٌ - أَعْقَمُ (٢)
 فَالْدَّاءُ يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ
 بُرْكَانَ نَارٍ كُلِّ شَيْءٍ تَحْطِمُ
 أَوْلَاهُ طَلٌّ ثُمَّ وَبَلٌّ يَشْجُمُ (٣)
 وَأَفْهَمُ فَإِنَّكَ بِالْبَوَاطِينِ أَفْهَمُ
 فِي كُلِّ مَتَّهَمٍ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ
 فَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْعَمُ
 وَلَآئَتْ أَمْضَى فِي الْخُطُوبِ وَأَشْهَمُ
 وَحُسَامُكَ الْعَضْبُ الَّذِي لَا يَكْهَمُ
 وَالْمَجْدُ أَشْمَخُ وَالصَّرِيمَةُ أَضْرَمُ (٤)

(١) الذي لا يكون له توهم ونظير من الملوك .

(٢) لا عرو فان لم المجد عقيم في بكرها الموسوم بالحجا والعقل قد يثبت من أن تنيف إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كغراب الذي يذهب بكل شيء .

(٤) الصريمة : العزيمة وأصرم أى أقطع ، وفي الأصل : « والصريمة ضميم . »

« لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ »^(١)

* * *

فَرَّقَ عَوْتَ، فَرَّزْتَ زَارَةَ زَاجِرٍ رَاحَ الْكُلَيْبَ بِهَا السَّبْتَى الضَّيْعَمُ^(٢)
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَفِيهِمُ أَمْ قَدْ حَمَاهُ النَّبُحُ ذَاكَ الْمَكْمُ؟
لِي مِنْكَ فَلْيَذُبِ الْحَسُودُ تَلَطَّيَا لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلُّ الْأَكْرَمُ
وَشَفُوفُ حَظٍّ لَيْسَ يَفْتَأُ يُجْتَلَى غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَهْرُمُ
كَمْ تُلَفَّ صَاغِي^(٣) لَدَيْكَ مُضَاعَةً كَلَّا وَلَا خَفِيَ أَصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعْتَ حِفْظًا وَصِدْقَ رِعَايَةٍ ذِمَّتْ مُوْتَقَةُ الْعُرَا لَا تُفْصَمُ
فَلْيَخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرُ مُنْجِدٍ مَنِي تَنَاقُلُهُ الْمَحَافِلُ مُنْهَمِ
عَطِرٌ - هُوَ الْمِسْكُ السَّطُوعُ - يَطِيبُ شَمَّ الْعَقُولِ أَرْيَجُهُ الْمُتَنَسِّمُ
وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّلَتْ كَانَ الشَّمَاءُ هَدِيلَهَا الْمُتَرَنِّمُ
الْفَخْرُ تَغْرُ - عَنِ حِفَاظِكَ - بِاسْمِ وَالْمَجْدُ بُرْذُ - مِنْ وَفَائِكَ - مُعْلَمُ
فَأَسْلَمَ مَدَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا وَتَسْوَعُ النُّعْمَى فَإِنَّكَ مُنْعِمُ

(١) هذا البيت للعتبي وقد انتبسه ابن زيدون في هذه النسيبة .

(٢) السبتي والضيغم من أسماء الأسد .

(٣) صاغية الرجل خاصته : الذين يشون مجله .

ذكرى قرطبة

سَقَى اللهُ أَطْلَالَ الْأَحِبَّةِ بِالْحَمَى
وَحَالَكَ عَلَيْهَا تَوْبَ وَشَى مُنَمَّنَا
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَجْمَا
فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخَرَائِدُ كَالْدُمَى^(١) إِذِ الْعَيْشُ غَضَّ وَالزَّمَانُ غُلَامُ

* *

أَهِيْمُ بِجَبَّارٍ يَعِزُّ وَأَخْضَعُ^(٢)
شَدَا الْمِسْكِ - مِنْ أُرْدَانِهِ - يَتَضَوُّعُ
إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - أَيْسَ يَسْمَعُ
فَأَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنَامُ

* *

قَضِيبٌ - مِنَ الرِّيحَانِ - أُمَرَّ بِالْبَذْرِ
لَوَاحِظٌ عَيْنَيْهِ مُلْتَمِسٌ مِنَ السَّحْرِ
وَدِيْبَاجٌ خَدَيْهِ حَكَى رَوْنَقَ الْخَمْرِ
وَالْفَاظَةُ - فِي النُّطْقِ - كَاللَّوْلُو الثَّمْرِ وَرِيقَتُهُ - فِي الْإِرْسَافِ - مُدَامُ

(١) رذل : حر ذيله وتعتق ، قال الشاعر : « يرذلن في سرق الحرير وقرم » الخرائد - جمع خريدة - وهي المرأة الحية ، وهي أيضاً الأولوة التي لم تنقب ، قالوا : وكل عذراء خريدة ، والدمى - جمع دمية - وهي الصورة المقلقة المرينة فيها حرة كالدم ، وقيل : هي من الرغام ، وقيل : هي من العاج ، وهي تضرب مثلاً في الحسن ، يقال « أحسن من الدمية »

(٢) قال الشريف :

« لو حيث يستمع السرار وقفنا . لعجبنا من عرّة وخفوى . »

سَقَى جَنَبَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ -
وَعَنَى عَلَى الْأَعْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ -
« بَقَرُطِبَةَ » الْغُرَاءِ دَارِ الْأَكَارِمِ -
بِلَادَ بِهَا شَقَّ الشَّبَابُ تَهَامِي ^(١) وَأُنْجَبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامُ

فَسَكَمَ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ -
يَكُلُّ غَزَالَ مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَصَّاحِ -
يُقَدِّمُ ^(٢) أَفْوَاهَ الْكُؤُسِ بِنْفَاحِ -
إِذَا طَلَعْتَ فِي رَاحِيهِ أَنْجُمُ الرَّاحِ - فَإِنَّا - لِأَعْظَامِ الْمَدَامِ - قِيَامُ

وَيَوْمَ لَدَى « النَّبِيِّ » فِي شَاطِئِ النَّهْرِ -
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي فِتْيَةِ زُهْرٍ ^(٣) -
وَلَيْسَ لَنَا فَرْشٌ سِوَى يَانِعِ الزَّهْرِ -
يَدُورُ بِهَا عَذْبُ اللَّمَأِ أَهْيَفُ الْخَضِرِ - فِيهِ مِنَ الْعُغْرِ الشَّيْبِ - نِظَامُ ^(٤)

(١) التهامي - جمع تيمية - وهي عودقة تعلق على الأطفال محافة العين ، ومنه قول الفاعل : « من علق تيمية فلا أتم الله له » وقول الشاعر :

« وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَتَشَبَّهَتْ أَطْفَارَهَا أَلْفَيْتُ كُلَّ تَيْمِيَةٍ لَا تَنْفَعُ . »

(٢) قدم فم الآنية وأقدمها جعل عليها القدم أي الغطاء .

(٣) زهر : مشرق الوجه ، وقرب من هذا - في باب الجريرات - قول أبي نواس :

« وَدَارُ نَدَامَى عَطَلُوهَا وَأَدْجَلُوهَا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جِيٌّ وَدَارَسَ

مَسَاحِبَ مَنْ حَرَّ الزَّقَاقَ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَنَاتُ رِيحَانٍ حَتَّى وَيَاسَ

حَبِسَتْ بِهَا صَحْبِي لَجَدَدَتْ حَبْدَهُمْ وَلَمَنِ عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسَ

- بِشَرْقِ سَابِطٍ - الديار الباسِ وَلَمْ أَدْرِ مِنْهُمْ فَعِيرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ

أَقْبَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجِدِيَّةٍ

قَرَارَتِهَا كَسَرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهَا تَدْرِيبُهَا بِالْقَيِّْ الْفَوَارِسَ

فَلَاخِرَ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ حَبِيبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسَ »

(٤) الشنيب - من الشنب - وهو رقة أو هو عذوبة في الأسنان ، وقبل نقط ييش فيها .

وَيَوْمَ « بِجُوفِي الرُّصَافَةِ » مُبْهِجٍ
مَرَزَنَا بِرَوْضِ الْأَفْحْوَانِ الْمُدْبِجِ
وَقَابَلَنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَنْفَسِجِ
وَلَا حَ لَنَا وَرَدٌ^(١) كَحَدِّ مُضَرَّجٍ نَرَاهُ أَمَامَ النَّوْرِ وَهُوَ إِمَامٌ

وَأَكْرَمُ بَأْيَامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ^(٢)
وَلَهُوَ أَثَرُنَاهُ بِتِلْكَ الْمَعَاطِفِ
بِسُودِ أَثْبَثِ الشَّعْرِ بِيضِ السَّوَالِفِ
إِذَا رَفَلُوا فِي وَشْيِ تِلْكَ الْمَطَارِفِ^(٣) فَلَيْسَ - عَلَى خَلْعِ الْعِذَارِ - مَلَامٌ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَقِيقِ » وَجِسْرِهِ
قَعَدْنَا عَلَى حُمْرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ
وَطَلَبِي يُسَقِّينَا سُـلَافَةَ خَمْرِهِ
حَكِي جَسَدِي فِي السَّقَمِ - رِقَّةَ خَضْرِهِ لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّنُوتِ - سِهَامٌ

فَقُلْ لِرَمَائِمٍ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ
وَرَثْتُ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ
وَكَمْ رَقٍّ فِيهِ - بِالْعَشِيِّ - نَسِيمُهُ
وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ جُجُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الصَّبِّ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « نجد »

(٢) السوالف - جمع سالفه - وهي صفحة العنق ، وقيل : ناحية مقدمها من لدن معاق القراط إلى الترتوة . وقد تقدم في ص (٥٤) وما يليها شرح أمكنة ومعاهد بقرطبة منها (جوف الرصافة) و (العقاب) فارجع إليها إن شئت . (٣) المطارف - جمع مطرف - وهو رداء من خز مريع ذو أعلام .

وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسَيِّءَ بِنِ الْفِعْلِ حُسْنُكَ حَتَّى فَعَلَ
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْأَمَانِي بَدَلْ
وَصَانَكَ مِنِّي وَفِيَّ أَبِي لِعَلِّقِ الْعَلَاقَةَ أَنْ يُبْتَدَلَ

سَعَيْتَ لِتَكْذِيرِ عَهْدٍ صَفَا ، وَحَاوَلْتَ نَقْصَ وَدَادٍ كَمَلْ
فَمَا عُوِفِيتَ مِقَّتِي ^(١) مِنْ أَدَى وَلَا أُعْفِيتَ ثِقَتِي مِنْ خَجَلْ
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ الْعِتَا بَظَاهَرَتِ بَيْنَ ضُرُوبِ الْعِلَلِ
كَأَنَّكَ نَاطَرْتُ أَهْلَ الْكَلَامِ وَأَوْتَيْتَ فَهْمًا بَعْلِمَ الْجَدَلِ
وَلَوْ شِئْتَ رَاجَعْتَ حُرَّ الْفَعَالِ وَعُدْتَ لَتِلْكَ السَّجَايَا الْأَوَّلِ
فَلَمْ يَكُ حَظِّي مِنْكَ الْأَخْسَ وَلَا عُدَّ سَهْمِي فِيكَ الْأَقْلَ

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ وَدَاعَ هَوَى مَاتَ قَبْلَ الْأَجَلِ
وَمَا بِاخْتِيَارٍ تَسَلَّيْتُ عَنْكَ ، وَلَكِنِّي : مُكْرَهُ لَا بَطْلَ ^(٢)
وَلَمْ يَذَرِ قَلْبِي كَيْفَ التُّزُوعِ إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةً فَامْتَثَلَ
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوًا إِلَيْكَ أَبِي الْهَوَى فِي عِنَانِ الْغَزَلِ
يُحِيلُ عُدُوبَةَ ذَاكَ الْمَلَأَ وَيَشْنِي مِنَ الشَّقَمِ تِلْكَ الْمُقَلَّ

(١) مَقَّتِي : حِينِ .

(٢) يَقُولُ : إِنَّمَا مَرِغَمٌ عَلَى السَّلَوِ وَلَيْسَ لِي فِيهِ اخْتِيَارٌ وَفِي الْمَثَلِ « مُكْرَهُ أَخُوكَ لَا بَطْلَ » يَضْرِبُ لِمَنْ يَحْدِلُ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَلَا هُوَ دَاخِلٌ فِي حُدُودِ اسْتِطَاعَتِهِ .

في مدح المعتضد

« وقال أيضا يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل

الله أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِيَابِ - مَرَادُ^(١) لَوْ سَاعَفَ الْكَلِيفَ الْمَشُوقَ مَرَادُ
لِيَعْرِ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حِمَايَةَ لِفَتَاةٍ نَجْدٍ فِتْيَةٍ أَنْجَادُ^(٢)
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ؟ لَنْ يُسَاعِفَكَ الْهُوَى بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نِجَادُ^(٣)
أَعْقِيلَةَ السَّرْبِ! الْمُبَاخُ لَوْرِدِهَا صَفْوُ الْهُوَى إِذْ حُلَّى الْوَرَادُ^(٤)
مَا لِلْمَصَايِدِ لَمْ تَنْلِكَ بِحِمْلَةٍ؟ إِنَّ الظَّبَاءَ لَتُدْرِي^(٥) فَتُصَادُ
إِنْ يَعْدُدْ عَنْ سَمَرَاتٍ جِزَعِكَ سَامِرُ فِي كُلِّ مُطْلَعٍ لَهُمْ إِرْعَادُ^(٦)

(١) مكان ارتياد . (٢) ليغر : لينتدر إلى الدور ، والابحار : جمع حديد وهو الشجاع ذو النجدة والبأس . (٣) يقول : ما هذا التعلد والصبر ، لأنه إن يسهك الهوى بالوصل مالم تكن شجاعا طويل النجاد بحيث يباك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حي يومها رغم رثيم ووعيدهم . (٤) العقيلة : الكريمة من النساء المخدرة ، وحلى الوراد : منعوا من ورود الهوى صفوا ، أى بالعقيلة بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صافيا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب الداء في البيت بعده . (٥) المصيد : بلاهز جمع مصيده كعيشه ومعايش ، وتدري : تتعلل من ادري الصائد الصيد إذا خنله واحتال له لبيده ، قال الشاعر :

« وماذا يدري الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين . »

وقال أبو نواس في وصف كأس :

« قراتها « كسرى » وفي جنباتها مها تدريها - بالقي - الفوارس . »

(٦) سمرة : جمع سمرة (بفتح فضم) ضرب من الشجر . قال امرؤ القيس :

« كأنني غداة البين - يوم ترحلوا - لدى سمرة الحى نافع حنظل . »

وجزعاك : أراد به جزع الوادى أى متقطعه الذى يقطعه عرضا إذا أراد زيارتها ، والسامر : مجلس السر يقول : إن يعدنى ويمنعنى عن سمرة جزع واديك سمار من قومك لهم في كل ثنية ومطلع لإرعاد وإبراق وزجر وتخويف ، وجواب الشرط في البيت بعده .

فَبِمَا تَرَفَّرَقَ لِلْمُسْتِمِ يَنْهَهَا غَلَلٌ شَقَى حَرَّ الْغَلِيلِ بُرَادُ^(١)
 أَنَا حِينَ أَطْرُقُ لَيْسَ يَفْتَأُ طَارِقِي شَوْقُكَ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمِ عِدَادُ^(٢)
 يَنْهَى جَفَاؤُكَ عَنْ زِيَارَتِي الْكَرَى كَيْلًا يَزُورَ خِيَالُكَ الْمُعْتَادُ
 لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنُّبًا إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ^(٣)
 مَا ضَرَّ أَنَّكَ بِالسَّلَامِ ضَنِينَةٌ أَيَّامَ طَيْفِكَ بِالْعِنَاقِ جَوَادُ
 هَلَّا سَمَحْتَ الشَّقَمَ عَنْ جِسْمٍ لَهُ فِي كِلَّةٍ زُرْتَ عَلَيْكَ فُؤَادُ
 أَوْعَدْتِ مِنْ سَقَمِ الْهُوَى، إِنْ الْهُوَى مِمَّا يُطِيلُ ضَنْيَ الْفَتَى فِيمَا دُ
 إِيهَا ! فَلَوْلَا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالشَّرَى لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالَ سَوَادُ^(٤)

(١) ترفرق : تحرك وجاء وذهب كما يرى في ترفرق الحراب والماء ودرند السيف ، والدعير في « بينهما »
 حائد على السموات ، والعلل : الماء الذي يتأهل بين الشجر ، والعليل : العطش ، والبراد : البارد ، يقول :
 إن معنى قومك من الوصول إليك فبمسيل الوادي الذي يتأهل ماؤه بين سموات الحى ما يشقى غليلي ويبرد
 غلتي ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان يأتى بحاراة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذي قبله في
 الأصل على هذه الصورة :

« إن يعدن ثمرات جرنك سامر في كل مطلع لهم لإرهاد

فبما ترفرق للمستيم بينها غلل ثقي جر الليل براد . »

(٢) السليم : المدح ، وعداد السليم : احتياج الوجع عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم لدغ حاج
 به الألم ، أو عداؤه أن تعد له سبعة أيام فإن مضت رجوا له البرء ، يقول : أنا حين أطرق برأسى مفكرا
 يطرقتى من ألم الشوق ما يطرقت اللدغ حاج به الألم المعاد .

(٣) سداد : بالكسر هو كل شيء سددت به خلا ، ومنه سداد الفارورة وهو صمامها الذى يسد به
 رأسها ، ويقال : سداد من عوز وسداد من عيش وهو مائسد به الحاجة .

(٤) الوساد : الحدة والسواد : السرار مصدر ساودها مساودة وسواد أى سارها مسارة وسرارا نادى
 سواده من سوادها ، وقيل لابنة الحس : « لم زيت وأنت سيدة قومك » ؟ فقالت : « قرب الوساد ،
 وطول السواد . » وأرادت بطول السواد كثرة المسارة عند النوم لأن المسارة يلزمها قرب السواد من السواد ،
 أى دنو شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب للأمر يلقي صاحبه فيما يكره .

لَعَشَيْتُ سَجْفَكَ فِي مُلَاءَةٍ نَثْرَةٍ فَضِّلْ سِرْوَى أَنْ الْعِطَافَ نِجَادُ (١)
لِأَمِيلٍ فِي سُكْرِ اللَّمَّا فَيَبِيَّتَ لِي - بِمَا حَوَى ذَاكَ السَّوَارُ - وَسَادُ
فَعَدَى الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَوْمِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَعُوقَ عَنْ أَنْ يُقْتَضَى الْمِعَادُ

* *

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتْ جُرْدُ - تُبْلَغُنِي جَنَاهُ - وَرَادُ
وَأَزَاحُ لِلْعَطْرِ السَّطُوعِ أُرِيحُهُ إِنَّ شَيْبَ بِالْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ (٢)
عَزَمُ إِذَا قَصَدَ الْحِمَى لَمْ يَذْنِبْ أَنَّ الْقَنَا - مِنْ دُونِهَا - أَقْصَادُ (٣)
مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَطْبِيهِ - عَنِ الْحُظُوظِ - يِلَادُ (٤)
وَفَتَى الشَّهَامَةِ مَنْ - إِذَا أَمَلْ سَمَا - نَفَذَتْ بِهِ شُورَى أَوْ اسْتَبْدَادُ (٥)

* *

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْأَجْبَةِ إِذَا بَتَ ذِكْرَاهُمْ أَنْ يَصْمَنَ مِهَادُ
لَا يَأْسَ ، رَبُّ دُنُو دَارِ جَامِعِ لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَّى إِلَيْهِ بِعَادُ (٦)

(١) السجف : الستر ، قالوا : أو هو استران المقرونان بينهما فرجة ، أو هو كل باب ستر بسترين مقرونين ، فكل شق سيف وسجاف ، ويقال : اسجف الستر أى أرسله ، والملاءة : الربطة ، والنثرة : الدرع السلسلة الملبس أو الواسعة ، والغفل - كالفضلة - : الثياب التى تبذل للنوم ، وثوب فضل أى واحد أو هو أن يخالف بين طرفيه فيجعلهما على طاقه ويوشح به ، والنجاد : حائل السيف وضما على طاقه فكانت بدل العطاف ، يقول : لعشيت سجفك ، ودخلت عليك سترك في درع واسعة كالملاءة ، فضل أى خالفت بين طرفيها فجعلتهما على طاقى حين توشحت بها ، أو فضل أى واحدة لبس على غيرها سوى ما وضعت على طاقى كالعطاف من نجاد السيف أى حائله .

(٢) الجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران أو المصفر ، والجساد : الزعفران ، قالوا : « والجسد والجساد : الزعفران » ويقال : أجسد ثوب فلان لجساداً فهو مجسد . يقول : لى أرتاح وأنعم بعزرك الساطع إذا امتزج طيب الزعفران بثوبك الأحمر المصبوغ بالزعفران أو الأصفر المصبوغ بالمصفر .

(٣) أقصاد : يقال تقصدت الرماح تكسرت ورمح أقصاد متكسر ، ورمح أقصاد متكسرة يوصف به الواحد والجمع ، يقول : إذا اعتزمت زياوتها ، وقصدت حماها لم يصرفنى عن عزى أن الرماح تتكسر دون الوصول إليها ، وفى الأصل : « القنى . » (٤) أطباه : ازدعاه ، وشأه : وأعجبه .

(٥) وفى الأصل : « نفدت به شورى أو استبداد »

(٦) وفى الأصل : « لا بأس »

إِنَّ أَغْتَرِبَ فَوَاقِعَ الْكَرَمِ - الَّذِي فِي الْغَرْبِ شَمْتُ بُرُوقَهُ - أَزْتَادُ
 أَوْ أَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي - فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِيكُهُمْ « عِبَادُ » (١)
 الْمَجْدُ عُدْرَتُهُ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى - لِيَرَى الْمَصَانِعَ مِنْهُ كَيْفَ تَشَادُ (٢)
 يَا هَلْ أَنْتِ مَنْ ظَنَّ بِي - فَظَنُونَهُ - شَيْتَى تَرْجِعُ بَيْنَهُمَا الْأَضْدَادُ -
 أَنِّي رَأَيْتُ « الْمُنْذِرَيْنِ » كَلَيْهِمَا - فِي كَوْنِ مُلَاكِ لَمْ يُحِلَّهُ فَسَادُ
 وَبَصُرْتُ بِالْبُرْدَيْنِ إِرْثٍ « مُحَرَّقٍ » (٣) - لَمْ تَخْلُقَا - إِذْ تَخْلُقُ الْأَبْرَادُ

(١) وفي الأصل :

« أو أماء عن صيد الملوك بجاني فهم العبيد ملوكهم عباد . »

(٢) وفي الاصل : « المجد عذر في العراق لمن نأى »

(٣) محرق

هو - كما في شرح العيون - « عمرو بن المنذر بن ماء السماء » وهو « عمرو بن هند » وكان يعرف بأمة هند بنت الحرث بن حجر آكل المرار السكدي ، وكان يقال لعمرو مضط الحجارة لشدة بأسه ، وسمى محرقاً لقصة استوفى أبو الفرج شرحها في كتاب الأغاني ، فقال : كان قد قائد حياطي على ألا ينازعوا ، ولا يفاخروا ، ولا يفرأ ، ثم أنه غرا اليمامة ورجع معتبطاً ومربطاً ، فقال له زرار بن عدس التميمي ، وكان من خواصه أبيت اللعن أصب من هذا الحى شيئاً ، فقال ويلاك إن لهم عقداً . قال وإن كان لهم ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأدوا ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تفك أمانة وما المرء إلا عهده ومواقفه

فأقسمت جهدى بالأباطع منى وما خب في بطعنهن درادته

لئن لم تعير بعض ما قد فعلته لانتجى للعظم ذوات عارقه . »

سمى عارفا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرار بن عدس أبيت اللعن أيتوعدك ؟ فقال عمرو لهيلة بن شعار الطائي أهبجوني ابن عمك ويتوعدني . قال لا والله ما هجك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن جفنة جاركم ما إن كساكم شنيعة وهوانا . »

وأراد رميلة أن يسلم سجيته ، فقال والله لأقتله ، فبلغ ذلك عارفا ، فقال لمشدأ :

« أيوعدني والرمل بيني وبينه تبين رويداً ما امامة من هند

غدرت بهمد كنت أنت أخذتنا عليه وشر الشبيبة الدر بالهد

وقد يترك الدر الفتى وطعاه إذا هو أمسى جله من دم القصد . »

فبلغ عمرو بن هند قوله فخر طائفاً فأسرأ سرى من بني عدى بن أحزم رهط حاتم ، فوجد حاتم عليه وسأله في الأسرى فأطلقهم له ، وكان المنذر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له صغيراً يقال له مالك عند زرار

ابن عدس ، وأن مالكاً خرج وما يتصيد فأخفق ولم يجد شيئاً ، فرجع فرّ يابل لرحل من بني عبدالله بن دارم يقال له سويد ، وكان عند سويد ابنة زرار ، فولدت له سبعة غلّة ، فأمر مالك بن المنذر بناقاة سمينة منها فتحرّها ، ثم اشتوى وسويد تأم ، فلما انتبه شدّ على مالك بعدما فضربه فأتمته ، فمات وخرج سويد هارباً حتى لحى بمكة ، وكانت طلى تطلب عنزة بن زرار ، وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الطائي :

« من مبلغ عمرواً بأن المرء لم يخلف صباه
وهو واد الأيام لا تنق لها إلا الحجارة
أن ابن عمرو أمته بالسفح أسفل من أواره
تسنى الرياح خللاً كشحيه وقد سلوا اراره
فاقتل زرار لا أرى في القوم أوفى من زرار . »

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفاشت عيناه ، وبلغ الخبر زراراً فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حبلى ، فقال أذكر في بطنك أم أبي ؟ قالت لا علم لي بذلك بقدر بطنها ، فقال قوم زراراً لرارة والله ما تلب أبا الملك فإنه أصدته الخبر ، فأتاه فتصل إليه ، فقال علىّ بسويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال دعني ببنيه ، فأتاه ببنيه السبعة وأمرهم بت زرار غلّة بعضهم دوى بعض ، فأمر بقتلهم ، فضاووا أحدهم فضرّوا عنقه وتعلّى بزرار الآخرون ، فقال زرار : يا بعضي ، وذهب مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند آلية ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدن ، وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أذروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بإحذية البحرين لحبهم ولحقه ابن هند فضربت قبة وأسرهم بأحدود ثم أضرهم فيه ناراً ، فلما احتدم وتلطت قدف بهم فيه فاحترقوا فأقبل راكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة لا يدري بشيء مما كان يصنع بديره فأحد وأتى في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقتل له لو تعلقت بأمرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، ودعا امرأة من بني حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ قال الحراء بنت صمرة ، فقال إني لأطوك أعجبية ؟ فماتت : ما أما بأعجبية ولا ولدتي العجم :

« إني لبنت صمرة بن جابر ساداً معداً كابر عن كابر . »

فقال عمرو : أما والله لولا مخافتي أن تلد مثلك لصرفتك عن النار ، فقالت : « أما والذي أسأله أن يضع وسادك ويغصص عمادك ، ما تقتل إلا نساء أهلها ثدي ، وأسألهن دمي . » قال أقتنوها في النار فالتفت وقالت : ألا فني يكون مكان عوز ، فلما أبطلوا عليها قالت : هيئات صار الفيان حماً ، وسبي من ذلك اليوم محرقاً ، ومن ملوك جفنة أيضاً المحرق لسكرته غير صاحب البردين - فأما أسر البردين لحكي أن الوند اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه إلى الوند وقال ليقم أعزّ العرب قبيلة فليأخذها ، فقام طامر بن أحمير فأخذها فأثر بالواحد وارثى بالآخر ، فقال له أنت أعزّ العرب قبيلة ؟ قال العزك في معد والمعد في معد ، ثم في زرار ، ثم في مضر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة فن أنكر هذا فلينا فرني فسكت الناس ، فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟ قال أما أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وهم عشرة ، وخال عشرة ، وها أنا في نفسي وشاهد العز شاهدي ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يبق إليه أحداً ، وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل ويبرديه .

وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطَّوْقِ عَمْرٍو^(١) ثَأْرَهُ جَذِيْمَةَ الْوَضَّاحِ^(٢) حِينَ يُكَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

انظر ص « ١٤٥ » من هذا الديوان .

(٢) جذيمة الوضح أو الأبرص

هو جذيمة بن مالك بن عامر النخعي ، وقيل الأردى أول من فاد العرب وملك على قضاة ، وكانت مازله الحيرة والانباء وولايته من قبل اردشير بن بابك ، وكان أبرص فعُدل عن هذا الاسم ، فقيل الأبرش والوضح ، وزعم بعضهم أنه كان يألف من اسم الأبرص ، ولذلك كنى عنه بالأبرش ، وفي العرب من يفتخر بذلك . قال الرازي يمدح أبرص :

« أبرص فباس الـسـدين أكلف والبرص أدري بالها وأعرف . »

وهو أول من صنع له الشمع وألج من الملوك ، وكان ذا رأى وهمة وتهي مفرط ، ويقال له ندم الفرقدين كان إذا شرب قدحاً صب لهذا قدحين ولا ينادم غيرهما ، وكان سبب ذلك فيما رعموا أنه كان تكهن واتخذ صنمين يقال لهذا العريان يستقي بهما وينتصر على أعدائه ، وكانت ايااد قد خرج قوم منهم من الحجار وانتشروا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة وكثروا بين أبيانغ ، فخرج جذيمة غارياً ، وكان في ايااد رجل يقال له عدى بن نصر ، وكان له ظرف وجمال ، وإليه تنسب الملوك من آل نصر ، فنزل جذيمة بساحتهم ، فبهت ايااد قوماً منهم إلى صنمي جذيمة فسقوا مسدثهم الحجر وسرتوها فأصبحوا بهما في ايااد ، ومعت ايااد إلى جذيمة تقول : إن صميك قد أصبحا عندنا زهداً فيك ورغبة فينا ، فإن هاهنا على أن لا ترونا ردناهما إليك ، فقال جذيمة وتعطوني أيضاً عدى بن نصر يكون عندي فعلوا وانصرف عنهم ، وضّم عديا إلى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه ، وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش وهي بكر ، فأجبت هديا وأحبها ، فسأله أن يخطبها من جذيمة إذا سكر ففعل ذلك وزوّجه بها وأشهد عليه من حضر ، فلما أصبح دخل عليه بقباب العرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال جذيمة ما هذه الآثار ياعدى ؟ فقال آثار عرس رقاش ، فقال من زوّجكها ويحك ؟ قال الملك ، فأكبّ على الأرض مفكراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل جذيمة إلى أخته يقول :

« خبري رقاش لا تكذبي أبحر زينت أم بهجين

أم بسد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدن . »

فالت بل أنت زوجتي امرأ غريباً ولم تشاورني في نفسي ، فكف عنها وآلى أن لا ينادم إلا الفرقدين وحملت رقاش غلاماً وسمته عمرا ، فلما ترعرع ألبسته وطرته ودخلت به على خاله ، فلما رآه أحبه وجله مع ولده وخرج جذيمة متدياً بأهله في سنة خضبة ، فأقام في روضة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يبحثون الكماء ، فكانوا إذا أصابوا كماء جسيده أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول : هذا حناي وخياره فيه ، إذ كلّ جانّ يده إلى فيه ، فصه جذيمة إلى صدره وسرّ بقوله وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول عربي لبس الطوق ، ثم إن الجن استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زماناً فلم يقدر عليه ، ثم أنبل رجلا من قضاة يقال لها مالك وعقيل ابنا فارح من الشام يريدان جذيمة وأهديا له طرفا ، فبينهما يأكلان إذ أنبل فتى حريان فد تلبد شعره ففرهما نفسه فهضا وغسلا

وَأَتَى نِي النُّعْمَانَ ^(١) - يَوْمَ نَعِيمِهِ - نَجْمٌ تَلَقَّى سَعْدَهُ الْمِيلَادُ
قَدْ أَفْتَتْ أَشْتَاتُهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُنُّهُمْ أُمَّةٌ فَيَكَادُ ^(٢)

رأسه وأصلح أمره وألبسها ثياباً ، وقال ما كنا نهدى جذية أنس من ابن أخته ، وخرجا به إلى جذية
فصرّ به ورأى الطوق ، فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلاً ، وقال لذلك وعقيل حكمكما فلا
منادئلك ما بقينا وبقيت فكأنهما من ذلك وهما نديما جذية اللذان يضرب بهما المثل وإيهما عني متمم بن
نوبة بقوله في رثاء أخيه :

« وكنا كندمانى جذية حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدنا . »

وقيل إنما عني الفرقدن ، ويحك أن جذية سكر مرة أخرى فقتلها ، فلما أصبح ندم ، وبني عليهما الزريين
ونادم الفرقدن وقيل إن صاحب الفريين المنذر الأكبر ، ثم إن جذية أرسل يخطب الزباء ملكة الحضرم الحاجر
بين الفرس والروم ، وكالها وترعده فأجابته واستدعته إليها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالضيّ نخالفهم قصير
ابن سعد ، وكان لبيباً ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأزواج فصاه وسار حتى إذا كان بمكان يدعي بقة
استشارهم فأشاروا عليه لما يملون من رأيه فيها ، فقال قصير انصرف ودمك في وجهك فأبى ، ووطن
جذية حتى إذا طين الكتاب قد استقبلته . قال قصير ما الرأي ؟ قال تركت الرأي بقة ، ثم ركب قصير
فرساً لجذية تدعى العصا فنجأ وأخذ جذية ، فلما أدخل على الزباء أمرت برواحشها فقطعت والرواحش
عروق اليد واستنزفته حتى مات في خبر طويل مشهور ، وكانت مدة ملكه ستين سنة ، وله أشعار حسنة
مشهورة فيها :

« أضفى جذية في يبرين منزله قد حاز ما جمعت من قبله حاد

مستعمل الخير لا تنفى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزداد . »

(١) النعمان

قالوا إن النعمان كان له نديمان فغضب عليهما فقتلها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشدّ الندم ، فبنى على
قبريهما ضريحين ، وجعل لنفسه يومين في كل عام يجلس فيهما بجوار القبرين أحدهما يوم نعيم ، والآخر
يوم يؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعزّيه مائة من الابل ، وأول من يطلع عليه في يوم يؤس
يقتله ويطلق بدمه ضريحى نديمه .

وقد ذكروا مثل ذلك عن المنذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه أتى «عبيد بن الأبرص» في يوم يؤس فقتله .
فقال له جلته التي صارت مثلاً فيما بعد وهي قوله : « حال المريض دون المريض » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدانت بهم السير في شخص واحد هو المدوح ، فإذا لم
يكن أمة مجتمعة فيه صفاتهم ومزاياهم فهو يكاد أن يكون .

وقديماً قال الفائل :

« ليس على الله بمستعكر أن يجمع العالم في واحد . »

فَكَأَنِّي طَالَمْتُهُمْ بِوِفَادَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ^(١)

(١) عروة الوفاة

نلخص هنا طرما من أخباره عن كتاب الأغاني فنقول :

هو عروة بن الورد بن زيد ، قيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعه بن عيس بن نفيش بن الريث بن غطفان بن سعد بن ويس بن عيلائ بن مضر بن نزار ، شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وجواد من أحوادها المقدمين ، وكان يجمع الصعاليك ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يصيبوا معاشا ، ولذلك سعى عروة الصعاليك ورووا عن عبد الملك بن مروان أنه قال : ما يسرنى أن أحدا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة ابن الورد لقوله :

«إني امرؤ على إنائي شركة وأنت امرؤ على إنائك واحد
أترأى أي أن سنف وأن ترى يجسسى مس الحق والحق جاهد
أمرق حسمى في جسوم كثيرة وأحسو فراح الماء والماء بارد.»

ويقال أيضا : إن عبد الملك قال : من رعم أن حائما أصبح الناس قد ظلم عروة بن الورد . قالوا : وكان إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريس والكبير والضعيف ، وكان عروة يجمع هؤلاء وأشباههم ثم يغفر لهم الأسراب ، ويشتد لهم حظائر يكفهمها عليهم وؤويهم إليها ، ومن قوى منهم بأن يرى من ماله أو ثابت إليه قوته خرج به معه فأغار ، وجعل لأهل الصدق من أصحابه النايك نصيبا ، وعن ابن الأعرابي قال : أجذب ناس من بني عيس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا ودلوا : يا أبا الصعاليك ، أغشنا ، فرق لهم وخرج ليؤويهم ويصيب معاشا فنهت امرأته عن ذلك لحونها عليه من الهلاك ، فصاها وخرج عاريا ، فرجلك بن حمار الفراري فنحله جرورا فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع فمصاه ، ومضى حتى انتهى إلى بلاد الدين فأغار عليهم فأصاب هجمة مادية على نفسه وأصحابه وقال في ذلك :

«أرى أم حسان المداة تلومني تخونني الأعداء والفسس أخوف
تقول ساييى لو أقت لسرنا ولم تدرك أئى للعقام أطرف
لعل الذى خونتنا من أماننا يصادفه في أهله المخلف .»

وقال في ذلك أيضا :

«أليس ورائى أن أدب على العصا فيشت أعدائى ويسأمنى أملى
رهية: قمر البيت كل عشية يئف في الولدان أهدج كالرأل
أقيوا بني أمى صدور ركابكم فكل مايا النفس خير من الهزل
فانكبوا لن تلداوا كل همى ولا أربى حتى تروا منبت الأثل
لعل اوتبادى في البلاد وحيلنى وشدى حيازيم المطية بالرحل
سـيدفنى يوما إلى رب هجمة يداع عنها بالفوق وبالبل .»

فِي قَصْرِ مَلِكِ كَالْسَدِيرِ^(١) أَوِ النَّيِّ نَاطَتْ بِهِ شُرُفَاتُهَا سِنْدَادُ^(٢)

(١) السدير

« السدير » قصر — وهو معرب — قالوا « وأصله بالفارسية « سه دل » أى قبة فيها ثلاث قباب متداخلة » فعرّبته العرب ، فقالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالحيرة » وقالوا : « هو قصر قريب من « الحورنق » كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم .
وسأئت ذكركه فى شعر الأسود بن يعفر عند الكلام على « سنداد » فى شرح هذه القصيدة .
وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند غلبة « خالد بن الوليد » والمسلمين على « الحيرة » فى خلافة أبى بكر فقال :

« أبعد المنذر ين أرى سواما تروح بالحورنق والسدير
تحاماه فوارس كل حى مخافة أغلب على الزئير
فصرنا بعد ملك « أبى قبيس » كمثل الشاء فى اليوم المطير
تقسمنا القبائل من « معد » كأننا بعض أعصاء الجزور »

وفال المخبل فى قصيدته المشهورة :

« فإذا سكرت ، فأنى رب الحورنق والسدير
وإذا صحت ، فأنى ربّ الشوبة والبعر . »

(٢) سنداد

« سنداد » قصر بالمذيب وهو المقصود هنا ، وسنداد — فى رواية أبى الحسين الأديب : نهر ، وقد استدلّ على ذلك بقول أبى دؤاد الايدى :

« أقفر الدير بالأجارع من قو مى ، فروق ، فرامح ، خفيه
فتلح الملا إلى جرف سنداد د ، فقوّ ، إلى نعاف طيه
موحشات من الأنيس — بها الوح ش خناطيل موطن أو بنيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح السين أو كسرهما ، فقال : « بفتح السين » وعن صاحب التكملة : بفتح السين وسامى بالكسر .

وفى رواية « السكونى » : « سنداد منازل لا ياد نزلتها لما قاربت الريف ، بعد اصف وشرح وناظرة ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة .

قال حزة فى تاريخه : « وكان قد تملك فى القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب ستة عشر مرزباناً ، وقد ذكرهم صاحب معجم البلدان « ج ٥ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تملك سنداد على عمل سخت ، وطال مكنته فى الريف حتى بنى فيه أبنية : وهو صاحب اقصر ذى الشرفات من « سنداد » الذى يقول فيه « الأسود بن يعفر » « واقصر ذى الشرفات من سنداد »

تَتَوَهَّمُ الشَّهْبَاءُ فِيهِ كَتِيبَةً يَفْنَاءُ ، الِيَحْمُومُ فِيهِ جَوَادُ
يَخْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشَاهِبِ وَسَطَهُ يَبِضُّ كَمَرْهَقَةِ السُّيُوفِ جَمَادُ^(١)

*
* *

فِي «آلِ عِبَادٍ» حَطَطْتُ فَأَعْصَمْتُ هَمِي بِحَيْثُ أَنْفَتِ الْأَطْوَادُ
أَهْلُ الْمُنَادِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ^(٢)
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ عَقِيلَةٍ مَاءُ السَّمَاءِ ، فَهُمْ لَهَا أَوْلَادُ
يَبْتُ تَوَدُّ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا لَوْ أَنْتَهَا - لِيُنَائِلَ - أَوْتَادُ

قال ابن الكبي :

وكانت «إباد» تنزل سنداد - وهو نهر فيما بين «الحيرة» إلى «الابلة» وكان عليه قصر تحج العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسردي بن يعفر .
قالوا : ومصر «عمر بن عبد العزيز» بقصر لآل حفنة فنبتل «مزاحم» مولاه يقول «الأسود ابن يعفر النهشلي :

«ومن الحوادث - لأبائك - أنني ضربت على الأرض بالأسداد
لا أهتدي فيها لمدنح ناعمة بين العراق وبين أرض مراد
ماذا أوئل - بعد آل بحرقي - تركوا منازلهم وبعده إباد
أهل الخورني والسدير وبارق والفقر - ذى الشرفات - من سنداد
حلوا بأنقرة بسيل عليهم ماء المرات يحى من أطواد
أرض تحيرها - لطيب مقلها - كعب بن مامة وابن أم دؤاد
جرت الرياح على عراض ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأفضل عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
فاذا النعيم وكل ما يلهي به يوماً يصير إلى بلى ونفاد .»

فقال له عمر : ألا قرأت : «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين»

(١) يقول يخال القصر من سیر الجداول وسطه متحدة كبيض السيوف المرهقة ، وفي الأصل :

«يختم من سر الأشاهب وسطه يبيض كمرهقه السيوف جماد .»

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دريد :

«هم التماريح المنيفات الذرى والناس ضحاح شباب وأضى .»

مَمْدُودَةٌ يَلْهَى ^(١) النَّدَى أَطْنَابُهُ مَرْفُوعَةٌ - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَادُ
مُتَقَادِمٌ إِلَّا تَسْكُنُ شَمْسُ الضُّحَا لِدَةُ لَهُ ، فَتُجْمَعُهَا أَرَادُ ^(٢)
نَيْطَتْ «بِعَبَادٍ» لَا لِيْ مَجْدِهِمْ فَتَلَأَلَّتْ - فِي تَوْمِهَا ^(٣) - الْأَفْرَادُ
مَلِكٌ إِذَا أَفْتَنَتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ فَتَقَاصَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ
نَسِيَتْ زَيْدٌ ^(٤) عَمْرَهَا بَلْ أَعْرَضَتْ

(١) الالهى : العطايا :

(٢) أَرَادَ - جمع رَأَى - يقال رَأَى الضحى : أى ارتفاه و رَأَى الأرض : خلاؤها ، قال الطبرانى :

« مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع والشمس راد المجدى كالشمس فى الطفل. »

(٣) التوم : جمع تومة وهى الولوة ، وسيت تومة لأنها تومة نظيرتها فى القدر أو فى الأذن ، والافراد : جمع فرد وهو ما لا نظير له فى القدر يقال : فرد وفريد ، ويقال : نادم أخاه أى ولد معه ، فهو تشبه ، وتومه .

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدى

ويضرب المثل باقدامه وشجاعته .

اقدمام عمر فى سباحة حاتم فى حلم أخف فى ذكاء إياس .

هو - كما فى سرح الميون - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الزبيدى ، وكنيته « أبو ثور » الفارس المشهور صاحب الفارات والوفائع المذكورة فى الجاهلية والاسلام ، وقد على رسول - صلى الله عليه وسلم - فى السنة العاشرة من الهجرة .

قال عمرو :

قدمت المدينة ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فافلا من « تبوك » فأردت أن أدنو إليه ، فنعنى من حوله .

فقال : « دعوه » فدئوت منه ، فقلت :

« أنعم صباحا أبيت اللعن »

فقال : « يا عمرو أسلم تسلم ويؤمك الله من الفرع الأكبر » فأسلمت

وعاش « عمرو » إلى أيام عثمان ، وأبلى فى وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذى ضرب خطم الغيل بالسيف فانهزم وانزمت الأعاجم ، وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال الخنعمى مارأيت أشرف من رجل يوم اليرموك خرج له حلج فقتله ، ثم آخر فقتله ثم انهزموا فنبههم وتبعته ، ثم انصرف إلى خيابه له أسود فزول فدعا بالجفان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ، وحدث بن أبى حاتم . قال سررنا يوم القادسية بعدرو بن معديكرب وهو يحض اللاس بين الصهين ويقول : أيا اللاس كونوا أشد مناشأ إن هذا الرجل من الأعاجم إذا لقي مزارعا فانما هو تس ، فبينما هو كذلك يمرضنا إذ خرج رجل من الأعاجم فوقف بين الصهين فرماه بنشابة ، فما أغطأت سبة قوس كان متنكبها فالتفت ، ثم حل عليه فاعتنقه ، ثم أخذ بمنطقته فاحتله فوضعه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عنقه ،

ثم أمر الصمصامة على حلقة فذبحه ونزع سواريه ومنذقته وألقاه، وقال : « هكذا فاصنعوا بهم » فقلنا : « من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع ؟ » وحكى أبو عبيدة قال : لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فنزل سعد بن أبي وقاص المجلس ثم قسم البقية فأصاب العارس ستة آلاف وبقى مال دثر ، فكتب إلى عمر بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين المجلس وأنظ من لحى بك عن لم يشهد الواقعة ففعل ذلك ، ثم كتب إليه أن أعط ما بقي حلة القرآن ، وأتاه عمرو بن معديكرب ، فقال ما معك من حفظ القرآن ؟ قال : لاني أسلمت ، ثم شعلت بالدرو عن حفظ القرآن ، وقيل أناه بشر بن ربيعة ، فقال له ما معك من حفظ القرآن ؟ قال معي اسم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، فقال سعد مالك في هذا المال من شيء ولا من نصيب ؟ فقال عمرو مشدداً :

« إذا قتلنا ولا ينكى لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير

نعطى السوية من طعن له فخذ ولاسوية إذ تعطى الدنانير . »

وقال بشر أبياتاً وكتب سعد إلى عمر بما قال ، فكتب إليه : « أعطها على بلاتها » فأعطاها أربعة آلاف درهم ، وحكى المدائني قال : كان عمرو بن معديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل ، فمر عمرو على فرس له ، فقال هذا هجين ، فقال عمرو عتيق . قال فأمر به مدغش ، ثم دعا بقرس ، فقلب فيه ماء فدحا بخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو ، فنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهذيل ، فقال له ألا ترى ؟ فقال عمرو أحل الهجين يعرف الهجين ، مبلغ عمر ، فكتب إليه قد بلنى ما قات لأميرك ، وبلنى أن لك سيفاً تسميه الصمصامة وعندى سيف مصدعهم بالله من وضعته على هامك لا أنزع حتى أبلغ به شراسيفك فإن سرك أن تعلم أحق ما أتول فعد ، ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوماً ، فقال ما تقول في الحرب ؟ قال مرّة المذاق إذا كشفت عن ساق ، فن صبر حرف ، ومن ضعف تاف . قال فما تقول في الرمح ؟ قال خليلك وربما خاك . قال فذليل ؟ قال نايأ تخدلى وتصيب . قل فالترس ؟ قل عليه تدور الدوائر . قال فالسيف ؟ قال عبدك فكذلك أمك . قال عمر بل أمك ، فقال الجى أصرعتنى ، فأناظ له عمر في الكلام ، فقال :

« أنوتدننى كأنك ذو رعين بأنقم عيشة أو ذر نواس

فلا تفتر بملكك كل ذلك يصير لدلة بعد الشماس . »

فقال عمر صدقت فافنس منى قال يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها لك لملكك بالسيف أخذت منك أم ترك ، قال وما هي ؟ قال سمعت تقرأ أنه من بأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، والله لو علمت انى إذا دخلتها مت لمعت ، وحكى أن هيبنة بن حصن لما قدم الكوفة أمام أياماً ، ثم قال : والله مالى بأبي ثور عهد ، ثم ركب فرساً وسأل عن علة بنى زيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو موقف ببابه ، ثم قال : يا أبا ثور اخرج إلينا غنم مؤزرًا كأنما كسر وجبر ، فقل له انعم صباحاً أبا مالك ؟ فقال أوليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم ، فقال دعنا مما لانعرف فإن هدى كبتاً سينتأ فزول فعد إلى الكباش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطبخه ، وجلس يتحدث إلى أن أدرك فثرد في جفنة عظيمة وأتق الفدر عليها وقعدا فأكل منها ثم قال : أى الشراب أحب إليك اللاب أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ، فقال أو ليس حرمها الله تعالى في

الاسلام ، فقال : أنت أقدم لإسلاما أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا انه قال : هل أنتم منتهون . قلت : « لا » ثم جاء بنيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، فلما أراد عينة الانصراف . قال عمرو إن انصرف أبو مالك بغير حياء إنما لوصة فأمرله بنافة أرحية وحمله عليها ثم أتى بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه ، فقال أما المال فوالله لا أخذه ولا ألسه ، فاحصر وهو يقول :

« جريت أبا ثور جزاء كرامة فنعم الفتى أنت المزور المضيف . »

وقيل انه لم يكن في عمرو خصلة رديئة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن الملاء ، قال : وقف عمرو يوماً بالمريد يتحدث - على عادتهم - قال : « غزوت في الجاهلية على بني مالك فخرجوا مستدعين بمخالد بن الصقبة فعملت عليه بالصمصاصة فأخذت رأسه » وكان خالد بن الصقبة حاضراً ، فقال بعض الجماعة : « مهلاً أبا ثور قتيلك يسمع كلامك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاسمع أو تم ، ثم النفث إلى خالد وقال : « إنما نرهب هذه المعديّة بهذه الأخبار » وعضى في حديثه فلم يقطعه ، فقال له رجل : « لك لشجاع في الحرب والكذب » فقال : « إني كذلك » وحكى أبو عمرو بن الملاء قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالمريد على فرس له وقد أسن فقال لاظرن ما بقي من قوة أبا ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رحله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال : « يا ابن أخي مالك ؟ » قال : « يدي تحت سادك » غفل عنه وقال : « إن في عمك بقية بعد » ومن كلامه حكى أنه أتى بجاشع بن مسعود فقال : أسألك حملان مثلي وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فر ببي حفظة فقالوا : « يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ » فقال : « لله بنوحاشع ما أشد في الحروب لقاءها ، وأجزل في الارباب عطاءها ، وأحسن في المكرمات بناءها ، والله لقد قاتلتها فما أجبتني وسألتها فما أجبتني ، وهاجبتني فما أجبتني » ومن حيد شعره :

« ولما رأيت الحيل زوراً كأنها حداول ماء أرسلت فاسبطرت

لجاشت إلى النفس أول مرة ردت على مكروهاها فاستقرت

ظلت كأني للرماح دريشة أقاتل عن أحساب جرم ومرت

ولو أن قومي أنظقتني ومأجهم نطق ولكن الرماح أجرت »

قوله أقاتل عن أحساب حرم من الهعاء المعص ، وذلك أنه ذكر أن قوما دروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غصباً لهم وعصبية ، وقوله ولو أن قومي أنظقتني ، يعني لو قاتلوا وطاعوا نفقت بمذهبهم ، ولكنهم دروا ، فأسكتوني عن المدح ، والأصل في الاجرار أن الفصل إذا أرادوا نظامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضام وفي القصيدة التي أولها : « أمن ربحانة الداعي السميع » يقول :

« وقد عجبت أمانة أن رأيتني تفرع لمتى شيب مطيع

أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تبلغه الصلوع

وزحف كتيبة لقاء أخرى كأن زهاءها رأس صليح

ولساد الأسنة نحو نحوى وهرّ المشرفية والوقوع
فان تنب النوائ آل نهم تجد حكاهم فيها رفوع
إذا لم تستطع شبتاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وصله فالنزوع فكل شئ سالك أو سموت له نزوع.»
وقوله أيضاً :

« يا ربها المغنبتا - جهلأنا وولدت عبدا
ليس الجمل بمئزر - فاعلم - وإن رديت بردا
إن الجمل معادى ومناقب أورث مجا
أعددت للحدثات سا نفة وعداء علفدى
نهذا وإذا شطب يقد اليفس والأبدان قدا
كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا يفصحن بالمعراء - شدا
وبدت محاسنها التى تخفى ، وحاد الأمر حدا
فارت كيشهم ، ولم أر من نزال الكش - بدا
هم ينذرون دى وانذر إن لقيت بأن أشدا
كم من أخ لى صالح بوأنه بيدى لحدا
ذهب الذين أحبهم وبقيت - مثل السيف - مردا.»

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القفيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير » وأما الصمصامة دى سيفه
المشهور . قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس إلى سليمان حسة أسياف ، وهى : ذو الفقار ، وذو النون ،
ومجنوب ، ورسوب ، والصمصامة . وأما ذو الفقار : فكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذه
من منبه بن الحجاج يوم بدر ، ومجنوب ورسوب : للحرث بن حبة السامى ، وذو النون والصمصامة :
لعمر بن معديكرب ، وحكى أن عمرو بن الخطاط قال لعمر بن : إبعث لى الصمصامة ، فبعث به إليه فلم يره كما
بلفه ، فقال له فى ذلك ؟ فقال لى بعث إليك الصمصامة ولم أعت لك باليد التى تضرب به ، وحكى أبو عبدة
أن الصمصامة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني زيد ، وكان خالد بن
سعيد من جملة أسرائه أرتق بهم وأسر رجالة أخت عمرو بن معديكرب فدأها خالد وأتابه عمرو الصمصامة ،
ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد المهدي البصرة ، فلما كان بواسطة أرسل
إلى بني العاص يطلب الصمصامة ، فقالوا إنه فى السبيل مجحبا ، فقال حمون سيفاً فاطعاً فى السبيل أغفى من
سيف واحد وأعطاهم خمسين سينا وأخذه ، فلما صار إلى الهادى أحضره وأمر الشراء بوصفه ، فقال
بعضهم من أبيات :

« حاز صمصامة الزبيدى عمرو من جميع الأمام موسى الأمين
ما يبالى من انتضاه لضرب أشمال سقطت به أم يمين . »

ثم وصل إلى المتوكل فدفعه إلى غلامه « باغزا » التركي فقتله به ، ومن عند « باغزا » تقطع خبره .

عَنْ وَصَفٍ «كَعْبٍ» ^(١) بِالسَّحَابِ إِيَادُ
فَضَحَ الدُّهَاءَ فَلَوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ لَعَمَّا «الْمُغِيرَةُ» أَوْ أَقَرَّ «زِيَادُ» ^(٢)

(١) كعب بن مامة

هو كعب بن مامة الایادی ، وكان أحد أجداد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، آثر على نفسه ، وكان مسافراً مع رفيقه فقل عليها الماء فتصافنا ، والتصافن أن يوضع في الماء مقلة أى حجر صغير ينثر بالماء لثلاث يتغابنوا في القسمة ، فجعل رفيقه يشرب نصيبه ، فإذا جاء دور كعب . دل له رفيقه . وقد جهده الم ش : « أسقى أخاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كعب من العطش وأشرف على الهلاك ، ورمعت له أعلام الماء ، وقيل له رد كعب ولا ورود به فبات عطشاً ، وفي ذلك يقول أبو دواد الایادی :

« أُرْفِي عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قَبِلَ لَهُ رَدَّ كَعْبٍ إِنَّكَ وَرَادٌ فَرَادُ . »

ارجع إلى الكامل للبرد « ص ١٣٦ »

(٢) زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة

كانا من أئذاف العرب وساستهم ودهاتهم وأخبارهما مستفيضة في كتب التاريخ ، ولكننا نجتزئ القول اجزاء فيما يلي :

قالوا :

وسمى « زياد ابن أبيه » أو « زياد بن سمية » لأن أمه كانت جارية للحارث بن كادة الثقفي ، فزوجها بعبد له روى يقال له : « عبيد » فولدت « سمية » زيادا على فراشه ، فهو ولد « عبيد » شرعا . قالوا : وكان « أبو سفيان » قد سار في الجاهلية إلى « الذائب » فنزل على بائع خر يقال له : « أبو مريم » - وقد أسلم - فلما بعد - فقال له « أبو سفيان » : « قد اشتبهت النساء » فقال أبو مريم : « هل لك في سميته ؟ »

فقال أبو سفيان :

« هاتما على طول ثدييها وذفر بطنها »

فأتاهما ، فوقع عليهما ، فيقال إنها علقت منه بزياد ، ثم وضعت في السلة التي هاجر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشأ « زياد » فصيحاً .

وحضر « زياد » يوماً بمحضر جنازة من الصحابة في خلافة « عمر » فقال « عمرو بن العاص » : لو كان أبو هذا الدلام من قريش ، لساق العرب بعصاه .

فقال أبو سفيان لعلي بن أبي طالب :

« إني لأعرف من وضعه في رحم أمه »

فقال علي :

« فما يمنعك من استلحاقه »

قال :

« أخاف الأصم (يعني عمر) أن يقطع إمامي بالدره »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ رَجْمَ ظُنُونِهِ إِنَّ النُّيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ
مَلِكٍ - إِذَا مَا اخْتَالَ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى قَدْ أُمِطِيَتْ عِقْبَانُهُ الْأَسَادُ (١)
أُسْدٌ، فَارْتَمَاهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوُغَى، لَكِنْ بَرَأْنِيهَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

لما كانت قضية شهادة اليهود على المعيرة بالزنا وجلدهم لعدم ثبوت الزنا عليه - ومنهم أبو بكره أخو زياد لأمه - وامتناع « زياد » حين كان يؤدي الشهادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا عليه - اتخذ المعيرة لذلك لرياد بدا .

ثم لما ولى « علي بن أبي طالب » الخلافة ، استعمل « زيادا » على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلم « الحسن » الأمر إلى « معاوية » امتنع « زياد » بفارس ، ولم يدخل في طاعة « معاوية » وانهم معاوية بالأمر ، وحاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى « المعيرة بن شعبة » السكوفة ، فقدم « المغيرة » على « معاوية » سنة ٤٢ هـ فشكا إليه « معاوية » امتناع « زياد » بفارس ، فقال « المغيرة » :

« أنأذن لي في المسير إليه ؟ »

فأذن له ، وكتب « معاوية » لرياد أماناً ، فتوجه « المغيرة » إليه - لما بينهما من المودة - ومازال به حتى أحضره إلى « معاوية » وبانيه .

وفي سنة ٤٤ هـ استأجرت « معاوية » « زياداً » فأحضر الناس ، وحضر من يشهد زياد بالنسب ، وكان ممن حضر لذلك « أبو مرجم » نافع الجر الذي أسلفنا ذكره - وهو الذي أحضر « سمية » أم « زياد » إلى « أبي سفيان » بالطائف - فشهد بنسب « زياد » من « أبي سفيان » .

قالوا : « فاستأجره معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأنكروه لاسيما بو أمية لأن زيادا ابن عبيد الرومي قد ألحق سبه ببني أمية بن عبد شمس ، وقد قال « عبد الرحمن الحكم » أخو « مروان » في ذلك :

« ألا أبلغ « معاوية بن صحر » : « لقد ضاقت بما تأتي اليدان »

أتعصب أن يقال : « أبوك عف ؟ » وترضى أن يقال : « أبوك زاني ؟ »

وأشهد أن رحلك - من زياد - كرحم الفيل من ولد الأثنان . »

ثم ولى « معاوية » « زياداً » البصرة ، وأضاف إليه « حراسان » و « سحستان » ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

(١) عفاف - جمع عفاف - وهو من ساع الطير التي تمسك . قال المتنبي :

« شكوى الحريخ إلى العقبان والرخم »

وقال المعتز :

« صاغت بسعد أرضها لما رمى ساحاتها بالخيول والفرسان »

بفوارس - مثل الصقور - وضمر - مجدولة ، ككواصر العقبان . »

(٢) صعاد - جمع صعدة - وهي القفاة التي تبت مستقيمة لا تحتاج إلى التنقيف ، والصعدة - من

النساء - المستقيمة القائمة - على التشبيه - قال « كعب بن حميل » يصف امرأة شبه قفدا بالقفاة :

« فإذا قامت إلى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل »

صعدة نابضة في حائر أينما الريح تميلها تمل . »

خِلْتَ اللّوَاءَ غَمَامَةً فِي ظِلِّهَا قَرُّهُ ، بِغُرَّتِهِ السَّنَا الْوَقَادُ

شَيْخَانُ مُنْغَمِسُ السَّنَانِ مِنَ الْعِدَا - فِي النَّقْعِ - حَيْثُ تَغْلَغُلُ الْأَحْقَادُ
تَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ مَا زَالَ مِنْهُ لِعَيْنِهَا إِرْمَادُ ^(١)
جَبَشٌ - إِذَا مَا الْأَفْقُ سَافَرَ طَيْرُهُ مَعَهُ - فِي ذِمَمِ الصَّوَارِمِ زَادُ ^(٢)
مُسْتَطَرَفٌ لِمَجْدٍ لَمْ يَكُ حَسْبُهُ مَجْدٌ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادُ ^(٣)
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رِفَاهَةٍ رَاحَةٍ حَتَّى يُخْلَدَ مِثْلُهُ إِخْلَادُ
أَرْجُ النَّدَى ، مَتَى تَفْرُ بِجَوَارِهِ يَطْبِ الْحَدِيثِ وَيَعْبِقُ «الْإِنْشَادُ» ^(٤)
لَوْ أَنَّ خَاطِرَهُ الْجَمِيعَ مُفَرَّقٌ فِي الْخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُحْسَ جَمَادُ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي زَهْرُ النُّجُومِ - لَوَجْهِهِ - حُسَادُ
تَبَدُّو عَلَيْكَ - مِنَ الْوَسَامَةِ - حُلَّةٌ يَهْفُو إِلَيْهَا - بِالنَّفُوسِ - وَدَادُ
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ الْعَيْنُ أَوَّلُ نَظَرَةٍ لَوْلَا الْمَهَابَةُ رَاجَعَتْ تَرْدَادُ

(١) النقع : العبار ، والكتيبة : الجيش ، يقول : « تشكو إليه الشمس سطوع الببار ، والنقع الثار لأنه أرمدها فيها فأغمضتها ولم تبصر . »

(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سارته في الأفق عقبان الجوِّ وحوارج الطير ، في ذمة الصوارم من السيف أن تضمن لها الزاد من قتلى الأعداء .

(٣) مستطرف : أى مستحدث لنفسه مجدا طريفا أى حديداً مكسوبا غير موروث ، والحسب : بحركة وقد يسكن كما هنا مايعده الانسان من مآخره ، والتلاد : القديم الموروث عن الآباء .

(٤) الندى : المجلس ، يقول : هو أرج الندى أى عطر ماينبعث عن مجلسه من طيب القول وطاير الشتاء ، إذا فزت بقربه ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويعيق في أرحاء المجلس غير الاشاد ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

« أرج الندى ، متى تفر بجواره يطب الحديث ويعيق . . . »

والتكلمة يعطيها السياق .

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَوْدٍ فَأَنْتَ سَدَادُ^(١)
 الدِّينُ وَجْهُهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةٌ وَالْمُلْكُ جَفْنُهُ أَنْتَ فِيهِ سَوَادُ
 لِلَّهِ مِنْكَ يَدٌ عَلَتْ ، تُولِي بِهَا صَفْدًا فَيَحْمَدُ ، أَوْ يُفَكُّ صِفَادُ^(٢)
 لَوْ أَنَّ أَقْوَاةَ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ فِيهَا لَوَافِقَ حَظْهَا الْإِسْنَادُ
 نَفَعَ الْعُدَاةَ الْيَأْسُ^(٣) مِنْكَ ، لِأَنَّهُ بَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْأَكْبَادُ
 يَنْصَاعُ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا عَضَّتْ بِهِ الْأَقْيَادُ^(٤)
 قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي ثَنَاءَكَ سُورَةٌ ✱ ✱ ✱
 « أَعِدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ مَا لِلْوَرَى فِي نَصِّهَا إِخْلَادُ :
 كَرَّمَ كَمَاءَ الْمَزْنِ رَاقٍ خِلَالَهُ لَيْسَ الْحَدِيثُ يُثَلُّ حِينَ يُعَادُ . »
 وَمَحَسَّنُ زَهَرَ الزَّمَانُ زُهْرَهَا أَدَبُ كَرَوْضِ الْحَزْنِ بَاتَ يُجَادُ^(٥)
 فَكَأَنَّمَا أَيَّامُهُ أَعْيَادُ^(٦)

(١) يقول : ما كان من خلل في الرمان فأنت سداؤه الذي يسد به ، أو كان من أود به واهوجاج
 أنت سداد ، أي بك سداؤه وصلاحه وتقويته .
 (٢) الصفد العطاء ، والصفاد : ما يوثق به اللقيد من قيد ونحوه ، يقول : لله ملك يد تولى الجبل وتهب
 العطاء ، لا يزال تحمدها وتشكرها لك إلى أن يفك ما قيدتنا به من أصفاد العم ، وقد جانس بين الصفد بمعنى
 العطاء ، والصفاد بمعنى القيد ، وحمل الاحسان صفادا وقيداً مستغفص في كلام الشعراء ، قال الشاعر :
 « ومن وجد الاحسان قيداً تقيداً . » ، وقال ابن الرومي :
 « ما على الأحرار من رق إذا نقدوا شكرهم مولى أيادي
 إنما النعمى صـ صفاد فاذا لقيت شكراً فليست بصفاد . »
 وقال ابن جيس :
 « عقلتهم بالجبل فانقلوا ربعة أصفادها الصفد . »

أي قيودها العطاء ، وفي الأصل : « تولى بها * صفد . »
 (٣) في الأصل : « البأس »
 (٤) يقول : ينصاع ويرجع عن مجارته في المجد كل من جاره ، ويقف حيث ابتداء مقبوض الخطا كأنما
 عضت بسيقانه القيود فثمنته من المضي .
 (٥) المزن : السحاب ويمجد يعطر بالحدود (يفتح فسكون) وهو المطر النزر .
 (٦) يقول : ويضاف إلى هذا السكرم الذي وصفه في البيت السابق محاسن أضاء الزمان بزهر نجومها ،
 فكأنما كل يوم من أيامها عيد .



يَأْيَأُ الْمَلِكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ - رِيضَ الزَّمَانِ فَذَلَّ مِنْهُ قِيَادُ
يَا خَيْرَ « مُعْتَصِدٍ » بِمَنْ أَقْدَارُهُ - فِي كُلِّ مُعْضِلَةٍ - لَهُ أَعْضَادُ
لَمَّا وَرَدْتُ - بِوَرْدِ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى فَهَمَّتْ لَدَيْ جِجَاهِهَا الْأَعْدَادُ ^(١)
فَأَسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً لِلْبَحْرِ - مِنْ نَفْحَاتِهَا - أَسْتِمْدَادُ
فَلَمَنْ فَخَرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لَقَلَّ لِي أَلَّا يَكُونَ مِنَ النُّجُومِ عِتَادُ
مَهْمَا أُمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَإِنَّمَا مَدَحِي - إِلَى مَدَحِي - لَكَ أَسْتَطْرَادُ
يَغْشَى الْمِيَادِينَ الْفَوَارِسُ - حِقْبَةً - كَيْمَا يُعَلِّمُهَا النَّزَالَ طِرَادُ ^(٢)
فَلَأَسْجِبَنَّ ذَيْلَ الْمُنَى فِي سَاحَةِ - إِلَّا أَوْفَ بِهَا الْمُنَى - فَأَزَادُ ^(٣)
وَلَيْسْتَ فَيَدَنَّ السَّنَاءَ مَعَ الْفَنَى عَبْدُ يُفِيدُ النَّصْحَ حِينَ يُفَادُ
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْعَةٍ مِنْ أَنْ يُرَى - لَنَفِيسِ أَعْلَاقِي لَدَيْكَ - كَسَادُ
هَيْهَاتَ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِمَنْ سَرَى أَنْ يَسْتَتِبَّ لِسَعْيِهِ الْإِحْمَادُ ^(٤)
لَا تَعْدَمَنَّ - مِنَ الْخُطُوطِ - ذَخِيرَةٌ تَبْقَى فَلَا يَتَلَوُّ الْبَقَاءُ نَفَادُ

(١) فهت : جواب لما أى سال ، وجاها : جمع جم (بالفتح) وجة (بالضم) وهو الماء الكثير والأعداد : جمع عد (بالكسر) ، وهو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها كماء العيون ، يقول : حين وردت فى حضرتك ورد المنى ، همت جامها ، وسالت مياها الأعداد ، يريد أنه رأى فيض المنى ينبثق من راحتيه ، وفى الأصل :

« لما وردت بورد حضرتك المنا فهت لدى جامها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً للفران على الحرب .

(٣) فلاسحين من المي ذيلها فى ساحة جواد إن لم أوف بها ما تطمح إليه نفسى من الأمانى فأما سأزاد عليها ، يقول : إن أمره دائر بين أن يبق له بما تسو إليه نفسه من الأمانى ، أو يزيده عليها فوق ما يريد ويتخى .

(٤) يشير إلى اللذل المشهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى . » وسيمر بك شرحه فى س (٢١٧) من هذا الديوان .

في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله

أبا عمرو عاد بن محمد بن عاد ، وبذكر

بعض مواقف له مع خاصته من أصفائه ،

والمناوئين له من أعدائه . »

لِيَهْنِ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعْيِكَ فِي الْعِدَا وَأَنْ رَاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكَ وَأَعْتَدَى^(١)
وَنَهَجُكَ سُبُلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعِ مَنْ غَوَى وَعَدْلُكَ فِي اسْتِصْصَالِ مَنْ جَارَ وَأَعْتَدَى^(٢)
وَأَنْ بَاتَ مَنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغِنَى وَأَصْبَحَ مَنْ عَادَاكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى^(٣)
وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةِ الْعَهْدِ طَلْقَةً كَمَا ابْتَسَمَ النُّوَارُ عَنْ أَدْمُعِ النَّدَى^(٤)
وَدَوْلَةٍ سَعْدٍ لَا انْتِهَاءَ لِحَدِّهِ إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاهَى تَوَلَّدَا
دَعَوْتَ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَبَّيْكَ مَاثِلًا وَلَمْ تَكُ كَالْدَاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى

(١) السعي : التصرف في كل عمل من خير أو شر ، أى أن سبيل الهدى وسبيل المؤمنين جديران بكل تهينة وبشرى حيث أنجح الله سعيك في مناجرة أعدائك ولم يزل يمدحك بحبيل صنعه ولطيف إحسانه في الرواح والغدو ، والصباح والعشى .

(٢) وليهن الهدى أيضا سلوكك مناهج الرشد ، وإجراؤك سنة العدل في قمع العاوين المفسدين ، واستئصال شأفة الجائرين المعتدين ، واقتلاعهم من أصولهم ، وتذهيب الملكة من مفسدهم وشرورهم .

(٣) والى : الموالاتة ضد المعاداة ، وقد طابق في البيت بين « بات » و « أصبح » و « ولى » و « عادى » و « نشوة الغنى » و « غمرة الردى »

(٤) النوار : بضم أوله وتشديد ثانيه النور ، واحدته نواره وقد نور الشجر والنبات أى أزهر ، وفي البيت تشبيه النوار بالنور الباسم عن أولو الدال .

وَأُنْجِدْتَ عَقْبِي الصَّبْرَ فِي دَرَكِ الْمُنَى كَمَا بَلَغَ السَّارِي الصَّبَاحَ فَأُنْجِدَا ^(١)

« أَعْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةِ وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطَوْهُمْ يَدَا
تَبَايَنْتَ فِي حَالِيكَ : غُرْتَ تَوَاضَعًا لَتَسْتَوْفِي الْعَلِيَا ، وَأُنْجِدْتَ سُودَدَا ^(٢)

(١) الدرك : محركا للعاق والوصول إلى الشيء ، يقال أدركته إدراكا ودركا ومثله الدرك بالسكون . قال
حيدر بن الخطاب الأسدي :

« لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَكَانِ ضَنْكَ كَلَامَا ذُو أَنْفٍ وَمَحَكْ
وَبِطْشَةٍ وَصَوْلَةٍ وَفَنَكْ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قَنَاعَ الشَّكْ
بِظَفَرٍ مِنْ حَاجَتِي وَدَرْكٍ فَلَمَّا أَحَقَّ مَنَازِلَ بَرَكْ
الَّذِي يَمُوتُ وَالْغَرَابُ يَبْكِي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل اللثل «عند الصباح يحمد القوم السرى» وأول من
قال ذلك كما في مجمع الأمثال عن «المفصل» الصبي هو «خالد بن الوليد» لما بعث إليه أبو بكر رضي الله عنهما
وهو «بالجامة» أن سر إلى «العراق» فأراد سلوك المفارقة ، فقال له «رافع» الطائي : قد سلكتها في
الحاهلية ، هي خمس للابل الواردة ، ولا أظنك تقدر عليها إلا أن تحمل من الماء . فاشتري مائة شارب
معطشها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتبها وكعم أفواهما ، ثم سلك المفارقة حتى إذا مضى يومان وخاف
المعطش على الناس والخنيل وخنق أن يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل ، واستخرج ما في بطونها من الماء
وسقى الناس والخنيل ومضى فلما كان في الليلة الرابعة ، قال «رافع» : انظروا هل ترون سديرا عظيما ؟ فإن
رأيتموها وإلا فهو الهلاك . فظفر الناس فرأوا السدر فأخسروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء ،
فقال خالد :

« اللَّهُ دَرِ رَافِعٍ أَنِّي امْتَدَدِي مَوْزٍ مِنْ قَرَارَتِي إِلَى سَوِي
حَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بَكِي مَاسَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ لَأَنْسَ يَرِي
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرِي وَتَحْلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتِ الْكَرَى .
يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَحْتَمِلُ الشَّقَةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ .

(٢) غرت : من غار غوراً فهو غائر إذا أتى الغور وهو ما انحدر مسيله ، ويقال له النجد : يقال : غار
وأنجد وأغار وأنجد ، قال جرير .

« يَا أُمَ حَزْرَةَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَكُمْ فِي الْمُنَجِدِينَ وَلَا بَنُورِ الدَّائِرِ . »

وقال الأعشى :

« نَبِي يَرِي مَا لَا تَرُونَ وَذَكَرَهُ أَغَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأُنْجِدَا . »

وأنكر الجوهري أعار ، وقال الأصمعي : أغار وأنجد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وارتفع ، على أن النصف
الثاني من البيت روى مخزوما هكذا : « غار لعمرى في البلاد وأنجد » ، يقول : بين حالبك من التواضع
والسوء إلى مراتب السيادة بن شاسع ، فقد انحدرت إلى غور التواضع فكانت عاقبة ذلك أن استوفيت حظك
من العلباء وبلنت أسنى مراتب السوء والرفعة .

وَلَمَّا اُعْتَصَدَتْ اَللّٰهُ كُنْتَ مُوَهَّلًا لَدَيْهِ لِأَنْ تُحْنِي وَتُسْكِنِي وَتُمْضِدَا
وَجَدْنَاكَ اِنْ اَلْفَحْتَ سَمِيًّا تَجْتَهُ وَغَيْرُكَ شَاوٍ حِينَ اُنْضَجَ رَمَدًا ^(١)
وَكَمْ سَاعَدَ الْاَعْدَاءُ اَوَّلَ مُطْمَعٍ رَأَوْكَ بِعُقْبَاهُ اَحَقَّ وَاَسْمَدَا
فَلَا ظَافِرٌ اِلَّا - اِلَى سَمْعِكَ - اُعْتَزَى وَلَا سَائِسٌ اِلَّا بِتَدْبِيرِكَ اُقْتَدَى

* *

صَلَاةً لِمَفْتُونٍ سَمَوْتَ بِحَالِهِ اِلَى اَنْ بَدَتْ - يَبْنَ الْفَرَاقِدِ - فَرَقَدَا
رَأَى حَطَّهَا اَوَّلَى بِهِ ، فَأَحْلَمَهَا حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الصَّدِيقَةِ اَوْ هَدَا ^(٢)
وَمَا زَادَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبَغْيِ - اَنَّهُ سَعَى لِلَّذِي اَصْلَحْتَ مِنْهَا فَاَفْسَدَا
فَزَلَ وَقَدْ اَمْطَيْتَهُ ثَبَجَ الشَّهَا وَصَلَ وَقَدْ لَقِيْتَهُ قَبَسَ الْهُدَى ^(٣)
طَوِيلُ عَثَارِ الْجُرْمِ قُلْتَ لَهُ : «لَعَّا» ^(٤) يَحْلِمُ تَلْقَى جَهْلَهُ فَتَعَمَدَا ^(٥)

(١) اَلْفَحْتَ من اَلْفَح الفحل الافة ، ولفحت هي ، قال الحرث بن عباد :

« قربا مربط النعامة مي لفتت حرب وائل من حبال . »

والسمي : التصرف في الأمور ، ونتجه : من قولهم نتج دنانير الافة إذا دلى نتاحها وهي ماخص حتى تضع ، وفي المثل : « هل نتج الافة لال مل لفتت له » ، وكتب عليه صاحب مجمع الأمثال ما نسخته : يقال نتجت الناقة على ما لم يسم فإله ، وانتجتها إذا أنسها على ذلك ، والناج للوق كالفألة للاسان ، ولفحت تلتج لفتا ولفحا والافة لاتج ونفوح ، ومعنى المثل : هل يكون الولد لال مل يكون له الماء ؟ يضرب في التشبيه ، ويروى « لما لفتت له » أي لفتاها أي لقبول رحما ماء الفعل ، يشير إلى صدق الشبه ، و « ما » مع « لفتت » المصدر ، وغيرك شاو : أصل المثل « شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد » والرميد القاء الشواء في الرماد ، يضرب - كما في مجمع الأمثال للعبداني - لمن يفسد اصطباعه بالمان ، ويردف صلاحه بما يورث سوء الظن ، ويروى عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه : أنه مرّ بدار رجل عرف بالصلاح فسح من داره صوت بعض الملاحى فقال : شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد .

(٢) الحضيض : القرار من الأرض المنخفض عن سفح الجبل ، وأوهد : أفل تفضيل من الوهدة وهي الهوة ، يقول : رأى ذلك للمفتون انحطاط حاله أول به فأنزله الممدوح من مستوى الفراقدة إلى أحط قرار من الأرض بسبب كفران النعمة وتكران الجليل .

(٣) نتج السها : أعلاه ، والسها : نجم صغير في بنات نعش الكبرى يمتنعون به أبصارهم لخفافه ، وفي المثل « أربها السها وترتبي القمر »

(٤) دعوت له بأن يقيمه الله من سقطته . (٥) غطى على جهله وستره .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ النَّصِيحَةَ مُحَضَّةً ، وَلَجَّ فَوَالَيْتَ الْعِقَابُ مُرَدِّدًا ^(١)
وَلَمْ تَأَلَّهُ بُقِيًّا عَلَيْهِ تَنْظَرًا لِفَيْئَةٍ مِّنْ أَكْرَمَتِهِ فَتَمَرَّدَا
فَمَا آثَرَ الْأَوَّلَى ، وَلَا قَلَدَ الْحِجْبَى ، وَلَا شَكَرَ النُّعْمَى ، وَلَا حَفِظَ الْيَدَا
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَابِجَ ضُرًّا لِيَزْكُضَهَا - فِيمَا كَرِهْتَ - فَيَجْهَدَا ^(٢)
وَأَجْرَزَتْهُ ذَيْلَ الْحَبِيرِ ^(٣) تَأَلَّفَا
سَلِ الْخَائِنَ الْمُعْتَرِّ : كَيْفَ اخْتِقَابُهُ - مَعَ الدَّهْرِ - عَارًا بِالْعِرَارِ مُحِلِّلًا ؟ ^(٤)
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَرَبْرًا مُصْمَمًا ، فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا ^(٥)
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّتْهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - سَرْمَدًا ^(٦)

(١) يقول بدأ يتجنى عليك الذنوب ويبتغيها خلفا ، فكان جراؤه منك أن تمحضه الصبح خالصا بريئا ، لم يلج في غروره وعصيانته صبت عليه عقابك التوالى لتزجره - على أسأته وتؤدبه .

(٢) كأنما أهديته الجياد الضمر ليحاربك بها ويجهد نفسه في توخي أعدائك وتداب ما تكره .

كأن هذا الخائن ظن أنك أهديته الجياد الصمر السوايح ليجهدا ركضا فيما تكره من مناصرة أعدائك .
(٣) أحررته ذيل الحبير : جعلته يجر ذيل النعمة .

وكأنه ظن أنك تتألمه بما تحلج عليه من حبير أجرته دله ليلعل لك مشاكل ويجدد أحقادا بسبب مآثره من حرار وجرائم . (٤) وفي الأصل : « للحد مجددا »

(٥) الخائن : الأحمق ، والمعتز الفقير للمعتز المعروف من غير أن يسأل ، والاختقاب الادخار ، يقال : احتقب الشيء : ادخره ، واحتقب خيرا أو شرا واحتقبه : احتمله وجعله خلفه ، واحتقب الأثم : جمعه ، والعرار - جمع عرة وهي الحلة القبيحة .

(٦) المصمم : الماضي في الأمر معزما ، والظلم : الذكر من النعام ، قال تأبط شرا :

« أنا الذي نكح العيلان في بلد ماطل فيه سماكتي ولا جادا

في حيث لا يمت العادى عمايته ولا الظليم به يفتى تبيادا

وقد لهوت - بمصقول عوارضها - بكر تنازعنى كاسا وعنادا

ثم انقضى عصرها عني ، وأعقبه عصر المشيب ، قل في صالح بادا .

أى نكح النيلان في بلد لم يظفر بالطل وهو الرذاذ « المطر الحفيف » ولم يظفر فيه الظليم - « فرخ النعام » - بالهيد - وهو الخنظل - لياكله ، وقد لها بنتاة من الأبقار مصقولة المارضى تنازعته كئوس الجر وعناقيد الغنم ، ثم انتفى ذلك العصر الصالح وأعقبه عصر المشيب .

(٧) يقول : وقد أصبح يترقب جزما أن يكون حينه مرتبعا بيومه وصار يتوجس الشر خوفا من أن يكون ليله سمردا إذا قتلته .

يُحَاذِرُ أَنْ يُبْلَى قَتِيلًا مُعْفَرًا - إِذَا الصَّبْحُ وَافَى - أَوْ أُسِيرًا مُقَيَّدًا

*
* *

لَبِئْسَ الْوَفَاءَ أُسْتَنِّي « ابْنِ عَقِيدَةٍ »
قَرِينُ لَهُ أَغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى -
فَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ ،
بُكَاءَ « لَبِيدٍ » حِينَ فَارَقَ « أَرْبَدًا »
فِدَائِهِ لِإِسْمَاعِيلَ كُلِّ مُرَشَّحٍ - إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدًا (٢)

*
* *

أَفَادَ مِنَ الْأَمْثَلِكِ حَدَثَانٍ فَشَلَّهِمْ
مَوَالِي، لَمْ يَشْكُ الصَّدَى مِنْهُمْ الصَّدَا (٣)
أَعَادَ الصَّبَاحَ الطَّلُقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ
فَجَاءَ وَأَنْتِي نَاطِرَ الشَّمْسِ أَرْمَدًا
فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظِلَامٍ عَجَاجَةٍ -
تُلَاحِظُهُ الْأَقْمَارُ - فِي الْأَفْقِ - حُسَدَا
يُرَاجِمُ مِنْ « صِنْهَاجَةٍ » وَ « زَنَاتَةٍ »
- عَمِلَ نُجُومِ الْقَذْفِ - مَتْنِي وَمَوْحَدًا (٤)

(١) يقول : أن قرينه زين له الصلال حتى إذا تردى في سوء عمله تبرأ قرينه من عمله ورأى في التعلل عنه وسيلة إلى نخاته .

(٢) المرشح : المؤهل .

(٣) يقول : إن توالى الأحداث والخطوب التي أترها حبسه بالملوك قد أفادته موالى غابة في البسالة لا يشكو العطشان منهم عطشاً لشدة ما أوتيته من صبر وجلد .

(٤) راحم عنه : ناضل ، وراحم في الكلام والحرب بالغ بأشد مساحلة ، ونجوم القذف ، أو شهب القذف هي الرحوم ، قال الشاعر :

« كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار . »

يقول : إنه يسأل بنصرة أهل زناته وصنْهَاجَةٍ ويقذف بهم الأعداء كما يقذف بالشهب ويرحم بها شائتيه ، وقد اشتهرت صنْهَاجَةُ بَنِي الْمَذْجَةِ الْكُبْرَى التي حدث في القرن الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ وقد ثارت صنْهَاجَةُ على اليهود وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفيهم الوزير يوسف بن نغلة اليهودي ، وكان سبب هذه المذبحة أن ذلك الوزير — وكان قد استوزره باديس صاحب غرناطة — قد وثى بأبي إسحق الفقيه زاهد البيرة فأقصاه السلطان عن بلاده .

قالوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لتسفيه بعض الآراء الدينية الإسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع

هُمْ الْأَوْلِيَاءُ الْمَسْخُوكَ صَفَاءَهُمْ إِذَا أُمْتَارَ مُصْنِي الْوُدِّ مِمَّنْ تَوَدَّدَا

النفوذ — فوجد أبو إسحق من ذلك حافزا إلى إنشاء قصيدته البليغة التي دفعه إلى قولها غيظه من عدوه — ذلك الوزير الحظير — فلاها تحريضا وأفعما حجباً وراعيين، أطلع في التأثير بها على العامة وحلهم على إنفاذ رغباته — وما زال يتفنن في ضروب الاحتثات والنهييج حتى اشتمل الجمهور حماسة وهجم على ذلك الوزير فقتله — في قصر السلطان نفسه — وليس من شك في أن أبا إسحق بدل كل مواهبه في الضرب على النعمة الدنيوية وإظهار الفجع الشديد على ما اتاب الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها اطراد الأدلة وانساقها وتدق المعاني وغرارتها مع دقة عجيبة في التعبير عن أغراضه وخوالجه بكلام نظم ، يتطايير حماسة ويتأحج ناراً ، وسعر صارخ

« خارج من قلب فائله مثلما يزدر بركان . »

وبهذا استطاع أن يوهبهم ساهمياً أن قتل أولئك اليهود — أخصامه — فرض لا مناص من أدائه وواجب حتم لا يصح السكوت عنه وأنهم — إن كانوا غفلوا عن القيام به فيما مضى — فهم حليقون أن يتداركوه في الحال ، حتى لا تصب عليهم لعنة الله ، أو يخجق بهم غضبه ، فيحسف بهم الأرض ، أو ينزل عليهم الساء ، وكذلك لم يترك ناطماً وسسيلة من الوسائل التي تستمر أحق العواطف الدينية الكامنة إلا استجدهما ، ولا نعمة من نعمات متعصب للعقيدة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل رشيق كاد يصل — لسهولته — إلى حد الركافة في بعض الأبيات مع أنه من أجل الشعر وأبدعه ، وإن شئت فقل وأروعته ، وإليك هذه القصيدة العريضة في بابها :

« ألق لصنحاة أجمعين بدور الزمان وأسد العرب

مقالة ذى مقة مشفق بعد الصيحة زلى ودين

لقد دلّ سـيدكم ذلة تقرّ بها أعيى الشامتين

تخير كاتبه كافرا ولو شاء كان من المؤمنين

فعر اليهود نه وانتوا وتاهوا، وكانوا من الأردّين »

ومنها :

« فكلم مسلم راغب راهب لأردل فرد من المشركي

وما كان ذلك من سعيهم ولكن منا يقوم الميعين

فهذا اقتـدى بهم بالألى من القادة الحيرة المتقين

في هذا البيت شيء كثير من الركافة في قوله « بالألى من القادة الحيرة المتقين » ولكننا نتفهما لما في ليه من تعة تلك السورة الشعرية المنطقية البديعة .

وأترظهم حيث يسأهلون وردداهم أسهل الساهلين

فلم يستمعوا بأعلامنا ولم يستطيعوا على الصالحين »

ومنها يخاطب السلطان باديس :

« أباديس ! أت امرؤ حاذق تصيب بطلك نفس اليقين

فكيف خي عك ما يعثون وفي الأرض تضرب منها القرون

وكيف تحب فراخ الزنا وقد بفضوك إلى العالمين

هُمْ كُلُّ مِثْمُونِ النَّفِيَةِ بَازِلٍ ^(١) كَفِيلٍ بِأَنْ يَسْتَهْزِمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا
يَسْرُوكَ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً وَيُرْضِيكَ فِي النَّادَى إِذَا أَعْتَمَّ وَأَرْتَدَى ^(٢)

* *

كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أَلْفَةَ غِمْدِهِ وَقَلَّ غَنَاهُ السَّيْفُ مَا كَانَ مَغْمَدًا
وَلَمْ تَرَ لِلشَّبْلِ الْإِقَامَةَ فِي الشَّرَى فَجَدَّ افْتِرَاسًا حِينَ أَفْخَرَ لِلْعِدَا
هُمْ - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعُ لَوَاءَهُ، فَمَا زَالَ مَنْصُورَ اللَّوَاءِ مُؤَيَّدًا
وَيَأْنَفُ مِنْ بَنِي الْمِهَادِ تَعَوُّضًا بِصَهْوَةِ طَيَّارٍ - إِلَى الرُّوْعِ - أَجْرَدًا
وَقَدْ مَا شَكَا حَبْلَ التَّمَامِ يَافِغًا لِيَحْمِلَ رَفْرَاقَ الْفَرْنِدِ مُهَنَّدًا
وَلَمْ تَرَ سَيْفًا - بَاتِكَ ^(٣) - الْحَدَّ قَبْلَهُ - تَنَاولَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقَلَّدَا

وكيف يتم لك المرقى إذا كنت تبى وهم يهدمون
وكيف استمنت إلى فاسق وفارته وهو بشى العرين ؟
ومنها :

« وإني حلت غرناطة فكنت أراهم بها عابدين
وقد قسموها وأعمالها فمنهم بكل مكان أبى »
ومنها :

« وهم أما كم على سرّكم وكيف يكون أمتنا خؤون ؟
ويأكل عـيرهم درهما فيقضى وينون إذا يأكلون
وقد نهضوكم إلى ربكم فما يمنعون وما يشكرون »
ومنها :

« ورخم قردهم داره وأجرى إليها نهر العيون
وصارت حوائجنا عنده ونحن - على بابهِ - قائلون
ويضحك منا ومن دينا فانا إلى ربنا راجعون »
(١) البارل : الرجل السكّال ، والبالز أيضا الناقة في عامها التاسع ، قال الشاعر :
« عذرت البزل إن هي غالبتني فما بال وبال ابني لبون »

(٢) أى تعجب بشجاعته إذا أبس لامة الحرب كما تعجب بسخافته التحف رءاه ولبس عمامته في السلم .

(٣) باتك الحد : فاطمة مرهفة .



لَبْنٌ أَنْجَزَتْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ آخِرًا لَقَدْ قَدَّمَتْ مِنْهُ الْمَخَائِلُ ^(١) مَوْعِدًا
قَرَرْتَ بِهِ عَيْنًا، فَكَمْ سَادَ عِتْرَةً وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانًا، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدًا
وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ ^(٢) - الرِّضَى ، وَبُلَغْتُمَا - مِمَّا تُرِيدَانِهِ - الْمَدَى

دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْغَرْبِ مِنْ عَرَفٍ نَدَى كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدَى ^(٣)
حَيْثُ «عَبَادُ» فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي نَصَّتِ الدُّنْيَا بِهِ نَصَّ الْهَدَى
مَلِكٌ رَاحَتُهُ بَحْرُ النَّدَى مِثْلَمَا غُرَّتُهُ بَدْرُ النَّدَى
أَصْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا كَفَرِنْدِ عَادَ فِي سَيْفِ صَدَى ^(٤)

إلى حبيب

يَا ظَنِيَّةَ لَطُفَتْ مِنِّي مَنَازِلَهَا فَأَلْقَبُ مِنْهُمْ وَالْأَحْدَاقُ وَالْكَبْدُ
حُبِّي لَكَ النَّاسُ طُرَا يَشْهَدُونَ بِهِ وَأَنْتِ شَاهِدَةٌ إِنْ يَثْنِيهِمْ حَسَدُ
لَمْ يَعْزُبِ الْوَصْلُ فِيمَا يَبْنِيْنَا أَبَدًا لَوْ كُنْتُ وَاحِدَةً مِثْلَ الَّذِي أَجِدُ

(١) الخيال من السحب : المذرة بالمطر . قال مروان ابن أبي حفصية :

« إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلَفْ مَحَابِلُهُ »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوسم بها الشيء والكلمات : الصفات ، قال أبو تمام يرثي طفيلين :

« لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْخَيَالِ دَنِيهَا لَوْ أَمَهَتْ حَتَّى تَكُونَ شَيْئًا »

لعلنا سكونهما حبا ، وصباهما عزما ، وتلك الأرمحية نازلا .

(٢) تربيغانه : تطلبيانه ، تقول : أرأغ الشيء أى أراداه وطلبه ، وقد جاء في الأصل :

« وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِهِ - الرِّضَى »

(٣) الصدى : الضمآن .

(٤) أعادت دولته إلى زماننا رونقه وبهاؤه فصار كالسيف عاوده الصقل والرواق بعد أن علاه الصدا .

في مدح أبي المظفر

« وقال يمدح أبا المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الْكِلَلِ وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (١)
وَعُضْنُ تَرَسَّفَ مَاءِ الشَّبَابِ ثَرَاهُ الْهَوَى وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٢)
تَهَادَى لَطِيفَةً طَى الْوِشَاحِ وَتَرَنُو ضَعِيفَةً كَرَّ الْمُقَلِّ (٣)
وَتَبَرُّزُ خَلْفَ حِجَابِ الْعَفَافِ وَتَسْفِرُ تَحْتَ نِقَابِ الْحَجَلِ (٤)
بَدَتْ فِي لِدَاتِ - كَرُّهُرِ الثُّجُومِ - حِسَانِ التَّحَلَّى مِلَاحِ الْعَطَلِ
مَشَيْنَ يَهَادِينَ رَوْضَ الرُّبَا بِيَانِعِ رَوْضِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ
فِي قَضْبٍ تَتَنَّى بِرِيحٍ وَمِنْ قَضْبٍ تَتَنَّى بِدَلْ
وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمَسْكٍ وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِطَلْ
تَعَاهَدَ صَوْبُ الْعِهَادِ الْحَمَى وَلَا زَالَ مَرْبِعُهَا فِي مَلَلِ (٥)

(١) الكِلال : جمع كلة ، وهي ستر رقيق مربع يتوفى به من البعوض ونحوه ، والجُيوب : جمع جيب ، وهو من الغيبس طوفه ، والحلال : جمع حلة بالضم وهي إزار وراية (برد أو غيره) ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، والمعنى أن هذه الحساء شمس تعرب في الكِلال كما تغيب الشمس في مربعا ، وتشرق من جُيوب الحلال كما تطلع الشمس من مشرقها .

(٢) وهي غصن غرس في أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لأماء السحاب فأجنانا ثمرة الأول .

(٣) تهادى : تمتشى مشية في مهل وتناقل ، وترنو : تنظر بؤخر عينها ، يعني أنها تهادى بين أنزلها يكاد ينعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر بسيف لحظها من جفون فائرة مريضة .

(٤) تسفر : مضارع سفرت المرأة سفورا كشفت النقاب عن وجهها ، يقول : إذا برزت لرجل برزت وراء حجاب يصبونها من عفتها وإذا بدت لهم سافرة ستر وجهها نقاب من الحياء والحجل .

(٥) العهد : المطر ، وصوبه نزوله ، والمربع : الموضع الذي ينزلون فيه أيام الربيع ، ولا زال مربعا في ملل : أى ولا زال المطر يصب في مربعا حتى يميل لكثرة نزوله ، وفي الأصل :

« ولا مل مربعا في ملل » وجاء في ابن الأثير : في حديث الاستسقاء فألف الله السحاب وملتنا ، كذا في رواية مسلم ، قيل هي من الملل أى كثر مطرها حتى مللناها . انظر ج ٤ ص ١٠٩ . من النهاية لابن الأثير .

مَرَادٌ - مِنَ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ، لَدَيْنَهُ - مِنَ الْوَصْلِ - وَرْدٌ عَلَكَ
لِيَاكِي مَا أَفْلَكَ يَهْدِي الشَّرُورَ حَبِيبٌ سَرَى ، وَرَقِيبٌ غَفَلَ
زَمَانٌ كَأَنَّ الْفَتَى الْمَسْلَمَى تَكَنَّفَهُ عَدْلُهُ فَاعْتَدَلَ
تَدَارَكَ^(١) مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ بِهِ عِزَّةَ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلْ
وَيُوضِحَ رَسْمَ الثُّقَى - إِذْ عَفَا - وَيُطْلِعَ نَجْمَ الْهُدَى إِذْ أَفَلَ

حَمِدْنَا « الْمُظَفَّرَ » لَمَّا رَأَى[‡] مَلِكٌ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةٌ
أَشْفَى الْوَرَى - فِي النَّهَى - رُبَّةٌ ، وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَعَالَى - مَثَلٌ^(٢)
وَأَحْرَى الْأَنَامِ بِأَمْرِ وَنَهَى وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِعَقْدٍ وَحَلْ
يَمَافٍ لَهُ التَّاجُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِمَا أُورَثَ التَّبَعُونَ الْأَوَّلُ
سَنَامٌ - مِنَ الْمَجْدِ - عَلَى الدَّرَا يَظَلُّ الْعِدَا مِنْهُ تَحْتَ الْأَظْلُ^(٣)
تَقِيلَ - فِي الْمَهْدِ - ظِلُّ اللَّوَاءِ وَسِيمَ النَّهْوِضِ بِهِ فَاسْتَقِيلَ^(٤)
وَنَيْطَتِ حَمَائِلُهُ الْوَافِيَاتُ - مَكَانَ تَمَائِمِهِ - فَاحْتَمَلْنَ
وَمَا بَلَّتِ الْبُرْدَ تِلْكَ الدَّمُوعُ عِ إِلَّا وَفَى الْبُرْدَ لَيْثُ أَبْلٍ^(٥)

(١) في الأصل : « تبارك »

(٢) وقف على « مثل » بالسكون مع أنه منصوب لوقوعه تمييزاً ، وريضة يجرون للنصب في الوقف
يجرى المرفوع والمجرر فيقفون عليه بالسكون ، وقد اضطرت القافية - في غير ما موضع - أن يترك
الاستعمال العادي من لغة العرب ويلجأ إلى هذه اللغة القليلة .

(٣) باطن منسج البعير .

(٤) تقيل : استغل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأغراق فجعل للمدوح وهو في المهد بقود الجيوش
ويقبل ظل اللواء ويكف النهوض بهذا العبء فيستغل بجمل اللواء وحده .

(٥) الليث الأبل : الأسد الشديد الحصومة .

عَهْدَنَا الْمَكَارِمَ فِيهِ مَعَانِ تَبَشَّرْنَا فِيهِ مِنْهَا الْجَمْلَنَ
تُرَى بَعْدَ بَشِيرِ يُرِيكَ الْغَمَامَ تَهْلَلُ بَارِقُهُ فَاسْتَهْلَ
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا «عَسَى» بِهِ عَنْهُ، أَوْ أَنْبَأْنَا «لَعَلَّ»
فَمَا وَعَدَ الظَّنُّ إِلَّا وَفَى وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلَنَ
فَلَقَى مُنَاوِنَهُ مَا أَتَى وَأَعْطَى مُؤَمِّلَهُ مَا سَأَلَ

كَمْ اسْتَوْفَتِ الشُّكْرَ نِعْمَاؤُهُ ^{***} فَأَقْبَلَ يُنْعِمُ مِنْ ذِي قَبْلٍ ^(١)
غَمَامٌ يُظِلُّ ، وَشَمْسٌ تُذِيرُ ، وَبَحْرٌ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ
قَسِيمُ الْمُحَيَّا ، ضُحُوكُ السَّمَاحِ ، لَطِيفُ الْخَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلِ
ثَوَقِي الْبَلَاغَةَ أَفْلَامُهُ إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهَا أَمَلٌ ^(٢)
يَبَانٌ يُبَيِّنُ - لِلْسَّامِعِينَ - أَنْ مِنَ السَّحْرِ مَا يُسْتَحَلُّ ^(٣)
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى الْعَيْبِ فِيهِ فَكَمْ عَيْنٍ - مِنْ قَبْلِهِ - مَنْ كَمَلٌ ^(٤)

- (١) يقال : لقيناه من ذي قبل (بفتحين وبكسر وفتح) أى فيما يستقبل .
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أملاه ليكتبه ، وفي الكتاب المزيّن : (فليكتب وليمل الذى عليه الحق)
وفيه أيضا : (وقالوا أساطير الأولين اكتنبا فهي تملى عليه)
(٣) السحر الذى يستحل هو سحر البيان ، وفيه الإشارة إلى المثل المشهور : إن من البيان لسحرا ،
قوله النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وفد عليه ، عمرو بن الأهم ، والزرقان بن بدر ، وقيس ابن
حاصم ، فسأل عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأهم عن الزرقان . فقال عمرو : « مطاع فى أدنيه ، شديد
المارضة ، مباح لما وراء ظهره » . فقال الزرقان : « يا رسول الله ! إنه يعلم منى أكثر من هذا ، ولكنه
حسنى » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه لزمّن المروءة ، ذيق العطن ، أحق الوالد ، لئيم الحال ، والله
يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكى رجل رضيت فقلت أحسن ما هلت ،
وسحطت فقلت أفتح ما وجدت » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا » ،
وإنما سمي البيان سحرا لتأثيره فى سامعه ، وسرعة قبول القلب له .
(٤) حين : أصيب بالعين ، من حان المحسود بعينه فهو حائن والمحسود معين أصابه بالعين ، يقول : هل
من سبيل إلى وجود عيب واحد فيه يقبه شر أعين الحاسدين ، كثيرا ما أصيب بالعين الكامل الذى لا نقص
فيه ولا عيب . وهذا قريب من قول القائل :
« ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين . »

لَنْ لَبَسَ الْمَلِكَ رَحْبَ الْمَلَأِ • فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلِ رَقْلٍ
قَابَ تَزَوُّدَهُ لِلْعَمَالِي وَإِنْ تَأَهَّبَهُ لِلْجَلِّ
فَأَخْبَرُ سُوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَنَاسِكَ أَرْبَابِ هَذِي الدُّوَلِ

وَلَيْتَ الثُّغُورَ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَأَيْتَ الثَّأْيَ ^(١) وَسَدَدْتَ الْخَلْلَنَ
سِوَاكَ - إِذَا قُلِّدَ الْأَمْرَ - جَارَ، وَغَيْرُكَ - إِنْ مَلَكَ الْوَقْتَ - غَلَّ ^(٢)
حَمَى لَا يَزَالُ لِمَنْ حَلَّهُ أَمَانَانِ : مِنْ عَدَمٍ ، أَوْ وَجَلَّ ^(٣)
فَأَنْجِمُهُ دَهْرِهِمْ سَمْعَةً وَشَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلِ ^(٤)

« أَبَا بَكْرٍ » اسْمِعْ أَحَادِيثَ لَوْ تُبْتُ بِسَمْعِ عَلِيلٍ أَبْلٍ ^(٥)
سَأَشْكُرُ أَنَّكَ أَعْلَيْتَنِي بِأَحْظَى مَكَانٍ وَأَذِنَ تَحَلٍّ
وَأَتَى إِنْ زُرْتُ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي مَجْلِسٌ لَمْ تَمَلْ

(١) الثأى : الفساد ، ورأبته أصلحته .

(٢) الوي : ما حصل للمسلمين من أموال الكفار عفوا بلا قتال ، وتقسيمة غير تقسيم الفنائم ، وغل : خاف ، وخصه بعضهم بالقول (أى الخيانة) فى الوي والمغم ، وهو من قول الله عز وجل : « وما كان لنبى أن يغل » .

(٣) عدم أو وجل : أى فقرأ وخوف .

(٤) سمعة : صفة للانجم ، يقال : يوم سعد ويلة سمعة ، وفى الأصل : « وأنجم ددرهم أسعد » وأسعد وصف للمذكر ، ولا يصح وصف الأنجم به ، وفى السماء كواكب يقال اسكل منها : « سعد » وسعود النجوم عشرة وهى : « سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السمود ، وسعد الأحياء ، وسعد ناذره ، وسعد الملك ، وسعد البهائم ، وسعد الحمام ، وسعد البارع ، وسعد مطر » .

(٥) صبح من مرضه .

تَبَسَّمتَ ثُمَّ ثَنَيْتَ الْوَسَادَ فَحَسَنِي مِنْ خَطَرٍ مَا أَجَلٌ^(١)
 فَلَوْ صَافَحَ التَّبَرَّ خَدَيَّ لَهَانَ وَلَوْ كَاثَرَ الْقَطَرُ شُكْرِي لَقَلُّ^٢
 بِأَمْثَالِهَا يُسْتَرْقُ الْكَرِيمُ إِذَا مَطْمَعٌ بِسِوَاهُ أَخْلُ^٣

* *

فَلَا تَعْدَمَنَّكَ الْمَسَاعِي الَّتِي لِأَمِّ الْمُنَاوِيكَ فِيهَا الْهَبَلُ^(٢)
 فَأَنْتَ الْجَرَى - إِذَا الشُّبْلُ هَابَ - وَأَنْتَ الدَّلِيلُ، إِذَا النَّجْمُ صَلُّ^٣
 وَمَا أَبْنُكَ إِلَّا جِلَاءَ الْعُبُونِ إِذَا نَظَرْتُ - بِسِوَاهُ - اُكْتَحَلْ
 رَبِيبُ السَّيَادَةِ - فِي حَجْرِهَا - تُدِرُّ لَهُ ثَدْيَهَا إِذْ حَفَلْ^(٣)
 تَمَكَّنَ يَتْلُوكَ - فِي الصَّالِحَاتِ - فَلَمَّا تَفَقَّهَ ، وَلَمَّا يَنْلُ

(١) ثنيت الوساد : الوساد المنكأ ، وثنيته أى رددت بعده على بعض ، وذلك لابنه ، أو ثنيه جعلت له ثانيا وضعته عليه ليحصل الارتفاق ، والانتكا. عليه عند الجلوس ، وهذه الحفاوة إما أن تكون حصلت فعل مباشر من الملك تواضعا منه ومبالغة في إكرام دى الورارتين (ابن زيدون) ، وإما أن تكون حصلت من الحدم والاتباع بناء على أمر الملك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكر لك إلك أعليت مكاني ، وأذنيت علي ، ولأني إن ررتك لم تحتجب وإن طال بنى الجلوس في مجلك لم تسأم ولم تمل ، وأني إن جئتك زائرا تبسمت وثنيت الوساد احتفاء بي ، فحسبي هذا من خطر عظيم وشرف ما أجله وما أعظمه .

(٢) يقال : هلته أمة ثكلته ، ولأمة الهبل أى الثكل . قال الشاعر :

« والناس من يلق خيرا ، قائلون له مايشتهى ، ولأم الخطى الهبل . »

وقال البهري :

« ولاكم البغي ، ثم انساب نحوكم بالشرية فيها الثكل والهبل . »

وقال المعري :

« دع آدماء - لاشفاه الله من هل - يكي على ولده المقتول هايل . »

(٣) حفل : امتلاء ، حفل الابن في الضرع يحفل حفلا وحفولا ، وتحفل واحتفل : اجتمع وهذا ضرع حافل أى مملوء لنا .

ذكرى قرطبة وإيام الصبا

تَنْشَقُّ - مِنْ عَرَفِ الصَّبَا ^(١) - مَا تَنْشَقُّ

وَعَاوَدَهُ ذِكْرُ الصَّبَا فَتَشَوَّقَا

وَمَا زَالَ لَمْعُ الْبَرَقِ - لَمَّا تَأَلَّقَا -

يُهِيبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدْفَقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبُأ؟ ^(٢)

*
* *

خَلِيلِي - إِنْ أَجْزَعْ - فَقَدْ وَضَحَ الْعُدْرُ

وَإِنْ أَسْتَطِيعَ صَبْرًا فَمِنْ شِيَمَتِي الصَّبْرُ

وَإِنْ يَكُ رُزْءُ مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا خَيْرٌ ، وَفِي غَدِهِ أَمْرٌ ^(٣) وَلَا عَجَبٌ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَزَّأٌ

(١) الصبا : ريح الصبا أى ريح الشمال . والعرف : الطيب .

(٢) يهيب : مضارع أهاب بصاحبه دفاه ، أى يدعو الدمع ليتدفق ، والمصبأ : ذو الصبوة ، والصبوة جهلة الفتوة يقال صبا صبوا وصا وصباء . وصبي إليها - كرضى - حن ، وأصبته المرأة وتصبته : شاقسه ودعته إلى الصبا لحن إليها .

(٣) فى المثل : « اليوم خير وغدا أمر » وقد قاله امرؤ القيس - بن بلغة قتل أبيه ، وممناه : اليوم ناهو وننعم تاركين إلى السدأداء ما علينا من الواجبات والفروض . ويرزى ، وهو أيضاً لاسرى القيس : « اليوم قحاف ، وغدا ثقاف » والقحاف جمع تحف ، وهو إناء يشرب فيه ، والثقف : المداقفة من تتف الهامة شقها عن الدماغ .

* *

رَمَتْنِي اللَّيَالِي عَنْ قِمَى النَّوَابِ
فَمَا أَخْطَأْتُ نِي مُرْسَلَاتُ الْمَصَائِبِ
أَقْضَى نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ
وَأَوَى إِلَى لَيْلٍ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ^(١) وَأَبْطَأُ سَارِي كَوَكَبٍ بَاتٍ يُكَلِّئُ

* *

أَقْرُبُ بَعَةِ الْغُرَاءِ أَهْلَ فَيْكِ مَطْمَعُ ؟
وَهَلْ كَبِدُ حَرَّى لَيْلِيكَ تَنْقَعُ ؟
وَهَلْ لِلْيَالِيكِ الْحَمِيدَةِ مَرْجِعُ ؟
إِذِ الْحُسْنُ مَرَأَى فَيْكِ - وَاللَّهُ وَمُسْمَعُ وَإِذْ كُنْفُ الدُّنْيَا - لَدَيْكِ - مُوْطَأُ^(٢)

(١) إشارة إلى البيت المشهور في قصيدة النابغة الذبياني :

« كايىنى لهم يا أمية ناصب وليل أفسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقص وليس الذى يرعى النجوم بأثب
وصدر أراح الليل طازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب . »

حمل صدره مألفاً للهموم وجعل الهموم كالإبل العازية بالنهار حتى إذا أتى الليل أراحته الراحة في أماكنها
والنابغة أول من حمل الهموم تعرب بالنهار وتزايد بالليل ، وتبعه الشعراء في ذلك ، فقال مجنون ليلى :

« يفهم إلى الليل أطفال حبكم كما ضم أزوار الفيس البناتى . »

وقال ابن الدمينى :

« نهارى نهاري الناس حتى إذا بدا لي الليل هرتني إليك المضاجع
أقضى نهاري بالحديث وبلى ويجمعني والهم بالليل جامع . »

ولهذا السبب نبرم الشعراء بدول الليل فقال :

« كواكب ليلة طالت ونمت بهذا الصبح راحمة غورى »

وقال امرؤ القيس :

« فياك من ليل كأن نجومه بكل منار القتل شدت ييذبل »

وقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فلنجتزئ بهذه الأبيات .

(٢) موطأ : ميمر مذل .

أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَشْطَّ النَّوَى بِكَ
فَأَحْيَا كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْحَ جَنَابِكَ
وَلَمْ يَلْتَمِمْ شَفِي خِلَالَ شِعَابِكَ
وَلَمْ يَكُ خَلْقِي بَدْوُهُ مِنْ ثُرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَفِنِي مِنْ نَوَاحِيكِ مَنَشَأُ

نَهَارُكَ وَضَاحُ ، وَلَيْلُكَ صُخْيَانُ
وَتُرْبُوكِ مَضْبُوحُ ، وَغُصْنُكَ نَشْوَانُ
وَأَرْضُكَ تُكْسَى ، حِينَ جَوْكِ عُرْيَانُ
وَرَيَّاكِ رَوْحُ - لِلنَّفُوسِ - وَرَيْنَحَانُ وَحَسْبُ الْأَمَانِي ظِلُّكَ الْمُتَفَيُّ (١)

أَأَنْسَى زَمَانًا « بِالْعُقَابِ » مُرْفَلًا
وَعَيْشًا بِأَكْنَافِ « الرُّصَافَةِ » دَغْفَلًا (٢)
وَمَعْنَى - إِزَاءِ « الْجَعْفَرِيَّةِ » - أَقْبَلًا
لَنِعَمٍ مَرَادُ النَّفْسِ رَوْضًا وَجَدَوْلًا وَنِعَمٍ مَحَلُّ الصَّبْوَةِ الْمُتَبَوِّأُ

وَيَارُبِّ مَلَهَى « بِالْعَقِيقِ » وَمَجْلِسِ
لَدَى ثُرْعَةٍ ، تَرُؤُو بِأَحْدَاقِ نَزْجِسِ
بِطَاحُ هَوَاءٍ مُطْمِعِ الْحَالِ مُؤَيِّسِ
مَغِيمٍ وَلَكِنْ - مِنْ سَنَا الرَّاحِ - مُشْسِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِهَا - تَتَلَأَلُّ

(١) ضحيان : أى بارز ظاهر لا يسـ. قمره غلام ، وذلك لكثرة ما يضاء فى قرطبة من المصاييح والبرج بالليل ، وعربان : صحر يريد أن أرضها مكسوة بالنبات وجوها صحر صافى الأديم ، المتفيا : الذى يستظل به ويستريح فيه القليل . (٢) الدغفل : العيش الواسع المخصب .

وَقَدْ ضَمَّنَا مِنْ «عَيْنِ شُهَدَاةٍ» - مَشْهَدُ
 بَدَأْنَا وَعُدْنَا فِيهِ ، وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
 يَزُفُ عَرُوسَ اللَّهْوِ أَحْوَرُ أَغْيَدُ
 لَهُ مَبْنِمْ عَذْبٌ ، وَخَذُّ مُورَدٌ ، وَكَفٌّ - بِحِثِّ المَدَامِ - تُقْنَأُ ^(١)

* *

وَكَاثُنْ عَدَوْنَا - مُصْعِدِينَ - عَلَى الْجِسْرِ ^(٢)
 إِلَى الْجَوْسَقِ ^(٣) النَّصْرَى يَيْنَ الرُّبَا الْعُفْرِ
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَعْسَاءِ ^(٤) مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ عِلَا قُضْبِ الثَّوَارِ ، فَهِيَ تُكَفَأُ

* *

وَأَحْسِنِ بِأَيَّامٍ - خَلَوْنَ - صَوَالِحِ
 بِمَضْيَعَةِ الذُّلُوبِ ، أَوْ قَصْرِ نَاصِحِ
 تَهْزُ الصَّبَا - أَثْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ -
 صَفِيحَةَ سَلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَائِحِ تَرَى الشَّمْسُ تَجْلُو نَصْلَهَا حِينَ يَصْدَأُ ^(٥)

(١) تقنأ : تصنع باللون الأحمر القاني ، وذلك حين تمسك بالسكاس فينعكس عليها من لون الراح ما يشبه الحضاب بالحناء . (٢) وكم حرينا صاعدين على الجسر .

(٣) الجوسق : القصر ، والربا : جمع ربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض والعفر جمع عقراء - وهي أرض بيضاء لم توطأ .

(٤) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول .

(٥) يقول : إن ربح الصبا تهز خلال تلك الأباطح صفيحة جدول سلسال الموارد سائح في الأباطح ، والشمس تجلو نصل هذا الجدول الشبيه بصفيحة السيف حين يصدأ من الطل .

* *

وَيَا حَبْدَا « الزَّهْرَاءُ » بِهِجَةً مَنْظَرٍ
وَرِقَّةَ أَنْفَاسٍ ، وَصِحَّةَ جَوْهَرٍ
وَنَاهِيكَ مِنْ مَبْدَأِ جَمَالٍ وَمُخْضَرٍ
وَجَنَّةِ عَذْبٍ تَطْيِيكَ وَكَوْثَرٍ بِمَرَايِ زَيْدِ الْعُمَرِ - طِييَا - وَيَنْسَأُ^(١)

* *

مَعَاهِدُ - أَبْكِيهَا - لِعَهْدٍ تَصَرَّمَا^(٢)
أَغْصَ - مِنْ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْعَمَا
لَبَسْنَا الصَّبَا فِيهَا حَبِيرًا مُنْعَمًا^(٣)
وَقَدْ نَا - إِلَى اللَّذَاتِ - جَيْشًا عَرَمَرَمَا لَهُ الْأَمْنُ رِذْوُهُ^(٤) وَالْغَدَاوَةُ مَرْبَاً

* *

كَسَاهَا الرَّيْبُ الطَّلُقُ وَشَى الْحَمَائِلِ^(٥)
وَرَأَتْ لَهَا مَرْضَى الرِّيَّاحِ الْبَلَائِلِ
وَعَادَى بَنُوهَا الْعَيْشَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ
وَلَا زَالَ مِنَّا بِالضُّحَا وَالْأَصَائِلِ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ - يُقْرَأُ

(١) تطييك : تعجبك وتردهيك ، ينسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرَّ التعريف بازهرآ وغيرها من آثار « قرطبة » فى الحاشية ص (٥٤ - ٥٦) فارجع إليها إن شئت .

(٢) تصرم : انقضى وفات :

(٣) الحبير : الناعم الجديد ، وضرب من برود اللبن والمسم : المنفوش الموشى .

(٤) رده : ظهور أومعين .

(٥) الحمائى - جمع خميلة - وهى الموضع الكثير الشجر .

أُخْوَانَنَا ! لِلْوَارِدِينَ مَصَادِرُ
وَلَا أَوَّلَ إِلَّا سَيَتَلَوُهُ آخِرُ
وَإِنِّي - لِإِعْتَابِ^(١) الزَّمانِ - لَنَاطِرُ
فَقَدْ يَسْتَقِيلُ الْجَدُّ - وَالْجَدُّ عَائِرُ - وَتُحَمَّدُ عُقْبَى الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ^(٢)

* *

ظَمَنْتُ ، فَكَانَ الْحَرْ يُخْفِي فَيَظْمَنُ^(٣)
وَأَصْبَحْتُ أَسْلُو بِالْأَسَى^(٤) حِينَ أَحْزَنُ
وَقَرَّ - عَلَى الْيَأْسِ - الْفَوَادُ الْمُوَطَّنُ
وَإِنْ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِنْ لِي بِالْذَّيَّةِ أَذْنًا

* *

وَلَا يُغْبِطُ الْأَعْدَاءُ كَوْنِي فِي السَّجْنِ
فَإِنَّ رَأَيْتُ السَّمْنَ تَحْصَنُ بِالْذَّجْنِ^(٥)
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْمَعْصَبَ فِي جَفْنِ^(٦)
أَوِ اللَّيْتِ فِي غَابٍ ، أَوِ الصَّقْرِ فِي وَكْنِ^(٧) أَوِ الْعَلِقِ يُخْفِي - فِي الصَّوَارِ - وَيُجْبَأُ^(٨)

(١) الاعتاب : لإرضاء العاتب .

(٢) يستقيل : ينهض ، والجد : الحظ . ويشنأ : يبعض .

(٣) أى رحلت فكان رجلى هذا لأبى لقيت جماع فترحلت عن مكان الجفوة والحر إذا نبت به أرضه

هاجر إلى غيرها . (٤) الأسى : جمع أسوة ، وهى التأسى والتجمل ، قال ابن دريد :

« فان عثرث بعدها - إن وألت نفسى من هاتاه فتولا : لالما . »

وإن تكن مدة . موصولة بالحنف سلطت الأسى على الأسى . »

أى سلبت الصبر والتجمل على الحرن .

(٥) الدجن : النيم . (٦) جفن : غمد (٧) الوكن : عش الطائر ، لوكتة مثله .

(٨) الصوار : وعاء المسك .

* *

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الصَّبَابَةِ - مَذْهَبِي
إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ - مِنْكُمْ - مُهَذَّب
مَفْضَضٍ لِأَلَاءِ الْأَسَاوِيرِ مُذْهَبٌ ^(١)
يُنَافِسُ - مِنْهُ الْبَدْرُ - غُرَّةَ كَوْكَبٍ دَرَى أَنَّهَا أَبْهَى سَنَاءً وَأَضْوَأُ

* *

أَسِفْتُ ، فَمَا أَرْتَاحُ - وَالرَّاحُ تُثْمِلُ -
وَلَا أُسْعِفُ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرَسَّلُ -
وَلَا أَرْعَوِي عَنْ زَفَرَةٍ - حِينَ أَعْدَلُ -
وَلَا لِي - مُذْ فَارَقْتُمْكُمْ - مُتَعَمِّلٌ سِوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

* *

حَمْدُهُمْ - مِنَ الْأَيَّامِ - لَيْنَ خِلَالِهَا
وَسَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِحُسْنٍ دَلَالِهَا
مُؤَمَّنَةً مِنْ عَثْبِهَا وَمَلَالِهَا
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَابِسٌ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّغُ أَبْكَارَ الْمُنَى وَيُهِنُّهَا

(١) أساور الوجه : محاسنه ، والأساير - جمع أسرار والأمراة جمع سرار وهي خطوط الكف .

إلى ابن عبدوس^(١)

« وكتب إلى الوزير الكاتب أبي عليّ

ابن عبدوس معاتباً . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبدوس عداوة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك العداوة تنازعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذه العداوة حافزاً لابن زيدون على إنشاء هذه القصيدة ، كما كانت حافزاً له على إنشاء رسالته الهلالية المشهورة التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تمهيدية علل بها أسباب هذه العداوة كما كتب صاحب نفح الطيب وغيره ونحن نجتزئ بما يلي :

كانت بقرطة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الدرب الأمويين المنسوين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن» ابتذل حجاباً - بعد نكبة أبيها وقته وتعلل ملوك الطوائف - في خبر طويل - ثم صارت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتخاصمهم ويتعشقها الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل وأدب غرض ونوادير عجيبة ، ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول :

«ترقب - إذا جرح الغلام - زيارتي فاني رأيت الابل أكرم للسر

وفي مك ما لو كن بالبدن لم ينر ، وبالليل لم يظلم ، وبالجم لم يدر . »

وقولها به وهي عليه غصبي :

«إن ابن زيدون - على فضله - يلوح بي شتما ولا ذنب لي

يلعطي شزراً إذا حشنته كما عابحت لأحصى على . »

تمنى غلاماً له يسمى علياً . وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير «أبي طاهر بن عبدوس» وكان يلقب بالفار ، فقال فيه وفيها :

« عيرتونا بأن قد صار يخلفنا - فبين نحب - وما في ذاك من طار

أكل شهى ، أصبنا من أطايبه بعضاً ، ومعضاً صفعنا عنه لفار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كنها وقيل : على تائها :

« أنا والله أصلح للعالمى وأنى مشى وأتبه تها

وأكن طاشق من أثم ثرى وأعطى بلقي من يشتمها . »

ومما ينسب إليها وهو عندي كثير على شعر امرأة :

« لحاظكم تجرحنا في الحشى ولحظنا يجرحكم في الحدود

جرح بجرح ، فأجعلوا ذا بدا فما الذى أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها ، والليل إليها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا طاهر بن عبدوس» أيضاً هام بها وكتب بعشرتها ، وكان تصدم الظرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة الحبث به ، ولها معه نوادر ظريفة ومن نوادرها الظريفة أنها مرت يوماً بدار «ابن عبدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأمامه بركة تولد من مراحض وأفذار - فوقفت عليه وقالت يا أبا طاهر :

« أنت الخصب وهذه مصر فتدفا فكلنا كما يجر . »

أَثَرْتُ هَرَبَ الشَّرَى - إِذْ رَبَضَ - وَنَهَيْتُهُ إِذَا هَذَا فَأَغْتَمَضَ ^(١)
وَمَارِلْتُ تَبْسُطُ ^(٢) - مُسْتَرَسِلًا - إِلَيْهِ يَدَ الْبُعَى لَمَّا انْقَبَضَ

* *

حَذَارٍ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ - إِذَا سِيمَ خَسَفًا - أَبَى فَأَمْتَعَضَ
فَإِنَّ سُكُونَ الشُّجَاعِ النَّهْوُ سِ ^(٣) لَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ يَمْعَضَ
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسَنِّزُ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرِضُ
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاعٍ يُقْصِرُ عَنْهَا الْخَفَضُ ^(٤)
وَهَلْ وَارِدُ الْعَمْرِ مِنْ عِدَّةٍ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفُ الْبَرَضُ ^(٥)

لم يخرج جواباً، فضت وحفظت هذه النادرة، واشتغل بها الناس، وهذا البيت لأبي نواس تمثل به وقتله هذا
القل الحسن من - الملح إلى الهجاء - وكان كثيراً ما يجدها ويغنى التردد بها، وفي ذلك يقول ابن زيدون:

« وغرك من عهد ولادة سراب تراءى و برق ومض
في الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من محض . »

وكان أول أمرها معه والباعث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة: أن «ابن عبدوس» لما سمع بها أرسل
إليها امرأة من حهته تستميلها إليه وتذكر لها غاسنه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته، فبلغ ابن زيدون
ذلك، فكتب هذه الرسالة البديعة جواباً له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي عامر والتهمك له
والهجاء له وجعلها جواباً له على لسان ولادة، وأرسلها إليه عقير جرج - المرأة - دبلت منه كل مبلغ، واشتهر
ذكرها في الآفاق، وأسك «ابن عبدوس» عن التعرض لولادة إلى أن انتقل «ابن زيدون» إلى «إشبيلية» وتوفي بها
تنبه الله برحمته، وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه. هذا معنى ما ذكره ابن حبان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين .
(١) أثرت: هجيت، والهزبر: من أسماء الأسد، والشرى: موضع تكثر فيه الأسود، وربض:
أوى إلى عرينه، وهذا: نام .

(٢) يقول: ومارلت تبسط يد البطش والبني على ذلك الأسد الرابض في جحشه على حين أمت يده
المنقبضة عنك .

(٣) النهوس: العضوض، والشجاع الذكر من الحيات، قال القائل:

« أتبع له - وكان أخا عيال - شجاع - في الحماطة مستكن . »

(٤) الخفض: الجمل الضعيف .

(٥) المد: أراد به هنا معين الماء الذي له مادة لا تنقطع، يقال ماء عد أي كثير دائم لا ينقطع،

البرض: القليل . قال ابن دريد:

« أرمق العيش على برض فان رمت ارتشافا رمت صعب المنسى »

يقال ماء برض (بالسكون) أي قليل وهو خلاف النمر، والمستشف: الذي يأتي على آخر ما في الاناء عند الهزب.

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرْمَدًا - فَحَطَّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُنْعَضُ (١)

✱ ✱

أَرَى كُلَّ مُجَرٍّ « أَبَا عَامِرٍ » يُسْرِ إِذَا فِي خَلَاءِ رَكْضٍ
أَعِيذُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي (٢) إِذَا وَتَرَى بِالْمَنَآيَا أَنْقَبَضُ
فَلَيْتِي أَلَيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي وَأَتْرُكُ مَنْ رَامَ قَسْرِي حَرَضُ (٣)
وَكَمْ حَرَكَ الْعُجْبُ مِنْ حَائِنٍ فَعَادَرْتَهُ ، مَا بِهِ مِنْ حَبْضُ (٤)

✱ ✱

« أَبَا عَامِرٍ » أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءُ إِذَا الدَّهْرُ وَسْنَانُ ، وَالْعَيْشُ غَضُ ؟
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفْتَرَضُ ؟
تَشُوبُ وَأَفْحَضُ (٥) مُسْتَبْقِيَا وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ مِمَّنْ مَحْضُ !

✱ ✱

أَبْنُ لِي ، أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِيضًا (٦) بِأَعْبَاءِ بَرِّكَ ، فَيَمِينُ نَهَضُ ؟
أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طِيْبًا يُفَضُّ ؟

(١) قال المتنبي :

« قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وبنكر الغم طعم الماء من سقم . »

(٢) المنزع : السهم الذي يرمى به أبعد ما يقدر عليه لتقدر به النلوة قال الأعشى :

فهو كالمنزع المرش من الشو حط حالت به يمين المغالي

(٣) حرَض : ساقط لا يقوى على النهوض .

(٤) الحبض : التحرك والصوت ، والقوة وبقية الحياة ، يقول : كم دفع الضرور من قرب حينه إلى ..

وأنى فتركنه ميتا لأحراك به .

(٥) أى تمزج الصافي بالكدر وأصفبك الهوى خالصا من كل شائبة .

(٦) وفي رواية : « ناديا »

أَلَمْ تَكْ مِنْ شَيْعَتِي غَادِيَا إِلَى تُرَيْحٍ ضَاكَّكَتْهَا فُرْضٌ^(١) ؟
وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَتُفِّتْ لِحَالِكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ
وَلَا عَادَتِي - مِنْ وَفَاءٍ - سُورُورُ وَلَا نَالَتِي - لِحَفَاءٍ - مَضَضُ
يَعِزُّ أَعْتَصَارُ الْفَتَى وَارِدًا إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضُ^(٢)

عَمَدَتِ لِسْعِرِي وَلَمْ تَتَّعِبْ^(٣) تُعَارِضُ جَوْهَرَهُ بِالْعَرَضِ
أَضَاقَتْ أَسَالِيبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَأَنْقَرَضُ ؟

لَعَمْرِي لَفَوْقَتْ سَهْمَ النَّضَالِ وَأَرْسَلْتَهُ، لَوْ أَصَبْتَ الْعَرَضُ^(٤)
وَشَمَرْتَ لِلْخَوْضِ فِي جُلَّةٍ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاحِلُهَا لَمْ يُخْضَنْ
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَادَةٌ »^(٥) سَرَابُ تَرَاوَى وَبَرَقُ وَمَضَنْ
تَظُنُّ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظَّنُّو نُنُ فِيهَا تَقُولُ عَلَى مَنْ فَرَضَ :
« هِيَ الْمَاءُ يَا بُنَى عَلَى قَابِضٍ »^(٦) وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَخَضَنْ

(١) الفرض - جمع فرضة ، والفرضة من النهر ثلثة يستقى منها ومن البحر محط السفن .

(٢) وفي الأصل : « ولكن يعز اغتصار الفتى واردا » ، والجرض معناه المصص بالريق ، يقال

حرض برقه : ابتلعه بالجهد . والاعتصار : أن يفص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يصر به قليلا قليلا ، قال عدى بن زيد :

« لو يذير الماء حلقى شرق كنت - كالفصاذ - بالماء اعتصاري . »

(٣) ولم نال جهدا . (٤) الفرض : الهدف .

(٥) وفي الأصل : « وعرك من عهد فعالة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هي الماء يعز على قابض » .

وَبُنَيْتُهَا بَعْدِي أَسْتَحْمِدَتْ بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضَ

* *

« أبا حَامِرٍ » عَثَرَةً فَأَسْتَقِيلَ لِتُبْرِمَ مِنْ وَدْنَا مَا أُنْتَقَضَ

وَلَا تَعْتَصِمُ ضَلَّةً بِالْحِجَابِ ^(١) وَسَيِّمَ قُرْبَ أَحْتِجَابٍ دُحِضَ

وَالَا أُنْتَحَتَكَ جُيُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجَزَةً فِي قَضِيضٍ وَقَضُ

* *

وَأُنْذِرُ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ بِطِبِّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضَ

كَفِيلٌ يَبِطُّ خِرَاجٍ قَسَا ^(٢) جَرَى عَلَى شَقِّ عِرْقٍ نَبَضَ

يُبَادِرُ بِالْكَيِّ قَبْلَ الضَّمَادِ وَيُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ

وَأَعْلِمُهُ أَنِّي أَسْتَجَدْتُ الْعَوْضَ وَأَشْعِرُهُ أَنِّي أُنْتَخَبْتُ الْبَدِيلَ

فَلَا مَشْرَبِي - لِقَلَاهُ - أَمْرٌ وَلَا مَضْجَعِي - لِنَوَاهُ - أَقْضُ

وَإِنِّي يَدَ الْبَيْنِ مَشْكُورَةٌ لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَضَمٍ رَحَضَ ^(٣)

وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى لِإِبَانِهِ ، وَأَبْجَحْتُ النَّفْضَ ^(٤)

وَيَهْنِيكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرَّبْضَ ^(٥)

(١) الحجاج : الحاجة والجدل .

(٢) وفي الأصل : « خراج حرى . »

(٣) رحض : غسل .

(٤) النفض : ماسقط من الورق والتمر وحب العنب - حين يوجد بعضه في بعض .

(٥) الرض : الأمعاء ، أو ما في البطن سوى القلب ، وماوى النعم ، وفوتك الذى يكمنك من اللبن .

مدح ابن جهور وشكر باديس^(١)

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءَ - إِنْ رُمِيتَ صَرَفَهُمْ - عَنِ الْقَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ
أَتَوَكَ كَأَسَادِ الشَّرَى فَرَدَدَتْهُمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاحِ نَعَامُ
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْمُبْكِيَّاتِ - عِصَامُ^(٢)

(١) سقى الكلام عن « باديس » وعن « صنهاجة » في ص (٢٢٠ و ٢٢١) من هذا الديوان ، فليرجع إليها من شاء .

(٢) يقول النمل : « ما وراءك يا عصام ؟ » وجاء في مجمع الأمثال من المفضل الضبي أن أول من قال ذلك الحرث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلده جبال ابنة عوف بن سلم الشيباني وكلها وقوة عقلها ، دعا امرأة من كندة يقال لها « عصام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فعدت حتى انتهت إلى أمها ، وهي « أمامة » بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت « أمامة » إلى ابنها وقالت : أي بنية ! هذه خالك أنت لتنظر إليك فلا تستري عنها شيئا إن أرادت النظر ، من وجهه أو خلق ، وناظيها إن استفتتك ، فدخلت إليها ، فظرت إلى ما لم تر قط مثله ، فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الحداق ، من كشف القناع . » فأرسلتها مثلا ، ثم انطلقت إلى الحرث فلما رآها مقلة ، قال لها : « ما وراءك يا عصام . » قالت : « صرح الخوض عن الربد . » رأيت حبة كالمرأة المصقولة ، يزيناها شعر حالك كأذناب الحيل ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت هنا قيد جلالاتها الوال ، وحاجين كأنما خطا بقلم ، أو سودا بحجم ، تقوسا على مثل عين طيبة صبرة ، بينهما أنف كحد السيف الصنيع ، حفت به وجنتان ، كالأرجوان في يياض كالجلان ، شق فيه فم كالخاتم لتزيد المبتسم ، فيه ثنايا غر ذات أثر ، تغلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، بعقل وافر ، وحواب حاضر ، تلتقي فيه شمتان حمراوان ، في رقبة ييصاء كالفضة ، ركبت في صدر كصدر تمثال دمية ، وعسدان منديجان ، يتصل بهما دراعان ، ليس فيها عظم عيس ، ولا مرق يحبس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما ، ابن عصبهما ، تعقد إن شدت منهما الأنامل ، تنأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانيتين يغرقان عليها نياهما ، تحت ذلك بطن طوى طوى القباطي المدججة ، كسر عكنا كالقرايطيس المدرجة ، تحيط بذلك العكن سررة كالمدهن الجلو ، خلب ذلك ظهر فيه كالجداول ، ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لا نبت ، لها كذل بقدمها إذا نهضت ، وينهها إذا قعدت ، كأنه دعص الرمل ، لبدنه سقوط الذل ، يحمله نخدان لغاوان ، تحتهما ساقان خذلجان ،

وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْعُذْرِ إِنَّهُمْ كَمِثْلِ الْقَطَا لَوْ يُتَرَكُونَ لَنَامُوا^(١)

يحمل ذلك قدمان ، كحذو اللسان ، فبارك الله مع صفرهما ، كيف تطيقان حل ما فوقهما ؟ . فارسل الملك إلى أبيها لخطبتها فزوجها إياه وبث بصدافها فجهرها إليه ، فلما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أى بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكرة للعاقل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استعنت عن الزوج لى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أى بنية ! لك إن فارت الجوى الذى منه خرجت ، وخلفت العش الذى فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وقرين لم تألفه ، فأصبح يملكك عليك رقيقاً ومليكاً ، فكونى له أمة يكن لك عبداً وشيكاً ، إلى آخر ما جاء فى هذا الخبر ، قال فى مجمع الأمثال بعد سياقة هذا الخبر : وروى أبو عبيد ، ما وراءك على التذكير ، وقال : يقال إن المتكلم به النامة الديباني قاله لعصام بن شهير حاجب النعمان وكان النعمان مريضاً ، وقد أرجف بموته ، فسأله النامة عن حال النعمان ، فقال : « ما وراءك يا عصام . » ومعناه ما خلفت من أمر العليل ، أو ما أمامك من حاله ، ووراء من الأضداد . (١) يشير إلى النمل المشهور : « لو ترك القطا ليلاً لنام » يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته .

وقد تمثل به الحسين بن على (رضى الله عنه) فى الليلة الأخيرة التى تلاها مصرعه ، قال على ابنه :
إني لحالس فى تلك العشبىة - التى قتل أنى فى صبيحتها - وعنى « زينب » عندى تمرضى ، إذ اعتزل
أبى بأصحابه - فى خباء له - وعده « حوى » مولى « أبى ذر » - وهو يعالج سيفه ويصلحه -
وأبى يقول :

« يادهر : أف لك من خليل
كم لك - بالاشراق والأصيل -
من صاحب ، أو طال قتيل
والدهر لا يقنع بالسديل
ولمّا الأمر إلى الجليل -
وكل حى سالك السبيل . »

قال على بن الحسين :

فأطادما أبى مرتين أو ثلاثاً - حتى فهمتها - نعرفت ما أراد ، تخففتنى عبرتى ، فرددت دمي ولزمت السكوت ،
وصلحت أن البلاء قد نزل ، فأما عمى فأنما سمعت ما سمعت - وهى امرأة - وفى النساء الرقة والجزع -
فلم تملك نفسها أن وببت تجرب ثوبها - وإنها لحاسرة - حتى انتهت إليه ، فقالت :

« وانكلاه ! ليت اليوم أعدمتى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمى و « على » أبى و « حسن »
أخى . يا خليفة الماضى ، وثمّال الباقي . » فظفر الحسين ، وقال :

« يا أخيه ! لا يذهبن حلك الشيطان ! »

قالت : « بأنى أنت وأبى ، يا أبا عبد الله استفتلت ، نفسى فذاك ! » فردّ خصسته ، وترقرقت

عيناه ، وقال :

« لو ترك القطا ليلاً لنام ! »

* *

فِدَاءُ « لِبَادِيسَ » النَّفُوسِ ، وَجَادَهُ مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْقِ الْوَفَاءِ - غَمَامُ
فَمَا لَحِقَتْ تِلْكَ الْعُهُودَ مَلَامَةٌ وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَاكَ الْحِفَافِ - ذِمَامُ ^(١)
وَمِثْلَكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا كَمَا صَافَتْ - الْمَاءُ الْقَرَّاحَ - مُدَامُ
رَسِيلِكَ - فِي شَأْوِ الْمَعَالِي - كِلَا كَمَا بَعِيدُ الْمَدَى صَعْبُ الْهُمُومِ هُمَامُ

* *

لَعَمْرِي لَقَدْ أَحْظَيْتُهُ بِوِفَادَةٍ لِاسْنَى كَرِيمٍ أَنْجَبْتُهُ كِرَامُ
فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ فَلَجِيسِمٍ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامُ ^(٢)
حُسَامُكَ مَهْمَا تَخْتَرِطُهُ لِمِثْلِهَا فَقَلَّ غَنَاءُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

اسم من أحب

« وقال في معشوقة يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض

وسماء وماء ، فيتكوّن من مجموعها « أسماء . »

إِنَّ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ عَلَيْنَا أَذِمَّةً لَا تُدْذَمُ
هِيَ بِمَضُؤِ اسْمٍ مَنْ أَحَبُّ وَلَاءٍ وَتَكَرَّرِ بَعْضُهَا يَسْتَدِمُّ

قالت :

« يا ويلتنا ! أفتنصب نفسك اختصاباً ؟ فذلك أفرح لقلبي ، وأشد على نفسي ! » ولطدت وجهها ، وأهوت إلى جيبها وشقته ، وخرت مفشياً عليها .

فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء ، وعزّاها بكلام طويل يرجع إليه القارىء - إذا شاء في كتابنا

« مصارع الأعيان » من ص « ٢٥ إلى ٥٦ »

(١) عهد . (٢) وفي الأصل :

« فما ابنك إلا عدل نفسك ، إن يسر فلجسم - لا للنفس منك - مقام . »

وقال

« كان أبو العطف بن حي إذ ورد إشبيلية
رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فظله
حتى كتب إليه شعرا يستعطه فيه ، فجاءه
عليه في عروضه وفافيته . »

أَفَذَتْنِي مِنْ نَفَائِسِ الدَّرِّ مَا أَبْرَزَتْهُ غَرَائِرُ الْفِكْرِ (١)
مِنْ لَفْظَةٍ قَارَنْتَ تَظْيِيرَتَهَا قِرَانِ سَقَمِ الْجُفُونِ لِلْحَوَرِ (٢)
أَبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بَدَائِئُهُ - فِي النِّظْمِ - حَازَتْ جَلَالََةَ الْخَطَرِ
الْعِطْرِ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ، مِنْ نَفْسِ الرَّوْضِ رَقٌّ فِي السَّحَرِ (٣)



يَا رَاقِمَ الْوُشَى - زَانَهُ ذَهَبٌ - رَقْرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرِّ (٤)

(١) يقول : أودتني من نفائس الدرر ما أبرزته غرائر الفكر من
مكنون روائع الكنه ، وبدائع الحكم .

(٢) سقم الجفون : تورمها ، والحور : في العين شدة سواد المغلة في شدة بياضها في شدة بياض لون
الجلد ، وقيل الحور أن تسود العين كلها كما في عين الظباء والبقر ، وهذا ليس بموجود في الآدميين ،
يقول : أكتبتني من نفائس دررك كل لفظة وافقت قريبتها ، وقارنت تظييرها ، قران سقم الجفون ،
لحور العيون .

(٣) يقول : ألهع من هذه الحكيم البديعة التي أبدعها خاطرك سرى له نفس يحكي في الأرمج والرقعة
نفس الروض العطر ، سرى به التسميم وقت السحر ، وفي الأصل : « أنظر مهما سرى له نفس . » ،
وما أذبتناه هنا هو ما يرشد إليه السياق .

(٤) الوشى : القش ، ورقق : تحرك ولمع وصار له بصيص وتلاؤ ، ورف يقال : رف اللون
والذهب والبرق يرف . (بالكسر) رقيقا برق وتلاؤا ، وردت الأسنان كذلك ، وفي الحديث أن
« الثالثة » الهندي أشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحمي صفوه أن يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها . »

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفيض الله فاك . « فبقيت أسنانه ترف حتى مات ، يقول :
يا كاتبا برقم في الكتاب ما يحكي البرد الموشى المذهب الطرر والحوامشي ، والذي لونه قرقاق وبصيص ، وفي
الأصل « رقرق » وقد وضعنا بدلها « ورقق » ليستقيم المعنى والوزن .

- وَنَظِمَ الْعَقْدَ - نَظْمٌ مُقْتَدِرٌ - (١) يَفْصِلُ بَيْنَ الْعُمُونَ بِالْعُرْرِ
لِي بِالنِّصَالِ الَّذِي نَشِطَتْ لَهُ (٢) عَهْدٌ قَدِيمٌ مُعْجَمُ الْأَثَرِ
هَلْ أُنْصِلَ السَّهْمُ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ تَعَطَّلَتْ فَوْقَهُ مِنَ الْوَتْرِ ؟ (٣)



- مَا الشَّعْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرِيحَتُهُ غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الثَّمَرِ (٤)
تَبْسِمٌ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرْجٍ مِثْلَ الْكِمَامِ أُبْسَمَنْ عَنْ زَهَرٍ
إِنَّ الشَّفِيعَ الْهُمَامَ سَوَّغَهُ اللَّهُ اتِّصَالَ التَّائِيْدِ بِالظَّفَرِ
الْفَاضِلُ الْخُبْرُ فِي الْمُلُوكِ إِذَا أَقْصَرَ خُبْرٌ عَنْ غَايَةِ الْخَبْرِ (٥)
نَجَلُ الَّذِي نَصَحَهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَجِّ تَتْلُوهُ بَرَّةُ الْعُمَرِ (٦)

(١) العيون : الحيار المنتعج من حبات العقد ، والعرر البيض ، يقول : وبأناظم الشعر نظم قدير يفصل بين أجزائه ، وتؤلف بين واقع كلكه ، كما يؤلف أناظم العقد بين خرزه وجباته ، ويفصل بين الحيار المنتعج منها برر اللآلئ .

(٢) النصال : المراماة بالسهم وأراد به هنا المساجلة والمساقة في مجل القول ، ومعجم الأثر : مهمم مشكل قد انقضت معالمه وآثاره ، يقول : بعثت لى بهذه الكلام الثمينة ، والنظم الرائع تريد بذلك أن تجدده عهد النصال الذى نشطت له أنت الآن بعد أن طان بى عهده ، وأهم على أمره ، واستعجم أثره .

(٣) أنصل . مضارع أنصل السهم جعل له نصلا ، والجفير : جعبة السهام ، والفوق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجعل للسهم الذى فى الجفير نصلا ، وقد تعطلت فوقه أى مشى رأسه فلم تعد صالحة لأن يوضع الوتر فى موضعه منها ، يريد أن آلة النصال بطلت عنده وتعطلت أسبابها لطول العهد

(٤) غريضة النور : الغريضة ، والنض : كلامهما اللين الطرى الناضر من الزهر والنبات وغيرها .

(٥) الخبر : (بضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم بالشيء ، عن عيان وخبرة ، والخبر : البأ الذى يأتيك عن طريق السماع ، يقول : هو الملك الذى يفصل ويزيد الخبر والعلم بصفاته وأحواله عن الخبر الذى يملك عنه فى حين أن غيره من الملوك بقصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذى يأتيك عنهم .

(٦) برة العمر : أى العمر المبرورة المقبولة جمع عمرة ، وهى فى الأصل الزيارة ، وتتحقق شرعا بالطواف بالبيت والسعى بن السفا والمروة ، والفرق بينها وبين الحج أن العمرة تطوع وأنه يجوز للإنسان أن يعتذر فى السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يجوز الإحرام به وأداء مناسكه إلا فى أشهر الحج للمعلومة وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، يعنى أن نصحه وطاعته من أعمال البر اتقى تقابل من الله بالثواب ، وهى لكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج الذى تتلوه العمر المبرورة .

شَاهِدْ عَهْدِي لَكَ الصَّحِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوُهُ عَنِ الْكَدْرِ

* *

مَشَيْتُ فِي عَذَلِي الْبَرَّازَ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْعُذْرِ مِشْيَةَ الْحَمَرِ ^(١)
وَقُلْتُ : مَطْلُ الْغَنَى وَرِزْدٌ مِنَ الظُّلْمِ ، يُلَقَّى مَلَاوِمَ الصَّادِرِ ^(٢)
وَلِي مَعَاذِيرُ لَوْ تَطَلَّعُ فِي لَيْلِ سِرَارٍ أُغْنَتْ عَنِ الْقَمَرِ
مِنْهَا اتَّقَانِي لِأَنَّ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجَرٍ ^(٣)
لَكِنْ سَيَأْتِيكَ مَا يُجَوِّزُهُ سَرُوكَ ذَابَ الْمُسَامِحَ الْبَسَرِ
فَأَكْتَفَ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ عَنِّي ^(٤) لَأَحْظُ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البراز : من الأرض الفضاء الواسع الذي ليس به حر يستره من شجر أو غيره ، والحر : ما يستر الماشي ويوارى الصيد من شجر أو جرف أو جبل من حال الرمل أو غير ذلك ، يقول : هنالك والملك لوما صريحاً لا مواربة فيه ، فكنت فيه كن يمتنى البراز لا يواريه حر ، ولا يستره ساتر من مرتفع أو شجر ، وهو عذل أعلنه لمن لم يرض قبول عذر أستر وراءه يجري عن مجارته ، وأخفى في التماسه ضعف عن مباراته وفي المثل : « مثنى إليه البراز » و « مثنى إليه الملا والبراح » أى مثنى إليه ظاهراً غير مستتر ، وجاء في صد هذا المثل مثل آخر وهو : « مثنى إليه الحر ، ودب له الضراء . »

(٢) المظل : المذ يقال مظل الجبل وغيره يغطه مذلا ، وفي الحديث : « مظل الغنى ظلم . » والملاوم : جمع الملامة ، والصدر : الانصراف والرجوع عن الشيء .

(٣) في المثل : « كستبضع الثمر إلى هجر . » و « ناقل الثمر إلى هجر » وهو مثل قديم متداول : يضرب في الخطأ لأن ناقل الشيء إلى معدنه مخطئ ، ويقال أيضاً كستبضع الثمر إلى خيبر . فال الباطنة الجمعدى : « وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كستبضع تمرا إلى أرض خيبر . »

وتد ورد هذا المثل في كتاب لسيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه بعث به جواباً إلى معاوية رضى الله عنه وهو من محاسن كتبه ، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب : -

« أما بعد » فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفا الله محمدا صلى الله عليه وآله لدينه ، وتأييده إياه بمن أيد من أصحابه ، فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا إذ طفت تخبرنا بلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا ، فكنت في ذلك : « كناقل الثمر إلى هجر ، أو داعي مسدده إلى النضال . » إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب المدح ، فارجع إليه في نهج البلاغة إن شئت .

(٤) أى تمترض لك من غير تمس ولا قصد ، يقول : سيأتيك نظى هذا الذى يجبره سرك وإفضاؤك عما فيه أعضاء المسامح السهل ، فأكتف منه بنظرة على ، فانه لاحظ فيه لمعاودة النظر ككرة بعد كرة .

بين ابن زيدون والمعتمد

« وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد

بنصر الله وهو جالس في فصيل من القصر

تحت غرفة لزومه :

أيها المنحط عني مجلسا

وله في القلب أعلى مجلس

بفؤادى لك حب يقتضى

أن ترى تحمل فوق الأروس

خاوبه ابن زيدون . »

أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ التَّرْجِسِ	أَمْ نَسِيمُ الرُّوضِ تَحْتِ الْحِنْدِسِ
أَمْ نِظَامٌ لِلآلِ نَسَقِ	جَامِعٌ كُلَّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ ^(١)
أَمْ قَرِيضٌ جَاءَنِي عَنْ مَلِكِ	مَالِكٍ بِالْبَرِّ رِقَّ الْأَنْفُسِ
دَهَلَتْ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ	حَايِرَةٌ فِي مَنْطِقِي لِي مُخْرِسِ
بِتُّ مِنْهُ يَبْنَ سَهْلٍ مُطْمَعٍ	خَادِعٍ يُتْلَى بِحُزْنٍ مُؤَسِسِ

* *

يَا نَادَى يُعْنَى «أَبِي الْقَاسِمِ» غَمٌ	يَا سَنَا شَمْسِ الْحَيَا أَشْمِسِ
يَا بَهِيحَ الْخُلُقِ الْعَذْبِ أَبْنَمِ	يَا مُهَيِّجَ الْأَنْفِ الصَّعْبِ أَعْبَسِ
يَا جَمَالَ الْمَوْكِبِ الْغَادِي - إِذَا	سَارَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِسِ
أَنْتَ لَمْ يُفْعِمَكَ أَنْ أَلْبَسْتَنِي	نِعْمَةً تُذَكِّرُ عَهْدَ السُّنْدُسِ
فَتَلَطَّفْتَ لِأَنْ حَلَيْتَنِي	مَوْلِيَا طَوْلِي مُحَلَّى مَلْبَسِ

(١) يقول : أم هي لآلىء متسقة في نظام جامع أنفس الأعلاق وأجلها خطرا .

ذَٰكَ تَنْوِيهِ ثَنَانِي فَخَرُهُ سَايَ اللَّحْظِ أَشْمَ الْمَعْطِسِ
شَرَفَتْ بِكَرِّ الْمَعَالِي خِطْبَةُ مِنْكَ ، فَأَنْتُمْ بِسُرُورِ الْمَعْرِسِ
تَمْنَحُ التَّائِيدَ يُجَالِي لَكَ عَنْ ظَفَرِ حُلُوٍ وَعِزِّ أَقْعَسِ
وَأَرْتَشِفُ مَعْسُولَ نَضْرِ أَشْنَبِ تَجْتَنِّدِيهِ مِنْ عَجَاجِ الْعَسِ
وَأَرْتَفِقُ بِالسَّعْدِ فِي دَسْتِ الْمُنَى تُصْبِحُ الصُّنْعَ دِهَاقَ الْأَكْوَسِ
فَاعْتَرِاضُ الدَّهْرِ - فِيمَا شِئْتَهُ - مُرْتَفَقِي فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجِسِ

وقال

« وقد أصره بدخول حمام القصر وبعث
إليه بخور وطيب . »

رِضَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطَّهْوَرِ - مُطَهَّرُ وَقُرْبِكَ - مِنْ دُونِ الْبُخُورِ - مُعَطَّرُ
فَلَوْ عَزَّ سَحَابُ لَادَفَانَا ذَرَى يَفِيضُ بِهِ مَاءَ النَّدَى الْمُتَفَجَّرِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طِيبٌ لَأَغْنَتْ حَفَاوَةُ تَمَسُّكَ مِنْهَا حَالِنَا وَتَعْنِبُ (١)
فَلَا فَارَقَ الدُّنْيَا سَنَايَ مُقَدَّسُ بِمِشْكٍ فِيهَا أَوْ ثَنَائِي مُجَمَّرُ (٢)
وَدُمْتَ مُلْقَى - كُلَّ يَوْمٍ - صَبِيحَةً يُعَادِيكَ فِيهَا - بِالْقُتُوحِ - مَبْشَرُ

وقال

« مجاوباً له عن شعر خاطبه به . »

أَمَوَلَايَ بُلُغْتَ أَقْصَى الْأَمَلِ وَسُوِّغْتَ دَأْبَ نِسَاءِ الْأَجَلِ (٣)

(١) لو لم نجد الطيب لأغنتنا عنه حفاونك التي نطعمنا بالمسك والعنبر .

(٢) السناء : الرقة ، والثناء : المدح ، والجمر العبق ، يقال : جمر ثوبه : بخره ، وجر النار : هبأها .

(٣) نساء الأجل : طول العمر .

وَعُمِّرْتَ مَا شِئْتَ فِي دَوْلَةٍ تُقْصِرُ عَنْهَا طِوَالَ الدُّوَلِ
فَأَنْتَ الَّذِي غُرُّ أَعْمَالِهِ تَحَلَّى بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ الْعَطَلِ
يُشْرِفُ مَمْلُوكَكَ الْمُسْتَرْقَ نَظْمٌ مِنَ الْكَلِمِ الْمُتَخَلِّ (١)
وَرَأَحُ تَعِيدُ إِلَى مَنْ أَسْنَى طِيبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبِلِ (٢)
فَأَخْجَلَنِي الْبِرُّ مِنْ فَرْطِهِ وَإِنَّ الْجَوَابَ لَيُبْدِي الْخَجَلَ
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرَ مَوْلَى الْأَنَا مِ جُهِدِ الْعَبِيدِ إِذَا مَا أَقْلُ
سَعِدْتَ كَمَا سَعِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ غَلَاً لَمْ يَنْلَهَا زُحَلُ (٣)

جواب

« وقال مجاوبه أيضا . »

هَلْ يَشْكُرُنَّ « أَبُوالْوَلِيدِ » (٤)
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً لِلدَّهْرِ أَسْمَرْتَ الْحَسُودَ
إِنْ لَمْ يَدِنْ بِنَصِيحَةٍ تُرْضِيكَ فَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ
لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ تُضْجِي، السُّعُودَ لَهَا جُنُودُ

وقال يستهديه خمرأ

يَا بَابِغَا كُلَّ مَجْدٍ وَهَادِمًا كُلَّ وُجْدٍ
جِسْمُ الشُّرُورِ سَوِيٌّ مِنْ صَوْنِغِ نِعْمَاكَ عِنْدِي
فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ يَنْطِقُ بِأَحْقَلِ حَمْدٍ

(١) المتخل : النقي المتخير . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أَنْتَ مَعَ أَسْرَاءِ مَا يَقْتَدِي وَأَغْرِبَ بِأَكُورَةِ تَنْقُلُ . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو الملاء :

« زحل أشرف الكواكب داراً من لقاء الردى على ميعاد . »

(٤) يعنى نفسه .

وقال مجاباً المعتمد

أَفَاضَ سَمَاحَكَ بِحَرِّ النَّدَى وَأَقْبَسَ هَذِيكَ نُورَ الْهُدَى
وَرَدَّ الشَّبَابَ أَعْلَاقَكَ بَعْدَ مُفَارَقَتِي ظِلَّهُ الْأَبْرَدَا ^(١)
وَمَا زَالَ رَأْيِكَ فِي الْجَمِيلِ يُفَتِّحُ لِي الْأَمَلَ الْمُوصَدَا ^(٢)
وَحَسْبِيَ مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبَدَا ^(٣)
وَيَا فَرَطَ مَا بِي ^(٤) إِذَا مَا طَلَمْتَ فَقُمْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا
وَرَدَدْتُ لَحْظِي فِي غُرَّةٍ إِذَا أُجْتُلِيتْ شَفَتِ الْأَزْمَدَا
وَطَاعَةُ أَمْرِكَ فَرَضٌ أَرَا هُ مِنْ كُلِّ مُفْتَرَضٍ أَوْ كَدَا
هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الضَّمِيرِ فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ أَلْخَدَا
وَحَاشَايَ مِنْ أَنْ أَضِلَّ الصِّرَاطَ فَيَعْدُونِي الْكَفْرُ عَمَّا بَدَا ^(٥)
وَأُخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لَا أَرَى لِدَهْرِي إِلَّا بِهِ مَوْعِدَا ^(٦)

(١) يقول : رد على شباني بعد أن فارقت ظله الأبرد اعتلاقي بأسبابك واتصال بدولك .

(٢) وما زال جميل رأيك في يفتح لي من الآمال كل باب مغلق .

(٣) وكفاني غفرا خالداً أملك رضيت قبولى ضمن من استعبدتهم بإحسانك ، ومددت عليهم ظلاً

نعمتك الوارف . (٤) في الأصل : « يا فرط باوى . »

(٥) يقول : حشاي أن أضل الصراط وأرفض أول فرض علي من طاعتك التي هي الشرع ، ومعتقد

الصغير ، فيبعدني الكفر عما بدلى من محبة الإيمان .

(٦) في الأصل : « وأخلف بالوعد » وهو لا يعتمدى بالباء ، فأبدلناه بالموعد ليصح اللفظ ، والسبب

في أنه يتصل هنا من خلف الموعد أن « المعتمد » كان قد عرض له سفر نجاة فكتب إلى « ابن زيدون » :

« العين بمدك تهدي بكل شيء تراه »

فليجل شخصك عنها ما بالغيب جاء . «

معانت « ابن زيدون » عن الجواب أشغال توالى عليه ، ثم استبأه « المعتمد » فبعث إليه بالقصيدة

التالية معاتباً :

وعدت وأخلفتني الموعدا وخالفت بالمنهى المبتدا

أَتَانِي عِتَابُهُ مَتَى أَذْكُرُ هُمُ فِي نَشَوَاتِ الْكَرَى أُنْهَدَا^(١)
وَأِنْ كَانَ أَغْقَبَهُ مَا أَقْتَضَى شِفَاءَ السَّقَامِ وَتَفْعَ الصَّدَى^(٢)
ثَنَاءَهُ ثَنَى فِي سَنَاءِ الْمَحَلِّ زُهْرَ الْكُورِ كَيْلِي حُسْدَا^(٣)
قَرِيضُهُ مَتَى أَنْبَغَ لِلْقَرَضِ مِنْهُ أَدَاءَهُ أَجْدَ شَأْوُهُ أَبْعَدَا
لَوْ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلِمَّتْ أَوْ الْبَدْرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا
لِضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ الْيَتْرِ يَنْ حِظًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْعَدَا

وأطعمتني ثم أيشقني ويعني الود أن أحقدا
وأضعفت بالمطل جل الرجا فرت وأعهده محصدا
وعاد ضياء ارتقاني ظلاما وأصبح مصباحه أرمدا
وكان فمالك قبل المقال فإذا عدا الآن فيما بدا
وقد كان ظي بها رأيت به أنه الشيء بلّ اليدا
وكم قد توكفتها روضة تقرب لي الأمل الأبعدا
ينور علمك أرجاءها ويظهر طبعك فيها ندا
توكنها زمنا ناظري إذا مر يوم تهادى غدا
على ذاك أديك من ماجد تثبت بالظرف فيه الهدى
لحيناً أزور به روضة وحيناً أحيي به مسجدا
لك العلم مهما أرد محره لأروى به أحمد الموردا
وفيك تجبعت المأثرا ت طرا قصرت بها مفردا
شمال تتثر شدل الهمو م نترك بالرائ شدل العدا
فتعني الله بالخط مك ولا زلت لي وناسرمدنا
ودمت ودمت على حالنا كما يصحب الفرقد الفرقدنا
فلولاك كانت ربوع السرو رمي تجاوب فيها الصدى

(١) أتاني من قبل المدح عتاب بسبب لي ذكره الأرق والسهو كلما رنحتي نشوات الكرى وشغيتي أوائل النوم .

(٢) يقول : أسهنت وأرتني اذكار هذا العتاب ، وإن كان أغقبه ما اقتضى شفاء القلوب ، وإطفاء وحر الصدور .

(٣) ثناء ومدح رفعت به محلي ، فأثنت زهر النجوم تحمدني عليه .

فَدَيْتُكَ مَوْتِي : إِذَا مَا عَثَرْتُ أَقَالَ ، وَهَمَّهَا أَرْغَ أَرْشَدَا
رَكَنْتُ^(١) إِلَى كَرَمِ الصَّفْحِ مِنْهُ فَأَمَنِي ذَاكَ أَنْ يَحْقِدَا
وَأَنْسْتُ سُوقَ أَحْتَالِ ابْنِي لِمُسْتَبْضِعِ الْعُذْرَانِ يَكْسَدَا^(٢)
شَفِيعِي إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصِي كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْعَسْجَدَا
وَمِنْ وَصَلِي هَجْرَةٍ لَا أَعْدُ لِحَالِي سِوَى يَوْمِهَا مَوْلَدَا^(٣)
وَنَعْمَى تَفْيِئَاتِهَا أَيْكَةً فَشُكْرِي سَحَابٍ بِهَا غَرَدَا
تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فِيكَ وَأَشْعَرَكَ الْخُلُقَ الْأَعْجَدَا
مَضَاهُ الْجَنَانِ وَظَرْفُ اللَّسَانِ وَجُودُ الْبَنَاتِ بِسَكْبِ الْجَدَا
رَأَى شَيْمَتِيكَ لَمَّا تَسْتَحِقُّ وَفَقَى فَأَظْفَرَ إِذْ أَيْدَا
لِيَهْنِكَ أَنْكَ أَرْكَى الْمُلُوكِ بَقِيءَ وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا
سِوَى نَاجِلٍ لَكَ سَاحِي الْهُمُ مَرَدَانِي الْفَوَاضِلِ نَائِي الْمَدَى^(٤)
هُمَامٌ أَغْرَى رَوَيْتَ الْفَخَارَ حَدِيثًا إِلَى سَرُورِهِ مُسْنَدَا^(٥)

- (١) في الأصل « وكنت » وقد وضعنا بدلها « ركنت » التي هي كدورتها في الخط ليستقيم المعنى .
(٢) المستبضع : اسم فاعل من استبضع الشيء ، جملة بصاعته ، والبداعة طائفة من المال ترسل إلى الأسواق للتجارة ، يقول : إن احتماله وإغداؤه عن الهوات بمثابة سوق تأتي لمن استبضع إليها الأعذار أن تكسد بضاعته ، وهو مأخوذ من المثل : « كستبضع التمر إلى هجر . »
(٣) الوصل : جمع وصلة بمعنى الانفصال والأسباب والدرائع ، يقول : ومن أسباب انفصالي به وذرائعي إليه هجرة فارقت فيها موطنى ، وانفصلت على أثرها بدولته ، واعتانقت بحمله وذمته ، تلك الهجرة التي لا أعد أن حالي استقرت وولدت ، إلا يوم أن حصلت رمت .
(٤) الناجل : السكريم العزل ، يقول : ليس في الملوك أركي منك سوى والدك الذي نجاك وأنجحك .
(٥) يقول : إن أباك همام أغرى مشرق الوجه ، رويت عنه الفخار حديثاً مسنداً إلى سروره ومجده ونبله .

سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَاجَهُ فَقَدْ طَاقَ الْأَطْرَفُ الْأَتْلَدَا^(١)
هُوَ اللَّيْتُ قَلَدَ مِنْكَ النَّجَادَ لِيَوْمِ الْوَعَى شِبْلَهُ الْأَنْجَدَا^(٢)
يُعِدُّكَ صَارِمَ عَزْمٍ وَرَأَى قَتْرُضِيهِ جُرْدَ أَوْ أُغْمِدَا^(٣)
وَمَا اسْتَبْتَهُمُ الْقُفْلُ فِي الْحَادِثَا تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِثْلَدَا^(٤)
فَأَمْطَاكَ مِنْكَبِ طَرَفِ النُّجُومِ وَأَوْطَا إِيْحَصَاكَ الْفَرْقَدَا
فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأَوَّلِيَا ۚ مُلْكُكُمْ وَيَحْمِطُ الْعِدَا
وَنَفْسِي لِنَفْسَيْنِ كَمَا الْبَرَّيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّى الْفِدَا
فَنَنْ قَالَ : أَنْ لَسْتُمَا أَوْحَدَيْنِ فِي الصَّالِحَاتِ فَمَا وَحَدَا^(٥)

وقال

لَعَمْرِي لَنْ قَلْتُ إِلَيْكَ رَسَائِلِي لِأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَذُوبُ
فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَبَدَّلْتُ غَيْرَكُمْ وَلَا أَنَّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خُلُوةً لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ؟
رَعَى اللَّهُ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابِي وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالْذُمُوعِ - شَوَاهِدُ

(١) الأطراف : الحديث ، والأتلد : القديم .

(٢) النجاد : حمائل السيف ، والأنجد : الشجاع ذو النجدة والبأس ، يقول : هو أى ولدك الملك لئيت قلد شبه الأنجد الشجاع السيف ليوم الوعى والحرب .

(٣) يعِدُّكَ صارم عزم وحزم في الحرب والسياسة ، قترضيه في الحايين : جرد السيف ، أو أغمد .

(٤) استبتهم : استماتق ، والقفل : ما يلقا به الباب ، والمفلد : المفتاح ، يقول : لا تستنلق الحادثات إلا رآك مفتاحاً لأقفالها الملققة ، وفي الأصل : « الفـعل » فوضعا مكانها « الفـفل » ليناسب الاستبهم والمفلد .

(٥) يقول : أن من ينكر أنكاحاً في البر والصالحات أو حدين قد بلغ في الجحد والانكار . يبلغ من ينكر التوحيد ولا يقول بوحدة الله .

تهنئة

« وقال رحمه الله يهيه أيداه الله بالقدوم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبْشِرْ بِالظَّفَرِ وَأُجْتَلِ التَّائِيْدَ فِي أَهْلِ الصُّوْرِ
وَتَقِيًّا ظِلًّا سَمْعِي تَجْتَنِي فِيهِ مِنْ غَرَسِ الْمُنَى أَحْلَى الثَّمَرِ
وَرِدِ الصَّبِيحِ فَكَمْ مُسْتَوْحِشٍ غَرَضٍ ^(١) مِنْكَ إِلَى أُنْسِ الصَّدْرِ
كَانَ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدٍ عَطِرِ الْأَصَالِ وَصَّاحِ الْبُسْكَرِ
كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى خُلُقِي الْبَرْجِيسِ ^(٢) فِي خَلْقِ الْقَمَرِ

(١) غرض : يصف من الغرض (محرّك) وهو شدة النزاع نحو الشيء، والشوق إليه يقال : غرض إلى لغائه فهو غرض اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

فَنَ بَكَ لَمْ يَغْضُ قَانِي وَمَاتِي بِمَجَرِّ إِلَى أَهْلِ الْحَمَى غَرْضَانِ
مَحْنُ فَبِيدِي مَا بَهَا مِنْ صَبَاةٍ وَأَخِي الَّذِي لَوْلَا أُنْسِي أَفْصَانِي

وفي الأصل : « عرض » .

(٢) البرجيس

البرجيس : المشتري وهو أحد الدراري الخمسة : المشتري ، وزحل ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة ، وهذه الكواكب الخمسة هي الجنس الكنسي المذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكنسي . » قالوا : وإنما وصفت بما ذكر في الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تجري مع الشمس والقمر ، وخنوسها رجوعها مظهر بعد اختفائها في ضوء الشمس ، ولذلك تسمى الرواجع ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كنس الظهي والوحش إذا دخل كناسه ، وفي النهاية لابن الأثير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكواكب الخمس فقال هي البرجيس وزحل وعطارد وهرام والزهرة ، البرجيس : المشتري ، وهرام : المريخ . »
والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « المشتري » وهو كوكب معروف تطلق عليه الفرنجة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو - في أساطير قدماء الرومان واليونان ، اله الآلهة ، المهيمن على كل الكائنات العلوية والسفلية ، قالوا : « وإنما سمي المشتري - من الشراء ، وهو الوضوح لضياء لونه وصفائه . » قال الشاعر :

« ياربّ ليل بت أرعى نجمه - حق الصباح - بزفرة وعويل
والمشتري - في الأفق - يخفق لامعا كغم الحبيب يشير بالتقبيل . »

فَتَوَى دُونَكَ مَتَوَى قَلْبِي يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْلَ السَّحَرِ
 قُلْ لِسَاقِينَا: «يَحْزُ أَوْ كَوْسُهُ» وَلِشَادِينَا: «يَصِلُ قَطْعُ الْوَتْرِ»
 حَسْبُنَا سُكْرُ جَنَّتِهِ ذِكْرٌ دُونَهُ الشُّكْرُ الَّذِي يَحْنِي السَّكْرُ^(١)
 لَمْ يُغَادِرْ لِي سَقَايَ جَلْدًا مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ ثَبَتَ الْمِرْزُ^(٢)
 أَيُّهَا الْمَاشِي الْبَرَّازَ الْمُنْبَرِي لَزَمَانِي إِنْ مَشَى نَحْوِي الْحَمَرُ^(٣)
 وَالَّذِي إِنْ سِيمَ مَا فَوْقَ الرِّضَى وَجَدَ الْأَلْوَى الْبَعِيدَ الْمُسْتَمِرَّ^(٤)
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ لَأَنَّ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْبَسَرِ
 نَظْمِي الْمُهْدَى إِلَى أَبْرَعِ مَنْ نَظَّمَ السَّحَرِ بَيَانًا أَوْ تَرَنُّ

(١) السكر : الئ غير المخلوخ من ماء التمر المشدد ، والشراب المتخذ من التمر نومان : ما يسيل من التمر حين يكون رطباً فإذا اشتد سمي سكرًا ، وما يفصح أى يشق من التمر ثم يبق فى الماء ليستخرج الماء حلاوته ثم يترك حتى يشتد وتذهب حلاوته ويسمى فصيخًا وكلاهما مسكر . وقد ورد ذكر السكر فى قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا . » ، ومعنى هذا البيت والذى قبله : قل لساقينا : نَحْ كَوْسِكَ عَنَا فَقَدْ أَغْنَانَا السكر الذى تحمده الذكر ، عن السكر الذى يحنيه السكر ، وقل لشاديننا : صل قطع الوتر والغناء ، فهما جلا فى السمع من ذكره الكفاية والثناء .
 (٢) ثبت : ثابت ، ثابت : جمع مره (بالسكر) وهى القوة والشدة أى لم يغادر الى السقام جلدا وصبرا مع أنى لم أزل ذا مرة قويا ، وورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

لم يغادر لى شفا من جلد مع أنى لم أزل ثبت الفرد
 وما أثبتناه من الاصلاح هو ما يرشد اليه السياق .

(٣) البراز : المنسج من الأرض الذى ليس به ما يقره من شجر أو غيره ، والخمر : ما يستمر الماشى أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل رمل أو غير ذلك ، يقول : يا من يدافع عني إذا رأى زمانى مشى إلى متكررا يريد ختلى وأخذنى على غره . (٤) الألوى : الشديد الحصومة الجدل السليط ، والمستمر : من استمر استحكم مصدر ميمي يعنى أنه بعيد شأوا الحصومة ، وفى المثل : « لتجدن فلانا ألوى بعيد المستمر . » وقد جاء هذا المثل فى قول الراجز :

« إذا تخازرت وما بى من خزر ثم كسرت الطرف من غير عور
 وجدتنى ألوى بعيد المستمر أحل ما حلت من خير وشر . »

أى وجدتنى خصما سليط اللسان بعيد شأوا الحصومة .

لِي فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ عَنْ جَالِبِ التَّمَرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ
غَيْرَ أَنَّ الْعُذْرَ رَسْمٌ وَاضِحٌ تُنْفَتِ الشُّكُوى إِذَا الشَّوْقُ صَدَرَ^(١)
ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدُهُ عَظُمْتَ نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ
لَا عَدَا حَظَّكَ إِقْبَالَ تَرَى قَاضِيًا أَثْنَاءَهُ كُلَّ وَطَرِ
وَاضْطَبَحَ كَأْسَ الرِّضَى مِنْ مَلِكٍ سِرَّتْ فِي إِرْضَائِهِ أَزْكَى السَّيْرِ
حِينَ صَمَمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ فَأَتَتْهُمْ مِنْكَ صَمَاهُ الْغَيْرِ
فَاضْ غَمْرٌ لِلنَّدَى مِنْ فَوْقِهِمْ كَانَ يُرَوِّى شُرْبُهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ^(٢)
سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزُّهْرُ اقْتَفَرَ^(٣)
زُنْثُمَا الْأَيَّامَ إِذْ مُدْكَكُمَا سَالَ فِي أَوْجُهَا سَيْلُ الْغُرَرِ
فَأَبْقِيَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ بَعْضُ حُرَاسِ نَوَاحِيهَا الْقَدَرِ
مُسْتَدَلِّي مَنْ طَغَى مُسْتَأْصِلِي شَافَةَ الْبَاغِي مُقْبِلِي مَنْ عَثَرَ
عَامِي مَنْ ضَلَّ مُزْنِي مَنْ شَكَا خَلَّةَ الْإِحْمَالِ بَدْرِي مَنْ نَظَرَ
تَضَحَّكَ الْأَزْمُنُ عَنْ عَلِيَا كَمَا ضَحِكَ الرَّوْضَةُ عَنْ ثَمَرِ الزَّهْرِ

(١) صدر : أساب الصدر ، يقال : صدر فلان فلانا يصدره صدرا (من باب نصر) أساب صدره .

(٢) الغمر : تدح صغير يتصان به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا اليسير ، والتصانق أن يلقوا به حصاة ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغر الحصاة ، ثم يعطى الاناء كل رجل منهم بحسب دوره وجاء في شعر أعشى بأهله : —

« يكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء وروى شربه الغمر »

(٣) اقتفر — من اقتفر الأثر — اقتفاه وتبعه ، والمعنى : « سبق أبوك لملك مصلياً وتالياً بعده أنت يامن

يقنى آثار أبيه الزهر .

ذكرى ولادة

« كان يكلف بولادة بنت المهدي هذه ويهيم ،
ويستضيء بوزن خيلها في الليل البهيم ، وكانت من
الأدب والظرف ، وتقيم المسمع والطرف ، بحيث تختلس
القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب ،
فلما حل بذلك القرب ، وانحل عقد صبره بيد الكرب ،
كر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، ويتسلى برؤية
مافيا ، فوافاه والربيع قد خلع عليها برده ، ونثر
سوسنه وورده ، وأترع جداه ، وأطلق بلابلها ، فارتاح
ارتياح جيل بوادي القرى ، وراح بين روض يانع
وريح طيبة السرى ، فتشوق إلى لقاء ولادة وحن ،
وخاف تلك النوائب والحن ، فكتب إليها يصف فرط
قلقه ، وضيق أمده إليها وطلقه ، ويعاتبها على إغفال
تعهد ، ويصف حسن محضره بها ومشهده (١) : »

إِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِالزَّهْرَاءِ » مُشْتَاقًا وَالْأَفْقُ طَلَقٌ ، وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا^(٢)
وَلِلنَّسِيمِ أَعْتِلَالٌ - فِي أَصَابِلِهِ - كَأَنَّهُ رَقَّى لِي ، فَأَعْتَلَّ إِشْفَاقًا
وَالرَّوْضُ - عَنِ مَائِهِ الْفِضْيَى - مُبْتَسِمٌ ، كَمَا شَقَقْتَ - عَنِ اللَّبَّاتِ - أَطْوَاقَا^(٣)
يَوْمٌ ، كَأَيَّامِ لَذَاتِ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ، بَنَيْنَا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَاقَا
نَلْمُو بِمَا يَسْتَمِيلُ الْعَيْنَ مِنْ زَهْرٍ - جَالَ النَّدَى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَغْنَاقَا

(١) فلانة المعيان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض قد راقا » .

(٣) اللبات : جمع لبة ، وهي موضع الفلاة من الصدر ، ولأطواق : جمع طوق ، وأراد به ما يطيف
بالعنق من الثوب ، ولأنك أن الهيئة الحاصلة من اسياح الماء الفضي في الروض تشبه الهيئة الحاصلة من
انشقاق طوق الثوب عند ترائب النحر والصدر ، وجاء في بعض الروايات : « كما حلت عن اللبات أطواقا » .

كَانَ أَغْنِيَهُ - إِذْ مَايَنْتَ أَرْقِي - بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَالَ الدَّمْعُ رَفَاقَا
وَرَدُّ تَأَلَّقَ - فِي ضَاغِي مَتَابِقِهِ - فَأَزْدَادَ مِنْهُ الضُّحَى - فِي الْعَيْنِ - إِشْرَاقَا
سَرَى يُنَافِضُهُ نِيلُوفَرُ عَبَقُ - وَسَنَانُ ، نَبَهُ مِنْهُ الصَّبْحُ أَحْدَاقَا
كُلُّ يَسِيجُ لَنَا ذِكْرَى تُشَوِّقُنَا - إِلَيْكَ ، لَمْ يَعُدْ عَنْهَا الصَّدْرُ إِنْ ضَاقَا
لَا مَسْكَنَ اللَّهُ قَلْبَا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ - فَلَمْ يَطِرْ - بِجَنَاحِ الشَّوْقِ - خَفَاقَا
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الصَّبْحِ - حِينَ سَرَى - وَافَاكُمْ بِفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَاقَى
لَوْ كَانَ وَفَى الْمُنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ - لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا

يَا عَلِيَّ الْأَخْطَرَ الْأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى - نَفْسِي ، إِذَا مَا اقْتَتَى الْأَخْبَابُ أَغْلَاقَا
كَانَ التَّجَارِي بِمَحْضِ الْوُدِّ - مُذْرَمِينَ - مَيْدَانِ أَنْسٍ ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقَا
فَالآنَ - أَتَحَدَّ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ - سَلَوْنُكُمْ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عُشَاقَا !

إلى ولادة

يَا نَارِحًا - وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ - أَنْسَتِكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ
أَهْمَتَكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّبِهَا - فَلَيْسَ يَجْرِي - بِبَالٍ مِنْكَ - ذِكْرَاهُ
عَلَّ اللَّيَالِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ ، - الدَّهْرُ يَعْلَمُ - وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ

إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ - وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرَ الدَّيَّوَانِ وَالْمَوْكِبِ :
مَا لِأَبِي صَفْوَانَ - مَا لَوْفِنَا - أَبْرَقَ فِي الْأَلْفَةِ عَنْ خُلْبٍ ؟
وَلَمْ يَمُدَّ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرَقَّ السَّمْعِ مِنَ السَّكْوِ كَبِ ؟

عَفْهُ بِاللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَشْتَمَ - وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِمَ - فَأَضْرِبْ
وَعَاطِهِ صَهْبَاءَ مَشْمُولَةٍ يَرَى لَهَا الْمَشْرِقَ فِي الْمَغْرِبِ
وَلَيْشْرَبِ الْأَكْثَرَ مِنْ كَأْسِهِ وَأَعْمَدَ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَأَشْرَبِ
عُقُوبَةً ، أَحْسَنَ بِهَا سُوءَهُ - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ
وَبَاكَرِ الطَّيِّبِ ، وَرَوْحَالَهُ ، فَأَنْتُمَا فِي زَمَنِ طَيِّبِ

ليل انس

« وبات ليلة باحدى جنات اشبيلية فقال : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصَّبْحِ - فِي اللَّيْلِ - تَأْمِيرُ
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَا - فَوَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ مَقْهُورُ
فَحَزْنَا مِنْ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طَيِّبَهَا ، وَلَمْ يَعْمُرْنَا هَمٌّ وَلَا عَاقَ تَكْدِيرُ
خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسَرَّتِي ، وَلَكِنْ لِيَالِي الْوَصْلِ فِيهِنَّ تَقْصِيرُ

دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَعَثَتْهُ يَنْفَعُ الْأَعْضَاءَ حِينَ يَجْلُو - يُلْطِفُهُ - السَّخْنَاءُ ^(١)
جَاءَ يُزْهِى بِمُسْتَشَفٍّ رَقِيقٍ يَخْدَعُ الْعَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءً ^(٢)
تَنْفُذُ الْعَيْنُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ مَلَأَتْهُ أَيْدِي الشَّمُوسِ ضِيَاءَ
أَكْسَبَتْهُ الْأَيَّامُ بَرْدَ هَوَاءٍ فَهُوَ جِسْمٌ قَدْ صَبَغَ نَارًا وَمَاءَ
مَنْظَرٌ يُبْرِجُ الْقُلُوبَ ، وَطَعْمٌ تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ اسْتِمْرَاءَ
لَذَّةِ الْوَصْلِ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ - كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّى الْجَفَاءَ ^(٣)
يَقْضَحُ الشَّهْدَ طَعْمُهُ - كُلَّمَا قَبَسَ - إِلَيْهِ وَيُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ
فَضَلَ السَّابِقَ الْمُقَدَّمَ - فِي النُّضْجِ - فَازَرَرَى بِطَعْمِهِ إِزْرَاءَ
غَيْرِ أُنَى بَعَثَتْ هَذَا غِدَاءَ - يَشْتَهِيهِ الْفَتَى - وَذَلِكَ دَوَاءُ
مُلْطَفٌ يُبْرِدُ الْمَزَاجَ إِذَا جَا شَ التَّهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ

(١) معناه : أى الدواء الملهود بينه وبين مخاطبه ، ومعلوم أن الطب وعلم الكيمياء وتركيب الأدوية والمعدلة والجراحة تقدمت في الأندلس وبخاصة في القرون الوسطى وعند علماء الأندلس كابن رشد ، وأبي القاسم زهرراوى ، وابن زهر ، وأضرابهم من علماء المشرق بفنداد : كان سينا والرازى ، وعلى ابن عباس أخذ علماء أوروبا علومهم الطبية وغيرها ، وقد مرّ بك كثير من قصائد ابن زيدون التي تتعرض لذكر الطب والعلاج ، وأنت إذا تأملت فيما يمر بك من هذا النوع وأشعباه تقرأ فيه آيات الحضارة ، وتشعر بأثر المدينة . والسحناء : من قولهم : لى لأحد في نفسى سحناء - بالذ - وسجونة أى حرارة شديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : لأن هذا الدواء قد جاءك يزهى في رفته وسيولته بواء رقيق استشف العين ماى داخله ، وينخدع الناظر فلا يكاد يراه لشدة رفته وصفائه .

(٣) يقول : لأن متعاطيه يسمره ويجد فيه لذة كالذة السكاف المشوق ، ظفر بوصل الحبيب بعد يأس وطول جفاء .

وَمُعِينٌ لِوَاصِلِ الصَّوْمِ، يَسْرِي بَرْدُهُ فِي الْحَشَا - فَيُرْوَى الظَّمَاءُ
(فَتَقَبَّلَهُ) شَافِعًا لِأَيَادِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَفُوتُ الشَّاءُ^(١)

حسبي رضاك

إِلَيْكَ - مِنَ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْتِيحِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى أَقْتِرَاحِي
وَمَا أُغْتَرَضْتَ مُهُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرِكَ - رَيْحَانِي وَرَاحِي
فَدَيْتُكَ : إِنْ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ^٢
وَلِي أَمَلٌ - لَوْ الْوَاشُونَ كَفَّوْا - لَا طَلَعَ غَرْسُهُ ثَمَرَ النَّجَاحِ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ - رِصَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْضَى سِلَاحِ
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكَ لِي - اخْتِلَاسًا - أَكْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَّاحِ^٣
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ نِقَابٍ ، وَغَضْنَ الْبَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحٍ
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ
عَلَى حَالِي وَصَالٍ وَأَجْتَنَابٍ ، وَفِي يَوْمِي دُنُوءٍ وَأَنْتِزَاحٍ
وَحَسْبِي أَنْ تَطَالِعَكَ الْأُمَانِي بِأَفْقِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحٍ -

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

« شافعا لأيديك التي بعضها يفوت الشاء . »

والنكته لا يابها السياق .

(٢) يقول : إن صبري عك كصبري على الماء القراح لدى عطشي وشدة ظمئي .

(٣) يقول في هذا البيت والذي بعده : ولما أن جلتك وأبرزتك يد الدهر خلسة لحبي وهلاكي الذئ
أتبع وقدر لي ، طلعت سافرة كما تطلع الشمس من نقاب ، وخطرت مائة كما يردل غصن البان في وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غِيًّا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ ^(١)
فَوَادِي - مِنْ أَسَى بِكَ - غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ

عودى إلى الوصال

بَاعَدْتَ - بِالْإِعْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاعِدٍ وَزَهَدْتَ فِيمَنْ لَيْسَ فَيْكَ بِزَاهِدٍ ^(٢)
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ
هَلَّا جَعَلْتِ - فِدَتِكَ نَفْسِي - غَايَةً لِلْعُتْبِ ، أُبْلُغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ ^(٣)
لَا تُفْسِدُنْ - مَا قَدْ تَأَكَّدَ يَدُنَا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنِّ فَاسِدٍ
حَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَسِيلَةٍ - شَجَى الْعُدُوِّ هَلَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ^(٤)
إِنْ أَجْنِيهِ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظُلْمًا ، أَبْلُغَ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ ^(٥)

* *

عُودِي لِمَا أَصْفَيْتَنِيهِ مِنَ الْهُوَى بَدَءًا ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتَ - بِعَائِدٍ
وَضَعِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَّ إِلَيْهِ أَوَّلَ سَاجِدٍ ^(٦)

(١) وحسي أن تهنئي السلام غيا أي يوما بعد يوم ولو مع أنفاس الرياح التي تهب من ناحيتك ، وفي الأصل « وأن تهدي » وقد وضعنا بدلها « تهدي » التي هي كصورتها حتى لا تكون نائية في موضعها ، وقد وحد هذا البيت بعد تاليه ، ولكننا آثرنا تقديمه عليه بحكم المعطف على قوله :
« وحسي أن تظالمك الأمان . »

(٢) باعدت فتي غير ماعد وذلك بإعراضك عنه ، وزهدت في محب ليس فيك بزاهد .

(٣) يقول كان ينبغي أن تجملني بنى وبينك نهاية للعتب وغاية أبلغ فيها رضاك بمجهود الجاهد وشق النفس .

(٤) يقول : حاشاك أن تضيع ألف وسيلة توصلت بها إلى رضاك يراها عدوى كالشجا معترضا في

حلقه بذنب واحد .

(٥) إن أجن ذلك الذنب خطأ فقد ظلمتني بأن طأقتني عليه بأشد من عقوبة من أتى بالذنب عمدا .

(٦) أزيلني عن وجه الرضا ما يستقره من قناع السخط كيما أكون أول ساجد على نعمة رضاك هي .

أبو القاسم

« وأمره المعتضد أن يعارض قطعا من أشعار كان

يستحسن ألحانها فعارضها رجه الله بقطع وهي : «

يُقَصِّرُ قُرْبُكَ لَيْلِي ^(١) الطَّوِيلَا وَيَشْفِي وَصَالِكَ قَدْ بِي الْعَالِيَا
وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ فَقَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ الْبَلِيَا
كَمَا أَنَّنِي ^(٢) إِنْ أَطْلَتِ الْعِثَارُ وَلَمْ يُبْدِ عُذْرِي وَجْهًا جَمِيلَا
وَجَدْتُ « أبا الْقَاسِمِ الظَّافِرِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ » مَوْلى مُقِيلَا
إِذَا مَا نَدَاهُ هَمَى وَالْحَيَا شَاهُ ، وَعُدَّ الْجَوَادُ الْبَجِيلَا
وَأَفْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْيَافِهِ يَظَلُّ الصَّرِيرُ يَبَارِي الصَّلِيلَا

وقال

أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْوُلُوعِ وَمُثِيرُ كَامِنَةِ الدُّمُوعِ
يَتَمَنِّيَانِ لَوْ أَعْفَا - مَهْمَا طَلَعَتْ - مِنَ الطَّلُوعِ
وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ وَاحِدُهُ عَدْلُ الْجُمُوعِ
الْبَدْرُ فِي سَحْبِ الْبُرِّ وَدِ الْلَيْثُ فِي لِبْدِ الدَّرُوعِ
عَمَّتِ الْأُصُولُ لِأَصْلِهِ وَتَقَاصَرَتْ عَنْهُ الْفُرُوعُ

(١) في الأصل : « الليل »

(٢) في الأصل : « أنفي »

آلام الحب

مَتَى أَتُبُّكَ ^(١) مَا بِي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي
مَتَى يَنْتُوبُ لِسَانِي - فِي شَرْحِهِ - عَنْ كِتَابِي ؟
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا بِي
فَلَا يَطِيبُ ^(٢) مَنَامِي وَلَا يَسُوعُ شَرَابِي

* * *

يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَرِّى ^(٣) وَحُجَّةَ الْمُتَصَانِي :
الشَّمْسُ أَنْتِ، تَوَارَتْ - عَنْ نَاطِرِي - بِالْحِجَابِ

* * *

مَا الْبَدْرُ - شَفَّ سَنَاهُ عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -
إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا أَضَاءَ تَحْتَ النُّقَابِ

كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أُرَادُ ؟ يَا سَوْءَ مَا لَقِيَ الْفُؤَادُ !
أَضْنِي الْوِدَادَ مُدَلَّلًا ، لَمْ يَصْفُ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ
يَقْضِي عَلَيَّ دَلَالَهُ - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَادُ
كَيْفَ السُّلُو عَنْ الَّذِي مَثْوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

(١) وفي بعض الروايات : « متى أتيتك . »

(٢) وفي بعض الروايات : « لم يلبس منامي »

(٣) وفي الاصل : « يا فتنة المقرئ »

مَلَكَ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهِ ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أَتَقِيَادُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ
 أَلَا^(١) رَيْتَ لِمَنْ يَبِيْتُ وَحَشَوْ مُقْلَتِهِ الشَّهَادُ ؟
 إِنَّ أَجْنَ ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَاً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ
 كَانَ الرِّضَى - وَأَعِيذُهُ - أَنْ يُعْقِبَ الْكَوْنُ الْفَسَادُ

قسم

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَضَيَّ الْوَدَادَ لَهُ
 إِيَّافُ الدُّغُرُورِ الْوَعْدِ ، يَصْفَحُ لِي
 تَجْلُو الْمُنَى شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُحْتَجِبٌ
 يَا بَدْرَ تِمِّ بَدَا فِي أَفْقٍ مَمْلُوكَةٍ ،
 أَفْدَى بَدَائِعَ شَكْلِ مِنْكَ مُضْمِرَةً
 مُحَضًّا ، وَلَا مَ بِهِ الْوَاشِي فَلَمْ أَطِعْ
 عَنْهُ ، وَيُقْنِعُنِي التَّمْلِيلُ بِالْخُدَعِ
 عَنِّي - فَمَا شِئْتُ مِنْ مَرَايٍ وَمُسْتَمَعِ
 فَرَاقَ مُطْلِعًا مِنْ خَيْرِ مُطْلَعِ
 لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعَ الْبِدَعِ

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمْضَى الْيَمِينَ بِهِ
 مَا لَدَّ لِي قُرْبُ أَنْسٍ أَنْتِ نَارِحَةٌ
 مَنْ دَانَ فِي حُبِّهِ بِالصَّدْقِ وَالْوَرَعِ -
 عَنْهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشُ لَسْتُ فِيهِ مَعِي

خداع الأمانى

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى
 مَنِبْتُ نَفْسِي - مِنْ صِفَائِكَ - ضَلَّةً
 وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَّا
 وَلَقَدْ تَغَرُّ الْمَرءُ بَارِقَةُ الْمُنَى

في الغزل

« وله يتغزل ويعتاب من يستعطفه ويتنزل . »

يا مُسْتَخَفًّا بِعَاشِقِيهِ وَمُسْتَعْشًا لِنَاصِحِيهِ
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَ فِيهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْزَمَ التَّسْلَى وَيَغْلِبَ الشَّوْقُ مَا يَلِدِيهِ

إلى هاجر

أَوْسَلَبَ مِنْ وَصَالِكَ مَا كَسِبْتُ ؟ وَأَعْزَلُ - عَنْ رِضَاكِ - وَقَدْ وَلَيْتُ ؟
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكِ طَوْعًا - لَقِيتُ مِنْ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ !
أُسِرُّ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَبْقَى ، وَأُضْمَرُ فِيكَ غَيْظًا لَا يَبِيتُ
وَمَا رَدَّى عَلَى الْوَاشِينَ ، إِلَّا : « رَضِيتُ بِجُورِ مَا لِكُنِّي رَضِيتُ . »

دعاء محب

أَنْتَ أَضِيعُ عَهْدَكَ ؟ أَمْ كَيْفَ أَخْلِفْتُ وَعْدَكَ
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي رَضَى ، فَلَمْ تَتَّعَدْكَ

يَا لَيْتَ مَالِكَ عِنْدِي ! - مِنَ الْهَوَى - لِي عِنْدَكَ ^(١)

(٢) وفي بعض الروايات :

« يا ليت شعري ، وعندي ما ليس - في الحب - عندك
هل طال ليلك بعدي ؟ كطول ليلي بك ؟ . »

فَطَالَ لَيْلُكَ بَعْدِي كَطُولُ لَيْلِي بَعْدَكَ
سَلَبِي حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلُكَ رَدَّكَ
الَّذِي بَعْدِي ، لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ بَعْدَكَ

أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرًا قَابِي عَلَيْكَ يُقَاسِي الِهْمَّ وَالْفِكْرَا
إِنْ غِبْتَ لَمْ أَلْقِ إِنْسَانًا يُؤْنِسُنِي (١) وَإِنْ حَضَرْتُ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَ

ما الذي أنكروه ؟

قَالَ لِي : « أَعْتَلَّ مَنْ هَوَيْتَ » حَسُودٌ قُلْتُ : « أَنْتَ الْعَلِيلُ وَيَحَكَ لَاهُو »
مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ بَرَاتٍ (٢) ضَاعَقَتْ حُسْنَهُ وَزَادَتْ حُلَاهُ
جِسْمُهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - الْمَا ، فَلَا غَرَوْ أَنْ حُبَابُ عِلَاهُ

شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهَوَى - مِنْ بَعْدِ نِسْيَانٍ وَأَسْتَحْدَثَ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلُوَانٍ
مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَبْدُو بِهَا صَنَمٌ مِنَ اللَّجِينِ ، عَلَيْهِ تَاجُ عَقِيَانٍ
غَرِيرَةٌ - لَمْ تُفَارِقْهَا تَمَامُهَا - تَسْبِي الْعُقُولِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسَنَانٍ
لَا سَتَجِدَنَّ - فِي عَشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنْسِي سَوَافٍ أَيَّامِي وَأَزْمَانِي
حَتَّى تَكُونِ لِمَنْ أُحِبُّتُ خَاتِمَةً ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانٍ

(١) في الأصل « يونسى » بابدال الهمزة واوا وهو لبدال مقبوس كما يعلم من علم الصرف ، وهو مضارع أنسى (بالضعيف) أى أزال وحشق كآ نسى ، وجاء في كلامهم :
« إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ اسْتَأْنَسَ كُلُّ وَحْشِي ، وَاسْتَوْحَشَ كُلُّ لَيْسِي » .

(٢) البَرَات : واحدتها بَرَّة كسجدة وسجدة ، وهى خراج صفار تظهر على الوجه ، تنطف جلدته ، وأغلب ما يكون ذلك فى أوان الشباب ، ولذلك يعرف عند العامة فى بلادنا (بحب الشباب) ، وقد هله فى البيت التالى تعليلا حسنا ، حيث شبهه بالحجاب يطفو على وجه الماء اللثييه ببشرة وجه الحبيب فى الرقة والصفاء .

أَسْرَ الْهُوَى

يَا سَوْءَلَ نَفْسِي - إِنَّ أَحْكَمَ - وَاخْتَارِي إِنَّ أَخْيَرَ
كَمْ لَأَمْنِي فِيكَ الْحَسُو دُ ، وَفَنَدَ الْوَاشِي فَأَكْثَرَ
قَالُوا : « تَغَيَّرَ بِالسُّلُوِّ وَبِالْمَلَامَةِ قَدْ تَعَيَّرَ »
وَتَوَهَّمُوكَ جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجَنَّى لَيْسَ يُعْفَرُ
وَبَزَمَهُمْ أَنْ لَيْسَ مِنْ بِلِي فِي الرِّضَى بِالْذُّونِ يُعْذَرُ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهُوَى رِقٌّ ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَحْمَرُ ^(١)

مَعْذَرَةٌ

إِنْ تَكُنْ نَالَتْكَ بِالضَّرْبِ يَدِي - وَأَصَابَتْكَ بِمَا لَمْ أُرِدِ
فَلَقَدْ كُنْتُ - لَعَمْرِي - فَادِيَا لَكَ بِالْمَالِ وَبِخُصِّ الْوَلَدِ
فَتَقِي مِنِّي بِعَهْدٍ ثَابِتٍ وَصَمِيرٍ خَالِصٍ الْمُعْتَقِدِ
وَلَنْ سَاءَ لِي يَوْمَ فَأَعْلَمِي أَنْ سَيَتَلَوُهُ سُرُورٌ بِغَدِ

وصف الكأس

أَنَا ظَرْفٌ لِلْهُوَى كُلِّ ظَرِيفٍ أَنَا مُسْتَوْدَعٌ لِعِلْقِ شَرِيفٍ
أَنَا كَالصَّغْدَرِ فِي الْإِحَاطَةِ بِالرَّاحِ إِذَا الرِّاحُ كَالضَّمِيرِ اللَّطِيفِ
سَلْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ فَهِيَ فُتُونُ أَلْفَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْيِيفِ
أَيُّ حُسْنٍ يَنِي بِحُسْنِي مَحْمُو لَا بِكَفِّي وَصِيفَةٍ أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « الحسن أحمر » أي ذو مشقة وبلاء يريدون أن من تمتع بالحسن والجمال تحول و
سبيله المشقة وصبر على الأذى ، وإنما يقال ذلك لمن يستترقه الهوى ، ويلهبه الحسن على أمره فيبقى في سبيله
الموت الأحمر .

غاية المحبين

لَنْ كُنْتُ فِي السَّنِّ - تَرْبُ الْهِلَالِ ، لَقَدْ قُتِّتَ - فِي الْحُسْنِ - بِذَرِ الْكَمَالِ
أَمَّا وَالَّذِي نَكَّدَ الْحِظَّ فِي دُؤُو الْمَكَانِ يُبْعِدُ الْمَنَالِ
لَقَدْ بَلَّغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى غَايَةٍ مَا جَرَّتْ لِي بِبَالِ
فَقُلْ لِلْهَوَى : « يَجْزِ مِلَّ الْعِنَانِ » فَمِيدَانُ قَلْبِي رَحِيبُ الْمَجَالِ

صفح المذنب

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ الْمَغْرِبُ قَدْ ضَاقَ بِي - فِي حُبِّكَ - الْمَذْهَبُ
أَعْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَغْلِبُ الشَّوْقُ فَأَسْتَعِيبُ
أَلْزَمْتَنِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتُهُ ، صَدَقْتَ ، فَاصْفَحْ أَيُّهَا الْمُذْنِبُ

لا يأس

أَيُّهَا الْبَذْرُ الَّذِي يَمْلَأُ عَيْنِي مَنْ تَأْمَلُ
حَمَلِ الْقَلْبُ تَبَارِيحَ التَّجَنُّي فَتَحَ - مَنْ
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنِّي أَجْمَلُ
ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

عتب

أَوْخَفَى - إِلَّا جُرْمٌ - وَأَقْفَى إِلَّا ذَنْبٌ ، سَوَى أَنَّنِي مَحْضُ الْهَوَى صَادِقُ الْحُبِّ
أَغَادِيكَ بِالشُّكْوَى ، فَأَضْحِي عَلَى الْقَلَى وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى ، فَاطْفَرُ بِالْعُتْبِ
فَدَيْتُكَ ، مَا لِلْمَاءِ - عَذَابُ عَلَى الصَّدَى - وَإِنْ سُمْتَنِي حَسَفًا ، مَحَلَّتْ مِنْ قَلْبِي
وَلَوْلَاكَ ، مَا ضَاقَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتَ قِرَاهَا الدَّمْعَ سَكْبًا عَلَى سَكْبِ

تجنّي الحبيب

ثِقِي بِي - يَا مُعَذِّبِي - فَإِنِّي سَأَحْفَظُ فِيكَ مَا صَيَّعْتَ مِنِّي
وَأِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتِ قَوْمًا بِسُخْطِي، لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي
وَهَلْ قَلْبٌ كَقَلْبِكَ فِي ضُلُوعِي، فَاسْأَلُو عَنْكَ حِينَ سَلَوْتَ عَنِّي
تَمَنَّتْ - أَنْ تَنَالَ رِضَاكَ - نَفْسِي، فَكَانَ مَنِيَّةً ذَاكَ التَّعَنِّي
وَلَمْ أَجْنِ^(١) الذُّنُوبَ فَتَحْقِدِيهَا، وَلَكِنْ عَادَةٌ مِنْكَ التَّجَنِّي .

لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الضَّنَى وَسِرُّ الدُّمُوعِ ، وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَقَصْدُ الْوُلُوعِ
أَنْتِ وَالشَّمْسُ ضَرَّتَانِ ، وَالْكَيْنُ لَكَ - عِنْدَ الْغُرُوبِ - فَضْلُ الطُّلُوعِ
لَيْسَ بِالْمَوْئِسِي تَكْلُفُكَ الْعَتَبَ - دَلَالًا - مِنَ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحَسُودُ مَعْنَى - كَوَكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ

بقية المسوأك

أَهْدِي إِلَيَّ بَقِيَّةَ الْمِسْوَاكِ لَا تُظْهِرِي بُخْلًا بِعُودِ أَرَاكِ
فَلَمَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْفَسَ سَاعَةً عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبَلِ فَأَكِ
يَا كَوْكَبًا - بَارِئَ سَنَاهُ سَنَاءُهُ - تَزْهِي الْفُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ
قَرَّتْ وَفَارَتْ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمُنَى - عَيْنٌ ثَقُلَتْ لِحْظَهَا فَتَرَكَ

غرور المني

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَمَا ذَنْبِي أَنَا ؟ حَسْبُ الْمَنِيِّ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَا
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عَذْرُكَ - فِي الَّذِي أَبْدَيْتَهُ - أَخْفَى ، وَعَذْرِي أَيْنَنَا
وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ - بِالضَّمِيرِ - إِلَى الْهَوَى ، وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا
مَنْيْتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَاكِ - ضَلَّةً ، وَلَقَدْ تَعَرُّ الْمَرْءَ بَارِقَةُ الْمَنِيِّ

صليني

أَغَابَةٌ عَنِّي ، وَخَاضِرَةٌ بَعْدِي ، أَنَادِيكَ - لَمَّا عَمِلَ صَبْرِي - فَأَنْتَمَعِي
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَشَقَّ بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى حَرِيْقًا بِأَنْفَاسِي ، غَرِيْقًا بِأَذْمُعِي
أَلَا عَظْفُهُ تَحِيًّا بِهَا نَفْسُ عَاشِقٍ ؟ جَعَلْتُ الرَّدَى مِنْهُ بَمَرَأَى وَمَسْمَعٍ
صَلِينِي - بَعْضُ الْوَصْلِ - حَتَّى تَبَيَّنِي حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَا شِئْتُ فَأَصْنَعِي

شكوى ضائعة

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ ^(١) يَا مَنْ يُصِحُّ - عُمُقَلْتِيَه - وَيُسْقِمُ
أَصْبَحْتَ تُسَخِّطُنِي فَأَمْنَحَكَ الرِّضَى - مَحْضًا - وَتَظْلِمُنِي فَلَا أَتَظْلَمُ
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ، فَالْحُسْنُ بَيْنَهُمَا مُضِيٌّ مُظْلِمٌ
قَدْ كَانَ - فِي شَكْوَى الصَّبَا بَعْدَ رَاحَةٍ ، لَوْ أَنَّي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ ^(٢) بِالْكَبِدِ ثُمَّ أَمْتَزَجْتَ أَمْتَزَاجَ الرُّوحِ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول الفائل :

« شابهت أعدائي نصرت أحبهم إذ كان حطلي منك حطلي منهم . »

(٢) وفي الأصل : « الحب »

سَاءَ الْوُشَاةَ مَكَانِي مِنْكَ ، وَأَتَقَدَّتْ - فِي صَدْرِ كُلِّ عَدُوٍّ - جَمْرَةُ الْحَسَدِ
فَلَيْسَ نَحْطُ النَّاسَ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَضِيعُ لَكَ عَهْدُ آخِرِ الْأَبَدِ
لَوْ أُسْتَطَمْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ غَائِبَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلُ ، لَا أَشْتَهِي - إِلَّا بِوَصِيلٍ - قِصْرَكَ
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا بَثُّ أَرْضِي قَمَرَكَ
يَا لَيْلُ خَبِرْ : أَنِّي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبْرَكَ
بِاللَّهِ قُلْ لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرَكَ »

حذر العاشق

لَنْ فَاتَنِي مِنْكَ حَظُّ النَّظَرِ لَا كُتِفَيْنِ بِسَمَاعِ الْخَبَرِ
وَإِنْ عَرَصَتْ غَفْلَةً لِلرَّقِيبِ ، فَحَسْبِي تَسْلِيمَةٌ تُخْتَصَرُ
أَحَازِرُ أَنْ تَتَطَيَّ الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ
وَأَصْبِرُ مُسْتَيْقِنًا : أَنَّهُ سَيَحْظِي - بِنَيْلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

قناعة المحب

سَأَفْنَعُ مِنْكَ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَأَرْضِي بِتَسْلِيمِكَ الْمُخْتَصَرِ
وَلَا أُنْخَطِي النَّاسَ الْمُنَى ، وَلَا أُنْعَدِّي اخْتِلَاسَ النَّظَرِ
أَصُونُكَ - مِنْ لَحَظَاتِ الظُّنُونِ - وَأَعْلِيكَ عَنْ خَطَرَاتِ الْفِكْرِ
وَأَحْذَرُ - مِنْ لَحَظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهَوَى بِالْحَذَرِ

كيف السلو ؟

هَلْ لِدَاعِيكَ مُجِيبٌ ؟ أَمْ لِشَاكِكَ طَيْبٌ ؟
 يَا قَرِيبًا - حِينَ يَنْأَى - حَاضِرًا - حِينَ يَغِيبُ - !
 كَيْفَ يَسْلُوكَ مُحِبٌّ زَانَهُ مِنْكَ حَيِّبٌ ؟
 إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ
 قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ، هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبٌ
 أَنْ سِرَّ الْحُسْنِ مِمَّا أَضْمَرْتَ تِلْكَ الْجُيُوبُ

أنت المنى

أَرْخَصْتَنِي - مِنْ بَعْدِ مَا أَعْلَيْتَنِي - وَحَطَطْتَنِي ، وَلَطَأَمَّا أَعْلَيْتَنِي
 بَادَرْتَنِي بِالْعَزْلِ عَنْ خُطَطِ الرِّضَى ، وَلَقَدْ تَحَضَّتْ النُّصْحَ إِذْ وَلَّيْتَنِي
 هَلَاءَ - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكَ الْهَوَى - عَلَّتَنِي بِالْوَصْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي
 الصَّبْرُ شُهْدٌ - عِنْدَ مَا جَرَّعْتَنِي - وَالتَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أَصْلَبْتَنِي
 كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غُصَصَ الْأَذَى ، يَا لَيْتَنِي مَا فُوتْتُ فَيْكَ : بِلَيْتَنِي

بقاء على العهد

جَازَيْتَنِي - عَنْ تَمَادِي الْوَصْلِ - هَجْرَانَا وَعَنْ تَمَادِي الْأَمْسِ وَالشَّوْقِ سُلوَانَا
 بِاللَّهِ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَأً أَمْ جَبْتُهُ عَامِدًا ظُلْمًا وَعَدُوَانَا ؟
 عَهْدِي كَمَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا تُغَيِّرُهُ وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ أَلُوَانَا
 مَا صَحَّ وَدَى إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكَّ لِي ، وَلَا أَطْعَمْتُكَ إِلَّا زِدْتَ عَصِيَانَا
 يَا أَلَيْنَ النَّاسَ أَعْطَافًا ، وَأَفْتَنَهُمْ لَحْظًا ، وَأَعْطَرَ أَنْفَاسًا وَأَرْوَدَانَا
 حَسَنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسِنِ لَاتَسُوْ خُلُقًا ، مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُؤَلِّ إِحْسَانًا ؟

أبن وفاؤك؟

أُشِمْتُ بِبِي فِيكَ الْعِدَا وَبَلَغْتَ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى
لَوْ كَانَ يَمْلِكُ فِدَايَ مِنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ أَفْتَدَى
كُنْتُ الْحَيَاةَ لِعَاشِقٍ مُدْخِلْتَ أَيْقَنَ بِالرَّدَى
لَمْ يَسْلُ عَنْكَ، وَلَوْ سَلَا لَعَذَّرْتُهُ، فَبِكَ أَفْتَدَى
صَيِّغْتَ عَهْدَ حَبَّةٍ كَالْوَرْدِ سَامِرُهُ النَّدَى
أَيْنَ ادَّعَاؤُكَ لِلْوَفَا ، وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا ^(١)

صريع الحب

لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُتَّ» مَا كَانَ رَدْدِي «لَا»
أُبْدَيْتَ لِي مِنْ أَفَانِينَ الْقَلَى - عِبْرًا،
لَمْ تَبْقَ جَارِحَةً بِالْهَجْرِ مِنْ جَسَدِي
فَلْيَغْنِ كَفْكَ أُنَى بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ،
وَلْتَقْضِ مَا شِئْتُ - مِنْ هَجْرٍ وَمِنْ صِلَةٍ -
سَقِيَا لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي
إِذِ الزَّمَانُ بَلِيغٌ فِي مُسَاعَدَتِي
إِنْ كَانَ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِضَاكَ، فَلَا
يَا جَائِرَ الْحُكْمِ، أَفَدِيهِ بِنَ عَدَلَا
أَرْسَلْتَنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَثَلَا
إِلَّا خَلَعْتَ عَلَيْهَا - بِالضَّنَى - حُلَلَا
وَلَيْكَفِ طَرَفُكَ أُنَى بَعْضُ مَنْ قَتَلَا
لَا أَقْضِ مَا عِشْتُ سُلُوَانًا وَلَا مَلَكَا
وَجْهَ الشُّرُورِ بِهِ جَذَلَانٌ مُقْتَبِلَا
يُهْدِي إِلَيَّ - تَفَارِيقُ الْمُنَى - مُجَلَا
بُلَّغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا فيما بدا . » وأصل المثل كما في مجمع الأمثال البريداني : « ما بدا مما بدا . » أي ما منعه مما ظهر لك ألا ، قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام رضى الله عنهما يوم الجمل يريد ما الذى صرفك عما كنت عليه من البيعة ، وهذا متصل بقوله : « مرضيتى بالحجاز ، وأنكرتني بالمرق ، فما عدا مما بدا . »

وفاء المحب

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْبَذَرُ الَّذِي كَمَلَا
 أَنْ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ
 أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْجَفَاءَ لَنَا،
 وَلَمْ تَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِنْهُ أَعْيُنَنَا
 أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَارِلْتُ أُحْفُهُ
 هَذِي الْحَقِيقَةُ ، لَا قَوْلِي مُحَاذَعَةٌ :
 فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ - وَالْعُصْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا
 إِلَى مُرْتَهَنٍ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا
 فَمَا رَأَيْنَا فَلَاهُ حَادِثًا جَلَلَا
 بِالْمُشْتَرَى ، فَتَجَنَّبْنَا لَهُ زُحَلَا
 ظِلَّ الْهَوَايَ ، وَأَسْقِيَهُ الرِّضَا عَمَلَا
 لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُت» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

انت حسبي

لَمْ يَكُنْ هَجْرِي حَبِيبِي عَنْ قَلِي
 سَرَّهُ شُكْرِي - إِذْ حَافِي - وَلَمْ
 أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ
 لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُت» مَا قُلْتُ : «لَا»
 مَثَلٌ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا
 صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مَثَلَا
 يَافَتَيْتُ الْمِسْكَ يَاشْمُسُ الضُّحَا
 يَا قَضِيبَ الْبَاكِ يَا رِيمَ الْفَلَا
 إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرُ الرِّضَا
 مِنْكَ ، لَا بُلَغْتُ ذَاكَ الْأَمَلَا

إلى هاجر

أَتَهَجَّرُنِي وَتَغْصِبُنِي كِتَابِي ؟
 أَيْجَمَلُ أَنْ أُيْحَكَ مَحْضُ وَدِّي ؟
 فَدَيْنُكَ ، كَمْ تَمُضُ الطَّرْفُ دُونِي
 وَكَمْ لِي مِنْ فُؤَادِكَ - بَعْدَ قُرْبِ -
 وَمَا فِي الْحَقِّ غَضْبِي وَأَجْتَنَابِي
 وَأَنْتَ تَسْوِمُنِي سُوءَ الْعَذَابِ
 وَكَمْ أَدْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
 مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكَعَابِ

أَعِدْ - فِي عَبْدِكَ الْمَظْلُومِ - رَأْيًا تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)
وَإِنْ تَبَخَّلَ عَلَيْهِ قُرْبٌ دَهْرٍ وَهَبْتَ لَهُ رِضَاكَ بِلاَ حِسَابٍ

لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرْتُني سَالِفَ الْمَبِشِ الَّذِي طَابَا يَا لَيْتَ غَائِبَ ذَلِكَ الْعَهْدِ قَدْ آبَا
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ لِلْوَصْلِ - نَعْمَهَا مِنْ الشُّرُورِ نَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِي يُطَاوِلُنِي فَكُلَّمَا قِيلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، ثَابَا
كَمْ نَظَرَةٍ لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتَ بِهَا - يَوْمَ الزِّيَارَةِ - أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا
قَلْبٌ يُطِيلُ مَقَامَاتِي لِطَاعَتِكُمْ، فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَنْكُمْ سَلْوَةً يَابَى
مَاتُوا بَنِي نَصُوحٍ - مِنْ مَحَبَّتِكُمْ - لَا عَذَابَ اللَّهُ إِلَّا حَاشِقًا تَابَا

انت الحياة

أَمَّا رِضَاكَ فَعَلِقْتُ مَالَهُ ثَمَنُ لَوْ كَادَ سَاخَمَنِي فِي وَصْلِهِ الزَّمَنُ
تَبَكَّى فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا قَدْ لَجَّ فِي هَجْرِهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسَنُ
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنُ قَدْ حَالَ مَذْغَابٌ عَنِّي وَجْهَكَ الْحَسَنُ
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يُقْدَرْ فِرَاقُكَ لِي فَلْيُحْفَرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيُحْضَرِ الْكَفَنُ
وَاللَّهِ مَا سَاءَنِي أَنِّي جُفِيتُ صَنَى بَلْ سَاءَنِي أَنْ سِرِّي - بِالضَّنَى - عَلَنُ
لَوْ كَانَتْ أَمْرِي - فِي كَثْمِ الْهَوَى - يَدِي مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى الثَّغْبِ الشَّهْدِيَّ مِثِّي تَحِيَّةً زَكَّتْ، وَعَلَى وَادِي الْعَقِيقِ سَلَامٌ
وَلَا زَالَ تَوَرُّنِي الرِّصَافَةَ ضَاحِكُ بَارِزًا بِهَا يَبِينُكَ عَلَيْهِ غَمَامُ

(١) - قريب من هذا قول البحرى :

د أعيدى في نظرة مستتب توخى الأجر أو كره الأثاما »

مَعَاهِدُ لَهْوٍ لَمْ تَزَلْ فِي ظِلَالِهَا
زَمَانُ رِيَاضِ الْعَيْشِ خُضِرَ نَوَاصِرُهُ
فَإِنْ بَانَ مِنِّي عَهْدُهَا ، قَبْلَوَعَةٍ
تَدَكَّرْتُ أَيْلَى بِهَا ، فَتَبَادَرَتْ
وَمُحِبَّةَ قَوْمٍ كَالْمَصَائِحِ ، كُلُّهُمْ
إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمَدِيرُ عَلَيْهِمْ
وَأَحْوَرُ سَاجِي الطَّرَفِ حَشْوُ جُفُونِهِ
تَحَالَ قَضِيبَ الْبَانِ - فِي طَى بُرْدِهِ -
يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعَدَا - مِنْ وَدَادِهِ
فِنْ أَجَلِهِ أَذْغُولُ قَرْطَبَةِ الْمُنَى
مَحَلُّ غَنِينَا بِالتَّصَايِي خِلَالَهُ
فَمَا لِحَقَّتْ تِلْكَ اللَّيَالَى مَلَامَةً ،
تُدَارُ عَلَيْنَا - الْمَجُونِ - مُدَامُ
تَرَفٍ ، وَأَمْوَاهُ الشَّرُورِ جِهَامُ
يَسُبُّ لَهَا - بَيْنَ الصُّلُوحِ - ضِرَامُ
دُمُوعٍ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامُ
- إِذَا هَزَّ لِلْخَطْبِ الْمِلْمِ - حُسَامُ
أَطَافَ بِهِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كِرَامُ
سَقَامُ بَرَى الْأَجْسَامِ مِنْهُ سِقَامُ
إِذَا أَهْتَزَّ مِنْهُ مَعْطِفُ وَقَوَامُ
سُلَافًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَامُ
بِسْقِيَا ضَعِيفِ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامُ ^(١)
فَأَسْـمَدْنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ
وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْحَبِيبِ - ذِمَامُ

غدر الحبيب

أَجِدُ ، وَمَنْ أَهْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - حَابِثُ
حَبِيبُ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأَسَى -
جَفَانِي بِالْإِطَافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ
تَغَيَّرْتُ عَنْ عَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَائِقًا
وَمَا كُنْتُ - إِذْ مَلَكَتْكَ الْقَلْبَ - عَالِمًا
فَدَيْتُكَ ، إِنَّ الشَّوْقَ لِي - مُذْ هَجَرَ نَنِي -
وَأَوْفَى لَهُ بِالْعَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِثُ
مُقِيمٌ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - مَا كِثُ
- عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَادِثُ
بِعَهْدِكَ ، لَكِنْ غَيَّرْتُكَ الْحَوَادِثُ
بِأَنِّي - عَنْ حَقِّي - بِكَفَى بَاكِثُ
مُمِيتٌ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاعِثُ؟

سَتَبْلَى اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدٌ ، وَتَفْنَى وَهَوَ الْأَرْضِ وَارِثُ
وَلَوْ أَنَّنِي أَقْسَمْتُ : أَنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَقْتُولٌ ، لَمَا قِيلَ : « حَانَتْ . »

اصنع ماشئت

يَا نَاسِيَا لِي - عَلَى عِرْفَانِهِ - تَلْفِي ذِكْرَكَ مِنِّي بِالْأَنْفَاسِ مَوْصُولُ
وَقَاطِعَا صِلَتِي - مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ - تَأَلَّهَ : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَكَسْتُولُ
مَاشِئْتَ فَأَصْنَعُهُ ، كُلُّ مِنْكَ مُحْتَمَلٌ ، وَالذَّنْبُ مُعْتَفَرٌ ، وَالْعُذْرُ مَقْبُولُ
لَوْ كُنْتُ حَظِي ، لَمْ أَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ، أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّضَا ، لَمْ يَبْقَ مَأْمُولُ

أمنية

يَا قَاطِعَا حَبْلٍ وَدَى وَوَاصِلَا حَبْلٍ صَدَى
وَسَالِيَا ، لَيْسَ يَذَرِي بِطُولِ بَنِي وَوَجْدِي
لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ عِنْدِي
لَبِتَّ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبِتَّ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

نفسي فداؤك

لَوْ تَرَكْنَا بِأَنْ نَعُودَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا
غَيْرَ أَنْ الْهَوَى اسْتَطَارَ حَدِيثَنَا ، فَأَتَتْحَتْنَا الْعِيُونُ لَمَّا حُسِدْنَا
قَالُوا أَنْ النَّفُوسَ تُقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَخْنَا بِهَا - فِدَاهُ - وَجَدْنَا

دين الحب

يَا غَزَا لَا جُمِعَتْ فِيهِ - مِنَ الْحُسْنِ - فُنُونُ
أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُعْدِ - مِنَ النَّفْسِ - مَكِينُ
يَهْوَاكَ - اللَّهُمَّ - أَهْلُو ، وَبِحُبِّيكَ أَدِينُ

مُنِيَّةَ الصَّبِّ : أَغْنِي ، قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْمُنُونُ
وَأَحْفَظِ الْعَهْدَ ، فَإِنِّي لَسْتُ - وَاللَّهِ - أَخُونُ
وَأَرْحَمَنَ صَبًّا شَجِيًّا قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَسَقَامٌ ، وَأَنِينُ
شَقَّةَ الْحُبِّ ، فَأَمْنِي - سَقَمًا - لَا يَسْتَبِينُ
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ - نَهَبًا ، فَنَبَتْ عَنْهُ الْعُيُونُ

وفاء

يَبْنِي وَيَبْنِيكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضَعِ سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ - لَمْ يَذْعِ
يَا بَائِمًا حَظُّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بُذِلَتْ لِي الْحَيَاءُ - بِحَظِّي مِنْهُ - لَمْ أَبْعِ
يَكْفِيكَ أَنْكَ - إِنْ حَمَلَتْ قَلْبِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ - يَسْتَطِيعِ
تَهْ أَخْتَمِلُ ، وَاسْتَطِلَّ أَصْبِرُ ، وَعِزَّ أَهْنُ ، وَلَوْ أَقْبِلُ ، وَقُلْ أَتَمَعُ ، وَمُرَّ أَطْعِ

في سبيل الهوى

قَدْ نَأْنِي مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى يَا مَنْ تَنَاهَيْتُ - فِي الْإِطَافَةِ - فَجَفَا
عَلَّلْتَنِي بِالْمُنَى - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْظَمِنْ أَسْبَابَهَا طَرَفَا
غَيَّرْتَ عَنْ خُلُقِي - قَدْ لَانَ لِي زَمَانَا - لَيْنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصْفَا
لَا يَجْبُطُنْ عَمَلٌ - أَرْضَاكَ صَالِحُهُ - فَفِي سَبِيلِكَ أَنْفَقْتُ الْهُوَى سَرَفَا

صلة المحب

سِرِّي وَجَهْرِي أَنِّي هَائِمٌ ، قَامَ بِكَ الْعُذْرُ ، فَلَا لَائِمُ
لَا يَنْمُ الْوَاثِي الَّذِي غَرَّنِي هَائِمًا - فِي ظِلِّ الرِّضَى - نَائِمُ
عُدْتُ إِلَى الْوَصْلِ - كَمَا أَشْتَهِي - قَالَهُ جُرْ بَاكِ ، وَالرِّضَى بَالِمُ

حَسْبِي - أَنَا الْمَظْلُومُ - فَيَا جَرَى ، وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ : «أَنَا الظَّالِمُ»
يَا سَائِلًا عَمَّا بِنَفْسِي لَهُ - تَجَنَّبًا - وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ
مَعْنَى الْهُوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمُنَى ، دَغْنِي بِمَا يَزْعُمُ الزَّاعِمُ

مقيم على العهد

عَذِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ عَيْلُ - مَعَ الزَّمانِ - كَمَا يَمِيلُ
وَرَضَى أَنْ تَضِيعَ سُدَى^(١) حُقُوقِي ، وَبَاعِي فِي الْهُوَى بَاعَ طَوِيلُ
أَشْمَسًا أَشْرَقَتْ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ! أَمَّا لَكَ - فِي سِرِّي قَلْبِي - أَفُولُ ؟
أَمَا يُمْنِي عِتَابُكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ أَمَا يُرْجِي - إِلَى وَصِيلٍ - وَصُولُ ؟
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا ، وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ
كِتَابِي - عَنْ وَدَادِكَ - لَا يَزُولُ ، وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

آلام الحب

يَا مُعْطِي - مِنْ وِصَالٍ كُنْتُ وَارِدُهُ - هَلْ مِنْكَ لِي غُلَّةٌ إِنْ صَحْتُ : «وَأَعْطَيْتَنِي»
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا - ظُلُمًا - وَصَبَرْتُ مِنْ لُحْفِ الضَّرْبِ فُرْشِي
إِنِّي بَصُرْتُ الْهُوَى ، عَنْ مُقْلَةٍ كُحِلَتْ بِالسَّحَرِ مِنْكَ ، وَخَدَّ بِالْجَمَالِ وَشِي
لَمَّا بَدَأَ الصَّدْعُ مُسَوِّدًا بِأَنْحَرِهِ أَرَى التَّسْلِمَ - بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ
أَوْفَى إِلَى الْخَدِّ ، ثُمَّ أَنْصَاعُ مُنْعَطِفًا كَالْمَقَرَّبَانِ أَتْنِي مِنْ خَوْفِ مُحَرِّشِ
لَوْ شِئْتُ زُرْتُ وَسِلِكَ النَّجْمِ مُنْتَظِمٌ ، وَالْأَفَقُ يُخْتَالُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الْعَبَشِ -
صَبًّا - إِذَا التَّدَّتِ الْأَجْفَانُ طَعْمَ كَرَمِي جَفَا الْمَنَامِ ، وَصَاحَ اللَّيْلُ : «يَا قُرْشِي»
هَذَا وَإِنْ تَلَفْتُ نَفْسِي ، فَلَا عَجَبٌ ، قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ - خُشْيَ

إلى المعتمد أيها الظافر لا زلت مدى الدنيا مظفر

(١) الأحاجي والأعار والمعميات

افتن كثير من النظامين والكتاب في طرق الألفاظ والتعمية ليمتنعوا بها الدكاء والفطنة على مك الظلام والمعميات ، ويزجوا بها أوقات فراغهم الطويلة ، وهو عمل شاق مضن لا يقدم عليه إلا من فرغ باله من مشكلات الحياة وجدها . وأكثر أنواعه تافه لا خطر له ، وسنلم بطاقة كبيرة منها . وثمة أنواع من التعمية تقوم عند الملوك والأمراء إلى ذلك العهد مقام الشجرة ، وتطير الحمام الزاجل وما إلى ذلك من وسائل الخبارة السرية ، ومن يدري ؟ فربما كان مدار بين (ابن زيدون) و (المعتمد) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتسلية أو امتحان الدكاء لحبس ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك المرات على بعض ضروب الخبارة السرية التي كانت تسمى إليها حاجة الدولة ، ويستعملها أنصارها السياسيون للتعمية على غيرهم من خصومهم . وربما كان للتسلية وحدها وترجية أوقات الفراغ الطويلة أيضا . والطريقة التي تتبعها المعتمد وابن زيدون هي إحدى هذه الطرق العديدة ، ولم نعتز عليها - فيما قرأناه من كتب الألفاظ على كثرتها - ولم نشر إليها المعاجم العربية ، ولكننا استنتجناها من الأشعار التي دارت بينهما ، ومن قول « القرى » صاحب « نفع الطيب » الذي عزم ما ذهبنا إليه . وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد المتراسلين إلى الآخر بيتا شائعا في قصيدة أو بيتين ويرمز لكل حرف من حروفهما باسم طائر بعينه .

قال القرى :

« وكتب ابن زيدون إلى المعتمد :

« وافاك نظم لي في طيه معنى معنى اللفظ مستور

صراحه يصعب ما لم يحج بالسر - قرى وشعور . »

قال : « ثم ذكر أبيتاً ، فيها أسماء طيور ، عمى بها عن بيت طيره فيها ، والبيت المظير هو :

« أأت - إن تزد - ظافر - فليطع من ينافر . »

ففسكه « المعتمد » وجابره :

« جاءني الطير التي سرها نظم به قلبي مسرور . » اه .

وستمر بك هذه القصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول المعتمد :

« أرسل طيور الشعر نحوى فقد بث دوايدي شرك الفهم . »

وقول ابن زيدون للمعتمد :

« وافاك للطير سرب لديه سر مكم . »

ولا تكاد تخلو قصيدة - من هذا النوع - من ذكر الطيور كما يرى القارئ في القصائد التالية ، وسنثبت القصيدة التي نحن بصدها في المشرح ونقبها بجدول نورد فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ، ونهرن كل طائر بحرف هجائه لبتني للقارئ استخراج البيت المظير بنفسه ، وهماي الأبيات :

« فأسأل الشاهين ، والصقيرين ، والعنقاء تخبر

أَنْتَ أَسْنَى ابْنِ لِأَسْمَى وَالِدِ فِي أَمْدِهِ - فَافْتَحْ
إِنْ تُرِدْ شَرْحَ مُعْنَى هُوَ فِي نَظْمِي - مُضَمَّرْ

ثم رال الففر ، والف - سياد ، والنسر المعبر
ثم بعد الديك عد للذ سر ، والزال المنفر
ثم عد للنسر والرا ل ، فكل قد تكرر
والجبارى ، والسماى والشقراق المحبر
ثم سائل بعدما البا زى - إن حل فصرصر
معنه الطاوس والديك إذا بالصبح بشر
نسلوه القمري مهما ردد السجع ففرفر
ثم ناد الهيق والرا ل ، لعل السر يظهر
وتعيف مالمدى القب عجين من خاف سيظهر
ثم عد للنسر والرا ل، هما في الأمر - أكثر
وازجر العقق حق الزجر ر ، إن الطير يزجر
وليل الرأل سماني وشقراق تأخر . «

فليس فيها إلا أسماء طيور بعضها ترمز إلى حروف بعينها ، ونحن نبينها للقارئ لتكون نموذجاً - لمن
يعنيه حل أمثال هذه المعميات ، والبيت المسمى الذى يستخرج من هذه الأيات هو :
« صدق لنا فال السمه تقطر على السكاه . »

وأنت إذا تدبعت ما فيها من أسماء الطيور تجد أن كل طائر في مقابلة حرف من حروف هجاء البيت ونحن
نضع حروف البيت وأمام كل حرف طائره الذى يدل عليه فى الجدول الآتى ليدين للقارئ طريقة الحل ،
وهذا هو الجدول :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هيق
د	صقرين	ل	رأل	ل	رأل
ق	عنقاء	س	جبارى	ى	قبحين
ل	رأل	م	سماني	ا	نسر
ن	فياد	ه	شقراق	ل	رأل
ا	نسر	ت	بازى	ك	عققق
ف	ديك	ظ	طاوس	ل	رأل
ا	نسر	ف	ديك	م	سماني
ل	رأل	ر	قرى	ه	شقراق

فَأَسْأَلُ - الشَّاهِينَ ، وَالصَّقْرِينَ ، وَالْعَنْقَاءَ - تُخْبِرُ
مُم رَالَ الْقَفْرَ ، وَالْفَيَّادَ ، وَالنَّسْرَ الْمَعْمَرُ

ولل قارى معاني هذه الكلمات :

الشاهين : ضرب من الصقور أكرأ أثبت أى رمادى اللون .

العنقاء : طائر خرافى لا وجود له إلا فى شعر الشعراء .

رأل : ولد النعام ، وسير بك فى « ص ٢٨٤ »

الفياد : ذكر البوم .

نسر : النسر طائر عظيم من جوارح الطير سبى بذلك لأنه ينسر الشئ ويقتله ويقتنصه والكثير الريش منه يسمى النداف .

ديك - الديك : ذكر الدجاج .

رال : ولد النعام .

جبارى - الجبارى : طائر فى حجم الديك الهندى كثيرة الريش ، ومنها بيضاء وكدراء .

معانى : طائر معروف فوق المصفور ، ويجمع على سمانيات .

قالوا : وهو ينوص فى البحر بأحد جناحيه ويقم الآخر كالقلم للسفينة ، فتدفعه الريح إلى ساحل البحر .

وكثيراً ما يوجد بيلاذ المواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فإذا أقبل الربيع صاح .

شقراق : طائر صنبر بقدر الحمام أخضر مشع الحضرة ، حسن النظر ، فى جناحيه سواد وعده الجاحظ نوحاً من الغربان . يألف الروان ورءوس الجبال . وله مشى ومصيف ، قال الجاحظ وهو كثير الاستغاثة ، إذا صر به طائر ضربه بجناحيه وهاج كأنه هو المصروب .

بازى - البازى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط القصير الجناحيں الغليظ .

طاوس : طائر فى نحو قدر الاوزة ، حسن اللون ، والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة قائمة كالشربوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس للأنثى مثل ذلك وفى طبعه الزهو بنفسه والاحجاب بربشه ، وفى الخريف ياقى ريشه كما ياقى الشجر ورتة ، فإذا بدا خالوع أوراق الأشجار طلع ريشه .

قرى سير بك فى « ص ٣٠٤ »

هيق : ذكر النعام ، قال أبو العلاء على لسان جنى فى رسالة العفران :

« وأركب الهيق - فى الظلماء - معتسفاً أو لا ، فذب ريادة بات مروراً . »

قبيج : مشى قبيج وهو السكروان وسير بك فى « ص ٣٠٤ »

عمق - العمق طائر كالغراب ضمن طويل المنقار يحجل حجلانا ، وهو يدجن ولونه أبلق بياض وسواد .

شقراق - الشقراق : طائر مرقط بخضرة وحمرة وبياض ويكون بأرض الحرم .

ثُمَّ - بَعْدَ أَلَدِيكَ - عِذِّ لِلنَّسْرِ وَالرَّأْلِ الْمُنْفَرِّ

أصل اشتقاق اللفز

وأصل اشتقاق اللفز - كما يروى النويرى - من أَلَر اليربوع ولَر ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ بمنة ويسرة لبوارى بذلك وبمعنى على طالبه .

ولألفر أساء ، فنها : العاياة ، والمويس ، والرمن ، والحاجاة ، وآيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والسكائية ، والتعريض ، والاشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والممثل ، ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فالك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعايبك - أى يظهر إعياذك وهو التبع - سميته : «مماياة» وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتباس استجراحه - سميته : «عوضاً .»

وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب - سميته : «لغراً .» وفكك له : «الغارأ.» وإذا اعتبرته - من حيث إن واضعه لم يفصح عنه - قلت : «رمن» وقرب منه الاشارة .

وإذا اعتبرته - من حيث إن غبرك حاكك - أى استخرج مقدار غفك - سميته : «محاحاة .» وإذا اعتبرته - من حيث إنه استخرج كثرة معانيه - سميته : «آيات المعاني .»

وإذا اعتبرته - من حيث إن قائله قد يومهك شيئاً ويريد غيره - سميته : «لحا» وسميت فلك : «الملاحن» وإذا اعتبرته - من حيث إنه ستر عنك ورمن - فهو «المرموس» ، وارمن القبر .

وإذا اعتبرته - من حيث أن معناه يؤول إليك - سميته : «مؤولا .» وسميت فلك : «تأويلا.» وإذا اعتبرته - من حيث إن صاحبه لم يصرح بغيره - سميته «تبريضاً» ، و «كنائية .»

وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو وجوه - سميته : «الموجه» وسميت فلك : «التوجيه .» وإذا اعتبرته - من حيث إنه معطى عليك - سميته : «معنى .»

طرق التعمية

ومن ضروب التعمية - ما ذكره العنقشندى - وهو أن يصطاح الانسان على إبدال حرف معين بحرف آخر معين - حيث وقع في القلم المعروف بالأمى - وهو أن جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فجعلوا الكاف ممّا وبالعكس ، والألف واوا وبالعكس ، والدال راء وبالعكس ، والسين عياء وبالعكس ، والفاء ياء وبالعكس .

فيكتب «محمد» «كط-كر» ، و «على» «سهم» ، و «مسعود» «كسار» وقس على ذلك .

وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف تلو ما يبدل به ، وهو :

«كم أو حط صلالة درسم في بز خش عض ش تدفق .»

ومنهم من يعكس حروف السكعة، فيكتب «محمد» «دشم» ، و «على» «يلع» . ومنهم من يبدل الحرف الأول من السكعة بثانيه مطلقاً في سائر الكلام ، فيكتب : «محمد أخو على» : محمد خاعويل . إلى غير ذلك من التميزات .

ثُمَّ عُدَّ - لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ - لِكُلِّ قَدْ تَكَرَّرَ

ونهم من يسدل الحروف بأعدادها في الجمل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤ » وتعمل التعمية صفة عاسبة .

ومنهم من يكتب - عوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبليغ في التعمية ، فيكتب « محمد » « لى ، بو ، لى ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وهى عدد مالهيم الأولى ، والباء والواو بثمانية ، وهى عدد مالهيم واللام والياء أيضا بأربعين ، وهى عدد ما لهيم الثانية ، والألث والجيم بأربعة ، وهى عدد ما للدال ، فكانه قال : « م ح د . » وإن شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين ، على ترتيبها على حروف « أبجد » :
 يجعل الألف للشرطى ، والباء للبطين ، والجيم للثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الحوت للغبين من « صغ » .

وربما اصطلاح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التماهى التي لا يأخذها حصر .
 وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختارها فلما له مقظة على ترتيب حروف المعجم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكما جاءه في اللفظ ذلك الحرف كتبه بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفصل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو بياض ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر المتقدمين يحملون الحرف المشدد بحروفين ، والمتأخرون يحملونه حرفا واحدا .
 وقد ذكر الفلقشندى - في ذلك - فصلا طويلا في الجزء التاسع من صح الأعشى ، وليرجع إليه القارئ « من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

أمثلة من التعمية

ومن الأمثلة التي ذكرها النويرى قول الحكيم أمير الدولة - المعروف بابن التلميز - ملرا في الميزان :
 « ما واحد مختلف الأسماء يبدل في الأرض وفي السماء
 يحكم بالقسط بلا رياء أعمى يرى الرشاد كل رائي
 أخرس - لا من علة وداء - ينهى عن التصريح بالأيام
 يجيب - إن ناداه ذوامتراء - بالرفع والحفض عن النداء
 يفصح إن علق في الهواء . »

وهو بقوله : « مختلف الأسماء » يعنى : « ميزان » الشمس ، والاصطرلاب ، وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله : « يحكم في السماء . » وميزان الكلام : « النحو » وميزان الشعر : « العروض » وميزان المانى : « المنطق » وهذه الميزان والدرع والمكيال .

وقول آخر في الميزان :

« ما تقولون : فيما نزل من السماء ، وعلق في الهواء ، له عين عياء ، وكف شلاء ، ليس له - إذ عدل -

وَالْحَبَّارَى وَالسَّمَانَى وَالشَّقَرَّاقِ الْمُحَبَّبُ

ثوب ، ولا عليه — إن جار — عقاب . خلق من ثلاثة أجناس ، تضعصه الأفاعس . جسده طار من غير لباس ، أخرس اللسان ، في أذنه خرسان ، مكرر الذكر في القرآن ، ينطوى — إذا نام — كالصمل ، وفعله المستقبل . مثل ، وله في الآخرة أكبر محل . «

وقول ابن الرومي في فتيلة السراج :

« ماحية في رأسها درة تصيح في بحر قليل المدى ؟

إن غبت كان العمى حاضراً وإن بدت لاح طريق الهدى ! »

وقول السري الزماني في شبكة الصياد :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها عماية ، مالم تتمس في ماء

وإذا هي انفست أفادت ربها ما لا ينال بأعين البصراء . »

وقول آخر في النوم :

« وحامل يحمل وما له شخص يرى !

إذا حصلت فوفه وهو لذيق المتطى

سريت لا أدري أفي أرض سريت ؟ أمهما ؟ »

وقول المعري في ركابي السرج :

« خليلان نيطا في جوان مجلس — داراه قدام له ووراء

مق يصع الرجلين ماش عليهما يزل عنه — في وشك — حفا وحفاء . »

قوله : « خليلان » لتشابههما ، وانجس : « السرج » ، وجداراه : « قريوسه » و « رادفته » والخفا متصور : « وجع الرجل » وممدود ، من مشى الرجل حائياً بغير نعل . وقوله في الملح :

« وببصاء — من سر الملاح — ملكنها فلما قضت لارني حبوت بها صهي

فباتوا بها مستمتين ، ولم تزل نخثهم — بعد الطعام — على الشراب . »

قوله : سر أي : « حاصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحاجة . وقول آخر في الحرب .

« ماذا شوك لها جناح يختطف الناس عن قريب

وهي عقيم ، ترى بنينا من بين مرد ، وبين شيب

يأكل بعض البنين بعضاً طلوع شمس إلى غروب

تصنيفها الداء — غير شك — قد يحجم الداء بالطبيب

والدواء مكوسه مكان يصلح للطائر النجيب

يعرفها من يكون طبا بالشعر والنحو والريب . »

فهذا لئلا زعمى في الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناحها : « جابها » ، وعقيم لأنها لا تلد ،

وبنوها : « رجالها » وأكاهم : « قتاهم » ، وتصنيفها : « الجرب » وعكسه : « برج »

وقول آخر في الثدى :

« وما أخوان مشفهان جدا كما اشتبه الثراية والثراب

ثُمَّ سَأَلْنَا بِمَدَّهَا الْبَا زِيَّ إِنْ حَلَّ فَصَرَّصَرْ

يضضضهما على مر الليالى - وما اجتماعا ، ولا افترا - إهاب
لذاك وذا ، دموع هاملات ، ولكن كل دمهما شراب
يصونهما عن الأبصار - دين - ويضرب - دون نيلهما - حجاب .
وهما ثديا المرأة ، ويضمهما إهاب ، وهو : « الجلد »
وقول آخر فى الفخ :

« وما ميت كفتته ودفتته فقام إلى حى صحيح فأوثقه . »

وقول آخر فى الهدى :

« وساكن يسكن فى الغلاة ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجن ، ولا الحيات ، ولا الحيام الشمر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات
بلى ، له صوت من الأصوات يسمع فى الأحيان والأوقات . »

وقد ذكر النورى أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

مسائل العويص

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص .

ففى ذلك قولهم :

« امرأتان التقتا برجلين ، قالتا لهما : «مرحبا بابنينا وزوجينا ، وابنى زوجينا . »

وذلك أن كل واحد منها تزوج بأمر الآخر ، فهما ابناهما وزوجاهما وابننا زوجيهما
وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، ففرز كل واحد منهما ولدا ، فكل من الولدين عم
الآخر وابن أخيه .

وقولهم :

« رجلان ، كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة الآخر ، ففرز كل واحد منهما ولدا ، فكل من ولديهما خال
الآخر وابن أخته .

وقولهم :

« رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما وهو خالته ، وعم الأخرى وهو عمته . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأمر أمه ، فولدتا بذي ، فبنت أخته
خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها .

وهذا أصل الأبيات المنظومة فى ذلك :

« ولى خالة وأنا خالها ، ولى عمة وأنا عمها . »

مَعَهُ الطَّائِفُ وَالَّذِي إِذَا بِالصُّبْحِ بَشَرُ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأخت الآخر ، فزق كل منهما ولدا ، فكل من ولدهما ابن خال الآخر وابن عمته .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم أب الآخر ، فكل من أولادهما عم أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر . »

وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة ابن الآخر ، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خال أم الآخر . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة بنت الآخر فكل من أولادهما خال أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر حله » وذلك أن رجلاين تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة ابنها ، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخال ابنها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما عم الآخر وخله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »

وذلك : أن رجلا له أخ لأب ، وأخت لأم ، فزوج أخاه لأبيه ، بأخته لأمه ، فأولدها ولدا ، فهما كذلك . وقد طلب الهمداني من الخوارزمي - أثناء مناظرته المشهورة - أن يكتب كتابا خاليا من الحروف العواطل ، وآخر أوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها حم الخ « فسمى الخوارزمي ذلك شعبية . وصدق في تسميته كل الصدق .

وما أحدر هذا الوصف بأمثال هذه الألاعب الكلامية .

ألفاز الخري

ومن ألبار الخري الذي اقتبى أثر الخوارزمي في مقاماته قوله في المقامة الفرضية - وهي مقامته الخامسة عشرة :

« أيها العالم الفقيه الذي فا ق ذكاه ، فباله من شبيهه

أدنا في قضية ، حاد عنها كل قاض ، وحار كل فقيه :

رجل مات عن أخ مسلم حرّ تقي من أمه وأبيه

وله زوجة ، لها - أيها الجبر - أخ خاليس بلا تمويه

فخوت فرضها ، وحاز أخوها ما تقي بالارث دون أخيه

دأشفا بالحواب عما سألنا فهو نس ، لا خلف يوجد فيه . »

ثم حل هذا اللغز بقوله :

« قل لمن يابز المسائل : إني كاشف سرّها الذي تخفيه

إن ذا الميت الذي قدم الشرع أخا مهرسه عن ابن أبيه

تَلُوهُ الْقَمْرِيُّ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ فَقَرَّرَ

رجل زوج ابنة - عن رساه - بحماسة له ، ولا غرو فيه
ثم مات ابنه ، وقد علقت منه ، فجاءت بابت يسر ذويه
مهر ابن ابنة - ينير مرء - وأخو عرسه ، بلا تمويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى بارته من أخيه
فلذا - حين مات - أوجب لازو حة ، بمن القرائ تستوفيه
وحوى ابن ابنة - الذى هو فى الأصل أخوها - من أمها بانيه
وتغلى الأخ الشفيق ، من الار ث ، وقلنا : يكفك أن تبكيه
هاك مى الفتيا التى يحثيها كل قاض يقضى ، وكل ققيه .
المقامة الشتوية

وقوله فى المقامة الشتوية .

« عدى أطحيب أروها - بلا كذب - عن العيان - فكنونى : أبا العجب
رأيت يا قوم ، أقواما غداؤهم بول المعجوز ، وما أعنى ابنة العنب . »
« بول المعجوز » لبن البقرة ، والمعجوز أيضاً من أساء الخمر .
« ومستنيت من الأعراب قوتهم أن يشتوا خرقه تمى من السغب . »
« الحرقه » القطعة من الجراد .

« وفادين - متى ما ساء صنعهم ، أقصروافيه - قالوا : الدب للحطب . »
« القادر » الطاخ فى القدر والقدير المطوخ فيها .
« وكثابين وما خطت أناملهم حرفا ولا فرؤا ماخط فى الكتب . »

« السكاتبون » الحرازون يقال كتب السقاء والمزادة إذا حرزها وكتب البعلة أو الناقة إذا جمع شفرها
وخطهما . قال الشاعر :

« لا تأمن فراريا حلوت به على قلوصلك واكتبها بأسبار . »
« وتابعين عقابا فى مسيرهم على تكميمهم فى البيض واليب . »
« العقاب » الراية وكانت راية النبی صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب .

« وممتدين ذوى نسل بدت لهم نبيلة فانشوا منها إلى الحرب . »
« النبيلة » الجيفة ومه نبل البعير إذا مات وأروح يعنى تن .

« وعصية لم تر البيت العتيق وقد حجت جنبيا بلا شك على الركب . »
معنى « حجت جنبيا » أى غلبت بالحجة مجاديين جاثين على الركب وحجى جمع جاث .

« ونوة بسد ما أدجن من حلب صبحن كاظمة من غير ما تعب . »
« كاظمة » فى هذا الموضع من كظم النبط .

« ومدجلين سروا من أرض كاظمة فأصبحوا حين لاح الصبح فى حلب . »
« فى حلب » أى أصبحوا يحملون اللان .

« وبانفا لم يلامس قط غانية شاهده له لى من العقب . »
« الذيل » مهنا المدو . قال تعالى - وهم من كل حذب يسلون - « والعقب » مؤخر القدم .

ثُمَّ نَادِ الْهَيْقَ وَالرَّاءِ لَ، لَعَلَّ السَّرَّ يَظْهَرُ

- « وشائبا غير محف للشباب بدا في البدو وهو فنى السن لم يشب . »
- « الثالث » ههنا مازج اللين و « المشيب » اللين المزيج ويقال فيه مشيب ومشوب .
- « وصرحاً بلباث لم يفه فيه رأيته في شـجار بين السب . »
- « الشجار » الحومة مالم تكن مظالة ، فان ظلت فهو الهودج ، والسب ههنا الحل ، ومنه قوله تعالى — فليدود بسب إلى السماء —
- « وزارعا ذرة حتى إذا حصدت صارت غبراء يهاها أخوال الطرب . »
- « الغبراء » المسكر المتخذ من الذرة يسمى أيضا الكركمة ، وفي الحديث : إياهم والغبراء فانها خير العالم .
- « وراكباً وهو منلول على مرس — غل أيضاً وما ينفك من خب . »
- « المنلول » ههنا العطشان ، وغل أى عطش .
- « ودائد طلق يفتاد راحلة — متعجلاً وهو مأسور أحوكرب . »
- « المأسور » الذى يحد الأسر وهو احتباس البول .
- « وجالسا ماشياً تهوى مطيته به ، وما فى الذى أوردت من رب . »
- « الحالس » الآلى نخداً والماشى الذى كثرت ماشيته ، وعليه مرس بعضهم قوله تعالى — أن امشوا كاداء —
- « وحائكاً أحدم الكفيع ذا خرس — فان عجمكم مكم فى الخلق من عجم . »
- « الحائك » ههنا الذى إذا مشى حرك منكبيه ولحج بين ركبتيه .
- « ودأ شطاط — كصدر الرمح فامته — صادفته يمشى يشكو من الحدب . »
- « الحدب » ما ارتفع من الأرض .
- « وساعياً فى مرسات الأنام — يرى إمرأهم مأتماء كالظلم والكذب . »
- « إمرأهم » إتمامهم بالدين ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يترك فى الاسلام مفرح أى منقل من الدين أى يقضى عنه دينه . »
- « ومنمرما مباحاة الرجال له وماله فى حديث الخلق من أرب . »
- « الخلق » ههنا الكذب ، ومنه قوله تعالى — إن هذا إلا خلق الأولين . »
- « وذادام وقت دلهمد مته ولادام له فى مذهب العرب . »
- « الدمام » الثانى جمع ذمة ، وهى الذرة القليلة الماء وعى بالمذهب المسلك أى ماله آبار قليلة الماء فى البدو .
- « وذادام قوى ما استبان قط لينته ولينه مسفين غير متجب . »
- « اللين » نخيل الدقل ، ومنه قوله تعالى — ما قدعتم من لينة —
- « وساجداً فوق خلل غير مكثرت بما أنى ، ل يراه أعدل القرب . »
- « الفعل » الحصر المتخذ من خلال النحل .
- « وعاذراً مؤلماً من ظل بمنزله — مع النطق — بالمذمورى صحب . »
- « الماذر » الخافى « والمذمور » المحتون .
- « وبلدة ما بها ماء لمترف ، والماء يحرى عليها جرى منسرب . »

وَتَعَيَّفَ مَا لَدَى الْقَبْرِ حِينَ مِنْ خَافِ سَيَظْهَرُ

- « البلدة » الفرجة بين المحابين وتسمى أيضاً البلدة .
 « قرية - دون أغوص القطا - شحنت بديل عيشهم من حلة السلب . »
 « القرية » بيت النمل « والدبلم » النمل الكثير « وخلة السلب » لحاء الشجر .
 « وكوكباً يتوارى عد رؤيته الاسان حتى يرى في أمتع الحب . »
 « الكوكب » السكة البيضاء التي تحدث في العين « والاسان » ههنا إنسان الدين .
 « ورونة قومت مالا له حطر - ونفس صاحبها بالمال لم تقب . »
 « الرونة » مقدم الأنف .
 « وصحفة من صار حائض ، شريت - عد الملكاس - بغير اطمئنا الذهب . »
 « النصار » هاهنا شعرايبه ، ومنه قول بعض الناميين : « لا بأس أن يشر في قدح العذار » عني به هذا .
 « ومستحيشاً بحث - عاش ليدع ما أطله من أعاديته فلم يح . »
 « الحشعاش » الجناعة عليهم دروع وأسلعة .
 « وما لما مررت في كاه وفي فوه ثور ، ولكنه ثور بلا ذب »
 « الثور » القطعة من الانط (وهو نوع من الجبن)
 « وكم رأى ناطرى فيلا على حمل وقد تورك فوق الرذل وانقلب . »
 « الفيل » الرجل الغافل الرأي .
 « وكم لعيت - مرض اليد - مشتكباً وما شكنى قط في حد ولا لم . »
 « المشتكى » المتخذ شكوة وهي انحرية الصميرة .
 « وكنت أبحرت كرازا زاعية - لدو - ينذر من تبيين كاشف . »
 « الكرازا » كيش يحمل عليه الراعي أدواته .
 « وكم رأيت مقلتي عيين - ماؤهما يحرى من العرب والعينان وحل . »
 « العرب » مجرى الدمع « والعينان » المقلتان .
 « وصادعا بالفا من غير أن خلقت كفاف يوما برمح لا ولم يثب . »
 « الفنا » ارتفاع الأنف وتحديب وسطه « وصدع به » أى كنفه .
 « وكم نزلت بأرض - لانجيل بها - وبعد يوم رأيت البدر في القلب . »
 « البدر » جمع برة وهو الماء الحديث العهد بالمطر « وانقلب » جمع قلب .
 « وكم رأيت - بأقطار الغلا - طبقا يطير في الجور منعبا إلى صيب . »
 « الطبق » القطعة من الجراد .
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتهم محلدين ، ومن ينحو من العطب ؛ »
 « الخلد » الذي أبطأ شيبه .
 « وكم بدلى وحش - يشكى سفا - بمنطق ذلق أمضى من القصب . »
 « الوحش » الرجل الجائع .
 « وكم دعاني مستنج لحادثي وما أخل - ولا أحلت - بالأدب . »

ثُمَّ عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالرَّاءِ لِيُحْمَا فِي الْأَمْرِ أَكْثَرَ

« المستنجدى » الحالس على نخوة وهو المكان المرتفع .
 « وكم أغت فلو صى - تحت جنبذة - تطلّ ماشئت من عجم ومن عرب . »
 « الحبذة » القمة « والعرب » جمع عروب وهى التحببة إلى زوجها من قوله تعالى - عرباً أثرباً -
 « وكم نظرت إلى من سرّ ساعته ودعاه مستهلّ الفطر كالسحب . »
 « سرّ » أى قطع سرره ويسمى ما يبق بعد القطع السرة .
 « وكم رأيت قيصاً ضرّاً صاحبه حنى انقى واهى الأعضاء والمصب . »
 « القميص » الدابة الكثيرة القموص وهو الوثوب والفقر .
 « وكم إزار لو أن الدهر أثلفه لجنّ لبد حيث السير مصطرب . »
 « الإزار » المرأة ، ومنه قول الشاعر : * فدى لك من أختي ثمة إزارى *
 ثم يقول فى حتام قصيدته :
 « هذا وكم من أفانين ممحة عندى ، ومن ملح تلهى ومن نخب
 فان ططمم لاجن الفول بان لكم صدق ودلكم طلمى على رطبى
 إن شدهتم ، فارالمار - فيه - على من لا يعيز بين النع والغرب . »
 المقامة النجرانية

وقوله - فى المقامة النجرانية - فى مروحة الحيش ، وهى ثياب خشنة من الكتان تستعمل فى العراق تكون شبه شراع السفينة ، تعلق فى سقف البيت ، ويعمل لها حل منها - تجر به - وتل بالماء ، وترش بماء الورد ، إذا أراد الرجل النوم ، حصد جلها ، فيهب منها نسيم بارد طيب يذهب أذى الحر ، ويستطاب معها النوم ، وقد أُلز فيها الحرير بقوله :

« وجاريه فى سيرها - مشمعله - ولكن - على إثر المسير - قفوها
 لها سائق - من حسمها - يستجها ، على أنه - فى الاحتاث - رسيها
 ترى - فى أوان القيط - تنطف بالندى ، وبدو - إذا زل المصيف - قفوها . »
 وقوله ملانزا فى جابول النمل ، وهو الحل الذى يصعد به النمل ، ويتخذ من الاتجاه أى ليف النمل .
 « ومنسب إلى أم تنشأ أصله منها
 يعاقها ، وقد كانت منه - برهة - عنها
 به يتوصل الجاني ، ولا يلحى ، ولا ينهى . »

وقوله - ملانزا فى القلم - :

« وأمام ، به عرف الامام كما باهت بصحبته الكرام
 له - إذ يرتوى - طيشان صاد ويسكن حين يعروه الأوام
 ويدرى - حين يستقى - دموا يرقن ، كما يروق الانسام . »
 وقوله ملانزا فى المروء الذى يكتحل به :

« وما ناكح أختين جهرأ وخفية ، وليس عليه - فى النكاح - سبيل ؟
 متى يشهدى يش - فى الحال - هذه ، وإن مال بل لم تجده يميل
 ربهما - عد الشيب - تمها وبرأ ، وهذا - فى البعل - قليل . »

وَأَزْجُرِ الْعَقَقَ - حَقَّ الزَّجْرِ - إِنَّ الطَّيْرَ تُزْجَرُ

وقوله - ملغزاً في الدولاب : -

«وجاف، وهو موصول وصوصل ليس بالجاف
غريق بارز، فاعجب له، من راسب طافي
يسبح دموع مهنوم وبضم مضم متلاف
وتخشي منه حذته ولكن قلبه صافي.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه المقامة .

المقامة الملطية

وانظر قوله - في مقامته الملطية :

«يامن - إذا - أشكل المعنى جلنسه أفكاره الدالية»

إن قال يوماً لك المحاجي : «خذ تلك» مامثله حقيقة .»

وهو يعنى بذلك كلمة : «هاتيك» وها للتذيه ويعنى خذ، وتيك أى تلك .

وقوله : ماذا مثال قولهم : «حمار وحش زينا .»

يعنى كلمة «فرازين» والفرا حمار الوحش .

وقوله : ما مثل قولك للدي حاحاك : «أنفق تقمع»

يعنى كلمة «منتقم» من : الأمر من مان يمون ، تقم مصارع وقم ، من الوق. وهو الاذلال .

وقوله : ما مثل قولك للذي أضغى يحامى : «فقط ملكى»

ومثله : «صنبور» صن الأمر من الصون ، والبور : الهلكى .

وقوله : ماذا يماثل قولى : «استنش ربح مدامه»

ومثله : «رحراح» رح استنشق الرائحة ، والراح : الجمر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أى شئ، مثله ؟

ومثله : «سراحين» سرى سار ليلاً، وحين : مدة .

وقوله : لك البيان ، فين ، ما مثل : «أحبب فروقه»

ومثله : «مقلع» من : الأمر من وسق : أى أحب ، واللاع : الجبان .

وقوله : ما مثل قولك «أعط أب - ريقا يلوح بنير عروة»

ومثله : «أسكوب» أس : الأمر من الأوس ، وهو الاعطاء ، والكو : الابريق نغير عروءة .

وقوله : ما مثل قولك للمعا جى ذى الذكاء : «الثور ملكى»

ومثله «اللالى» واللاى : ثور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صغير جفلة» بينه تبيها يتم به .

ومثله «مكاشفة» والمكاش : الصغير .

وقوله «ماذا يماثل قولى : جوع أمد بزاد ؟»

يعنى «طوامير» ، طوى : جوع ومير : من ما رة الطعام ، وهو مثل قوله : أمد بزاد .

وقوله : ما مثل قول المحاجي : «ظهر أصابته عين ؟»

يعنى : «مطاهين» جمع مطعون ، ومطأ مثل ظهر ، وعين - من مانه أى أصابه بالعين .

وَلَيْلِ الرَّالِ سُمَانِي وَشِقِرَاقِ تَأَخَّرَ

- وقوله : ما مثل تلك للذي حاحيت : صاف جأزه ؟
ومثله « الفاسلة » وهي الخائفة بين الشيتين سد الواسلة وكله إلى مثل صاف وتكتب بالياء إذا انفردت ، وصلة : جأزة أو عطية .
- وقوله : ألا اكشف لي ما مثل : « تبارك ألف دينار »
ومثله : « هادنة » تأيبت الهادي ، والحق أيضا ، ومعنى ما : حذ وتناول ، ودبه هي ما يعطى لأهل القتل ، وهي من الذهب ألأ دينار .
- وقوله : ما مثل : « أمهل حاية » بين هريب - زجمل .
ومثله : « الماشقة » وهي اسم لمن يشق الرجل من الأدياف ، غاشية السرج ما يعطى به ومعنى التي أعدل وشية : حلية .
- وقوله : ما مثل تولت - للذي أضحي بجاحيك : « اكفف اكفف . »
ومثله : « مهنه » وهو الصجرا ، ومعنى ما : اكفف وتكررها للأكيد .
- وقوله : « رات دايان » - ما مثل تولى : « الشقيق أفلت »
ومثله : « أخطار » - جمع خطر ، وهو ما يؤدي إلى الهلاك ، وإذا فصلته كان : « أخ » من معانيه الشقيق ، ودار . أمه .
- وقوله : ما مثل هولاك للمحا - هي دى الحصى : « ما اختار فسه »
ومثله « أبارحه » - جمع أبريق ، وإذا مضت كات أى ما اختار ، ورقة : اسم من أسماء الفضة .
- وقوله : أودح لنا ما مثل قو - لك المحاسي : « دس جاعه »
ومثله : « دابة » - هي ما يطفو على الماء ، وطأ : أمر من ودلى ، والفتة : الجماعة .
- وقوله : أدت اليب ، نقل لنا - ما مثل قولى : « حل اسكت . »
ومثله : « حصة » أى خلصه ، ومعناها خلل اسكت .
- وقوله : منامه الية في حوار طريل بين قهيب .
- ما يقول فيس توصاً ثم لمس ظهر نعله ؟
- انقص رسووه بعمله .
- هي من لمس زوجته .
- فان توصاً ثم أنكأه البرد ؟
- خدد الود - من سد ؟
- يسي بالبرد : اليوم
- أسمح للتوصى أفضيه ؟
- قد نذب إليه ، ولم يوحب عليه .
- يسي : الأذنين .
- أيجوز الوصوء مما يقده اثمان
- وهل أنظف منه للعريان

لَكَ ذِهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّعْرِ مِنْ خَبَاءٍ - سَيَشْعُرُ

يعنى : جمع ثعب ، وهو مسيل الوادى .

- أَيْسْبَاحُ ماء الضَّرِيرِ ؟

- نعم ، ويجنب ماء البصير .

يعنى بالضَّرِيرِ : حرف الوادى ، وبالبصير : السَّكَلِ

- أَيْحَلُ النُّطُوفِ فِي الرَّبِيعِ ؟

- يَكْرَهُ ذَلِكَ لِلَّحْدَثِ الشَّدِيعِ

يعنى دَلْتُطُوفُ : النُّطُوفُ ، وبالرَّبِيعِ : النهر الصَّغِيرِ

- أَيْحَبُ الْمَسَلِ عَلَى مَنْ أُمِى ؟

- لا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ .

يعنى : مَنْ نَزَلَ « مِى »

- فَعَلَّ يَحِبُّ عَلَى الْحَبِّ غَسْلَ فَرْوَتِهِ ؟

- أَحَلَّ ، وَغَسَلَ أَرْتَهُ .

يعنى بِالْمَرْوَةِ - حِلْمَةُ الرَّأْسِ ، وَدَلَابِرَةُ عِظَمِ الْمَرْدَقِ .

وهكذا إِلَى أَنْ اسْتَوْفَى مِائَةَ مَسْأَلَةٍ مِنْ هَذَا النُّوعِ .

المقامة النحوية

وقوله فى المقامة الرابعة والمُشْرِينِ :

ها كَافَةٌ هِىَ - إِنْ شِئْتُمْ - حَرْفُ شُوبٍ ، أَوْ اسْمٌ لِمَا بِهِ حَرْفُ حُلُوبٍ ، وَأَى اسْمٍ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُرْدٍ حَازِمٍ وَجَمْعٍ مُلَازِمٍ ، وَأَيَّةُ هَاءٍ - إِذَا تَلَقَّتْ أَمَاطَاتِ اشْتِلٍ ، وَأُطْغِطَتْ الْمُعْقَلُ ، وَأَبْنُ تَدَحُّلِ السَّيِّدِ فَعَرَلِ الْعَامِلِ مِنْ شَعِيرٍ أَنْ تَحْمَلَ ، وَمَا مَصُوبٌ أَبْدَأَ عَلَى الظَّارِفِ ، لَا يَغْفِصُهُ سِوَى حَرْفٍ ، وَأَى مُصَافٍ أَخْلَ مِنْ عَرَى الْإِضَافَةِ يَعْرِوهُ ، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُ بَيْنَ مَسَاءٍ وَغَدَاةٍ ، وَمَا الْعَامِلُ الَّذِى يَتَصَلَّ آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ ، وَيَعْمَلُ مَعْكُوسَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ ، وَأَى حَامِلٍ نَائِثُهُ أَحْرَبُ مِنْهُ وَكَرَأً ، وَأَنْظُمُ مَكْرَأً ، وَأَكْثَرُ لَهْ - تَعَالَى - ذِكْرُ ؟ وَفَى أَى مُوَطَّنٍ تَلَسَّ الدَّكْرَانِ ، بِرَامِعِ السَّوَانِ ؟ وَتَهَرَّرَ رِبَاتُ الْحُجَالِ ، نَعَائِمُ الرَّجُلِ ؟ وَأَيْنَ يَحْتَ حِفْظُ الْمَرَاتِبِ ، عَلَى الْمَضْرُوبِ وَالضَّارِبِ ؟ وَمَا اسْمٌ لَا يَعْرِفُ إِلَّا نَاسْتِضَافَةَ كَلِمَتَيْنِ ، أَوْ اِلْتِقَاءَ مَنْ عَلَى حَرْبَيْنِ ، وَفَى وَضْعِهِ اتِّزَامٌ ، وَفَى الثَّانِى إِيْزَامٌ ؟ وَمَا وَصَفٌ - إِذَا أُرْدَتْ بِالْوَنِّ - تَقْصُّ صَاحِبَهُ فِي الْعَيُونِ ، وَقَوْمَ بِالْأَدُونِ ، وَخَرَجَ مِنَ الزُّبُونِ وَتَعَرَّضَ لِلْهَوْنِ .

وقد دسره بقوله :

« أَمَا السَّكْمَةُ الَّتِى هِىَ حَرْفُ شُوبٍ ، أَوْ اسْمٌ لِمَا بِهِ حَرْفُ حُلُوبٍ » هِىَ نَعَمْ . لِأَنَّ .

(وَأَمَا السَّكْمَةُ الَّتِى هِىَ حَرْفُ شُوبٍ أَوْ اسْمٌ لِمَا بِهِ حَرْفُ حُلُوبٍ) فَهِيَ نَعَمْ إِنْ أُرْدَتْ بِهَا تَصْدِيقُ الْأَخْبَارِ أَوْ الْعِدَّةِ عِنْدَ السُّؤَالِ فَهِيَ حَرْفٌ وَإِنْ نَسِيتُ بِهَا الْإِبْلَ هِىَ اسْمٌ وَلَتَعْمَ تَذَكُّرُ وَتَوُتْ ، وَتَتَلَقَّى عَلَى الْإِبْلِ وَعَلَى كُلِّ مَاشِيَةٍ فِيهَا إِبْلٌ ، وَفَى الْإِبْلِ الْحَرْفُ وَهِيَ النَّاتَةُ الْبَاصِرَةُ سَمِيتُ حَرْفًا تَشْبِيهَا لَهَا بِحَرْفِ السَّيْفِ ، وَقِيلَ أَنَّهَا السَّكْمَةُ تَشْبِيهَا لَهَا بِحَرْفِ الْحَمْلِ (وَأَمَا الْاسْمُ الْمَتَرَدِّدُ بَيْنَ مُرْدٍ حَازِمٍ وَجَمْعٍ مُلَازِمٍ) فَهُوَ سِرَاوِيلٌ . قَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ وَاحِدٌ وَجَمْعُهُ سِرَاوِيلَاتٌ ، قِيلَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ مُرْدٌ وَكُنِ عَنْ ضَمِّهِ الْخَصَرُ بِأَنَّهُ حَازِمٌ ، وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ هُوَ جَمْعٌ وَاحِدُهُ سِرَاوِيلٌ مِثْلُ شَلَالٍ وَشِمَالِيلٍ ، وَسِرْبَالٍ وَسِرَابِيلٍ ، فَهُوَ عَلَى

فَتَأْمَلْ مَا أَنْبَرَى فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرْ

هذا القول جمع ، ومضى قوله ملازم أى لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف وبسدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرده دون غيره من الجوع بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد ، وقد كنى في هذه الأحجية عمالا ينصرف باللازم كما كنى في التي قبلها عما ينصرف باللازم (وأما الهاء التي إذا التعتت أمامت الثقل وأطلقت المعتتل) فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك صياغة وصياقة فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية لطف بهذا السبب وصرف لهذه العلة ، وقد كنى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتتل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف باللازم (وأما السبب التي تمزل العامل من غير أن تجامل) فهي التي تدخل على العمل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدات الصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للعمل إلى أن تصبح المحففة من التفعيلة ، وذلك كقوله تعالى — علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفصه سوى حرف) فهو عند إذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن (وأما المضاف الذي أدخل من عرى الاضادة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدرة) فهو لدن ولدن من الأسماء الملاممة للاضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها إلا غدرة ، فإن العرب صبتا بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام ، ثم نوتها أيضا ليتبين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن لدن عمى عند والصحيح أن بينهما فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على مامو في ملكك ومكنتك مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك (وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله) فهو يا ومعكوسها أى وكلتاها من حروف النداء وعملها ما في الاسم للمادى سيان وإن كانت يا أجول في الكلام وأكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى الفرب فقط كالمهزة (وأما العامل الذي نأثبه أرحب منه وكرا ، وأعظم مكرأ ، وأكثر لله تعالى ذكرا) فهو باء القسم وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك : أقسم بالله ، ولذخولها أيضا على الضمر كقولك بك لأفعلن ، وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنها من حروف الشف ، ثم لتقارب معانيهما لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الالتصاق ، وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان ، ثم صارت الواو المسدلة من الباء أدور في الكلام وأعلى بالأقسام ، ولهذا ألز بأها أكثر لله تعالى ذكرا . ثم إن الواو أكثر موطا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والوار تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بضمادرب وتنظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات العطف ، ولهذا وصفها بربح الوكر وعظم المكر (وأما الموطن الذي يليس فيه الذكر أن برافع النسوان وتبرز فيه وبات الحجال نعمان الرجال) فهو مراتب العدد المضاف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بخذنها كقوله تعالى — سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام — والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة ، وعالم وعالمة ، وقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قاله وبرز في بزة صاحبه (وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على التصروب والضارب) فهو حيث يشقه الفاعل بالمفعول ليمرر ظهور علامة الاعراب فيها أو في إحداها ، وذلك إذا كنا منصوبين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الاشارة نحو ذاك ، وهذا فيجب حينئذ لازالة اللبس لإقرار

وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي «نَمِّ» كَمَنْ خَطَّ فَسَطْرًا

كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره (وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلين أو بإلتصاف منه على حرفين) فهو مهمما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى أكف ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما زيدت عليها ما أخرى كما ترداد ما على أن ، فصار لفظهما ما ما ، فنقل عليهم توالي كلين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهمما ، ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومق لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلين بعدها كقولك مهما تفعل أفعلا وتكون حينئذ ملتزما للقول ، وإن اقتضت منها على حرفين ومهما التي بمعنى أكف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته أن يكف (وأما الوصف الذي أورد بالتون نفس صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للون) فهو ضيف إذا لحقته النون استحالة إلى ضمير وهو الذي يدع الصيف وينزل في النقد منزلة الزيف .

ومن ألا عيب الخيري قوله في مقامة أخرى - مما يقرأ طردا وعكسا في مقامته الغربية :
« لم أحاول ، كبر رجاء أجز ربك ، من يرب إذا بر ينم ، سكت كل من نم لك تكس » وقوله :

« أس أرمل - إذا عرا وارع إذا المرء أسا
أسند أبا نباهة أبنت أخاء دنسا
أسل حناب عاشم مشاغبات جلسا
أسر إذا هب مرا وارم به ، إذا رسا
اسكن تقو ، فمضى يسعف وقت نكسا . »
المقامة القهقرية

وقوله في مقامته القهقرية :

« أترفون رسالة أرضها سهاؤها ، وصحبها مساؤها ، نسجت على منوالين ، وتحلت في لونين ، ووصلت إلى جهتين ، وبدت ذات وجهين .

إن بزغت من مشرقها ، فهايك بروقها ، وإن طلعت من مغربها ، فيا لمعها »
وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« الإنسان صنعة الأحسان ، ورب الجبل محل الندب ، وشيبة الحر ذخيرة الند ، وكسب الشكر استنثار السعادة ، وعنوان الكرم تبشير البشر ، واستعمال الإدارة يوجب المصافاة ، وعقد الحبة يقضي النصيح وصديق الحديث حلية اللسان ، وفصاحة النطق سحر الأبواب ، وشرك الهوى آفة النفوس ، وملل الحلائق شين الحلائق ، وسوء الطبع يابن الورع ، والتزام الحزامة زمام السلامة ، وتطلب المثالب شر المايب ، وتنبع العثرات يدحض المودات ، وخلوص النية خلاصة العطية ، وتهمة النوال ثمن السؤال ، وتكلف السكف يسهل الخلف ، وتيقن المعونة ييسر المؤونة ، وفضل الصدر سعة الصدر ، وزينة الرعاية ممت السعاة ، وجزاء المدائح ثمن النماح ، ومهر الوسائل تشفيق المسائل ، ومجلة النوايا استغراق العاية ، وتجاوز الحد ، يكل الحد ، وتعدى الأدب ، يحبط القرب ، وتناسي الحقوق ، ينفى العقوق ، وتحمأش الرب ، يرفع الرتب ، وارتفاع الأخطار ، لارتفاع الأخطار ، وتنوء الأقدار بوزانة الأقدار ، وشرف الأعمال ، في تقصير الآمال ، وإطالة الفكرة ، تنفيح الحكمة ، ورأس الرياسة ، تهذيب السياسة ، ومع اللجاجة ، تلتفي الحاجة ، وبعد الأوجال تنفاضل الرجال ، ويتفاضل المهم تنفاوت القيم ، وبترديد السفير ، بين التديير ، ويخلل الأحوال تبين الأحوال ، وبموجب الصبر ثمرة النصر ، واستحقاقه الاحاد بمحسب الاجتهاد ، ووجوب الملاحظة ، كفاء الملاحظة ،

وَيَقْنَنَّ أَنْ مَا يَنْفَكُ أَمْرٌ سَوْفَ يَقْدَرُ

وصفاء الموالى ، بتمهد الموالى ، وتحلى المروءات بحفظ الأمانات ، واختبار الاخوان بتخفيف الأحران ، ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتحان العفلاء بمقاربة الجبهلاء ، وتبصر العوالب بزمن المعالعب ، وانتقاء الشئعة بنشر السمعة ، وقبح الجفاء بباقي الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار . « وقوله من خطبة لا تخط بها ولا إغرام - في مقامته السردقندية : -

« الحمد لله المددوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم الآواء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السباح والكرم ، ومملك عاد وإرم ، أدرك كل سر علمه ، ووسع كل مصر حلمه ، وعم كل عالم طوله ، وهذكل مارد حوله ، أحمدك حمد موحد مسلم ، وأدعوه دعاء مؤمل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل الصمد ، لا ولد له ولا والد ، ولا رد معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للسلام بهذا الخ » وفي مقامته المرافقة - رسالة ، « حروف إحدى كتابتيها بعدها القط وحروف الأخرى - كما يقول - لم يجمعن قط » وهي :

« الكرم - ثبت الله حبش سمودك - يزين ، والثوم - غش الله جفن حسودك - يشين . والأروع يثيب ، والمعمور يحجب ، والخلال يضيف ، والمائل يخيف ، والسبح يدي ، والملك يقدي ، والعطاء ينحي ، والمغال يشجي ، والدعاء يقي ، والمخ يقي ، والحر يجرى ، والاطايط يجرى ، واطراح ذى الحرمة غنى ، ومجرمة بنى الآمال نفى ، وماضى إلا صدى ، ولا زين إلا ضايق ، ولا خرن إلا شقي ، ولا قبض راحة نقي ، وما تقي وعدك بنى ، وأراؤك تنسى ، وهلاكك يفي ، وحلمك ينفى ، وآلاؤك تنى ، وأعداؤك تنى ، وحسامك يفي الخ الخ . »

وله رسالة سينية كتبها - على لسان بعض الأشراء - إلى بعض أصدقائه كتاباً : باسم الجميع القدوس أستفتج ، وباسماده أستجج ، سيرة سيدنا الأسفهملار ، السيد الميس ، سيد الرؤساء ، سيف الساديين ، حرست نفسه ، واستنارت شمس ، وانطق أسه ، وبسوق غرسه . إلى أن يقول :

« وسيف السلاطين مسأثر بأس الجماع وحسو الكؤوس
سلاني ، وليس لباس الله - لو يناسب حسن سمات الفيس
وسن تنابي خلاسه - وأسوا السجايا تنابي الخليس
وسر حسودي بطمس الرسوم ، وطس الرسوم كرمس الفوس
وسقى الحسام بكأس السلاف ، وأسهي بموس وبوس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شيدية ، وهي التي كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :

« بإرشاد المثنى أننى ، شدي بالشرح شمس اشعراء ، ريش معاشه ، ومشا ريشه ، وأشرق شهابه ، واعشوشبت شهابه ، بشاكل شف المثنى بالمشوى ، والمراتى بلرشوى ، والشادن بشرخ الشباب ، والعطشان إلى شيم الشراء ، وشكرى لتجشمه ومشقته ، وشواهد شفقه ، بشاكل شكر الشاهد للشد ، والمسترشد للرشد ، والمستشر للمبشر ، والمستجيش للجيش المشمر ، وشعارى إنشاد شعره ، وإشجاء الكاشح والمكاشح بنشره »

ومكدا إلى أن قال :

« فأشعاره مشهورة ، ومشاعره وعشرته مشكورة ، وعشاره
شأى الشعراء المشعابين شعره ، مشاينه مشجو الحشا ، ومشاعره
وشوه ترقيش المرتش رفته ، فأشباعه يشكونه ، ومعاشره

إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أيده الله . »

يَا أَيُّهَا الظَّافِرُ نِلْتَ الْمُنَى وَلَا يَنْلَنَّا فِيكَ مَحْذُورُ
إِنَّ الْخِلَالَ الزَّهْرَ قَدْ ضَمَّهَا ثَوْبٌ عَلَيْكَ - الدَّهْرُ - مَزْرُورُ
لَا زَالَ الْمَجْدِ الَّذِي شِدَّتُهُ رُبْعٌ - بَتِّعْمِيرِكَ - مَعْمُورُ
حَتَّى يُؤَوَّى فِيكَ مَا يَبْتَغِي مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ مَنْصُورُ

وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طَيْهِ - مَعْنَى مُعَمَّى الْفُظِّ مَسْثُورُ
مَرَامُهُ يَسْعُبُ ، مَا لَمْ يَبْجَحْ - بِالسَّرِّ قُمْرِي^(١) وَعُصْفُورُ
وَبُلْبُلُ ، ثُمَّ يَكْرُ اللَّذَا تَقْدَمَا ، فَالْفُظُّ مَكْرُورُ
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَمَّهْ نَسْرٌ ، بِهِ الشَّفَنِينَ^(٢) مَنُورُ
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَتَلَوُّهُ قُمْرِيٌّ وَدَرَّاجٌ وَزَرْزُورُ

وشاق الشباب والشم والشب وشيه ، فنشوره بشرى المشوق، وناشره

شماله معشونه - كشجوله - وشريبه مستبشر، ومعاشره .

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قماري - ويقال للذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صغير » وعده - في الخكم - من ا-ام .

وقد زعمو أن القمارى - إذا ماتت دكورها - لم تتزوج لمانها .

والورشان - الذى هو ذكر القمري - يوصف بالخوض على أولاده ، حتى أنه ربما نزل نفسه إذا رآها في يد القانص ، وقد مرَّ بك في « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« لمن تبنى البلبل اهتا ج غناء الورشان »

(٢) الشفنين - كما في حياة الحيوان وابن البيطار - نوع من الحمام ، والوا : وهو الذى تسميه العامة

باليام » وجمعه شفاني .

ثُمَّ بَلَى الدَّرَاجُ^(١) - مِنْ بَعْدُ غِرْ نَيْقُ^(٢) - وَمُكَا^(٣) وَشُرْشُورُ^(٤)
وَبَاشِقُ، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينُ - وَالْعُصْفُورُ مَدْعُورُ -
ثُمَّ سَلَ الْمَكَا^(٥) يَصْدُقُكَ، وَالْمُصْفُورُ، وَالْقُمْرِيُّ مَزْجُورُ
وَإِنْ جَرَى الدَّرَاجُ - فِي إِثْرِهِ الرِّزْزُورُ - فَلَمْطَوِي مَذْشُورُ
وَتُحْمٌ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفٌ، لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورُ
وَفِي اللَّيِّ عَمَسَتْ نُصْحٌ، لِمَنْ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكُورُ^(٥)

(١) الدراج - بضم الدال - طائر ظاهر جناحيه أعبر ، وباطنها أسود - وحجم الفطا إلا أنه أطف .
والجاحظ يده من جنس الحمام ، لأنه يجمع بيضه تحت جناحه كما يفعل الحمام .
قالوا : وهو كثير التاج بيشر ، بقدم الربيع ، وهو يصلح بهبوب الشمال وضاء الهواء ، ويسو حاله
بهبوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .
(٢) الفرنيق أو الفرنوق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .
قالوا :
وهو دون الحمام - في القدر - ولونه الحمرة مع كمورة ، وفي صوته ترجيع وتحرن .
ومن شأنها أنها تحسن أصواتها - إذا اختلطت - ومن طبعه أنه إذا فقد أناه لم يزل - فيها يزعمون -
أعزب إلى أن يموت ، وكذلك الأبي إذا فقدت ذكرها .
قالوا :

وهو شديد الاحتراس ، وفيه أمة للبيوت .

(٣) المكاء : طائر . (٤) الشرشور : طائر يسمى : « البرنش » وجمعه شرشير .

(٥) والبيت المطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن نغر - ظافر - فليطع من بنافر . »

وليس في الجدول التالي أمام كل حرف طائفة على الترتيب الذي ذكره في القصيدة هكذا :

الحرف	الذائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الذائر
أ	قرى	غ	نسر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شفنين	ل	فرنيق	ي	مكا
ت	بلبل	ط	غراب	ي	مكا	ن	عصفور
ا	قرى	ا	قرى	ط	شرشور	ا	قرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ت	بلبل	ر	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور

جواب^(١)

« بجاوبه ذو الوزارتين رحمه الله . »

حَظِّيَ - مِنْ نِعْمَاكَ - مَوْفُورُ وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَعْفُورُ
وَجَانِبِي - إِنْ زَمَنِي رَامَهُ - حَجَرُ^(٢) لَدَى ظِلِّكَ مَحْجُورُ

* *

يَا ابْنَ الدِّيِّ سِرْبُ الْهَدْيِ آمِنٌ مِنْذُ أَنْبَرِي يَحْمِيهِ مَوْفُورُ

وليعلم القارئ أن الشاهين في قوله : « ثم إذا خلق الشاهين . » ساقط ليس له حرف هاء كغيره من طيور القصيدة ، وقد أشار إليه بقوله :

« وثم فاعلم أن موضوعها حرف لفصل اللفظ مقدور . »
وقد فكك المعتمد ، وجاوبه بالقصيدة التالية :

« ياخير من ياحظه ناظري ، شهادة ما شأها زور
ومن إذا ما ليل خطب دجا لاح به - من رأيه - نور
رأيك - إما شمته - صارم عصب على الأعداء مشهور
جاءتني الطير التي سرّما نظم به قلبي مسرور
شعر هو السحر فلا تكروا أنى به - ما عشت - مسحور
اللفظ والفرطاس - إن شها - قبل هما مسك وكادور
وإنه لما اعتدى خاطري مسائلًا جاوب عصفور
هو لبش الطير من فكرتي صقر فولى وهو مقهور
ولاح لي بيت فؤادي له دأبا على ودك مقصور
حدثك من شكرى يا سيدي بما بدا لي منك موفور
تصرت في نظمي فاعذر فن صاهاك في التقصير معذور
فأنت إن تنظم وتثر قد أعوز مظلوم ومثبور
لا يمدكم روض من الحظ في ال لإكرام والترفع ممطور . »

(١) ثم ابن زيدون بهذه القصيدة للمعتمد ردا على قصيدته التي ذكرناها في هذه الصفحة .

(٢) الحجر السكف أو الحرام ، يقال : « هذا حجر عليك » أى حرام و « نشأت في حجر ولان » أى في كنفه ومنعته وحفظه وستره .

أَجَبْتَ أَمْرِي بِالَّذِي لَمْ يَزَلْ يُضْغِي إِلَيْهِ مِنْهُ مَأْمُورُ
الْبَسِ مِنْكَ الْمُلْكُ أَسْنَى الْحَلَى بِظَافِرٍ يَنْمِيهِ مَنْصُورُ

* *

يَا مُرَوِّى الْمَأْمُورِ، يَا بَنَ لَهُ نَجْدٌ - مَعَ الْأَيَّامِ - مَأْمُورُ
عَبْدُكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ - فَهُوَ بِمَا تَوَلَّيْتَهُ مَشْكُورُ
إِنْ تَعَفَّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنْعَمًا فَالَسَّرُوا^(١) أَنْ يُقْبَلَ مَيْسُورُ
إِنْ حَالَالَ السَّجَرِ - إِنْ صُغَّتْهُ - فِي صُحُفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورُ
نَظَّمْ زَهَانٍ مِنْهُ إِذْ جَاءَنِي عِلْقُ عَظِيمِ الْقَدَرِ مَذْخُورُ
هُوَ إِلَيْهِ طَرَبًا خَاطِرِي كَمَا تَلَقَّى الْوَصْلَ هَهْجُورُ
لَا عَرَوْا أَنْ أَفْتَنَ إِذْ لَاحَظْتَ فِكْرِي مِنْهُ أَعْيُنُ حُورُ
تَشَفَّ عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطَةُ كَمَا وَشَى بِالزَّاحِ بَلُورُ
جَهَلْتُ - إِذْ غَارَ صُغْتُهُ - غَيْرَ أَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُثَ مَصْدُورُ

* *

يَا آلَ «عَبَادٍ» مَوْلَا الْأَتَاكُمُ زَاكٍ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورُ
إِنَّ الَّذِي يَرْجُو مَوَادَاتِكُمْ - مِنَ الْمُنَاوِينَ - لَمَعْرُورُ
مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا انْحَطَّ عَنْ مَنَزِلَةِ الْمَرْفُوعِ - مَجْرُورُ
يَدْنُو إِلَيْكُمْ مَا نَأَى عَنْكُمْ إِنَّ الْعُلَى مِنْ أَنْسِهِ نُورُ
لَا زَائِمُ تَشَاوَنَهُمْ مَا انْجَلَى - عَنْ فَلَقِ الْإِضْبَاحِ - دَيْجُورُ
وَلَا يَزَلْ يَجْرِي - بِإِيرَاتِكُمْ أَعْمَارَهُمْ - اللَّهُ مَقْدُورُ

إلى المعتمد

« وكتب أيضا رجه الله إليه أيده الله . »

يَا مُرْضِيَا كُلَّ مَخْدَمٍ وَمُرُويَا كُلَّ لَهْذَمٍ
وَيَا سَمِيَّ الْمَصَلَّى عَلَى أَسْمِهِ وَالْمُسَلَّمِ
وَيَا ابْنَ أَعْظَمِ مَنْ هَا بِهِ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمِ
وَأَفَاكَ - لِطَيْرٍ - سِرْبٍ لَدَيْهِ سِرٌّ مُسَكَّتَمِ
إِنْ تَسْأَلِ الطَّيْرَ عَنْهَا مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَعْلَمِ
وَالنَّسْرُ وَالرَّهْوُ ^(١) يُنْبِئُكَ وَالظَّلْمُ ^(٢) الْمُسْلَمِ

(١) الرهو : السركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أعبر طويل الساتر في قدر الأوزة ، ويجمع على كراكي ، وفي طعنه خور يحمله على النحاس ، حتى إنه إذا - اجتمع جماعة من الكراكي - يحرسها بالنوبة بثبها ، ومن شأن الذي يحرس منها ، أن يهتف بصوت حر ، كأنه يدير بأنه حارس . فإذا قضى نوبته قام واحد من كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تنبيهه ، يكون ذلك حيا ، ثم يخلقه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما مؤخرا ، وفي طيها الناصر والعاقد ، ومن خاصتها أن أنشائها لا تقعد للسفاد بل يسدها - وهي قائمة - ويكون سفاده مربعا كالعصفور .

وقال الفزوي - في عجائب المخلوقات :
والسركي لا ينشئ على الأرض إلا بأحدى رجليه ، ويعلى الأخرى ، أو يضعها وضعا خفيقا محاذة أن تحسف به الأرض .

قال - في « المصايد والمطارد » :

وهو من أهد الطير صرنا يسمع على أذيال .

قالوا : وكانت السركاكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طيها وصيدها كانت تتألى ملوك مصر تنالها لا يدرك حده ، وتتفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظالم - ذكر النعام - وقد جاء في صبح الأعشى - في مفروض الكلام عن النعام - قوله :

« هو طائر معروف ، مركب من صورتى جل وطائر ، ولذلك تسميه الترك « دواش » بمعنى « طير جل » وتسميه الفرس « اشتر مرك » ومعناه « جل طائر » ويسمى ذكر النعام : الذلم . قالوا : ومساكنها الرمل ، وتضع بيضا سطورا مستطيلا ، بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها عن الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها نصيبها من الحصن ، لأنها لا تستطيع ضم جميع البيض تحنها .

ثُمَّ الْهَدِيلُ ^(١) تَلِيهِ حَمَامَةٌ تَتَرَبَّمُ
إِلَى عُمَاقَيْنِ تَذَعُو مِمَّا الظَّلِيمِ فَيَقْهَمُ
ثُمَّ الْعُقَابُ ^(٢) مَعَ الصَّقْرِ، فَهَوَّ بِالشَّرْحِ أَنْعَمَ
وَالرَّأَلُ ^(٣) وَالرَّهْوُ وَالْقَبْجُ ^(٤) فَالثَّلَاثَةُ حَوْمٌ
ثُمَّ الْعُقَابُ فَسَلَهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَعَّمُ

وإذا خرحت للطعم ، فوجدت بيض نعامه أخرى حصفه ونسبت بيضا فربما حصفت هذه بيض هذه .
ولذلك توصف - في الطير - بالحق .

ويقال : إنها تقسم بيضا أنثا ، فنه ماتحضنه ، وانه ماتعمله غذاء لها ، ومنه ما تفتحه وتعمله في الهواء
حتى يتولد فيه ادود فتفدى به أفرأخها إذا خرحت . قالوا :

« وليس للنعام حاسة سماع ، ولكنه قوى الشم ، يستفى بشمه عن سباهه . حتى يقال : أنه يشم رائحة
القاص من بعد . وفي أساطير العرب :

أن النعام ذهبت تطلب قرنين فتقطعوا أذنيها .

ومن خصائصها أنها تتلع العظم الصلب والحجر فتذيه معدتها .

(١) الهديل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في دالته المشهورة :

« يابنات الهديل : أسعدن أوعدن قليل البكاء بالاسعداد . »

(٢) العقاب : طائر من الجوارح تسميها العرب بالكاس ، قيل العقاب سيد الطيور والنسر عريفها «

وتقول العرب : « أبصر من عقاب » قال ابن دريد في مقصورته الزائمة :

« فاستنزل الرياء - قسرا - وهي من عقاب لوح الجو أعلى منى . »

وقد جاء في صحح الأعشى : أن العقاب مؤنثة لا تذكر ، وتجمع على عقبان وأعقب .

وجاء في « المصايد والمطارد » قوله :

« وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »

فنها سوداء دحرجية ، وخداية - وهي التي لا يبيض فيها - ومنها البقاء - وهي التي يخالط سوادها

بياض - ، ومنها الشقراء وهي التي في رأسها نقط بياض - قال « أبو عبيدة » و « يونس » :

« ويقال لذكر العقاب « القرن » ويقال إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لانسواى شيئا ،

تلب بها الصبيان » والعقاب من أسرع الطير طيرا . (ارجع إلى صحح الأعشى > ٢ ص ٥٣)

(٣) الرأل : ولد النعام ، قال أبو العلاء :

« قد كنت فلت - في كلام لى قديم - لئننى قد هجرت الشعر هجر الرأل تركته . »

(٤) الفيج : والكروان ، معرب « كبح » بالعارسية وهو طائر في قدر الدحاجة طويل الرحابن

حسن الصوت لا ينم الليل .

إِلَى حُبَارَى ^(١) وَبَارِ وَحَالِكِ اللَّوْنِ أَغْصَمَ ^(٢)
 ثُمَّ السَّمَاءُ ^(٣) مَعَ الرَّاءِ لِيَكُنْ يُوْحُ الْمَجْنَمِ ^(٤)
 إِلَى عُقَابٍ وَرَهْوٍ يُفْصِحُ بِمَا شِئْتَ أَسْنَحَمَ
 وَمَا الظَّلِيمُ بِآلٍ فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ
 ثُمَّ الْمُقَابُ سَيُّوْحِي لِلصَّقْرِ لَا تَتَكَلَّمُ
 وَهَقْمَتُ وَهَدِيدُ الْقَبْجُ فِي ذَاكَ مُلْتَمِ
 وَثُمَّ فَضْلُ كَمَا قَدْ عَهَدْتَ فِيمَا تَقَدَّمَ
 يَا مُلْبِسَ الدَّهْرِ وَشَيْئَا مِنْ الْجَمَالِ مُنْتَمِ
 اسْلَمْ سَنِي الْأَمَانِي مُؤَزَّرَ النَّصْرِ مُطْعَمِ ^(٥)

- (١) الحبارى : طائر - يقع على الذكر والأنثى - قالوا : « ويصرب به المثل - في البلامة والحق يقال :
 « هو أبله من الحبارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت عصفها ذهلتها وحضفت بيض فيرها .
 (٢) الأعصم : الظبي . قال ابن دريد :
 « لو ناجت الأعصم لانحط لها - طوع القباد في شمارج الذرى .
 وجمعه عصم ، قال الشاعر :

« واديتني حتى - إذا ما فتنتي بقول يحل العصم سهل الأباطح
 تءاءت عني حين - لالى حيلة - وعادرت ما عادت بين الجوانح .
 (٣) السماء : ضرب من الطير ، واحده سماء .
 (٤) المجنم : الذى لا يفهم ، قال المعرى :
 « ججم هذا الزمان قولا وكلنا يرتجى بيانه .
 (٥) والبيت المطير - في هذا الشعر - هو :
 « أهلاك عدوك ، واسلم ، واظفر بـؤلك - وانعم .

وقد فسكه المعتمد .

بيت مطير

« وكتب اليه المعتمد أبده الله
يا سيدي يا معدن العلم
يا آله للحرب والسلام
وجه طيور الشعر غوى فقد
بث فؤادي شرك الفهم
فبعث اليه بيت مطير وجاوبه رجه الله . »

أَلْحَقَنِي بِرُكَّ النَّجْمِ	يَا ابْنَ الْبُدُورِ الزُّهْرِ مِنْ لَحْمِ
يَا لَابِسَ الْمَجْدِ الَّذِي زَانَهُ	بِالْعِلْمِ زَيْنَ الْبُرْدِ بِالرَّقْمِ
قَدْ لَثِمْتَ كَفِّي الدَّرَارِيَّ مُدَّ	شَافَهْتُ تِلْكَ الْكَفَّ بِاللَّثْمِ
قُلْدَ مِنْكَ الْمُلْكُ عَضَبَ الظُّبَا	يَمْنُضِي مَضَاءَ الْقَدَرِ الْحُثْمِ
فِرْنْدُهُ الرِّقَاقُ مِنْ بَشَرِهِ	وَحَدُّهُ مِنْ نَافِذِ الْعَزْمِ

* *

قَدْ جَاءَنِي النِّظْمُ الَّذِي خِلْتُهُ	مُؤَلَّفَ اللُّؤْلُؤِ فِي النِّظْمِ
حَلَّيْنِي مِنْهُ بِفَخْرٍ يُرَى	فِي غُفْلٍ حَالِي رَائِقَ الوَسْمِ
مُسْتَدْعِيَا طَيْرَ الْمُعَمَّى لِكَيْ	يَصْرِيدَهَا فِي شَرَكِ الْفُهْمِ
فَهَاكُمَا تُهْدَى إِلَى خَاطِرِ	يَسْتَخْرِجُ الْإِفْصَاحَ مِنْ عُجْمِ ^(١)

(١) البيت المطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن تفر ظافر دليطع من ينافر . »

والبيت المطير

إِظْفَرُ كَمَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِكُلِّ غَاوٍ مُنَافِرٍ

وطير له أيده الله بيتين وهما

«شعر من محض وده»

لك في علم طيره

فهى مهما زجرتها

لم تخبر بغيره . «

ففكهما وجاوبه رحمه الله

أَيُّهَا الْمَاجِدُ الَّذِي خَيْرُهُ وَفَقُّ خَيْرِهِ

وَالَّذِي سَيْرٌ مُشْتَرَى أَفْقًا دُونَ سَيْرِهِ

مَلِكٌ صَحَّ - مِنْ أَدِيمِ الْهُدَى - قَدْ سَيْرِهِ

فَهُوَ - الدَّهْرُ - نَفْعُهُ حَاضِرٌ ، دُونَ ضَيْرِهِ

* * *

يَا لِلَّيْلِ سَمِئْتُ مِنْ سَهَرِي فِي قَيْرِهِ ؟

عَزَّ - فِي وَهْنِهِ - مَرَا مُمْ عَتَا فِي مُحِيرِهِ

«شِعْرٌ مِنْ مَحْضٍ وَدَّهِ لَكَ فِي عِلْمِ صَيْرِهِ

فَهِيَ - مَهْمَا زَجَرْتَهَا - لَمْ تُخْبِرْ بِغَيْرِهِ

جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن
المعتضد بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله
تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمى له بيتا :
« الحاجب الأعلى العضد قرّة عين المعتمد »
ففكه - أيده الله - وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

ياسيدي ، الأعلى ومن
أعدده أقوى العدد
حلت طيورك بي ، وقد
قرّبت منها ما بعد
كاشفتنا عن سرّها
فوشى إلى بها الصرد
بيتا يدلّ على اعتقا
دك يا جيل المعتقد
الحاجب الأعلى العضد
قرّة عين المعتضد
فجاوبه ذو الوزارتين بقصيدة ، وهي :

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصْدُ	لَمْ يَجْزِ - عَنْ وَصْلِي - بِصَدِّ
سَيِّئِ عَهْدٍ - أَرْخَصَتْ	عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي الْعَمْدُ
مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى	أَمْنُهُ مِنَ الْقَوْدِ (١)
مُخْلَدٌ خَلَدَ - بَرَّ	حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَدٍ
وَعُرُّ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ	نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَدٌ

فَلَسِ إِذَا مَا قِيلَ : « أَبْلَى حُلَّةَ الْهَجَرِ » أَجَدُّ
أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ » رَكَدُ
مَا كُنْتُ آبَى صَدَّهُ لَوْ أَنَّ سُلوَانِي صَدُّ

* * *

فِتْنَةُ وَجْدٍ ، هِيَ كَالْفِتْنَةِ فِي الْعَجَلِ الْجَسَدُ
غَيْرُ مُبِينٍ ، طَرَفُهُ يَعْصِفُ بِالْخَصْمِ الْأَلَدُ
عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدُ
الْحَاجِبُ الْأَعْلَى الَّذِي لَوْ مَا جَدَّ الشَّمْسَ مَجْدُ
مَحْضُ الثَّقَى ، عَفَّ الْهَوَى غَمَرُ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلَدُ
رَكِينُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ حُبَاهُ فِي النَّادِي عَقْدُ
مَوْفَقُ الْأَنْحَاءِ عَا دَ فِي أُسَالِيبِ الرَّشَدِ
لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْجَرِّ وَافَى ، فَاسْتَمَدَّ
مَوْمِلٌ - مَعَ الرِّضَا - يُهَابُ فِي حِينِ الْبُعْدِ
إِنْ قُلِدَ الْأَمْرَ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى الثَّغْرَ سَدُّ
مَا هَ سَمَاحٍ فَاضَ فِي جَمْرٍ ذَكَاءُ فَاتَّقَدُ
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ ، يَا مَوْلَى بِيَارِيهِ اعْتَصَدُ ! ^(١)
وَمَنْ - بِفَضْلِ اللَّهِ - حَا زَ النَّصْرِ فِي جِدِّ وَجَدُ

(١) وفي الأصل :

يا عضد الدولة يا من يباريه اعتصد . «

أَصْبَحَ أَعْلَى وَالِدٍ فَأَوْقَهُ أَسْنَى وَلَدَ
حَدَّثَنَا عَنْ سَرُوهِ ^(١) نَاهِيكَ مِنْ قُرْبٍ سَنَدَ

* * *

مَلِكٌ - إِذَا نَحْنُ أَعْتَمَدَ نَا مِنْهُ أَوْفَى مُعْتَمَدَ -
تَهَلَّلَتْ شَمْسُ جَبِينِ وَأُسْتَهَلَّتْ مَزْنُ يَدَ
مُحَصِّصُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا فَسَدَ
وَعَاضِدُ الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلَ - يُضْطَهَدُ
وَنَاصِرُ الْعِلْمِ الَّذِي نَفَقَهُ لَمَّا كَسَدَ
مَنْ لَمْ يَعِدْ إِلَّا وَفَى، وَلَا وَفَى إِلَّا وَعَدَ
شَاوَرَيْنِ - فِي أَمْرِهِ - شَيْحَانِ لَوْ شَاءَ أَسْتَبَدَّ
يُخْشَى الْعَدُوُّ مِنْهُ عَزَ مَ قَسَوْرٍ شَاكِي اللَّبَدِ
سَمَّحٌ لَهُ - بَيْنَهُمَا عَنَا - فَظٌ عَلَيْهِ إِنْ عَنَدَ
كَالسَّيْفِ - فِي حَالِيهِ - إِنْ رَاقَ فِرْنْدُ رَاعٍ حَدَّ
يَا مُهْدِي السَّمَطِ الَّذِي قُلَّدْتُهُ فَخْرَ الْأَبَدِ
أَحْسَنُ مِنْ رَقَمِ عِدَا رِ سَائِلِ فِي وَشِي خَدَّ
أَوْ مَبْنِيهِمْ حُلُوِ الْمَا يَقْتَرُ عَنْ عَذَبِ بَرَدَ

إلى المعتمد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَزَنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْمُفْتَقَدُ -
 « نَسِيمُ أَيْلُولٍ سَرَى أَمْ وَرَدُ نَيْسَانَ وَرَدَ »
 خَاطِرِي السَّهْمُ وَشَى بِسِرِّ طَائِرِي لَا الصَّرْدُ
 وَفِطْنَةُ تَأَلَّفَتْ - مِنَ الْمُعَى - مَا شَرَدُ
 شَنِشَنَةً أَعْرِفُهَا فِي شِبْلِ مَلِكٍ مِنْ أَسَدُ

يَا آلَ « عَبَادِ » مَثَا لُ لَيْسَ يَعْدُوهُ السَّدُّ
 مَنْ لِي بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُعْتَبَدُ
 سَوَّغْتُ مِنْهَا الْعِزَّةَ الْقَعَسَاءَ فِي الْعَيْشِ الرَّغَدُ
 حَيْثُ اسْتُضِيفَ مَنَهْلُ صَفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ
 كَأَنَّهَا لِي جَنَّةٌ حُفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسَدُ
 يَحْمِلُهَا مِنِّي وَافِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُعْتَقَدُ
 كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَهْمَلْتَهُ فَقَعَدُ
 قَصَرَ ، لَكِنْ لَمْ يَقْصُرْ مُبْلِغُ الْعُذْرِ اجْتَهَدُ
 وَقَيْتُ بَطْشَ الْعَيْنِ فِيكُمْ بِالْمَعَى لَا بِالرَّمَدُ

صرعي الحب ^(١)

أَخَذْتُ ثُلْتَ الْهَوَى غَضَبًا ، وَلِي ثُلْتُ ، وَالْمُحِبِّينَ - فِيمَا يَنْهَمُ - ثُلْتُ
 تَالَهُ ، لَوْ حَلَفَ الْعُشَّاقُ : أَنَّهُمْ مَوْتَى مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْيَتَمِ - مَا حَشَوْا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قاله في مدة صباه ، وقد أورده المراكشي صاحب كتاب المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون .

قَوْمٌ - إِذَا هُجِرُوا مِنْ بَعْدِ مَاوِصِلُوا - مَاتُوا ، فَإِنْ عَادَ مِنْ يَهُودَتِهِ بُعِثُوا
تَرَى الْمُجِبِّينَ صَرَغِي - فِي عِرَاصِهِمْ - كَفْتِيَةِ الْكَهْفِ ، مَا يَذُرُونَ مَا بَشُوا

ذكرى قرطبة

« وما قاله يشوق ابنه المهدي ومعهده بقرطبة ، وضمنها

بيت أبي الطيب - في أول قصيدته الكافورية :

« بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،

ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »

قصيدة أولها (١) :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنٌ - مِنْ ذِكْرِ كَمْ - وَجَفًا أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ
يُخْنِي لَوَاعِيَهُ - وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ - فَقَدْ تَسَاوَى - لَدَيْهِ - السَّرُّ وَالْعَلَنُ
يَا وَيْلَتَاهُ ، أَيْبَى - فِي جَوَانِحِهِ - فُؤَادُهُ ، وَهُوَ بِالْأَطْلَالِ مُرْتَهَنُ
وَأَرَقَّ الْعَيْنِ - وَالظَّمَاءُ عَاكِفُهُ - وَرَقَاهُ قَدْ شَفَّهَا - إِذْ شَفَّنِي - حَزَنُ
فَبِتْ أَشْكُو وَتَشْكُو - فَوْقَ أَيْكَتَيْهَا - وَبَاتَ يَهْفُو أَرْتِيَا حَا يَبْنِنَا الْغُصْنُ

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أَحِبَّهُمْ - كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ ظَمَنُوا
أَوْ تَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَضِيْعُهَا - إِنَّ الْكِرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تَتَحَنُّ
وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ عَادَكُمْ عَيْدٌ ، فَرُبَّ مَفْتَى - بِالشَّوْقِ قَدْ عَادَهُ - مِنْ ذِكْرِ كَمْ - حَزَنُ
وَأَفْرَدَتْهُ اللَّيَالِي - مِنْ أَحَبَّتِهِ - فَبَاتَ يُنْشِدُهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ - :
« بِمِ التَّعَلُّلُ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

رَسَائِلُ الرِّبِّ دُورِي أَخْبَارُهُ

وَشَعْرُ الْمَلِكَيْنِ

وَأَخْبَارُهُمَا

الرسالة الهزلية (١)

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا الْمُصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمُرَوِّطُ بِجَهْلِهِ ، الْبَيِّنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ
غَلَطُهُ ، الْعَائِرُ فِي ذَيْلِ أُغْتِرَارِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطًا
الذُّبَابِ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَابِتُ - تَهَابَتْ الْفَرَاشُ (٢) - فِي الشَّهَابِ ، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ
أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصَوَّبُ ، وَإِنَّكَ رَأْسَتَنِي مُسْتَهْدِيكَ - مِنْ صِلَتِي -
مَا صَفَرْتَ مِنْهُ أَيْدِي أَمْثَالِكَ ، مَتَّصِدِيًا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قُرِعَتْ دُونَهُ أُتُوفُ (٣)
أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبًا نَفْسِكَ
أَنْتَ سَتَنْزِلُ عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ - بَعْدَهَا - عَلَيَّ :

« وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعْتَهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤) »

* *

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَضَنْ بِكَ ، وَمَلَنْكَ إِذْ لَمْ تَعَزْ عَلِيكَ ، فَإِنَّهَا
أَعْدَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَائِمَةٌ أَنَّ الْمُرُوءَةَ لَفْظُ
أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةَ أَمَّمْ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيُولَاهُ (٥) ، قَاطِمَةٌ أَنْكَ أَنْفَرَدْتَ

(١) انظر من « ٢٣٧ »

(٢) الفراش مشهور بأنه يطرح نفسه في النار فيحترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفرا شراً رأى الشهاب وقد توفد »

فدنا ، فأحرق نفسه ولواحدى رشح الأمد .

(٣) قرع الألف أى العجز والدلة ، والعرب تقول لكف : « هو الفعل لا يقرع أشه » وقد قال

ابن زيدون في إحدى تمائده في « من ٦٧ » : « وأنف الفعل لا يقرع . »

(٤) البيت للعتبي ، وهو من قصيدته المشهورة :

« إلام طماعية العاذل ولا رأى في الحب للعائل »

يراد من القلب نسيانكم وتأني الطباع على الناقل .

والقصيدة مشهورة فليرجع إليها القارىء في ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحقيقته .

بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْثَرَتْ بِالْكِبَالِ ، وَأُسْتَعْلِيَتْ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلَيْتِ
عَلَى مَحَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خَيَّلْتَ أَنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسَنَكَ فَفَضَضْتَ
مِنْهُ ، وَأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ ^(١) رَأَتْكَ فَسَلَتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ ^(٢) أَصَابَ بَعْضَ
مَا كَنْزَتْ ، وَالنَّظْفَ ^(٣) عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَزَتْ ، وَكِسْرَى ^(٤) حَمَلَ غَاشِيَتَكَ ،
وَقَيْصَرَ ^(٥) رَغَى مَاشِيَتَكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارًا ^(٦) فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْذَشِيرَ ^(٧) جَاهَدَ
مُلُوكَ الطَّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ عَنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضَّحَّاكَ ^(٨) أَسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ ، وَجَدِيَّةَ

(١) امرأة العزيز مشهورة بحبها يوسف الصديق وقصتها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به المثل في الثراء والنبى ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وآتيناه من الكنوز

ما إن معاته لتنوء بالمعينة أولى القوة . »

(٣) قالوا : إنما عني النظف بن حبيب بن حنظلة اليربوعي ، وقد كان مقبلاً بالبادية مع بني تميم ، وقد نهب
أمواله كان أرساها كسرى إلى عامله وذهباً ومسكاً ولآلئاً ، فصر به المثل بما أصاب من ثروة طائلة ،
قال بعض ولده :

« أنى النظف المباري الشمس ، إنى عريق في السباحة والمعالى . »

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الفرس .

(٥) قيصر : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يعنى الاسكندر الأكبر المقدونى وتاريخه مشهور ، و « دارا » هو ملك الفرس الذى انتصر

عليه الاسكندر وقتله . (٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضحاك يزعمون أنه قتل « جشيد » - سيد الشعاع ، وملك الأقاليم السبعة وأول من عمل السلاح
واستخرج الابرديم ، والقز ، وألزم أهل الفساد الأعمال الشاقة في قطع الصخور ، واستخراج المادن .
قالوا : وطال عمر « جشيد » وتجهز ، وادعى الربوبية ، فخرج عليه الضحاك ، وتبعه خلق كثير من أعداء
« جشيد » فظفر به الضحاك ، فهرت « جشيد » بين يديه فظفر به الضحاك وأمر بنشره بنشار ،
وقال له : « إن كنت إلهاً فادفع عن نفسك »

ثم ملك الضحاك - فيما يزعمون - وضفى وتجهز وجفر ودان بدين البراهمة ، وكان - فيما يقولون - أول
من غنى له ، وضرب الدينارين والدرهم ، ولبس التاج ، ووضع العشور ، إلى آخر ما زعموه له .

الأبرش^(١) تَمَنَّى مُنَادَمَتَكَ ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فَيْكَ^(٢) ، وَبَلْقَيْسَ^(٣) فَأَيَّرَتِ الرِّبَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ^(٤) إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ^(٥) إِنَّمَا رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكَلَيْبَ^(٦) بْنَ رَبِيعَةَ إِنَّمَا حَتَّى الْمَرْغَى بِعِزَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

(١) جذية الأبرش ، قد سبق الإشارة إليه في «ص ٢٠٢» فليرجع إليها من شاء .

(٢) شيرين : هي زوجة كسرى أبرويز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المرى إلى شيرين إشارة ظريفة في رسالة الغفران فقال :

ولو قالت شيرين للملك لكسرى: « حملني الله وداءك » لحالبتني في ذلك - ونافقتني ، وإن رافقتني ووافقتني ، على أنه أخذها من حال دينية ، لجلعها في النعمة السنية ، وعته - في ذلك - الأعباء ، وجرت لهم - في ذلك - قصص وأنباء ، وقيل له - فيما ذكر - :

« كيف تطيب نفس الملك لهذه الموهبة ؟ »

فصبر لهم المثل بالفرح ، جعل في الاناء الشعر والدم ، وقال للحاضر :

« تحيب نفسك لشرب ما به ؟ » فقال : « إنها لانتظي وهي بالأنحاس قطيب . »

فأراق ذلك النبي ، وغسله وهدب وحاه ، وجعل فيه - من بعد - مداما . وعرضه على الندامي ، فكلمه بهش أن يشرب ، فقال : « هذا مثل شيرين » .

(٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، والزباء هي التي قتلها عمرو بن عدس وقتل أباهما جذية بن الأبرش ، وقد مر ذكره .

(٤) مالك بن نويرة : من مشهوري فرسان العرب وشجعانهم في الجاهلية ، وقد أدرك الاسلام . قالوا وارثه وبعث أبو بكر خالد بن الوليد لقتال أهل الردة ، فكان إذا أصبح قوماً تسبح الآذن فإن سمعهم كف عنهم ، وإن لم يسمعهم قاتلهم إلى أن مرَّ بالبطاح وبه مالك وأصحابه ، فقبل إنهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم ، وأتى بمالك بن نويرة أسيراً فأمر حاد بقتله . قالوا : واحتج قوم لخالد في قتله ، وطعن عليه آخرون في كلام طويل مشهور ، وقد رثاه أخوه متمم رثاء الرائع ، وقد سمعه عمر فقال له زوددت لو رثيت أخى زيداً بمثل ما رثيت به أحاك ، فقال له متمم : والله لو علم أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم أحزن عليه ، ومن أبيات متمم التي سارت في رثائه مسير الأمثال قوله :

« وقالوا أتبي كل قبر رأيت لغير نوى بين اللوى ، فالدكاكك

فقل لهم : « إن الأسى بعث الأسى دعوني فهذا حكمة قبر مالك »

(٥) عروة بن جعفر - كان ينسب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته إلى الملوك ، وكان هو السبب في حرب الفجار المشهورة .

(٦) كليب بن ربيعة - هو رئيس الحيين من بكر وقطب ، وقد بلغ من جبروته ونفيه أنه كان يحصى مواقع السحاب فلا يرعى حماء ويقول وحش كذا وكذا في جوارى ولا تهاج ولا يورد أحد مع أبه ولا توقد نار مع ناره ، ولا يجتبي في مجلسه ، ولا يتكلم إلا بأذنه كما يدك على ذلك قول أخيه مهلهل في رثائه :

« نبئت أن النار - بعدك - أوقدت واستب - بعدك - يا كليب المجلس

بَأَنْفَتِكَ، وَمُهِلَهَا^(١) إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِهَيْئَتِكَ، وَالسَّمْوَل^(٢) إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ،
وَالْأَخْنَف^(٣) إِنَّمَا أَحْتَجِي فِي بُرْدَتِكَ، وَحَاتِمًا^(٤) إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ، وَآقَى الْأَصْيَافَ

وتكلموا في - أمر كل عظيمة - لو كنت حاضر أمرهم لم ينسوا .

وقد قتله جساس بن مرة زوج أخت كليب ، وكان ذلك سبباً في حرب البسوس .

(١) مهمل بن ربيعة - هو أخو كليب والآخر بثأره في حرب طويلة تغنينا شهرتها عن ذكرها .

(٢) السموءل - هو السموءل بن عدي ، وهو من يهودي يثرب ، ويضرب به المثل - في الوفاء - بعد حادثته المشهورة مع امرئ القيس الذي أودع عنده وديعة ومضى ، وحاول الحارث بن ظالم أن يأخذها من السموءل فأبى ، ثم ظفر الحارث بابنه ، فقال للسموءل : إن لم تعطني وديعة امرئ القيس قتلت ابنك فأبى . فقتل الحارث ابن السموءل وانصرف ، والسموءل هو صاحب اللامية المشهورة التي يقول في أهلها :

« إذا المرء لم يدنس من اللؤم - عرضه وكل رداء يرتديه جميل -

ولأن هولم يحمل - على النفس - ضيقها ، فليس - إلى حسن الشاء - سبيل . »

(٣) الأخنف - هو الأخنف بن قيس ويضرب به المثل في الحلم .

(٤) حاتم - هو حاتم الطائي وهو أشهر من ضرب به المثل في الجود .

قالوا : - « وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة :

« حاتم الطائي ، هرم بن سنان ، كعب بن مامة »

قالوا « وحاتم أشهرهم ذكراً » .

وقد أدرك مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومات قبل بعثته ، ومن مختار شعره قوله : -

« أعدل إن المال غم - غير مخلد وإث الهى طارية فزود

وكم من جواد يفسد اليوم جوده وسأوى قد ذكرته أفقر في غد

وكم لي آء ، فما كف حودهم ملام ، ومن أيديهم خلقت يدي . »

وقوله :

« لحا الله صملوكا مناه وهمه من العيش - أن ياتي لبوسا ومطعا

ولله صملوك يساور همه ويمضي على الأحداث - والهول وقفا

إذا مارأى يوماً مكارم أعرضت تبسم كبراهن - ثمت صدا . »

وقوله :

« أماوى إن المال غاد ورائح ويبقى - من المال - الأحاذيث والذكر

أماوى ما ينفى التراث عن الفتى إذا حشرت يوماً وضاق به الصدر

أماوى إن يصح صدائى بقرعة - من الأرض - لأماء لدى ولاجر

ترى أن ما أهلكك لم يك ضررى وأن يدي - مما تملت - به صفر

وقد علم الأتوام لو أن حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفر

وأنى لا آلو - بحالى - صنعة فأزله زاد وآجره دخر

غنيًا زمانًا بالتصعك والغنى وكلا سقانا - بكأسهما - الدهر

فما زادنا غنىاً - على ذى قرابة - غنانا ، ولا أزدى بأحساننا الفقر . »

بِشْرِكَ، وَزَيْدٌ^(١) بَنَ مُهْلِلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَخْدَيْكَ، وَالسَّلْيُكَ^(٢) بَنَ السَّلَكَةَ إِنَّمَا
عَدَا عَلَى رَجُلَيْكَ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ^(٣) إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ بِيَدَيْكَ، وَقَيْسٌ^(٤) بَنَ زُهَيْرٍ
إِنَّمَا أَسْتَعَانَ بِدِهَائِكَ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ^(٥) إِنَّمَا أَسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ ذَكَائِكَ،

(١) زيد بن مهمل - أدرك الاسلام ، وكان فارساً مشهوراً ، بعيد الصيت ، وشاعراً نابغاً ، وكان
يسمى زيد الحبل لكثرة ما عنده من الحبل ، ولما أسلم سباه النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير .
(٢) السليك بن السلكة جاهلي قديم ، وهو أحد صماليك العرب وأحد لصوصهم العدائين الذين كانوا
لا يلحقون ، قال ابن الرومي في وصف شهر رمضان :

« يمتنى الهونا ، فأما حين يطلبنا فللسليك يداينه ولا السلكة . »

(٣) عامر بن مالك - المشهور بللاع الأسنة ، وأمه أم البنين المشهورة التي اخترجها لبيد عند النعمان
في قوله :

« نحن بي أم البنين الأربعة . »

(٤) قيس بن زهير - هو صاحب الحروب المشهورة بين عيس وذيان بسبب الفرسين (داحس والغبراء)
وكان يضرب به المثل في الدماء ، يقال : « أدمى من قيس . »

(٥) إياس بن معاوية - هو صاحب المراساة والأجوبة السيدة الرائعة ، وكان قاضي البصرة ، ويضرب
به المثل في الذكاء . قال أبو تمام :

« أقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أخنف في دكاء إياس . »

قالوا : وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع
بين إياس والقاسم بن أبي ربيعة ويولي القضاء أحدهما ، فجمع بينهما ، فكان كل منهما يمتنع من الولاية ،
فقال إياس للشأمي : « سل الحسن البصري عني وعن القاسم ، وسل بن سيرين . » فلم القاسم أنه إن
سأل عنهما أشارا به ، فقال للشأمي : « لا تسأل عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياساً لأفصل مني
وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق ، فينبني لك أن تصدق قولي ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن
أن تولى القضاء وأنا كاذب » ، فقال إياس للشأمي : « إنك جئت برجل فأنت على شفير جهنم فأنتدي
نفسه من النار يمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو من النار » فقال الشأمي : « أما إذ فطنت لها فاني
أريدك » فاستتضاه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . قالوا : « ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن
البصري فبكى إياس وقال له : « بلغني أن القضاء ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد
فأخطأ فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة » فقال الحسن « إن فيما قضى الله تعالى في النبي
داود ما يرد قول مولاي . » ثم قرأ قوله تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً »

لحمد سليمان ولم يذم داود ، وأخبره كثيرة مشهورة في كتب الأدب ، فلا حاجة بنا إلى الإفاضة .

وَسَحْبَانَ^(١) إِنَّمَا تَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ ، وَعَمَّرُوا^(٢) بَنِي الْأَهْتَمِ . إِنَّمَا سَحَرَ بِيَمَانِكَ ، وَأَنَّ الصَّلَاحَ - يَنْبَغِي بِكَرٍ وَتَغْلِبَ - تَمَّ بِرِسَاكَ^(٣) ، وَالْحِمَا لَاتِ - يَنْبَغِي عَبْسٍ وَذِيَانِ - أَسْنَدَتِ إِلَى كِفَالَتِكَ ، وَأَنَّ أَحْتِيَالَ هَرَمٍ - لِعَلْقَمَةٍ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَاكَ عَنْ

(١) سحبان وائل - يضرب به التل في الفصاحة والبيان والقدرة على الخطابة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وخمسين . قال الأصمعي « وكان إذا خطب يسيل عرفاً ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ » قالوا : « وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم - سعيد بن عثمان - فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فاقصّب - من ناحيته - اقتصاباً وأدخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي عصا تموم من أودى . » قالوا : « وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يصنع بها مومى وهو يخاط ربّه وعصاه في يده . » فضحك معاوية وقال : « هاتوا عصا لجأوا بها إليه فركلها برجله ولم يرضها . » وقال : « هاتوا عصاى » فأتوا بها فأخذها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنتجج ، ولا تسعل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : ألا تمطع على كلامي ، فقال معاوية « الصلاة » قال : « هي أمالك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد » ، فقال معاوية : « أنت أخطب العرب . » فقال سحبان : « والعجم والجن والانس »

(٢) عمرو بن الأهتم - من سادات بني تميم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام ، وكان - لجماله - يدعونه : « المسجل » قالوا : « وودع على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والزبرقان بن بدر فأسلموا وأكرهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر بحضوره فقال عمرو : « مطاع في أدنيه ، شديد المعارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره » .

فقال الزبرقان : « يا رسول الله إنه يعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حسدني . » فقال عمرو : « أما والله لئن علمت ماقد علمت ، إنه زمن المروءة ، أحق الأب ، لثيم الحال ، ضيق العطن ، حديث النفي . » فرأى تغير النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اختلف قوله ، فقال : « يا رسول الله لا تنضب ، لما رضيت قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أفتح ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية . » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن مأثور حكيه قوله :

« أشجع الناس من رد جهله بجماله . » وقوله « أنف للخمر لو كان شيء يشتري ما كان دىء أنفس من العقل ، فالمجب لمن يشتري الحق بجماله فيدخله في رأسه فيقي في جيبه ويسلح في ذيله . » وكان ممن حرّم الخمر - على نفسه - في الجاهلية .

(٣) بكر وتغلب ابنا وائل - هم الذين أشعلوا حرب البسوس ، وقد دامت سنتين طوية قتل فيها عطاءة الحيين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابَهُ لِعُمَرَ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيِّهِمَا كَانَ يَنْفِرُ - وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ^(١)، وَأَنَّ
الْحِجَابَ^(٢) تَقْلَدُ لَوَايَةَ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ وَفُتَيْبَةَ^(٣) فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ، وَالْمُهَلَّبَ^(٤)
أَوْ هَنْ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِيَدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَنْتَهُمَ بِكِيدِكَ، وَأَنَّ هُرْمُسَ^(٥)
أَعْطَى بَلْبِنُوسَ^(٦) مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ^(٧) أَوْزَدَ عَلَى إِرِسْطَطَالِيسَ^(٨) مَا نَقَلَ عَنْكَ،
وَيَطْلِيْمُوسَ^(٩) سَوَى الْإِصْطِرْلَابَ بِتَدْبِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطبة بعد أن أسلم: «أيهما كان الأفضل عندك
يعني عامراً وعلقة» فقال: «لو قلت الآن فيهما كلمة لامدت الحرب بين الحين .» فأعجب بذلك القول
عمر وسر من سياسته وبعد نظره وقال له: «بحق حكمتك العرب»

(٢) الحجاج - هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ ونشأ بالطائف، وولى الكوفة، واشتهر
بسفك الدماء، وهو الذي حاصر مكة وفيها عبد الله بن الزبير وخبرها بالمجنق (انظر ص ١٦ من كتاب
مصارع الأعيان) وحروبه مع شبيب، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة، وقد ذكرناها في مصارع
الأعيان من (ص ٥٧ إلى ص ١١٥) «ليرجع إليها من شاء، وكان يعجب بسرعة الجواب، وله نوادر كثيرة
في ذلك، قالوا: إنه قال ذات يوم لأحمد بن يونس «فكرت في أمرك فوجدت دمك ومالك حلالا» فقال:
«أيها الأمير أشد ما في القضية أن هذا الرأي يمد الفكر» فضحك وحفا عنه، وقالوا إنه أتى بقوم
من أصحاب بن الأشعث فأمر بضرب أعناقهم، فقام رجل فقال: «أيها الأمير إن لي عندك يدا» فقال
«وما هي؟» قال «شئت رجل محصرة ابن الأشعث فرددت عنك» فقال: «من يشهد لك؟» فأشار:
«هذا» وأشار بيده إلى رجل منهم، فقال: «صدق أيها الأمير» فقال «مامنك أن تفعل كما فعل؟» قال
«بغضى لك»، فقال الحجاج «أطلقوا هذا ليده عندما، وهذا اصدقه في مثل هذا الوقت» قال مالك
ابن دينار: «والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المبر ويذكر حسن صنعه إلى العراق وسوء صنعه له
حتى يجبل إلى أنه مظلوم» وقال الحسن البصري «أقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج» إن امرأاً ذهب
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته .

(٣) فتية - هو فتية بن مسلم الباهلي نشأ في الرواية وولى الأمارة، وكان شجاعاً فطناً .

(٤) المهلب - هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يعزى إليه الفضل في القضاء على الحوارج (انظر
ص ٩٢ : ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس - هو الذي يزعم نفر من الصابئة أنه نبي مرسل وأنه لإدريس عليه السلام ويسندون إليه
شرائعهم في تعظيم للسكراب السبعة والبروج الاثني عشر والتعرب إليها بالذبايح وغيرها .

(٦) بلبنوس - هو الذي تزعم الصابئة أن رسالة هرمس انتقلت من بعده إليه .

(٧) أفلاطون وإرسطاطاليس - فلان من أعلام فلاسفة اليونان وقادة الفكر المتأخرين .

(٩) بطليموس - هو صاحب كتاب المجسطى، والجغرافيا، والاسطرلاب وغير ذلك، وهو أول من

أمرض للفلك والهندسة .

وَبِقِرَاطٍ ^(١) عِلْمِ الْعِلَلِ وَالْأَمْرَاضِ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِينُوسٍ ^(٢) عَرَفَ طِبَاعِ
الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكِلَاهُمَا قَلَدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَلَّكَ عَنِ الْمِرَاجِ ،
وَأَسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَأَسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالْدَّوَاءِ ، وَأَنَّكَ نَهَجْتَ
لِأَبِي مَعْشَرٍ ^(٣) طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ ^(٤) عَلَى صِرِّ الْكِيمِيَاءِ ،
وَأَعْطَيْتَ النِّظَامَ ^(٥) أَضْلاً أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَجَعَلْتَ لِلْكِنْدِيِّ ^(٦) رِشْماً اسْتَفْضَحَ

(١) بقراط - علم من أعلام الطب واليونان .

(٢) جالينوس - من العلماء الممتازين الذين كان لهم الفضل في ترقية فن الطب ، وقد عرف خواص الحشائش ، وفاس أسرارها وطباعتها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة في الطب .

(٣) أبو معشر : كان في أول أمره من أصحاب الحديث ببلاد ، وكان يشنع على الكندي الفيلسوف المعروف ويعزى العامة به - قالوا « دس له الكندي من حسن له الطر في علم الحساب والهندسة فأحبها ثم عدل إلى أحكام النجوم ففتن ومهر واقطع بذلك شره عن الكندي لأنه من جنس علومه .

(٤) جابر بن حيان - من أعلام العلماء العرب في الكيمياء .

(٥) النظام - إمام من أئمة المعتزلة ، وكان آية في الذكاء من صغره . قالوا : إنه جاء إلى الحليل بن أحمد ليعلمه ، فقال له الحليل يمتحنه وفي يده قرح زجاج : « يابى صب لي هذه الزجاجية » فقال : « أمدح أم بدم » قال « بدم » قال « تريك الفدى ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما وراءها » قال « فدمها » قال « يسر عليهما السكر ، ولا تقبل الحبر » قال « فصف لي هذه النحلة » وأوماً إلى نخلة في داره . قال « بدم أم دم ؟ » قال « بدم » قال « حلوا جنبها ، بأسق منهاها ، ناضر أعلاها » قال « فدمها » قال « صبة المرتقى ، بعيدة الخبثي ، محفوفة بالأذى » فقال الحليل « يابى نحن إلى التلم ملك أوج » ثم اشتل على أبي الهذيل العلاف مذهب الكلام إلى أن برع وظهر في أيام المعتصم وتبعه خلق كثير - وحكي عنه قال « مات لصالح بن عبيد القدوس ولد ، فعفى إليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتنع له مرآة محترفاً ، فقال أبو الهذيل « لأعرف لجربك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزروع » فقال صالح « يا أبا الهذيل إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال أبو الهذيل « وما كتاب الشكوك ؟ » قال « كتاب وضعته من قرأه شك وما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان » فدل له النظام « فشك أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب وإن لم يكن قرأه » فخصر صالح وكان مذهبه مذهب السوسطائية فأنهم يزعمون أن الأشياء لاحقة لها ، وإن ما نسبته يجوز أن يكون على ما نشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده ، وأن حل البقطان كحال النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنه ست وثلاثون سنة .

(٦) الكندي - يعقوب الكندي من كبار فلاسفة الاسلام - انتقل إلى بغداد واشتغل بفن الأدب ، ثم بعلم الفلسفة - وحل مشكلات الأوائل وله مؤلفات رائعة - وهو مشهور بالبديل ، وكان يقول : من شرف البعل أنك تقول للسائل « لا » ورأسك مرفوع إلى فوق ، ومن ذل العطاء أنك تقول « نعم »

بِهِ الدَّقَائِقَ ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفُ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْقَارِ تَوَلِيدُكَ
وَأَبْنِدَاغُكَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى ^(١) بَارِي أَقْلَامِكَ ، وَمَسْهَلُ ^(٢) بَنِّ هَارُونَ مُدَوِّنُ
كَلَامِكَ ، وَعَمْرَوُ بْنُ بَجْرٍ ^(٣) مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) مُسْتَقْتَبِكُكَ ، وَأَنَّكَ الَّذِي
أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّدَ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ ^(٥) ،

وأنت مشير برأسك إلى أسفل ، ومؤلفاته كثيرة منها (أنسام العقل الانسى) وكتاب (الجوامع الفكرية) وكتاب (الفلسفة الأولى) وغيرها .

(١) عبد الحميد بن يحيى - هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب المشهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة بعد الحميد ، وختمت بابن العميد » ، وكان في أول نشأته معلماً صديان بالكوفة ، فلما اتصل بمروان الجعدي قبل أن يصل إلى الخلافة صحبه وانقطع إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وأصحابه لإعبد الحميد ، فقال له مروان « لم لم تسجد ؟ » فقال « ولم أسجد على أن كنت معنا ططرت عنا يعنى بالخلافة » فقال « إذن تطير معي » قال « الآن طاب السجود » وسجد وطل كاتب مروان طول خلافته .

(٢) سهل بن هارون - من أهل نيسابور - رحل إلى البصرة فحسب إليها وكان شهمويًا ، واشتهر بالجلل . قال الجاحظ : أتى رجل سهل بن هارون فقال : « هب لي ما لا ضرر به عليك » قال : « وما هو يا أحمى ؟ » قال : « درهم » قال : « لقد هوأت الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يهوى ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم ، ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم الذي وهبته ، وهل يبيت الأموال إلا درهم على درهم » قال : « فاهرب الرجل ولولا انصرافه لم يسكت » وحكى دعبل الخزازي قال : « أقبنا يوماً عند سهل بن هارون وأطالنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بعدائه فأتى بصحفة فيها مرق نخع ديك هرم فأحسد كسرة . وتقدم ما في الصحفة فلم يجد رأس الديك فيق مطرفاً ثم قال لادم : « أين الرأس ؟ » قال : « رميت به » قال : « ولم ؟ » قال : « لم أطلك تأكله » قال : « ولم طلت ذلك ؟ فوالله إني لأمقت من يرمى برحله ، فكيف برأسه ؟ والرأس رئيس يتفاد به ، وفمه الخواص الحمة ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه ذرق الذي يتبرك به ، وعينه التي يعصر أسعائها المثل ، ودماغه عجيب لوحج السكابة ، ولم أر عظماً قط أهش من رأسه فان كان بلغ من خبائك أن لا تأكله فعدنا من يأكله ، أما علمت أنه خير من طرف الحماح والساق ، انظر أين رميته فقال : « والله ما أدري » قال : « لكى أدري أنك رميته في بطنك » .

(٣) حمزة بن بجر - ذو السكائب المشهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وهو من يفخر به البيان المرنى حتى قيل : « مما فضل الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على غيرها من الأمم : حمزة بن الخطاب في سياسته ، والحسن الصبرى في علمه ، والجاحظ في بيانه » - نشأ ببغداد وتلمذ على الزنزام واتفرد بحسن البيان والفصاحة ، وأحبابه مشهورة في كتب الأدب فلا داعي للإفاضة فيها -

(٤) مالك بن أنس - هو صاحب المذهب المشهور .

(٥) الماهية - ماهية الشيء . ما يحصل في الدهن من صورة كناية مطابقة له بعد حذف الشخصيات عنه إن كان حزيناً . قالوا : وهى أحد حدود العلم عند الحكماء . فان العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم (ما) وعلم

وَنَظَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ ^(١)، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ، وَفَكَ الْمَعْمَى ^(٢)، وَفَصَلَ
بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى، وَصَرَفَ وَقَسَمَ، وَعَدَلَ وَقَوَّمَ، وَصَنَّفَ الْأَسْمَاءَ وَالْأَفْعَالَ،
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ، وَثَنَى وَتَعَجَّبَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ،
وَتَنَّى وَجَمَعَ، وَأَظْهَرَ وَأَضَمَرَ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ،
وَبَحَثَ وَنَظَرَ، وَتَصَفَّحَ الْأَدْيَانَ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغِيلَانَ ^(٣)، وَأَشَارَ
بِذَنْجِ الْجَمْعِ ^(٤)، وَقَتَلَ بِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ، وَأَتَكَ لَوْ شِدَّتْ خَرَفَتِ الْعَادَاتِ، وَخَالَفَتِ
الْمَعْهُودَاتِ، فَأَحْلَتِ الْبَحَارَ عَذْبَةً، وَأَعَدَّتِ السَّلَامَ رَطْبَةً ^(٥)، وَنَقَلَتْ غَدًا فَصَارَ

(كيف) وعلم (كم). فالعلم الذي طلب منه ماهيات الأشياء هو العلم الالهي، والذي يطلب منه كيفيات
الأشياء هو الطبيعي، والذي يطلب منه كميات الأشياء هو الرياضي.

(١) الجوهر والارض: الجوهر - فيما يقولون - هو الجسم، كالاسنان والعرس والحجر ونحو ذلك.
والارض الحال وانصب المتعاقب عليه كالألوان من بياض، وسواد وحمر، والحركات المختلفة من قيام وقعود
وانطجاع، وجميع ما عدا الجوهر فاسم الارض واقع عليه.

(٢) ولك المعنى - وهو اللغز، ارجع إلى « ص ٢٨٤ »

وكان الجاحظ يقول « ليس للمعنى شيء قد كان كيسان مستعمل أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال، ويكتب
خلاف ما يسمع، ويقرأ خلاف ما يكتب، وكان أعلم الناس باستخراج المعنى - دلوا: « وكان النظام على
قدرته على أوصاف العلوم - لا يقدر على استخراج أحف ما يكون من المعنى ».

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذي تمسب إليه المانوية وهو ثوبى - نسبة إلى الاثنين - لزمه أن صانع العالم
اثنتان، أحدهما فاعل الخير وهو النور، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة، وهما قديتان لم يزا ولا
حساسين سمعيين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة، متصادان في الفعل والديور، فجوهر النور فاعل
حسن وير ونفسه خيرة قديمة نفاعه. منها الخير والمرور والصالح وليس منها من الشر شيء، وجوهر الظلمة
على ضد ذلك جميعه، وقد أشار المتنبي إلى هذا المذهب بقوله:

« وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب. »

وكان ماني راهباً بنجران. قالوا: « وكان مؤمناً بالمسيح معظماً من أسافنة الصاري، ثم وثى به حاسدوه
فأحدث ديناً ودعا إليه وتبعه كثير من الجوس. »

وغيلان هو ابن يونس القندري الدمشقي. قالوا كان أبوه مولى لعثمان بن عفان، وكان غيلان أول من تكلم
في القدر، وخلق القرآن في الاسلام في رأى بعض المؤرخين.

(٤) الجمعد - هو مولى بني الحسكم وكان يعلم مروان بن محمد الجمعدى ويقطن دمشق وينسب إليه بعض
المؤرخين أنه أول من تكلم بخلق القرآن.

(٥) السلام: الحجارة الصلبة.

أَمْسَا ، وَزِدْتَ فِي الْعَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا ^(١) ، وَأَنْتَ الْمَقُولُ فِيهِ :

« كُلُّ الصَّيْدِ ^(٢) فِي جَوْفِ الْفَرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ ^(٣) . »

وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي تَمَّام :

« قَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا - عَلَى مَا فِيكَ - مِنْ كَرَمِ الطَّبَاج . »

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّب :

« ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَاتِهَا . »

فَكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ^(٤) ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ ^(٥) ، وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ^(٦) ،

وَلَمْ تَجِدْ لِرِيحٍ مَهْزًا ، وَلَا إِشْفَرَةً حَزًّا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) العناصر : هي في رأى القدماء أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٢) كل الصيد في جوف الفرا - مثل يضرب في وصف الشيء المربى على غيره فالوا : « وأصله أن قومًا خرجوا للصيد فصاد أحدهم طيًّا وآخر أرنبًا وآخر فرا ، وهو الخمار الوحشي ، فقال لأصحابه : كل الصيد في جوف الفرا - يعنى أن جميع صيدهم يسير في جنب ما صدته ، ورعم بعضهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر :

« وواد كجوف العير قعر قطعته »

فليس من هذا وإنما أراد الوادى المعروف بجوف حمار ، وحمار اسم رحل قديم كان في واد خصب فظلم عشيرته ، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقت ، وأحرقت الوادى فخلفا وسكنته الجن فليل : أحلى من جوف حمار ، وحجب يوماً أبو سفيان بن حرب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أذن له فقال : « يا رسول الله ما كنت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجاهلين » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا سفيان

كل الصيد في جوف الفرا » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نواس في مدح الفضل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم - عصمت في غير موضع للعص ، وهذا المثل يضرب لمن يطلب ما يعجز عنه .

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« ولو ناراً نفخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في رماد »

لقد أسدعت لو ناديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادى . »

(٦) يشير إلى قول المتنبي لسيف الدولة معرضاً بأبي دراس :

« أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشعب فيمن لمه ورم . »

وَتَمَنَيْتَ الرُّجُوعَ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ ^(١) ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ ^(٢) مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ . » وَأَنْشَدْتُ :

« عَلَى أَنِّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ ^(٣) »

وَنَحَزْتُ ^(٤) وَبَسَرْتُ ^(٥) ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَفْتُ

وَأَزَعَدْتُ ^(٦) وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْ لَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَاللِّصِّيَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالٍ ^(٧) الدَّمُسْتُقِ ، وَالنَّعْلُ ^(٨)

(١) خفي حنين — مثل يضرب لمن يرجع بالحيلة — وكان حين دima يقولون إسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفين ولم يشد منه شيئاً فناظله ذلك فخرج عليه وعلق أحد الحفبين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الآخر وكن ، فجاء الأعرابي فرأى أحد الحفبين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بخفي حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه » ثم تقدم قليلاً فرأى الحف الآخر مطروحاً فزل وعقل بعيره فأخذه ورجع ليأخذ الأول فخرج حنين من للمكس وأخذ بعيره وذهب ورجع الأعرابي إلى أخيه بخفي حنين .

(٢) لقد هان من بال عليه الثعالب — شطريت هو :

« أرب يبول الثعلبال برأسه — لقد هان من بال عليه الثعالب . »

قاله رجل من بني سليم كان يعبد صنماً ، فرأى ذات يوم ثعلباً يبول على الصنم فكسره وأنشد هذا البيت وذهب إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — فأسلم .

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة رثاء ، منها قوله :

وقلت : « أئحى » قالوا « أغذوقابة » ؟ فقلت لهم : « إن الشكول أقارب »

وإن باعدتنا في الأصول والمناسبي

عجبت لصبري معه — وهوميت — وكنت امرءاً أبكى دماً وهو غائب

على أنبا الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب . »

(٤) نحزت — التخيز صوت الأنف عند الغضب .

(٥) والبسر — الاستعمال بالشيء ، قبل أوانه . وهو في قوله تعالى : « عبس وبسر » معناه أظهر

العبوس قبل أوانه . (٦) الأبراق والأرصاد — كناية عن الهيد وأصلها من البرق والرعد. قال الشاعر :

« فقل للسبا : أراعدى وأبرق — فانا وصلنا إلى المنزل . »

(٧) أى فعلت بهذه المرأة التي أرسلتها رسولاً من قبلك — لولا حرمة الصيافة — فعل سيف الدولة بالدستق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد هزمه سيف الدولة وأشار للنبي إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل هذه — كنت إليه في قذال الدستق . »

(٨) مثل تضربه العرب وقد ضمنه أحد الشعراء قوله :

« إن عادت القرب عدنا لها — وكانت النمل لها حاضرة . »

حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتْ الْعُقْرُبُ ، وَالْعُقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ ، وَهَبَهَا لَمْ
تَلْحِظْكَ بَعِيْنٌ كَلِيلَةٌ عَنْ عُيُوبِكَ ، مِلْؤُهَا حَبِيْبُهَا ^(١) ، حَسَنٌ فِيهَا ^(٢) مَنْ تَوَدُّ
وَكَاثَتْ إِيْمَا حَلَّتْكَ بِحِلَاكَ ، وَوَسَمَتْكَ بِسِيْمَاكَ ، وَلَمْ تُعِرْكَ شَهَادَةً ، وَلَا
تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنَّ بَكْرِيْهَا فِيمَا ذَكَرْتُهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ
الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ ^(٣) بِمَا نَسَبْتُهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتَ بِهِ
عَلَيْكَ ، فَلَمَعَيْدِي ^(٤) تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِيْنُ الْقَدَالِ ^(٥) ، أُرْعَنُ ^(٦) السَّبَالِ ، طَوِيْلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَاوَةِ ^(٧) ، مُفْرِطُ الْحُمُقِ
وَالْعَبَاوَةِ ، جَانِي الطَّنْعِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَعْضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيْفُ الذَّهَابِ
وَالْجِيْئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتَنِّ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيْرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُوْرُ الْمَثَالِبِ :

(١) إمسارة إلى قول اشعرون :

« أَهَابَكَ إِحْلَالًا ، وَمَابَكَ قُدْرَةً عَلَى ، وَلَكِنْ مَلَأَ عَيْنَ حَبِيْبِهَا . »

(٢) في هذا إمسارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

وَأَقْسَدُ قَالَ لَجَارَاتِهَا وَتَعَرَّتْ - ذَاتَ يَوْمٍ - تَبْرَدُ

أَكْمَا يَبْعَثِي تَبْصِرِي - عَمَرَكَ اللَّهُ - أَمْ لَمْ يَقْتَصِدْ؟

فَتَصَاحَكُنْ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا : « حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ . »

(٣) الهباء : القطران ، والبق : الجرب ، وهذا المثل يعرب لمن يصعب الأمور في مواضعها ، وهو نصف

بيت لأبريد بن الصمة في الخمساء وهو :

« مَتَدَلَا تَبْدُو مَحَاسِمُهُ يَصْعَقُ الْهَبَاءُ مَوَاضِعَ النُّقَبِ . »

(٤) مثل يعرب لمن يكون مشبه خبيراً من منظره . فله النعمان لشقة بن سمره ، وكان يعجبه ما يسمع

عنه ، فلما رآه استرعى منظره ، فقال النعمان : لأن تسمع بالمعدي خير من أن تراه .

وقال له : « أُنِيتَ أَلْعَمَ لِأَنَّ الرِّجَالَ لَيْسُوا بِمُحَرَّرٍ ، وَإِنَّمَا يَعْيشُ الْمَرْءُ بِأَسْرِيَةِ دَلْبِهِ وَلِسَانِهِ . »

(٥) القمدال - جماع مؤخر الرأس ، وهجين القدال : أي خسيس الأصل . دلوا : « لأن الذي يعرف

لَوْحِ نَسَبِهِ إِذَا وَلِيَ طَاطَأَ رَأْسَهُ حَيَاءً وَدَلَا ، دَكَاثُ الْإِثْمِ يَتَيْنِ مِنْ فِدَالِهِ » وقيل « بل لكثرة انهزامه

في الحروب . »

(٦) أرعن : أحمق ، والسال : جمع سبله وهي شعرة الشفة العليا وخصلت الرعونة بالأشباع لعلامة الرجل .

(٧) العلاوة - الرأس مادام على العنق ، وفي الدراسة أن طول العنق والرأس من دلائل الخفانة .

كَلَامُكَ تَمَّتْ ، وَحَدِيثُكَ غَمَمَتْ ، وَيَا بُنَاكَ فَهَفَهَتْ ، وَضَحِكَكَ فَهَقَهَتْ ^(١) ،
وَمَشِيكَ هَرَوَلَتْ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ مَحَرَقَةٌ ^(٢) :
« مَسَاوِي لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَايِي - لَمَا أُهْرِنَ إِلَّا بِالْأَطْلَاقِ ^(٣) »

حَتَّى إِنْ بَاقِلًا ^(٤) مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرْنَ بِكَ ، وَهَبَّتْكَ ^(٥) مُسْتَوْجِبٌ لِأَسْمِ
الْعَقْلِ إِذَا أَضِيفَ إِلَيْكَ ، وَطَوَيْسًا ^(٦) ، مَا تُورُّ عَنْهُ يُمِنُّ الطَّائِرُ إِذَا قِيسَ عَلَيْكَ ،
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْيَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْخَيْيَةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَمَكٌ
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْ مَكَ لِكَرْبِي كِفَاءً ، وَضَعْتَكَ لِشَرَفِي وَفَاءً ، وَأَنْتَ
جَهَلْتُمْ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَاءِ ،
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) دال الحاحط - التهمة : التردد في الباء ، والفاء : التردد في الفاء ، والعللة : البواء اللسان عند
إرادة الكلام ، والحسنة تعذر الكلام ، واللفظ : لإدخال حرف في حرف ، والرتبة تمنع الكلام ، فإذا
حاء منه شيء اتصل ، وقبل العجمة فيه ، والثمة أن يعدل من حرف إلى حرف ، والغنة أن يشرب الحرف
صوت الحيشوم والحنة أشد منها ، والاسكة أن يعترض الكلام حرف أعجبي ، والطمطمة أن يكون
الكلام شبيها بالعجمي .

وأما الغممة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف - المفهمة : المي في البطي ، والفقهمة :
الضحك الشديد يستدلون به على قلة العمل .

(٢) الهرولة : بين المني والعدو ، والمسألة : الفقر ، والمحرمة : نوع من الحرق ، الذي هو ضد الرق ،
ومنه يقال : المحرق وهو شيء يلبس به كأنه يخرج لاطهار الشيء بجلافه .
(٣) البيت لأني تمام . (٤) باقل : مضرب المثل في المي .

(٥) هبة : مضرب المثل في الحال وضعف العقل - قولوا : ووقع قدراً في عنه علامة لمسه لثلا يضيع
قالوا : وراقه أخوه إلى أن نام ، فأخذ القعد من عنقه وجعله في عنق نفسه ، فلما انتبه هبقة ورأى أخاه ،
قال « أنت أنا ، وأنا ياترى ، من هو أنا » وهو جاهلي .

(٦) المعنى المباح المشهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من غي بها على الدف بالعربية ، وبضرب به
المثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وولد يوم مات أبو بكر ، وحين يوم
فل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكانت أمه تسمى بالنجمة بين نساء الأنصار ، ونوادير شؤمه كثيرة
مشهورة في كتب الأدب .

لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتُ : « الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلَتْ ^(١) :
« أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟ »

وَذَكَرَتْ أَنِّي عَلِقْتُهُ لَا يَبَاعُ ^(٢) يَمْنَنُ زَادَ ، وَطَائِرُهُ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضُهُ
لَا يُصِيدُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِيَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ
لِلتَّرْفِيَةِ ! وَلَوْ لَا أَنَّ جُرْحَ الْعَجْمَاءِ جُبَارُ ^(٣) ، لَلَقِيتَ مِنَ السَّكَوَاعِبِ مَا لَاقَى
يَسَارُ ^(٤) ، فَمَا هَمَّ إِلَّا بِبَعْضِ مَا بِهِ هَمَمْتَ ، وَلَا تَعَرَّضَ إِلَّا لِأَيَسَرِ مَالِهِ
تَعَرَّضْتَ ، أَيْنَ ادَّعَاؤُكَ رِوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟
أَمَّا ثَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بُؤْدَارِمِ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَاهَا الْحَبِطَاتُ »

(١) البت لعمر بن أبي ربيعة ، وعمر ك الله بالنصب وبها لأنه لم يرد القسم ، وإنما أراد سألت الله أن
يطيل عمرك (بالفتح) أي حياتك ، وبعده قوله :

« هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى . »

(٢) الملقى : النفيس وهو من قصيدة للحريث بن فضالان التميمي كانت له فرس اسمها — سكاب — فأراد
بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال :

« أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا تمار ولا تباع »

مفسدة مكرمة عاينا تجاع لها العيال ، ولا تجاع

فلا تطعم أبيت اللعن فيها ومنعكها شيء يستطاع . »

(٣) العجماء : البهيمة ، والحبار : الهدر ، والمعنى : أن البهيمة إذا جرحت لادية لها ولا قصاص ،
وهو مثل يضرب ، لمن يستهان به .

(٤) يسار : اسم عبد دميم أسود كان النساء يرينه فيضحكن منه لبعجه ويمسهن لذكته
معجبات به حتى نظرت إليه بنت مولاة فضحكت فظن أنها رضيت له ، فقال لصاحب له أسود : « قد
والله عفتني مولاتي ، فلا تزورني الليلة » فقال له صاحبه « يا يسار ، اشرب لبن العشار ، وكل لحم الحوار
وإياك وبنات الأحرار » فقال له « والله ما رأيتني حرّة إلا عفتني » فلما أمسى قال لصاحبه « احفظ على
الابل حتى أنصرف ، وأهود إليك » فنهاه فلم ينته حتى دخل على بنت مولاة يرادوها عن نفسها ، فقالت
له « مكاك فان للحرائر طيباً ، أشمك إياه » فقال لها « هاتيه » فأنته بطيب وموسى قاطعة ، فأشتمته
الطيب ، ثم أنعت بالموسى على هنة فقطعته ، فخرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، فضرب به المثل .

وَهَلَّا عَشِيتَ وَلَمْ تَغْتَرَّ ؟ وَمَا أَشْكُ أَنْكَ تَكُونُ وَافِدَ الْبَرَّاجِمِ ^(١) ، أَوْ
تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَمَسِّسِ ^(٢) ، أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجُهَنِيِّ ،
إِذْ جَاءَهُ خَاطِبًا فَدَهَنَ أُسْتَهُ بَزَيْتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّمْلِ ، وَمَتَى كَثُرَ تَلَاقِينَا
وَاتَّصَلَ تَرَايِنَا ، فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَادَعًا ابْنَةَ الْحَسِّ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ ^(٣) ،
وَقُرْبِ الْوِسَادِ ؟ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ ^(٤) قَانُكْسِحَ فِي جَنْبٍ ^(٥) ؟ أَوْ عَصَلَنِي
هَمَامُ بْنُ مَرْةٍ قَاؤُولَ : « رَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ ؟ »

وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَغْتَ هَذَا الْمَبْلَغَ لَأَرْتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْخِطَّةِ ، وَلَأَرَضَيْتُ بِهِ هَذِهِ الْخِطَّةِ ،
قَالَتَارُ ، وَلَا الْعَارُ ، وَالْمَنِيَّةُ ، وَلَا الدَّيْنَةُ ، وَالْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَيْئِهَا ^(٦) :

(١) وافد البراجم : هو رجل من بني تميم — والبراجم حمى من أولاد حنظلة — والعرب تقرب المثل بوافد
البراجم لأن عمرو بن هند أحرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لأنار له عندهم ، وكان قد آلى أن يحرق
منهم مائة فينبا هو يلمس بقية المائة إذ مرَّ رجل اسمه عمار فاشتم رائحة القنار فظن أن الملك اتخذ طعاماً
ضدَّ إليه فقبل له « من أنت » فقال : « أنا وافد البراجم » فألقى في النار .

(٢) شاعر جاهلي وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فنادماه وبينما طرفة
يعرب يوماً معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو ، فراها طرفة فقال : « ألا بأبي الطي
الذي يترق شفتاه ، ولولا الملك القاعد ألثي فاه » فسمعها عمرو فأسرعا في نفسه وهم يقتله ، ولكنه خاف
من هجاء المتلمس ، فكتب لها كتابين إلى حامل البحرين ، وقال : « إني كتبت لكما بصلة فاقبضها
من حامل البحرين » فخرجا من عنده بالكتابين ، وصرَّ المتلمس بنلام من أهل الحيرة ، فطلب إليه أن يقرأ
كتابيه فإذا فيه « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه » فأقبل على طرفة فقال « والله لقد كتب لك
بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى الغلام يقرؤه » فقال : « كلا ما كان لي جترى على قومي بمثل هذا » فألقى
المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وذهب طرفة فقتل .

(٣) ابنة الحسن امرأة جاهلية زنت ببعد لها ، فلما قرعوها وعيروها بفعلتها ولاموها عليها قالت لهم مفتخرة :
« لقد حملني على ذلك قرب الوساد ، وطول السواد » وهي تعني بطول السواد : طول السرار ، وفي الحديث :
« السواد من السحر » تقول : سادته أى ساررتة ، أنظر « ص ١٩٨ » (٤) حتى من تغلب .
(٥) حمى من البين ، وهو من شعر مهلهل التخلي حين هرب وطالت عليه حرب البسوس فزل في طريقه
على حمى من البين فخطبوا إليه ابنته فساقوا للمهر وهو جلود من آدم وغصبوه على الزواج فقال :

« أعزز على تغلب بما أقيت أخت بني الأكرمين من جيش

أنكحها قدحها الأراقم من جن ب وكان الحباء من آدم

لوباً بأبائين جاء خاطبها ضرج ماأنت خاطب بدم .

(٦) هذه أمثلة لمن يفضل الهلاك على قبح الاحدوته .

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنَكَحَ^{*} وَفَتَيَانِ هَزَّانِ الطَّوَالِ الْغَرَانِقَةِ^(١)

مَا كُنْتُ لَا تَخْطِي الْمَسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْطِي التَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَإِنَّمَا
يَنْتِمُّ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً ، وَيَرْعَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجَمِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّعْبَ
مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَمَلَّكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ
مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرَيْنَحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمْ الْكَوَاكِبُ غُلُوْهُمُ
هِمُّ ، وَالرِّيَاضُ طَيْبُ شَيْمٍ :

«مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ^(٢) مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارِي^(٣)»
حَنْ قَدَحُ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتَى تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוُ
عَمِرُوا فِيهِمْ ، وَكَالْوَشِيظَةِ^(٤) فِي الْعَظَمِ يَنْتَمُّهُمْ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَغْتَ قَعْرَ
تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ، وَعَظَّرْتَ أَرْضَانِكَ ، وَجَرَرْتَ هِمَّيَاكَ ،
وَاخْتَلَمْتَ فِي مِشْيَتِكَ ، وَحَدَفْتَ فُضُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ،
وَمَطَّطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَقَّقْتَ خَطَّ عَذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءُ
الْأَكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْأَعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ
اسْتِكَ الْخَفَرَةِ^(٥) ، وَآلَهُ لَوْ كَسَاكَ مُحَرِّقُ الْبُرْدَيْنِ^(٦) ، وَحَلَمْتَكَ مَارِيَةً^(٧) بِالْقُرْطَيْنِ
وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْصَامَةَ^(٨) ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ^(٩) ، مَا شَكَكَتُ فَيْكَ ،

(١) اسم قبيلة - والعراصة الشباب ، والاب للأعشى .

(٢) البيت للمرندس أحد بني بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم - يقال فلان وشيلة في قومه أى حشو فيهم .

(٤) مثل بصير لمن يذنب أسرا فيجطه ولا يناله . (٥) انظر ص « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر الساسي - وقد أهدت قرطها إلى الكعبة .

(٧) انظر ص « ٢٠٧ - ٢١٠ »

(٨) فرس الحارث بن عباد النخعي من سادات بني وائل .

وَلَا سَتَرْتَ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتَ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِيَتِهِمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ
وَالْحَسَبِ، وَجَارِيَتِهِمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى يَنْتِ
قَمِيدَتِهِ لِكَاعٍ ^(١)؛ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبُ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْفَرِدُ بِهِ يَمِّنُ
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقَلِّ الْأَخْسَ مِنْهُ، وَكَمْ يَبْنِي مَنْ يَعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَيَّ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَيَّ، وَيَبْنِي آخَرَ
قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ، وَزَحَحَتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسَوْهُ الْكَيْلَةِ ^(٢)، وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا
الْغُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَنْتِ سُلُوبِي ^(٣) :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلْمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحَرِصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ ^(٤)
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبِعَ بِذَلِكَ عَلَى ظِلْعِكَ، وَلَا تَكُنْ
بِرَاقِشٍ ^(٥) الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَزَّ السُّوءُ الْمُسْتَشِيرَةَ لِحِفْهَافِهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ
بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ ^(٦)، وَبِكَ لَا بِظَايٍ أَغْفَرُ ^(٧)، أَعْذَرْتَ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا،
وَأَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ^(٨) .

(١) القميدة : الروحة ، واللكاع : الشيعة ، واليب للخطيئة يقول :

« أطوف ما أطوف ثم أوى إلى بيت قميدته لكاع . »

(٢) مثل يصبر في الحزين السجين يجتمعان . فالوا أنه لعبرو بن معديكرب ، والحشف أردأ التمر ،
والكيلة مصدر يدل على الهيئة .

(٣) وهي امرأة من سلول ، وهو مثل فاله عامر بن الطويل عند ما تواعد النبي - صلى الله عليه وسلم -
فدعا عليه وقال : اللهم اكفني عامرا بما شئت ، فظهر في رقبته غدة مات معها وجعل يقول : « غدة كفدة
البعير ، وموت في بيت سلولية . » (٤) الدب لأبي العباسية . (٥) يشير إلى المثل (جنت
على أهلها رافشي) (٦) الدب . (٧) مثل يضرب للشماتة بالرجل - أي نزل بك المكروه ولا
نزل بطني ، والأعفر الذي لونه لون الراب . (٨) يشير إلى قول المعري :

« لقد أسمعتم لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي »

ونار لو نعت بها أضاف ولكن أنت تفتح في رماد .

ولعله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن معديكرب .

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي ^(١)
وَأِنْ بَادَرْتَ بِالْتَّدَامَةِ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ
الْعَاقِبَةَ لَكَ بِالْعَاقِبَةِ مِنْكَ، وَإِنْ قُلْتَ جَمْعَةً وَلَا طَحْنَ، وَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ ^(٢)
الرَّاعِدَةِ، وَأَنْشَدَتْ :

« لَا يُؤْسِنُكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ قَوْلُ تَعْلَظُهُ وَإِنْ جَرَحَا ^(٣) . »

فَعُدْتَ لِمَا نَهَيْتَ عَنْهُ، وَرَجَعْتَ مَا اسْتُعْفَيْتَ مِنْهُ، بَعَثْتُ مَنْ يُزْجِجُكَ إِلَى
الْخَضِرَاءِ ^(٤) دَفْعًا، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكَرَّهَا وَصَفْعًا، فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبَثَ
أَكَارُوهَا ^(٥) بَكَ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ، فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعَوَّجَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ،
وَمِنْ فُجْلَةٍ مُنْتَنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خُصَّكَ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ، لِتَذُوقَ وَبَالَ
أَمْرِكَ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى ^(٦)

(١) وهما مثلان يضربان في التحذير، وقد نظمهما الحارث بن ودة البشكري، وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال:

« أَتَقْتُلُ سَادَتَنَا بِالْأَثَرِ — إِلَّا لَتَوْهِنَ قُوَّةَ الْعَظَمِ
وَوَطَنُنَا وَطَلًا عَلَى جَنْفٍ — وَطَهُ الْمَقِيدَ نَابِتَ الْهَرَمِ
وَزَعَمْتُ أَنَا لَا حُلُومَ لَنَا — إِنْ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ
لَا تَأْمَنُ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ — وَبَدَأْتَهُم بِالشَّرِّ وَالْغَنَمِ
إِنْ يَأْبُرُوا تَحْتَ لَعْنِهِمْ — وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي
الْآنَ لِمَا أَيْمَسَ مَسْبِقِي — وَعَضَعْتَ مِنْ نَابِي عَلَى جَذَمِ
تَرْحُو الْأَعَادَى أَنْ أَصَالُهَا — جَهَلَا تَوْهَمَ صَاحِبِ الْكَلَمِ
قَوَى هَمَّ قَتَلُوا أَيْمَ أَخِي — فَإِذَا رَمَيْتَ بِصَيْبِي سَهْمِي
فَلَنْتُ غَفَوْتُ لِأَهْلِي جَلَا — وَلَنْ أَصِيبَ لِأَوْهَنَ عَظْمِي . »

(٢) الجمعية: صوت الرحي، والطحن: الدقيق، والصلف: قلة الخير والبركة، وسحاب صلف: أى قليل الماء كثير
الرد، وهما مثلان يضربان لمن يتوعد من غير أن يعمل . (٣) هذا البيت لبشار بن برد — وبعده قوله :
« عَسَرَ النِّسَاءُ إِلَى مِيسَرَةٍ وَالصَّبْرُ يَرْكَبُ بَعْدَ مَا جَعَا . »

(٤) الناحية: المزروعة من البلد، والوكر: ضرب الظهر مع الدفع أو الضرب مجتمع اليد على الذقن .
(٥) الأكارون: الزارعون. (٦) البيت للعتبي — من قصيدة في ذم كافور الأخشيدي وهجائه، ومنها قوله:

« وَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَفِ — بِأَنْ الرُّؤُوسَ مَحَلَّ النَّهْيِ
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ — وَجَدْتُ النَّهْيَ كَمَا فِي الْخُمِيِّ
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَصْنَانِهِمْ — فَا مَّا بَرَقَ رِيَا حُفْلَا . »

الرسالة الجدية لابن زيدون^(١)

« كتبها لابن جمهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَادِي بِهِ ،
وَأُمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْعَزْمِ ، وَارَى زَنْدٍ^(٢) الْأَمَلِ ، ثَابِتَ
عَهْدِ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسَ نِعْمَائِكَ ، وَعَظَّمْتَنِي مِنْ حُلَى
إِنْسَانِكَ ، وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ^(٣) إِسْمَاعِيكَ ، وَنَقَضْتَ بِي كَفَّ حَيَاطَتِكَ ،
وَعَضَضْتَ^(٤) عَنِّي طَرْفَ^(٥) حِمَايَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ،
وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَاءِي عَلَيْكَ^(٦) ، وَأَحَسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِحْمَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوْ
قَدْ يَعْصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهِ الْمُسْتَشْفَى بِهِ ، وَيُؤْتِي الْحَذِرُ مِنْ
مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى فِي أُمْنِيَّتِهِ^(٧) ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ
الْحَرِيصِ^(٨) :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُو غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ
وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ ، وَارَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ^(٩) ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « ص ٤٩ » (٢) الزند : الزناد ، وورى الرند هو اقتداحه وحروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) غضضت : حفضت .

(٥) طرف : عين . (٦) يشير إلى قول المتنبي :

« أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْنَى وَأَسَمِعْتُ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَمَمٌ . »

(٧) فيما يؤمله ويتمناه .

(٨) الحين : الهلاك ، والجهد : الطائفة ، وهذا مثل من أمثال العرب « مشهور . قال عدى بن زيد :

« تَدِيدُكَ الْمَطْلُ مِنْ حَطِّهِ - وَالْحَيْنُ قَدِيسِقُ جَهْدِ الْحَرِيصِ . »

(٩) يشير إلى قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أَرِيحُ - أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ - لَا أَتَضَعُّعُ . »

وقد تمثل به معاوية قبيل وفاته .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَذْمَاهَا سِوَاهُهَا ^(١) ، وَجَمِينَ عَضَّ بِهِ إِكْلِيلُهُ ^(٢) ، وَمَشَرَفِي ^(٣)
الْصَّقَّةُ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ ، وَسَمَهْرِي ^(٤) عَرَضَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ
بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ ^(٥) »
هَذَا الْعُتْبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ ^(٦) غَمْرَةٌ ^(٧) ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ
النَّكْبَةُ سَحَابَةٌ صَيِّفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ^(٨) ، وَلَنْ يَرِيْدَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ
أَبْطَأَ سَيْبُهُ ^(٩) ، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ ^(١٠) ، فَأَبْطَأُ الدَّلَاءُ فَيَضَا
أَمْلُوْهَا ^(١١) ، وَأَثْقَلُ السَّحَابِ مَشِيًّا أَحْفَلُهَا ^(١٢) ، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ ^(١٣)
جَذْبًا ، وَالَّذُ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَدِيًّا ^(١٤) ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوع من الخيل يلبس في الساعد ، وقريب من هذا قول المتنبي :

« بَوَكَمَ - وَمَأْثَرَتُهُمْ - يَدٌ لَمْ يَدْمَعْهَا إِلَّا السَّوَارُ
لَهَا - مِنْ قَطْمَةٍ - أَلَمَ وَنَفَسَ ، وَفِيهَا - مِنْ جِلَالَتِهِ - اِجْتَارَ . »

(٢) الأكليل : التاج . (٣) المشرق : السبب .

(٤) السمهري : الزمخ .

(٥) البت لأني تمام ، وقريب من هذا المعنى قول المعري :

« اضربوا يدك - تأدياً على رشت - ولا نقل هو طبل هو - غير شتم
ورب شق برأس جر مفعلة ، وقس على شق رأس السيف والقلم . »

(٦) النبوة : الجنوة . (٧) الدرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تنصرم . »

(٨) مثل عربي : يشير إلى أن العسر سيتبعه اليسر بعد قليل .

(٩) سيده : جوده أو عطاؤه . (١٠) غناؤه : خيره أو نفعه .

(١١) مثل عربي ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » وقد اشتق به الحريري في إحدى
مقالاته ، ومعناه إن أبطأ الدلاء في الصعود هي الدلاء المتلفة بالماء .

(١٢) أحفلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيا : الغيث أو المطر .

(١٤) الذليل : شدة العطش .

كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ ^(١) ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ ^(٢) :
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي سَرَرْنَ - الْوُف . »

* *

وَأَعُودُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعَهُ عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ ،
وَالتَّطَاوُلُ ^(٣) الَّذِي لَمْ يَسْتَعْرِفْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا ، فَأَيْنَ الْعَدْلُ ؟ أَوْ مُسِيئًا ، فَأَيْنَ الْفَضْلُ ؟ »
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ ^(٤)
حَنَانِيكَ ^(٥) قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ^(٦) ، وَنَالَنِي مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى ، وَمَا أَرَانِي
إِلَّا أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ ^(٧) فَأَبَيْتُ وَأَسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ ^(٨) :
« ارْكَبْ مَعَنَا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأُمِرْتُ

(١) اهتباله : اغنامه .

(٢) اغفاله : تواسيه وتعافله .

(٣) التَّطَاوُلُ : التكبر ، والتَّطَوُّلُ : التَّهْضُلُ ، والتَّحَامُلُ : التكيف بما لا يطاق ، والاحتمال : هو القدرة على التحمل .

(٤) البيت الأول للعتري ، والثاني مأخوذ من قول الشاعر :
« هبني طلوها ملتسه بمساعة قصاصا وأين الأحذايعز بالفضل ؟ » .

(٥) حنانيك : رحمتك وهو متى كلمة حنان .

(٦) الزبي : جمع زبية وهي الحفرة في مكان مرتفع لا يملؤه الماء تحفر لصيد الأسد ، فإذا وصل إليها السيل كان سيلًا عظيمًا لا عهد للأناس به ، وهو مثل يضرب للشيء يربى على عابه .

(٧) يشير إلى استكبار إبليس عن السجود لأدم حين أمره الله بذلك بعصاه وحقت عليه اللعنة ، وفضل نفسه عليه لأنه من ناز وآدم من طين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « سجدوا إلا لمبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

(٨) يشير إلى قصة نوح حين فاض الطوفان ، وركب السفينة هو ومن معه وحالفه ابنه وعصاه فهلك ، وقد أشار الكتاب الكريم إلى ذلك في قول نوح : « يا بئى أركب معنا ولا تكن من الكافرين » وقول ابنه : « ساوى إلى جبل يعصمى من الماء » .

بَيْنَاءِ الصَّرْحِ^(١) لَعَلِّي أُطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ^(٢) ، وَأَعْتَدْتُ فِي السَّبْتِ^(٣) ، وَتَعَايَيْتُ^(٤) فَعَقَرْتُ^(٥) ، وَشَرَبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتُلِي بِهِ جِيُوشُ « طَالُوتَ »^(٦) ، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ^(٧) ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ^(٨) ، وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعُقْبَةِ^(٩) ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعَيْرِ يَبْدُرُ ، وَأُخْذَلْتُ شِلْثَ النَّاسِ يَوْمَ أَحُدٍ^(١٠) ، وَتَحَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمُصْرِ فِي

(١) الصرح : القصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مذكورة في الكتاب الكريم حين قال : « يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً » .

(٢) يشير إلى عجل بني إسرائيل الذي عبده .

(٣) يشير إلى قصة بني إسرائيل حين نبوا عن الصيد في يوم السبت غالفوا ما نبوا عنه ، حتى بهم العذاب

(٤) تعاييت : أي قت على أطراف أصابع رجلي ورفعت يدي وضربت .

(٥) عقرت : قتل يقال عقر العير بالسيف أي ضربت قوائمه به وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح وذنب من عقرها ، وإلى الآية الكريمة : « فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقايها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها »

(٦) يشير إلى الذنب الذي اقترفه حيش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إِنَّ اللَّهَ مَبْتَليكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ » وإسكن أكثرهم خاله وشرب منه فوقعوا في الاثم ، قال أبو العلاء :

« سقيا لدحة الدنيا مفرقة حتى يعود اجتماع النجم تشنينا

وبعدها لأريد الشرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا »

(٧) يشير إلى قصة أبرهة عامل اليمن من قبل النجاشي حين ذهب لهدم الكعبة ومعه الفيلة لعضبه تليها إذ بهي كيسة وصنماء اليمن ليحج إليها الناس بدل الكعبة فلم يبنوا بها وتموطر رجل فيها وأحرقها بعض تجار اليمن ، وغضب النجاشي من ذلك ، وأمر أبرهة عامل اليمن بدهمها والقصه مذكورة في الكتاب الكريم « ألم تر إلى ربك كيف قتل أصحاب الفيل * ألم تركبهم في تصليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول . » وقد أشار المعري إلى هذه القصة في لزومياته بقوله :

« حديث جاء عن قايي ل - في الدهر - وهابيل

وطير عكفت يوماً على الجيش أبابيل -

مضى نرحل عن دنيا تزيد العقل تخيلاً . »

(٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعلقوها في الكعبة يقررون فيها مقاطعة النبي - صلى الله عليه وسلم - وازابة الاسلام بعد أن رأوا اسلام عمر وحزرة الذي اعتنق بهما الدين .

(٩) نقض بيعة العقبة : مخالفة الاجماع والشذوذ عن : جة الصواب .

(١٠) يشير إلى واقعة « أحد » حين انخذل ابن سلول هو ومن معه من المنافقين ورجعوا بثلث الجيش .

بَنِي قُرَيْظَةَ ^(١) ، وَجِئْتُ بِالْإِنْفِكِ ^(٢) عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ، وَأَنْفَتُ مِنْ
إِمَارَةِ أُسَامَةَ ^(٣) ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ ^(٤) كَانَتْ فَلَئِنَّ ، وَرَوَيْتُ
رُحْمِي مِنْ كَتَبَةِ خَالِدٍ ^(٥) ، وَمَزَقْتُ الْأَدِيمَ ^(٦) الَّذِي بَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَصَحَّيْتُ بِالْأَشْمَطِ ^(٧) الَّذِي عُنُوَانُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَدَلْتُ لِقَطَامٍ ^(٨) .
« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمِّ »

(١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد عودته من غزوة
الحديق أن يصلوا المعمر في بني قريظة يعنى بذلك أن يسرعوا في الذهاب إليهم .
(٢) يشير إلى جريمة مسطاح وحسان في حادثة الافك ، وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين كانت عائدة من غزوة بني المصطلق ونزلت من الهودج لقضاء حاجتها وسار أصحاب الرسول
- صلى الله عليه وسلم - من غير أن يتفقدها عائشة ، وكانت قد تخلفت عن الركب ، ومرت بها صفوان
وكان متحلفاً عن الركب فأركبها على جملته ، ولما وصلا أشاع أعوان السوء عنها ماأشاعوه ، ثم برأها القرآن ،
وأظهر طهارتها ، وألجم أهل الافك والبهتان .
(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب إلى الشام
وإلى تعالى بعض المهاجرين ، وأنتهم من إمارته ، وغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وتبرعه
لإياهم ، وصودده المنبر وهو طاسب رأسه لمرضه .
(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أجدر بالخلافة من أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر
قد اختلسها لنفسه اختلاساً .

(٥) يشير إلى فك أبي شجرة السلمي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .
(٦) يشير إلى أديم «عمر» أي جلده الذي مرّقه أبو لؤلؤة المخوصي حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في رثائه :
« جزي الله خيراً من إمام ، وباركت يد الله في ذاك الأديم المرق » .
(٧) يعنى بالأشمت : عثمان بن عفان ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في رثائه :
« ضحوا بأشمت ، عنوان السجود به ، يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً » .
(٨) قطام : اسم امرأة أغرت عبد الرحمن بن ملجم ، فقتل علي ورفضته مهراً لها ، فأجبتها إلى ماطلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فلامر أغلى من علي - وإن غلا - ولا فك إلا دون فك ابن ملجم . »

وقد أشار البحترى إلى ذلك أبداع إشارة حين قال :

« ولا يحب للأسد إن طفرت بها كلاب الأحادي من فصيح وأنجم »

خربة وحشي سقت حمزة الردي ، وموت علي من حسام ابن ملجم .

وَكَتَبْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : « أَنْ جَعَجَعَ ^(١) بِالْحُسَيْنِ » وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ ^(٢) :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - بَيْدَرٍ - عَلِمُوا جَزَعَ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ »
وَرَجَعْتُ الْكَعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِذَ عَلَى الثَّنِيَّةِ ^(٣) ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَلَى -
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ - عِقَابًا .
« وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ ! »

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَمِيمةٌ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ ^(٤) ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ .
وَهُمُ الْهَمَّازُونَ الْمَشَاءُونَ ^(٥) بِنَعِيمٍ ، وَالْوِاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا
الْعَصَا ، وَالْعَوَاةُ ^(٦) الَّذِينَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا ^(٧) صَحِيحًا ، وَالسَّعَاةُ ^(٨) الَّذِينَ
ذَكَرَهُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَبَسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدِّقُ مُحَمَّدٌ إِلَّا مِنْهُمْ »
« حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ »
وَاللَّهُ ، مَا غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا أَخْرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ ^(٩) ، وَلَا
نَصَبْتُ لَكَ ^(١٠) بَعْدَ التَّشْيِيرِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَكْفَلْتُ بِهِ

(١) يشير إلى تحريض عبيد الله بن زياد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد اقتله وأعقبه شمر وأمر عبيد الله عمرو بن سعد أن يجمع له أي يصبق عليه الخناق .

(٢) وقعة الحرّة - يشير إلى ما فعله يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم لحاربه أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ إيراد ذلك تمثل بقول ابن الربري : « ليت أشياخي الح . »

(٣) يشير إلى رجم الحجاج الكعبة بالمنجنيق وصلبه عبد الله بن الربير وهو يعنيه بالعائد أي المنجنيق ، والثنية : طريق العتبة . (٤) الكاشح : العدو .

(٥) الهمارون : الذين يكثرون الهمر وهو العيبة ، والمشاءون : الذين يكثرون السمي بين الناس بالنميمة .

(٦) الفواة : جمع عاو وهو المسال . (٧) الأديم الجلد .

(٨) السعاة : الذين يسعون بين الناس بالفساد . (٩) الصاعية : صاعية الرجل خاصسته الدين

يصفون إليه ويفشون بجلسه . (١٠) ولا نصبت لك : عاديتك .

الثِّقَّةُ عَنْكَ ، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . فَفِيمَ عَبَثَ الْجَفَاءِ بِأَذْمَتِي ^(١) ،
وَعَاثَ الْعُقُوقُ فِي مَوَاتَاتِي ، وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي ؟ وَلِمَ ضَاقَتْ
مَذَاهِبِي ، وَأَكْدَتْ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَامَ رَضِيتُ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالْتَّمْلِيقِ . بَلْ
مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ^(٢) ؟ وَبَأَنَّ غَلْبَنِي الْمُغْلَبُ ^(٣) ، وَفَخَرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفُ ،
وَلَطَمْتَنِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ ^(٤) ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُفْتَرَسَ ، وَتُدْرِكَنِي
وَلَمَّا أُمِرْتُ ^(٥) ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ ^(٦) حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ
بِكَ ؟ وَتَقَطِّعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ
زَانَنِي قَدِيمُ خَدَمَتِكَ ، وَزَهَانِي وَنَسَمُ نِعْمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي
سِمَاطِكَ ^(٧) ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ عَلَى بَسَاطَتِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غَرًّا فَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَنَدَتْ - مَعَ اللَّيْلِ - أَجْمَا
ثَنَائِي يَطْلُ الرُّوضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضَمًّا ، وَيُخَالُ الْوُشْيُ فِيهِ مُنَمَّنًا »

(١) الأذمة : العهود والحرمان . (٢) رصبت من العيبة بالاياب : مثل ضرب في القناعة بالسلامة
قال امرؤ القيس :

« لَعْدُوتِي - الْآفَاقُ - حَقِي رَضِيبٌ مِنَ السَّيْبَةِ بِالْإِيَابِ . »

(٣) المغلب : أي الضعيف . قال الشاعر :

« فَاكْ لَمْ يَفْجُرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرٌ دَعِيفٌ وَلَمْ يَفَاكْ مِثْلُ مَلَبِ . »

(٤) في المثل « لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » ، يشير إلى ضعف المعتدي وحقارته والعادة أن السوار
لأنابه إلا الحرّة . قال الشاعر :

« بَلَاءٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ بِلَاءُهُ عِدَاوَةُ غَيْرِ دِي حَسْبِ وَدِينِ »

يبيحك منه عرساً لم يهره ويرتفع منك في عرض مصون .

وقال المعري : « خَفَ يَا كَرِيمُ عَلَى عَرْضِ قَعْرِهِ لَعَائِبٌ ، فَلَيْتَ لَا يِقَاسُ بِكَ

إِنْ أَلْزَجَا - لِمَا حَطَمْتَ - سَبَكَتُ وَكَمْ تَحْطَمُ مِنْ دَرِّ قَسَا سَبَا . »

(٥) وتدركني ولما أمرت : يشير إلى قول المتنبي العدي ، وقد اشتمه به عثمان بن عفان في كتابه إلى علي :

« فَإِنْ كُنْتُ مَا كُولا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَإِلَّا فَأَدْرِكَنِي وَلَمَّا أُمِرْتُ . »

(٦) الأكفاء : جمع كفاء ، وهو الذئب أي المثل .

(٧) السباط : الصف ، وقد مرّ بك قول ابن زيدون في ص « ١٤٤ »

« إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدَّسْتِ طَافِدُ حَوَّةٍ ، وَقَامَ سِهَاطُ مَغَاةٍ عَلَى الصَّدْرِ . »

أي صفا حقله .

وَهَلْ لِبَسِ الصَّبَاحِ إِلَّا بُرْدًا طَرَزَتْهُ بِفَضَائِكَ ، وَتَقَلَّدَتْ الْجَوَازِءُ إِلَّا عِقْدًا
فَصَلَّتْهُ بِمَآثِرِكَ ، وَأَسْتَمَلَى الرَّبِيعُ إِلَّا ثَنَاءَ مَلَائِكَةِ بَحَاسِنِكَ ، وَبَثَّ ^(١) الْمِسْكُ
الْأَحَدِيثًا أَدْعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ ؟ مَا يَوْمُ « حَلِيمَةَ » بِسِرٍّ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكْسُكَ
سَلِيمًا ^(٢) ، وَلَا حَلِيمَتِكَ عَطْلًا ^(٣) ، وَلَا وَسَمْتُكَ غُفْلًا ، بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا ^(٤)
فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ ، حَاشَ لَكَ أَنْ أَعِدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ^(٥)
وَأَكُونَ كَالذُّبَابَةِ ^(٦) الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ
- يَكْ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى ، وَلَعَمْرِي إِنْ صَرِيحَ الرُّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ ^(٧) إِذَا بَلَغْتَنِي
الْشَّمْسُ وَنَبَأَنِي الْمَنْزِلُ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ .
فَلَا أَسْتَوْطِنُ الْعَجْزَ ، وَلَا أَطْمَئِنُّ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :
« حَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ ^(٨) » وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ الْجَلَاءَ ^(٩) سِبَاهُ ^(١٠) وَالثَّقَلَةَ مُثَلَّةً ^(١١) :

(١) بَثَّ : نشر ، وقوله « ما يوم حليلة بسر » مثل يصر - في كل أسره - عالم مشهور ، وأصله أن
الخارث بن أبي شمر وحده حبشا إلى المنذر بن ماء السماء في العروة التي قتل فيها ، وأمر ابنته حليلة فأخرجت
لهم مركبا فيه خلق أي طيب ، فقال حلقيهم فخرجت إليهم ، فجعلت تحلقهم وهي من أجل ساء عصرها ،
ومعنى القوم حتى أتوا المنذر ، فقالوا أنيالك من عبد صاحبنا وهو يدين لك بالعبادة وبعطيك حاجتك ، فنباشر
المنذر بذلك ، وغفل المنذر وعسكره بمس العفلة فخلعوا عليه فقتلوه ، وكان الخارث قد أوصاهم بذلك قبل أن
يوجههم إليه ، فمیل : ما يوم حليلة بسر مدهمت مثلا .

(٢) السليبي : السلوب . (٣) العطل : العاقل . قال الطبراني :

« أصالة الرأي سابق عن الخطل وحليلة الفضل زانتني لدى العطل » .

(٤) الآخر : الطيب ، والحسن : الخير . وقد تناول الكتاب والشعراء هذا المعنى ، ولكننا لم نقرأ أبدع
من قول أمير الشعراء في قصة قبيلز على لسان وصيفة ملكة فارس :

« إني وجدت ذها في بوقه ولم أصف - بالطيب - إلا زبقه »

وقلت عن شمس النهار : مشرقه .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : « وحوه يومئذ حاشعة عاملة ناصية تصلي نارا حامية . »

(٦) يشير إلى قول عباس بن الأخنث :

« صرت كائن ذئالة نصبت نصي للناس وهي تحرق . »

(٧) في المثل « إذا بلغت الشمس تحوّل » (٨) حامري أم عامر : مثل يضرب لمن عرف

الدنيا وتقلباتها ولم تمنعه معرفته أن يعيل إليها ويفتر بها . قال البهاء زمير :

« حذوك نا قول المحال فصح أنك أم عامر . »

(٩) الجلاء : النزوح عن الوطن . (١٠) السباه : الأسر . (١١) والثقلة : الكلال .

«وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْجَبًا
وَتَذَفْنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا»^(١)
عَارِفٌ أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ^(٢) ،
وَالنَّسِيبُ لَا يُخْفَى ، وَالْجَمَالُ لَا يُخْفَى ، ثُمَّ مَا قَرَأَ السَّعْدُ بِالْكَوَاكِبِ أَهْلِي
أَتْرًا ، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا ، مِنْ أَفْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتِظَامِهَا نَسَقًا^(٣) مَمَّةً ،
فَإِنَّ الْحَاثِرَ لَهُمَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ
مَنْهَلَ بَرٍّ ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ ، وَضَوْحِكَ قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ ، وَأُعْطِيَ
حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقِيلَ لَهُ : « أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ »
غَيْرَ أَنَّ الْوَطَنَ مَحْبُوبٌ ، وَالْمَذْشَأُ مَأْلُوفٌ ، وَالْيَبِيبُ يَحْنُ إِلَى وَطَنِهِ ، حَنِينَ
النَّجِيبِ^(٤) إِلَى عَطْنِهِ^(٥) ، وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ^(٦) ، وَلَا
يَنْسَى بَلَدًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ ، قَالَ الْأَوَّلُ :

« أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعِجٍ إِلَى وَسْطِهِ - أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادَ بَهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَامِي^(٧) وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي ثَرَابُهَا »
هَذَا إِلَى مُنَا لَاتِي بِعَقْدِ جَوَارِكَ ، وَمُنَا فَسْتِي بِلَحْظَةِ مِنْ قُرْبِكَ ، وَأَعْتَقَادِي

(١) كَبْكَب : الحبل . (٢) الزَّيَال : المفارقة .

(٣) النِّسَق : ما كان على نظام واحد . (٤) النَّجِيب : الفحل الكريم من الإبل .

(٥) الْعَطْن : مَرَك الإبل حول الماء .

(٦) الْقَوَائِل : جمع قَابِلَة وهي التي تتلقى المولود عند خروجه (البداية) .

(٧) وفي رواية : « عَنِّي الْبَاب » وفي أخرى : « شَقُّ الشَّاب » وفي رواية اللسان :

« نَبَطْتُ عَلَى تَمَامِي » والتَّمَام : ما يعلق للعطل ليقبه شر الحسد . قال الشاعر :

« وَإِذَا الْمَيَّةَ أَنْشَبْتَ أَطْفَارَهَا أَلْعَيْتَ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ » .

أَنْ الطَّمَعِ - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ ، وَالْفَنَى - مِنْ سِوَاكَ - عَنَاءٌ ، وَالبَدَلُ مِنْكَ أَعْوَرٌ ،
وَالْعَوَضُ لَفَاكِهِ ^(١) :

« وَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي - ضَنْئًا بِهِ - نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ »

وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) ، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَأُسْتَمَجِدَ الْمَرْخُ
وَالْعَفَارُ ^(٣) ، فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ يَمْنُ يَتَوَلَّأُكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ، وَهَلَّا
كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ »

أَعْيُنُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيَمَ ^(٤) خُلْبًا ^(٥) ، وَأُسْتَمَطِرَ جَهَامًا ^(٦) ، وَأَكْدِمَ ^(٧)
فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ ^(٨) وَالرَّحِمِ ، فَمَا
أَبْسَسْتُ ^(٩) لَكَ إِلَّا لِتَدِرَّ ، وَمَا حَرَكْتُ لَكَ الْخَوَارَ ^(١٠) إِلَّا لِتَحِنَّ ، وَمَا
نَبَّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ ^(١١) ، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ ، لِأَلِأَحْمَدَ الشَّرَى ^(١٢) لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ

(١) لفاء : حسيس . قال الشاعر :

« وما أنا بالصَّيْبِ وَظَلْمُونِي وَلَا حَطَى الْإِثْمَاءِ وَلَا الْحَسِيسِ »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرخ والعفار : نوطان من الشجر سريعا الانقاد ، وقريب من هذا قول المعري :

« وَأَمْسَتْ دِكْ النُّخْلِ - وَالْمَجْلُ مَشْرُ - وَأَعْجَبِي مَنْ حَكَ الْفُلُجَ وَالْهَالِ . »

(٤) أشيم : أراقب السحاب لأرى أين يطر . (٥) الحلب : البرق الذي لا يصحبه غيث .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أعمس - والمثل العربي : « كدم في غير مكدم » - وهو يضرب لمن يريد الشيء من غير أهله .

(٨) يشير إلى قول المتنبي :

« وَلَا تَشْكُ إِلَى قَوْمٍ فَتَشْتَمَهُمْ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ الرَّحِمِ . »

(٩) أبست : ردت من الرق . (١٠) الخوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إِذَا أَبْقَطْتَكَ حُرُوبُ الْعَدَا فَنَبِهْهَا عَمْرَأً ، ثُمَّ نَمْ »

وحتى لا ينام على غيرة ولا يشرب الماء إلا بدم .

(١٢) يشير إلى المثل المشهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى » يشير إلى قرب الفرج بعد الصيق .

إِنْ سَنَيْتَ ^(١) عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرَ، وَمَتَى أَعْذَرْتَ ^(٢) فِي فَكِّ أَسْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ،
وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ، وَالشَّفَاقَةَ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ، وَفَضْلُ
الْجَاهِ - تَعَوُّدُ بِهِ - صَدَقَةٌ :

« وَإِذَا أَمَرْتُ أَهْدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً - مِنْ جَاهِهِ - فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَالِهِ ^(٣) »

لَعَلِّي أَتَى الْعَصَا بِذَرَاكَ ^(٤)، وَتَسْتَقِرُّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ، وَأَسْتَأْنِفُ التَّأْدِبَ
بِأَدَبِكَ، وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحَظَةٍ ^(٥)، وَلَا أَدَعِ
لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لَفْظَةٍ، وَاللَّهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِبْلَاجِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ ^(٦)، وَإِسْكَائِي ^(٧)
مِنْ هَذِهِ الشُّكُوفَى، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمُصْنَعِ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ
مُسْتَوْدِعٍ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ، وَذَلِكَ بِيَدِهِ وَهَيْئُ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا تَوَالَتْ عِذْرُ هَذَا النَّثْرِ، وَأَتَسَّقَتْ دَرَرُهُ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوبِهِ،
وَجَرَ ذَيْلَ خِيَلَانِهِ، عَارَضَهُ النِّظْمُ مُبَاهِيًا، بَلَنَ كَايَدُهُ مُدَاهِيًا، حِينَ أَشْفَقَ
أَنْ يَسْمَعُطِفَكَ أَسْتِعْطَافُهُ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ الْطَافُهُ ^(٨) : فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ ^(٩)
مِنْهُ، وَأَعْتَدَ بِالْفَائِدَةِ لَهُ، فَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذَّهْنَ الْعَلِيلَ، وَالْخَاطِرَ الْكَالِيلَ،
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُوءَةً، فِي أَثْوَابِهَا، مَنْصُوصَةٌ ^(١٠)، بِجَلِيهَا وَمَلَاهِيهَا ^(١١) :

(١) سَنَيْتَ : يَسِرْتُ وَسَهَلْتُ .

(٢) أَعْذَرْتُ : طَلَسْتُ الْعَدْرَ .

(٣) الْبَيْتَ لِأَبَى تَمَامَ . (٤) ذَرَاكَ : كِفْكَ وَظَلُّكَ .

(٥) لِحَظُهُ : نَظَرُهُ .

(٦) الطَّلِبَةُ : الْمَطْلُوبُ . (٧) إِسْكَائِي : إِزَالَةُ شُكَاوِي .

(٨) الطَّافُهُ : حَيْرُهُ وَبُرْهُ .

(٩) الْعَائِدَةُ : الْجَمِيلُ أَوِ الصَّبِيغُ .

(١٠) مَنْصُوصَةٌ : مَرْهُوْمَةٌ عَلَى الْمَعْنَى لِيْلَةِ الرِّفَافِ . (١١) الْمَلَاهِي : الرِّعْرَاعُ .

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ^(١)
 سَرَّانَا عَيْشُنَا الرِّيقُ الْخَوَاشِي لَوْ يَدُومُ السُّرُورُ الْمُسْتَدِيمِ
 وَطَرُّهُ مَا انْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ ، مَا دِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ
 إِذْ خَتَامُ الرِّضَا الْمُسَوِّغِ مِسْكُ وَمَزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
 وَغَرِيضُ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبْوَةِ ، نَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ النَّعِيمِ
 طَالَمَا نَافَرَ الْهُوَى - مِنْهُ - غَرِيْهُ لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِيدِهِ بِالنَّعِيمِ

* *

أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بَطْلُ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 قَمَرُ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْجُو - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوُ الْعَظِيمِ

* *

بَوَّأَ اللَّهُ « جَهْوَرًا » شَرَفَ السُّو دَدٍ فِي السَّرْوِ وَاللَّبَابِ الصَّمِيمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرَ ، فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْمُؤْمُومِ
 قَلَدَ الْعُمَرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ ، وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ
 خَطَرُ يَقْضِي الْكَمَالَ ، بِنَوْعِي خُلُقٍ بَارِعٍ وَخُلُقٍ وَسِيمِ

* *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: هَا أَنَا أَشْكُو، وَالْعَصَا بَذُو قَرَعِهَا لِلْحَلِيمِ
 مَا عَنَانَا أَنْ يَأْتِنَا السَّابِقُ الْمَرْ بَطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالْتَّطْهِيمِ
 وَبَقَاءُ الْحَسَامِ - فِي الْجَفَنِ - يَنْفِي مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْمِيمِ

أَفَصَبْرٌ مِّثْلَيْنِ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ ؟ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ !
 وَمُعْنَى - مِنَ الصَّنَى - بَهَنَاتٍ نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ قَرْحُ الْكُلُومِ
 سَقَمٌ لَا أُعَادُ فِيهِ ، وَفِي الْعَا يُدِ أَنْسُ يَنْفِي بِبُرْءِ السَّقِيمِ
 نَارٌ بَغْيٍ ، سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ - لَظَاهَا ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ -
 بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بُرْدًا وَسَلَامًا ، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ -
 لِلشَّفِيعِ النَّشَاءِ ، وَالْحَمْدُ - فِي صَوْبِ الْحَيَا - لِلرِّيَّاحِ ، لَا لِلْغَيُومِ -
 وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُدَلَّلَ - لِي الصَّعْبَ - مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الزَّعِيمِ -
 وَوَدَادٌ - يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ - وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ -
 وَمَنَاءُ أَرْسَلْتُهُ سَلَوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ ، وَلَهُوَ الْمُقِيمِ
 فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ -
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًا - عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي - مُصِخًا إِلَى أُعْتَذَارِ الْكَرِيمِ -
 وَمَتَى تَبَدَا الصَّنِيعَةُ يُؤَلِّفُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالتَّشْمِيمِ
 وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومٍ وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ
 لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ النُّحُولُ لِلثَّلِي ، جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبٍ مَشُومٍ . »

* *

هَا كَهَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَسْطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ،
 وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةِ ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ، لِيَتَأَنَّى لَكَ
 الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكُ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إلى المظفر^(١)

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأفلح ،

صاحب بطليوس ، وضمنها قصيدة أولها .

ليص الطلى ، ولسود المم

بعقلى - مد بن عى - لم »

لَمَّا لَبَسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - رِدَاءَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمْدِ

(١) كان المظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحسن الناس - كما يقولون - على جمع علوم الأدب ونوادر الأحبار وعيون التاريخ ، وقد ألب كتاباً كبيراً - في الأدب - في عشرة أحرار ضمة ، وقد ولى « بطليوس » بعد موت أبيه « عبدالله بن مسلمة » المعروف بابن الأفلح وقد استبد « عبدالله » هذا بالملك سنة ٤٣١ هـ - بعد فتنة بني أمية بالأندلس - فلما مات أخوه ابنه « أبو بكر المظفر » وعظم أمره ونبه شأنه ، ومارال بها حتى مات سنة ٤٦١ هـ . وحلفه عليها ابنه المتوكل حتى دله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ . وقد كان ابن عباد يحبه يقاتله - فيما يقولون - وكان المتوكل قدم راسحة في صناعة الظلم والنثر مع شجاعة مفرطة ووروسية تمة ، وقد رثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة ، وهي :

« الدهر يجمع - له - العيب - بالأثر في البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن نومة بين ناب الليث والمظفر
فالدهر حرب - وإن أبدى مسلمة - والبيص والسود مثل البيص والسم
ولا هوادة بين الرأس - تأخذهم يد الصراب - وبين الصارم الذكر
فلا تمر بك - من دياك - نومتها ، فما صناعة عينها سوى السهر
ما ليلالى - أقال الله عثرنا من الالالى ، وحانتها يد المير -
في كل حين لها - في كل جارية مناجى ، وإن زاغ عن الصبر
تسر بالشيء ، لسكن كي تمر به كاللايم نار إلى الحاني من الزهر
كم دولة - قدمعت والنصر يندمها - لم تبق منها ، ووسل ذكراك من خبر
هوت بدارا ، وملت غرب قاتله ، وكان عصباً - على الأملاك - دا أثر
واسترجعت - من بي ساسان - ما وهبت ولم تدع - لبي يونان - من أثر
وأبتعت أحبتها طمها ، وعاد على عاد وجرحهم منها ناقض المرر
وما أقلت ذوى الهات - من عين - ولا أجارت ذوى الغايات من مفر
ومرقت سماً - في كل قاصية - فما تبقى رائح منهم يمتصكر
وأفندت في كليب - حكمها ، ومرت مهلهلا بين سبع الأرض والبصر

مُعَلَّنًا ، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَخْرِهِ ، وَاسْتَضَاءَ فَائِخُ ذِكْرِهِ ، وَشَهَرَتْ مَحَاسِنُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ ، وَسَارَتْ مَأْتِرُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ ،

ولم ترد — على الصليل — صحته
ودوخت آل ديبات وإحوتهم
وألفت — بعدى — بالعراق — على
وأهلكت «أبرويزا» بابه، ورم
وبلغت «يزد حرد» العين واختزلت
ولم ترد مواضى «رسم» وقنا
يوم القليب بنو بدر فموا وسعى
ومررت «جعفراً» بالبيس، واختلست
وأشرفت بحبيب — فوق فارعة —
وحصد — سيب عثمان دما، وحط
وما رعت — لأبى القحطان — صحته
وأجرت سيف أشقاهما أنا حسن ،
وليتها — إذ مدت عمراً بمجاجة —
وفي ابن همد وفي ابن المصطفى «حسن»
فبعضنا فائل : « ما اغتاله أحد »
وأردت ابن رباد الحسین ، فلم
وصب — بالطلبي — فودى أبى أسى،
وأزلت مصعما — من رأس شاهقة —
ولم تراقب مكان ابن الزبير ، ولا
وأعمل — فى لطيم الحن — حيلتها ،
ولم تدع — لأبى الدنان — قاصبه ،
وأحرق شلو «زيد» بعد ما احترقت
وأظمرت بالوليد — بن اليريد — ولم
« حبابة » حب رمان أتيج لها ،
ولم تعد قصب السفاح ثانية
وأسبلت دمة الروح الأملين على
وأشرفت جعفرأ — والفصل يطره —
وأخمرت — فى الأمين — العهد، وانتدبت
وما روت بيهود المستعين ، ولا
وأوقفت فى — عراها — كل معتمد ،

ولا ثب أسعدأ عن ربا حجر
عبسأ ، وغصت بن بدر على النهر
يد ابنه أحر العين والشعر
يزد حرد لمى « سرو » فلم يحمر
عنه — سوى الفرس — جمع الترك والحرر
« دى حاب » عنه سعدأ فى ابنة العير
قليب بدر — بمن فيه — لمى سقر
— من قبيلة — « حمزة » الظلام للجرر
وألفت « طلعة » الفياض بالغفر
لمى الزبير ، ولم تستجى من عمر
ولم تزوده إلا الصيغ فى العمر
وأمكن — من حسين — راحق شمر
فدت علياً بمن شاءت من البشر
أتت بمصقلة الألباب والفكر
وبعضنا ساكت لم يوت من حضر
يؤ شمع له — قد طاح — أو ظفر
ولم ترد الردى عنه قنا « زمر »
كانت بها مهجة المختار فى وزر
راعت عيادته باليب والحجر
واستوسقت لأبى الدنان ذى البحر
ليس الظليم لها « عمرو » بمنصر
— عليه وحداً — قلوب الآلى والسور
تبقى الخلافة بين السكاس والوتر
و « أحمد » قطرته بفحة الفطر
عن رأس مروان أو أشياءه الفجر
دم بفع آل المصطفى هدر
والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
لجمر بابنه والأعبد الفدر
بما تأكد المعتر من مرر
وأشرفت — بقذاها — كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نَعْمِهِ ، وَوَطَأَ - لِلْمِلَيْنِ - مِنْ أَكْنَفِهِ ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاعِبِينَ - مِنْ
أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَفَتِ أَجْنِحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ ، وَاهْتَزَّتْ جَوَانِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ ،

ورودت کل مأمون ومؤتمن ، وأسـلـمت کل منصور ومنتصر
وأعـثـرت آل عبادـلـعالمـ بذیل زبـاء لم تنفر من الذعر

بی المظفر - والأیام ما برحت - مراحلـ والوری منها علی سمر
سحقا لیومکم یوما ، ولا حلت - بثـله - لیلـة فی مقل العمر
من للأسرة ؟ أو من للأعنة ؟ أو - من للأسنة ؟ یهدیها إلى الثغر
من للظي ؟ وعوالی الخط قد عقدت - أطراف السنها - بالی والحصر
وطوقت - بالنایا السود - ببصم فاعجب بذاك ، وما منها سوى الذکر
من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو - من للسماحة ؟ أو للنفع والضرر ؟
أو دفع كارثة ؟ أو ردع آفة ؟ أو وقع حادثة تعی علی القدر ؟
ویح السباح ویح الباس - لو سلما - وحسرة الدین والدنیا علی عمر
سـمـت تری الفصل والعاس هامة - لایم - سماحا - لا إلى المطر
ثلاثة ما رأی العـصـرات مثلهم - لا - ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقی النسران حیث رقوا - وكل ما طار - من نـر - ولم یطر
ثلاثة كدوات الدهر - منذ نأوا - عی - مـغی الدهر لم یرع ولم یحر
ومر - من کل شیء - فی أطیه حتی التمتع بالأصال والمکر
أین الجلال الذی غضت مهابته - قلوبا وعبوت الأنعم الزهر ؟
أین الالباء الذی أرسوا قواعده - علی دعاتهم من عزّ ومن طفر
أین الوفاء الذی أصفوا اشرائعه - ولم یرد أحد منها علی كدر
كانوا ربای أرض الله - منذ نأوا - عنها - استظارت بمن دیها لم تقر
كانوا مصابحها ، فدخبوا عثرت - هدی الحلیقة - یا الله - فی سدر
كانوا شحی الدهر ، فاستهوتهم خدع - منه بأحلام عاد فی خطی الحصر
ویل امه من طلب التار مدرکه - منهم بأسد سـراة فی الوغی صـبر
من لی - ولانـهم - إن أظلمت نوب - ولم یکن لیلهـا یفـی إلى سـدر ؟
من لی ومن بهم - إن عـظـك سـنن - وأخفت السن الآثار والـسـیر ؟
من لی ومن بهم - إن طبقت بمن - ولم یکن وردها یفـی إلى صدر ؟
علی الفضائل - إلا الصبر - سـلام مرعـب الأجر - منتظر
یرجو عی ، وله - فی أختها - أمل - والدهر ذو عـقب شقی وذو غیر
قرطت اذات من میها ، فاضحة - علی الحسان حصی الیاقوت والدرر .

وَكَثُرَ النَّعَائِرُ عَلَى تَقْيُوثِ ظِلِّهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَعْتِلَاقِ بِحَبْلِهِ ، وَكُلُّ اسْتَفْرَغٍ
جَهْدُهُ ، وَتَرْسَلٍ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا غَرَوْ أَنَّ يُسْتَمَطَّرَ الْغَمَامُ ، وَيَكْثُرُ
- فِي الْمَشْرَبِ الْعَذْبِ - الرَّحَامُ ^(١) .

وَمَا زِلْتُ - أَبْقَى اللَّهُ الْحَاجِبَ - أَتَلَقَّى مِنْ مَسَاعِيهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَيَقْرَعُ
سَمْعِي بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةِ ، مَا هُوَ أُنْدَى مِنْ مُبْلُوغِ الْأَمَلِ ، وَأَشْهَى مِنْ اخْتِلَاسِ
الْقَبْلِ ، وَأَغْضُثُ مِنْ جَنَى الزَّهْرِ ، وَمَا هُوَ الطَّفُّ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ، حَتَّى انْقَادَتْ
نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّامِيلِ وَالْمُودَّةِ ، وَنَازَعَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظٍّ مِنَ الْأَعْتِلَاقِ
وَالْمَمَازَجَةِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَأَمْتِدَادِ
الثَّانِي الْمُعْتَرِضَةِ ، فَغَضَضْتُ طَرْفَ الْحَيَبَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ
دَرْكِ الْأُمْنِيَةِ ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ « أَبُو فُلَانٍ » إِلَى مُحَاطَبَتِهِ ، وَحَرَضَنِي عَلَى
مُسْكَاتَبَتِهِ ، وَتَبَهَّنِي عَلَى مَا فِي الثَّقَافِلِ - عَنْ مُدْخَلَتِهِ - مِنْ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ ،
وَالْتَقْصِيرِ الْبَيْنِ الصَّحِيحِ ، إِذْ هُوَ أَسْنَى عَلَقٍ غُولِي فِيهِ ، وَأَنْفَسُ ذُخْرِ نُوفَسٍ
فِيهِ ، فَطَرِبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْحَمْرُ ، وَاهْتَزَزْتُ كَمَا
أَهْتَزَّتْ - تَحْتَ الْبَارِحِ ^(٢) - الْغُصْنُ الرُّطْبُ ، وَرَأَيْتُ شُكْرَ يَدِ الْعَلِيَاءِ فِيهَا حَتَّى
إِلَيْهِ ، وَحَضَنِي عَلَيْهِ ، مِمَّا فِيهِ حَلِيَّةُ الْفَخْرِ ، وَمَكْرَمَةُ الدَّهْرِ ، أَنْ اسْتَفْتَحَ
بَابَ الْمَكَاتِبَةِ بِالشَّفَاعَةِ ، وَأَنْهَجَ طَرِيقَ الْمُخَاطَبَةِ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ
ذِمَامِ الطَّلَبِ ، وَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا اسْتَقْصَرُ نَفْسِي مَعَهُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي

(١) يشير إلى المثل المشهور : « المورد العذب كثير الرحام » .

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .

خِدْمَةِ رَغْبَتِهِ قَلَمِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْاِقْتِصَارِ بَغِيَّةَ كِتَابِي ، دُونَ
 أَنْ أَرْمِ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ فَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأَسْتَقِظَ حَدُّهُ ، فَتَنَكَّرَ الزَّمَانُ لَهُ ،
 وَأَعْتَرَتْ الْأَيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ ذُنَابِ سَعْيَاةٍ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةٍ دَبَّتْ
 إِلَيْهِ ، وَأَصْلَى بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَجْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقِ أَحِبَّتِهِ ، وَالْبُعْدِ
 عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَقِ تَمَاقُهِ ، عَلَى ضَيْقِ حَالِهِ ، وَضَعْفِ إِحْسَانِهِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَاةً ، وَعَلَيْهِ الْإِثْمَانُ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ
 يُعِيدُ شُكْرَهُ وَيُبْدِيهِ ، وَيُنَشِّرُ حَمْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ -
 وَلِيَ بِأَعْدَائِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْعُشُومَ ، وَأَمَلَى بِإِنْصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومَ ، بِالْبَاسِ
 مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِيرَادِهِ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاهُ مَا حُلِيَ عَنْهُ ،
 وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْقِ الَّذِي لَمْ يَرَ كَوْكَبَ سَعْدٍ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَلَقَّى
 نَسِيمَ حَيَاةٍ إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يُؤْتَفَقُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،
 مُسْتَجْزِلُ شُكْرِ مَنْ أَنْهَضَهُ لِسَانُ ، وَأَسْتَقَلَّ بِهِ بَيَانُ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،
 وَالْمَعْرُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْعَمَلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعَلِّمُهُ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .
 وَلَمَّا اطَّرَدَ هَذَا النَّثَرُ بِحُسْنِ اتِّسَافِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمُ أَرْيَحِيَّةً
 جَذِبَ لَهَا بَعَانِيَهُ ، وَعَارَضَهُ بِهَا فِي مِيدَانِهِ ، وَأَبَتْ أَنْ يَنْفَرِدَ النَّثَرُ بِِلِقَاءِ
 الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسْتَبِيدَ بِأَنْ تُتَمَحَّ غَرَّتُهُ ، وَتُحْدَمَ بِالْحُضُورِ حَضْرَتُهُ ،
 فَأَثْبَتَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْعَمَ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْحِ عَنْ الزَّلَلِ الَّذِي يَعْزِضُ فِيهِ ،
 وَالْخَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَّ النُّعْمَةُ بِمِثْلِهَا ، وَقَرَنَ الْعَارِفَةُ بِشَكْلِهَا .

لَبِيضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ بِعَقْلِي - مُذُنٍ عَنَى - لَمْ^(١)

فَفِي نَاطِرِي - عَنْ رَشَادِي - عَمِي ، وَفِي أُذُنِي - عَنْ مَلَامِي - صَمَمٌ ^(١)
 قَضَتْ بِشِمَاسِي - عَلَى الْعَادِلِينَ - شُمُوسٌ مُكَلَّلَةٌ بِالظُّلَمِ
 فَمَا سَقَمَتِ لَحَظَاتُ الْعُيُوفِ نِ إِلَّا لِتُعْرِينِي بِالسَّقَمِ
 يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أُجَنَّ وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمِ
 وَمَا ذُو التَّدَكُّرِ يَمْنُ يَلَامُ وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُدَمِّ

✱

وَإِنِّي أَرَاكِ إِذَا مَا الْجَنُوبُ ب رَاحَتْ بَرِيًّا جَنُوبَ الْعَلَمِ
 وَأَصْبُو لِعِرْفَانٍ عَرَفَ الصَّبَا وَأَهْدَى السَّلَامَ إِلَى « ذِي سَلَمِ »
 وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ « الْبُرُوقِ » أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ أُبْتَسِمَ
 أَمَا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ مَا حَكَمَ
 قَضَى بِالصَّابَةِ ثُمَّ انْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى انْصَرَمَ
 لَيْلِي نَامَتْ عُيُونُ الْوُشَا قِ عِنَّا ، وَعَيْنُ الرِّضَى لَمْ تَنْمَ
 وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهُوَى فَأُجِنْتَ ثَمَارُ الْمَنَى مِنْ أَمَمِ
 وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِقَاقُ الْحَوَاشِي صَوَافِي الْأَدَمِ
 كَانَ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَسْلَمِيَّ أَجْرَى عَلَيْهَا فَرِنْدَ الْكَرَمِ
 وَوَشَّحَ زَهْرَةَ ذَاكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرِ تِلْكَ الشَّيْمِ
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُعْتَلِي لِلْعَلَا شَمَارِيحَ كُلِّ مُنِيفٍ أَشَمِ
 مَلِيكَ - إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ - حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُ مَهْمِ
 فَاطُولُهُمْ - بِالْأَيَادِي - يَدَا ، وَأَثْبَتُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ

(١) قَالَ ابْنُ هَانِي الْأَنْدَلُسِي :

« وَفِي بَصْرَى - عَنْ سَوَاكِم - عَمِي ، وَفِي أُذُنِي - عَنْ سَوَاكِم - صَمَمٌ . »

✱ ✱

وَأَرْوَعَ، لَا مُعْتَنِي رِفْدِهِ
ذُلُّ الدَّمَائِ صَعْبُ الْإِبَاءِ
سَمَا لِمَجْرَةٍ - فِي أَفْقِهَا -
وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ
نَهَيْكَ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ -
فَشَامَ الشُّيُوفُ بِهَامِ السَّكَمَةِ
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعَفَاةِ
يَهِيِجُ النَّزَالَ بِهِ وَالسُّوَا
شَهْدَنَا، لَا وَتِي فَضْلُ الْخِطَابِ
وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ
يَخِيبُ، وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ
ثَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمُ
فَجَرٌّ عَلَيْهَا ذُبُولُ الْهَمَمِ
وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمُ
سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذَرْتِمِ
وَرَوَى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ
وَيُعْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ
لُ لَيْثًا هَضُورًا وَبُحْرًا خِصَمِ
وَحُصَّ بِفَضْلِ النَّهْيِ وَالْحِكَمِ
جَرَى أَسِيفٌ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ

✱ ✱

وَمُسْتَحْمَدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا
شَمَائِلُ يُهْجَرُ عَنْهَا الشُّمُولُ
عَلَى الرُّوْضِ مِنْهَا رُؤَا يُرُوقُ
لِ - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّيْمُ أُسْتَدَمُ
وَتَجْنَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ
وَفِي الْمِسْكِ طِيبُ أَرْيَحِ يُشَمُ

✱ ✱

أَبُوهُ النَّبَى فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ
وَلَاذِيهِ الدِّينُ مُسْتَعْصِمًا
وَجَاهَدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجَهَا
وَلَاءَمَ شَعْبَ الْهُدَى قَالَتْنَامُ
بِدَمَّةٍ أُبْلَجَ وَافِي الدَّمَمِ
دِ مَنْ دَانَ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّنَمِ

فَلَا سَامِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ حَمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزَّوَا جَمِيعَ الْأَمَمِ
هُمْ نَعَشُوا الْمُلْكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخُطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَالِ بُرُوجُ - وَأَسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ

* *

« أَبَا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْخَدَائِثِ ، وَلَا زِلْتَ - مِنْ رَيْبِهِا - فِي حَرَمِ
أُنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدُهَا كَمَا وَشَتِ الرُّوضِ أَيْدِي الرَّهْمِ
وَإِنْ يَعْذُنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى فَحَظِّي أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمَ
وَإِنِّي لِأُصْفِيكَ مَحْضَ الْهَوَى وَأَخْنِي - ائِمْدِكَ - بَرْحَ الْأَلَمِ
وَعَزِيرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الذَّمَامِ إِذَا حُسْنَ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَهَ

* *

وَمُسْتَشْفِعِي بِي ، بِشَرَّتِهِ - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْآلِئِ
وَقَدِّمًا أَقْلَتَ الْمُسِيءِ الْعِثَارَ وَأَحْسَنْتَ - بِالصَّفْحِ - عَمَّا أَجْتَرِ
وَعِنْدِي - لَشُكْرِكَ - نَظْمُ الْعُقُودِ تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ
تُجِدُ لِفَحْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ
فَمِنْ مَعْصَمَا يِفْجَاعِ الشُّعُودِ وَدُمْ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، أَيَّامُهُ لَكُمْ حَشَمٌ ، وَالْآيَالِي خَدَمُ

* * *

هَذَا أَعَزُّ اللَّهِ الْحَاجِبَ مَا أَقْتَنَصْتَهُ الْقَرِيحَةَ مَعَ اقْتِضَائِهَا ، وَأَجَابْنَاهَا بِهِ
 الْبَدِيهَةَ عِنْدَ اسْتِنْدَاعَاتِهَا ، وَالذَّهْنَ ^(١) عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرُّوْيَةُ فَاسِدَةٌ ،
 وَسُوقُ الْأَدَبِ - إِلَّا عِنْدَهُ - كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أُوتِيتُ - فِي النَّثْرِ - غَزَارَةَ عَمْرِو ،
 وَبِرَاعَةَ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأُمِدِدْتُ - فِي النَّظْمِ - بِنَظْمِ الْبُحْتَرِيِّ ، وَصِنَاعَةِ الطَّائِي ^(٢)
 لَمَا رَدَدْتُ - إِلَى الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْرَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،
 وَلَا أَفْذْتُ مَا أَفْذْتُ إِلَّا بَيْنَ أَمَلٍ يَنْسُطُ ، وَحَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُهُ مُوَفَّقٌ فِي
 أَنْ يَمْنَحَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْعَاقًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْحَجَلُ إِغْضَاءً ، لِيَأْتِيَ الْإِحْسَانَ مِنْ
 جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكَ - إِلَى الْفَضْلِ - طُرُقَاتِهِ . وَمُرَاجَعَتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِمَهْدٍ كَرِيمٍ يَكُونُ
 كَحَلَا لِعَيْنِ الرَّضَا بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَقْفُ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَنْتِظَامِ
 الْأَحْوَالِ - بِالصَّلَاحِ - لَدَيْهِ - عَلَى مَا تَبْتَهَجُ لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عَقْدُ أَنْسِي ،
 يَدِي عِنْدِي جَنَاهَا شَهْدٌ ، وَشَدَاهَا عُنْبَرٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاوُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،
 وَأَتْبَعُهَا النَّشَاءَ الْجَمِيلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 وَلْيَبْلُغْ مِنِّي سَلَامًا يَهْدِي إِلَيْهِ نَدَاهُ ^(٣) ، وَتَحِيَّةٌ أَوَّلَهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « والدهر » .

(٢) يعني أبا تمام .

(٣) اللد (بالفتح) وبكسر : الطيب أو العنبر ، وفي الأصل : « يهدي إليه نفسه »

إلى ابن مسleme

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسleme بأشبيلية

قبل تحوله إليها : »

يَا سَيِّدِي وَأَرْفَعَ عُدَدِي ، وَأَوَّلَ الذَّخَائِرِ فِي عُدَدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقٍ مَلَأَتْ مِنْ
أَقْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةِ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةِ الْأَذْيَالِ ،
قَدْ تَقَاصَرَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الْحَدِيثُ الْحَسَنُ عَنْكَ ، حَتَّى حَلَّتْ مَحَلَّ الْأَمَانَةِ ،
وَكَنتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الْوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الطَّوَيَّةِ ، وَاللَّهُ يُمَتِّعَكَ بِمَا حَازَهُ لَكَ مِنْ
الْخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طِيبِ الذِّكْرِ .

فِي عِلْمِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْعُظْلَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَاطِرِ ، وَصَدَأِ النَّفْسِ ،
وَيَجْنِيهِ طُولُ الْمَقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابَجَةِ وَإِرْخَاصِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ أَنْ أُجْتَنِيَ
مَمَرَةٌ مِنْ آدَابِ أَطْلَتِ الْأَعْتَاءَ بِهَا ، وَأَخْلَاقِ أَدَمْتُ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا
مَخَضْتُ الْمُلُوكَ وَجَدْتُ عَبِيرَهُمُ الَّذِي أَنْسَى ^(١) السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاهِرَ مَعَهُ ،
وَأَتَعَبَ الْغَايِرَ بَعْدَهُ ، الْحَاجِبَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَكَبَّتْ
أَعْدَاءُهُ ، مَا خَصَّصَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِنَى الْهَمَمِ ، وَسَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَأَنْتِظَامِ أَسْبَابِ
الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَأُجْتِمَاعِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ عَنِ النَّظَرَاءِ ،
وَأَعْلَنَتْهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أُحْتَمِلَ لغيرِهِ نِعْمَةً ، أَوْ أُوسِمَ
بِمَنْ سِوَاهُ بِصَيِّعَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي مَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرَضَ مَنْ لَا يَوْمَ لَهَا
- لِإِجَارَتِهِ - إِلَّا بِالْأَسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا - فِي قُبُولِهِ - إِلَّا بِالسَّامَحَةِ ، فَلَوْ
كُنْتُ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ بِرَاعَةِ نَظْمٍ ، وَجَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِبَلَاغَةِ نَثَرٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ

أَبْنُ مَهْدِيٍّ طَيْبَ مَجَالَسَةٍ ، وَإِمْتِنَاعَ مُشَاهَدَةٍ ، ثُمَّ حَضَرَتْ مُجْلِسُهُ الْعَالِي ، لَمَّا كُنْتُ بِسَعَةِ إِحَاطَتِهِ الْإِلَافِي جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتَ غَمْرَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَعُدِّمْ فِي نَجَابَةِ غَرَسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمُنْصَنَعِ ، مِنْ وَلَايَةِ أُخْلِصُهَا وَنَصِيحَةِ أَنْحَضُهَا ، وَشُكْرِ أَجْنِيهِ الْفَضِّ مِنْ زَهْرَاتِهِ ، وَتَنَاءِ أَهْدَى إِلَيْهِ الْعَطْرِ مِنْ نَفَحَاتِهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهِبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَعْبَاءِ الشُّكْرِ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفَ مَذْهَبِكَ ، وَكَرَّمَ سَجِيَّتِكَ ، وَصَحَّه مُشَارَكَتِكَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا اسْتِجَابِي ، وَلَا اسْتَدْعَاهَا عِثْلُ أَسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ وَتَصَافِي السَّلَفِ ، وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى أُمْرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتِ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ فَحَظَّ أَقْبَلَ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَّلَ

وَلَمْ أَقُلْ - عَمَرُكَ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النُّجْمَيْنِ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ » وَإِنْ عَاقَ حَرِّ مَانٍ عَادَتُهُ أَنْ يُعَوَّقَ عَنِ الظَّفَرِ ، وَيَعْتَرِضَ دُونَ الْأَمَلِ ، فَأَعْلِمُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَنِّي فِي حَالِي الْمُطْلَعَةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَوْمِي الْإِنْقِطَاعِ وَالتَّصَوُّفِ (١) ، كَأَلْمَهْدِيِّ بِالنَّجْمِ حِينَ عَدِمَ ذِكَا ، وَمُتِمِّمِ الصَّعِيدِ حِينَ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرُهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُدْنِيهِ مِنَ الْأَنْسِ الْمَحَلِّ وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ بِالْفُسْحَةِ فِي عُمْرِهِ ، وَالْإِعْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَنْدَارَ مَعَ إِثَارِهِ ، وَيَصْرِفُ وُجُوهَ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ - يَا سَيِّدِي - فِي أُتْدَابِكَ مَا أُتْدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلْسَّامِعِ الْمُنْجِحِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ الْمَذْرِ ، مِلَاكُ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَأَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ نَدَى الْفَضِّ النَّاضِرِ مِنْ سَلَامِي ، وَالْأَرَجِ الْعَاطِرِ مِنْ تَحِيَّتِي .

رسالة إلى المعتضد

« وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رقعة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ فَخَرَّ الدَّوْلَةَ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى الْمَنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفَّلَ لَهُ بِهِ مِنْ غُلُوِّ الْقَدْرِ،
وَنَفَازِ الْأَمْرِ، وَأَخْطَأَهُ مِنَ النِّعَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بَالًا، وَأَبْرَدَهَا ظِلَالًا، وَأَحْمَدَهَا بَالًا.
كُنْتُ - أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ
عَبْدِهِ بِمَا أَيْقَنْتُ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَيْهِ، وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى بَعْضِ
أَسْبَابِهِ بِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْمُرَاجَعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي، وَلَا تَتَسَّعُ لَهُ سَاحَةٌ
شُكْرِي، لِعِلْمِي أَنَّهُ مِنَ الْحَاجِبِ - أَيْدَهُ اللَّهُ - صَدَرَ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ ^(١) نَفَذَ،
وَالَّذِي عَدَانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ -
التَّادِبُ بِآدَابِ خُصِيَّانِ الْعَبِيدِ فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، وَتَرَكَ التَّبَسُّطَ وَالْإِفْدَامَ،
وَقَلَّمَ اسْتَغْنَتْ أَوَائِلُ مَطَالِبِ الْإِتْبَاعِ لِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ عَنْ وَسَائِطِ تَهْدُهَا
وَتَعْتَمِدُ أَوْقَاتِ الْإِمْكَانِ بِهَا، لِأَنِّي مَا اتَّخَذْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - أَدَامَ اللَّهُ غُلُوهُ -
غَيْرَ سَيَادَتِهِ ذَرِيعَةً، أَوْ التَّمَسُّتُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ نَفَاسَةٍ نَفْسِهِ شَفَاعَةً، وَأَيُّ
مَعْدَى لِمِثْلِي عَنْ تَفْيُؤِ ظِلَالِهِ، وَالْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ. وَصِنَاعَةُ الْآدَابِ كَأَسَدَةٍ إِلَّا
عَلَيْهِ، وَطَرِيقُ الْأَمَلِ مُوحِشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاعِ مَا قَبْلَهُ
شَكٌّ فِي كَرَمِهِ، وَلَا سُوءُ ظَنٍّ بِسَمَاحَةِ شَيْمِهِ، بَلْ لِرُومِ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوْطِئَةِ
لِلطَّلَبِ، وَالتَّنْذُرِ إِلَى إِحْرَازِ الْأَدَبِ، وَحَسْبِي أَنْ أَمْلِيَ قَدْ أُرْتَادَ الْجَنَابَ

الرَّحْبَ ، وَالْمَشْرَبَ الْعَذْبَ ، وَلَعَلَّ الْحُطُوطَ سَتُكْشَفُ ، وَالتَّوَائِبَ سَتُصْرَفُ ،
إِلَى أَنْ أُبْعَدَ إِلَى أَبْعَدِ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَاءِ ، وَالنَّظَرَ إِلَى
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرِفُ فِكْرِي ، وَلَا يَنْصَرِمُ حِينٌ مِنْ مُحَمَّرِي ، إِلَّا
فِي الذِّكْرِ لَهُ ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْأَعْتِدَارِ مِنْ
مَهَابَةِ تَمَلُّكِ جَنَانِي ، وَحَصْرِ يَكَادُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمُشَافَهَةِ لِسَانِي ، فَإِنْ
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي عُذْرُ^(١) الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ،
فَقَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مِنْ فَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ هَيْئَةً سَيِّدِهِ » .

وَسَيُفْضَى - بِمِثْلَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مَنْ
شَاهَدَ ، وَيَسْتَطْرِقُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَطْلِعُهُ مِنْ إِجْمَالِ طَلَبٍ ، وَجَمَالِ مَذْهَبٍ ،
كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ ، وَسَنَاءِ نَجْوَى ،
وَرِفْعَةِ شَأْنٍ . وَعِظَامِ سُلْطَانٍ ، وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ تَهَيَّئُ لِي مِنَ الْحُظِّ مَا أَثْبِتُ بِهِ
مَا أَدْعِيئُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ
الْعِدَاتِ ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، زَادَ اللَّهُ
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَنَى قِسْمِهِ ، وَهَنَى نِعَمِهِ ، وَبَلَّغَهُ النَّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ .

رسالة من قرطبة

« وكتب إليه بعد أن صدر من حضرته إلى قرطبة

رسالة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنِّعَمِ يُطَوِّقُهَا ، وَالْأَمَالَ يُصَرِّفُهَا^(٢) ، وَالْمَنِّ يُقَلِّدُهَا
وَالْأَحْرَارِ يَسْتَعْبِدُهَا .

(١) في الأصل : « فعذري عند الفضل . »

(٢) وفي نسخة الذخيرة المنقولة من النسخة المغربية : « يصدقها »

يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِغْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَمَكِّينَ نَصْرِهِ ، أَنِّي - لَمْ أَزَلْ مُنْذُ فَارَقْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ ، وَعَمَلِ الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ - لَهَجَ اللِّسَانِ بِمَا حَبَّانِي مِنْ ثَمَارِ الْحِكْمَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَأَفَادَنِي مِنْ عَقْدِ الْأَدَبِ وَالنَّسَبِ ، فَمِنْ كَبِدِ حَاسِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَنْفَاسٍ مُنَافِسٍ تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أَكْسَفَتْ بِأَلْهِ ، وَمُتَمِّنٍ لِجَالِي طَالَمَا تَمَنَّيْتُ حَالَهُ ، وَقَلَّمَا أَنَا أَدْنَى مَكَانَةٍ مِنْهُ ، وَأَزَقِي أَوَّلَ دَرَجَةٍ مِنَ الْخُصُوصِ بِهِ ، تَحْسُدُهُ الْكَوَاكِبُ فِي إِشْرَاقِهَا ، وَتَنْحَسِدُ إِلَيْهِ الْأَمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِعَبِيدِهِ الَّذِينَ أَنَا آخِرُهُمْ فِي الْخِدْمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَيَرْفَعُ مِنْ هَمِّهِمْ مَا يُخَفِّضُ ، وَيَبْسُطُ مِنْ أَمَلِهِمْ مَا يَقْبِضُ ، وَلَا يُعْدِمُهُمُ التَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِهِ ، وَالْإِعْتِلَاقُ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِعَجْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - إِشَارَةٌ بَلَّ عِبَارَةً أَعَدَّدْتُهَا طَلِيعَةً لِسُعُودٍ تَتَوَافَى طَلَقًا ، وَمُقَدِّمَاتٍ لِمَسَرَّاتٍ تَتَوَالَى نَسَقًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجَنَسُ بَعْدَ تَرْكِهِ النَّفْسَ لَدَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْهَا إِلَيْهِ ، بِالْوَطَنِ الَّذِي أَسْلَانِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَوِضَ مِنْهُ ، تَأَثَّنْتُ مِنْ طَاعَتِهِ الْمُقْتَرِنَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي مَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهْنًا بِهِ مُنَافَسٌ فِيهِ ، فَسَاعَفْتُ الْمَارِبُ ، وَأَسْمَحَتِ الْمَطَالِبُ ، وَلَمْ يَرَبِّنِي تَعَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتِهِ ، وَلَا عَدَانِي تَبَسُّرِ أَمْرِ تَنَاوُلَتِهِ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِاعْتِرَاضِهَا الْإِعْتِدَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُعَاوَدُ أَمْرُهُ ، وَيَتَجَدَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنُهُ ، وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ لَأَنْ الْإِذْنَ بَعْدَ عَهْدِهِ ، وَلِأَنَّ الْبِعَادَ لَمْ يُحْكَمْ عَقْدُهُ ، بَلْ تَجَنَّبْتُ أَنْ أَدِلَّ بِتَرْكِ الْمَشَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرَسْمِ الْمُؤَامَرَةِ ، فَلَمَوْلَايَ الطَّوْلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ عِنْدَهُ بِمُرَاجَعَةٍ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، وَاجْتِهَدُ فِي الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْهَا ، وَاللَّهُ يُبَلِّغُنِي الْأَمَالَ مِنْ وَفْقَةِ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ، وَتَقْيِيلِ لِرَاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفٍ فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِلذِّلِكَ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

من رسالة

« وله من رسالة حذف أبو الحسن هنا أكثرها ولم يذكر إلا قطرة من وابل ، أو نفثة من سحر بابل ، وها أنا مثبتها على تواليها ، إشارة لحسن معانيها ، واستفادة من سنى أدبه فيها ، وهى (١) : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدُّ عُدْدِي ، وَأَخْصَّ جُنِّي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَصْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .
أُبْدِي جَرَى كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْخَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِمَّا بَلَغَنِي أَنَّكَ صَدَقَ اللَّائِمَانِ بِنِ عَلَيْهِ ، وَأَوَّلِ السَّفِيهَانِ الرَّأْيَ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ وَيَلُ الشَّجَبِ مِنَ الْخَلِي ، وَهَانَ عَلَى الْأَمَلَسِ مَا لَاقَى الدَّبْرُ .
وَأَوْسَطُهُ مِمَّا تَبَتَّكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَنْفِكَ عَنِّي ، وَبَرَاءَتِكَ مِنْ آكِدِ الْمُحَنَةِ مِنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا سَدَرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ فِي مُظَاهَرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ، وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ، وَتَلْيِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَكَ بِخُلَا مَنِي لِبُخْلِي عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي (وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي) غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْقَدَى (٢) وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ (٣) ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ : يَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بسام . (٢) جملة «وليس من حق عيني» ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها لأن السياق يقتضيا ، وهو يشير إلى قول ابن الرزمي :

« أنت عيني ، وليس من حق عيني غرض أجفانها على الأفذا . »

(٣) المعتابية : المعادة وبشرة الأديم : ظاهره الذي عليه الشعر ، أى إنما يعاد إلى الدماغ من الأديم ما سلمت بشرته ، وهو مثل يضرر إذا كان المراحة والاستمتاع ، وفي الأصل «لما يعاتب الأديم على البشرة . »

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَمَةٌ وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ
وَأَخْتُمُهُ بِتَكْلِيفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالِدَاعِي إِلَى الْخُطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ
تَتَلَا فِي عَوْدًا ، مَا ضَيَّعْتَ بَدْءًا ، وَتَهْتَبِلَ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ عَيْثُ
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَذَابُغَةٌ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » ^(١) فَتَبَعَتْهُ
الْفُوتُ قَبْلَ الْعَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا
فِي عِلْمِكَ أَلَّا تُسْجِنْتَ مُعَالَبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ
اتِّبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذَا يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ . »
دُونَ تَأَنٍّ تَذَرُكَ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِثْبَاتِ ثَوَمْنٍ مُوَاقَعَةِ الزَّلَلِ مَعَهُ ،
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ . » وَشَهِدَ ابْنُ الْعَشَّارِ الْعَارِي عَنِ النَّقَةِ
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَالصِّيَانَةِ ، النَّاشِرُ لِأَذْنِيهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ
بِيَدَيْهِ جَشَمًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَدَامُ » . وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ الْحَقَّ
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَأَوْ عَمْرٍو فِيهِمْ ، وَنُونُ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ
بِحُزْمَةِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيُنُوبَ مُنْفَرِدًا عَنْ أَثْنَيْنِ .

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ مُسْتَنْكَرٌ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . »

(١) ضرب الأثر الذي انتهى فسادهُ ، وذلك أن الجدل إذا حلَّم أي فسد إمامه ووقع فيه دود فننقب
لم يرج له إصلاح ، ويروي عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية :
« فإياك والكتاب إلى علي كدابة وقد حلَّم الأديم . »

وَلَيْتَنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَيَّ ، أُعَذِّرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَقْتَرِنِ الْحَشَفُ
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ ، وَيَسْتَضِيْفُ لِي الْعُدَّةُ إِلَى الْمَوْتِ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةَ ، خَطُّكَ
خَسِيفٌ لَمْ أَرِ النَّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْحَوْلِيَّ الْأَشْمَبَ ، وَرَأَيْتُ خُرَاسَانَ
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى سَجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْفَاقِهِ ، لَهُ
مَجْلِسٌ حَضَرَهُ فَقْهَاءُ الْحَضَرَةِ وَمَنْ أَعْلَمَ بِسِيَاهُمُ ، وَجَرَى فِي غَشْيَانِ الْحُكَّامِ
مَجْرَاهُمُ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ اتَّهَمَنِي بِالْمُغِيبِ عَلَى عَهْدِ الْمُتَوَلَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ
اللَّهُ صَدَاهُ ، وَبَلَ ثَرَاهُ ، وَثَبَتَ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي مِمَّنْ تُعَامِلُهُ الْهِمَمُ ، وَلَا
تَرْتَفِعُ عَنْهُ الظَّنُّ ، فَكَلَّمُهُمْ أَفْتَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيَّ ،
ثُمَّ سَجَنَنِي أَنْ لَمْ آتِ بِمَدْفَعٍ ، أَوْ أَصْدَعَ مِنَ الْحُجَّةِ بِمَقْنَعٍ ، فَاحْتَاطَ وَاجْتَهَدَ ،
وَتَحَرَّى وَاقْتَصَدَ ، وَصَالَحَنِي مِنْ هَذِهِ الْفُتْيَا عَلَى النَّصِفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ ،
وَتَقْدِيمِ الصَّلَاحِ ، وَالصَّلُحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١) ، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ عَقْدًا كَانَ
الْمُتَوَلَّى قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنَّ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَنَّ
جَمِيعَ مَا تَحِيطُ بِهِ الدَّارُ الَّتِي تُؤْوِي بَعْدَ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا ، إِنَّمَا هُوَ لِلْغَانِيَةِ الَّتِي
فِي عِصْمَتِهِ ، حَاشَا دَفَائِقَ يَدَيْنَهَا ، وَمُحَقَّرَاتِ عَيْنَيْهَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى
نَفْسِهِ ، وَتَقَيَّدَ مِثْلُهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فَحَالُ أَنْ يُخْلَفَ عَهْدًا ، وَيَهْلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ ،
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أُبْتِئُهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ لَمْ
تَكُنِ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجامعة لأحكام الفضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري قوله : « والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . » وفي الأصل : « والسجن جائز بين المسلمين »

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْ جَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لِقَاحُ الْعَقْلِ ، وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ ، وَأَنَّ لِلْمُشَاوِرِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، صَوَابًا يَفُوزُ بِمَحْمَدَتِهِ ، أَوْ خَطَأً يُشَارِكُ فِي مَذْمُوتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

«وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً مَكَانُ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ^(١) . »
قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْعَصَا وَنَبَّهْتُهُ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ دَفْعِي عَنْهُ ، وَلَا يَجُوزُ مَنَعِي مِنْهُ^(٢) ، فَجِينَدِ عَلَّانِي مَوَاعِيدَ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُوبٍ لَهَا مِثْلًا ، إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرُهَا - الَّذِي نَسَخَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُدْرَجَ الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرَثَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَحِينَ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّبِيعَ : وَكَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءً .

« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُمَحِلٍ رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ أُسْتَهْلَتْ »

وفى فصل منها :

وَلَمْ أَقْصَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي مِمَّا أَجْلَبَتْهُ إِلَّا مَا شَهَرَ شُهْرَةَ الْأَنْسَمِ ،
وَعَرَفَ مَعْرِفَةَ النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ
وُضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْتُورِي النَّاسِ ،
وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ،
فَنَيْتُ - مِنْ مُطَالَبَةِ بَعْضِ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ - بِمَا
أَقْتَضَى تَقْلِي إِلَى حَيْثُ الْجُنَاةِ الْمُفْسِدُونَ ، وَاللُّصُوصُ الْمُقِيدُونَ ، وَشَكَوْتُ
ذَلِكَ إِلَى الْحَكَمِ الْحَابِسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِمَشْهَدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « ونبه على الذي دعوته إليه ، لا يسوع دى دفعه عنه ، ولا يجوز معنى منه . » وما أبتناه هنا هو ما يمكن أن يستقيم به المعنى .

وَصَفُّهُ ، فَاتَّقَى مِنْ الرِّضَا بِهِ ، وَأَظْهَرَ الْأَمْتِعَاضَ مِنْهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُوَكَّلِ
بِالسَّجْنِ فِي اخْتِيَارِ مَجْلِسِ أَتَابِنُ فِيهِ مَنْ لَا تَلْدِقُ بِي مُلَابَسَتُهُ ، وَأَتَيْدُ عَمَّنْ
لَا تُرْضَى لِي مُجَالَسَتُهُ ، ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَحْضَرَهُ مَجْلِسَ ظَهْرِهِ ، وَأَمَرَ بِتَأْدِيهِ ،
عَلَى أُمْتِثَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ ، وَأَتَتْهَا بِهِ إِلَى مَا حَدَّثَ لَهُ ، وَأَسْتَأْنَفَ الْعَهْدَ فِي
التَّضْيِيقِ عَلَى ، وَمَنْعَ مَنْ اعْتَادَ صَلَاتِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَيَّ ، فَأَصْعَدْتُ إِلَى غُرْفَةٍ
فِي السَّجْنِ أَفْتَعَنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا ، وَأَسْلَانِي عَنِ الْمُصِيبَةِ بِالسَّكُونِ فِيهَا
- عَلَى مَضَاضَتِهَا - أَفْرِادِي مِنَ لَقِيفِ الْأَخْلَاطِ ، وَمَنْ صَمَّ السَّجْنُ مِنَ السَّفَلَةِ
وَالسَّقَاطِ ، فَحِينَ اسْتَوَاتِي إِلَيْهَا عَهْدَ بِحَطَى إِلَيْهِمْ ، وَخَلَطِي بِهِمْ ، وَوَضَعِي
بَيْنَهُمْ ، فَتَقَلْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَنْ أُبْلَغَ إِلَيَّ عَنْ ابْنِ أُخِي الْحَكَمِ
رِسَالَةً جَامِعَةً مِنَ السَّبِّ الْفَاحِشِ فُتُونُهُ ، مُشْتَمِلَةً مِنَ الْوَعِيدِ الْمُرْهَبِ عَلَى
ضُرُوبِهِ . فَلَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَنَتْنِي .

« وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ »
فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّي قَدْ أَهْلَيْتُ عُذْرًا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُعْذِرَ لِي لَبِيدٌ
وَكَادَ ^(١) ، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ . فَأَلْمَزُهُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَهُ ، وَلَمْ أَسْتَخِزْ
أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَدْلَيْنِ الْغَيْرِ وَالْوَتْدِ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الظُّلْمِ

(١) يشير إلى قول لبيد يحاطل فنتبه :

فَقُومَا فَقُولَا بِالْأَدَى قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا تَخْشَا وَجْهًا ، وَلَا تَخْلُقَا الشَّعْرَ

وَقُولَا : « هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ لَهُ أَضَاعَ وَلَا خَالَ الصَّدِيقِ وَلَا عُدْرَ »

إِلَى الْحَوْلِ ، ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمِنْ بَيْتِكَ حَوْلًا كَمَا لَا فَقَدْ اعْتَذَرَ

وَاعْتَذَرَ كَأَعْدَرَ أَنِّي بِعَذْرِ ، فَهَمَّا بَعْدَ تِمَامِ الْحَوْلِ إِذَا أَمْسَكْتُمَا عَنِ النُّوحِ وَالْبَكَاءِ عَلَى أَيْبِهِمَا فَلَهُمَا الْعُذْرُ .

وَالْهَرَبَ مِمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى الْغَارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ ، وَالْبَيْنِ عَنِ الْأَحِبَّةِ . فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ إِحْشَاشَ نَفْسِي بِإِيْنَاسِ أَهْلِي ، وَقَطْعَهَا فِي مُوَاصَلَةِ وَطَنِي ، غَبْنٌ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوَرٌ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحَرْيَ يَنَامُ عَلَى الشُّكْلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الدَّلِّ ، وَأَذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ نَسَبٌ ، وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلِ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أُحْدِثُوهُ فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتَ فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أَسْتَغْرِبْ أَنَّ أَسَامَ يَمَثَلُ هَذَا الْخَسْفِ فِي مَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَعْقُ^(١) تَمَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضِ مَسَّ ثَرَابَهَا جِلْدِي ، فَقَدِيمًا صَانِعَ الْمَرْءِ الْفَاضِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْعَلِقُ الْغَبِيضُ فِي مَعْدِنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَضِيعُ فِي مَعْشَرِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عَوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطَبِهِ »

فَأَسْتَحَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاصْحَ وَجْهِ الْعُذْرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحِجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَزَنَ لِسَانَ التَّعَسُّفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوَابِ بِرَأْيِ ، وَيُقَرِّبُ غَايَةَ النَّجَاحِ عَلَى سَعْيٍ ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مَبْنِيٌّ

(١) اللعق : اللومع الذي تقع أى تقع فيه عن الصبي التمام ، ومنه قوله :

« بلاد بها عن الشباب تمامي وأول أرض مس حلدی ترابها . »

عَلَى، مَنْسُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَى، فَهُوَ الْمَوْثِقُ لِذَلِكَ، وَالْمَرْجُو لَهُ، وَلَعَمْرُكَ يَا سَيِّدِي
 إِنَّ سَاحَةَ^(١) الْعُذْرِ لَتَضِيقُ عَنْكَ، وَمَا تَكَادُ تَتَسَّعُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تِلْمِيزَكَ
 وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخِكَ الَّذِي لَمْ تَرَكَ مُتَابِرًا عَلَيْهِ آخِذَا عَنْهُ مُقْتَسِبًا مِنْهُ مَعَ
 إِكْثَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْأَعْتِدَادِ بِهِ، وَأَدْعَاءِ الْحِفْظِ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ
 حَسَنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَسَمِعْتَ الْمَثَلَ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.»
 فَأَلَمَهُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقَلٌّ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْجِدِّ، وَاسْتِعْرَاقِ الْجَهْدِ، فَمُبْلَغُ
 نَفْسِ عُدْرَتِهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ، وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرِي بَلَغَ الْعُذْرُ، وَلَكِنْ مِنْ لَكَ
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمِّ وَقَعُ، وَلَا حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَمَلُ،
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا
 أَنْ رَزَا^(٢) مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَى بَأْنِ السَّعْيِ لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنْ مَادَّةَ الْبَغْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ،
 وَأَنْ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقِ الَّذِي أَحْلُ بِهِ، وَالْجَنَابَ الَّذِي
 أَحْطُ فِيهِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي
 إِلَى الثَّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأَبْنَى عَلَى الْوَثَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُسَوِّمِينَ بِالْأَثَرَةِ
 عِنْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ عَاتَبْتُهُ عَلَى تَأْخُرِهِ عَنْ مُطَافَرَتِي
 وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَأَعْتَدَرْتُ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَنَفْعَ لِلْحِيلَةِ فِيهِ، إِذِ
 الْمَحْرَضُ عَلَى لَا تَتَأْتِي مُعَارَضَتُهُ، وَلَا يَتَهَيَّأُ الْأَسْعِدَادُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَفَنِي
 بِالْبَذَاءِ وَمَا بَنِي بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ

(١) في الأصل: «ان ساعة العذر.» وفي هامش الأصل «لعلها سمه» وقد أبتنا مكانها «ساحة»

التي هي على صورتها في الخط ليستقيم المعنى. (٢) الرز والركر الصوت الحقي تسمعه من بعيد.

مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَأَنْتَهَكَ مَا أَنْتَهَكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأَنْفُتُ
مَصْدُورًا. فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا غَرَضٌ مُوجِبٌ ، وَمَالِي
وَهَذَا الْمُجْتَنِّي ثُمَّ مَالِيَا ، وَ « سَتُكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ » وَلَيْسَتْ هَذِهِ
بِيَكْرٍ مِنَ النَّمَامِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا :

« فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَتُرَكُّونَ أَدِيمًا صَحِيحًا »

وَمَنْ يَأْذُنُ إِلَى الْوَاشِينَ تَسْلَقُ ^{***} مَسَامِعُهُ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيِّدِي :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالظَّمَانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي
وَوَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُوتِي مِمَّنْ أُوتِيَتْ مِنْهُ مَعَ انْتِصَالِي بِهِ ، وَأَنْتَقِطَعِي إِلَيْهِ ،
وَأَسَامِي بِالتَّائِمِلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهْيِ ذِمَّتُمْ .
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ - لِلْمَرْءِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْقَوَائِدِ
لَقَدْ كَانَ مِنْ مُحَاسِنِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ
لِمَا عَرَفَ ، وَيَعْفِرَ مَا سَخِطَ لِمَا رَضِيَ ، وَيَدْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُوَثِّرَ
الَّذِي هُوَ أَجْمَلُ وَأَرْفَقُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نَصَّ لَهُ مِنْ سَعْيَاةٍ ، وَزُفَّ إِلَيْهِ مِنْ
وَسَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا أَلْفَاهُ ، وَفَضَحَ الْمُخْبِرَ الْمُتَقَرَّبَ بِهِ وَأَقْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ
حَقًّا صَبَرَ صَبْرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنَابَةَ الْمُعْتِيبِ ، وَأَقْتَصَدَ
فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّقْصِيفِ ، وَالتَّائِبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ
فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَأْلُمُهُ عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْذَبِ؟
وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنَّ بِالْحَضْرَةِ قَوْمًا لَا يَحْضُرُهُمُ الْعَدُوُّ تُحْتَمَلُ سَقَطَاتُهُمْ ،
وَتُغْتَفَرُ هَقَوَاتُهُمْ ، وَتُقَالُ عَثَرَاتُهُمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَ^(١)
وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُذَلُّونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكْتَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَمُوتُونَ بِذَرِيعَةٍ يَنْفَرِدُونَ
دُونِهَا :

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا
فَإِنْ كَانَتْ مُسَاحَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَلَفَتْ فَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنْهَا الْحِظَّ الْأَعْلَى ، أَوَّلِكُمَا
أَدَبٌ فَقَدْ ضَرَبَتْ فِيهِ بِالْقِدْحِ الْمُعْلَى ، أَوَّلُ لُطْفٍ تَوَدَّدَ فَمَا قَصَرَتْ فِي الْاجْتِهَادِ
غَيْرَ أَنِّي حَرَمْتُ التَّوْفِيقَ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .
فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فِينِي سُوءُ الْقَضَاءِ إِلَى الْعُدُوِّ
وَاللَّهُ لَقَدْ أَظْهَرْتُ مَدْحَهُ ، وَأَضْمَرْتُ نُصْحَهُ ، وَتَمَمْتُ عَلَى الصَّاعِيَةِ لَهُ ، وَجَرَيْتُ
مِلءَ الْعِنَانِ إِلَى الْإِعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِغَ مِنْ مِيَاهِ وَدِّي ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ
مِنْ بُرُودِ سَمْدِي ، وَأَجْنِيهِ الْغُضَّ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأُهْدِي إِلَيْهِ الْعَطِرَ
مِنْ تَفَحَّاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّجَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ضَيَاعًا لَدَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُنِي
النَّقَرُ مِنْهُ ، إِلَّا بُعْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِهِ ابْنَ حَنِيئَةٍ إِذَا النَّزْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدًا
وَالَّذِي أُحِبُّهُ مِنْكَ ، وَاتَّقِ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَاءَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُفَاوِضًا

(١) أى ليس شر الثلثة يا أم عمر الذى لاسمعيه الصبوح بصاحبك ، وى الأصل :

« وما شر الثلثة — أم عمرو — لصاحبك الذى لا تصبحينا . »

فِي أُنْزَرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي غَايَةً
مَائِسِي الْعَدُوِّ بِهِ ، وَيُسَاءُ الْمَوْلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالْفُرْبَةُ أَحَدُ السَّبَائِنِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يُزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْجَبًا
وَيُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسِيئُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا »
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِرِّي ، وَالْدَارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَيْبْتُ عَنْ أُمِّ
أَنَا وَاحِدِهَا ، تَمْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَغْضُ أَجْفَانُهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي - نِدَاءَهَا ، فَلَا سِتْجَابَةَ مَضْمُونَةٍ لِلْمُخْلِصِ
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ حَمَلْتُ السَّمْتَيْنِ ، وَأُسْتَوْجِبْتُ الصَّفَّتَيْنِ ، وَلَتَكُنْ بُغْيَتِكَ الَّتِي
تَدْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةً تَأْمِينٍ ، وَإِشَارَةً إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينٍ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا
فَاطْهَرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِ الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ عِزَّ الشُّفْرَةِ ،
فَالْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِمْرَةَ ^(١) ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ
الْأَمْنُ فِي مِظَانِهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يُحْكَمَ اللَّهُ لِي
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ
مُعَقَّبٌ ، وَلَرُبَّمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي اتِّدَابِكَ لِمَا
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »

وَالنَّحِيَّةُ الطَّبِيعَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي .

(١) الحمرة : اسم للهيئة من الاختيار أى وضع الحمار على الرأس ، وهو مثل يفرب ان حذق الأشياء
وجرب الأمور .

شعر الملكين

(١)

شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو

عباد بن محمد بن عباد رجه الله . »

إذا نام أقوام عن المجد - صلة -
أسهد عيني أنت تنام في الحال
وإن راق أقواماً من الناس - منطق
يروق ، بدا مي مقال وأفعال . «
(وقال)

« أقوم - على الأيام - خير مقام ،
وأزهد في الأعداء - شر ضرام
وأثقف في كسب المحامد - مهتقى ،
ولو كان في الدكر الجليل - حامى
وأبلغ - من دنياي - مسمى سؤلها ،
وأضرب - في كل العلا - بهام
إذا صحح الأملاك - تقص ، فانه
يبيته - عند الأمام - تمامي . «

(وقال)

« من كان يسأل عن نوال فأنا الذي لست يسأل
الجل عين قيصه ، والوجود عين للكمال
أبصرت رشدي في الندى ، فالجل - عندي - كالضلال
هذا زفاف طعمه ، والوجود حلو كالزلال . «

(وقال)

« لو كان قلبي - عن الاشغال - نترحاً ،
نادى لفقد حبيب النفس : واحرباً
لكننا - شغلنا - بالجد - مجتهداً -
يلهمه عن حبه إن بان أو قرباً . «

« لقد بسط الله المكرم من كفى
فلست - على العلات منها - أخاكف
تنادى بيوت المال - من فرط بذلها -
يمى : « قد أسرفت ظالمى كسى »
أفترى يرمى بالسباح فتهمى
ولا ترتضى خلا يقول لها : يكى
لعمرك ، ما الاسراف في طيبة ،
ولكن طمع البخل عندي كالخنف . «
(وقال)

« من للشجاعة والكرم إلا الظل - لوم المظلم
من لست نعمد عنده غير التبدل والمدم
أحيا المكرم والعلا وأقام ما د الهمم
يلقى العداة ، وسيفه قد قط هامات البهم . «

(وقال)

« لعمرك لاني - بالمدامة - قوال ،
وإني - لما يهوى الندامى - لفعال
وإني - للخل الحليل - لناعش ،
وإني - للقتل الماوى - لقتال
قسمت زمانى - بين كد وراحة -
فلم أر أسحار ، وللطيب آصال
فأسمى - على الذات والهور - ما كفا
وأضحى - بساحات الرياسة - أختال
ولست - على الإدمان - أغفل يغنى
من المجد ، لاني - في المال - لحتال

(وقال)

« هذى السعادة قد قامت على قدم
وقد خلفت لها في مجلس الكرم
فان أردت — إلهي — بالورى حسناً
فلكني زمام الدهر والأمر
فاني لا عدك الدهر عن حسن ،
ولا عدك بهم عن أكرم الشيم
أقارع — الدهر — عنهم كل ذي طلب
وأطرد — الدهر — عنهم كل ذي عدم . »

(وقال)

« عن الفصد قد جروا ، وما جرت عن قصد
إذا خفيت طرق العرائس عن أسد
إذا اعترضوا للبحل أعرضت عنهم ،
وإن من أقوام كتبت الذي أسدى
فله ما أخنى من المدل والندى ،
ولله ما أبدى من الفضل والمجد
ولا ألتقي سبي بغير بشاشة
إذن فحدث الله معروفه عندي . »

(وقال)

« ألام ، ومالوي — على الحب — واجب ،
وقد صادني طرف كليل وحاجب
أنحجب عني — والنفوذ يحجبها —
لفدد عز محجوب تمامه حاجب
أروم فؤادي — في العرام — لينيني
وكيف وما دون الأية حاجب . »

(وقال)

« زهر الأسنه في الهيجا غدت زهري
غرس أشجارها مستجزل النمر
ما إن ذكرت لها من ممر كجلل
إلا تحلله — بالصارم — الذكر
حق غدوت وأعدائي تخاطبني
يا فائل الناس بالأجناد والفكر . »

(وقال)

« وإذا توعدت المسالك لم أرد
فيها السرى إلا برأى مقمر

وإذا طلبت عزيمه ففاتيحي

فيها العزيمة والسان السهري . »

(وقال)

« كلام — كمثل الدر — تنزه نثرأ
ووصل — كظل الروض — تعطيك نزرأ
ولو لم تشب وصلي بهجر خلتي
أشاهه منها الشمس أو أثلم البدر . »

(وقال)

« أنك الليل معتكراً يافقه سنا البدر
ذر الساعات تبسطه ستقبضه يد الفجر . »
(وقال في القاضي أبي القاسم أبيه)

« ألا يا مليكا يرتحى وبها
وبجرأله — في الكرمات — عباب
ومولى عدتي — مذنشات — مكارم ،
بصوبها — من راحتيه — سحاب
أطمتك — في سري وجهي — جهداً ،
علم يك لي — إلا الملام — ثواب
وأعملت جهدي في رضاك مشرأ

ومن دون أن أدعى إليه حجاب
ولما كبا حدى إليك ولم يسع
لنهي — على سوء المقام — شراب
وقل اضطباري ، حين لالي عندكم
— من العطف — لإناؤة وتباب
فررت بنفسي أتبهي فرجة لها
على أن حلو العيش بعدك صاب

وما هزني إلا رسولك أن جرت
إلي به صم الهضاب ركاب
فقال مقالاً لم أحد عن مقاله
مناباً ، وعن بعض الأهور مناب
دعاك أمير المؤمنين — ثواباً
فقلت : « أمير المؤمنين نجاب »
نفس أغد السير ، حتى كأنما

يطير بسيري — في الفلاة — عقاب
وما كنت — بعدالين — لإمودماً
بعزى على ألا يكون إياب

بجاءت - وما كادت - على بخدها
وقد ينبع الماء النير من الصلح
نقلت لها : « هاتي تماياك لاني
أفضل نوار الأفاحي على الورد
وميلي على جسي بجسك » فاشتت
تعيد الذي أملت منها كما تبدى
حناقاً ولثما أرويا الشوق بيننا
- فرادى ومثني - كالشرار من الزند
فياساعة - ما كان أقصر وقتها
لدى - تقضت غير مذمومة المهدي .
(وقال)

« ينادون قلبي ، والعرام يجب ،
وللقب - في حين النداء - وجيب
مشوق دماء الشوق والوجد والهو
يجيب نداء الحب وهو يجيب
يقاسي فؤادي الوجد والحب واصل -
فكيف تراه إن جفاه حبيب ؟
إذا أخطأ الأحباب ترتيب حالهم
فانت فؤادي - دائماً - ليصيب
علم بأسرار الغرام ، لأنه
يصير - بأدواء الحسان - طيب
يواصلني سرّاً ، ويصرم ظاهراً ،
وذلك - من أدها لن - عجيب . »
(وقال)

« بيض الهند والأسل الحداد
أرجى أنت يتم لي مرادي
فأبلغ بنيتي ، وأريح نفسي ،
وتحمد حالي في كل نادى
ففي الدهر في قتل الأعادي ،
وحسم رقابهم في كل وادي
فذاك الغرض - والرحن - عندي
كمثل الفرض في حال الجهاد . »
(وقال)

« وليل ظلتنا فيه نعمل كأسنا
إلى أن بدت للصبح في الليل - أعمال

ولكنك الدنيا إلى حبيبة
فما عنك لي - إلا إليك - ذهاب
وفضلك في ترك اللام ، فانه
- وحقك - في قلبي ظلاً وحراب
إذا كانت النعمى تكدر بالأذى
فما هي إلا عمة وعداب
ولا تقبض بالمنع كفي فانه
- وحدك - قمص للعلا وخراب
فوالله ما أبهى بذلك غير أن
تحلى بحدوى راحتك رقاب
ويهدى إليك الناس دون تصع
شبه صدق لم يشبه كذاب
مكل نوال لي ، إليك انتسابه ،
وأنت عليه - بالشاء - مثاب
بقيت مكيب الأمر ، ما ذرشارق ،
وما لاح في أفق السماء شهاب . »
(وقال)

« يا قاتل الصب ولا واق
لا ترص بالله بانفاق
عينك قد قادت إلى الردى
فالقلب شاح إلى راق
لولاك والرحن - ما كنت من
يتحسب في حمة عشاق
قد لدغت صدفاك قلبي فهل
تعم للدغ بدرياق . »
(وقال)

« رعي الله من يصلي فؤادي بنج
سميراً ، وعيى منه في جنة الحلد
غزالية العنين شمسية السننا
كثيية الردي غصنية القند
شكوت إليها حبها بـ - دامي
وأعلمتها ما قد لقيت من الوجد
فصادق قلبي قلبها - وهو سالم -
فأعدى ، ودو الشوق المبرج قد يعدى

(وقال)

« ذكراك في في قدشيت بتسبيحي
أفديك يا فتنة الجنان والروح
الله يعمـلم أنى لست أهركم
دهرى ولا تنقضى فيكم تباريحي
إن كنت أشرح معى حيكم شغفاً
فان سرك عندى غير مشروح . »

(وقال)

« يا جاهل الحب إن الحب ذو سند
مهما أزعجته يوماً سوف أعتد
أيهمل الحب من أخص به حرق
تكاد من حرها الأحشاء تنقد
الله يعمـلم أنى شيق أبداً
لا يقضى الشوق حتى ينقضى الأبد
إن يشرب الجسم برد الوصل منتعشاً
يهدى إليه دواى حر ما يحد . »

(وقال)

« لله درّ الحب ماذا يصنع
يعو له ملك الزمان ويخضع
للحب سلطات عظيم شأنه
مهما يقل قولاً فقلبي يسمع
إن يفر بالهجران مالك مهتجى
أقبل إليه بحالتى أنضرع
ماذا انتفعت بحالتى عند الهوى
حال الهوى أبداً أجل وأرفع . »

(وقال)

« لله ما خلد الأحماس فى خلدى
لمن غدا والدى كالروح والجسد
للأوحى أبى الجيش الذى ظفرت
منه بأفئس علق فى الأنام يدى
موفق الرأى فى الرابات لدته
فى الجد والجود لافى العيشة الرغد
إذا رأته الملا نادته مفصحة
ياقوة العين بل بأفلة الكبد . »

وولت نجوم الليل تجرى هزينة

وجاء مع الاصباح نصر واقبال
فقضيت - من هذا وذاك - لبانة
وتتم لنا فتح مبين وآمال . »
(وقال)

« وليل آدمنا فيه شرب مدامة
إلى أن بدا للصبح فى الليل تأثير (١)
وجاءت نجوم الصبح تضرب فى الدجى
فولت نجوم الليل والليل مقهور
خزنا - من اللذات - أطيب طيبها
ولم يعدنا هم ولا طاق تكدير
خلا أنه - لو طال - دامت مسرة
ولكن ليالى الوصل فيهن تقصير . »

(وقال)

« أنعلم أن قلبي غير صاح ؟
وأنى من سلوكك فى انتزاع
وكنت الدهر - أصاد المالى
فقد أصبحت من صيد الملاح
تسقى البجيلة كأس صد
وتزجها - لتعليل - براح
ولوشاءت حياتى - الدهر - سقت
حرور القلب من شيم قراح
وكانت تصنع الحسنى جيلا
ولكن ليس تلقى غير لاح
فسقى - فديتك - من عقار
ونادى : هلم إلى اصطباح . »

(وقال)

« يطول على الدهر إن لم ألقها ،
وبقصر - إن لاقيتها - أطول الدهر
لها غرة كالبدر - عند تمامه -
وصدأ غير نفا صفحة البدر
وقد كئل الحصن - مالت به الصبا -
ولفظ كما انحلت الظلام من الدرّ

(١) هذه المقطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر

ابن زيدون .

(وقال)

« أترى اللقاء كما نَحْتُ يوق
مظلّ نصبح بالسرور ونعقب
حتام تملطى اللبالي قرب من
قلبي له متشوّف متشوّق
ملك أغرّ أعار أن تحطى به
لسواى أخطأ ولخطى مملق
أدى أبا الجيش الموفى أنه
للكرامات ميسر وموفق
ناهى به الزمن البهيم كأنه
نشر على وجه الزمان وروث
ملك إذا ههنا بطيب ثمانه
طلت به أهوانها تنطق
حسب الرئاسة أن غدت مرادنة
بسانه فهو الناح وهو المفرق »

(وقال)

« عرفت عرف الصبا إذهب غاظه
من أنق من أنا فى قلبى أشاطره
أراد تجديد ذكره على شحط
وما تيق أنى الدهر ذا كره
ينأى المرار به والدار دايمة
يا حبذا الفل لو صحت زواجره
دخرى أبا الجيش هل يقى اللقاء لنا
دبشتنى ملك حفن أنت ناظره

نصاره قبصر إن قام متحرراً
لله أوله مجدد وآخره . »

(وقال)

« كأننا ياسميننا العس
كواك فى السماء تبيض
والطرف الحر فى حواسه
تخذ عذراء ناله العس . »

(وقال)

« تنام ومدنتها يسمر وتبصر عنه ولا يصبر
لئن دام هذا وهذا به سيهلك وجداً ولا يشمر . »

(وقال)

« أنا وما قلبى من المجد نائم
وإن قدمت بنى علة عن طلابها
فات اجتهدى فى الطلاب لقائم
يمز على نفسى إذا رمت راحة
براح منبئين الطباع الكرام
وأسهر ليلى مفكراً غير طاعم
وغبرى على العلات شعبان نائم
ينادى اجتهدى إن أحس بفترة
ألا أين يا عباد تلك الغرائم
تتهتر آمالى وتقوى عرائمى
وتذكرنى لدائم الهرائم . »

(وقال)

« أنا فى الحب مغرم مستغنى
كل نيل أنا له لى قليل
لى جثمان من يطن صحياً
وفؤادى من الغرام عليل
(١) أعطى بحق
إن صبرى - على التجنى - جميل
لى ذهن - مثل الحسام - صقيل
هو من كثرة التجنى قليل . »

(وقال)

« إنى على ألفتى بالسهد والكمد
أدعوك يا معسى الأجسام بالسهد
قطعت قلبى الذى أعطاك جوهره
إنى وهبتك محض النفس والكبد
يادرة لم تاج فى كف غائضها
إلا أهمل إليها آخر الأبد
قلبي بكفك لا أرجو الفكك له
مثل الفرسة حلت فى يدى أسد . »

(١) هكذا وجد نائماً بالأصل

(وقال)

« غصن من التبر بوقه ورق
كأنه الصبح تحته شفق
يا أبداع الناس في عأسنه
رق على من أذابه الأرق
مددت كفى رجاء رأفتكم
لا تتركوا ينالني الفرق
بحر دموعي مغرق جسدي
تداركوا مهجتي وبى رمق . »

(وقال)

« رعى الله حاليا حديثاً وماضيا
ولان كنت قد جردت عزمى ماضيا
فما للبالى لا تزال تروم—نى
ويرمين نى صائب السهم قاضيا
وقد علمت أن الخطوب تطيعنى
وما زلت— من لبس الدنيا—طاريا
أجسد فى الدنيا ثيابا جديدة
يجدد منها الجود ما كان باليا
فما مرّ لى بجل بخاطر مهجتي
ولا مرّ بجل الناس قط بياليا
ألا حبذا فى الجدد لإتلاف طارفى
وبذلى عند الحمد نفى وماليا . »

(وقال)

« يحجور على قلبى هوى ويحير
ويأسرنى إن الحبيب أمير
أطوع لأمر الحب طوع . مسلم
وإن كان من شأنى إباءً ونفور
أفار عليه من لحاظى صيانة
وأكرمه لأن الحب غبور
أخف إلى لقيا الحبيب ولانى
لمعرك فى كل الأمور وقور . »

(وقال)

« يا غرّة تسخر بالبدن
ومقلة ثفت بالسحر
ومبهما نظم من جوهر
وماؤه من أعطر الخمر
ومنطقاً أوتيت من سحره
أحرّ فى قلبى من الجمر
وشادنا تبنى ش—خصه
وكل الأجفات بالسهر
تاجر بى الله نغز بالرضى
وترمخ الجنة فى التجر . »

(وقال)

« يا درّة قلبى بها مفتون
يسلو، وإن سئل السلوثنين
الله يعلم أن قلبى معرم
من كان ذا صبر فليس يكون
أو أن من يشرى رضاك بموزة
بالحد قلنا: إنه المغبون . »

(وقال)

« يا قرا أصبح لى مالكا
لا تركنى هكذا هالكا
وفلذة الكبد التى ضمها
مبيتها الدهر بأوجالكا
رق على قلب العبيد الذى
يود أن يجرى على بالكا
حسنّت فى خلق وخلق فلم
رضيت بالفتح لأفعالكا . »

(وقال)

« بصبرنى أهل المودة دائماً
وإن فؤادى والاله صبور
أعار على مغنى الرئاسة لى
على كل حسن فى الزمان غيور
أصرف ذهى فى أمور كثيرة
وأعلم أن الدائرات تدور . »

(وقال)

« أطلت نغار المجد بالبيض والسمر
وقصرت أعمار العداة على قصر
ووسعت سبل الجود طبعاً وصنعة
لأشياء — في المليء — صوابها صدرى
فلا يجد للانسان ما كان ضده
يشاركه في الدهر بالنهي والأمر . »
(وقال)

« كان عشى القطر في شاطئ النهر
وفد رهرت فيه الأراهر كالزهر
ترشّ بماء الورد رشا وتثنى
لتغليظ أفواه بطيبة الجر . »

(وقال حين دخل على المعتمد مآلقه)

« أرى أنت فائدة الزمان
فقد ققت الممالك في معان

وقد رمناك من بلد بعيد
فأدناك الاله بلا توات
بذلنا جهدنا عزماً وحزماً
ووطننا الكرامة على الطمان

وأجهدنا العزائم والمساقي
وأعلمنا الحسام مع السنان

ليبنى أهل مآلقه انتصاري
وإعزازي لهم بعد الهوان

سيتقدّم وينميه جيماً
رضاع الخير إن درت لباني

وأرقبهم ذرا درج العالي
كما أجنهم عر الأمانى

وأضعاف الذى يبدى لسانى

إليهم ما يمن لهم جناني
فحق عليهم شكر امتعاضى

وما خلقى امتنان بامتنان
ولكن الحقائق مخبرات

وكم خبر ينوب عن العيان
ألم أعتقهم من ذل كفر

جرى في ضيمهم ملء المنان
وتوراة عسرة أعزّت

فطالت ذلة السبع المثاني
إلى أن ثار بن عزم يمان

فأدرك سؤله الغضب اليماني
وأفضيت الصوارم خاطبات

فكان قضاؤها سحر البيان
فعاد البرّ معبور الماني

وآب الفسق مهدوم المباني
وقام إمام جامعهم يصلى

وآندست المسامع بالأذان
وكان ذوو الهدى ما بين ثاو

قتيل أو فقيده العقل فاني
مذ اقترنت ببربرهم يهود

أباح حسامهم حسن القران
هناد جر ما أوليت فيهم

— من التكتاك بكر أو عوان
وحسبي في سبيل الله موت

يكون ثوابه خلد الجنان . »

(٢)

شعر المعتمد

(قال رحمه الله حين خرج من مالفة مستعجباً لأبيه :)

« سكن فؤادك لا تذهب به الفكر
ماذا يعبد عليك البث والحذر
وازجر جفونك لا ترضى البكاء لها
واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبّر
وإن يكن قدر قد عاق عن وطر
فلا مردّ لما يأتي به القدر
وإن تكن خيبة في الدهر واحدة
فكم غدوت ومن أشياعك الطفر
إن كنت في حيرة من حرم مجتم
فإن عذرك - في ظلماتها - قر
كم زمرة - في شفاف القلب - صاعده
وعبرة من شئون الدين تنحدر
فوض إلى الله مما أنت خائفه
وثق بمتصدد بالله يفتقر
ولا تترك خطوب إن عدا زمن
فالله يدفع والمنصور ينتصر
واصبر ، فإنك من قوم أولى جلد
- إذا أصابتهم مكرهه - صبروا
من مثل قومك - والملك الهمام أبو
عمرو أبوك - له مجد ومقتخر
سميدع يهب الآلاف مقتدراً
ويسـتـنـقل عطاياه ويحتر
له يد كل جبار يقلبها
لولا نداء لقلنا إنها « الحجر »
يا ضيفاً يقتل الأبطال مقتراً
لا توهني فاني الناب والظفر
وفارسا تحذر الأقران صولته
من عبدك القن فهو الصارم الذكر

هو الذي لم تشم يملك صفحته
إلا تأتي سراد واقضى وطر
قد أخلقتني صروف - أنت تعلمها -
وقال موردها : « مالي بها صدر »
فالنفس جازعة ، والعين دامعة ،
والصوت مرتفع ، والسر منتشر
وزاد همى ما بالجسم من سقم
وشبت رأساً ، ولم يلغني الكبر
وذبت لإلا دماء في يمسكي
أني عهدتك تفرو حين تقتدر
لم يأت بصدك ذنباً يستحق به
عتباً ، وها هو قد ناداك يعتذر
ما الذنب إلا على قوم دوى دغل
وفي لهم عهدك المهود إذ غدروا
قوم نصيحتهم غش ، وصدقهم
مين ، ونفهم - إن صروف - ضرور
يميز البغض في الألفاظ إن ندموا
ويعرف الحقد في الألفاظ إن نظروا
إن يحرق القلب نفت من مقامهم
فإنما ذاك من نار القلي شرور
مولاي دعوة مملوك به ظمأ
برح وفي راحتك السلسل الحصر
أجب نداء أخى قلب تملكه
أسى وذى مقلة أودى بها السهر
لم أوت من زمني شيئاً أسر به
فلست أعهد ما كاس ولا وتر
ولا تملكى دل ولا خير
ولا سبي خلدي غنج ولا حور

بقيت مؤيدا ما لاح برق
وماغنى الحمام على قضيب .
(وله إليه)

« ألايامليكا ظل في الحطيم مغزا
وياواحدأ فاق الحلائق أجمعا
ترفق بعبد وده لك شيمية
إذا كان ذو ودّ سواء تصنعا
لئن كنت عن جهل فديتك غافرا
فكم عاترقاك علاك له : «لما»
أقلّي نُقل عبدا شكورا وصارمأ
يجر من الأعداء لينا وأخذنا
علتي من السخط الأليم سعباة
فأغر بهارمخ الرضى كي تقشعا .
(وله إليه)

«مولاي أشكوك إليك داء أصبح قلبي به قريحا
إن لم توجه رساك عني فليست أدري له مريحا
سحطك قد زادني سقاما
فأبعت إلى الرضى مسيحا .
(وله إليه)

«ياليث حرب ذاق الأعادي
طعمين ممسه أريا وسما
هذا إذا ناشبوه حربا
وذا إذا استوهبوه سلما
لاغرو أن حم مك جسم
فعادة الأسد أن تحما
وليمني أن طلعت بدرأ
لأعين الخلق مستما
لازلت تلقى العداة بؤسى
مك وتلقى الولاة نسي
ولتجز من قال من حسود
إن يكن الحق قد ألما .
(وله)

« يا بدر تم تجبلى فالأرض تشرق منه
العجز خلق ذميم فلا تحدث عنه . »

رضاك راحة نفسي لا جفت به
فهو العتاد الذي للدهر أذخر
هو المدام التي أسلو بها فايدا
عدمها عبت في قلبي الفكر
ما تركي الحر من زهد ولا ورع
فلم يفارق لعمري سسى الصبر
ولمّا أنا ساع في رضاك فاين
أخفقت فيه فلا يفسح لي العمر
ما سرني وأحاثني عصر عطفكم
يوم أخل به في عيني القصر
أجل ولي راحة أخرى عقلت بها
نظم الكلى في القنا والهام تنثر
كم راحة لي في الأعداء واضحة
تفى الليالي وما يغني لها الحبر
سارت بها العيس في الآفاق فانتشرت
فليس في كل حي غيرها سمر
لا زلت ذا عزّة قساء شامخة
لا يبلغ الوهم أذناها ولا البصر
ولا يزل وزرمن حسن رأيك لي
آوى إليّ فعم الكهف والوزر
أليك روضة فكرى جاء منبتها
ندى يميني لا ظل ولا مطر
حملت ذكراك و أرجأها شجرا
فكل أوقاتها للمحتن ثمر .
(وله إليه)

«أيا ملكا يحل عن الفريب
ومن يلتذ غفران الدنوب
ومن في كفه بؤسى ونسي
تصرف في السدو والجبيب
تسحطك المشى أعل نسي
ومال غير غفوك من طبيب
ولست بمنكر ذنبي ولكد
ننى قد جئت في حال المريب
فان عاقبتني بجراء مثلى
وإن تصفح فليس من الفريب

ابن عمار^(١)

« وكتب ذو الوزارتين أبو بكر بن صار
إلى المعتد على الله حين تقبض النصراني
على الرشيد ابنه إذ حاول أمر مرسيه . »

« أصدق ظلي أم أصبح إلى صبي فأمضى عرماً أم أعوج مع الركب

(١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن صار » ذو النفس العصاوية — كما يقول المراكشي — كان أحد الشعراء
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن هاني الأندلسي » وربما كان أحلى منزلاً منه — في كثير من شعره .
ولشعره ديوان يدور بين أيدي أهل الأندلس ولم أر أحداً ممن أدركته سبي من أهل الآداب الذين أخذت عنهم
إلا رأيته مقدماً له مؤثراً لشعره ، وربما تغالى بعضهم فشبهه بأبي الطيب وهيأت . فن قصائده المشهورة التي
أجاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتب بها من سرقة حين فرق المعتضد بالله بينه وبين المعتد لأنه شمله عن
كثير من أمره ففاه وعى : —

« على والا ما بكاء العمام وفي وإلا ما نواح الخمام
وعى أنار الرعد صرخة طالب لثأر، وهز البرق صعقة صارم
ومالبت زهر النجوم حدادها لغيرى، ولا قامت له في مآتم . »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح المعتضد بالله :

« أبى أن يراه الله إلا مقلدا حيلة (١) سيف أو حيلة عارم . »

ومن جيد نسبه قوله في قصيدة يمدح بها المعتضد بالله :

« جاء الهوى فاستشعروه عاره ونعيمه فاستمذبه أواره
لا تظنلوا — في الحب — عزاء، وإنما عبدانه في حكمه أحراره
قالوا أضرب بك الهوى فأجبتهم : يا حبذا وحبذا أضربه
قلبي هو احتار السقام لجسمه زيا ، يغفلوه وما يختاره
غير تمني بالنحول ، وإنما شرف المهند أن ترق شفاره
وشتم لفرار من آفته ولربما حجب الهلال سراره
أحببتم السلوان هب نسيمه ؟ أو إن دلك النوم عاد غرارهم ؟
إن كان أعيا القلب من حرب الجوى خذلته من دمعي إذ أنصاه . »

ولابن عمار هذا مع المعتد أخبار عجيبة عن مجيئها أهل الأندلس ، وأنا — إن شاء الله — موحد منها ما لا يخل
بالشرط الذي التزمته ، ولا يخرج عن الحد الذي رسمته ، حسب ما بقي على خاطري من ذلك ، لأنني كنت في

ولماني لتفوي لي إليك مودة يعثرها ما قد تعرض من ذنبي
إذا اقتدت في رأي مشيت مع الهوى وإن أنعمه نكصت على عقبي

حادثة سني قد صرفت عنايتي الى أخبار ابن عمار هذا مع المعتضد لما تضمنته من الآداب . وقد فشت خزائنه
حفظي فلم ألب فيها إلا نبذة يسيرة وأنا موردها إن شاء الله عز وجل :

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من « شلب » من قرية من أعمالها يقال لها : « شنبوس »
مولده ومولد آبائه بها ، كان غاملا البيت ليس له ولا لأسلافه في الرياسة في قديم الدهر ولا حديثه . حظ ، ولا زكا
منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طفلا فنشأ بها وتعلم علم الأدب على جماعة منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى
الأعلم ، ثم رحل الى قرطبة فتأدب بها ومهر في صناعة الشعر فكان قصاراه التمسك به فلم يزل يحول
الأدلس مسترفدا لا يخفى بمدحه الملوك دون غيرهم بل لا يبالى ممن أخذ ولا من استعطف من ملك أو سوقه ،
وله في ذلك خبر ظريف ، وذلك أنه ورد في بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجد عليها فكتب بشعر
الى رجل من وجوه أهل السوق فكان قدومه عند ذلك الرجل أن ملأ له الخلاة شعيرا ووجه بها إليه ، فرآها
ابن عمار من أجل الصلات وأسنى الجواهر — ثم اتفق أن علت حال ابن عمار وساعده الجدد ونهض به البيعة
وانتهى أمره أن ولاه المعتضد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما أفضى الأمر إليه فدخلها ابن عمار في
موكب ضخم وجملة عبيد وحشم وأطهر نخوة لم يطرها المعتضد على الله حين ولها أيام أبيه المعتضد بالله ،
فكان أول شيء سأل عنه الرجل صاحبه صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أمو حتى ؟ قالوا : نعم
فأرسل إليه بمحلاته بعينها بعد أن ملأها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملأها تبرا لملائها تبرا » ولم يزل
ابن عمار على الحال التي ذكرناها من التقلب في بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على
المعتضد بالله أبي عمرو فامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

« أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبر »

وفيها يقول بمدح المعتضد :

« عباد المحصر نائل كفه والحو قد لبس الرداء الأغبر
قداح زبد الخمد ، لا ينفك من نار الوغى إلا إلى نار القرى
يمتار أنت يهب الحريدة كاعاء والطرف أجرد ، والحسام بجورها »

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أوقمها المعتضد بالبربر :

« شقيب بسيفك أمة لم تقتقد إلا لليهود ، وإن تسهوا بربرا
أثمرت رحك من رؤوس كجاثم لما رأيت العصفن عشق مثيرا
وخضبت سيفك من دماء نحورهم لما عهدت الحس يلبس أحجرا »

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لم تقدم ولا متأخر بمثله وهو قوله :

« السيف أفصح من « زياد » خطبة — في الحرب إن كانت — بيبك منبرا . »

ولما أنشد المعتضد هذه القصيدة استحسناها ، وأمر له بجال وثياب وصرح ، وأمر أن يكتب في ديوان الشعراء
فكان كذلك ، ثم تعلق بالمعتضد على الله — وهو إذ ذاك شاب — فلم تزل حاله معه تتربد وموات خدمته له تقوى

وما أغرب الأيام فيما قضت به ترى بدي عنك أنس من قرنى
أما بك للحق الذى لك فى دمي وأرجوك للحب الذى لك فى قلبي

وتأكد إلى أن صار ابن عمار ألقى بالمعتمد من شمرات تصه (١) ، وأدنى إليه من حل وريده. كان المعتمد لا يستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اتفق أن ولي المعتمد على الله شاب من قبل أبيه فاستوزر بن عمار هذا فى تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فملب عليه ابن عمار غلبة شديدة ، وساءت السمعة عنهما ، فانفضى نظر المعتضد التفريق بينهما وبنى ابن عمار عن بلاده حسب ما تقدم الايماء إليه ، فلم يزل ابن عمار مغترباً فى أفاصى بلاد الأندلس إلى أن توفى المعتضد بالله ، فاستداه المعتمد وقربه أشد تقرب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك الرجل فيه أخاه ولا أباه . وله معه أيام كرهها إبلش خبر عجيب ، وذلك أن المعتمد استداه ليلة إلى مجلس أنسه على ما كانت العادة جارية به إلا أنه فى تلك الليلة زاد فى التثنى به والبر له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم المعتمد عليه : « لئمن رأسك معى على وساد واحد » فكان ذلك . قال ابن عمار : فهتف بنى هاتف فى النوم يقول : « لانتبرأ أيها المسكين إنه سيقنك ولو بعد حين » قال : « فانتبته من نومي فزعا وتمودت ثم عدت » فهتف بنى هاتف على حاله الأولى فانتبته ، ثم عدت فسمعتة ثالثة فانتبته فخرجت من أنوابي ، والتفت فى بعض الحضر وقصدت دهليز القصر مستغنيا به ، وقد أزعمت على أنى إذا أصبحت مستحيا حتى أتى البحر فأركبه وأقصد بلاد الدرعة فأكون فى بعض جبال البربر حتى أموت ، فانتبه المعتمد فافتقدنى فلم يجدنى فأمر بطايي فطلبت له فى نواحي القصر وخرج هو نفسه يتوكأ على سيفه والشعلة تحمل بين يديه ، وكان هو الذى وقع على مكانت منى حركة فأحس بنى وقال : « ما هذا يتحرك فى هذا الحضير ؟ » ثم أمر به بمفض ، فخرجت تريايا ليس على الا سراويل . فلما رآنى فاضت عيناه دموعا وقال : « يا أبا بكر ما الذى حملك على هذا ؟ » فلم أر بدا من أن صدقته ، فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها ، فصحك وقال : « يا أبا بكر ، أصمات أحلام هذه آثار الحمار » ثم قال لى « وكيف أفتنك ، أرايت أحداً يقتل نفسه ؟ ما أنت إلا كفى » فتشكر لى ابن عمار ودعاه بطول البقاء ، وتناهى الأمر فنيه ، وصمرت على ذلك الأيام والليالى إلى أن كان من أمره ما سياتى الايماء إليه ، فصدقت رؤيا بن عمار وقتل المعتمد نفسه كما قال .

ولما ألقى الأمر إلى المعتمد سأل ابن عمار ولاية شاب وهى كانت بلده ومنشأه كما تقدم ، فأجابته المعتمد إلى ذلك وولاه إياها أنبه ولاية جعل إليه جميع أمورها خارجها ودخلها ، فاستمرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شوق المعتمد إليه وسعف عن احتمال الصبر عنه ، فاستداه وعزله عنها واستوزره ، فكانت حاله معه شبيهة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل المعتمد يعمده لكل أمر جليل ويؤمله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمار مع هذا لا يئانط به أمر إلا صطلع به ، وكان فيه كالسكة المحلاة ، واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الأذفش إذا ذكر عنده ابن عمار . قال هو رجل الجريرة ، وكان ابن عمار هو الذى رده عن قصد اشبيلية وقربلة وأعمالها ، وذلك أنه خرج فى جيوش صنعة يقصد بلاد المعتمد طامعاً فيها ، غفانه الناس ، وامتلات صدور أهل تلك الجهات رعباً منه ، وسيقنوا ضعفهم عن دفاعه. فتولى ابن عمار رده بالطف حيلة وأيسر تدبير ، وذلك أنه قام سفرة شطرنج فى غاية الإقتان والابداع لم يكن عند ملك مثلهما ، جعل صورها من الأبوس والعود الرطب والصندل ، وحلها بالذهب ، وحمل أرضها غاية فى الاقتان فخرج من عند المعتمد رسولا إلى الأذفش فلقبه فى أول بلاد المسدين فأعظم الأذفش قدره وبالغ

(١) القص: بفتح أوله وتشديد ثانيه أراد به رأس الصدر وهى العظام التى تتلاقى فى وسط الصدر حيث ينبت الشعر.

ولى حسنات لوأمت ببعضها إلى الدهر لم يرتع لثابتة سربى

فى إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه والمسارة فى حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفارة فرآها بعض خواص الأذفنى فنقل خبرها إليه وكان الملقب (الأذفنى) مولوا بالشرنج فلما لقي ابن عمار سأله «كيف أنت فى الشرنج؟» وكان ابن عمار فيه طبقة عالية فأخبره بمكانه منه ، فقال له بلى أن عندك سفرة فى غاية الاتقان ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجانه قل له أنا اتيك بها على أن ألبمك عليها ، فإن غلبتى فعلى لك ، وإن غلبتك فى حكمى ، فقال له الأذفنى هلمها لتنظر لملها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدى الملقب صلب وقال ما طنبت أن اتقان الشرنج يبلغ إلى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأذفنى لا ألبم معك على حكم مجهول لا أدرى ماهو ، ولعله شىء لا يمكنى ، فقال ابن عمار لا ألبم إلا على هذا الوجه وأمر بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما أراد له لرجال وثق بهم من وجوه دولة الأذفنى وجعل لهم أموالا عظيمة على أن يوازروه على أمره ففعلوه فتملقت نفس الملقب بالسفرة وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار فهوونوا عليه ، فقالوا له : «إن غلبته كان عندك سفرة ليس عند ملك مثلها وإن غلبك فما عساه أن يحتكم وقبحوا عسده إظهار الملك العجز عن شىء يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن فنحن لك برده عن ذلك ، ولم يزالوا به حتى أحب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفارة ، فقال له : «قد قبلت ما رسمته .» فقال له ابن عمار : «فاجعل بينى وبينك شهوداً ساهم له ، فأمر الأذفنى بهم فحضروا وافتتحا بلبان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طبقة فى الأندلس لا يقوم له أحد فيها ، فطلب الأذفنى غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن للملقب فيها مطعن . فلما حققت الغلبة . قال له ابن عمار : «هل صح أن لى حكمى؟» قال «نعم» قال : «أن ترجع من هاهنا إلى بلادك» فأسود وجه الملقب وقام وقعد وقال لحواصه «قد كنت أخاف من هذا حتى هو تنموه على فى أمثال لهذا القول» وهم بالنكت والتماذى لوجهه . فقبحو ذلك عليه وقالوا له : «كيف يحمل بك القدر وأنت ملك ملوك النصارى فى وقتك» فلم يزالوا به حتى سكن وقال : «لا أرحم حتى أخذ أتاوة عامين خلاف هذه السنة ، فقال ابن عمار «هذا كله لك» وجاءه بما أراد فرجع ، وكف الله بأسه ، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ، ورجع ابن عمار إلى إشبيلية ، وقد امتلأت نفس المعتد سروراً به ، ثم إن المعتد حدث له أبل فى الثفل على مرسية وأعمالها ، وهى التى تعرف بتدمير ، وكانت بيد أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو المنتقل عليها والمدير لأمرها ، فجهز المعتد جيوشا عظيمة ، وتكفل له ابن عمار بأخذها وإخراج ابن طاهر عنها فلحق ابن طاهر حين خرج من مرسية ببى عبد العزيز بالنسيية ، فكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما تلب ابن عمار على مرسية دار ملك بنى طاهر كما ذكرنا حدثته نفسه ، وسؤل له سوء رأيه أن يستبد بأمره ، وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة فى ذلك إلى أن تم له بعضه ، ودانت له مرسيه وأعمالها ، وطمع فى ملك بلنسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مرسية ، يقال له ابن رشيق كان أبوه من من عرفاء الجند بها ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره فدعا ابن رشيق هذا إلى نفسه ، وقامت معه العامة ومضى الجند ، فجاء يركن حتى المدينة وقد غلقت أبوابها ودونه فحاصروها بمن معه أياماً ، فانتمنت

وكم قدرت يتنالا بي من صربية فلا غرو يوما أن تنقل من غربي

عليه ولم يقدر على دخولها ، فبقى حائرا لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ المعتمد قيامه عليه وخلع يده من طاعته ، فلم ير إلا الهروب ملجأً مهرب حتى لحق ببني هود بسرقة فأقام عندهم حتى قتل عليهم وخافوا غائلته ، وبغضه في عيونهم ما فعل مع صاحبه وولى نعمته ، فأخرجوه عن بلادهم ولم تزل البلاد تتقاذفه وملوكها تشناه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في غاية المنعة يدعى شقورة ، كان المنتلب عليه رجلا يقال له ابن مبارك فأكرم وفادته ، وأحسن نزله ، ثم بداله بعد أيام قفيض عليه وقيده وجعله في سجنه . فلما رأى ابن عمار ذلك منه قال له لاهليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك ، وتعرضني عليهم فما منهم إلا من يرغب فيّ ، فمن كان أشدهم رغبة جعل لك مالا ووجه بي إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك فما عرضه على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ، وكتب فين كتب إلى المعتمد ، وفي ذلك يقول ابن عمار :

« أصبحت في السوق ينادي على رأسي بأنواع من المال

والله ما جار على ماله من ضمني بالثمن العالي . »

وفي هذا السجن يقول ابن عمار وقد استدعي نورة يستنظف بها فتعذرت عليه فاستدعي موسى فأتى بها ، فقال في ذلك :

« بوسى شقورة عندي أربت على كل بوسى

فقدت هارون فيها فظلت أطلب موسى . »

وبعث المعتمد على الله من رجاله من تسلم ابن عمار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه بمال وخيل ، وأمر المعتمد الذين تسلموا ابن عمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتقيده ، فخرجوا به حتى وادوا قرطبة ، ووافق ذلك كون المعتمد بها ، فدخلها ابن عمار أشنع دخول وأسوأه على بدل بين عدلى تين وقيوده ظاهرة للناس ، وقد كان للمعتمد أمر بإخراج الناس خاصتهم وعامتهم حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساقهم ، فالسعيد منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يرد عليه ابن عمار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى تقبيل ركبته أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان تحيل الأحوال ، ومديل الدول ، فدخل ابن عمار قرطبة كما ذكرنا بعد العزة القساء ، والملك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، ذليلاً ، خائفاً فقيراً ، لا يملك إلا ثوبه الذى عليه ، فسبحان من سلبه ما وهبه ، ومنه ما كان به أتمته ، وأخبر بعض الموكلين به ما اتفق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة فطنته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن عمار وكان معتماً أزال العمامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن عمار ودخل معنا في الصف فثنى ، فسألناه فيم جاء فقال « الذى جئت فيه صنعه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » ففعلنا أنه أرسى ليزيل عمامته ، فأدخل على المعتمد على الله على الحالة التى ذكرت يرسف في قيوده ، فجعل المعتمد يسعد عليه أياديه ونعمه ، وابن عمار في ذلك كله مطرق الرأس لا ينبس إلى أن انقضى كلام المعتمد ، فكان من جواب ابن عمار أن قال : « ما أنكر شيئاً مما يذكره مولانا - أبناؤه الله - ولو أنكركته لشهدت علىّ به الجمادات فضلاً ممن ينطق ، ولكن عثرت فأقل ، وزلت فاصفح » فقال المعتمد : « هيأت لئلا عثرت لا يقال » وأمر به فاسجد في النهر إلى إشبيلية فدخل به إشبيلية على الحال التى دخل عليها قرطبة وجعل ، في غرفه على باب قصر المعتمد المعروف بالفصر المبارك وهو باق إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من ثنا يطبقها ما بين شرق إلى غرب

هذا طفال سجنه هناك . كتبت عنه في هذا السجن قصائد لو توسل بها إلى الدهر لنزع عن جوره ، أو إلى الفلك لكفّ عن دوره ، فكانت رقي لم تنتج ، ودعوات لم تسمع ، وتماثل لم تفع ، فثنا قوله :

«سجائك إن عانيت أئدى وأسجح ،
وإن كان - بين الخطين - مزية ،
حنانك في أخذى برأيك ، لا تطع
فان راحئ أن عندك غير ما
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة
وهي قد أعقت أعمال مفسد
أقنني بما بيني وبينك من رضى
وعف على آثار جرم سلكتها
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم
سيأتيك في أمرى حديث وقد آتى
وما ذاك إلا ما علت فأننى
كافى بهم - لا درّ الله درهم -
وقالوا : « سيجزيه فلان بفعله »
ألا إن بطشاً المؤيد يرتعى
وماذا عسى الواشون أن يتريدوا
نعم لى ذنب غير أن لحله
عليه سلام كيف دار به الهوى
وبهنيه إن مت السلو فأبنى
وبين صلوي من هواه تيمية

وهذرك إن عاقبت - أجرى وأوضح
فأنت - إلى الأدنى من الله - تنجح
عداى ولو أئتو عليك وأنصحو
يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
يكران في ليل الخطايا فيصبح
أما تفسد الأعمال تمت تصالح
له - نحو روح الله - باب مفتح
بهية رحى منك تمحو وتمصح
فكل لئناه بالذى فيه يرشح
يزور بنى عبد العزيز موشح
إذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح
أشاروا تجاهى بالكلمات وصرحوا
قلت : « وقد يعفولان ويصفح »
ولكن حلما المؤيد يرجع
سوى أن ذنبى واضح متصحح
صفاء يزل الذنب عنها فيصفح
إلى فيدثوا أو على فينزع
أموت ولى شوق إليه مبرح
ستفعل لو أن الحمام يجلج .

ولما بلغت المتمد هذه القصيدة وأنشدت بين يديه كان محضرته رجل من البعداديين ، فجعل يزرى على البيت وبين ضلوعي ويقول ما أراد بهذا المعنى ، فكان من جواب المتمد رحمه الله أن قال : أما اثنى سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أعدمه الفطنة والدكاء إنما نظر الى بيت الهذلى من طرف حق وهو -

« وإذا النية أنشبت بأظفارها الفيت كل تيمية لا تفع . »

ولم يزل ابن همار هذا بسجن المتمد إلى أن قتله صبرا في شهر سنة ٤٧٩ . وتلخيص خبر قتله أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التي تقدم لإنشادها ، فأدركت المتمد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلاد هو في بعض محاسن أنه فأتى به يرسف في قيوده ، فجعل المتمد يعسد منته عليه ، وأياديه قبله ، فلم يكن لابن همار جواب ولا عذر غير أنه أخذ في البكاء ، وجعل يترق للمتمد ، ويمسح عطفه ، ويستجاب من الألفاظ كل ما يقدر أنه يزرع له الرأفة في تلب المتمد فتم له بعض ما أراد من ذلك ، وعظفت المتمد سابقته وقدم حرمته ، بحبه ، فكتب ابن همار من فوره بما دار له المتمد إلى ابنه الراضى بالله ، فوافاه الكتاب - ومحضرته قوم كانت بينهم وبين ابن همار أحن قديمه - فلما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن همار إلا سيخلص » فقالوا له « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن همار يخبرني فيه أن مولانا المتمد قد

ولاشك أن العفو منك سجيّة فلم يبق إلا أن تخفف من عتي .»

(الجاوبه المتمد على الله)

«تقدم إلى ما عتدت عندي من الرحب ورد تلقك العتي حجاباً من العتب متى تلقني تلق الذي قد بلوته صفوحاً من الجاني رء وفا على الصجب سأوليك متى ما عهدت من الرضى وأعرض عما كان إن كان من ذنب لها أشمر الرحمن قلبي قدوة ولا صار لبيان الأذمة من شعبي تكافئه أنفى به لك سـلوة فليس يعانى الشعر مشترك الحب .»

(والمتمد على الله إلى ذى الوزارتين أبى بكر)

« قد زارنا الترجس الديّ وقد عطشنا ثم رى ونحن في مجلس ندى وإن من يومنا العتي ولى حبيب غداً سبي ياليتك ساعد السمي . »

(والمتمد إلى الوزير أبى عمر بن غطمش)

« فديت أباً عمر من قى متى يختبر غيبه محمد وداد صحبح ، وخاق مليح ونطق فصيح ، لدى المشهد أتتى البديهة تندى بديما وأبدع ما فى الرياض الندى أزاهر : لم تنتشق بالأنو ف لطفاً ، ولا جنيت باليد خجلت لشكوكا فى طيها فاكدت أسمع للفتند وقد غربت لك تلك الرؤى ايشع طاو وىروى صدى فهون عليك من النائبات إذا كان نضرى بالمرصد وكن مخبرى أنى سائل سؤال مدلّ على مسعد لجاءك صفراء عند المنا م تسمى من الأفق الأبعد فليتك بالنفس الترجسى ولافتك بالملبس السجدى وعلتك بالريق لو أنه أيج لذى ازهد لم زهد . »

وعده بالخلاص « فأظهر القوم الفرح وهم يطنون غيره ، فلما قاموا من مجلس الرضى بشروا حديث ابن حمار أفصح نشر ، وزادوا فيه زيادات قبيحة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المتمد ذلك فأرسل إلى ابن حمار ، وقال له : « هل أخبرت أحداً بما كان بيني وبينك البارحة » فأكثر ابن حمار كل الإنكار ، فقال المتمد للرسول « قل له الورقان اللتان استدعيتهما كتبت في إحداهما القصيدة ، فما قلت بالأخرى ؟ » فادعى أنه يئس فيها القصيدة فقال المتمد « هلم للسودة » فلم يجر جواباً ، فخرج المتمد حنفاً ويده الطبرزين حتى صعد الزرقه اتى فيها ابن حمار ، فلما رآه علم أنه قاتله ، فجعل ابن حمار يزحف وقبوده تنقله حتى انكب على قدمي المتمد قبلهما والمتمد لا يثبت شيء فعلاه بالطبرزين الذى في يده ولم يزل يضربه به حتى برد ، ورجع المتمد فأمر بنفسه وتكفينه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك ، فهذا ما انتهى إلينا من خبر ابن حمار ملخصاً حسب ما بقى على خاطرى . « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب »

(وله رحمه الله)

« كتابي وعندي من فراقك ما عندي وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد
وما خطت الأقلام إلا وأدمى تخط كتاب الشوق في صفحة الخد
ولولا طلاب المحذرتك طيه عميدا كما زار الندى ورق الورد
قبلت ما تحت الثام من اللما وعانت ما فوق الوشاح إلى العقد
أغائبة عني وحاضرة معي لئن غبت عن عيني فأينك في كبدي
أقبي على العهد الذي كان بيننا فأين على ما تعلمين من العهد . »

(وللووزير الكاتب أبي الوليد بن المعلم)

« أيدك الله إنه يوم تحجب فيه الصلاة والصوم
وتعطر الراح غير وانية لأغار في حفزها ولا لوم
فانشط إليه فإنه أمل يبلغه في نديك القوم
لازلت مستيقظ السعدولنا وعنك في أعين الردى نوم . »

(فأجابه أيده الله)

« حمت بحفاة الجناح وقد أمكن ورد فلا يطل حوم
وسمت في الطيب والسرور فني لم يزر يوما بطيه سوم
وهامو المجلس الممد لكم فادخل إليه وليدخل القوم
إلى كؤوس لو شاء شاربها يعوم فيها لأمكن العوم . »

(لجأوبه رحمه الله)

« لبيك لبيك من مناد له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب عبد قن قلبته وجهك السقى
شرفه والداه باسم شرفته أنت والني . »

(وقال)

« سلى تعلمي إن كنت غير عطية بأن ليس في حي لنفرك مطمع
وأن لي القلب الذي ليس خاليا من الوجد والجفن الذي ليس بهجع
بذكرك المهن يهتز عند ما يهب نسيم ، والفزاة تطلع
فوالله لا أنفك أذكر موضعي لديك ولا أنفك نخوك أنزع . »

(وقال)

« أنكم إلى العيب الشحي مباد فتفك عنه للأسي أضفاد
رحل اصطباري إذ رحلت فائلا أوب الأجابة بيننا المعاد
يا من شكت دنوهم ووصالم فبدا على من الشوب حداد
كم بت منكم بين غصني بافة كالسيف تضغط متته الأثماد »

(وقال في معشوقة اسمها « اعتماد » تؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الأبيات .)

« أغاثية الشخص عن ناظري وحاضرة في صميم الفؤاد
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشجون وقدر السهاد
تملكت مني صعب المرام وصادفت ودى سهل القيادة
مرادى لفيك في كل حين وبليت أنى أعطى مرادى
أقيمى على العهد ما بيننا ولا تستحيل لطول البعاد
دست اسمك الحلو في طي شمري وألئت به حروف اعتماد . »

(وقال)

« قلبي موال لمعاذيه وعاشق من لا يباليه
خلى الظلوم كلما زده مودة زاد تجنييه
يا غفر الله له دنبه في ظلم صب هائم فيه
يا حسن الوجه بحق الهوى لا ترض قبح الحجر والنيه . »

(وقال)

إنى رأيتك في المام ضجعتى وكان ساعدك الوثير وسادى
وكأنما علفتني وشكوت ما أشكوه من وجدى وطول مهادى
وكأننى قبلت ثفرك والطللى واللجنتين وثلت ملك مرادى
ومواك لولا أن طيفك زائر في العلى ما ذقت طعم رداد . »

(وقال يستدعي الوزير المصرى الحكيم)

« أيا صاحب الذى فارقت عيى ونفى منه السنا والساء
نحن في المجلس الذى يهب الراحة والمسمع النى والعناء
تعاطى التى تنسيك فى اللذذة والرفقة الهوى والهواء
فأنه تلف راححة ومحيا قد أعد لك الحيا والحياه . »

(وله)

« لما نأت نأى الكرى عن ناظري وصرفت له لما انصرفت عليه
طلب البشير بشارة يحزى بها دوهبت قلبي واعتذرت إليه . »

(وله)

« الجود أحلى على قلبى من الطفر ومن منال قصى السؤل والوطر
ومن غناء أربوى فى الصبوح لما يا طلعة الشمس فى الأصال والبكر
وقد حننت لى ما اعتدت من كرم حين أرض إلى مستأخر المطر
وقد تناهت يدى عن كآسها غضبا ومجت الأذن أيضاً نعمة الوتر
حتى أملك هذى ما تجود به وأسمع الحمد بالأخرى على الأثر
فهاها « خلما أرضى السماح بها شغوفة فى أكف الصرب بالبدر . »

(وله)

« من الملوك بشأوا الأصيد الطل هيات جاءتكم مهدية الدول
خطبت قرطبة الحسنة إذ منعت من جاء يخطبها بالبيض والأسل
وكم غدت طاطلا حتى عرضت لها فأصبحت في سرى الحلى والحلل
مرس الملوك لنا في قصرها عرس كل الملوك به في مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم هجوم ليت بدرع الباس مشتل . »

(وله إلى المعتض بالله)

« مولاي يا ذا الأيادي كواكبات النوادي
أنا عبيد مدّ لحس داء الأعادي
واعتادت النفس مي نصبيد الأساد
لاني عليها مقبم لرائح أو لناد
أكر بالضرب فيها والطن عند الجلال
حق أبحت حماها بمرهفات حداد
إن لم تكن أسد غبل تكن جاذر واد
بحق لحس وطى وكندة ومراد
ملكنت من أرض حص إلى قرى سنداد . »

(وله رحمه الله)

« نظن بنا أم الربيع سامة ألا غمر الرحمن ذنباً تواقسه
أأسام ظييا في ضلوعي كناسه وبدر تمام في فؤادي مطالعه
وروضة حسن أجتني من ثمارها وبارد ظلم لم تكدر شرائعه
إدأ سئمت كنى نوالا تفيضه على معنفها أو عدواً تقارعه . »

(وله)

« أمطلع زهر نجوم الكلام ومشرقه من خلال الحلاك
أنا قريضك والهم حتى لدينا فأمسى به قد هلك
فهاك موارد ود صعت يطك فيها الذي أنهلك . »

(وله)

« درا بعثت مفصلا بجمان أو روضة مسكية الريحان
لابل عروساً قد زفت تولت ما بين فكرنا قد وبنان
سمعا لأمرك إذ دعوت إلى التي تدع القلوب قليلة الأحزان
أما الكؤوس فقد جرت ما بيننا يبدى خزال ساحر الأجفان
خنت يسقيني المدام بطرفه وبكفه ومتى أشأ غفاني
فلا لعبرك لم أكن لأضيحه لاتحسبنا من بنى سهوان . »

(وله)

« إن كان تصريدا لمير تعدد فلا جملن مكانه وردا
من قهوة ضمنت أكوسها نارا تكون على الحشا بردا . »

(وله)

« اشرب الكأس في ودا ودا دك وتأنس بذكرها في افرادك
قر غاب من جفونك مرآ . وسكنه في سواد فؤادك . »

(وله)

« حسدت كتابي على فوزه بإبصاره الفرّة الزاهره
ميا ليت شغفى يكون الكتاب فتاحطه المقلّة الساحره . »

(وله في اعتماد أيضا)

« بكرت تلوم وى الفؤاد بلابل سفها وهل يثنى الخليم الجاهل
يا هذه كفى فإني عاشق من لا يرد هواى عنها عاذل
حب « اعتماد » في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل
يا ظليّة سلّيت فؤاد محمد أو لم يروّ عك الهزبر الباسل
من شك أنى هائم بك مغرم فعلى هواك له على دلائل
لون كسته صفرة ومدامع هطلت سحائبها وجسم ناحل . »

(وله في اعتماد أيضا)

« أدار النوى كم دار فيك تلدى وكم عقى عن دار أهيف أغيد
حلفت به لو قد تعرض دونه كجاة الأهادى والنسيج المرّد
لجودت للضرب المهند فاقضى مرادى وعزما مثل حد المهند
فما حل خل من وؤاد خليله محل « اعتماد » من فؤاد محمد
ولكنها الأقدار تردى بلا ظبا وتسمى بلا قتل وترى بلايد . »

(وله)

« مشمك أفوح في معطى ووجهك أملح في ناظرى
ظفرت بقربك بعد امتناع فن ذاك سميت بالظافر . »

(وله)

« يأبها الشمس اتى قلبى لها أحد البروج
لولاك لم أك مؤثرا فرش الحرير على السروج . »

(وله)

« أباح لطيف طيفها في الكرى الحدا مضى به تفاحة واجتنى وردا
والثنى ثمرأ شملت نسيمه تغيل لى أنى شملت به ندا
ولو قدرت زارت على حال يقظه ولكن حجاب الين ما بيننا مدا

أما وجدت عنا الشئون معرجا ولا وجدت منا خطوط النوى بدا
سقى الله دوب القطر أم عبيدة كما قد سقت قلبي على حره بردا
هى الظي جبيداً ، والفراة سة وروض الربا فوحاء وغصن النفاقداء .

(وله)

« من عاشق يشكو صلاته إلى محب هائم مثله
كلاهما صب إلى المله حرا ن ظمان إلى وصله
يا رب مجل جمع هدا بدا وقرب الشكل إلى شكله . »

(وله)

« بقلي لبعذك عى غلال فتسوق صبيح وجسى عليل
وودى على حس ما تعلمين تزول الجبال وما إن يزول
فلا تستجلى لبعسد المديار فاني مع البعد لا أستجىل . »

(وله)

« القلب قد لح فما يقتر والوجد قد جل فما يستر
والدمع جار قطره والى والجسم نال ثوبه أصفر
هكذا ومن أعشقه واصل كيف به لو أنه يهجر
لكن عدتي نائبات الوى ودوحه والشادن الأحور
والسكوك الوقاد تحت الدجى فى أفقه والقمر الأزهر
والرحس الفواح غب الدى فى روضه والمدل الأذفر
قد خبرت عى أنى امرؤ فى شجوب وصى يظهر
وأبدت الإشفاق من حالى ومثل ما تنديه ما تضر
واستفهمت أن كنت داعلة أو دا اشتياق ناره تسر
سيدتى لم تنصى عاشقا أضحى كما أخـبرك الخبر
إد قلت : هل من ألم طائف ما بك أو شوق فما تصبر
ظلمت بالشك هواى الذى يعرفه اليب والحضر
والله ما سقى إلا هوى كل هوى فى حبه يصغر
عـير جسمى فاعلمى أبى أروم لفيك ولا أقدر
فاستغرى الله من الظلم لى فإن من يظلم يستغفر . »

(وقال)

« يا طيبة لطفت مى منازلها فالقلب منهن والأحداق والكبد (١)
حى لك اللاس طراً يشهدون به وأنت شاهدة إن ينهم حسد
لم يعزب الوصل فيما بننا أبداً لو كنت واحدة مثل الذى أجده . »

(١) نسبت هذه الأبيات خطأ لابن زيدون انظر « ص ٢٢٣ » .

(وقال)

« هل راكب ذاهب عنهم يحينى إذ لا كتاب يوافيني فيجيني (١)
قد متّ إلا ذمّاء في يمسكه أت الفؤاد بقلبيام يرجيني
ما سرح الدمع من عيني وأطلقه إلا اعتياد أسي في القلب مسجون
صبراً لعل للذي بالبعد أمرضني بالقرب يوما يداويني فيشـفيني
كيف اصطباري وفي كانون فارقتي قلبي وها نحن في أعقاب ثمرين
شـجـص يذكرني فاه وغرته شمس النهار وأنفاس الرياحين
لئن عطشت إلى ذاك الرضاب لكم قد بات منه يسقيني فيرويني
وإن أفاض دموعي نوح باكية فكم أراه يغنيني فيشـجيني
وإن بعدت وأضنتني الهموم لقد عهدته وهو يدنيني فيسليني
أوحل عقد عزائي نأيه فلكم حلت عن خصره عقد الثمانين
ياحسن إشراق ساعات الذنوبدت كواكبنا في ليالي بعده الجوت
والله ما فارقتني باختيارهم وإتما الدهر بالمكروه يرميني
وما تبدلت حبا غـير حبهـم إذن تبدلت دين الكفر من ديني
أفدى الحبيب الذي لو كان مقتدراً لكان بالقس والأهلبي يفديني
يارب قرب — على خير — تلاقينا بالطالع السعد والطير الميامين . »

(وقال)

« ولما التقينا للوداع غـدية وقد خفقت في ساحة القصر رايات (٢)
وقرنت الجرد العتاق وصفقت طبول ولاحت لافراق علامات
بكينا دما حتى كأن عيوننا لجرى الدموع الحمر فيها جراحات
وكنا نرعى الأرب بعد ثلاثة فكيف وقد كانت عليها زيادات »

(وقال)

« أهلا بكم محبتكم - نحوى - القديم وحن أن يقسنى لي بكم حلم
حتو المطى ولو لي - لا - بمجيلة فئن تضلوا ومن بشرى لكم حلم
لأنهم القوم إن خطوا يمجـد قلم وأن يقولوا يصب فصل الخطاب فلم
لاخرق - إن رقصوا كتباً - ولا حصر إذ يندون ولا جور إذا حكموا
افندم أبا الأصبح المحبوب تلقى فنى هش المودة لا يزرى به سأم
هذا فؤادى قد طار السرور به إذ كنت تغلق الوخادة الرسم
سأكتبكم الليل ما أشكوه من بعد وأسأل الصبح عنكم حين يبتسم . »

(١) وردت هذه القصيدة في « ص ٦١ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

(٢) وردت هذه القصيدة في « ص ١٠٩ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

(وقال)

« الشمس تجل من جمالك فتغيب مسرعة لذلك
والنيت يحى أن يصوب لما يراه من نواك
والبدر يطلع نافصاً حتى يتم من كمالك . »

(وقال)

« وشادن أسأله قهوة تجاد بالقهوة والورد (١)
فبت أسقى الراح من ريقه وأجتنى الورد من الحد . »

(وله)

« يا هلالا إذا بدا لي تجلت عن فؤادي دجنة الكربات
وغزالا لمقلتيه بقلبي فتكات كأنها فتكاتي
تته إذ حزت بالوصال وبالجر حياتي تملكا ومما
مترقى بموقب أنت منه في سواد القلوب والحدقات
أنا أخشى عليك ياساكن القلب الممل بالصد من نفرات »

(وله)

« أنا في عذاب من فراقك سكران من حمر اشتياقك
صب الفؤاد إلى لفا نك وارتشامك واعتناقك
لا تحببني أنى سلوت لما توالى من فراقك
هذى جفوني أقتست لا تلتقي ما لم تلاقك
فصلى جميل الظن بى وثقى قلبي فى وثامك . »

(وقال)

« وشمة تنق ظلام الدجى نفي للعدم عن الناس
قد جعل الرحمن من لطفه حياتها فى القطع للراس
ساعدتها والكأس يسمى بها من ريقه أشهى من الكاس
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أفاسى »

(وله)

« يا بديع الحسن والإحسان يا بدر الدياجى
يا غزالا صاد منى بالطللى لبت الهياج
قد غنينا بسنا وجهك من ضوء السراج »

(وله)

« تم له الحسن بالصدار واقترن الليل بالنهار
أخضر فى أبيض تبتدى ذلك آسى وذا بهارى

فقد حوى مجلسى تماماً إن يك من ريقه عقارى . «

(وله)

« لله در أبى السنان من فارس شهم الجنان
تخشا آساد الرجا ل كما تريم به القيات
فبيأسه يشقى العدا ويعسفه يصي الحسان . »

(وله)

« يقاتل باللحظ محبوبنا وبالسيف والرمح أمضى قتال
فطورا يصيد ظباء النساء وطورا يصيد أسود الرجال . »

(وله)

« إذا ما اقتحمت الوغى دارعا وقنعت وجهك بالمفسر
حسبنا نيك شمس الضحى عليها سحاب من العنبر . »

(وله)

« يا قرا قلبى له مطلع وشاذنا فى مهجتي يرتع
والله ما أطمع فى العيش منذ أصبحت فى وصالك لأطمع
ليت كما يرتع فى مهجتي أنى فى ريقته أكرم . »

(وله)

« وأغن يلب بالهدوم كما غدت أرماح قوى بالعدة لواعبا
ذى نعمة يسى القول بها رشا من عند رضوان أمانا هاربا . »

(وله)

« مجن حكى صانموه السما لتقص عنه طوال الرماح
وصاغوا مثال الثريا عليه كواكب تقضى لنا بالنجاح
وتزدات أطواقه بالنجوم كما لبس الألقى توب الصباح . »

(وله)

« أيا نفس لا تجزى واصبرى فإن الهوى ما به منصف
حبيب جفاك وقلب عصا ك ولاح لحاك ولا ملطف
شجون منعن الجفون الكرى وعوضنها أدمعا تخرق . »

(وله)

« أبصرت طرفك عند مشجر القنا فبيدا لطرفى أنه فلك
أو ليس وجهك فوقه قرا يجلى بنير نوره الحلك . »

(وله)

« فتكت مقلناه بالقلب منى وبكت مقلناى شوقاً إليه

خُفِّی لِحَظَہِ لَنَا سَیْفِہَا د ودمی لہ سحاب بدیہ .

(ولہ)

« یا قرا اُفقہ فؤادی مقالۃ لم تشب بایفک
ومن غدا مسترق حر الکلام قد حازہ بملک
نثرت در القریض نثرا یقوم ذہنی لہ بسک
فقلت للہ درّ ذہن یمخرج دراً من بحرک
وجاءت الظیر مودعات سرک یا سرکل ملک
بینان دلا علی وداد محضتہ لی بنیر شک . »

(ولہ)

« بعثت بالمرسل انبساطاً منی علی خلقک الجلیل
نزرأ حقیراً ففیہ یأتی فضک فی المذر والقبول
لو أنه مہجّتی لکانت تصغر فی قدرك الجلیل . »

(ولہ)

« ترفقاً یا ابا یحیی ومن ظفرت کفی بہ فدعائی فضیله الظافر
إن حال ما بیننا ویمحنا الناصر فناظر اقلب حقاً نحوکم ناظر
أحمی مکانک من قلبی وأمنعہ کما حمی الحاجب الإسلام بالباتر . »

(ولہ)

« أخلقتنی وعدک لی ومخلفاً أعهدک
فعد بأن تهجرنی واجر علی عادتك . »

(ولہ)

« وردت أبا الفتح یاسیدی ورود الکری بعد طول السہاد
ولما احتلت بنا لم تحل من العین والقلب غیر السواد
ودونک منا طیوراً خدت تطیر إلیک بریش الوداد . »

(ولہ)

« أبا الولید تجاوز وھب لنا التنبیضا
واقبل جواباً علی نطفک الصحیح مریضاً
زفت نحوی مروساً تجتنب روضاً أریضاً
جلوتها فی سواد تجلو المانی بیضا
وقد منعتک نزرأ لا حقک المنروضا
وسوف أرفج جہدی من قدرك المحفوضا . »

(وله إلى أبيه رحمه الله)

« يا متبع الإكرام إنا بما ومتبع الإناعام إنا بما
وطادلا في الناس لكنه أصح للأموال غلاما
قرنت في كفك بحر الندى بصارم أسكنته الهاما
وجمت فيك خصال الورى وحزت آراء وإقدا ما
فالموت والعيش بيننا قد صرنا أسباها وأقلاما
أثقلت بالإناعام ظهري ، فقد ألحمت عن شرك إنا ما
سفتك إفضالا دى كي ترى تزيد في عمرك أعواما
فاسلم لاهراق دماء العدا ما طرد الإصباح لإظلاما . »

(وله إليه يطلب مجنا)

« أيا ماجدا لم يرم شاعرا من المجد فاحتل غير القن
سألك صفراء بكرأ بجد على بها شاعرا للمسن
ترد السنن إذا أمها شيا حده من قويم السن
ولكن كنت من معشر في الوغى أقاموا القلوب مقام الجن . »

(وله إليه يطلب جوادا)

« ألا يا غرة السعد وقرّة نظر اعد
ومولاي الذى ما زال بسحب حلة الحمد
لمبدك همه هامت برقص الصمر الجرد
ويرغب صارعا منها إلى عليك في الورد
ولكن قبضه من عبد تمن به على عبد . »

(فبحث إليه مسرجا فكتب إليه)

« خلعت ثوب الصق على العبيد الوفي
يا مسرتقا بنعما كل حر سري
أنى على الورد سرج كالهدي فوق الهدى
فسوف أورد رضى عليه قلب الكمي . »

(وله إليه)

« يا أيا الملك الذى كفاه مجلت السحاب
أنعمت بالبيض الكما ب على والحيل العرب
وغدوت تخشى لاعتا ب كما ترجى للثواب
برضاك أبصر نائي ال آمال منى ذا اقترب
وبطيب أيامى لديك عرفت أيام الشباب
فشكرت ما أو ليئنيه من أياديك العذاب
بشبا سناني في الظما ن وحسنيني في الضراب

وشبا الساني في الها فل بالتمتر لا يشاب
لازلت تتعلم النجو م وخذتلك في التراب
(وله إليه)

« يا أيها الملك الذي لم يزل يسرى إلى غرته الساري
وجامعا في كفه بالندي والبأس بين الماء والناار
اهنا قد نلت الذي تشتهي نفسك واشكر نعم الباري . »
(وله إليه يطلب الإذن بالصيد)

« امعن عبد رجاك بساعة يرتاح فيها باصطياد أرانب
حتى يصيد بسعدك الأبطال في يوم الوغى بأسنة وقواضب . »
(وله إليه)

« وساعة للزمان مسعفة قنصت فيها أرانبا وحمل
فلا أراى إلاله منك رضى إن لم أصد من عداك كل بطل . »
(وله إليه)

« أوجه البدر يشرق في الظلام وسـتر الله مد على الأنام
وليت العاب إقداما وبأسا ورب الفضل والنعم الجسام
عبيدك مولع بالصيد قدما وحب الصيدين شيم الكرام
فاذك في واسلم للأعداى تدير عليهم كأس الحمام . »
(وله إليه)

« أيا ملكا عفى فضله ولم ألت في بحر نعماء زجرا
عهدت البحار لجزر ومدّ وتأتى بحار أياديك جزرا
دعونا الأمانى لما رضيت بغفوات توالى عليها وتترى
علم يبق لى أمل أرغبيه سرى أن أقوم بنهـاك شكرا
بقيت ولا ملك إلا غدا غدا ملك كفك قهراً وقسرا

(وقال)

أمتعضـداً بالله دعوة آمل رجاكـ على بعدـ فأصبح ذا قرب
فأمم مأمـولا وأم ميمما وحامت أمانيه على مورد عذب
موارد ما حلان عنهن حائما ولا غادرته غير مستعذب الضرب
وها أنا ظمان لمنهل وردكم وحسى موقوف على وردكم حسبي
أفز بالذى أملتـ مذ كنت آملاـ وتحتل من علياه فى المنزل الرحب
جفت أغذ السير حتى كأنى لإفراط إغذاى على ظهر انجب
فأليت أعلى الناس قدرا وسوددا وعدلا فذنه النفس صداهـا كذب
يمن لى راجيه كالواقى العصب ويهتز للمعروف كالهـارم المضـب
ولى لما تولى وأوليت شاكر فن شكر النعماء نال رضى الرب . »

وقال (١)

« لما تماسكت الدموع وتنهنه القلب الصديق
قالوا الخضوع سياسة فليبد منك لهم خضوع
وأأد من طعم الخضوع ع على فى السم النقيع
إن تستلب عنى الدنيا ملكى وتسلمنى الجموع

(١) جاء فى كتاب المراكشى قبل هذه الآيات الرائعة ما يلى :

قال يوسف بن تاشفين لبعض قفاته من وجوه أصحابه : « كنت أظن أنى ملكت شيئاً ، فلما رأيت تلك البلاد صمرت فى عيني — مملكتى ، فكيف الحيلة فى تحصيلها ؟ » فاتفق رأيهم ورأى أصحابه على أن يرأسوا المتمد يستأذنونهم فى رجال من صلحاء أصحابهم رغبوا فى الرباط بالأندلس ، وبمجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المصاحبة للروم إلى أن يموتوا ففعلوا ، وكتبوا إلى المتمد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الأفطس المتوكل صاحب الثنور ، وإنما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبنوئين بالجزيرة فى بلادها ، فإذا كان أمر من قيام بدعوتهم أو إظهار للملكتهم وجدوا فى كل بلد أعواناً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرنا قد أشربت حب يوسف وأصحابه ، فجهز يوسف من خيار أصحابه رجالاً استخبرهم ، وأمر عليهم رجالاً من قرابته يسمى « بلبين » وأمر إليه ما أراد ، فجاز ببجين المذكور وقصد المتمد من ملوك الجزيرة ، فقال : « أين تأمرنى بالكون ؟ » فوجه معه المتمد من أصحابه من ينزله ببعض الحصون التى اختارها لهم فترل حيث أنزلوه هو وأصحابه ، وأقاموا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المتمد ، وكان مبدؤها فى شوال من سنة ٤٨٣ بأخذ جزيرة طريف المقابلة لطنجة من العدو دون مقدمة ظاهرة توجب ذلك ، فتشعبت جموعه وأهواؤها ملتزمة ، وانتشرت بلاده وقلوب أهلها على محبته منتظمة ، ولما أخذ المرابطون جزيرة طريف ونادوا فيها بدعوة أمير المؤمنين انتشر ذلك فى الأندلس ، وزحف القوم الذين قدمنا ذكرهم — الكاثولون فى الحصون إلى قرطبة لخاصروها وفيها عباد بن المتمد الملقب بالمأمون ، وقد تقدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، فدخلوا البلد وقتل عباد هذا بعد أن أبلى عذراً ، وأظهر فى الدفاع عن نفسه جلدًا وصبراً ، وذلك فى مستهل صفر الكائن فى سنة ٤٨٤ فزادت الإحنة والحنة ، واستمرت فى غلوائها الفتنة . وأجمت على الثورة بحضرة اشبيلية طائفة ، فأعلم المتمد بما اعتقدته الطائفة المذكورة وكشف له عن مرادها ، وأثبت عنده سوء اعتقادها ، وأغرى بتمزيق أديعها ، وسفك دمها ، وحض على هتك حريمها ، وكنف حرمها ، فأبى له ذلك مجده الأصيل ، ورأيه الأصيل ، ومذهبه الجليل ، وما جباه الله من حسن اليقين ، وصحة العقل والدين ، إلى أن أمكنتهم الغرة يوم الثلاثاء منتصف رجب من السنة المذكورة فقاموا بجيش غير مستنصر ، واستنصروا بغنائم غير مستنصر ، فبرز هو من قصره ، سيفه يديه ، وغلالاته ترف على جسده لادركة له ولا درع عليه ، فلقى على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارساً من الداخلين مشهور النجدة شاكى السلاح ، فرماه الفارس برمح قصير أنابيب القناة ، طويل شفرة السنان ، فالتوى الرمح بفلاتنه وخرج تحت إبطه ، وهشمه الله منه ودفعه بفضلته عنه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس فسحقه إلى أضلاعه ، نثر صريعاً ، وانتهزمت تلك الجموع ، ونزل المتسمنون للأسوار منها ، وظن أهل اشبيلية أن الخناق قد تنفس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، عاودهم القوم ، فظهر على البلد من واديه ،

فالقلب بين ضلوعه لم تسلم القلب الضلوع
لم أَسْتَلَب شرف الطبّا ع أَسْلَب الشرف الرفيع ؟
قد رمت يوم نزاهم إلا تحصّنى الدروع
وبرزت ليس سوى القميص من عن الحشى شىء دفوع
وبذلك نفسى كى تسبى بل إذا يسيل بها النجيم
أجلى تأخر لم يكن بهوى ذلى والحشوع
ما سرت قط إلى الفتا ل وكان من أملى الرجوع
شسيم الألى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع .»

ويش من سكنى نادية ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشانيه ، وشبت النار فى شوانيه ، فاقطع عندهما العمل
والقول ، وذهبت القوة من أيدي أهلها والحول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر رجل من أصحاب
يوسف أمير المسلمين والتوت الحال أياما يسيره إلى أن ورد الأمير سير ابن أبى بكر بن تاشقين وهو ابن أخى
أمير المسلمين بمساكره متظاهرة ، وحشود من الرعية واهرة ، والناس فى خلال هذه الأيام قد خاسرهم
الجرع ، وخالط قلوبهم الهلع ، يقطعون السبل سياحة ، ويعبرون النهر سباحة ، ويتولّهون مجارى الأقدار ،
ويتراهم من شرفات الأسوار : حرصاً على الحياة والموفون بالعهد ، المقيون على صريح الود ، ثابتون إلى
أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائنة العظمى والظامة
الكبرى فيه حم الأمر الواقع ، وأسع الحرق على الراقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب حاضره وباده ،
بعد أن جد الغريقتان فى القتال ، واجتهدت الفئتان فى الزلزال ، وظهر من دفاع المعتد — رحمه الله — وبأسه ،
وتراميه على الموت بنفسه ، ملامهزبد عليه ، ولا تناء لخلق إليه ، وفى ذلك بقول المعتد بعد ما نزل بالعدوة
أسيراً حسيراً :

« لما تماسكت الضلوع وتنهه القلب الصديق » الخ

فشنت الغارة فى البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبدا ولا لبدا ، وانتهبت قصور المعتد نهباً قبيحاً ،
وأخذ هو قبضاً باليد ، وأجبر على مخاطبة ابنه المعتد بالله والراضى بالله ، وكانا بمعقلين من معاقل الأندلس
المشهورة لو شاء أن يمتنما بهما لم يصل أحد إليهما . أحد الحصنين يسمى رندة ، والآخر مارتلة ، فكتب
رحمه الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما مستعطفين مسترحمين معلمين أن دم السكك منهم مسترهن بثبوتها
فأنقنا من الذل وأبيا وضع يديهما فى يد أحد من الناس بعد أبيهما ، ثم عطفتهما عواطف الرحمة ، ونظرا فى
حقوق أبيهما المقتزنة بحق الله عز وجل ، فتسك كل منهما يديته ، ونبت دنياه ، ونزلا عن الحصنين بعد
عهود مبرمة وموانيق محكمة . فأما المعتد بالله فان القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه
وأما الراضى بالله فعند خروجه من قهره قتل غيلة وأخفى جسده ، ورحل المعتد وآله بعد استئصال جميع
أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله بلغة زاد ، فركب بالسفين ، وحل بالعدوة محل الدين ، فكان نزوله
من العدوة بطنجة .

(وقال)

« قل لمن قد جمع العبد — وما أحصى صوابه (١) »

(١) قال المراكشي في كتاب المعجب :

« أقام المعتد بطنجة أياماً ، ولفيه بها الحصرى الشاعر ، فجزى معه على سوء عادته من قبح السكدية وإفراط الخلاف ، فرفع إليه أشعاراً قديمة كان قد مدحه بها ، وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ولم يكن عند المعتد في ذلك اليوم مما زود به فيما بلغنى أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً قطع عليها ، وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها سقطت من حفظي ووجه بها إليه فلم يحاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره وخفته عليه كان هذا الرجل أعنى الحصرى الأعشى أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحرره المعتد على الله على الجواب بقطعة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأقام المعتد بطنجة رحمه الله أياماً على الحال التي تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأقام بها أشهراً إلى أن نفذ الأمر بتسييرهم إلى مدينة اغمات ، فأقاموا بها إلى أن توفي المعتد رحمه الله ودفن بها بقبره معروف هناك ، وكانت وفاته في شهر سنة ٨٧ وقيل سنة ٨ فأنه أعلم ، توفي وسنه إحدى وخمسون سنة ، فن أحسن ما مرني مما رثي به المعتد على الله مقطوعة من شعر ابن اللبابة أولها :

« لكل شيء — من الأشياء — ميقات ،
واللنى — من منايهن — غايات
والدهر في صبغة الحرباء منممس
ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده
وربما قرت بالبيدق الشاة
فانفض يدك من الدنيا وساكنها
فالأرض قد أقمرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضى قد كتمت
مريرة العالم العلوى « اغمات »
طوت مظاهرها لأجل مـذلها
من لم تزل فوقه للعزرايات
من كان بين الندى والبأس أنفله
هنـدية وعطاياه هـنيدات
أنكرت إلا التواء للقيود به
وكيف تنكر في الروضات حيات
وقلت هن ذؤابات فلم عكست
من رأسه نحو رجله الذؤابات
رأوه ليثاً تغافوا منه عادية
عذرتهن فلم يدوى الليث عادات. »

وله من قصيدة يرثيهم بها وهي كثيرة الجيد أولها :

« حريصة دخلتها النانات على
أساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تفدرها
فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
تلك الرماح رماح الحط تقفها
خطب الزمان ثقافاً غير معتاد
والبيض بيض الظبا فلت مضاربها
أبدى الردى وثنتها دون إغداد
لما دنا الوقت لم تحلب له عدة
وكل شيء ليقات وميعاد
كمن درارى سمد قد هوت ووهت
هناك من درر للمجد افراد
نور ونور فهذا بعد نعمته
ذوى وذلك خبا من بعد إيقاد
ياديف انفر بيت المسكرات تخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

كان في العرة شعر فننظرنا جسواه
قد أثبتناك فهلا جلب الشرثوابه .

ويا مؤمل وادبهم ليسكنه
ضلت سبيل الندى وابن السبيل، فسر
خف القطين، وجف الزرع بالوادي
لغير قصد، فإهديك من هاد .

وفيه يقول :

« نسيت - الاغداة النهر - كونهم
والناس قدملثوا العبرين، واعتبروا
في المنشآت كأموات بألحاد
من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع، فلم تستر مخدرة
تفرقوا جيرة، من بعد ما نشأوا
حان الوداع فضجت كل صارخة
سارت سفائنهم - والنوح يتبعها -
كم سال في الماء من دمع، وكم حملت
من لي بك - يا بني ماء السماء - إذا
كأنها إبل يحدو بها الحادي
تلك القطائع من قطعات أكباد
ماء السماء أبي سقياحشا الصادي . »

وهي طويلة جدا هذا ما اخترت له منها .

« ولما اتصل بزعانة الشمراء وملحى أهل الكديه . اصنع المعتد رحمة الله مع الحصري تعرضوا له بكل
طريق، وقصدوه من كل فج عميق، فقال في ذلك رحمة الله .

« شعراء طنجة كلهم والمغرب،
سألوا العسير - من الأسير - وإنه
ذهبوا من الاغراب أبعد مذهب
بسواهم لأحق، فأعجب وأعجب
لولا الحياء وعزة الخيبة
طلى الحشا - ساوهم في المطلب
قد كان - إن سئل الندي - يجزل، وإن
نادى الصريح بيا به اركب يركب »

وله في هذا المعنى رحمة الله :

« قبح الدهر، فإذا صمنا
قد هوى - ظلماً - بمن حادثه
كلما أعطى نفيسا نرما
من إذا النيث همى منهراً
من غمام الجود من راحته
من إذا قيل الخناصم وإن
قل لمن يطمع في فائله
راح لا يملك إلا دعوة
أن ينادى كل من يهوى لما
أخجلتها كفه فاقطعا
صفت ربح به فانتشما
نطق المافون مما سحما
قد أزال اليأس ذاك الطمعا
جبر الله العفاة الضيما . »

معارضات الشعراء لابن زيدون^(١)

سرکم الوصل ظناً لا قفدتکم
فکان بالوهم موجوداً ومظنونا
سرى من المسک عن مسراکم خبر
بُعیدَ عهد هواکم سَیرَهُ فینا
أَیام بدرکم یجولو لبالینا
نوراً وطیبکم یرعى بوادینا
مهلاً فلم نعتقد دین الهوى تبعاً
ولا قرأنا بصحف المس تلقینا
قد نصرف العذل یغوینا ویرشدنا
وتترك الدار تسلینا وتشجینا
وتتبع الحیَّ والأشواق محرقه
تحوم بالماء والأرحام تحمینا
کواکب بساء النفع قد جعلت
لنا رجوماً وما کنا شیاطینا

معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الرائعة وهو
منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز ويصف
كثيراً من مشاهده ومعاهده .

« أولع كثير من الشعراء من قداماء ومحدثين
بمعارضات ابن زيدون ، ولو أردنا أن تثبت
معارضاتهم الكثيرة لفصائده المشهورة لاحتجنا إلى
سفر ضخم فلنجرب بقصيدة « أبو بكر بن الملح »
التي ذكرها « ابن بسام » في كتاب الذخيرة من
القدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحمد شوقي بك التي
عارض بها ابن زيدون . »

معارضة أبي بكر

قال ابن بسام بعد أن ذكر نونية ابن زيدون التي أولها :
« أضحي الثأني بديلاً من تدانينا » (٢)
« وهذه القصيدة بجلتها فريدة ، وقد عارضه
فيها جماعة قصروا عنه منهم « أبو بكر بن الملح »
نازعه فيها الراية ، فقصص العاية حيث يقول من
قصيدة أولها . »

هل يسمع أربع شكوانا فيشكينا
أو يرجع القول مفناه فيغنيننا
ثم استمر في غزلها إلى أن قال :

يا باخلين علينا أن نودعكم

وقد بعدتم عن اللقيا فخيونا

قفوا نزرکم وإن كانت فرائدکم

نزرأ ، ومنكم بالوصل ممنونا

(١) انظر « ص ٤١٢ » (٢) انظر « ص ٤ »

يأتهم «الطلح» أشباه عوادينا

نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟

ماذا تقص علينا غير أن يدأ

قصت جناحك جالت في حواشينا !

رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا

أخا الغريب : وظلاً غير نادينا

كل رمته النوى ! ريش الفراق لنا

سهمًا ، وسل عليك البين سكيننا

إذا دعا الشوق لم نبرح بمصدع

من الجناحين عى لا يلبينا

فإن يك الجنس - يابن الطلح - فرقنا

إن المصائب يجمعن المصايبنا

لم تآل ماءك تحنانًا ولا ظمأ

ولا آدَّ كارًا ، ولا شجواً أفانينا

تجرّ من فنن ساقًا إلى فنن

وتسحب الذيل ترتاد للوأسينا

أساة جسمك شتى حين تطلبهم

فنن لروحك بالنطس المداوينا !



أهّا لنا ! نازحى إليك بأندلس

وإن حللنا رفيفًا من رواينا

رسم وقفنا على رسم الوفاء له

نجيش بالدمع ، والإجلال يذنبنا

لفتية لا تتال الأرض أدمعهم

ولا مفارقهم إلا مصلينا

لو لم يسودوا بدين فيه منهبة

للناس ، كانت لهم أخلاقهم ديننا

لم نسر من حرم إلا إلى حرم

كالخمر من «بابل» سارت «لدارينا»

لما بنا الخلد نابت عنه نسخته

ثمائل الورد «خير يا» و «نسرينا»

نسقى ثراهم ثناء ، كلما نثرت

دموعنا نظمت منها مراثينا

كادت عيون قوافينا تحركه

وكدن يوقظن في الترب السلاطينا

لكن مصر وإن أغضت على مقه

عين من الخلد بالكافور تسقينا

على جوانبها رفّت تمائمنا

وحول حافاتنا قامت رواقينا

ملاعب مرحت فيها مآربنا

وأربع أنست فيها أمانينا

ومطلع لسعود من أواخرنا

ومغرب لجدود من أوالينا

بنا فلم نخل من روح يراوحنا

من برّ مصر وريحان يغاديننا

كأُم موسى ، على أسم الله تكفلنا

وبأسمه ذهبت في اليم تلقينا

ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكهة

لحاضرين ، وأكواب لبادينا

ياسارى البرق يرمي عن جوانحنا

بعد الهدوء ويهيمى عن مآقينا

لما ترقق فى دمع السماء دماً

هاج البكا فخصنا الارض باكينا

الليل يشهد لم تهتك دياحيه

كلّى نيام ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا إلا كلّى قدم

قيام ليل الهوى للعهد راعينا

كزفرة فى سماء الليل حائرة

مما تردد فيه حين يضوينا

بالله إن جبت ظلماء العباب كلّى

نجائب النور محدواً (بجرينا)

ترد عنك يده كل عادية

إنساً يعنن فساداً أو شياطينا

حتى حوتك سماء النبل عالية

كلّى الغيوث وإن كانت ميامينا

واحرزتك شفوف اللازورد كلّى

وشى الزبرجد من أفواف واديننا

وحازك الريف أرجاء مورجة

ربت خائل ، وآهتزت بساتينا

قف إلى النيل واهتف فى خائله

وانزل كما نزل الطل الرياحينا

وأس ما بات يدوى من منارلنا

بالحادثات ويضوى من مغايننا

ويامعطرة الوادى سرت سحرأ

فطاب كل طروح من مرامينا

ذكية الذيل لو خائنا غلاتها

قيص يوسف لم نحسب مغالينا

جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا

بالورد كتباً ، وبالريا عناويننا

فلو جزيناك بالأرواح عالية

عن طيب مسراك لم تهض جوازينا

هل من ذيولك مسكى نحمله

غرائب الشوق وشياً من أمالينا

إلى الذين وجدنا ود غيرهم

دنيا وودهمو الصافى هو الديننا

يا من نغار عليهم من ضمأربنا

ومن مصون هواهم فى تناجينا

ناب الحنين إليكم - فى خواطرنا -

عن الدلال عليكم فى أمانينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا

- فى الدائبات - فلم يأخذ بأيدينا

والسعد لودام، والنعمى لوأطردت،
والسيل لوعف، والمقدار لودينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذهباً
ماء - لمسنا به إلا كسير - أوطينا
أعداه من يئنه «التابوت» وارتسمت
- على جوانبه - الأنوار من سينا
له مبالغ ما فى الخلق من كرم
عهد السكرام وميثاق الوفيين
لم يجز للدهر لإعذار ولا عرس
إلا بأيماننا أو فى ليالينا
ولا حوى السعد أطفئ فى أئنته
منا جياداً ، ولا أرخى مياديننا
نحن اليواقيت خاض النار جوهراً
ولم يهن بيد التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صبغٌ ولا خلق
إذا تلوت كالحرباء شائنا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
فى ملكها الضخم عرشاً مثل واديننا
ألم تؤله على حافاته ، ورأت
عليه آبناءها الفر الميامينا ؟
إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبسا
خائل السندس الموشية الغينا
وبات كل مجاج الواد من شجر
لوافظ التز بالخيطان ترمينا

وما غلبنا على دمع ولا جلد
حتى أنتنا نواكم من صياصينا
ونابغى كأن الحشر آخره
تميتنا فيه ذكراكم وتحيينا
نطوى دجاء ببحر من فراقكمو
يكاد فى غلس الأسحار - يطويننا
إذا رسا النجم لم ترقاً محاجرنا
حتى يزول ، ولم تهدأ تراقينا
بتنا تقاسى الدواهى من كواكبه
حتى قعدنا بها : حسرى تقاسينا
يبدو النهار فيخفيه تجلدنا
للشامتين ، ويأسوه تأسينا
سقى العهد - كأكناف الرزبى - رقة
أتى ذهبنا ، وأعطاف الصبا لينا
إذا الزمان بنا غيناء زاهية
ترف أوقاتنا فيها رياحيننا
الوصل صافية ، والعيش ناغية
والسعد حاشية ، والدهر ماشينا
والشمس تختال فى العقيان تحسبها
« بلبقىس » ترفل فى وشى اليمانينا
والنيل يقبل كالديننا إذا احتفلت
لو كان فيها وفاء للمصافينا

وهذه الأرض من سهل ومن جبل

قبل (القيصر) دنأها (فراعينا)

ولم يضع حجراً بان على حجر

في الأرض إلا على آثار بانينا

كان أهرام مصر حائط نهضت

به يد الدهر لا بنيان فانينا

إيوانه الفخم من عليا مقاصره

يفنى الملوك ولا يبقى الأواوينا

كانها ورمالا حولها التطمط

سفينة غرقت إلا أساطينا

كانها تحت لألاء الضحى ذهباً

كنوز (فرعون) غطين الموازينا



أرض الأبوة والميلاد ، طيها

مر الصبا في ذبول من تصاينا

كانت محجلة فيها مواقنا

غرا مسلسلة المجرى قوافينا

فآب - من كُرة الأيام - لاعبنا ،

وثاب - من سنة لأحلام - لاهينا

ولم ندع لليال صافياً ، فدعت

« بأن نغص فقال الدهر : آمينا »

لو آستطعنا : لخضنا الجو صاعة

والبر نار وغى ، والبحر غسلينا

سعيأ إلى مصر نغضى حق ذا كرنا

فيها إذا نسى الوافى وبأ كينا

كَنَزْ (بحلوان) عند الله نطلبه

خير الودثع من خير اللودينا

لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا

لم يأنه الشوق إلا من نواحينا

إذا حملنا لمصر أوله شجنأ

لم ندر أى هوى الأيمن شاحينا

زحلة

« وقال معارصاً قصيدة ابن زيدون التي أولها :

« ما للدمام تديرها عيناك »

شيعت أحلامي بقلب بالك

ولحت من طرق الملاح شباكى

ورجعت أدراج الشباب وورده

أمشى مكاهما على الأشواك

وبجانبى واه كأن خفوقه

لما تلفت جهشة المتباكى

شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه

فأذا أهيب به فليس بشاك

قد راعه أنى طويت حبايلى

من بعد طول تناول وفكالك

ويح ابن جنبى كل غاية لذة

بعد الشباب عزيزة الإدراك

لم تبقَ منا يا فؤاد بقيَّةُ
لفتوةٍ أو فضلةٍ لعراك
كنا إذا صغقت نستبق الهوى
ونشد شد العصبة الفتاك
واليوم تبعث في حين تهزنى
ما يبعث الناقوس في النساك

يا حارة الوادى طربت وعادنى
ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت في الذكري هواك وفي الكرى
والذكريات صدى السنين الحاكى
ولقد مررت على الرياض بربرة
عناء كنت حيالها ألقاك
ضحكت إلى وجوهها وعيونها
ووحدت في أنفاسها رياك
فذهبت في الأيام أذكر رففا
بين الجداول والعيون حواك

أذكرت هرولة الصبابه والهوى
لما خطرت يقبلان خطاك
لم أدر ما طيب العناق على الهوى
حتى ترفق ساعدى فطواك
وتأودت أعطاف بانك في يدي
واحرر من خفريهما خداك

ودخلت في ليلين فرعك والُدجى
ولت كالصبح المنور فاك
ووجدت في كنه الجوانح نشوة
من طيب فيك ومن سلاف لَمَّاك
وتعلمت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك
ومحوت كل لبانة من خاطرى
ونسيت كل تعاتب وتشاكى
لا أمس من عمر الزمان ولا غد
جمع الزمان فكان يوم رضاك
لُبَّان ردتني إليك من النوى
أقدار سَير للحياة دراك
جمعت نزيلتي ظَهرها من فرقة
كرة وراء صوالج الأفلاك
نمشى عليها فوق كل فجأة
كالطير فوق مكامن الأشراك
وَلَوْ أَنَّ بالشوق المزار وجدتنى
ملقى الرحال على ثراك الأاكى

بنت البقاع وأم برذونيهما
طبيى كجلى واسكبي برداك
ودمشق جنات النعم ولأنا
الفت سدة عدنن رباك

كالغيد من ستر ومن شباك
 وكأن كل ذؤابة من شاحق
 ركن الحجر أو جدار سماك
 سكنت نواحي الليل إلا أنه
 في الأيك أو وترأ شجى حراك
 شرفاً عروس الأرز كل خريدة
 تحت السماء من البلاد فذاك
 ركز البيان على ذراك لواءه
 ومشى ملوك الشعر في مفناك
 أدياؤك الزهر الشموس ولا أرى
 أرضاً تمخض بالشموس سواك
 من كل أروع علمه في شعره
 ويراعه من خلقه بملك
 جمع القصائد من رباك وربما
 سرق الثمائل من نسيم صباك
 (موسى) بيابك في المكارم والعلا
 وعصاه في سحر البيان عصاك
 أحللت شعري منك في عليا الذرا
 وجعته برواية الأملاك
 إن تكرمي يا زحل شعري لأنني
 أنكرت كل قصيدة إلاك
 أنت الخيال بديع وغريبه
 الله صاغك والزمان رواك

قسما لو انتمت الجداول والربا
 لتلهل الفردوس ثم نمناك
 مرآك مرآه وعينك عينه
 لم يا زحيلة لا يكون أباك
 تلك الكروم بقية من بابل
 هيهات نسى البابل جنك
 تبدى كوشى الفرس أفن صبغة
 للناظرين إلى ألد حياك
 خرزات مسك أو عقود الكهربا
 أودعن كافوراً من الأسلاك
 فكرت في لبن الجنان وخمرها
 لما رأيت الماء مس طلاك
 لم أنس من هبة الزمان عشية
 سلفت بظلك واقضت بذراك
 كنت العروس على مذمة جنحها
 لبنان في الوشى الكريم جلاك
 يمشى إليك اللحظ في الديباج أو
 في العاج من أى الشعب أذاك
 ضمت ذراعها الطيبة رقة
 «صين» و«الجرمون» فاحتضناك
 والبدر في تبج السماء منور
 سالت حلاه على الثرى وحلاك
 والنيرات من السحاب مطلة

وقال

« وقال معارضا كاتبة ابن زيدون التي أولها :

« ودع الصبر يحب ودعك (١) »

ردت الروح على المصنئ معك

أحسن الأيام يوم أرجعك

مرّ من بعدك ما روعني

أترى يا حلو بعدى روعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع الفجر عسى أن يطلعك

وبعثت الشوق في ربيع الصبا

فشكا الحرقه مما أستودعك

يا نعيمى وعذابى فى الهوى

بعدولى فى الهوى ما جمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيعك

موقى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجفوا أنك شاك موجع

ليت لى فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعك



صفحات من كتاب الذخيرة لابن بسام

وبرع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، وانطق لسانه ، فذهب به الحب كل مذهب وهون عنده كل مطلب ، وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن المكري أحد حكام قرطبة ظفر أحجن ، أدام إلى السجن ، فألقى نفسه يومئذ على أبي الوليد بن جهور في حياة والده أبي الحزم فشفع له وانتقله من تكبته وصيره في صناعته ، ولما ولي الأمر بعد والده - نوه به وأسنى خطبه وقدمه في الذين اصطنع لدولته ، وأوسع راتبه وجاهه كرامة لم تقمعه فيما زعموا ، وانفق أن عن له مطلب بمحضرة لإدريس الحسني بمالقة ، فأطال التواء هنالك ، واقرب من لإدريس ، وخب على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه ، فغتب عليه ابن جهور ، وصهره في السفارة بينه وبين أمراء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستقل بذلك لفصل ما أوتي من اللس والعارضة ، فاكسب الجاه والمفعة ولم يعمده ذلك من التهافت في الترق بعد المهمة ، فهوى عما قليل إلى عباد صاحب إشبيلية اجتذبه إلى ذلك هاجر عن وطه إليه ، وتزل على كنفه ، وصار من خواصه وصحابه ، يجالس في خلواته ، ويرسل له في مهم رسائله على حال من التوسعة ، وكان ذهابه لسادسة ٤٤١ هـ إحدى وأربعين وأربعائه . قال أبو الحسن : « فأما سعة ذرعه ، وتدفق طبعه ، وغرارة بيانه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد ، والرمل الذي لا يحصى ولا يعد . »

بدايته وتصرفه بفنون القول

أخبرني من لأدفع خبره من وزراء إشبيلية قال : « عهدى بأبي الوليد قائماً على جنازة بعض حرمه والاس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب بما أجاب به غيره لسعة ميدانه ، وحضور جنانته . » وقد أخرجت من أشعاره التي هي حجول وغرر ونوادر أخباره التي هي مآثر وأثر ، ورسائله

فصل في ذكر دى الوزارتين الكاتب أبي الوليد ابن زيدون واجتلاب عيون أخباره ، وفصوص رسائله وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد عاية مشهور ومنظوم وخاتمة شعراء محزوم ، أحد من خبر الأيام خبراً ، وفاق الأنام طرا ، وصرف السلطان نفعا وضرا ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدع تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للجنوم ازهر اقتارانه ، وحظ من النشر غرب المباتي ، شعري الألفاظ والمعاني . أخبرني غير واحد من وزراء إشبيلية قال : جلس ابن عبد العزيز من يد عباد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، وبقيت حضرته من أهل هذا الشأن ، أعزى من ظهر الأفعوان وأخلى من صدر الجبان ، فهم باستجلاب (محمد بن الباسي) المشهور أمره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الديوان ذكره ، فكانت أبا الوليد غص بذلك وواطأ أبا محمد بن الجدي على الإشارة بالاستعناء عما هنالك ، فكانت الكتب تنفذ من إنشاء أبي الوليد إلى شرق الأندلس ، فيقال تأتي ماشيلية كتب هي بالنظم الخطير ، أشبه منها بالمشهور .

حظوته عند ابن جهور

وقد أجرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته ، فقال « ونوه بفتي الآداب ، وعمدة الطرف ، والشاعر الديب الوصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذى الأبوة السنية بقرطبة ، والوسامة ، والدراية ، وحلاوة المنظوم ، والسلامة ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة ، وقدمه للنظر على أهل الذمة لبعض الأمور المعترضة وقصره بعد مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة

التي أخرجت الحقل ، واستوفت أمد المطلق الجزل .

.....
.....
.....

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ما جال بعدك لخطي في سنا القعر

إلا ذكرتك ذكر العين بالثر » الخ

وله أيضاً قصيدة فريدة خاطب بها ابن جهور وهو في تلك الحال من الاعتقال أولها :

« ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي

ويطل تأري البرق منصلت النصل »

وفي بي جهور يقول :

« بني جهور أحرقتكم بجفائكم

جنائي ، فما بال الدماخ تعبق

تعدوني كالغدير الورد إنما

تطيب لكم أنفاسه حين يحرق »

وأراه توارد في هذين البيتين مع أبي علي بن رشيق

القيرواني حيث يقول :

« أراك اتهمت أحاك الله

وعندك مقت وعندي مقه

وأني عليك وقد سوئني

كما طيب العود من أحرقة »

وأخذه معاً من قول أبي تمام :

« لولا اشتعال النار وبها حاورت

ما كان يعرف بصل طيب العود »

وأشددني بعض أهل وقتنا ، وهو أبو سروان بن شماغ لنفسه :

« نوابث فالتني ، فأبدت فضائلي

وكانت وكنت النار والعنبر الورد »

ولديه :

« إن مست النار جسمي

أبدت طيب نسيم

كالدمر إن عض يوما

أبان فضيل الكريم .

وأبو الوائد بن زيدون - على كثرة إحسانه - كثير الاهتمام في النثر والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم وهو مخنق بقرطبة بعد فراقه من السجن ، فصلا من رقعة :

« وبلغني أنك أحد اللاتمين ومن أمثالهم ويل للشحى من الحلى ، وهان على الأملس ملاقي الدبر واعتبك على انفصالك عني وترى أنك أحد الخنة مي فلم أستطع صبراً ، وعلم أن العاجز من لا يستند فالمرء يمحجر لاءاله ، ولم أستجر أن أكون ثالث الأذليين العير والوتد ، وتذكرت أن الفرار من الظلم والهرب مما لا يذوق من سنن المرسلين ، وقد قال تعالى على لسان موسى : ففررت منكم لما حفتكم . فطرت في مفارقة الوطن فقدميما ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد العائق العبيط في معدنه كما قال :

« أضيع في معشري وكم بلد

يكون عود الكباء من حطبه »

فاستحرت الله في إيفاد العزم ، وأنا الآن حيث أمنت بعص الأمن إلا أن السعي لم يرتفع ومادة البغي لم تنقطع ، وختم رسالته بهذا النظم :

« شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط

وشط - بمن هو - المزار وما شطوا »

.....
.....
.....
كان أول هذه القصيدة ناظر إلى قول راشد أبي حكيمة حيث يقول :

« ومستوحش لم يمض في أرض غربة

ولكنه ممن يحب غريب »

ويناسبه أيضاً قول المتنبي :

« إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

أن لا تفارقهم فالراحلون هم »

قوله هربت وما للشيب البيت ناقص عن قول المتنبي :

وقوله لا يكن عهدك ورداً من قول العباس بن الأحنف :
« لا تمجلى وصلنا كالورد حين مغى »
دا طلمة وأدعى الورد كدلاس .
كرره العباس في موضع آخر ، فقال :
« ولكننى شبهت بالورد عهدهما
وليس يدوم الورد والأس دائم . »

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في الفسيب وما
يناسبه من قصيدة :

« بتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا جفت ما قينا (١)
لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم
رأياً ولم نتقلد غيره دنبا
تكاد حين تناجيكم ضمائرا
يقضى علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقركم أياما فغدت
سوداً وكانت بكم ببصاً لبالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا
ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأس دانية
قدأوفها بغيرنا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فنا
كتم لأيماننا إلا رياحينا
لا تحسبوا نأياكم عنا بغيرنا
إذ طالما غير النأى المحينا
والله ما طلب أهواؤنا بدلا
منكم ولا انصرف عكم أمانينا
ياسارى البرق فاد الفصر فاسق به
من كاذب صرف الهوى والوديسقينا
ويا نسيم الصببا بلغ تحينا
من لو على البعد حيا كان يحينا
ريبب ملك كأن الله أنشأه
مسكا وقدر لإشاء الورى طيناً

(١) أثبتنا هذه الأبيات لاختلاف روايتها عن
رواية الديوان .

« إن لا يشب فلقد شابت له كبدى

شيب إذا حصيته سلوة نصلا . »

وقد كرر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من
شعره وكلف به وشعب الكلام فيه فتصرف ، وقد
تقدم إنشاده ، ومنه أيضاً قول عبد الجليل المرسى
المعتمد ابن عباد :

« أتلك على خلافتها جياذى

وإن كان الصياغ لها شكلا . »

وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من محبته ذلك
إلى أبي حفص بن برد بهذه الأبيات :

« ماعلى طيبى ياس
ربما أشرف بالمر ، على الآمال ياس
ولقد ينحيك إخفا ل، ويردك احتقاس
والمحاذير سهام والفادير قياس
يا أبا حفص وما ساء لك في فهم إياس
من سنا رأيك لى في غسق الخطب اقتباس
وردادى لك نص لم يحالفه القياس
أذؤب هامت بلحى فاتهم وانتهاس
يليد الورد السدي وله بعدد اوتراس
إن أكن أصعبت بنبو ساء فليث احتناس
فتأمل كيف يعشى مقلة المجدع الماس
وفيت المسك في الترم ب ديوتا ويداس
لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس
وأرد ذكرى كاساً ما امتطت كفك كاس
فمضى أن يسبح الدهر فقد طال الشمس . »
قوله يليد الورد السدي اليت كقول النابتة :

« وقلت يا قوم إن الليث متقمص

على برائته للوثبة المصارى . »

وأخذه ابن الرومى فقال :

« سكنت سكونا كان وهناً بوثبة

عماس كذاك الليث لاوثب يلبد . »

(١) أثبتنا هذه الأبيات هنا لاختلاف روايتها عن
رواية الديوان .

إذا تأود آدته - وفاهية -

توم العقود وأدته البرى لنا
كانت له الشمس ظئرا في أكلته
بل ما نجح - لى لنا إلا أحيينا
يا روضة طال ما أجت لواحظا
وردا جلاه الصبا غضا وسرنا
ويا حياة تملينا بزهرتها
مى ضروبا ولذات أفانينا
لسنا نسبك إجلالا وتكرمة
وقدرك المنة - لى عن ذاك يغنينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها
والكثير المذب زقوما وغسلينا
كأنتا لم نبت والوصل ثالثا
والسعد قد غض من أجفان واشينا
سران فى خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
إنافر أنا الأسى عند النوى - سورا
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا
أما هواك فلم نعدل بمنهله
شربا ولم كان يضطينا فيروينا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
- سالين عنه - ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجبنناك عن كشب
لكن عدتنا على كره - هوادينا
ناسى عليك وقد حثت مشعشة
فينا الشول ، وغنانا مغنينا
لا أكوس الراح تبدى من - شيئا لنا -
سيما ارتياح ، ولا الأوتار تلينا
دوى على الوصل - مادما - محافظة
فالحر من دان أنصافا كما دينا
فما استفدنا خيلا صل يصرفنا
ولا استفدنا حبيبا عنك يسلينا
ولو صبا نخونا من علو مطلعه
بدر الدجى لم يكن - حاشاك - يسينا
أبدى وفاء ، وإن لم تبد لى صلة
فالذكر يقنعنا ، والطيف يكفينا

وفى الجواب متاع إن شفعت به

بيض الأيادى ألتى ما زلت تولينا

عليك منى سلام الله ما بقيت

صباية بك تحفها فتحفينا . »

وهذه القصيدة بجمالها وريدة وقد عارضه فيها

جماعة قصروا عنه (١)

وله من أخرى أثر نزهة كانت له بمنية الزهراء :

« لاني ذكرك بالزهراء مشتافا

والأفق طاق ووجه الأرض قد رافا . »

وله من أخرى ، وكتب بها من بطليوس أيام تكرره

عليها ومى من عرر نظامه وحر كلامه :

« يا دمع صب ما شئت أن تصوبا

ويا هؤلاءى أن أن ندوبا . »

وله :

« وصح الحق المبين وفى الشك اليقين . »

وفاله :

« صحت فصح بها السقيم ربح معطرة الذسيم . »

وقوله :

« يا ليل ظل لا أستهي إلا كعبرى قصرك

لو بات عندى قرى ما بت أرعى قرك . »

وقوله :

« ودع الصبر محب ودعك

ذائع من سره ما استودعك . »

وقال :

« بينى وبينك ما لو شئت لم يضع

سر - إذا داعت الأشياء لم يدع . »

وبها يقول :

ته أحتدل واستطل أصبر وعزأهن

وول أقبل وقل اسمع وسر أطمع . »

أراه احتذى بهذا البيت مذهب أنى الميثيل الأعرابى :

« فاصدق وصف وفه وانصف وأحتمل

واصلح ودار وكاف واحلم واسمع

والطف ولن وتأن وارفق واتشد

واحرم وجد وحام واحمل وادفع . »

كقولك الجن :

« أحل واقرر وضر وانفع ولن واخن

ورش وابن واتدب للعالمى . »

وهذا البيت صنعه المولودون وعدوه تقسما

(١) وقد أبتنا بعض هذه لاءرضات فرس « ١٠٤ »

وله من أخرى في ابن جهور :

« هذا الصباح على سراك رقيباً »

فصلى بفرك ليلك الغريباً . »

وقال ابن زيدون أيضاً :

« أما وألحاظ مراض صحاح »

تصبي وأعطاف نشاوى صواح . »

وفي بني جهور يقول عند نكبة بني ذكوان :

« لولا بنو جهور ما أشرفت هم »

عبد السوالف في أجيادها تلح . »

قوله في هذه القصيدة إن السيوف إذا ما طاب

جوهرها في أول الطبع لم يعلق بها الطبع ، ينظر

بلحظ صريب إلى قول حبيب :

« والسيف مالم يلب فيه صيقل »

من سنعه لم يتفتح بصقال . »

وله من أخرى يهيم المعتضد بن عباد بـزجة ابنه

إسماعيل لابن الأنطس وقتل ولد إسماعيل بن عبد الله

في تلك الحرب :

« ليهن الهدى إنعاج سبيك في العدا »

وإن راح صنع الله نحوك واعتدى . »

وفاة ابن زيدون

ومما يتعلق بذكر وفاة ذي الوزارتين رحمة الله

عليه فصل من تاريخ الشيخ أبي مروان بن حيان

رأيت لإثباته لنيل مساقه ، وحسن اتساقه . يقول

فيه ، وفي يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من

ذي الحجة سنة اثنين وستين وأربعمائة سار

الحاجب سراج الدولة عاد بن محمد إلى أشبيلية الحاضرة

الأثيرة لمطالمتها ، وتأنيس أهلها من وحشة خامرت

عامتهم من أجل عدوان رحل منهم على يهودى جاء (١)

لأمر جهة السوق عندهم ، فزعم أنه سب

الشريعة فبطش به المسلم وسط السوق وجرحه

وحرك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة

بها عبد الله بن سلام واعتقله فكان لعامة الناس في

حبسه كلام وإكثار خشن ناله ، فخطب السلطان

بقرطبة يعرفه ما كان منه ويستأمره في شأنه ، فجعل

لإنفاذ ولده الحاجب سراج الدولة إلى أشبيلية في جيش

(١) في القطعة التالية كثير من الاضطراب وقد

أثبتناها كما هي .

وتقطيعاً وتبهم المتن فقال :

« أقل اقل اقطع احم على سسل أعد »

زد هش بش تفضل اذن سرصل . »

ثم زاد المتن من هذا وبني حتى قال :

« عش ابني اسم اسر قد جد »

مرانه جد رف اسر بل . »

بينه المعروف . وأحسن لعمري ابن زيدون في

هذا التقسيم ، ودائع الحديث في صدر القديم ، ولو

قرع سمع أبي منصور بهذا الشذوذ لما كان عند

ابن وسكبير بمذكور ، ولا أغرب بفرائب الصاحب

ولا بيدائم البديع . ومن شعر أبي الوليد في

الغنيب السائر العريب الطيار المليح الخفيف

الروح قوله :

« أما رضاك فمضى ماله ثمن »

لو كان ساحتي في ملكة الزمن . »

وقال من أخرى :

« أنت معنى الصبي وسر الصلوع »

وسبيل الهوى وقصد الدموع . »

وقال :

« غريب بأرض الشرق يشكر للصبا »

تحملا ملى السلام إلى الغرب »

وما ضر أنفاس الصفا في أحتمالها »

سلام فتى يهديه حسم إلى قلب . »

وهذا مقول من قول العباس بن الأحنف حيث يقول :

« تالله ما شطت نوى ظاعن »

سار من العين إلى القلب . »

وقال أبو الوليد من أخرى :

« سأحب أعدائي لأنك منهم »

يا من يصح بتقلته ويسقم . »

وقال من قصيدة :

« أما في نسيم الريح عرف معرف »

لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف . »

وقال أيضاً أبو الوليد من جملة قصيدة :

« يا أيها الملك الذي تديره »

أنضى الملكة الزمان ملاكا . »

عليه، إذ كان منهم متعصبا له، هاويا لميلهم، حديبا عليهم وليجة خير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية، فصار مصابه كفا فيه من تأميلهم والبقاء لمن تفرد به وحده لارب غيره ولاجرم إذا أعز الله إخوانه بابتدأ بقاء فتاة التدب أي بكر ولده ساد أمثله ساميا مسما غائطا عداه عاطيا منتهاه بأبوة صدق يجرى إلى العلى بضيغه من سباحة ودمانة وحصافة ونزاهة ومعرفة ووفور حظ من أدب بلاغة وكتابة وشركة في التعاليم العلمية واشتداد في رعاية متقدم الذمة لم يفقد إخوان أبيه معها إلا غيبته خلال حركن حاله عما قليل بعد أبيه عند سلطانه قسطنطين السياسة فاستصر في استحضاره وأذناه من احتبائه ورقاه في مراتب والده منقلا له في درجتها راضيا بلاده فيما ناطه به منها حتى فرع ذروتها عما قليل فأحفظاه بالوزارة وصيره وزيرا لحضرته الأثيرة اشبيلية، وجمع له أنظاره خطها العلمية معاطس التناس من قوام المملكة خطة ولاية المدينة وواتاه الزمان، والله يؤتي فصله من يشاء له الفصل والامتنان .

وقال :

« لا طار لي حظ إلى عاية

إن لم أكن منك فريش الجناح

وعتباك بعسد العتب أمنية

مالى على الدهر سواها اقتراح

لم يثنى عن أمل ما جرى

قد يرتع الحرق وتؤسى الجراح

فاجهد بحمى الرأى عن يرمج

منه العدا بكل شاكي السلاح

واشفع فللتافع ندى بما

تمر من عقد وثيق النواح

إن سحاب الأذى منها الحيا

والحدى تأليفها للرياح . »

وكان القاضي أبو بكر بن دكوان أجل من اشتمل عليه أو أن مجدا وشرفا ونفعا في العلم وتظرفا مع دعاية حدين خلواته تحمل حي المحتني ورفاقه عند شواته كالتنوخى والمهلبى، فإذا أصبحوا بكر أبو بكر إلى مصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجمته وأذكر

كثيف من نخبة غلمانه ووجوه رجاله لمشاركة القصة والاحتياط على العامة، نفذوا معه وسط هذا اليوم وأنفذ معه ذا الوزيرين أبا الوليد بن زيدون أحد الثلاثة أكابر ووزرائه المثناة وزارتهم عهد دولته ألزمه النفوذ مع الحاجب على بقية وعك متألما منه ولم يعذره في التوقف لأجله، فضى لطيفته مساقا إلى منيته وخلف ولده أبا بكر الفد الوزارة المرتسة بالكتابة، وراه سادا مكانه بالحضرة، فأقر فيها أياما، ثم أمر بالمسير وراه والده لأمر كلفه أمجل بالانطلاق له، ففضى نجبه غداة يوم السبت لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها، فخلت منهم منازلهم بقرطبة وصيرت إلى سواهم، فتحدث الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان وإن استسماكه على مرتبة بعد مختصه المعتضد بالله . كان من المعتد على الله رعاية لخصوصية أبيه به يعنى باستمرارها فتعاد المختصان به الحظيان لديه المستهمنان لخاصته ابن مرتين وابن عمار إلى أن عملا في إبعاده وإبعاد ابنه الرقيب بعده فأضى خلفه، فعندها استسماغا غصته، واستهمل مكانه، واحتويا على خاصة السلطان، وتدبير دولته، ولكل دولة رجال، ولكل مكتب إبدال، ولم يطل الأمد لابن زيدون بعد لحاق ابنه به، ووجدانه إياه متزايدا في مرضه، نازعا عن الآفة على جهده في استدعائها على انتهاء المدة، واتهاك القوة، فاستقر به وجهه إلى أن قضى نجبه، وهلك بدار هجرته اشبيلية صدر رجب سنة ثلاث وستين، فدفن بها مشهودا مفتقدا، واحتوى تراهيما عليه، فيا بعد ما بين قبره وقبر أبيه لدينا رحمة الله عليهما فقد تولى من أبا الوليد كهل لن يخلف الدهر مثله جمالا وبانا وبراعة وسلطانا وظرفا وحولولا من مراتب البلاغة نظدا ونثرا بمروية لم يخلف لها بعده عاطيا بقرانه بين الكلامين وبراعة في الفنين إلا أن يكون عند أولى التحقيق والتحصيل في النظم أمد طلفاء واثق عقاء فلا يلحقه فيه تقصير ولا يخشى رهقا شهوده في الفنين عسودول مقانع حضور عسد أهل المعرفة، ولما اتصل خبر هلكه بعشيرته أهل قرطبة شيعوه وبكوا لفقدوه وحزنوا

رحاله غفر لعماد من رؤوسهم مائة وخمسين رأساً
ومن خيلهم مئتي ناقس جناح قرنه وأفنى حماة رجاله
ثم إن عباد أئرداك جمع حلفاء خيله وقود عليها ابنه
إسماعيل مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد
ابن الأفطس بإبرة وقد استدعى أيضاً ابن الأفطس
خليفته إسحاق بن عبد الله فلهقت به خيله مع ابنه
أبي الز بعد أن جمع ابن الأفطس بقايا جيشه من
هزيمتهم المتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على
ركوب دابة من البياض يبلده وحشد من رجال البوادي

بعمله خلقاً كثيراً وأقل بمجمعه هذا المنحوب ليدفع
خيل ابن عباد عن بلده بإبرة ، وقد كان برابرة
خليفته إسحاق في عسكره قالوا له لا تلتمم فلست
تعرف قدر من زحف نحوك ونحن رأيناكم وسمعنا
بمجمعهم بأشيبيلة فلم يسمع منهم ومضى ، فالتقى
الريقان من غير نزول ولا تعبته فاختلفوا واجتلدوا
مليا لحق المباديون الضراب . وتابوا الشدات لحاد
البرابرة عند أصحاب اسحاق ، وانهمز ابن الأفطس

وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصاهم القتل
وقتل ولد اسحاق وجز رأسه وبعث إلى أشيبيلة
مع رأس ابن عم ابن الأفطس صاحب يابرة
يدعي سييد الله الحرار ونجا ابن الأفطس في خيله
إلى يابرة . قال أبو سروان وأقل ما سمعت في
إحصاء قتلى هذه الواقعة ثلاثة آلاف فأزيد
وأخبرني من أثنى به أن بطايوس بقيت خالصة
الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها
في وقعة ابن عباد هذه بفتيان أعمار البهاء الشيوخ
السكهول الذين أضيوا يومئذ فاستدلت على فشوا
المصيبة ، وجزع إسحاق بن عبد الله بمصاب ابنه
ولم يستجبر لضده عباد في طلب رأس ابنه ، فإن
عباداً أضاه إلى رأس جده محمد بن عبد الله بأشيبيلة
انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسام ولم يزل الرأسان عند آل عباد مع عدة
رؤوس أهدتها الفتنة الميرة حتى نحتت أشيبيلة على الأمير
الأجل سبر بن أبي بكر فجئى بجواني مقفل مخنوم عليه ،
دأمر بفتحه ، لإشلاك أنه مال أو ذخيرة فاداه هو ملوء

ما كان عليه من فكاهته فكأنه في بردية الامام
وكأنه وقار بديل أو شام مع عدله في قضائه وإنفاذ
الحكم بمقتضى الحق وإمضاءه حتى إذا راح الزواح
عادوا إلى القصف وتجاروا في ميدانهم كل وصف
إلى أن اختلس أحد بكر منها وتقلس ذيل مؤانسته
عنها ، فاعتاض عنه بسواه وأفاضاً فيما كانوا فيه
وما تعدياه ، واتفق أن مر يوماً بقبرة في لمة من
إخوانه وجماعة من عمار ميدانه فغطوا عليه مسلمين
ووقفوا عليه متألين ، فقال أبو الوليد :

« يا قبرة العطر الثرى لا يبعدن

حلو من الفتيان فيك حلال »

وله :

« على داره الشرقى مى تحية

زكت وعلى وادى المقيق سلام »

وله :

« خيلى لانظر يسر ولا أضحى

فما حل من أمسى مشوقاً كما أضحى »

وله يرثي :

« أعباد يا أوى الملوك لقد عدا

عليك زمان من سحيته الغدر . »

ونلمع من خبر هذه الواقعة بلعة . قال أبو سروان
في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع ابن عباد
بابن الأفطس إلى جنب يابرة ، وكان سبب هذه
الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبلة يؤمئذ خليفة ابن
الأفطس وإلى آل عباد للضرورة فكاشفه ابن الأفطس
وخانه فيما كان اثنته عليه من ماله الصامت عند
ما حمله إليه وديعة عند تورطه في حرب ابن عباد قبل
فابئت بينهما العصمة ، وأرسل ابن الأفطس في
ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستثارت عباد
فأرسل إليه خيلاً منتقاة فلهقت الحيل الأفطسية وهى
قد شذت الفارة على لبلة ، فكرت عليهم إذ كانوا
ضيقهم واسترسلوا في اتباع المباديين ولا يشعرون ،
فإذا بعباد بمحلمته في كين قد خرج أثرهم فدهشوا
وولوا الأدبار ، فركبهم السيف ، وبذل عباد المال
في رؤوسهم ، وكانت قناة خيل ابن الأفطس وأبطال

ولصالح ابن عبيد في ذلك :

« ليس همي ولا طويل انتحاي

لمشيب أزال عني شبابي . »

رجع وقال ابن زيدون يرثي :

« انظر لحال السرو كيف تحال

ولدولة العلياء كيف تبال . »

وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حبان يرثي

أبا الحرم ابن جهور :

« ألم تر أن الشمس قد ضمها القبر

وإن قد كفانا فقدنا القمر البدر . »

وله من أخرى في هذا المروض ، وقد تكرر فيها

بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبي الوليد

ابن جهور يقول فيها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر

فن شيم الأحرار في مثلها - الصبر . »

إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر

فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها

آخر أعبادا المعتصم ، وجعل أول قصيدته قوله :

« هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر . »

ثم أتبعه بقوله :

« حياة الوري نهب إلى الموت مهيع

لهم فيه إيضاع كما يوضع السفر . »

يتلاعب أبو الوليد بهذه القصيدة تلاعب الخطيئة بنسبه ،

ويتصرف تصرف أبي حنيفة في مذهبه ، فأنت وذاكر

وقدم فيه وآخر . قال أبو اللاء :

« رب لحد قد صار لحدا مرارا

صاحكا من تراحم الأضداد . »

وبلغني أنه وجد لابن زيدون إثر موت عباد شعر

يقول فيه :

« لقد سرنا أن النمي موكل

بطاغية قد حمّ منه حمام

تجانب صوب المزن عن ذلك الصدى

وسر عليه الديث وهو جهام . »

وقال مخاطب الوزير أبا عامر بن عبدوس مز

قصيدة أولها :

من الرؤوس فأعظم ذلك وهاله ، وأسر برفع كل رأس
منها إلى من بقي من عقبه بالحضرة . حدثني من رأى
رأس يحيى بن عليّ الحمودي ثابت الرسم غير متكلم
الشكل فدفع إلى بعض ولده فدفعه .

وقال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها :

« أجل إن ليلى حيث أحيأوها الأزد

مهاة حمتها في مرابضها الأسد »

وكان ابن جهور يومئذ كسر دنان الجر ، وكان

أيضاً يومئذ مثل ذلك عبد الرحمن بن سعد المصنر

شعر أوله :

« كسرت لجبر الدين أوعية الجر

فأحرزت خصل السبق في الكسرو الجبر

صعدت إلى الشعر الذي جموا

ففرقت منه فاسترحنا من الشعر . »

في أبيات غير هذه استبردت جلتها وإنما ذهب

إلى عكس قول من تقدم من أعيان الشعراء من ذم

صب الشراب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة

الكوفي وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

« يا لقومي لقد جنى السلطان

لا يكن للذي أهان الهوان . » الخ

وبلغني أن الجاحظ أنشد هذه الأبيات ، فقال للمنشد

من حق الفتوة أن أكتبها فأثما وما أقدر إلا أن

بعمدني للعرس به ، قال المحدث فأعجبه ، وقام

يكتبها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بني أسد

طيب الشعر حليفاً ماجناً ، وكان يألف همدداً يأتيه

كل يوم في موضع يعنيه شراباً فلا يزال يشرب على

صسوته إلى أن يسكر ، وكان أيضاً يهوى غلاماً

نصرانياً وهو القائل :

« زناره في خصره معقود

كأنه من كبدي مقنود . »

وبكر القائل :

« قلبي إلى ما ضرتني داعي

يكتر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي لذا

كان عدوي بين أسلاحي . »

ونخل من سيف الغدير
فيثمة الظل الظليل
والروض ممطور تم
(م) عليه أنفاس القبول
والشمس ترمقها خلا
ل العيم عن طرف كليل
ابان يحدو الرعد من
ورق السحاب كالحوول
ويتركف البرق في الـ
آفاق مرهقة النصول
زمن سبكه الحما
م ممي وتذمل عن هديل
يا برق أودية المني (١)
تفديك نفس من رسول
عرج بشلب محيا
ما شئت من تلك الطلول
والمع على شرفات حمـ
عن قرارة العرف الأنيل
فاذا جلاك أبو الوليد
سد بناظر اليفظ النبيل
فاقرأه من قبلي سلا
ما يقضى حسن القبول
يا غرة الزمن البهم
(م) وعزة الأدب الذليل
ومحكم العلم القصـ
ير على شبا الرمح الطويل
أعلت أنى خادم
ذكراك بالشكر الجميل
لم أستهل عما عهد
ت مع الزمان المستحيل
شفع عنايتك الجليـ
ـلة بي لدى الملك الجليل

(١) وفي الأصل : أودية التي .

« أثرت هزير الشرى إذ ريش
ونبهته إذ هذا فاعترض . »
ومما أغفله ابن بسام من نسب أنى الوليد الصحيح
الأقسام ، النازح عن الاطماع والأوهام ، المصدق
قول الجفريه فيما ينص من الإلهام قوله :
« انن قصر اليأس فيك الأمل
وحال تخنيك دون الحيل . »
وقوله أيضاً :
« فديتك ليس لي قلب فأسلو
ولانفس فأنف إن جفيت . »
وقوله :
« أنى أسمع عهدك
أم كيف أخلف وعدك ؟ »
ولأبي بكر بن عمار يخاطب أبا الوليد بن زيدون
رحمهما الله :
« كيف اعتزنت على الدليل
وقطعت أسباب الوصول
وقتلني ، وزعمت أن
الذنب مني للفتيل
وعليك حاددت العدا
ولإليك ملت عن العذول
يا قاتلي ومدمامي
في صفحتي أهدى دليل
ما أليق الفعل الجيـ
ل بذلك الوجه الجميل
فبرزت في خلق الكريـ
م وراءه خلق البخيل
ودعوته حتى أجيـ
ـتكم ثم حدثت عن السبيل
جهد بالقليل فإت نفـ
ـسى منك تقنع بالقليل
واذكر حلي زمن قطعنا
بصافية شـول
إذ نسحب الأذيال ما
بين الخليج إلى النخيل

وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدبى
لأحرار المصر ، وفناؤها ملعباً لحياد النظم والنثر
يعشو أهل الأدب إلى نثر غرتها ، وبها لك أفراد
الشعراء على حلاوة عشرتها ، إلى سهرة حجابها ،
وكثرة متابها ، تخلط ذلك بملوئ نصاب ، وكرم
انساب ، وطهارة أنواب ، على أنها سمح الله لها ،
وتغمد زلها ، طرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول
فيها السبل ، لئلا مبالانها ، ومجاهرتها بلذاتها ، كتبت
- زعموا - على أحد عاتق ثوبها :
« أنا والله أصلح للمعالي
وأمشى مشيتي وأنه نيا . »

وكتبت على الآخر :

« أمكن عاشقي من ثم خدى

وأعطى قبلى ، من يشتهها . »

هكذا وحدث هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدة
ناقله ، وإلى الأدب من غلط انزل إن كان وقع فيه ،
ولها مع أبى الوليد أخبار طوال وقصايفوت إحصاؤها
ويشق استقصاؤها - وأما دكاء حاطرها ، وغزارة
نوادرها ، فأية من آيات فاطرها - صرت بالوزير
أبى عامر بن عبدوس المتقدم الذكر ، وكان بقرطبة
أحد أعيان المصر ، وبعض من هذى باسمها ، وقصر
على حكمها ، وأمام داره بركة تتولد على كثرة
الأمطار ، وربما استمدت بشئ مما هالك من الأقدار
وقد نشر أبو عامر كيه ، ونظر في عطفه ، وحشر
أعوانه إليه ، فقالت له أبا عامر :

« أنت الحصيب وهذه مصر

فتدفعنا ، فكلنا كما بحر . »

فتركته لا يغير حرفاً ، ولا يرد طرفاً ، وطال صمرها
وعمر أبى عامر حتى أربيا على الثمانين وهو لا يدع
مراسلتها ، ولا ينفل مواسلتها - وتحيف هذا
الامر المستطيل حال ولادة ، فكان يحمل كلاها ،
ويرقع ظلها ، على خوف واديه ، وجود رواحه
وغواديه ، أنراجيلاً أبقاء ، وطفلاً من الظرف جرى
إليه حتى استوفاه - وكانت - زعموا - تهرض أيتا تأمن
الشمر ، وقد قرأت أشياء منه في بعض التعاليق
أضربت عن ذكره ، وطوبته بأسره ، لأن أكثره

ولئن أجبت لرأغب
وأقلت عثرة مسـ... قيل
يا أنس بدر في الطلا
م وبدر ظل في المقيـل
فلصكم أتيت بنثلها
- وهى الصليعة - في مثيل . »

ولابن زيدون يتنزل في ولادة :

« يا نازحا وصمير القلب مشواه
أنستك ديباك عبداً أنت مولاه . »

وله يتشوق إليها :

« غريب بأرض الشرق يشكر للعصا
نعملها منه السلام إلى الرب
وما ضر أنفاس الصفا في أحتمالها
سلام ففي يديه جسم إلى قلب . »

وله :

« أيوحشى الرمان وأنت أسمى
ويظلمى النهار وأنت شمسى . »

وله :

« ولقد شكوتك للضمير إلى الهوى
ودعوت من حنق عليك فأما . »
وله يتنزل ويغاث ويتسطف ويستنزل :
« يا مستحقاً بعاشقيه ومستغنياً لنا صحبه . »
وكتب عن المعتضد إلى صهره الموفق أبى الجيوش
ابن مجاهد :

« عرفت عرف الصبا إذهب عاطره
من أنق من أنا في قلبي أشاطره
أراد تجديد ذكراه على شحط
وما تيقن أن الدهر ذا كره
نأى المزار به والدار دانيـة
يا حبذا الفال لو صحت زواجه
خلى أبا الجيش هل يقضى اللقاء لنا
فيشتى منك قلب أنت هاجره . »

قال ابن إسام : وأما ولادة التى ذكرها ابن زيدون
في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله
الناصرى ، وكانت في نساء زمانها واحدة أو أنها
حضور شاهد ، وغزارة أرايد ، وحسن منظر ومخير

عاصر الحولة ضد القتيه عبد الرحمن المستظهر في
الأدب والمعركة ، وكان افتتح هذه السنة المؤرخة
القاسم بن حمود بخلائته وآخرها محمد هذا المذكور
وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر تفرقت تلك السنة
المسكرة على ثلاثة حلقات ، وهذا من غريب الأنباء
ولله البقاء المبردى ، وقد محمد هذا الأمر ولم يكن
من أهله ، فناق جميع الناس بالإيثار واستمالهم
بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، وأن الشر
رخيص يقوم مقامه ، وبغوب منابه ، وكان يقول
للناس أجمعين ، ارتعوا كيف شئتم ، وارتعدوا بما
أحاثتم من الخطأ ففسي بالوزارة في أيامه مفردة
وشاة أراذل الدائرة ، وأحاث النظر فصلاص
رعاف المكتب والخدمة ، وأما الشرطة العليا
ومادونها من رفيع المنازل ، فخافا أكثر من التحار
والعامة ، واثال الناس على ابتغاء هذه المنازل عند
السلطان الطماعية في كرة الدولة ففسوا بأهـ وعمرها
فداء ، وتعللوا بالمنى ، فلما استبانوا ضعفه رفضوا
خططهم ، وتبرأ كثير منهم منها ، وأقسم أنه لم
يتقلدها ولا سيما عند تكرار التفتيش عليهم للعرامة
عند إلحاح الإضافة ، فجرت لبعضهم عند الاتقاء عن
تلك الخطط نوادر ظريفة مصحكة وانتهى هذا
التنويه العام بهذا السلك اهتمام إلى أن فصله أيضاً
في طبقات أهل العلم فأسمهم منهم الفتية ، فأثر العلية
منهم المشاورين أصحاب الصون بالاراء إلى خفة
الوزارة خالطاً لهم فيها بما ذكرناه من رطاف
الخدمة وكبار الدائرة ، وجاء في ذلك بطامة لم تسمع
في الأعصر الحالية فأخطأوا وألحقوا بالدين وصحته ،
وطلبوا زيادة المتنى على العامة ، فامتتنوا بهذه
الخطه وشدوا أيديهم عليها ، وهجروا من حظهم في
الحطاب عنها مفرطين بما يباب من ذلك إلى أن
مضوا لسبيلهم ، وارتقى المستكن أيضاً بكثير من
يحمل المحابر ، ويدرس مسائل الدفاتر ، من أصاغر الطبقة
العقوة إلى ما بلغت عليهم من منزلة الشورى ، فوسم
كافهم بوسم الفتوى فأسرف في ذلك حتى بلغ عددهم

ليس له عندى إعادة ولا إبداء ، ولا من كتابي
في أرض ولا سباه . ونشبر هنا بقى من أخبار
أيها المستكني مدا لأطناب الآداب ، ووفاء بشرط
الكتاب ، نسخته من كتاب ابن حيان :
هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالناصرى ، ببيع يوم
قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلوزمن
ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ففسي
بالمستكني بالله ، اسما ذكر له فاختره لنفسه ، وحكم
سوء الاتفاق به لمشاكلته لعبد الله المستكني العباسي
أول من تسمى به في اسمه ووهته وتخلقه وضمفه
بل كان هذا زائداً عليه مقصراً عن خال ملوكية
كانت والمستكني سبيه لم يحسنها محمد هذا لفرط
تخلفه على اشتباههما في سائر ذلك كله من نوبتهما
بالفتنة ، واستظهارهما بالشفقة ، واعتدا كل منهما
على ابن عم دى رحم ماسة ، وتوسط كل منهما
في شأنه بأمرأة خبيثة ، فذلك حسناء الشيرازية ،
ولهذا ابنة عسرى الروزية ، فأصبحا في ذلك على
فرط التباين عبرة ، وقال صاحب قط العروس :
ومن عجب اتفاقهما في الأخلاق ، وفي السر واللقب
وأن كل واحد منهما خلق عن الأمر ، وكل واحد
منها تركه أبوه صغيراً ، ولم يكن محمد من هذا
الأمر في ورد ولا صدر ، إنما أرسله الله على الأمة
محنة وبليّة ، إذ كان منذ عرف غفلا عظلاً منقطعاً إلى
البطالة ، مجبولاً على الجهالة ، عاطلاً عن كل خلة تدل
على فضيلة ، عضته الفتنة فأملق حتى استجاز طلب
الصدقة ، وهان حتى أهانه أهله على ما لهم من الهمة
وأيته — أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الحمدية ، ولم
يكن ممن لحقه الاعتقال منهم لراكته — يقصد أهل
الفلاحة يومئذ بقرطبة أو أن ضمه لغلائهم يسألهم
من زكاتها تكليماً ومخاطبة ، وبالجملة في تخفيض
التعريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس
في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أنقص إذ
لم يزل معروفاً بالتلف والزكاكة ، مشتهراً بالشرب
والبطالة ، سقيم السر والعلانية ، أسير الشهوة ،

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر عيره ، أقبلت بقدر
كالقصب ، وردف كالكتيب ، وقد أطبقت نرجس
القل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روض مدبح ، وماء
سحسح ، قد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل
أنهاره ، ودرّ الطلّ منثور ، وجيب الراح مزورور
فلما شبتنا نارها ، وأدركت فينا نارها ، برح كل منا
بجبه ، وشكا إليه ما بقله ، وبتنا بلبلة نخي الحوان
التنور ، وتقطف رمان الصدور ، فلما انفصلنا عنها
صباحاً ، أنشدتها ارتياحاً :

« ودع الصبر محب ودعك

ذائماً من سرّ ما استودعك . »

قال أبو الوليد وكانت عتبة قد غشنا :

« أحببتنا إلى بلغت مؤملى

وساعدنى دهرى وواصلنى حى

وحاء يهينى البشير بقره

فأعطيته نفسى ، وردتله قلبي . »

سألها الإعادة بـيز أمر ولادة ، فجفا منها برق
التبسم ، وبدا عارض النجم ، وعانبت عتبة :

« وما ضرت عتي لذنوب أنت به

ولكنما ولادة اشتدت ضربي

فقامت تاجر الدبل عائرة به

وتسح طل الدمع بالعم الرطب . »

فبتنا على العتاب ، من غير اصطحاب ، ودم المدام
مسفوك ، وما بدا للهو متروك ، فلما قامت خطباء
الأطيار ، على منابر الأشجار ، وانفتحت من الاعتراف
وباكرت إلى الانصراف ، وشت بمسك الأقباس
على كافور الاطراس :

« لو كنت تنصف فى الهوى ما بيننا

لم تهو جاريتى ولم تتخير

وتركت غصناً مثمراً بجباله

وجنحت للفصن الذى لم يثمر

ولقد علمت بأننى بدر السما

لكن ذهبت لـشقوقى بالمشترى . »

قرطبة يومئذ الأربعين ، وذلك مما لم يعمد فى
الما برن ، وكثير الإرجاف بتغير رجال الدائرة ،
فاضطرت قرطبة لكثرة ما فيها من المردة ، فقبض
على جماعة من بن عمه وحاشيته منهم على بن أحمد
ابن حرم وابن عمه عبيد الوهاب المتقدّمى الذكر
سحوا بالمطوق ، ثم عاجل المستكى ابن عمه عبدالعزيز
العرافى خنق وأمسى بيتاً وعاه إلى الناس فلم يسهل عليهم
اغتياله ، وفى أيام المستكى هذا استؤصل بقية قصور
حسده الناصر بالخراب ، وطست أعلام قصور
الرهراء ، واقتلع نخاس الأبواب ورمصاص القى
وعبر ذلك من الآلات ، وطوى بخرابها ساط الدنيا ،
وتدحسها لما كانت له جبة الأرض فعدا عليها قبل
تمام المدة من كان أضعف قوة من فارة المسك ،
وأوهن بيتاً من بقعة الخرد ، والله يسلط جنوده على
من يشاء له العزة والخبوت ، فلما كاب ستة
ست عشرة وتحرك يحيى بن حمود إلى قرطبة ، وضعف
أمر المستكى ، اتفق الملائ على خلعهم ودخلوا عليه
وقالوا : لقد علم الله اجتهدنا فى تثبيتك ، فاعتاص
ذلك علينا ، واضطرتنا إلى مقاربة عدونا وهانحن
حارجون إليه ، ولا ندرى ما يحدث عليك بعدنا
فإن لك لك السكرة فلا تياس ، فغ اليوم غد ،
فأجمل الرد ، واستشعر الدلّ ، واهتبل
الدره ، وعزم على الحرب ، فخرج على وجهه
وفد لبس ثياب الغانيات ، منتقياً بين امرأتين لم يعز
منهن لم راسه على التحيث ، وخرج عن قرطبة ،
فأتى بإفليس ، فكانت دولته تسعة عشر شهراً
صعاباً فكادت سوداً مشوّهاً مشقومات انتهى
ما لحصته من كلام ابن حيان . قال أبو الوليد :
كنت فى أيام الشباب ، وغمرة التصايب هاتماً بنادة
تسمى ولادة ، فلما قدم اللقاء ، وساعد القضاء
كنت إلى :

« ترقب إذا جن الظلام زيارتى

فإنى رأيت الليل أكرم للسر

وبى ملك ما لو كان باليد ما بدا ،

وبالشمس لم تطلع ، وبالنجم لم يسر . »

صفحات من كتاب نفح الطيب

الريان، ما بن أنبوعس الأجهان، وقد نووا الأبراج
 للهو والطرب والترف في روضى النبات والأدب،
 وشوا صاحباً لهم يسمى (خليفة) هو قوام لستهم
 وظام مستهم لينتهم بييد يدهون لهم بدسبه في
 لجين زجاجة، ويرمونه منها بما يقتضى تحريكه
 للهرب عن اقلوب وإزعاجه، وجلسوا لاشقائه،
 وترق عوده على آثاره، فلما بصروا به مقلداً من
 أول انفع نادروا إلى لقائه، وسارحو إلى نحوه
 وتلقائه، واتفق أن فارساً من الجدرك مرسه
 قصده، ووطأ عليه بهشم عظمه، وأجرى دمه
 وكسر قصال النبيذ الذى كان معه، ومرتق من
 شبلهم ما كان الدهر جمه، ومضى على غلوانه
 راكصاً حتى خفى عن العين حائفاً من متعلق به خيخ
 بة لقه الحين، وحين وصل انوراء إليه تأسعوا
 عليه، وأماسوا في ذكر الزمان وعدوانه والخف
 وألوانه، ودخلوه بطوام المضرات على تمام السرار
 وتكديره الأودت للبعات بالآفات المؤلمة، مثال
 ابن زيدون :
 « ألهو والخرق بنا مطيعه
 ورامن والمون لما خيفه . »

فقال ابن خلدون :
 « وفي يوم وما أدرك يوم
 معى قصالاً ومضى حليمه . »
 فقال ابن عمار :
 « هما نغارتا راج وروح
 تكسرتا فاشقاق وحيمه . »
 وكتب الوزير الشهير أبو حاد ابن ريدرت إلى
 الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره
 عن بلنسية .
 « راحت فصح بها السيم » الأيات
 ولما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب دى

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب (التبيين)
 في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب
 (اليقين) في خلفاء الفرق للسعودى .
 ومثل ابن زيدون في قصيدته التى لم يقل مع
 طولها في النسب أرق منها وهى التى يقول فيها :
 « كأننا لم ندت والوصل ناكسا
 والسعد قد غص من أجمان واشنيا
 سران في حاطر الظلام يكتما
 حتى يكاد لسان الصبح يفشينا . »
 وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولاده الروائية التى
 تقول مداعبة للوزير ابن زيدون، وكان له غلام
 اسمه على :
 « ما لابن زيدون على فضله
 يتأبى طلباً ولا ذنب لى
 ينظر لى شرراً إذا جثته
 كأنما حثت لأحصى على . »
 ومن حكايات أهل الأندلس في خلق الصذار
 والطرب والظرف وغير ذلك كسرعة الارتحال
 ما حكاها صاحب (بدائع البداهة) قال :
 أخبرنى من أثنى به بما هذا معناه —

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير
 أبو الوليد بن زيدون، ومعهما الوزير ابن خلدون
 من إشبيلية إلى مطرة لبنى عباد لموضع يقال له
 (الفت) تحف به مروج مشرفة الأنوار، متنسمة
 الأنجاد والأغوار، متبسمة عن ثور النوار، في
 زمان ربيع سفت الأرض السحب فيه بوسبها وولها
 وجلبها في زاهر ملبسها وباهر حليها، وأرداف
 الربى قد تآزرت بالأرز الخضرم نباتها وأجباد
 الجداول قد نظمت النوار فلأنده حول نباتها، وبجاصر
 الزهر تضر أردية السنام عند هياتها، وهناك من
 البهار ما يزرى عل مدامن النصار، ومن الترجس

فهى وإن اشتهرت بالمفرق والمغرب لم يذكر جلتها
إلا القليل ، وقد كنت وقعت بالمغرب على تسديس
لها لبعض علماء المغرب ولم يحضرنى منها الآن لإقوله
فى المطلع :

« ما لعمريون بسهم المصح تصميها
وعن قطاف جنى الأعطاف تحميها
تألف كالت يحميها ويصنيها
تروق عات في شمل المحيها
أضفى الفراق بديلا الخ
وما أحسن قوله في هذا التسديس :

« ما للأحبة دانوا بالوى ورأوا
تمويس عهد الابقا بالبعد حين تأوا
رعاهم الله كانوا للعهد رعا
فغيرتهم وشاء بالنساد سمعوا
عبد العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نفس فقال الدهر آمينا . »

وقد ذكرنا في الباب الرابع - موشحة ابن الوكيل
القى وطأ فيها لونية ابن زيدون هذه فلتراجع -
رجع - وقال ذو الوراقين ابن زيدون يتعزل :
« وصح الصبح الماين الأبيات
وشاسن ابن زيدون كثيرة وعد ذكرنا منها في غير
هذا المثل حلة . وسأل حارية من حواري الأندلس
دا لوراثين أنا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت
أنتدته إياه وهو :

« يا عطي عن وصال كنت وارده
هل منك لي غله أن صحت واعطشى . »
وكانت الجارية المذكورة تشقى فتي قرشياً والوزير
يعلم ذلك وحى لانهلم أنه يعلم ، فقال :
« كدوتى من ثياب السقم أسبقها ظلمها
وصيرت من لحف الضنا فرشى
..... الأبيات

وحكى أن الوزير أبا الوليد بن زيدون توفيت ابنته
وبعد الفراغ من دفنها وقف للباس عند منصرفهم
من الجنازة لينشكر لهم ، فقيل إنه ما أعاد في ذلك
الوقت عبارة قالها لأحد .

الوزارتين أبي عامر بن مسامة ، وهو بينى مجلساً ،
منع أبيتاً كتمت فيه :

« عمر من يعمر ذا المجلسا الأبيات
وفال فيه أيضا :

« ادوها فقد حس المجلس الأبيات
كتب إلى الوزير أنى المعالى للملب بن عامر يستدعيه :
« طاب لنا لياتنا الحالية الأبيات
وكتب إليه ذو الوراقين أبو عامر المذكور معاتباً :
« ناعداً على قرب الحوار

كانت صدنا شحط المزار

تفزع لى هائل المحر بدرا

وصار هائل وصلاك فى سرار

وشاع شيع قطعك لى بوصلى

هلا كان ذلك فى استقار

أيميل أن ترى عى صوريا

ماصح مولنا دون اصطبار

وكت أريد سمك من عتاقى

واكن نايى فرط الحمار

فراع مودتى واحفظ حوارى

فانت الله أوصى بالحوار

وزدنى مننما من غير أمر

وأنس موحشاً من عقر دار . »

وكتب إليه ابن زيدون :

« هوامى وإن تامت عمك دارى الأبيات
وكان أبو العطف لما ورد إشابة رسولا قد سأله
أب يربه شيئاً من شعره فقله به حتى كتب إليه
شعراً يستبطنه ، فأجابه ابن زيدون فى العروض
والغافية :

« أهدتنى من نفائس الدرر الأبيات
وحى أكثر مما ذكر . وكتب (أعنى ذا الوراقين
ابن زيدون) إلى ولادة :

« أضفى الثنائى بديلا من تداينا الأبيات
وإنما ذكرت هذه القصيدة مع طولها لبراعتها ،
ولأن كثيراً من اللاس لا يذكر جلتها ، ويظن أن
ما فى الفلائل وغيرها منها هو جميعها وليس كذلك

ابن جهور

ول في المظمح :

الوزير الأجل أبو الحزم جهور بن محمد
ابن جهور ، ونو جهور أهل بيت وزارة
اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في فزاره ،
وأبو الحزم هذا أنجدهم في المكرمات ،
وأنجدهم في الملمات - ركب متون الفنون
فراضها ، ووقع في بحور المحن فغضها ،
منسبط غير منكشم ، لا طائش للسان ولا
رعش ، وقد كان وزير في الدولة العاصمية
فشرفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما
انقرضت ، وعاقبت الفتن واعترضت ، تميز من
التدبير مدتها ، وخلى لأخلافه تدبير الرياسة
وشدتها ، وجعل يقل مع أولئك الوزراء
ويدر غير مظهر للانفراد ، ولا متصرف في
ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة
مداها ، وسوَّغت ما شامت رداها ، وذهب
من كان يجحد في الرياسة ويخب ويسعى في
الفتنة ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الاقبال
راسل مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا
منه وتمويهها وتداها على أهل الخلافة وذوئها
وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض
منه لأهل قرطبة برق خلبه إشام ففة بسرعة
التباها ، وتجميل انتكائها ، وأنابوا إلى
دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع
ذلك الامام ، وألوا بقرطبة أحسن المام ،

فدخلوها بعد فتن كثيرة ، واضطرابات مستثيرة
والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير
حتى نبذ واضطرب أمره فغزع ، واختطف
من الملك وانتزع ، وانقضت الدولة الأموية ،
وارتفعت الدولة العلوية ، واستولى على قرطبة
عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ،
وضبطها ضبطا آمنا حائفا ، ودرع طارق
تلك الفتنة وطائفا ، وخلاله الجوق فطار ،
واقضى اللبانات والأوطار ، فعادت له قرطبة
على أكل حالها ، وانجلي به نور جلالها ، ولم تزل
به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة إلى
أن توفي سنة ٣٥٤ هـ فانتقل الأمر إلى ابنه
أبي الوليد ، واشتمل منه على طارف وتليد ،
وكان لأبي الحزم أدب ووفار وحلم سارت بها
الأمثال وعلم المثل ، وقد أثبت من شهره
ما هو لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ
كي ماسقي ماء السحاب الجائد
خضعت نواوير الرياض لحسنه
فتدالت تنقاد وهي شواهد
واذا تبتدى الورد في أغصانه
يزهو فذا ميت وهذا حاسد
واذا أتى وفد الربيع مبشرا
اطلوع صفحته فنعم الوافد

ليس البشر كالبشر باسمه
خبر عليه من النبوة شاهد
وإذا تعرى الورد من أوراقه
بقيت عوارفه فهنّ خوالد . »



وقال صاحب كتاب المعجب :

ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا
بالأندلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح
للامارة ، ولا من تليق به الرياسة استولى
على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد بن
جهور ، ويكنى أبا الحزم ، وقد تقدّم ذكر
نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الحزم هذا
قديم الرياسة شريف البيت كان آباؤه وزراء
الدولة الحسكية والعامة ، وهو موصوف
بالدهاء ، وبعد العور ، وحصافة العقل ،
وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهائه في النقي
السائلة قبل ذلك وكان يتصاوم عنها ، ويظهر
الزاهة والتدين والعفاف ، فلما خلا له الجوّ
وأصفر الفناء ، وأقفر النادى من الرؤساء
وأمكنه الفرصة وثب عليها فتولى أمرها ،
واضطلع بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الامارة
ظاهرا جريا على ما قمتنا من إظهار سنن
العفاف بل دبرها تدبيرا لم يسبق إليه ، وذلك
أنه جعل نفسه مسكنا للموضع إلى أن يحجى
من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك
ورتب البوايين والحشم على تلك القصور
على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحوّل عن
داره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

السلطانية بأيدي رجال ربّهم لذلك وهو
المشرف عليهم ، وصير أهل الأسواق جندا له
وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم
محصة عليهم يأخذون ربحها ورؤوس الأموال
باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في كل
وقت كيف حفظهم لها ، وورق السلاح
عليهم ، وأمرهم بتفرقته في الدكاكين والبيوت
حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان
سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو
دكانه ، وكان أبو الحزم هذا يشهد الجنائز ،
ويعود المرضى جاريا على طريقة الصالحين ،
وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك
المتعلين ، وكان آمنا وادعا وقرطبة في أيامه
حرما يأمن فيه كل خائف ، واستمرّ أمره على
ذلك إلى أن مات في عرّة صفر سنة ٤٣٥ هـ
فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن
مات أربع عشرة سنة وأشهرها ، ثم ولى
ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه
أبو الوليد محمد بن جهور ، جري في السياسة
وحسن التدبير على سنن أبيه غير مخجل بشيء
من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في
سليخ شوال من سنة ٤٤٣ هـ فعلم عليها بعد
أمور جرت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذى
النون صاحب طليطة فدبرها مدة يسيرة
إلى أن مات ، وخلف فيها بعده من البربر
رجل يعرف بابن عكاشة أظن اسمه موسى ،
فكان بها إلى أن غلب عليها وأخرجه منها
الأمير الظافر بحول الله أبو القاسم محمد بن

عباد على ما ياتى بياته إن شاء الله تعالى .
فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دارا للملك
وبعد غلبة المعتمد عليها صارت تبعا لاشبيلية .

جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله
ابن محمد بن العمر بن يحيى بن عبد الغافر بن
أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم .
روى عن أبى بكر عباس بن الهمداني ،
وأبى محمد الأصيلي ، والقاضي أبى عبد الله بن
مفرج ، وأبى القاسم خلف بن القاسم ،
وأبى يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع
منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه
أبو عبد الله محمد بن عتاب الفقيه ، فقال
حدّثنا ثقة من الشيوخ الأكبر ، وهو يعنى
أبا الحزم هذا ، ثم صار تدير أهل قرطبة إلى
أبى الحزم هذا فأنفها بالرياسة فيها ، إلى أن
توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من
سنة ٣٥٥ هـ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه
أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من
بعده ، وكان سنة يوم وفاته لإحدى وسبعين
سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ هـ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن
جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء
الدولة العاصرية ، موصوف بالدهاء والعقل ، ولم
يدخل فى شىء من الفتن قبل هذا بل كان
يتصاون عنها ، فلما خلا الجو وأمكنته الفرصة

(١) من كتاب الصلة لابن بشكوال .

وثب عليها فتولى وفام بحمايتها ، ولم ينتقل
إلى رتبة الأمانة ظاهرا بل رتبها ودبرها تدييرا
لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن
يحيى من يستحقه ، ورتب البوائين والحشم
على أبواب قصور الإمارة ولم يتحول عن
داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال
السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .

وكان جهور يشهد الجارة ، ويعود المرضى ،
ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو
مع ذلك يدبر الأمور تدير الملوك ، وكان
مأمون الجانب فأمن الناس فى أيامه ، وبقي
كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين
وأربع مائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد
محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات .

بنو عباد

أما أحوال إشبيلية فامها كانت فى طاعة
الفاطميين أعنى على بن جود ، والقاسم بن
جود ، ويحيى بن على بن جود أيام كان
الأمر دائرا بينهم على ما تقدّم ذكره . فلما
زحف يحيى بن على بالبربر إلى قرطبة وهرب
القاسم بن جود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد
كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر
أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد
والحسن عنها قبل وصول القاسم أيهما
فأخرجوهما ، وجاء القاسم فنعوه دخول البلد
أيضا ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع
إليه أمرهم ، وتجمع به كلمتهم فتوارد

وأجابوه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر
إشيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،
وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى
أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأما إسماعيل
فخرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه
أمل في التغلب على ما كان البربر يملكونه
من الحصون القريبة من إشيلية بعسكر من
جند إشيلية ، فالتقى هو وصاحب صحابة ،
فأسلمت إسماعيل عساكره ، وكان أول قتيل
وقطع رأسه وسير به إلى مالقة إلى إدريس
ابن عليّ الطاطمي كما تقدّم ، وفق الأمر
كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور
أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن
مات في شهر رسة ٤٣٩ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتنقيح التدبير
على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن
عباد اللخمي لما كانوا يعلمونه من حصافة
عقله ، وسعة صدره ، وعلوّ همته ، وحسن
تدبيره ، فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ،
فنهيب الاستعداد ، وخاف عاقبة الافراد أولا
وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم
رجالا سماعهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء
وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث
حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم
الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،
ومحمد بن يريم الاطاني ، وأبو الأصنع عيسى
حجاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن عليّ
الهورزي ورجال آخرون ذهبت عن أسمائهم
ولا أعرف قبائلهم وبيوتهم ، ففعلوا ذلك

صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي
أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد
إليه بإشيلية ، وأذاع أمره ، وقام
بنصره ، فسار إليه وقام بواجبه ، وكتب
بظهوره إلى ملوك الأندلس فأجاب أكثرهم
وخطبوا له ، وجرت بيعته في الحرم سنة
تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير
جيشا إلى زهير العامري بأنه يخطب للوئيد
فاستنجد زهير حيوس بن مكر الصنهاجي

وأما إشيلية فاستولى عليها فاضها محمد
ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من
ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت
ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم ، وكان
قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه
ثم سار منها إلى المريّة ، فخففه صاحبها زهير
العامري وأخرجها منها ، وقصد قلعة رياح
فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبها أول
إسماعيل ذي النون ، فخارهم وضعفوا

وتلاحق بحريير أصحابه وأشيعاه ، وترك
الظافر ملقى على الأرض ، فرّ عليه بعض
أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فنزع
رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره
يتشبه بهذا البيت :

« ولم أدر من ألقى عليه رداءه

سوى أنه قد سل عن ماجد محض. »

ولم يزل المعتمد يسعى فى أخذها حتى عاد
ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها
حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد
حروب كثيرة يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى
وأخذت إشبيلية من أيمنه المعتمد ، ونقي
مسحوما فى أغمت إبن أن مات بها ، وكان
هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ،
والراضى ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدّه علماء
شعراء -

ملوك الطوائف (١)

بقلم الأستاذ نيكلسون

تفرقت امبراطورية عبد الرحمن الثالث
العظيمة ، وظهر على أنقاضها عدة ممالك
صغيرة « دويلات » أنشأتها الظروف
والمصادفات ، وكان يحكمها بعض القادة
المظفرين .

وقد أحسن نيكلسون فى تشبيه تاريخ
إسبانيا فى القرن الحادى عشر الميلادى

صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه فعادت
عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين
قتال ، وأقام زهير ببأسه ، وجاء حيوس إلى
مائة فمات وولى بعده ابنه باديس ، واجتمع
هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحيوس فلم
يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجع
كثير من أصحابه ، والتقى عسكر ابن عباد
وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ،
وعسكر إدريس السلولى صاحب سبتة بطمحة
واقتتلوا قتالا شديدا فقتل إسماعيل ثم مات
بعده القاسى أبو القاسم بن عباد وولى
بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب المعتمد بالله فصبط
ما ولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر
إشبيلية ونقي كذلك إلى أن مات وولى بعده
ابنه أبو القاسم محمد ولقب بالمعتمد على الله ،
فاتسع فى ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك
كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ،
وولى عايبا ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه
لها إلى يحيى بن دى الون صاحب طليطلة
خسده عليهما فصمن له جرير بن عكاشة ،
وسار إلى قرطبة ، فأقام يسعى فى ذلك وهو
ينتظر الفرصة ، فاتفق أن فى بعض الليالى
جاءه طر عظيم ومعه رج شديدة ورعدو برق فثار
جرير ففرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ،
وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن
الباب ، ثم إنه عثر فى بعض كراته فسقط
فوثب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى
الأجناد وأهل البلد إلا والقصر قد ملك

(١) فصل مختار من كتاب نظرات فى تاريخ

الأدب الأندلسى للشارح .

كل جهة فتحوها فعاش أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأحسفت الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا مارفتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتنق كثير منهم الحضارة الاسلامية وافئفن بها افتناما .

حتى رأينا « القارذ » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع للميلاد يولول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرفهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفتهم لا يقصدون بذلك إلى تفنيدها بل يقصدون إلى التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارذ يقسائل .

أنى يتاح لانسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جنسنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأنجيل وسير الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والا كتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة باغة منهاها كما أنهم ينفقون المال الطائل لا قننائها في مكائهم وتراهم أنى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جديرة بالاعجاب .

فاذا تجاوزت عن ذلك وأخذت تحدثهم عن الكتب المسيحية أزر جانهم وأجابوك

بتاريخ إيطاليا في القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه - كما يقول - كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين اقساموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم في إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الذين قطنوا إشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر تدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو عجز مواردها الاقتصادية ، فتد وصل المجتمع في تلك الأيام الى مستوى لم يصل الى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أماما الشوط البعيد المدى الذى قطعه الآداب والعلوم في طريق النجاح في ذلك العصر الذى يعد أزهى عصور الاحتلال الاسلامى في أوروبا .



فبينما ترى العرب الفاتحين في آسيا - كما بينا ذلك - قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لنهاية له فأذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق - في العرب - حتى انعكست الآية تماما .

وذلك أنهم بعد أن تغلبوا على شبه الجزيرة وقع في أيديهم آلاف المسيحيين من



وقد كان للشعر العربي - في أوروبا -
على الاجال الخصائص التي رأيناها في الشعر
المعاصرة في الشرق .

فان الأوزان المصطلح عليها والقيود التي
لم يستطع أساطين بغداد أن يحرروا أنفسهم
من ربقها ظلت بخدافيرها في قرطبة واشبيلية .
وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالآداب
الفارسية ، فقد تأثر في اسبانيا كذلك بالتحاد
الآريين والساميين واندماهم شيئا فشيئا .
فكان ذلك سببا في ادخال عناصر
جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات
الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي
الراقي الذي يندر وجود مثله في النسيب
والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو
وجدان لا يقصر على تصوير فروسية القرون
الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن تحسبه
لحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جلته .

ولهذه الميزة سهل فهم ذلك الشعر على
الكثيرين من الآريين الذين قد لايسهل
عليهم تفهم روح المعلقات أو قصائد المتنبي .

بازدراء أنها أسفار نافهة لا خطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسى المسيحيون
أنفسهم حتى ليند العثور بين آلاف منا على
على فرد يستطيع أن يبحر الى أحد أصدقائه
رسالة لانيية بأسلوب لا بأس به على حين
ترى جهرتهم قادرة على الابانة عما في نفوسهم
بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم
في قرض الشعر العربي قد وصل الى حد فاقوا
معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا الكاهن من
اغراق فمما يترفع عن الجدل والتشكك أن
الثقافة الاسلامية قد أخذت بألباب
المسيحيين الاسبان ، كما افتن بها اليهود
الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعداتهم
العديدة وكتاباتهم التي أنشوها بلغتهم وبلغت
أبناء عمهم العرب .

أما المولدون والصابثون من الاسبانيين
الذين لانوا بالاسلام فقد استعربوا تماما بعد
أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبغ أشهر من
ازدان بهم الأدب العربي .



دراسات الكتاب لابن زيدون

« أثبتنا في هذه الصفحات أهم الدراسات

التي كتبت - في العصر الحديث - عن

ابن زيدون إعمالاً للفائدة . »

— دراسة الدكتور أحمد ضيف^(١)

اقتربت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء ، وكانت الشهرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، وفروع العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة ، فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك ، وتقلبوا في مراكز الدولة ، وتقلبوا على شئونها ، وهم جميعاً من الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء وأصحاب الشورى ، وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجيدين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المرحوم الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأظهرهم ميزة في ديوان الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه صورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صحف البلاغة هناك ، وثمرة من ثمار غرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة تسموا بابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمعتمد بن عباد ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أشرنا إلى ذلك في كلامنا على القبائل التي نزلت الأندلس من العرب . كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وعالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حداثة ميلاده إلى العلم والتعلم ، فاندفع يطلب لنفسه الكمال العقلي ، وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فانكب على الدرس والبحث ، وأخذ الأدب عن رجاله المروءين ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة لحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما وعي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، فصار عالماً من أعلامها ودعامة من دعائمها ، وكانت قرطبة لا تزال في أوج علاؤها على الرغم من أفول شمس بني أمية بها ، وأهلها في رخاء من العيش ، أكثرهم يميل إلى العلم والأدب ومحاسبة الأدباء ، فامتألت الحافل والجامع بضروب اللهو والطرب ، وكان لابن زيدون خفة روح ودعابة ويميل إلى الجون ، فساعده ذلك على أن يسبق غيره ، وأن يتال شهرة

(١) من كتاب بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف .

واسعة بين أثرابه . وكان للنساء أثر عظيم في هذه الجبال ، فاتجه الناس إلى الاندماج فيها واستعدبوا هذا المورد ، وانصرفت همم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان ، فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأما ضاعت كل صبغة جديدة في الجامع الأدبية لجرفؤ الوزراء على المجاهرة باليجون ، وكان ابن زيدون أحد أطلال هؤلاء لجذب إليه الأنظار .

وكان لولادته بنت المستكفي الحليفة الأموى شهرة عظيمة في قرطبة لجملها وعلمها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في شركها ووقع في شركه ، واشتغل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليا وحسدها الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو طاهر بن عبدوس وهو كبير الحول وال طول ، فتقرب إلى ولادة حتى أمالها إليه ، وكانت ولادة ملك صداقة ابن زيدون واتهمته كما اتهمها بذلك أيضا ، فهبت عاصفة من الجفاء بينهما شتت من شملهما وحالت بين قلوبهما ، لذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رجعت إلى ابن زيدون فكشف عن لسانها لابن عبدوس رسائله الشهيرة الهرلية ، ثم استأثر بها ثاية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وعقول الأدباء . وأصحاب الأقلام والمفكرين ، وهذه الحادثة من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودسائس ، وترى ودرج في ذلك وتقلد لورارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، وكان من أشيع ابن جهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٢٣ وعلت منزلة ابن زيدون هناك ، فاتخذ ابن جهور وزيرا له فلك أزمة الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سيده الذي استعان به كثيرا في المسائل السياسية ، وتأمين الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين لذلك وهائه ، فكانوا يحسدون ابن جهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أفرغت عليه صدور كثير من منافسيه والحاسديه على فضله ومنازلته ، لحملوا عليه عند ابن جهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلا ، فاستقر واستعطف بما يلين من أجله الحديد ، فلم يفلح في إرضاء الأمير فزم على إعمال الحيلة والهرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استدفع بأبي الوليد بن جهور عند أبي الحرم حتى شفع له ، وجعله أبو الوليد بعد موت أبيه من المقدمين في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقائه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤١ ودخل في حاشية المعتضد بن عباد وصار وزيرا لابنه المعتمد وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرها في شعره ونثره ومنها يرى أن حركات عقله كانت تغفو ذلك خطوة بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، لذلك يمكن أن تقسم آثاره الأدبية إلى أقسام ثلاثة : عشقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدحه لابن جهور وابن عباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس إلى اللهو أثر عظيم في شعره ، فقد كان لليجون مسحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كال منيعثا من ثوران في نفسه وغليان في ميوله وأهوائه ، أدرك ذلك كله حبه لولادة ، فإن عشقه هذا فتح له بابا واسعا

من الخيال قال فيه ما شاء وشاءت عواطفه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باضاً من بواث استنهاض ملكة الشعر فيه وإلهامها من إلهاماته الفنية .

وشى به أعداؤه وحاسدوه إلى ابن جهور ، وكاد له منافسوه في حب ولادة حتى نالوا منه ، وشفوا غلثهم بحمل ابن جهور على سجنه بعد أن أحله منزلة الوزير يدبر ملكه ، وبعد أن انتبه وعرف له رأي السديد وبراعته في إدارة الأمور وسلمه زمام الدولة ، ولم يكن لابن جهور أن يحظى في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فإذا ناله ابن زيدون مكانة في نفس ابن جهور ، فقد كان ذلك عن جدارة واستحقاق ، ولكن أعداؤه تمكنوا من ابن جهور فمصب عليه وأمر بسجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون عاصفة فنية جديدة رقت من خياله الشعرى أنارتها آلامه فأخذ يئن أليماً جيلاً ، ويفن في آلامه ووصفها والتعير عنها مرّة شعراً ومرّة نثراً . . . والفن يمزج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من النفوس الدقيقة الإدراك ، التي إذا أنت تشأين الموسيقى ، وإذا شكت تشكو شكاة القلوب المملوءة شعوراً الواسعة التصوّر والإدراك الدقيق ، الذي يجعل الشكوى جملة والكلام فيها جيلاً . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أبي حفص بن برد يشكو ويئن من بلواه وهو ينهض الأمل مرة ويقعده اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمرّ بخاطره إلا هدأ بها نفسه ، وتسلى بها عن آلامه . يستسلم أحياناً إلى القضاء فيشعر في نفسه براحة واطمئنان ، ويقبّل أماءه صفات الأيام فلا يعجب من الحوادث التي ألمت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو بنفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسلّيته ، لأن السعادة خلسة ، ثم يود فيذكر أعداءه ونيلهم منه ويبين أن ذلك ليس بالعجب لأنه :

إن قسا الدهر فللساء من الصخر انبحاس

ويرى أنه حسد لمكانته ، ويمزج ذلك بالعبور والحكم والسخرية والتهكم من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أليماً وألمه وحقدّه على الناس ، ولا سيما حاسديه ، ويضرب المثل لكي يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كمدائه في الشكوى : يربط مرّة إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرفع أخرى إلى ذروة الرجاء ، وكأنه في شجار مستمرّ بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه المعاني في أبيات قليلة بأسلوب جميل رقيق ، يكاد يلجح الإنسان فيها خاطره المضطرب المتماوج . حيث يقول :

« ما على ظنّي بأس بجرح الدهر ويأسو » الخ

هذه نفحات القلوب ، وهذا هو الشعر الذي يستولى على النفس ويلهمها الحكمة والعبرة ، وهذا هو جمال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرقص بوزنه وفانيته ، بل لأنه ساحر بمعانيه وجماله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه المواقف ، ولقد كانت هذه المعاني سائمة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، مثير عن شعوره يرسم صورته من نفسه الحزينة المتألّمة ، لهذا كان الشعر جيلاً .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا بالفخر بنفسه ، وأمين في ذلك ، وكأنما كان يبكي حظه ويندبه بهذا الأسلوب الفخري ، وكأنما كل معنى من هذه المعاني كانت تهدي خاطره وترجّح نفسه ، فلما مدح ابن جهور مدحه في قالب استعطف ، وتوسط بين المدح والمبالغة الجدى ، وقد ظهر بنفسه كبيرة وأنف حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور ، فكان مادحاً أشدّ منه عاتياً ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا يندى بالفخر بنفسه ، ولا يريد أن يعلى عليها ولو هما أنه في موقف مثله ، وكأنه كان يتسلى بهذا ، لأنه يرى أن أعداءه لم ينالوا منه إلا لأنه فاتهم بملءه وفضله حتى إنه قال متكبها :

« ولو أنني أسطيع كي أرضى العدا شربت ببيض الحلم حظاً من الجمل . »
وكل قصائده التي أرسلها يستعطف بها ابن جهور هي أثر ذلك الشقاء الذي لقيه في سجنه ، وصورة من صور
البؤس الذي حرك شعوره وفتق من لسانه ، وأثار في نفسه عواطفه الشعرية المدللة الملوثة همّاً وغمّاً .
ولكن أسلوبه في الشكوى والاستعطاف واحد في نظمه ونثره ، وما أشبه قصائده في ذلك وما فيها من
من المعاني برسائله الجديدة ، وكأنما كان فكره سجيناً مثله من شدة تألمه في السجن ، فانه لم يخرج عن
عاداته في ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أفضل لإنسان وأكرم من دبّ على وجه الأرض .
غير أن كلامه مع ذلك عذب المذاق ، رقيق الحاشية ، جذاب خلاب ، تظهر عليه سيما الابتكار
والصدق والتعبير ، فانه ليس من الحيلالات الشعرية الصرفة ، بل به كثير من الحقائق التي كان يملئها عليه
شعوره كما قال :

« ما جال بمدك لخطي في سنا القدر إلا ذكرتك ذكر الدين بالآثر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مخفف بقرطبة بعد فراره من السجن ، فقال :

« . . . وبلغني أنك أحد اللاتين لي الخ »

إلى أن قال :

« شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط وشط بمن نهوى الزار وما شطوا . »

إلى آخر ما قال في هذه القصيدة التي هي من أبداع قصائد الشكوى وأجمعها لذكر الماضي والحاضر والاستغفار
والاستعطاف ، والسرور بذكر ما اتقى والكاء على الحاضر ، وهي أيضاً أظهر في لهجتها الجديدة من
كثير من شعره ، ولذلك كانت أحف في أسلوبها ومعانيها ، ليس بها تلك الرقة المهردة في كلامه ، كل ذلك
هاحه السجن وما تذوقه من الآلام ، فرسمه في شعره ، لأنه رجل في يعرف كيف يصور ما يشعر به ويعبر عما
يحول بمخاطره . ولقد يلاحظ الانسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير طويل أو
علم واسع ، وإنما هو خيالي أكثر منه مفكراً ، وشاعر أكثر منه عالماً ، وهذه كل حال شعره ونثره .
أما مدحه وورثاؤه هما في المرتبة الأخيرة من شعره ، لأنه على جبال أسلوبه في ذلك ، وحسن تصرفه في المعاني
لا يكاد يمتاز بالأساذية على معنى حديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاء من المعاني من قبيل معارضة
غيره من الشعراء والأخذ بمعانهم من وجهاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والافتنان .

ومن أجل قصائده كلامه في المعتضدين عباد وابنه للعتد ، ومن أرق كلامه في الشكوى ، وأقرب
عبارانه وصولاً إلى القلوب بكاءه على الماضي ، والتلذذ بذكره وما كان فيه من النعيم كقوله :

« الهوى في طلوع تلك النجوم والمي في هبوب ذاك المسيم . »

ولقد كان ينظر إلى أيامه الماضية فيحن إليها حينئذ مؤلماً ، فإذا قرأت شعره في ذلك رأيت نفسك كأنك
واقف على أطلال سعادته البالية ، فبكى وبكيت معه ، كما قال :

« ألا هل إلى الزهراء أوبة نارج تقضت مبانها مداومه نرحا . »

الغزل في شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، وميول النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من
الأدبيات في مجالس الهمو والطرب ، أن المرأة شغلت جزءاً عظيماً من أوقات الرجال المفكرين ، وملاّت

ورؤوسهم ، كما أن مجالس الشرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم ، فكانت المرأة تحرك العواطف والشعور ،
والخمر تدر العقول ، وتغلي عليها القبول ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال ، والعقول ثمة بشوة الغرام
والرؤوس مثقلة بحرارة الدماء ، والناس لا يفوتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا عنه لعلته بنفوسهم ،
حتى في أشد المحن ، فقد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حفص بن برد يقول :

« وأدر ذكرى كاساً ما امتطت كملك كاس
واغنم صغفو الليالي إنما العيش اختلاس . »

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت خلية ماجة بارعة رفيعة بين الأدباء « تناضل
الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والطرف ، حضور شاهد ،
وغزارة أوابد ، وحسن منظر ومجرب ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتهى لأحرار
المصر ، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر ، يعيشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشعراء
والكتاب على حلاوة عشرتها ، وسهولة حجابها ، وكثرة منابها ، تخلط ذلك بلون نصاب ، وكرم أنساب ،
وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت لاقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها . . . » وقالوا « لأنها
كانت بالمغرب كملية بالشرق ، إلا أن هذه تزيد الحسن ، وأما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن
تقصر عنها ، وكان لها صنعة في العناء ، وكان لها مجلس يغشاها أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمرّ به النادر
وإنشاد كثير مما اقتضاه عصرها وكانت من الأدب والطرف ، وتمتيع السمع والطرف ، بحيث
تختلس القلوب والألباب ، وتعيد الشباب إلى أخلاق الشباب » فقال ابن زيدون رضاها ، ووقع من نفسها كما
وقعت هي من نفسه ، حتى كتبت إليه تضرب له موعداً فقالت :

« ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكرم للسر
وي منك ما لو كان بالشمس لم تلج وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر . »

قال أبو الوليد : « فلما طوى النهار نوره ، ونشر الليل دنائره ، أقيت بقدر كالفصيح ، وردف كالكتيب ،
وقد أطلعت نرجس الغل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى روض مديح ، وظل سجع ، قد قامت رايات
أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودرّ الظل منشور ، وجيب الراح مزروع . فلما شبتنا نارها ،
وأدركت منا نارها ، صرح كل ما بحبه وشكا ما بقلبه . . . وأنشدتها :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سرّ ما استودعك . »

وكتبت إليه بعد ذلك تقول :

« ألاهل لنا من بعد هذا التفريق سبيل فيشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمرّ الليالي لا أرى البين ينقضي ولا الصبر من رق التشوق معني

سقى الله أرمأ قد غدت لك منزلاً بكل سكوب هائل الوبل مفدق . »

ولا نريد الآن أن نتكلم في العشق وأثره في النفس وما يوحيه من روائع القول وجمال الفكر حتى عند عامة
الناس ، فإن تاريخ الإنسانية حافل بموادته . ولكننا نقول : إن العشق في كلام العرب أو شعر الغزل كما
يسمونه ، ليس من المسائل الهزلية . لأن الشعر الذي هو وحى النفوس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر
ما يكون ظهوراً في التعبير عن الحب ، ووصف هذا الضعف الإنساني الذي ندبه عشقاً ، فإن العشق إدراك

أكبر مظاهر الجمال في الحياة ، ومن لم يفتح له قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يتسرب إلى نفسه بصيص ضوء من جمال مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والعشق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الحياي الجميل . لذلك كان أجل الشعر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويفتح القلوب . ويظهر مكونات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآماله . إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدينون لها بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس ، والشاعر الذي يشمر بالحلم لا يتكلم عن نفسه بحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم في تأمل ويثمن معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنيب . إن الشاعر بصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ورنات مايجول من المعاني ويدفعها إلى النفوس فتصبو إليها ، ويذيعها بين العشاق فيرى كل قلبه وكأنه ينظر في امرأة يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

فإذا أخطأ العرب في إمعانهم في هذا النوع والإكثار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وظنهم أن كل قلب يجب بشكل واحد ، وإن صلة الحب بمظاهر الجمال قوية متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولسكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يجهلون جولات واسعة في الخيال ، فكان فياً مبدعاً . أرايت شعراء العرب كيف يطشون في وصف الأمكنة التي احتموا فيها مع صديقاتهم ، وهم يتخذون ذلك وسيلة لأمرين : الأول إحياء ذكرى تلك الأيام والأمكنة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يشهد بهم ويعطف على عشقهم ، وتلك الأمكنة جميلة لأنها احتوت عليهم ، والأضواء التي تسطع عليهم والأشجار التي كانت تظله ، والكواكب التي كانت تجسس أخبارهم ، جديرة بأن لا ننسى ، لأنها أثر من آثار العشق . الثاني أن الشاعر الفني يفر من التكرار ، ويعرف أن معاني العشق والحب سرعان ما تنفد ، فهو يتعاضل على شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجول في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يدركها الملل . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الماهر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يبرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء الفتيين أو قريباً منهم . فقد التحا إلى مدينة الزاهراء الجميلة في أيام الربيع ، يريد أن يسلي نفسه ويخفف عنها من أثر حبه ولادة ، وذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إذ ذاك وأبدع أيما إبداع ، وافقت اختنا عظيمًا في ذلك ، فقال :

« إنى ذكرتك بالزهراء مشتملاً والأفق طلق ووجه الأرض قدرا »

وإذا كان لابن زيدون ميزة في شعره الغزلي فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما في طريقة تصويرها ببارات تلك النفوس وتستولى على القلوب وكأن الإنسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بما يشبهها لجودة الافتنان في التعبير والأسلوب . كما في قوله :

« إليك من الأنام غدا ارتياحى وأنت من الزمان مدى اقتراحى »

ولقد يسمع الإنسان أنينه في شعره ، ويرى أنه الحزين من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك القلق النفسي اللذين يملآن نفوس العشاق ويمتغان فيهم راحة الحياة ولذاتها . على أنه يلنذ لذكر محبوبته ويذوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أنيك ما بي ياراحتى وعذابى »

ولقد بلغ درجة من التعبير يحل بها القارئ على الاعتقاد بأنه محمص كل الإخلاص في حبه ، وأن حبه هذا هو كل أميته ، وأنه يرى في سبيل العشق ما لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبه حتى حياته ، وهو يغور بهذا كما قال :

« أنى تصيع عهدك أم كيف تخلف وعذك . »

على أن لا نبرئ ابن زيدون من التصنع أحياناً فيما يقول لأنه كان كيره من الشعراء يعبر عن غير شعور ، فإن تمكبه من الصنعة كان يفتق لسانه قول الشعر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يعارض قطعاً كان يفتق بها ، واستحسن ألقابها ، وأنشأ أحياناً كأنها صادرة من عاشق مقيم ، وضمنها مدح السلطان ، فقال :

« يقصر قريك ليلى الطويلا ويشق وصالك قلبي العليلا . »

وفي بعض كلامه ، ما يدل على أنه كان يتصيد الألفاظ والماني التي قيلت في العشق ، فينظمها ويلبسها ثوباً جديداً وكثيراً ، وقد برع براعة عظيمة في ذلك كما قال :

« يا غزالا أسارنى موثقاً في يد المحس . »

وهو في كل كلامه مبدع مجيد متفوق على غيره ، خفيف الروح ، عذب الألفاظ ، سهل الأسلوب .

أما نوبته التي أرسل بها إلى ولاده وبها كثيراً من شذوذه وآرائه المختلفة . فهي على شهرتها وجلالها ككل شعره ولذلك لم نذكرها .

نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برساليته الجدية والجزالية . أما الأولى فهي التي كتبها في سجنه يستعطف بها ابن جهور وأما الرسالة الهراية فكتبها على لسان ولادة يتكلم على ابن عبدوس ويذل منه لمشاركته في غرامه .

اشتهر ابن زيدون بآيتين الرساليتين لمودة أسلوبهما التاندر المثال ، واحتوائهما على كثير من الأسماء التاريخية والأمثال العرمة ، واقتباس آيات من الشعر معروفة وقت في صوغ الكلام وكأشها عمت من أجله ، أو قيس على سمته ، وليس من السهل اقتباس المثل في أمكته ، ولامس الهيب أن يخوض الإنسان غمار الأدب الواسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الصلال في نواحيه ، ويميز بين الجيد وغيره ، ويختار ما ياسب المقام ، ويكون ذلك مقبولا لدى الناس ، ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويضم بعض أجزائه إلى بعضها ، ويصنع كما يحض الزبد ، فلا يفتأ منه حزه مع آخر .

إن الكلام على هذا الحلول أصعب من الابتكار في التأليف المبتدأ ، وكلما قرب إلى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليفه ، شعر بسمه اطلاع الكاتب ، وأعجب به وكبرت في نفسه منزلته ، وكلما فاجأه اسم لم يكن يحظر له به ، أو رأى غاب عن ذهنه ، أو تميم إلى قصة لا يفل أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو هارة تحرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل اعطبه ، أو ذكر رجل شهير يحده ، أو نكتة تسر بها نفسه ، أو مسألة فنية يرتاح لها ويلتذ بدكرها ، زاد إعجابه بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن هذه صفة يختار بها الكاتب عن سواه . كل ذلك في نثر ابن زيدون وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسالته ، فقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالناسق في الماني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا الناسق في التأليف والجمع ، وكيف يتصيد كلام غيره ويرصفه رصفاً جيلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منهجاً جمع فيه كل معلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسالته أنيقة

جيلة ، وكان كالمهندس الماهر الذى يعرف كيف يجمع بين الحجر والحجر ، والمصور الفنان الذى يؤلف بين اللون واللون . ولقد حاول ابن زيدون فى رسالتيه الودول إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يمجس بها المعنى فى نفس القارئ لتنهال عليه المانى ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا فلها ، فكل ما ذكره من الأمثلة القليلة والمانى المختارة قصد به توضيح ما يريد .

فى رسالته الجديدة أراد أن يستعطف ابن جهور ، ويرى نفسه مما اتهم به وينكل بأعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطف وهو يستنزل نفسه تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر لإحلاصه له ويتعلق إليه أخرى ، ويتذرع عنه فيها وقع منه فى حقه ، ثم بين له شدة ألمه من شجاة أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له . الخ . »

ثم أخذ يتلم بالآمال ، ويضرب فى ذلك الأمثال ، ليسلى نفسه ويهدئ منها عبارات شمرية يريد أن يؤثر بها فى نفس المرجو ويحمده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي . »

ثم وقف موقف المذلة وكأنما يسمع الإنسان بكاءه فى كلامه ، واستصغر ذنبه فى ساحة عفو سيده ، وفى جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذى لم يسه عفوكم . الخ »

والمعجب فى ذلك من حصور ذهنه وحدته مما يدل على تيقظه الشديد ، ثم أخذ بعد ذلك يرى نفسه ، ويعجب من سيده الذى يصنى إلى أعدائه ، على ما كان له من المنزلة التى لم تدفع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تمكنه من تصرف الكلام واحتراسه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح . الخ »

ثم ذكره بالخلاصه له ، ومدحه بإياه ، وأخذ يرجع إلى استعطفه وبلغه ، فقال :

« وقد زاننى رسم خدمتك . الخ »

ثم حاته مرة نفسه فانتقل نقلة أخرى ، وبين له أن مثله لا يصير على الهوان وأنه يستطيع فراقه وهجر بلده إلى مكان آخر ، ويخاطر فى هجرته هذه بما عسى أن يلاقى من الآلام مستأنساً بأدبه وفضله ، فقال :

« ولعمرك ما جهلت أن صريح الرأى أن أحوّل إذا بلغت الشس الخ . »

وكأنه شعر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن ينسى استعطفه لما يظن فى هذا الكلام من محب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلطف من حديثه ، ويسكن من هياجه ، ويظهر تمسكه بجوار سيده لأنه أفضل شيء لديه فى الحياة ، فقال :

« غير أن الوطن محبوب ، والنشأ مألوف . الخ »

ثم أخذ يقوى أمله فى إجابة طلبه ، ويضرب الأمثال فى ذلك ، ويمدح البناء فى جوار سيده بقوله :

« أعينك ونفسي من أن أشيم خلبا وأستمطر جهاما . الخ »

هذا أكثر مانى هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم مانيتها تأليفها الذى يرى من خالته تلك النفس الحائرة المضطربة التى تهيج مرة وتحمده أحياناً ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب فى نزاع مستمر بين نفسه وأهوائه ، أو كأنه هو ونفسه قرنان : يشتد كل منهما هند ما يخاف قوة صاحبه .

هذه صورة نفس ابن زيدون يراها القارئ إذا وقف عن كتب ونظر إلى حركات نفسه وهو يكتب أو

يسكر في هذه الرسالة . يرى منه الأبية وهو يفخر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى نفسه للتهكمة ، وهو يحسب وبعد الذنوب الكبيرة التي تستحق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول هذا ظلم ، ولكن يريد أن يقول هذا حق وخرق في الرأي ، ويرى نفسه الكثيرة التي أخذتها الاكدار فذلت وأخذت تستعطف وتستدفع وتمتلق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جالها وإدبها . لا مابها من الأسلوب المبالغ أو العبارات المخنارة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن عبدوس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى ناع أوسع في المحاء ، لأنه أقنع في ذم ابن عبدوس لإفذاها ، وتهكم به تهكماً لا مثيل له حتى إنه ليحيل إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الدم والتهكم وأفرغه على ابن عبدوس واستعمل أسلوباً جليلاً خلافاً يدل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول انقراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الانقباس فيها الذي يستغرق أربعة أحاسيس أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والأبيات المشهورة ، والاطناب في ذكر الأسماء التي يكي منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى الملل ، ولا ما ينسر بالاستهجان والابتذال . على أن بها شيئاً كثيراً من تلك العيوب ، فقد ذكر أكثر من خمسين اسماً لمشهورى الرجال ، مردها سرداً ، وكان يكي عشرةا ، وأكثر أيضاً من صفات الذم مما كاد يكون ثثرة ولغواً ، ولكنه سترك ذلك ببراعته في الصناعة ، وليس أدل على جفاء الطبع وغلظه من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بمساهمة نادرة ، ولكنها سفاهة أدبية فنية فقال :

« أما بعد أيها المصاب بقله . الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسماء ، ثم أقنع في الذم والخس في صفاته فقال :

« وهما لم تلاحظك حين كاتبة عن عيوبك ملؤها حببها حسن فيها من تود . الخ »

واستمر على هذا النحو إلى آخر الرسالة يضرب الأمثال للاستهزاء والتهكم ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن نفس حقودة محبة الانتقام وأنه شديد الحفيظة ، ودل على غلظة في طبعه ، وخشونة في أخلاقه مع ذلك وهي رسالة تمتاز بأسلوبها ، وتناسق عباراتها ، ولعل ابن زيدون أخذ هذا الأسلوب عن الجاحظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترييع والتدوير .

٢ - دراسة الأستاذ السكندري^(١)

علمه وأدبه وبديته :

نشأ ابن زيدون في عصر اختلف فيه نظام ملك بني أمية لجأة بثورة البربر للشووية ، وقامت هذه الثورة وأثار المضادة في كل شيء من علم وأدب وفنون مناربة بجرانها في قرطبة ، فكانت غنية بالعلماء والفقهاء والعموميين والشمراء والمهندسين في كل صناعة ممن نبتوا في عصر النصور المني ، فصادف ابن زيدون من قبل من علمهم وكرم من أدبهم ، وكان أبوه وعشيرته من أهل الفقه والأدب فلم يكن إقباله على ما أخذ به أهله أنفسهم بدءاً من نفسه ، وإنما جرى في مضارهم فزهم علماً وأدباً ، وبعد صيت وعلو همة .

(١) مقتبسة من بحث طويل تمتع للأستاذ السكندري نشرته مجلة الجمع العربي .

كتابة ابن زيدون

(أ) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحلبته من أمثال صاحب بن عباد والبدیع والحوارزمي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والعماد والاصمغاني ، وكان الكتاب الأندلسي الذي ينتج على منوالها ، وإن حلّ المأثور من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يلب ذلك على قوله فتفقد فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الرائعة والتعليقات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزام السجع غالباً . وابن زيدون رعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما رعاه في كتابته منها فهو :

- ١ - حل المنظوم من مشهور الأبيات .
 - ٢ - الاحتجاج والاستشهاد بكثير من هذه الأبيات مستعملها استعمال الأمثال ولا ينسبها إلى قائلها .
 - ٣ - الاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث بلفظهما أو تغيير بعض نظهما .
 - ٤ - تضمين الحكم والأمثال بلفظ أصحابها أو تغيير في نظهما .
- وأما ماخلف فيه فهو :
- ١ - عدم التزام السجع .
 - ٢ - الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يمد قوله الحاصل بجانبه ضائماً وبخاصة العريب من هذه الأمثال .
 - ٣ - الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
 - ٤ - الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
 - ٥ - الاستكثار من الجمل المترادفة على مثال واحد في المعنى الواحد حتى يتكوّن منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى لثرت الرسالة إلى خمسها أو سدسها . وهذه الطريقة غلبت على كتابته وهي على رسالتيه الجدية والمهرلية أغلغ ولاسيما الهزلية .

(ب) منزلته فيهما :

اشتهر ابن زيدون عند المعاربة والمشاركة بأنه من بلغاء الكتاب والشعراء ، فأما الشعر فلا جدال في استعلاؤه ، فلاستحقاق ذلك الصيت الذائع فيها تأويل وتعليل يخرجان عن حدّ بلاغة الكتابة في ذاتها إلى أمور خارجة عن جوهر الاجادة ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأمرين :

أولاً : أنها ليست على منوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور ، ومصدر العمل المخالف لعمل الناس من رجل متوسط في الحال لاقت بداته للأنظار ، باهر للنفوس ، فكيف به لو صدر عن ذي شأن نبيه بمنصب رفيع ونسب عريق ، وصيت ذائع في السياسة والأدب والشعر وحسن المحاضرة والمناذمة .

وثانياً : أنها باهرة لاجتماعها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستشهاد والوقائع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدور ، وبهذه

يطول الباع ، وسمة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بمأثور الأقوال ، مرمقة بكثير من حوادث التاريخ وأسماء الأبطال ، بحيث إذا حفظ ناشر متأدب الرسالة منها أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبحيث طويل ، فكان شهرته آتية من طريق انتشيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بمن من متون العلم كثير المسائل والاحكام وجيز العبارة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبعض القصائد المحتوية على كثير من أسماء الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كمقصورة ابن دريد ورائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الأفطس ، ونونية الرندي ، ولامية ابن الوردى ، ونونية البستي ونحوها ، وكها عظيمة الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوقيف على أكثر ما لا يسع الأديب جهله في لفظ يسير وزمن قصير ، لافي بلاغتها ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى تستجيب النفس لداعياها ، وتميل الى قائلها ، ولذلك تحد رسالة ابن زيدون الجدية التي استمطف بها جهوداً لم تؤد ما وضعت له . ولا نغنى بكلامنا هذا أن الرجل كان قليل الحاطر ، أو ضعيف الارتجال ، فكل من تعرض لذكر أخباره يصفه بقوة العارضة ، وسرعة البديهة والارتجال ، وأنه كان في مجلس ولادة يرتجل القطعات الشعرية البليغة ، ومحاضر بالكت النادرة والأجوبة المسكتة ، ودفن بعض حرمه فوقف للناس بجزونه على اختلاف طبقاتهم فما أحاب أحداً بما أحاب به غيره ، وتلك غاية لاندرك .

وإنما خلق الرجل شاعراً مطبوعاً ، واضطرته الوزارة إلى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر أشبه منها بالثر ، وأكثر الغاربة لا يتحدثون إلا في شعره على عكس المشاركة .

رسالته الجدية

هذه الرسالة أشهر رسائله وأبلغها ، وأكثرها عائدة على المتعلمين الذين يحفظونها لتويع فصولها وتعدد الأغراض التي رمت إليها ، والمغاني التي لوحت بها على ما أبانت من أمل كاتبها ، وما حوته من روعة التأثير في النفس . وهذه الرسالة بعث بها من السجن إلى جهود يستمطف بها ولكنه مزج الاستمطاف بكثير من الزهو والامتنان ، واستفطاع العقاب على ذنب متوه على طريقته السكتانية التي وصفناها آنفاً . وإذا حللنا هذه الرسالة إلى عناصر الأغراض التي تألفت منها وجدنا أنها لاتعدو عشرة أغراض تؤدي في عشرة أسطر إلا أن كثرة الجمل المترادة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولاً .

وذلك أنه ناداه بألفاظ السيادة أولاً ، ثم اعتذر له عن نكيبته إياه بعد ما أحس الجداد به الإنسان بصدق خدمته له وثناؤه عليه ، بأن عمل الخير قد يعود على صاحبه بالشر ، وأول هذه المقابلة بأنها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يسترث العفو ، ويستقطع هذا العقاب الذي كان بعضه كافيًا لإدع الأبالسة وكبار الفتاك والحارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع إن المسألة لا تخرج عن وشاية حساد سمع جهود لهم فنكى وليه الذي نوه بذكره ، ثم أخذ الزهو فذكر أنه كان في مكنته أن يستبدل بخدمته خدمة من يرحب به من الملوك ، غير أنه مز عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عود نفسه من أن يكون معه كالمتجبر من الرضاء بالنار ، وناشده العتي حتى توقع الفكاك ، ثم استملح نثر هذه الرسالة ورأى أن يستلحقه بقميدة ، فكانت هذه في رأينا آتق لفظاً ، وأهذب مورداً ، وأطبع اساقاً .

» ثم أورد القصيدة وقال : »

محاسن هذه الرسالة ومعانيها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان المشهور المأثور المعطوف في الصدور المخلد في السطور وذلك لأمرين :

الأول : أنها جراب أدب حاولت نماذج مختلفة من عيون مواد الأدب بما ضمنت من اقتباس القرآن والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والأبيات المشهورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالأديب معرفتها والاستشهاد بها .

الثاني : حسن ملائمتها بين هذه الصنوف وجودة رصفها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما ييسر على غير حاذق التوفيق بين متباينه ، ويجعل نمتها غريباً ونسجها جيداً .

الثالث : حمادة عبارتها وجرالة لغتها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء . ولكننا إذا نظرنا إليها بعين البائد وأعينا البحث في بلاغتها أى مطابقتها في معانيها ومبانيها لمقتضى الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا أنها تقصر دون بلوغه لجملة أمور :

الأول : كثرة ما رددته كتبها فيها من عبارات الامتنان على مولاه بطول ثناء عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما يعده الرئيس عادة تمييزاً وتجبها .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أرفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين ينسارعون إلى الترحيب به ، ويتنافسون في استخدام أمثاله .

الثالث : أن وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كفيلة بانجاح الغرض الذي وضعت له (وهو تحريك عاطفة الرحمة والعفو) بما يصرف نفس قارئها عن أن يتأثر ببلاغتها ويشغلها بتذكر الحوادث والقصاص التي أتت عليها ، وأسماها الناس ، ومضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من تعرف اسم رجل حتى يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يتقحم في أومر منه ، فيتقسم فهمه ، ويتشتت تأثره ، وإنما يأتي التأثير من انصباب غمرة من الانخداعات التكررة ، بتكرار العبارات البليغة المؤثرة ، فتحدث بمجموعها أثراً كلياً في النفس ، فتجيش بالشفقة ، وتهش للعفو ، ويمثل ذلك كان الإنشاء المبرقش بكثير من أنواع البديع غير مؤثر ببلاغته ، لشغله الدهن عن التأثر ، وصرفه إلى تفهم البديعية .

ومن هذه الوجهة نرى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يحتذى للإنشاء البليغ المؤثر في النفس .

الرابع : وقوع بعض هفوات له ذكرها الصفدى كاحتياج نقارها إلى ذكر قفار بمد تتم معناها وتلتئم بها مع ما بعدها (وهذه نضر صفحاً عن ذكرها) وكبعض أخطاء في المعنى والوقائع (وهذه نشير إلى بعضها ، ومن أراد مراجعة الجميع فعليه بشرح الصفدى) .

فمن هذه قوله (وتأوت في بيعة العتبة) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضى ذكر أسماء أناس منكرات يبرأ هو أن يكون مثلهم ، ولم ينقل أحد من أهل الأثر أن أحداً من بايع فيها تأوها أو نكثها .

ومنها قوله « وتخلتف عن الصلاة في بنى قريظة » ولم يعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنكر على من تخلتف عن صلاة العصر في بنى قريظة وصلاتها في الطريق بل أقر الجميع على عملها وعد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعمت أن بيعة أبي بكر كانت فلتة » مع أن قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يقلها عن إرادة سوء فلا ينبغي أن يتمثل به في أعمال الجناة .

ومنها قوله « وكتبت إلى عمرو بن سعد أن جمع بالحسين » مع أن المكنوب إليه الحرث بن يزيد التيمي لا عمر بن سعد .

وقد أتى الصنفى على عيوب آتية من تصحيف أو سوء تأويل منه هو ، أعرضنا عنها خوف التناول .

رسالة الهزلية

كان الوزير أبو عامر بن عبدوس ينافس ابن زيد بن في حب ولادة ، فاتفق أن حدث نبوة بينهما ، فأرسل ابن عبدوس إليها امرأة من صواحباته تستبيلها إليه ، وتذكرها بمضله وأدبه ، فردت ولادة المرأة بالحيلة ، وكتب ابن زيدون إلى ابن عبدوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه وينهمك ويهجو ويتوعده . وفي ظننا أن ابن زيد بن كتبها من نفسه تشفياً من ابن عبدوس لا عن رأى ولادة ورضاها عما أحش فيها وأقنع .

والرسالة كسابقتها في قلة أغراضها وتكرار أساليب فصولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن عبدوس بأوصاف الخبيث والجهل ، منكراً منه إرسال خليلته إلى ولادة ، ثم أخذ يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجال لكان لها من الأكفاء من قومها وأعيان زمانها من يفضلها سناً وشرماً وجمالاً الخ .

٣ - دراسة الأستاذ علام سلامة^(١)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخرومي القرطبي كان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة وبرع في الأدب والفنون ، فم عليه فضله ، وذاع صيته ، وارتفعت مكانته ، واختص به أبو الوليد ابن جهور أحد ملوك الطوائف واتخذ وزيراً واندتمد عليه في السفارات بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب القوم به ، وتغنوا بميله إليهم لبراعته ، وحسن سيرته ، واتفق أن قم عليه ابن جهور وحبه ، فاستعطفه برسالة السابقة ، وأثألها فلم يكن ذلك عنه شيئاً فتجبل لنفسه حتى تملل من حبسه واتصل بالمعتصم بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ هـ فخل منه محل السويداء من أهوؤاد ، واستحلصه استخلاص المعتصم لابن أبي دؤاد يجالس في خلواته ، ويركن إلى إشارته ، ولم يزل عده وعند ابنه المعتصم قائم الجاه وافر الحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ هـ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى وزارة المعتصم ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقد أتى عليه ابن بسام في الدخيرة بقوله : كان أبو الوليد غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني غزوم ، فاق الأئام طراً ، ووسع البيان نظماً ونثراً ، إلى أدبائس البحر تدفقه ، ولالابد تأنقه ، وشمر ليس للسحر بيان ، ولالانجوم الزهر اقتراه ، وحظ من النثر غريب الباني ، شمرى الألفاظ والمعاني .

ومما يحكى عنه في سعة البيان والقدرة على التفنن في أساليب الكلام أن ابنته توفيت فوق للناس عند منصرفهم من الجنائز ليتشكر لهم ، فما أعاد عبارة قالها لأحد ، وهذا عجيب للداية ، ولا سيما من يزون فقد قدامة من كبده :

« ولكن صوب العقول إذا انبرت سحائب منه أعقت بسحاب . »

(١) من مذكرات طلبة دار العلوم .

كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سلفته في البيان يؤثر الرواية والتأني لنسج القول ، وكان مع سمة روايته افنون الأدب عليهما بأخبار المعجم والعرب ، متمسكا من كل ما يهوز الأديب بسبب ، وليس بدءاً أن يكون لسلك أولئك آثار في كتابته ، وليس بدءاً أن لم تكن كتابته عفو الخاطر السامع ، ولا وحى البديهة الباذية ، ولا عصاره عصر الجبين ووليدة التكلف ، فقد جاءت خلاصة الرواية المحصنة تؤيدها قوة الطبع ومصاصة التفتيح السديد ، يؤزره لطف الذوق ، كما جاءت سبكاً رائعة صاغها صنع من مبتكر المعاني الساحرة ، ومستل الأمثال السائرة ، ومقتبس الأبيات النادرة ، وروصها بفرائد من أخبار الناس وتوارد الحوادث . ولئن كان البديع قد فاته في استرسال الطبع ، ولطف الخيال ، ورشاقة المعاني ، لقد فاق هو البديع في متانة الباني ، وانغفل في نواحي المعاني ، والصر بوضوح الاختباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أوضح ميزانه نفجاة الألفاظ في غير كرازة ، وعلو الأسلوب في غير اعتساف ، ورصانة المعاني في غير جفاف ، والتأليف بين جمال الخيال وجلال الحقيقة .

ومن مآسن رسائله رسائله الحدية والهرلية وكلتاها غرّة في جين الآداب العربية ، وقد عني بهرحما كثير من الأدباء . أما شعره فله ديباجة رائعة ، وصياغة بارعة كما هو سبائك النصار ، أو حقائق الأزهار ، لا سب أنساك صاحب بئنة ، وإن مدح خلته شاعر مزبنة ، بمن مقطعاته التي تشهد له بمجودة الطبع ، وإتقان الصنة قوله :

« بيبى وببك ماو شئت لم يصع سر إذا ذاعت الأسرار لم يدع . »

ومن شعره الذى يخلط بالروح رقة ، وبالهواء لطافة قصيدته التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها والهام بحبها يستديم عهدا ، ويؤكد وددا ، وفيها يقول :

« أضحى الثاني بديلا من تدانيدا وزب عن طيب لفياناً تحافينا . » الخ

وقد سقنا أكثر هذه القصيدة لبراعتها ، وقد حزن بعض شطورها ابن الوكيل في موشحة ، وسدسها بعض أدباء المغرب .

٤ - دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

أولية ابن زيدون

كان في جلة القبائل التي ذهبت إلى الأندلس رهط من بني مخزوم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وناهيك بهذه القبيلة ذات الشرف الصميم ، والسان القويم .

فكان بنو زيدون من رجالهم المعدودين ، خصوصاً في الفقه والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر غالب بن زيدون .

(٢) أبو الوليد أحمد بن زيدون .

(٣) أبو بكر بن زيدون .

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . توفي في ضيعة له . ثم نقلوا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالربض (أى الضاحية) .

وهناك رثاه أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما يعمروا بمقامه في قوله :

«أى ركن من الرياسة هيبضا وجوم من المكارم غيبضا
حملوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراه الأريضا
مثل حمل السحاب ماء طيبيا لتداوى به مكاناً مريضاً .»

وأما ثانيهم فهو واسطة العقد ، والذى يدور عليه كلامنا . والثالث هو الذى تقلد بعد أبيه (أبى الوليد) وزارة المعتد بن عباد ، وانتم لأبييه من ذى الوزارتين ابن عمار ، وكان أبو بكر هذا هو الذى تولى السفارة عن ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تنمر الاسـبانيون مع ملكهم الإدرفوش (الفرنس السادس) ملوك الطوائف ، وخصوصاً لبى عباد في خلب يطول شرحه ، ولا يسع المقام تلخيصه .

من هو ابن زيدون ؟

هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخرومى الأندلسي . كان مولده بقرطبة في سنة ٣٩٤ أعق في الوق الذى سرى فيه الانحلال في جسم الخلافة المروانية بالأندلس بعد أن بلغت من المجد نهاية النهايات ، وأدركت من الفجامة ما لا تصدق معه الروايات . في ذلك الوقت تحلت عرى الدولة ، فانقسم المسلمون على أنفسهم ، وتحاذلوا ، واستنصروا أعداءهم على بعضهم بعضاً ، وسلموا البلاد والقلاع والحصون واحداً تلو الآخر إلى أعدائهم وأمديهم بالموونة على إخوانهم ، وهكذا حتى أودت تلك الفواج بذاك الملك الكبير ، ثم أتت على القوم بأكلهم فأصبحوا خيراً بعد عين . نتساءل عنهم بقولنا كيف وأين ؟ في تلك الأيام استظهروا على شهوراتهم يجر ذيلها ، وامتروا بطالاتها من أخلاف أباطيلها . حتى انشقت عصاهم ، ودارت بدائرة السو . على الجهالة رحاهم .

كان ابتداء الاضمحلال والانحلال من أول يوم جلس فيه المستعين على عرش الخلافة في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ

فقد كانت أيامه كلها كما وصفها ابن حبان الأندلسي « شداداً تكرات ، صعباً مشرمات ، كرميات المبدأ والفتاحة ، قبيحات المنتهى والحامئة ، ما فقد فيها حيف ، ولا ورق خوف ، ولا نمر سرور ، ولا نقد شذور مع تير السيرة ، وخرق الهيبة ، واشتمال الفتنة ، واعتلاء العصبية ، وظن الأمن وطول المخاض ، دولة كفاها ذماً أنها تمحضت عن الفارقة الكبرى ، وآلت من القى بعدها إلى ما كان أعرضل وأدعى . مما طوى بساط الدنيا ، وعفا رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئاً أمصاه . »

وكذلك لم يكن في المستكى أدنى كفاية للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة بمنة وبليية . إذ كان منذ عرف منقطعاً إلى البطالة ، مجبولا على الجهالة ، عاطلا عن كل حلية تدل على فضلـه ، عضة الفتنة فأملق ، وهان حتى أهانه أهله ، ولقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس المشهور أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الحوذية ولم يكن ممن لحقه الاعتقال منهم لركا كته . كان يقصد أهل الفلاحة يومئذ بقرطبة أو أن ضومهم لملانهم يسألهم من زكاتها . قال « وقد أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الامارة منذ تلك الفتنة أسـقط منه ،

ولا أنقص . إذ لم يزل معروفاً بالتحلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم الدم والملاينة ، أسير الشهوة ، عامل الحلوة . »

ذلك الوقت هو الذى أشار إليه ابن حزم بقوله :

« فضيحة لم يقع فى الدهر مثلاً ، أربعة رجال فى مسافة ثلاثة أيام فى مثلها ، يسبى كل واحد منهم بأمر المؤمنين ، ويخط له فى زمن واحد : أحدهم خلف المصرى بإشبيلية على أنه هشام بن الحكم المؤيد . والثانى محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء ، والثالث محمد بن على بن حمود بمدينة مالقة ، والرابع إدريس بن يحيى بن على ببيتته ، تلك هى الأيام التى بى العرب والبربر فيها فى خصام مستديم ، وكان كل من الفريقين منقسماً على نفسه ، وكان الجميع فى خلاف مع أهل المغرب الأقصى من الجنوب ، وفى حروب وخطوب مع بقايا الأمم الأسبانية من الشمال والعرب . فى ذلك الوقت العصيب تفرق أهل الأندلس فرقاً . وتلبت فى كل جهة منها متغلب . وهم الدين عرفهم التاريخ باسم — ملوك الطوائف — وقد أرادوا أن يفحموا أنفسهم وممالكهم فتقسوا ألقاب الخلافة ، كما تناهبوا أشلاءها . فكان منهم المعتضد ، والمأمون ، والمؤتمن والمستعين ، والمقتدر ، والمعتصم ، والمعتد ، والموفق ، والتوكل . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافة . حتى قال فى ذلك أبو على الحسن بن رشيق بينين سارا سير الشمس ، وبقيا بقاء الدهر ، وهما :

« مما يزهدينى فى أرض أندلس سباع معتبد فيها ومعتصد

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالمهر يحكى انتماخاً صولة الاسد . »

فكانت طرطوش ، وسرقسطة ، وإفراغة ، ولاردة ، وقلمة أيوب فى يد بنى هود . وكانت بلفسية فى يد عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الثغر أى ماموق طليغلة فى يد بنى ذى النون وكانت قرطبة فى يد أبناء جهور ، وكانت اشبيلية فى يد بنى عباد ، وكانت مالقة والجزيرة الخضراء وغرناطة فى يد بنى رزال من البربر ، وأما الرية فكانت فى يد زهير العاصرى الحادم ، ثم خيران العاصرى الحادم ، ثم ابن صمادح وكانت دانية وأعمالها والجزائر الشرقية (البليار) فى يد مجاهد العاصرى ، وكانت بلبليوس وإبرة وشنقرين فى يد بنى الأطلس ، فلا يحب إذا كثرت الوزراء فى تلك الأيام ، ولا يحب إذا كثرت أبصاراً ذوى الوزارتين ، فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من امتلك مائة كيلو متر مربعاً فى مثلها يعد نفسه سلطاناً كبيراً . ويتخذ من الحاشية ما يضارع به أهبة الخلافة وقد كان عهدهم بها قريباً — فكثرت عندهم الوزراء ، وكثرت بينهم الذين يدبون أنفسهم بذى الوزارتين .

ومن الطبيعى أن الرئاسة إذا انحطت عن جلالتها تنعما المرؤوس فى السقوط ، فلما تدلت الخلافة فى الانحلال صارت الوزارة أيضاً فى درجات الهوان . فإن المستعين الذى ذكرناه قال بعد أن جالس على عرش الخلافة للناس أجمعين . ارتعوا كيف شئتم ، وارتمسوا بما أحببت من الخطط ، فنسبى بالوزارة مفردة ومثناة أراذل الدائرة ، وأغاثت النظار ، فضلاً عن زعافت الكتاب والخدمة (عن ابن بسام) وصارت هذه الرتبة تنحط مع انحطاط الدول ، حتى نزلت فى أواسط القرن الثامن للهجرة إلى الدرجة التى وصنها لنا ابن فضل الله العبرى حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة ركن الدين أباً عبد الله بن القويح رتبة الوزير بالمغرب ، فقال : ليست بطائل ، ولا لصاحبها شئ من الأسر . بل هو كالجلأوش يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمعة » وقد استبدت هؤلاء الرؤساء بتدبير ما تغلبوا عليه من الجهات ، وانقطعت الدعوة للخلافة ، فلم يبق لخليفة

هاشمي أو أموي ذكر على منابر الأندلس خلا أيام يسيرة دعي فيها بإشيلية لهشام المؤيد بن الحكم (أو لشخص شبيه له) حسبما اقتضته الحيلة ، واضطر إليه التدبير . ثم انقطع ذلك ، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنة حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دارا . وحال قواد الاسكندر بعد وفاته . ولم يزل هؤلاء الرؤساء في اقتتال وتحاذل ، يستعينون بعدوهم جميعاً فيبيل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاهم الضعف فاستنصروا بالمرابطين فانتظم الشمل ، وعادت المياه لأربابها . ولكن إلى أجل معين . ثم عاد الانشقاق والانقسام ، فانتحمت كلمة الاسلام ، وانطفأ ذلك النور ، وباد القوم عن آخرهم في سنة ٨٩٧ هجرية . بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون . لأن دخولهم كان في سنة ٩٢ للهجرة على يد طارق يد زياد .



رفعت الستار عن هذا المنظر الحزن ليكون لكم ولأمم المشرق تذكرة وعبرة . خصوصاً في الأوقات الحاضرة ، والآن أقول لكم إنه على الرغم من توالى الفتن . واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رائجة وبصاعته نافعة . فشكل أمير ، وكل وزير ، وكل كاتب ، وكل وجيه كان له من الأدب نصيب وافر . عرفنا من تقسيم الأندلس بين ملوك الطوائف أن بني جهور استبدوا بقرطبة وأن بني عباد استأثروا بإشيلية ، في المملكة الأولى درج دو الزاريتين ابن زيدون وترتي وظهر فضله . وفي الثانية قضى بقية أيامه في العز والكرامة . وكانت بها وفاته في محرم سنة ٤٦٣ على التحقيق الدقيق كما نص عليه معاصره ابن بسام ولا عيرة بالأقوال الأخرى عن وفاته . لأن الذين قالوا بوفاته في سنة ٤٠٥ خلطوا بينه وبين أبيه غالب ابن زيدون .

اشتغل ابن زيدون بالأدب ، ولغس عن نكته ، وتقب عن دقائقه . إلى أن برع وبلغ من صناعاته النثر والنظم المبلغ الطائل . حتى قال فيه ابن بسام :

« كان أبو الوليد غاية منثور ومنظوم وخاتمة شعراء بني مخروم . . . الخ . »

وما هم أن أصبح في الأندلس « متم ذلك الحى ، وعاشق ولادة لأمى ، زاد على مجنون ليلي ، وقبس لبي ، وابن أبي ربيعة صاحب التريا ، تركه هواه أنحف من قلم ، وأشهر من نار على علم . وله مع ولاده أخبار ما حكى مثلها ابن أبي عتيق ، ولا الاصغفاني عن سكان وادى العتيق ، ولا الأصمى عن أهل ذلك الفريق ، أندى من نسيم الصباح ، وأرق من ريق الغوادي في منور الأفاح »
ولإذا تصفحنا دواوين الأدب عند الأمم الأخرى لا نجد له شبيهاً سوى تيبولس شاعر الرومان . وتنقسم حياة ابن زيدون إلى قسمين مهين (١) في قرطبة ، (٢) في إشيلية .



أولاً - في قرطبة : برع ابن زيدون في الأدب ، حتى كان أبو الوليد في الأندلس شبيهاً ومثيلاً لأبي الوليد في دولة المتوكل العباسي ، وقد سباه الناس بخترى الأندلس ، وافقد صدقوا .
فن جملة المحفوظ عنه في صباه قوله :

أخذت ثلث الهوى غصباً ولى ثلث . . الخ

ثم هام بعد ذلك بحب ولاده بنت المستكى الخليفة الأموي بالأندلس ، وكانت أدبية ، شاعرة ، جملة القول حسنة الشعر ، تناضل الشعراء ، وتماجل الأدباء . وعمرت عمراً طويلاً ولم تزوج قط . جاءت على خلاف

أيها في كل أوصانها . فكانت مصداقاً لقوله تعالى « يخرج الحي من الميت » وقد ابتذل حجابها بعد نكبة أيها وقته ، فصارت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم ، وتواضعهم ، وتعشقهم الكبراء منهم . وكانت على خلق جميل ، وأدب غصن .

وكان لابن زيدون معها أخبار تطرف القلوب ، وتشف المسامح ، لأنه خلق في هواها العذرى عذاره ، وقد شهد المؤرخون كلهم لها بالعمة والصيانة . ولكن الشعراء في كل واديهميون ، فكيف لا يهيم بولاده أبو الوليد بن زيدون .

والمقام لا يتسع لاشعاره فيها وإشعارها إليه . ولكي آتيكم براموز ومثال ، وارك الباقى لغير هذا المجال . ودعها ذات يوم فأنشدها مرتجلاً :

« ودع الصبر محب ودعك . . . الخ »

ثم قال :

« يانا زحاً وضير القلب القلب مثواه . . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة بقرطبة منتدئى لآحرار مصر . وفناؤها ملامباً لجياد النظم والنثر . يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاذت أمراء الشعراء والكتاب على حلالة مسامرتها ، وهى مع ذلك حافظة على علو النصاب ، وكرم الأنساب ، وطهارة الائتوب ، ولقد طمع بعضهم فى الاستئثار بها دون ابن زيدون فنازعه على حبها وزاحه فى دها رجل من رجالات عصره ، وهو أبو عبد الله البطلوسى ، فكتب إليه ابن زيدون يزجره بهذا الزجر :

« أيا عبد الإله اسمع . . . الخ . »

ومنهم الوزير أبو حاسم ابن عبيدوس الملقب بالفار . وكان من أكابر رجالات قرطبة ، فاغتاط ابن زيدون وبست إليه بهذه الاييات :

« أثرت هزبر الصرى لذ رضى . . . الخ »

ثم كتب له رسالته المشهورة على لسان ولادة ، وقد عبث فيها به كما عبث الجاحظ فى رسالته « الترييع والتدوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب فى بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون فى المشارق والمداير وهى التى شرحها كثير من أدباء المشاركة ، كابن نباتة والصفدى .

وشرح ابن نباتة قد طبع فى مصر مراراً . وهو فى غاية الحسن ونهاية الفائدة . وأما شرح الصفدى لهذه الرسالة فلم يصلنا . على أن ابن عبيدوس لم ينتن عن محاولته . حتى تمكن من إيقاع الجفوة بين ابن زيدون ولولادة ، واستأثر بها دونه ، فاغتاط ابن زيدون والتجأ إلى قريضة الفارس ، فلعن الرجل بقوله :

« أكرم بولادة ذخرا لمدخر لو فرقت بين يطار وعطار

قالوا أبو حاسم أضى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار

صيرتمونا بأن قد صار نخلفنا فيمن نحب وما فى ذاك من عار

أكل شهى أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفعنا عنه للفار .

ولقد فاز ابن زيدون بمناه . من إقصاء الفار عن حماه . بل أن ولادة أخذت تعبت بذلك الوزير . حتى لأنها صرت به ذات يوم فى تربها وسربها ، وكان الوزير ابن عبيدوس جالساً على داره يستنشق الهواء اللليل ، وكانت أمام داره بركة تجمعت فيها مياه المطر ، وانساق إليها شئ من أبقار الدار . وكان الوزير

جالسا في أبيته وعظّمته وقد نشر كية ، ونظر في عطفه ، وحشر أعوانه إليه . فلما قربت منه ولادة نأته باسمه ، فحش إليها وبش ، واقترب من البدر فقالت له وهي تشير إلى البركة : يا ابن هيدوس :

« أنت الحبيب وهذه مصر فتسدقا فكلما بحر . »

ثم نفرت كالطّي الشارد وتركته حائراً باثراً . باهتاً صامتاً ، لا يحير جواباً ، ولا يخي خطأ ولا صواباً ، وهذا البيت لأبي تواس تمثلت به ولادة ونقلته هذا النقل الحسن من المدح إلى الهجاء .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وعاش وعاشت حتى بلغا الثمانين وهما يتراسلان ويرتعان في بداين الأدب ورياض المغاف .



لم يبلغ ابن زيدون الخامسة والعشرين من عمره حتى نبه ذكره ، وعمّ صيته . اصطنه أبو الحزم بن جهور المنقلب على قرطبة ونواحيها وضواحيها ونوه به لأنه رأى في الآداب ، وعمدة الطرف . والشاعر البديع الوصف . ولما له بقرطبة من الأثوة السنية ، والسومة والدرارية ، وحلاوة المنظوم ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تنفذ من إنشائه إلى شرق الأندلس فيقول : تأتي أشبيلية كتب من بالنظم الخطير أشبه منها بالمشور . ثم ترقى وظايف الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل الدمة . ثم رآه ابن جهور أهلاً للوزارة فرقاه إليها . بل جعله ذا الوزارتين ، فكان منه بمنزلة السميع والوزير والمشير والسفير . فحكم أنفذه إلى ملوك الطوائف لأشور سياسية . ولحارات تقتضها المعاملات والمجاملات التي يوجبها ، أو يدعو إليها علاقاتهم مهم أو مع ملوك الأسبانيين الذين كانوا يترصدون به وبهم دوائر السوء . فأحسن ابن زيدون التصرف في ذلك . وغلب على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يخطب دمه . ويتنى أن يقيم عنده . ولكنه بعد انضاء مهمته يرجع إلى صاحبه بقرطبة وإلى مجالس أنسه بها . وهو به أهلها في ذلك الوقت المضطرب بآلته الداخلية . والخطوب الخارجية . كانت الجاسوسية لها أثر في مصالح الدولة ، وفي أحوال الأفراد .

تترك أمور الدولة وسياساتها جانباً . وتقتصر على الدائرة التي ارتضينا لأنفسنا الجولان فيها وهي ميدان الأدب .

ونذكر حكاية تدل على الجاسوسية الفردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة جارية تتمشق قى من الفرشيين . وكانت لوجدتها كاتمة . ولكن الخبر وصل إلى الوزير ابن زيدون ، فلم يعبأ به لأن القوم كلهم كانوا متغفلين في هذه السبيل .

وكانت الجارية تقول الشعر لجاشت نفسها بيت فذ وامتنع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا معطشى عن وصال كنت وارده هل ملك لي غلة إن سحت : واعطشى . »

لجأت إلى كبير الوزراء . وأمير الشعراء . وسألته أن يزيد عليه شيئاً وهي تظن أنه لا يعلم بما هي فيه من الغرام . فأمسك القرباس واغتم فرصة الروى ، وما يعلمه من السر المطوى ، فكتب :

« كسوتني من ثياب السقم أسبغها ظلماً وصيرت من الحف الضنى فرهى . »

.....

« جفني إذا التذت الأجنان طيب كرى جفا المنام وصاح الليل يا قرمى . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا يبالغون في التشبه بالشرفيين في كل ما اشتهروا به أو اشتهر

من أحوالهم ، فذائنتهم وعماثرهم وقصورهم ومنازلهم سموها بما اختاره الشريون في بلادهم كذلك حاكمهم في مجالس أسهم . وأما أقصر على ما يتعلق بابن زيدون وصحبه ، وأمهه لذلك عما كان في بغداد . كان في دار السلام الوزير المهلب المشهور ، والداضي التنوخي ، وقد بلغا من الكبر سناً عالياً . ولهما ذوقون بيضاء تنهال على صدورهما ، وكانا يتعاطيان في النهار أمور الدولة بماية الحشمة والوقار . حتى إذا جنّ الليل اجتمعا في مجلس المقار ، فكانا يشرنان في أواني من البلور والنضار ، ولا يكتفیان بلذة الشراب ، بل يفسان أذقانها في الأواني ، ثم يرش كل منها الشراب بتلك الرشاشات الغريبة على صاحبه لتتم لهما لذّة السكر حساً ومعنى . باطناً وظاهراً ، ويستمرّان على ذلك طرفاً من الليل . حتى إذا جاء الصباح عادا إلى أشغالهما ، الوزير في تدبير الدولة ، وفاضي التفتاة في النظر في الحصومات ، والحكم على منقضى الشرع ، واستدراً على هذه الحال في معاقرة المدام ، حتى وافاهما الحلام .

فاسمعوا نظائر ذلك في قرطبة . كان القاضي أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي مكان ، أدركته حرفة الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان يتشبه في خلوته مع ابن زيدون ، بالداضي التنوخي مع الوزير المهلب ، وهناك عاشت من دحابات ورقاقات ، وما نغيت من وكاهات ومجانات ، حتى إذا أصبغا ، ذهب دو الوزاريين إلى شأنه في ديوانه ، وبكر أبو بكر إلى مجلس الحكم بمنقضى الحق ، ومتى اقترب المساء عادا إلى النصف ، وتجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطا الدهر على أبي بكر .

واتفق أن مرّ ابن زيدون يوماً ببكر بن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاءه من عمار ميسدانه ، ففظفوا عليه مسلمين ، فقال أبو الوليد بن زيدون مرحتلا :

« انظر لحال السرو كيف تحال . . . الخ »



ففي أديب حر يصل إلى هذه المسكاة قبل أن يصل إلى الثلاثين من العمر ، فكيف لا يكون كما كان المتنبي حرب الزمان والدمر . نعم فقد دبت عقارب النيرة بينه وبين حاسدى نعمته وسعادته ، والمناظرين والأنداد فتألبوا عليه وتآسروا حتى اتهموا بإياعه في شراكمهم ، ونجحوا لدى الأمير ابن جهور فحبسه حبساً طال مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، فبعد أن صاغ لبني جهور ولاسيما لأبي الخزم قلائد وخرائد ، كتب إليه من السجن أشعاراً ورسائل مختارة ، فاضت بها نفسه في التنصل والاعتذار والاستشفاع والاستعطاف ، ولكن المزاحين له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كانوا دائماً يفتزون ، فبقى في السجن مدة تنيف على الحساسة يوم .

كتب لابن جهور تلك الرسالة البديعة التي طبعها أحد المستشرقين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي شرحها العلامة صلاح الدين الصفدى .

ولقد زارته أمه في سجنه . فظانها دمعها ، فقال يخاطبها من قصيدته اللامية التي وجهها إلى ابن جهور مستعطفاً :

« ألم بأن أن يبكي الغمام على مثلى . . . الخ »

وما ألفت وصفه لنفسه ولوشاته في إحدى قصائده الطنانة :

« كان الوشاة - وقد منيت بأفكهم - أسباط يقترب وكنت الذبيا . »

هذه الأحوال مضافة إلى نفس كبيرة تنمب في مراددا الأبدان ، شبت رأس ابن زيدون وجعلته هراما قبل

الأوان ، فقد رأى الشيب في رأسه وعارصه . وبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستعطف بها ابن جهور أيضاً :

« لم تطو برد شباني كبرة وأرى برق المشيب اعطى في عارض الشعر
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كشب وللشيبه غصن غير مهتصر . »
وفيها يقول بما يعرف بأنه عارف قدر نفسه :

« أحيى رف على الآفاق من أدنى غرس له من جنباه يافع الثمر ؟
وسيلة سببا إن لا تكن نسا فهو الوداد صفا من غير ما كدر . »

فدلنا بذلك على أن الشيب ألم برأسه وبلحيته ، قل أن يصل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مراتب العلا وهو في سن الفتوة وربمان الصبا ، وذكر الصغدي أنه كان يخضب بالسواد . ثم أنه تحيل في الهرب ونجح . فلما خرج من السجن اختفى بقرطبة وأقام فيها متوارياً ، ثم نظم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستهنس الأديب أبا بكر بن مسلم للشفاة ويستزل أبا الحرم بن جهور وفيها يعرفنا أن مدة حبسه بلغت خمس سنين . قال :

« سنون من الأيام حس قطعها أسيراً ، وإن لم يدشد ولا ربط . »

والقصيدة طويلة جميلة جليلة ، ثم إنه مازال بأبي الوليد بن جهور يستشعب به إلى أبيه أي الحرم ، حتى شفع له وأنشله من نكبته وصيره وصالته ، ولما ولي الأمر بعد والده توه به وقدمه في الدين اصطنع لدولته وجله كرامة لم تقفه ، رعو . فلا غرابه إذا بكى واستبكي حينما مات أبو الوليد بن جهور الذي أذاقه من الحيس والعذاب ألواهاً . فمد وحد ابن سلم يحط ابن حيان هذه المراثية الدعية لابن زيدون في أبي الحرم :

« ألم تر أن الشمس قد صمها القبر الخ »

ولكننا نمود إلى ولادة وتنسأل هل نرى أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التودد إليها والتعرب منها ، وكان يذكرها في قرطبة ويراسلها بأشعاره الرائعة الفاتحة .
ذهب مرة إلى الزهراء بتأمل في محاسنها بوصفها بوله :

« إني ذكرتك بالزهراء مشتافاً الخ »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سفيراً إلى حضرة إدريس الحسي بماتة . فأطال الشواء هنالك واقترب من إدريس وخف على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه ، هتب عليه ابن جهور وصرفه عن السفارة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يحرى بينهم من التراسل والمداخلة . إلى هنا انقضت أيامه وقرطبة ، فلقد خشي أبو الوليد أن يلاقى من الوليد مالا فاه من الوالد . وحينئذ صحت عريته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المعتضد بن عباد بإشبيلية .
فلامه بعض اختصاصه على ما اعتزمه من التحول عن وطنه وهجر أهله وخالته ، فكتب إليه رسالة ضافية يعتذر فيها لنفسه ويقول من جللتها مانصه :

« وكنت أول حبسي قد وضعت من السجن في موضع قد جرت العادة بوضع مستورى اللباس . . . الخ . »
ولكن ابن زيدون كان قد ذاق من الدهر حلوله وسمه فلم يرض لنفسه بالذهاب إلى إشبيلية دون أن يكون على ثقة من أمره . فلذلك كتب رسائل بديعة إلى بعض المربين من المعتضد ، ثم إلى المعتضد نفسه ، يمهّد السبيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سيتزل في إشبيلية على الرحب والسمعة أزعج الرجل إليها ، وكان ذلك في سنة ٤٤١ للهجرة .

وانتفى في وقت فراره من قرطبة إلى إشبيلية أن صادفه عيد الأضحى ، فرأى الناس مبهجين بالعيد ، وهم يتزاورون ويتبادلون التهاني ، وهو شريد طريد ، فقامت معه بوصف حاله :

« خليلي لا فطر يسر ولا أضحي الخ »

فلما وصل إشبيلية . نزل على كنف المعتضد ، وأصبح من خواصه ومحابته بحالته في خلواته ، وبرسله في مهم رسائله ، وولاه الوزارة وحفظ له لقبه « ذا الوزيرين » .

كان المعتضد جعل مجلسه محطاً من مجلس ابنه وولى عهده المعتمد بن عباد فكتب المعتمد لابن زيدون :

« أيها المحط عني مجلساً وله في الدس أعلى مجلس

بقواذي لك حبّ يقضى أن ترى تحمل فوق الأرواس .»

فأجابه ابن زيدون يشكره :

« أسقيط الظل فوق الترجس أم سيم الروض تحت الحدس ؟ »

ولكن هل أساء ذلك ولادة ومحاسنها . أم قرطبة ومساكنها ؟ كلا فلم يزل صاحبها شعوباً بهذه وبذلك وأشعاره أكبر دليل على ذلك . فكما حانت له فرصة ، أو هرته نشوة ، قال فيها أقوالاً تذيب المؤاد .

فلقد تنوّق إلى قرطبة وساكنتها بقصيدة تدل على حبه لها ولمن فيها ، فقال :

« على أئتم الشهدى مني تحية الخ »

وكان يبلغه عن بني جمهور ما يسوءه في نفسه وتراته في قرطبة ، فقال يحاطهم :

« بني جمهور أحرقتكم بجفاؤكم مؤادى فما مال المدائح تعبق

تعدوني كالمر الوردي لنا تروح لكم أنفاسه حين يحرق .»

وأما أمداحه في المعتضد بن عباد فثنى كثير جليل .

وقد كتب عنه إلى صهره الموفق أبي الحليش بن مجاهد العامري صاحب داب . والجزائر الشرقية المروية الآن بحرائر البليار :

« عرفت عرف الصبا اذهب عاطره الخ . »

قلت فيما تقدم إن ملوك الطوائف كانوا منقسمين على أنفسهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فإليك مثالا واحداً مما يتعلق بابن زيدون ، وذلك أن الحرب وقعت بين المعتضد صاحب إشبيلية ، وبين ابن الأفطس صاحب بطليوس ، فالتزم ابن الأفطس هزيمة هنيئة ، وخسر خساره جسيمة ، فقال ابن زيدون يهني المعتضد :

« لبني الهدى إنحاح سميك في الددا الخ . »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأفطس بمدحة غراء في قصيدته التي يقول فيها :

« لبيض الطلي ولسود اللهم الخ . »

ولا غرابة في ذلك ، فالملك عقيم ، وقصارب السياسة تقضى بالتغيير من حال إلى حال . خصوصاً إذا انقسمت أمة من الأمم على نفسها وخاضت في غمار الخطوب والفتن ، وفوق ذلك ، أليس القلب من مدح إلى هجاء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سجايا التمرأ الكرام وغير الكرام .

فلما مات المعتضد بن عباد وتولى الملك ابنه المعتمد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه الحفارة ، تدل على ذلك شهادة التاريخ ويؤيدها قول ابن زيدون نفسه في رثاء المعتضد ومحاطبته روحه

بعد دفنه :

«أعباد ! ياأوفى الملوك لقد عدا ، عليك زمان من سجيته الغدر.» الخ

ومن المعلوم أن ابن زيدون هو الذى دبر دولة المتعبد وأظهر صواته وأغرام بأعدائه ، وزين له الايقاع بعمله ووزرائه . فندا شجعا فى صدورهم ، ونكدنا فى سرورهم . فلما آلى الأمر إلى المعتد ، قام حساده وخصومه وسعوا لديه فى النكايه به ، ثم رموا إليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :

« يا أيها الملك العلى الأعظم اقطع وريدى كل باغ ينم !

واحسم بسيفك داء كل منافق يدبى الجليل . وضد ذلك يكتم !»

وهى قصيدة طويلة تتألف من ٢٧ بيتاً كلها اغواء بابن زيدون على سبيل التصريح المفهوم . ولكن المعتد كان أعقل من ابن حور . فلم يصغ لتلك النجبة ، ولم تنفع لديه تلك السعايه فقال فى صدم وردكيدم فى نحرهم :

« كذبت مناكم صرحوا أو جمحوا الخ .»

فلما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به ، وتحقق حسن مذهبه ، وعلم أن حيلتهم قد أخفقت ، وسعابتهم مانفتت ، وسهامهم تبرعت ، ومكائدهم تددت وتوزعت ، قال يمدح المعتد ويعرض بأعادييه بقصيدة طويلة مطلعها :

« الدهر إن أملى فصيح أعجم الخ .»

واستقرّ المعتد به فى وزارته ، فكان أحد وزرائه الثلاثة الأكبر المشاة وزارتهم . (أى أحد الثلاثة الذين يلقب كل واحد منهم بدى الوزارتين) والآخرا هما ذو الوزارتين ابن عمار ، وذو الوزارتين ابن خلدون (جد صاحب التاريخ المشهور) .

خرج الثلاثة فى أحد الأيام من إشبيلية إلى المنطرة (قصر خلوى) لى صاد بموضع يقال له القنت (تقريبا لفظ اسانى) وهو منزه تحف به مروج مشرفة الأنوار ، متنسمة الأنجاد والأغوار ، متبسمة عن ثمر النوار . . . فى زمان ربيع سقت الأرض السحب فيه بوسمها وولياها ، وجعلتها فى زاهر ملبسها وباهر حلها ، وأرداف الربى قد تأزرت بالازر الحضر من نباتها ، وأجياذ الجداول قد نظم الوار قلأئده حول لباتها ، وبجاسر الزهر أردية النسائم هند هبانها ، وهماك من البهار ، مايزرى على مداهن النصار ، ومن الترجس الزيان مايزأ بنواص الأحقان ، وقد نوا الانفراد للهو والطرب ، والتزده وروى النبات والأود ، ونموا صاحباً لهم يسمى «خليفة» هو دوام لذتهم ، ونظام مسرتهم ، ليأتبهم بنبيذ يدمبون لهم بذهبه فى لحين زجاجه ، ويرمون به بما يقضى بتحريكه للهرب عن اللوب وإزعاجه ، فجلسوا لانتظاره ، وترقب عوده على آثاره ، فلما بصروا به متبسلا من أول الفج بادروا إلى لقائه وسارعوا نحوه . واتفق أن فارساً من الجند رك فرسه قصده ، ووطئ عليه فشم أعظمه ، وأحرى دمه ، وكسر قصال (١) النبيذ الذى كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه ، ومضى على غلوائه راكفاً حتى خفى عن العين ، خائفاً من متعلق به يحين بتعلقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وعدوانه والحطب والأوانه ، ودخوله بطوام المضرات ، على تمام المسرات ، وتكديره الأوقات المنعمات ، بالآفات المولمات ، فقال ابن زيدون :

« أناهو والحثوف بما مطيمة وأنمن والمنون لنا مخيفه »

فقال ابن خلدون :

« وى يوم وما أدراك يوم مضى قصا لنا ومضى خليفة »

(١) التفصا كلمة يستعملها المغاربة والأندلسيون بمعنى جرة النبيذ ، وهو لاء من الفخار .

فقال ابن عمار :

« ما غارتنا راح وروح تكسرتنا فاشاف وجيفه »

ولابن زيدون مدائح في المعتمد بن عباد كلها درر وغرر ، وآيات بينات ، وله معه مداعبات ومطارحات ومساجلات ، فتارة يشوقه إلى معاطى الحما في قصوره البديعة ، وتارة يرسل له النعاج ويكتب عليه الأشعار ، يدعوهم إلى تناول العفار ، وتارة يهينه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلما حد الإبداع في هذا الباب . قال يخاطبه :

« مهما امتدحت سواك قبل فاما مدحى إلى مدحى لك استطراد

يفشى الميادين الفوارس حقبة كيما يعلمها الزوال طراد »

فما أحسن هذا التنصل بالترن على المديح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدى ثمرته إلى ابن عباد . هذه قطرة من بحر من بحر شعر ذلك الغرر ، وأما نثره فشئ بعيد حصره ، ومما يجمله كثيرون أنه ألف كتابا في التاريخ وجمله ابن حرم من مفاخر الأدلس ، وقال إن أبا الوليد بن زيدون ألف كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب التبيين في خلفاء المشرق للسعودى ، وقد نقل صاحب معج الطيب سطرار عن هذا الكتاب الذى لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يشوق لقرطبة ولمن فيها ويعمل لدى المعتمد بن عباد حتى جعل قرطبة متعته أملة . فسى في مداخلة أهلها . ومواصلة ذوى الكلم فيها لأنه رأى عدم العائدة والمكايده لاستمساك أهلها بدعوة الخلافة وأنفتح من زواها عنهم وانظماس رسومها في بلدهم ، فلما فاز بالمرام وانتظمت تلك العاصمة الضخمة في ملكه ، ذهب إليها مسرعا وأتم بتدبير شؤونها ، هنالك عاشت نفسه بالعز على سائر ملوك الطوائف قال : « من الملوك بشأ الأصيل البطل . . . الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرر العين إلى وطنه وأهله ، وكانت له شعبة كبيرة في قرطبة ، فارتفع جده ، وزاد لإقبال الدنيا عليه وبلغت خطوته عند المعتمد درجة لا يطعم فيها .

فحينئذ سعى في هلاكه صاحبه ، ابن مرتين وابن عمار ، وتلطفا في إعادته وإبعاد ابنه من بعده ليعلو لهما الجو ، ولينفردا بالاستئثار بابن عباد ، ولقد ساعدتهما الظروف .

وقد وقعت فتنة في إشبيلية واضطر ابن عباد للتعجيل بإرسال جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن عباد ، فسول ابن مرتين وابن عمار لابن عباد أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلطفا في تفهم السلطان أن ذهاب ذى الوزارتين فيه حق للدما ، وحفظ للنظام ، لما له من المسكنة العالية والجاه الربيع ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوسا له بأن المصلحة كل المصلحة هي وجود ابن زيدون الوزير العاقل المدبّر المحبوب بجانب سراج الدولة الذى هو قرّة عين الملك ، ومطج الأنظار لبقاء البيت العبادى ، وما زال الرجلان ينسجان على هذا المنوال حتى أفلحا خصوصا لقيام ابن زيدون ومرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالذهاب ولم يمدره السلطان في التوقف لما به من الآلام ، فخرج منها مع الحاجب سراج الدولة بن عباد والجيش متوجهين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ ذى الحجة سنة ٤٦٢ ، وحلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبا بكر بن زيدون ، ولكن صاحبينا (ابن مرتين وابن عمار) مازالا يعملان لدى ابن عباد حتى صدر الأمر إلى أبى بكر بن زيدون أيضا بأن يلحق بابيه في إشبيلية .

حينئذ خلا لهما الجو فاستأثرا بالأموار كلها وانفردا بتدبير الدولة بلا مشارك لهما في أهوائهما ولا معارض

لهما في اغراضهما ، وكان روال دولة ابن عباد كن مقدارا على يد هذين الرجلين فان مرتين ، يكنى في التعريف بمراميه أنه ابن مرتين أى أنه من أصل غير عربى ، فان جده رجل إسباني ، وأما ابن عمار فقد أنكر فضل ابن عباد ، وشق عصا طاعته ، وسمى في الفساد والحراب ، وخرق العمود ، وخان وأتلب ابن عباد حتى أوهى دولته ، على ماهو معروف مشرر .

أما ابن زيدون وهو في إشبيلية ، فلم يحل لأبيه بعد خاق أبيه به ، فكأنه جاء ليكشفه ويدفنه بها في صدر حجب سنة ٦٣٠ هـ ، حيث تدولى منه كهل أن يخاف الدهر مثله جلا ويناياً وروعه وظرفاً .

وهو عند أول التحقيق في النظم أمد طمعا ، وأحث عنداً ، فلا يالحقه تقصير ، ولا يحشى وهناً ، ولما وصل خبره إلى قرطبة ، وله فيها تشرة كبيرة وأشياء كثيرة تازعوه وحرثوا عليه لأنه كان منهم ، هاوياً إليهم ، حدا تلبهم ، وليح حير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية .

فأراد السلطان أن يترصام فأرسل لابنه (أى أنى بكر ابن زيدون) وقرنه إليه ، ورقاه في مراتب والده حتى أحفاه بلورارة ومد اغتم هذا فرصة ماوقع من دى الوراثة ابن عمار من الخروج على ابن عباد فأوغر صدر ابن عباد عليه ، وما زال يعمل لديه حتى كن سبأاً في هلاك ابن عمار على ماهو معروف مشهور .

انتهى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ (٤ اغسطس سنة ١٩٣٢) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

صفحة

- فَهز - من الهوى - عطف ارتياحى ١٥٨
وَأَنْتَ عَلَى الزَّمانِ مَدَى اقْتِرَاحِى ٢٦١
(وَأِنِّى فى سُلُوكِ فى انْتِزَاحِ) (٣٧٣)
(أَمْدِيكَ يَا فِتْنَةَ الْجَنَانِ وَالرُّوحِ) (٣٧٣)
(أَصْبَحَ قَلْبِى بِهِ قَرِيحًا) (٣٧٨)
(وَعَدْرُكَ إِنِّى عَاقَبْتُ - أَجْلَى وَأَوْضَحُ) (٣٨٤)
(لَتَقْصُرَ عَنْهُ طَوَالَ الرِّمَاحِ) (٣٩٣)

حرف الدال

- (لَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ) (٣٩٢ و ٦٠)
(فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِى) (٦٨)
وَلَمْ تَجْمَلْ مَحَلَّكَ مِنْ فَوَادِى ٧٤
فَلَهُ مِنَّا أَجْمَلَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ٧٨
(قُلْتُ : أَمْرَانِ هَيْنَ وَتَدِيدِ) (٨٦)
وَفَدْتُ خَيْرَ وَافِدِهِ ١٦٥
مِهَاتَ حَمَتَهَا - فى مَرَاتِمَهَا - أَسَدِ ١٧٧
لَوْ سَاعَفَ الدِّكَافَ الْمَشُوقَ مَرَادِ ١٩٧
(وَأَنْتَ أَمْرُؤُ عَافِى أَنَا لَكَ وَاحِدِ) (٢٠٤)
(ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْإِسْدَادِ) (٢٠٦)
(جَهْلًا بَنَّا وَلَوْلَيْتَ عَبْدًا) (٢١٠)
(يَفْخَصُنَ بِالْمَعْرَاءِ شِدَا) (٢١٠)
(وَلِإِنْ رَاحَ صَنَعَ اللَّهُ نَحْوَكُ وَأَغْتَدِى) (٢١٦)
(مَاطِلٌ فِيهِ سَمَاكِى وَلَا جَادَا) (٢١٩)
كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فى نَفْسِى الصَّدَى ٢٢٣

صفحة

- (أَرْمَاحُ قَوْمِى بِالْعُدَاةِ لَوَاعِبَا) (٣٩٣)
(كَفَاهُ بَخْلَتِ السَّحَابِ) (٣٩٥)
(يَرْتَاحُ فِيهَا بِاصْطِيَادِ أَرَانِبِ) (٣٩٦)
(رَجَاكَ عَلَى بَعْدِ فَأَصْبَحَ ذَا قَرَبِ) (٣٩٦)
(وَمَا أَحْصَى صَوَابِهِ) (٣٩٩)
(ذَهَبُوا مِنَ الْأَغْرَابِ أَبْعَدَ مَذْهَبِ) (٤٠٠)

حرف التاء

- وَقَدْ خَفَّتْ فى سَاحَةِ الْفَصْرِ رَايَاتِ ٦١ و ٣٩١
وَأَعَزَّلَ عَنْ رِضَاكَ وَقَدْ وَلَيْتَ ٢٦٦
(جَدَاوِلُ مَاءٍ أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ) (٢٠٩)
(لَيْسَ مِنَ الْوَحْشِ وَلَا النَّبَاتِ) (٢٨٧)
(عَنْ فَوَادِى دَجَنَةِ السُّكْرَبَاتِ) (٣٩٢)
(وَلَمْ يَنْفِ مِنْ مَنَائِمِهَا غَايَاتِ) (٣٩٩)

حرف الثاء

- وَأَوْفَى لَهُ بِالْمَهْدِ إِذْ هُوَ نَاكِثُ ٢٧٧
حرف الجيم
(قَلْبِى لَهَا أَحَدُ الْبُرُوجِ) (٣٨٩)
(يَا بَدْرَ الدِّيَاحِى) (٣٩٢)

حرف الحاء

- فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَمْسَى ٥٤
تَصْبِى ، وَلِإِعْطَافِ نَشَاوِى صَوَاحِ ٨٩
(وَأَخَذْنِى الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرِّبِيْعِ) (٩٦)

صفحة
(٣٩٠) فالقلب منهمن والأحداق والسكبد
(٣٩٤) ورود السكرى بعد طول السهاد
(٣٩٥) (وقرة ناظر المجد)
(٣٩٩) (أسود - لهم فيها - وآساد)
(٤٠٠) (خف القطين وجف الزرع بالوادي)

حرف الراء

(٣٣) (ملكا يحسنه الخليفة جعفر)
لما جرت بالذى تشكوه أقدار ٣٨
كمثل هوى فى حال الجوار ٥٨
وأمرضت حسادى، وحاشاك أن تبرى ٦١
إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر ٩٢
(لما من الطول أو من القصر) (٩٢)
وفاضح الرشا الوسنان إن نظرا ٩٨
مضمخة الأنفاس طيبة النشر ١١٩
فمن شيم الأبرار - فى مثلها - الصبر ١٤٠
وأن قد كفانا فقدان القمر البدر ١٥٠
عذارى دونه ريق العذارى ١٥٢
واطلع كما طلع الصباح الزاهر . ١٦٨
غصن أثمرت ذراه بدر ١٧٠
فمن شيم الأبرار فى مثلها الصبر ١٧٤
(بأن المرء لم يخلق صباره) (٢٠١)
(تروح بالخورنق والسدير) (٢٠٥)

صفحة
٢٢٣ فالقلب منهمن والأحداق والسكبد
٢٤٩ ادناءك الأمل البعيد
٢٤٩ وهادما بكل وجد
٢٥٠ وأقبس هديك نور الهدى
٢٥٣ لديك فاشكو بعض ما أنا وأجد
٢٦٢ وزهدت فيمن ليس فيك بزاهد
٢٦٤ يا سوء ما لقي الفؤاد
٢٦٨ وأصابتك بما لم أرد
٢٧١ ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
(٢٧٤) وبلغت من ظامى المدى
(٢٧٨) وواصل حبلى صدى
(٣١٧) (وإن الغنى عارية فتزود)
(٣٢٦) (وتعرت ذات يوم تبترد)
(٣٧١) (إذا خفيت طرق العرائس عن أسد)
(٣٨٥) (متى يختبر غيبه يحمد)
(٣٨٦) (وفى خلدى ما فيه من لوعة الوجد)
(٣٨٦) (فتفك عنه للأسى أصفاد)
(٣٨٧) (وحاضرة فى صميم الفؤاد)
(٣٨٧) (وكان ساعدك الوثير وسادى)
(٣٨٨) (كوا كفات الفؤادى)
(٣٨٩) (فلا جعلن مكانه وردا)
(٣٨٩) (وكم عفى عن دار أهيف أغيد)
(٣٨٩) (فعض به تعاچه وأجتى وردا)
(٣٩٠) (ولا وجدت منا خطوب النوى بدا)

صفحة

- (وقصرت أعمار العداة على قسر) (٣٧٦)
 (وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر) (٣٧٦)
 (ماذا يفيد عليك البعث والحذر) (٣٧٧)
 (والنجم قد صرف العنان على السرى) (٣٨٠)
 (ومن منال قصى السؤل والوطر) (٣٨٧)
 (بابصاره الغرة الزاهرة) (٣٨٩)
 (ووجهك أملح في ناظري) (٣٨٩)
 (والوجد قد جل فما يستر) (٣٩٠)
 (وَأَقْتَرَنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ) (٣٩٢)
 (وقنمت وجهك بالمغفر) (٣٩٣)
 (كفى به فدعائي فضله الظافر) (٣٩٤)
 (يسرى إلى غرته السارى) (٣٩٦)
 (ولم ألف في بحر نعماء زجرا) (٣٩٦)

حرف السين

- يبحر الدهر ويأسو ١
 (للشيب غدرا في النزول براسي) (٩٣)
 وقد آن أن تترع الأكوس ٩٨
 أطول عمر يهيج الأنفاس ١٠٦
 ويظلم لى النهار وأنت شمسى ١١١
 (بها أثر منهم جنى ودارس) (١٩٣)
 (أم نسيم الروض تحت الحندس) (٢٤٧)
 (وارع إذا المرء أسا) (٢٩٧)

صفحة

- ٢٤٤ ما أبرزته غرائز الفكر
 ٢٤٨ وقر بك من دون البخور معطر
 ٢٥٤ واجتل التأيد فى أبهى الصور
 ٢٥٩ إلى أن بدا للصبح فى الليل تأثير
 ٢٦٧ قلبى عليك يقامى الهم والفكر
 ٢٦٨ واختيارى إن أخير
 ٢٧٢ لا كمتفين بسماع الخبر
 ٢٧٢ وارضى بتسايمك المختصر
 ٢٨١ مدى الدنيا مظفر
 (وعشرته مشكورة وعشائره) (٢٩٨)
 (حرف لفصل اللفظ مقدور) (٣٠١)
 (ويبقى من المسال الأحاديث والذكر) (٣١٧)
 (غرست أشجارها مستجزل الثمر) (٣٧١)
 (فيها السرى إلا برأى مقمر) (٣٧١)
 (ووصل كظل الروض تعطيكه نورا) (٣٧١)
 (يناقضه سنا البدر) (٣٧١)
 (إلى أن بدا للصبح فى الليل تأثير) (٣٧٣)
 (ويقصّر أن لاقيتها أطول الدهر) (٣٧٣)
 (من أفق من أنا فى قلبى أشاطره) (٣٧٤)
 (وتصبر عنه ولا يصبر) (٣٧٤)
 (ومقلة تنفث بالسحر) (٣٧٥)
 (وإن فؤادى - والإله - صبور) (٣٧٥)
 (ويأمرنى ، إن الحبيب أمير) (٣٧٥)

- صفحة
 ١٨٤ بنعيك أن الدين من بعض ما نعى
 (٢٠٩) (تفرع لمتى شيب فظيع)
 (٢١٠) (وهز المشرفية والوقوع)
 ٢٦٣ ومثير كامن الدموع
 ٢٦٥ محضا ولا م به الواشى فلم أطمع
 ٢٧٠ وسبيل الهوى وقصد الولوع
 (٢٧١) أناديك لما عيل صبرى فاسمعى
 ٢٧٩ سر إذا ذاعت الأسرار لم يذع
 (٣٧٨) (ويا واحدا فاق الخلائق أجمعا)
 (٣٢٨) (نفيس لا تمار ولا تباع)
 (٣٧٣) (يمنوله ملك الزمان ويخضع)
 (٣٨٦) (بأن ليس فى حى لغيرك مطمع)
 (٣٨٨) (ألا غفر الرحمن ذنبا تواقفه)
 (٣٩٣) (وشادانا فى مهجتي يرتع)
 (٣٩٧) (وتنهى القلب الصديق)
 (٤٠٠) (كلما أعطى تعباً نزعا)

حرف الفاء

- لنا، هل لذات الوقف - بالجزع - موقف ٢٣
 (تخوفنى الأعداء والنفس أخوف) (٢٠٤)
 أنا مستودع لعلق شريف ٢٦٨
 ذكرك منى بالأفاس موصول ٢٧٨
 يا من تناهيت - فى الطافه - فجفا ٢٧٩

- صفحة
 (٢٩٨) (بأنس السماع وحسو الكؤوس)
 (٣٩٢) (نفى للعدم عن الناس)
 • حرف الشين

هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى» ٢٨٠

حرف الصاد

- (فى غير ذاك من الأمور أخص) (٦٨)
 حرف الضاد

نش وافر، وحاه عريض ٨٢

ونبهته اذهدا فاعتمض ٢٣٧

(كراكب فى السماء تبيض) (٣٧٤)

(وهب لنا التغميضا) (٣٩٤)

حرف الطاء

وشط - بمن هوى - المزار وماشطوا ١٣

حرف العين

(يوما وصلنى ساءه) (٢٢)

وخذ - فيما ترى - أودع (٦٦)

ذهب الفؤاد فليس فيه براجم ٧٩

(نفيس لا تمار ولا تباع) (٩٧)

عارض كرب بلطفه رفعه ١١٨

(بعقبى الدواء مطالعه) (١١٨)

أم فى المئات التى قدّمت منتفع ١٣٠

(من الدهر حتى قيل لن يتصدعا) (١٤٥)

صفحة	صفحة
(٣٨٨) (ومشرقة من خلال الحلاك)	(٢٩٣) (وصول ليس بالجافى)
(٣٨٩) (وتأنس بذكرها فى انفرادك)	(٣٧٠) (فلست على العلات منها أخاكف)
(٣٩٢) (فتغيب مسرعة لذلك)	(٣٩٣) (فإن الهوى مابه منصف)
(٣٩٢) (سكران من خمر اشتياقك)	حرف القاف
(٣٩٣) (فبدا لطفى أنه فلك)	(٤٩) (على الصديق والعدو صدقه)
(٣٩٤) (مقالة لم تشب بإفك)	جناني ، ولكن اللدائح تعبق ٦٠
(٣٩٤) (ومخلنا أعهدكا)	(وما المرء إلا عهده وموائقه) (٢٠٠)
(ولحت من طرق الملاح شباكى) (٤٠٥)	والأفق طلق ومرأى الأرض قدراقا ٢٥٧
(ردت الروح على المضيق معك) (٤٠٨)	(فنظل نصبح بالسرور ونعبق) (٣٧٤)
حرف اللام	(كأنه الصبح تحته شفق) (٣٧٥)
(رحال عن الباب الذى أناداخله) (٣٢)	حرف الكاف
٥٧ فديتك واعتزرت على ذليل	فيميل - فى سكر الصبا - عطفاك ٩
٦٢ أم عهدنا البدر يجتات الحلل	ذائع من سره ما أستودعك ١٢
(سهام العدا عنى فكنتم نصالها) (٦٨)	بكل السننا جلالك ١١١
٩٩ وموردهم حيث الدماء مناهل	واطلب فسعدك يضمن الإدراكا ١٣٦
(نهال وأسباب النايانهاها) (٩٩)	دعهم فشأنهم غير شأنك ١٤٧
١٠٥ تخالط لون المحب الوجل	(كلاهما ذو أنف ومحك) (٢١٧)
(لَو أَبصره الواشى لقرت بلابله) (١٠٨)	أم كيف أخلف وعدك ٢٦٦
ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل ١١٢	لا تظهرى بخلا بمود أراك ٢٧٠
(فلا تتمصر ماء الصنيعة بالطلل) (١١٥)	الا بوصل قصرك ٢٧٢
١٢٠ وحدى - فى رجائكم - الكايل	(لا تتركنى - هكنا - هالكا) (٣٧٥)
١٣٩ لا تحش منى نسيانا ولا بدلا	

صفحة		صفحة	
(٣٧٤)	(كل نيل أناله لى قليل)	١٤٩	وحز المنى وتنجز الآمالا
(٣٨٨)	(هيهات جاء نكم مهديـة الدول)	١٥٣	ولسولة العلياء كيف تدال
(٣٨٩)	(سفها وهل يثنى الحليم الجاهل)	١٦٥	فى المنظر الحسن الجميل
(٣٩٠)	(إلى محب هائم مثله)	(١٦٦)	(والمرء يعجز لا الحويل)
(٣٩٠)	(فشوقى صحيح وجسمى عليل)	١٦٧	كم لها من ألم يدنى الأمل
(٣٩٣)	(وبالسيف والرمح أمضى قتال)	١٦٩	فقد لفتح التشوق عن حيال
(٣٩٤)	(منى على خلقك الجميل)	١٩٥	وحال تجنيك دون الحيل
(٣٩٦)	(قنصت فيها أراننا وحجل)	٢٢٤	ومطامعها من جيوب الخلل
	حرف الميم	(٢٤٢)	(يا دهر أف لك من خليل)
٣٥	ريح معطرة النسيم	٢٦٩	لقد فقت - فى الحسن - بدر الكمال
٥٠	والمنى فى هبوب ذاك النسيم	٢٦٣	ويشقى وصالك قلبى العليلا
٧٦	وعلتى أنت بها عالم	٢٤٨	وسوغت دأبا نساء الأجل
١٢٢	بعقلي - مذبذبن عنى - لم	٢٧٥	يا حائر الحكيم أفديه بمن عدلا
١٨٨	يعطى اعتبارى ماحبات فأعلم	٢٧٥	لا ولا ذاك التجنى مللا
١٩٢	إذ العيش غرض والزمان غلام	٢٦٩	يملاً عينى من تأمل
٢٤١	عن القصد إن أعيالك منه مرام	٢٨٠	يميل - مع الزمان - كما يميل
٢٤٣	علينا أذمة لا تدم	(٢٩٢)	(واسكن على أثر المسير قفولها)
٢٧١	يا من يصح بقلتيه ويسقم	(٢٩٢)	(وليس عليه فى النكاح سبيل ؟)
٢٧٦	زكت ، وطى وادى العقيق سلام	(٣٧٠)	(ولأى لما يهوى الندامى لفعال)
٢٧٩	قام بك العذر فلا لأتم	(٣٧٠)	(فأنا الذى لست بسال)
(٢٩٢)	(كما باهت بصحبته السكرام)	(٣٧٢)	(إلى أن بدت للصبح فى الليل أعمال)
٣٠٣	ومرويا لكل لهدم		

صفحة	صفحة
(٢٢١)	(من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً) (٣١٧)
٢٦٥	(أخت بنى الأكرمين من جشم) (٣٢٩)
٢٦٧	(إلا لتوهن قوة العظم) (٣٣٢)
٢٧٠	(إلا الظالوم المظالم) (٣٧٠)
٢٧١	(وأوقد في الأعداء شر ضرام) (٣٧٠)
٢٧٣	(وقد خلقت لها في مجالس السكرم) (٣٧١)
٢٧٣	(فان فؤادي بالعالى لهائم) (٣٧٤)
٢٧٦	(طعمين منه زرياً وسماً) (٣٧٨)
٢٧٨	(وفي والا مانواح الحمام) (٣٧٩)
٢٧٨	(يحجب فيه الصلاة والصوم) (٣٨٦)
(يسلو - وإن سئل السلو - ضنين) (٣٧٥)	(أمكن ورد فلا يطل حوم) (٣٨٦)
(فقد فقت الممالك في معان) (٣٧٦)	(وحن أن يتسنى لى بكم حلم) (٣٩١)
(أروضة مسكية الريحان) (٣٨٨)	(ومتبع الانعام اتاماً) (٣٩٥)
(إذ لا كتاب يوافيني فيحييني) (٣٩١)	(وستر الله مد على الأنام) (٣٩٦)
(من فارس شهم الجنان) (٣٩٣)	
(من المجد فاحتل غير القرن) (٣٩٥)	حرف النون
(أو يرجع القول معناه فيغنيينا) (٤٠١)	وناب - عن طيب لفيانا - تجافينا ٤
(تشجى لواديك أو تشجى لوادينا) (٤٠٢)	ونفى الشك اليقين ٣٩
	بعت ودى بلائمن ٦٨
حرف الهاء	في حلى الظرف الحسان ١٧٠
٢٥٨	موتفا في يد الحن ١٠٨
٢٦٦	(أصرحنا بذكرك أم كنيينا) (١٠٨)
(فاق ذكاء فاله من شبيهه) (٢٨٨)	(إذ لا كتاب يوافيني فيحييني) (١٠٩)

صفحة

حرف الياء

٥٩

فلتسناها هذه التالية

(٢٠٥) (فروق ، فرامح ، فحقه)

(٢٧٥) (وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا)

(٣٨٥) (وقد عطشنا و ثم رى)

(٣٨٦) (له الندى الرحب والندى)

(٣٩٥) (على العبيد الوفى)

صفحة

(٣٣٢) (أن الرؤوس محل النهى)

(٢٧٨) (فالأرض تشرق منه)

(٣٧٩) (ونعيمه فاستعذبوه أواره)

(٣٨٧) (وعاشق من لا يباله)

(٣٨٧) (وصرفته لما انصرفت عليه)

(٣٩٣) (وبكت مقلتاى شوقا إليه)

حرف الواو

(٢١٧) (فوز من قراقر إلى سوى)



مِخْنَارُ الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

يتضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من خول الشعراء

وهم

- | | | |
|-----------------------------|--|-------------------|
| (١) عمرو القيس | | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني | | (٥) عنزة بن شداد |
| (٣) زهير بن أبي سلمى المزني | | (٦) علقمة الفحل |

صح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

مُصْطَفَى السَّقَا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصحح
بغاية الاعتناء ومجلد بالقماش المذهب .

يطلب من مكتبة :

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . الفورية رقم ٧١

التي تقدم الفهرس الحاوى للسكتب الأدبية وخلافها لمن يطلبه مجاناً .

